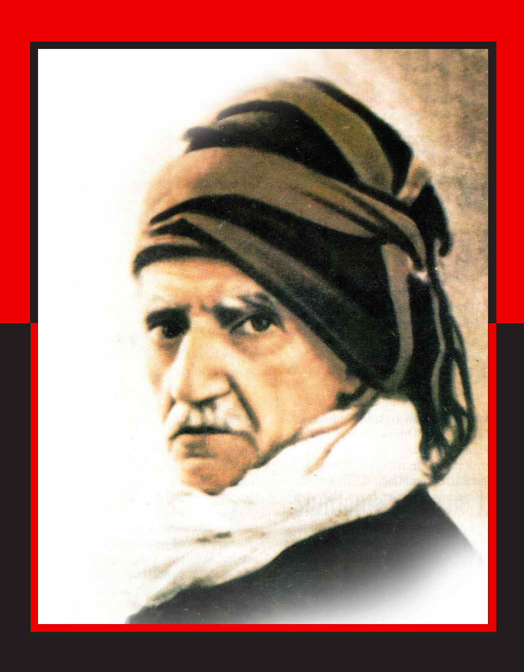
الإسلام في تركيا الحديثة

بديع الزمان النورسي

عبده ١٤٢٢



تأليف

شكران واحدة

ترجمة

محمد فاضل

تشكل قصة بديع الزمان سعيد النورسي حياة أحد علماء الإسلام وأساتذته الذي قرر - خلال فترة من الفترات التي تعرضت مكانة الإسلام خلالها للتدهور جراء تصاعد المد الاستعماري الغربي - أن يكرس حياته ودراسته من أجل أن يبرهن أن تجديد قوة العالم الإسلامي - بل ورخاء وسعادة سائر البشر - يكمن في القرآن الكريم باعتباره الرسالة الإلهية، وليس في الحضارة السائدة في عصرنا الحالي...

وعقب النصر التركي في معركة الاستقلال، وجد النورسي نفسه على خلاف مع قادة النظام الجديد في أنقرة، وانسحب تمامًا من الحياة العامة. وقد كانَ ذلك يتفق تمامًا مع شخصية سعيد الجديد، الذي تمخض عن سعيد القديم أثناء السنوات القاسية للهزيمة العثمانية والاحتلال الأجنبي. وقد احتل القرآن وقتها المكانة الأولى في حياة النورسي، وكان ناجحًا في تطوير طريقة تأملية جديدة لشرح تعاليم القرآن على العقائد الأساسية للإيمان، والتي استقاها من القرآن الكريم ذاته وكانت تقوم على التفكير التأملي في العالم المنظور. وعندما أرسل إلى المنفى وجدت كتاباته الجديدة صدى سريعا بين سكان الأناضول، الذين شعروا أن معتقداتهم وهويتهم في وضع مهدد من قبل الإجراءات العلمانية والتغريبية. وقد استطاعت كتابات النورسي "رسائل النور" من خلال البراهين التي قدمتها في سياق تعاليم الرسالة القرآنية ومن خلال توافقها مع العلم، ودحض "الفلسفة"، أن تعبر عن مشاكل الناس وأن تقدم لهم إعادة تثبيت للمعتقدات الهامة لكيانهم. وفي الحقيقة، كان النورسي يحمل معه إلى العصر الجديد الجدل الكبير بين الإسلام والحضارة الغربية، وقام بتقديمها على مستوى المبادئ الأساسية.

لقد تجنب النورسي كل أنواع المواجهات وابتعد تمامًا عن الحياة السياسية، وأصبح كل ما يهتم به هو الإنسان بصفته كائن أخلاقي، وكيفية بناء الإنسان من خلال فهمه لعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى، وعلاقاته برفقائه من البشر متوقفة على ذلك.


الإسلام في تركيا الحديثة
بديع الزمان النورسي

الإسلام في تركيا الحديثة:

بديع الزمان سعيد النورسي

تأليف: شكران واحدة
ترجمه عن الإنجليزية: محمد فاضل
المراجعة: إحسان قاسم الصالحي
التنسيق: سعيد قاسم اوغلو

رقم الإيداع - ISBN:
العنوان:

الإسلام في تركيا الحديثة

بديع الزمان النورسي

تأليف

شكران واحدة

ترجمه عن الإنجليزية

محمد فاضل

شكران واحدة

باحثة وكاتبة ولدت في مدينة لانكشاير بإنكلترا سنة ١٩٤٨م. تخرجت في قسم الأدب التركي والفارسي في كلية الشرقيات بجامعة درهام سنة ١٩٨٠م. وعدت أطروحة دكتوراه حول آثار حسين واعظ كاشفي الهراتي من أدباء القرن الخامس عشر وذلك تحت نظارة المستشرق الألماني البروفيسور د. بول لوفت. وبعد قراءتها لترجمة معاني القرآن الكريم ورسائل النور سنة ١٩٨١م اعتنقت الإسلام. وهي مقيمة في تركيا ودؤوبة في الترجمة وكتابة البحوث والدراسات حول رسائل النور. ترجمت كليات رسائل النور إلى اللغة الإنكليزية.

وكتابها هذا طبعتها Sunny Press.USA لأول مرة سنة ٢٠٠٥ تحت عنوان:

Islam in Modern Turkey,
An Intellectual Biography of Bediuzzaman Said Nursi


بسم الله الرحمن الرحيم


استانبول
إينه بولو
قسطموني
إزميت
صامسون
أوردو
طرابزون
ريزة
قارس
أسكي شهر
أنقرة
أرضروم
جبل آرارات
بحيرة وان
جبل سبحان
أميرداغ
أفيون
إزمير
قيصري
بارلا
إسبارطه
بحيرة أغريدير
وان
بتليس
هيزان
نورس
سعرت
قونيا
دنيزلي
بوردور
جيزرة
ماردين
أورفا
أنطاليا

مقدمة

إبراهيم محمد أبو ربيع

لعل سيرة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي التي كتبتها "*شكران واحدة*" تمثل عملاً بارزًا في مجال الدراسات الإسلامية الحديثة ومقارنة الأديان. تتبعت المؤلفة في هذا العمل حياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وفكره منذ ميلاده وطفولته في شرقي تركيا وحتى وفاته عام ١٩٦٠. ومن الجدير بالذكر أن براعة الكاتبة في الاستعانة بأمهات المصادر تنأى عن كل شائبة، كما أن استيعابها للتاريخ الحديث الديني والفكري لا يُبارى. تبين المؤلفة أيضاً وبمهارة فائقة أن النورسي أحد المفكرين الإسلاميين الأفذاذ في العصر الحديث، حيث حارب بثباتٍ في سبيل مُثله حفاظا على الإسلام دينًا نشطًا في عالمنا الحديث. وعلى الرغم من إغفال بعض العلماء للنورسي في مناقشاتهم للتاريخ الفكري الإسلامي الحديث، إلا أن أثره على كافة أجيال رجال الفكر الديني التركي في عصر ما بعد الجمهورية كان كبيرًا. ومنذ وفاته عام (١٩٦٠)، أخذ أتباع النورسي على عاتقهم مهمة نشر أفكاره في كافة أنحاء المعمورة.

ونلاحظ وجود كتاباتٍ كثيرة باللغات الغربية عن جمال الدين الأفغاني، والسيد أحمد خان، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد إقبال، وغيرهم من كبار قادة الفكر في العالم الإسلامي. وقد آن الأوان أن يتبوأ النورسي مكانته بين هؤلاء الأعلام، وأن يُنظر إليه كأحد أهم هؤلاء المفكرين. وتكشف دراسة شكران واحدة النقاب بشكل منقطع النظير عن سر استحقاقه لتلك المكانة في الفكر الإسلامي الحديث نظريّاً وعمليّاً.

وكما توضح الكاتبة تفصيلًا في الجزء الأول من هذا الكتاب، يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار النشأة التعليمية والدينية للنورسي في ظل النسق الفكري العثماني خلال القرن التاسع عشر الذي خضع لمجموعة متنوعةٍ من القوى والتيارات الثقافية والفكرية. ويجب أن يقوم فهمنا لتلك الفترة التكوينية التي مر بها النورسي على علوم التراث الإسلامي مثل علوم التفسير، والحديث، وعلم الكلام، والتصوف، وخاصة عندما قام صفوة المفكرين الإسلاميين العثمانيين بتطوير تلك العلوم خلال ذروة المواجهة بين الدولة العثمانية والغرب في القرن التاسع عشر. وقد انشغل الأستاذ النورسي بدراسة العلوم الإسلامية المختلفة كالتفسير، والحديث، والتاريخ ... وغيرها، وأصبح شارحًا فذًّا لها؛ حيث ربطها بمتطلبات ومشكلات العصر الحديث. ومازالت تأملاته الدينية تبث الحماسة في جيلٍ كاملٍ من المسلمين في كافة أنحاء العالم.

ويظهر النورسي في الترجمة التي كتبتها شكران واحدة كعالم دينٍ يتقد نشاطاً، ذي رؤية صلدة لتوحيد العالم الإسلامي المفتت. وقد امتدت أنشطته الفكرية والدينية عبر ستة عقود تقريباً من الحياة المثمرة، رغم أنه قضى أعوامًا من حياته في السجن خلال فترة تأسيس الجمهورية في تركيا. إن حياة النورسي قصة تاريخية جليلة، لا تجسد حياة الأمة التركية فحسب، بل والأمة الإسلامية في العصر الحديث على السواء. وفي هذا الإطار، نجد الكثير من الدروس والعبر التاريخية العظيمة التي يمكن أن نستمدها من حياة النورسي؛ حيث نشأ وانتقل من الريف الواقع في الجزء الشرقي من الإمبراطورية العثمانية إلى مدينة استانبول النابضة بالحياة.

إن حياة النورسي وكتاباته تجعلنا ننظر نظرةً عميقة في فترة ما بعد التنظيمات في الإمبراطورية العثمانية، وأزمة العلماء التقليديين، وفشل حركة الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر في تقديم "حل إسلامي" في مواجهة رياح التغريب، والنظريات الفلسفية والسياسية القوية التي تؤيد قيام قومية علمانية في تركيا، وإلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، ودولة الإسلام في تركيا مع ظهور كمال أتاتورك. إن رائعة النورسي *رسائل النور* (والتي سنشير إليها من

الآن فصاعدًا *بالرسائل*) قد كتبها على مدار ستة عقود، وتوضح هذه الرسائل دائرة نشاطه الفكري والديني. ويعكس هذا العمل أيضًا التحول المؤسسي والفكري الكبير لتركيا من إمبراطورية تحمل بين ثناياها مزيجًا من اللغات والأعراق والأديان إلى جمهورية علمانية. إن هذا التغير الهائل لم يأتِ فجأةً ولكنه حدث تدريجيًّا منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل.

وانطلاقًا من هذه الخلفية، تتبع شكران واحدة فترتين من حياة النورسي المعقدة، الفترة العثمانية والفترة التركية، وتلقي الضوء على القوى السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة التي أثرت على تفكيره خلال هاتين الفترتين. ففي الفترة العثمانية، كان النورسي على وعي تام بحالة الضعف والانحدار المستمر التي تمر بها المؤسسات العثمانية، وهو ما حاول إيقافه باستماتة. وقبل الحرب العالمية الأولى، كان النورسي يرى أن إحياء الإمبراطورية العثمانية هو إحياء للإسلام نفسه ولقدرته على التصدي للتغيرات الهائلة التي تحيط بالحياة العثمانية. وهنا، يمثل النورسي جهود صفوة المفكرين المسلمين المستنيرين الذين أدركوا منذ الوهلة الأولى أن إصلاح المؤسسات العثمانية مع بدايات القرن التاسع عشر كان هو سر بقاء الإمبراطورية العثمانية في العصر الحديث الذي يموج بالاضطرابات السياسية. ومع ذلك، غيرت الحرب العالمية الأولى وما تلاها كل شيء، ويمكننا أن نرى تلك التغيرات متمثلة أمامنا في كفاح النورسي نفسه. وبينما كان النورسي يحاول مواصلة كفاحه بالطرق السياسية والعسكرية ليوقف انحدار الإمبراطورية قبل هزيمة الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، إلا أنه أصبح بعد الحرب على قناعةٍ تامةٍ أن الإسلام نفسه كان في خطر. لذلك، بدأ يركز جهوده في المحافظة على روح الإسلام والعقيدة في المواقف الاجتماعية والسياسية التي تشهد تغيرًا سريعًا.

ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في حياة النورسي الدينية في مرحلة ما بعد العثمانيين أو مرحلة الجمهورية التركية. ففي هذا الوقت، كان النورسي يريد التضحية بحياته في سبيل ما اعتبره حفاظًا على الإسلام في بيئة شديدة العلمانية. ولعل أهم جزء من حياة النورسي العملية - كما تم الرجوع إليه بعد

عقود من وفاته - كان التحدي الفكري والديني للنظام العلماني والقومي الذي أسسه كمال أتاتورك؛ وهو التحدي الذي يشكل محور *الرسائل*. ورغم ذلك، لم يترجم النورسي هذا التحدي في صورة ثورة مفتوحة ضد النظام في أي مكان أو زمان. وبعد تأسيس الجمهورية التركية، بدا أنه قد أقنع نفسه بفكرة أنه يمكن العمل للإسلام في ظل النظام العلماني التركي طالما أن أسس العقيدة الإسلامية لم تكن تهددها الدولة.

إن شكران واحدة تسجل آلام النورسي وآماله خلال فترة الجمهورية التركية بقدر كبيرٍ من التفصيل. وعلى الرغم من المحاكمات والابتلاءات التي تعرض لها، إلا أنه لم يتوقف عن الدفاع عن الوحدة الإسلامية كوسيلة لمواجهة التحديات المعقدة للقرن العشرين. ونستطيع أن نقول إن النورسي قد استرشد بالمشاكل التي ظهرت في العالم الإسلامي وكذلك بالتراث الضخم من التقاليد الإسلامية الراسخة، فقد كان على وعي تام بأهمية الحفاظ على التقاليد الإسلامية في العصر الحديث. في نفس الوقت، تناول بجدية قضية الحداثة وكيفية تأثيرها على المجتمعات الإسلامية في القرن العشرين. ولهذا، لم يكن فهم النورسي للمسيحية يعكس مزاياها الدينية ولكنه كان تأملًا لدور المسيحية في الحداثة. وقد دافع النورسي عن نوع من التقارب بين الغرب المسيحي والإسلام؛ حيث أدرك أن الإسلام لم يكن جزيرة منعزلة على نفسها ولكنه نشأ متفاعلًا مع آراء العالم الأخرى ومجتمعاته.

ويظهر جليًا في هذه الترجمة مفاهيم النورسي الخاصة بالهوية الإسلامية في العصر الحديث، وكيف يمكن أن تحيا علوم التراث الإسلامية لكي تلقي بالضوء على قضايا القوة والسلطة، والحداثة والتقاليد، وكيف ترتبط هذه العلوم الإسلامية بهذه الحياة والحياة الآخرة. وكان إحياء الأخلاق الإسلامية في عالم شديد العلمانية أحد الاهتمامات الأساسية التي شغلت بال النورسي. لقد آمن النورسي إيمانًا راسخًا بأنه من الممكن أن تتعايش الروح الإسلامية مع الحياة العصرية، وأن يمارس المسلمون إسلامهم دون اللجوء إلى السلطة السياسية.

وفي هذه النقطة، كان فكر النورسي الإسلامي كما تبلور في كتابات ما بعد العصر العثماني، مغايراً مع فكر العديد من المفكرين الإسلاميين في تلك الفترة، حيث إن معاصريه من أمثال محمد إقبال، والعلامة المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب قد دافعوا بطريقةٍ أو بأخرى عن إحياء "الإسلام كسياسة" وليس "كعقيدة" فقط. وبعد الحرب العالمية الأولى، لم يعد النورسي مهتمًا بالسياسة كوسيلة لحماية الإسلام؛ حيث اعتقد أنه يمكن القيام بذلك دون اللجوء إلى رجال السياسة ولا إلى"عالم السياسة". ومن هنا يمكن أن نقول إن النورسي لم يجذب انتباه الغرب كثيرًا لأنه لم يدافع عن "الإسلام السياسي" في حد ذاته. ومع ذلك، يبدو وجود اهتمام جديد بعمل النورسي، خاصة بين علماء الغرب المهتمين بالروحانيات، ومقارنة الأديان، وقضية الدين والحداثة بشكل عام.

إنه لمن الأهمية بمكان أن نفكر دائمًا فيما إذا كان يمكن حفظ الإسلام بمعزل عن السياسة. بمعنى آخر، هل نريد دولةً إسلاميةً حتى نؤسس العقيدة الإسلامية أو ننشر الأفكار الإسلامية. في الحقيقة، يبدو أن إجابة النورسي بعد تأسيس الجمهورية التركية كانت بالنفي، أي إن الإسلام يمكن أن يزدهر بدون دولة إسلامية. وفي حقيقة الأمر، كتب النورسي أن الإسلام وعقيدة الغالبية في العالم الإسلامي سوف تتحسن عندما تتركهما القوى الموجودة وشأنهما.

إن شكران واحدة تساعدنا من خلال إلقاء الضوء على حياة النورسي وفكره، على فهم جماعة النورسي المعاصرة والتي يمكن أن نجدها منتشرة عبر أنحاء تركيا، وفي أجزاء مختلفة من العالم وفي أوروبا وأستراليا بشكل ملحوظ. وتتخذ جماعة النورسي من أخلاق القرآن كما فسرها النورسي وسار على دربها، مرشدًا لهم بشكل أساسي. ولا شك أن النورسي كان شخصيةً كاريزمية؛ فمنذ وفاته عام ١٩٦٠، ينعت الكثير من القراء نصه بالكاريزما. ومع ذلك، وكما توضح شكران واحدة أن الرسائل لم يقصد منها أن تكون بديلًا للقرآن، بل على العكس، فهي تفسير للقرآن في ضوء العلوم الحديثة والتحديات الهائلة التي تؤثر على العالم الإسلامي الحديث.

إن شكران تقدم صورة مستنيرة ورائعة عن النورسي وتركيا الحديثة، حيث تستخدم كل المصادر المناسبة لرسم صورة مفصلة وحقيقية قدر الإمكان، ولقد نجحت في بلوغ ذلك باقتدار. وفوق كل ذلك، فقد جعل منها ولاءها الشديد للموضوع، المرجعية الدولية الرائدة في هذا المجال. ويجب أن نهنئها على ذلك.

الجزء الأول

سعيد القديم



الفصل الأول

الطفولة والشباب

المولد والطفولة المبكرة

تقع قرية "نورس" على امتداد سفح المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال "طوروس" الهائلة جنوبي بحيرة "وان" بإقليم "بتليس" شرقي الأناضول، وينحدر واديها العميق عبر الجبال في "خيزان"، أقرب المدن إلى قرية "نورس"؛ فهي تبعد نحو عشر ساعات سيرا على الأقدام. وحتى مطلع الثمانينات من القرن العشرين، لم يكن هناك طريق يؤدي إلى القرية سوى ذلك الطريق الذي يجتاز الوادي، ويمر خلاله نهر متدفق يتاخم الحد الجنوبي للقرية. وتتميز القرية بالحياة النباتية الغنية، والخضرة الهائلة حيث يكسوها وادٍ من الأشجار مثل الجوز والحور والبلوط، وتضفي الحدائق الغناء وأشجار الفاكهة تباينا جميلا على المنحدرات المقفرة التي تنحدر من أعلى إلى أسفل. وقد تراصت بيوتها المبنية من الأحجار المزخرفة بطريقة غير منتظمة، تتجمع في مواجهة المنحدر، وتنعم بظلال الأشجار. وقد شهد أحد هذه البيوت المتواضعة ذات النوافذ الصغيرة والأسقف القشية، مولد سعيد النورسي في عام (١٨٧٧)[١] ليكون الابن الرابع بين سبعة أبناء. وقد كان لوالده "ميرزا" قطعة أرض صغيرة تشبه الأراضي المزروعة الآن. ويظل مسقط رأس سعيد النورسي أيضا كما هو لا يتغير، ولا يسكنه سوى أقاربه البعيدين.

كان والده "ميرزا" ورعا يُضرب به المثل، وكان يطلق عليه "الصوفي ميرزا" تعبيرا عن انتمائه للطريقة الصوفية أو دلالة على تقواه،[٢] بينما كانت زوجته

---

(١) ليست هناك معلومات مؤكدة عن التاريخ الحقيقي الذي ولد فيه بديع الزمان النورسي، ولكن معظم المصادر المتاحة تقول إنه ولد عام (١٨٧٧).

(٢) إنه يحدد في كتاب Bruinessen, *Agha, Shaikh and State*, 247، أنه كان في كردستان الشخص المبجل الذي يرشد أتباع الطريقة النقشبندية.

تدعى "نورية"، وربما "نور" أو "نورا"[٣] وفقا لما أورده أحد كتاب السير. وكان أبواه من السكان الأكراد الذين استوطنوا تلك المنطقة الجغرافية التي كان العثمانيون يطلقون عليها كردستان.[٤] أما أسرة سعيد النورسي كما جاء على لسانه فقد كانت أسرة بسيطة ليس لها من الأنساب ما تفخر به.[٥] ووفقا لما ذكرته بعض الروايات، كان الجيل الذي ينتمي إليه "ميرزا" هو الرابع بين سلالة تنحدر من أخوين أرسلا إلى "جزرة" التي على نهر دجلة من أجل الوعظ بها[٦]. ومن المحتمل أن يكونا من أفراد فرع الخالدية التابع للنظام النقشبندي الذي انتشر سريعا في المنطقة إبان القرن التاسع عشر،[٧] رغم أن هذا يعني أن ميرزا كان يمثل الجيل الثاني على أقصى تقدير. أما أمه "نورية" فقد كانت من قرية "بلكان" التي تبعد عن قرية نورس ثلاث ساعات.

كانت كبرى بنات الأسرة هما درية وخانم، وقد ذاع صيت الأخيرة بعد ذلك لما حظيت به من علمٍ ومعرفةٍ بأمور الدين، كما تزوجت من الملا (معلم) كان يحمل نفس اسم أخيها الملا سعيد. وقد ذهبوا إلى المنفى الاختياري في دمشق في أعقاب حادث "بتليس" في عام (١٩١٣)، وماتوا أثناء الطواف بالكعبة في عام (١٩٤٥)،[٨] أما الطفل الثالث عبد الله، فقد كان عالما هو الآخر، كما يعد الأستاذ الأول لسعيد، وقد توفي عبد الله عام ١٩١٤. أما الذي يأتي بعد سعيد في الترتيب فهو الملا محمد الذي كان يعمل بالتدريس في المدارس الدينية في قرية "أرواس"[٩] التي لا تبعد كثيرا عن نورس، ثم يأتي عبد المجيد

---

(٣) .Badıllı, *Nursi,* 1: 71-72

(٤) انظر: Bruinessen, *Mullahs, Sufis, and Heretics*

(٥) قال النورسي في حديث خاص، إنه كان شريفا، أي أنه ينحدر من سلسلة نسب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– انظر: صالح أوزجان في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:238؛ ومحي الدين يوروتن Şahiner, *Son Şahitler,* 3:201؛ حسين آقصو Şahiner, *Son Şahitler* 4:489-490. نقل كل من المصدرين الأول والثاني قول النورسي: إن والديه ينحدران من سلالة الأشراف. قال بديع الزمان لصالح أوزجان إن والدته يرجع نسبها إلى "الحسين"، أما والده فيرجع نسبه إلى "الحسن". ولكن لم تُعرف عائلته بأنها من الأشراف.

(٦) Şahiner, *Nurs Yolu,* 68; Badıllı, *Nursi,* 1:43

(٧) Şahiner, *Nurs Yolu,* 68; Badıllı, *Nursi,* 1:43

(٨) Şahiner, *Bilinmeyen* 320؛ الشعاعات ص٢٠٨.

(٩) Şahiner, *Nurs Yolu* 2, 153

الذي ظل لسنوات طويلة يتتلمذ على يدي أخيه الأكبر سعيد. وقد كان السبب الرئيسي وراء شهرته وذيوع صيته هو ترجمته لمؤلفين من مؤلفات شقيقه سعيد النورسي من اللغة العربية إلى اللغة التركية. وقد توفي في قونيا عام ١٩٦٧، ولا نعرف شيئا عن أخته مرجان أصغر أفراد الأسرة. وقد ماتت الأخت الكبرى درية، أم عبيد، أحد طلاب سعيد، غرقا في النهر في قرية نورس عندما كان "عبيد" طفلا صغيرا.

توفي "ميرزا" في العشرينات ودُفن في مقبرة قرية "نورس". بينما لم يرَ سعيد أمه منذ مغادرته لمنزل الأسرة سعيا لاستكمال دراسته، وقد ماتت أثناء الحرب العالمية الأولى ودُفنت أيضا في "نورس". وقد قال سعيد بعد ذلك بسنوات: "لقد تعلمت من أمي العطف والحنان، بينما تعلمت من أبي الترتيب والنظام".

قضى سعيد سنوات عمره الأولى مع أسرته في "نورس"، حيث كان يقضي ليالي الشتاء الطويلة في القرية، بينما كان يقضي مواسم الصيف القصيرة في المراعي العالية أو في الحدائق التي تمتد على طول المنحدرات المنخفضة وضفاف النهر في أصل الوادي، وكان موسم الزرع قصيرا، لكنه كان كافيا للوفاء باحتياجات المزارعين. لقد كانت حياة تقترب بشدة من العالم الطبيعي، حياة تتناغم مع إيقاعاته وأفلاكه، حياة حافلة بالعجائب بالنسبة لطفل واعٍ سريع الاستجابة مثل سعيد، كان سعيد فطنا على نحوٍ يعجب له العقل، دائم التقصي في حقائق الأشياء، ويظل يسأل ويلتمس أجوبة للأسئلة التي تجوب عقله. وقد وصف سعيد بعد ذلك بعدة سنوات كيف يمكن أن يتحول المجاز القائم على العلم إلى نوع من الخرافة بقوله: "إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل". وقد وصف النورسي نفسه حادثة توضح هذا الأمر بقوله:

"ذات ليلة سمعت الأسرة صوت تصادم القدور ببعضها البعض، وإطلاق أعيرة نارية، فهرولت الأسرة إلى خارج البيت لتجد أن هناك خسوفا للقمر، وهنا سأل سعيد أمه: "ما هذا الذي حدث للقمر؟"

فأجابته: "ابتلعته الحية"

فقال لها سعيد: "لكنه لا يزال يرى؟"

فأجابته: "إن الحيات في السماء شفافة كالزجاج؛ تشف عما في بطنها."[١٠]

ولم يتسنَّ لسعيد معرفة الإجابة الحقيقية على سؤاله إلا بعد سنوات عندما شرع في دراسة علم الفلك.

كان سعيد لا يتوانى ما سنحت له الفرصة، خاصة في ليالي الشتاء الطويلة عن القيام برحلةٍ مضنية إلى الكتاتيب بالقرى المجاورة للاستماع إلى مناقشات الشيوخ والطلاب والمعلمين. وقد كان لهذا أثر واضح على تكوين شخصية النورسي وما قام به من أنشطة في المستقبل. ونجد في كتابات النورسي بعد ذلك ما يدل على كيفية تأثره بحياة أهل المنطقة العاملين على إحياء الطرق النقشبندية والخالدية، والتي ذاع صيتها في القرن التاسع عشر نتيجة تأكيدها على التعليم الديني، ولا سيما دراسة الفقه،[١١] والأنشطة الخيرية أكثر من تأكيدها على البحث عن المعرفة الصوفية، لتحل محل الطريقة القادرية، وتنشئ العديد من المدارس الدينية والتكايا التي أصبحت مراكز لنشر العلوم الدينية التقليدية.[١٢] ويصف شريف ماردين إقليم "خيزان" على أنه "مكتظ" بالمدارس.[١٣] ويمكن أن يوضح ذلك ببساطة كيف يمكن لقرية صغيرةٍ منعزلة مثل "نورس" التي يعيش أهلها على بعض الزراعات البسيطة غير الموسمية أن تخرج في جيل سعيد هذا الكم الهائل من معلمي الدين وطلابه وعالما في منزلة سعيد. وقد كتب في منتصف الأربعينيات يقول:

"لقد ظهر الكثير من الطلاب والمعلمين والعلماء في منطقة "خيزان" على يدي الشيخ عبد الرحمن تاغي. إنني على يقين من أن كل كردستان تفخر بهم، وبمناقشاتهم الدينية، وبعلمهم الواسع، وبطريقتهم الصوفية. هؤلاء هم الذين يمكنهم غزو البسيطة برمتها. لقد اعتدت وأنا في التاسعة أو العاشرة أن أصغيَ إلى

---

(١٠) النورسي، اللمعات ص١٣٨؛ صيقل الإسلام، المحاكمات ص ٤٠؛ Şahiner, *Bilinmeyen* 47

(١١) انظر: Algar, *Political Aspects of Naqshbandi History*, 131
Mardin, *Nakşibendi Order in Turkish History*

(١٢) انظر الأمر المتعلق بالطريقة القادرية في: *Journal of the History of Sufism* 1-2, 2000، التي نشرتها دار نشر Simurg باستانبول.

(١٣) Mardin, *"Nursi,"* 75 ؛ وانظر ايضا: Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 223

حديثهم عن مشاهير العلماء، والأولياء، والمتعلمين، والروحانيين. وطالما اعتقدت أن هؤلاء الطلاب والدارسين قد حظوا بقدر هائلٍ، وتمكنوا من العلوم الدينية حتى يمكنهم التحدث بهذا الشكل. وإذا كان أحدهم أقل ذكاء من الآخرين، فإنه كان يُعامل معاملة كريمة. وكان يحظى بتقدير كبير ومنزلة رفيعة كل من يثبت رجاحة رأيه في إحدى النقاشات أو المناظرات. لقد تملكتني الدهشة؛ حيث كان ينتابني نفس الشعور". [١٤]

أجل، لقد كان رجحان رأيٍ على آخر في المناقشات أمر يروق لسعيدٍ الصغير. علاوة على ذلك، حاول سعيد - فضلا عن تمتعه بالاستقلال الذهني- منذ سنوات عمره الأولى أن يكتشف طريقا غير الذي سلكه هؤلاء ممن حوله، وهو ما توضحه مقولته التالية:

وفي حوالي الثامنة أو التاسعة من عمري وجميع الأهلين وأقاربي ينتسبون إلى الطريقة النقشبندية ويستمدون من شيخ مشهور هناك هو الغوث الخيزاني، [١٥] كنت على خلافهم أقول: أيها الشيخ الكيلاني! [١٦] أقرأ لك سورة الفاتحة فأوجد لي ما ضيعته من جوز مثلا أو أي شيء تافه آخر. وإنه لأمر عجيب فوالله لقد أمدني الشيخ بدعائه وهمته ألف مرة. ولهذا ما قرأت من أوراد وأذكار طوال حياتي إلا وأهديتها أولا إلى حضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ثم إلى الشيخ الكيلاني، إلا أن الانشغال بالعلم كان يعيق الاشتغال بالطريقة الصوفية. [١٧]

وعلى الرغم من عدم انضمام سعيد للطريقة الصوفية كما مر سابقا، بل ووصفه للصوفية فيما بعد بأنها لا تستجيب لاحتياجات العصر الحديث، إلا أن علاقته الوطيدة بالشيخ عبد القادر الكيلاني استمرت طوال حياته؛ فقد تلقى منه النورسي العون والتمس منه الارشاد بما له من أثر عظيم.

---

(١٤) النورسى، الملاحق: ملحق اميرداغ -١، ص٣٥٣

(١٥) كان الغوث في "خيزان" لقبا للشيخ سيد صبغة الله الأراوسي، خليفة خالد الجزاري، والذي كان خليفة لمولانا خالد. Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 324, 337، اشتهر الغوث بأنه أكبر المشايخ المعاصرين، ودفن في قرية "غيدا"، بالقرب من "خيزان". Şahiner, *Son Şahitler*. 1:22-24.

(١٦) لمزيد من المعلومات عن السيرة الذاتية لعبد القادر الكيلاني (١٠٧٧-١١٦٦)، Trimingham, *The Sufi Orders of Islam,* 40-44، وفقا لهذا الكتاب، لم يكن هو نفسه مربيا صوفيا؛ ولكنه كان واعظا وداعية ثبتا، والطريقة القادرية تطورت بعد وفاته بفترة.

(١٧) النورسى، سيرة ذاتية، ص:٤١.

سعيد يبدأ دراساته

بدأ سعيد دراسته وهو في سن التاسعة بتعلم القرآن الكريم.[١٨] وبدا في هذه السن طفلا مشاكسا يميل للنزاع مع أقرانه ومع من هم أكبر منه، ولكن هذا الميل كان ناتجا عما كان يشعر به من عدم قدرته على إثبات ذاته حتى الآن وعدم قدرته على التفاعل فكريًا مع معلميه أو زملائه.

وقد ساقته حالته الروحية وفطنته غير المسبوقة لطفل في التاسعة من عمره إلى مراقبة ما يستفيضه أخوه الكبير عبد الله من العلوم فأعجب بمزاياه الراقية وتكامل خصاله الرفيعة بتحصيله العلوم، وشاهد كيف أنه بزَّ أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة. فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق عظيم جاد لتلقي العلم؛ لذا شدَّ الرحال إلى طلبه في القرى المجاورة لنورس حتى حطها في قرية "تاغ"، بالقرب من ناحية "إسپاريت"، وعلى بُعد ساعتين سيرا على الأقدام من قرية "نورس"، عند مدرسة الملا محمد أمين أفندي إلَّا أنه لم يتحمل المكوث فيها بسبب شجار حدث بينه وبين أحد التلاميذ يدعى محمدا، فتركها.

ولاعتزازه الشديد بنفسه وهو لا يزال طفلا، لم يكن يتقبل أن يأمره أحد أو أن يشعر بأن أحدا يتحكم فيه بأي شكلٍ من الأشكال، عاد إلى قريته نورس، وقال لوالده إنه لن يلتحق بأية مدرسة أخرى حتى يصبح أكبر سنًا؛ لأن كل التلاميذ هناك أكبر منه سنًا. ولأن قرية "نورس" كانت صغيرة وكانت محرومة من كتّاب أو مدرسة لتلقي العلم، اكتفى بدرس واحد في الأسبوع يدرِّسه إياه أخوه الكبير الملا عبد الله في أثناء زيارته الأسبوعية للعائلة.

يصف النورسي فيما بعد تلك الفترة من حياته قائلا:

"كنت أتمتع بروح معنوية تتسم بالفخر و الاعتزاز، يومها كنت في العاشرة من عمري، بل أحيانا كنت أحب المدح والثناء؛ فكنت أتقلد طور بطل عظيم ورائد كبير وصاحب عمل عظيم خلاف رغبتي. فكنت أقول لنفسي:

ما هذا الظهور والاختيال! ولا سيما بالشجاعة، أنت لا تساوي شروى نقير؟

فكنت حائرا وجاهلا بالجواب!

ولكن منذ شهرين (١٩٤٤)، أجيبت تلك الحيرة، بأن رسائل النور كانت تُشعر

---

(١٨) المصدر السابق ص ٤٣.

بنفسها بحس مسبَق. أما أنت فلست إلا بذرة صغيرة لا تساوي شيئا ولكن لإحساسك قبل الوقوع تعدّ تلك العناقيد الفردوسية رسائل النور كأنها ملكك، فتزهو وتتباهى.(١٩)

استمر سعيد في هذه الحالة لمدة عام، ثم عاد لاستئناف دراسته بشكلٍ منتظم. ولم تجد تساؤلاته أية أجوبة عند أي من مدرسيه أو في المدارس التي التحق بها. ذهب أولا إلى قرية "برمس"، ومن بعدها إلى مراعي "خيزان"، حيث ذهب ليتعلم من الشيخ سيد نور محمد النقشبندي. ولرفضه التحكم به تشاجر في قرية برمس مع أربعة من الطلاب؛ حيث اتفق هؤلاء الأربعة على مشاكسته باستمرار مما دفعه إلى المثول بين يدي الشيخ سيد نور محمد شاكيا إليه هؤلاء الأربعة قائلا باعتزاز: "أيها الشيخ المحترم! أرجو أن تقول لهؤلاء ألا يأتوا للشجار معي جميعا فليأتوا مثنى مثنى! انشرح الشيخ سيد نور محمد من هذه الرجولة المبكرة في سعيد الصغير، الذي يبلغ من العمر عشر سنوات، وقال ملاطفا: أنت تلميذي، لن يتعرض لك أحد. وبعد هذه الحادثة أُطلق عليه "تلميذ الشيخ".(٢٠)

ظل سعيد في هذه المدرسة مدة، ثم تركها وذهب مع أخيه الملا عبد الله إلى قرية "نورشين". وبما أنها كانت فترة الصيف، تركوا القرية مع القرويين والتلامذة الآخرين قاصدين "مراعي شيخان". وذات مرة، تشاجر سعيد مع أخيه الكبير، فغضب محمد أمين أفندي، شيخ مدرسة "تاغ"، من سعيد وسأله عن سبب خلافه مع أخيه. ولكن سعيد لم يهتم بسلطة المدرس أيضا وأجابه قائلا إن المدرسة ملك الشيخ الكبير عبد الرحمن تاغي، وأن أخاه طالب مثله ولا يحق له أن يقوم بدور المدرس عليه. بعد ذلك، انتقل إلى قرية "نورشين"، مارّا بغابة كثيفة كان يصعب المشي فيها ولو نهارا، ومنها ذهب إلى قرية "قوغاق".

تتميز هذه القرية بثقافتها الكلامية وبنيتها الاجتماعية التي يسيطر عليها المشايخ، والأغوات، وزعماء القبائل، كما تتميز بالقصص الكثيرة المنتشرة بين الناس عن الأولياء والرموز الدينية، ومعظم هذه القصص مختلقة. وكان العديد

---

(١٩) النورسي، الملاحق: ملحق اميرداغ -١، ص٢٥٣.

(٢٠) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٤٤.

من هذه الروايات عن سعيد النورسي، بعض هذه الروايات رواها الباحثون من خلال طرق السند. والرواية التي تتحدث عن المرحلة الأولى من دراسته رواية صحيحة، فقد كتبها ابن أخيه ثم بعد ذلك كتبها تلامذته المقربون تحت إشرافه، وأقر بصحتها شهود كثيرون. ولهذا ففحوى الروايات التي حكيت عنه تعتبر صحيحة، حتى وإن اختلفت تفاصيلها من رواية لأخرى، فأحيانا كانت هناك روايات مختلفة حول واقعة واحدة، فالبعض متعلق بخدماته المستقبلية في سبيل الإسلام، والبعض الآخر يعرض علمه وفضائله، وهناك من يُرجع مميزاته تلك إلى صلاح أبويه وتقواهما.

إحدى هذه الروايات حكاها النورسي بنفسه، وتتعلق بأول يوم ذهب فيه إلى المدرسة - وهي مدرسة تاغ – حيث يذكر كيف أن صاحب المدرسة الشيخ عبد الرحمن التاغي (١٨٨٦-١٨٨٧) كان مهتمّا بشكلٍ خاص بالتلاميذ من قرية "نورس". في الشتاء، كان يستيقظ ليلا ليتأكد من أنهم متدثرون جيدا حتى لا يصابوا بالبرد. بالإضافة إلى أنه اعتاد أن يقول لتلامذته القدامى: "أولوا اهتماما بتلاميذ قرية نورس، فيوما ما سيبعث أحدهم الحياة في دين الإسلام، ولكنني لا أعرف الآن من هو هذا الذي سيقوم بذلك".[٢١] وهناك احتمال أن يكون صاحب هذه الكلمات شيخ آخر غير عبد الرحمن التاغي، حيث إنه قد انتقل لقرية "نورشين" قبل ذلك بسنوات.

هناك أيضا قصة شهيرة تصف ورع أبيه "ميرزا" وأمه "نورية"، عندما اندهش أحد مدرسيه من قدراته وهو صغير وأراد أن يقابل والديه، فأخذ مجموعة من تلامذته وذهبوا معا في رحلة استغرقت ستا أو سبع ساعات إلى قرية "نورس". وبعد وصولهم بفترةٍ قصيرة، ظهر "ميرزا" وخلفه بقرتان وثوران مكممة أفواهها، وبعد المقدمات، سأل معلم سعيد أباه عن السبب في ذلك، فأجاب ميرزا بتواضع: "سيدي، حقولنا مفتوحة ومليئة بالخيرات، وفي طريقي أمر بحقول وحدائق الآخرين، فإن لم تكن هذه الحيوانات مكممة الأفواه فإنها من الممكن أن تأكل من محاصيلهم، فأكمم أفواهها حتى لا يشوب رزقنا شيء من الحرام".

(٢١) Badıllı, *Nursi,* 1:84

فلما رأى الشيخ صلاح والد سعيد، سأل والدته: ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر؟ أجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعذورة شرعا. ولم أُرضعهم إلا على طهر ووضوء.

هكذا علم مدرس سعيد ما جاء ليعرفه. حتما، أبوان كهذين يكون هذا ابنهما.[٢٢]

استقلال سعيد الشاب

في ذلك الوقت في شرقي الأناضول، كان الدارسون، الذين أكملوا دراستهم في إحدى المدارس الدينية وأثبتوا إتقانهم للعلوم التي درسوها، يحصلون على الإجازة ومن ثم يفتحون مدرسة دينية في إحدى القرى التي يختارونها، وإذا كان هذا الشخص قادرا ماديّا، يتكفل باحتياجات الطلاب من الطعام والتدفئة والملابس، أما إذا كان غير قادر، يقوم أهالي القرية بتوفير هذه الاحتياجات، إما عن طريق دفع الزكاة أو بطريقة أخرى. وكان المدرس لا يطالب بأي أجر مادي لقاء بتدريسه.

ولم يكن سعيد الجديد يقبل أية زكاة أو صدقة؛ فقد كان يرى أن قبوله للمساعدة المالية من الآخرين يعني التزامه نحوهم، الشيء الذي كان يمثل عبئا نفسيّا عليه لا يستطيع أن يتحمله.

ذات مرة، ذهب رفاقه من الطلبة إلى القرى المجاورة من أجل جمع الزكاة، ولكنه لم يذهب معهم. ولكن أهالي القرية، الذين أثار إعجابهم موقفه هذا واعتزازه بنفسه، قاموا بجمع مبلغ من المال وحاولوا أن يعطوه له. ومع الأخذ في الاعتبار القدر الكبير من الفقر والحرمان الذي كانت تعاني منه هذه المنطقة،[٢٣] فقد كان ذلك بمثابة إيماءة طيبة، ولكن سعيد شكرهم ورفض قبول هذا المبلغ. وعليه قام أهالي القرية بإعطاء هذا المبلغ من المال إلى الملا عبد الله أملا في إقناعه بقبول المال. وتبع ذلك الحوار التالي:

قال سعيد: "اشترِ لي بندقية بهذا المال!"

---

(٢٢) للحصول على قصة مشابهة تثبت هذا، انظر، Badıllı, *Nursi,* 1 :78

(٢٣) Clay, *"Labour Migration and Economic Conditions,"* 3-4

قال الملا عبد الله: "لا، هذا ليس ممكنا."
قال سعيد: "إذا، في هذه الحالة، أحضر لي مسدسا"
قال الملا عبد الله: "لا، هذا ليس ممكنا."
فرد سعيد مبتسما: "إذاً، ائتني بخنجر."

فضحك أخوه الأكبر عند سماعه ذلك وقال: "لا، هذا ليس ممكنا أيضا." سوف أشتري لك قطوفا من العنب، بعد ذلك علينا أن نتأكد من أن يظل الأمر على ما يرام.

قضى سعيد فترة من الزمن في المدرسة في "قوغاق"، ثم رحل وحده إلى "سعرد" والتحق بمدرسة الملا فتح الله أفندي، وهنا يكشف لنا سعيد مرة أخرى عن استقلاله الشديد، وشجاعته التي تبلغ حد التهور تقريبا؛ حيث كان السفر محفوفا بالمخاطر بسبب عدم وجود قوانين هناك في ذلك الوقت. وبعد أن استمر في دراسته لمدة شهرين تقريبا مع هذا الشيخ الشهير، رحل سعيد الصغير إلى قرية "غيدا"، إحدى القرى القريبة من "خيزان"، وهي القرية التي دفن فيها "سيد صبغة الله"، الغوث الخيزاني، وهناك التحق بالمدرسة، ولكنه اضطر إلى تركها بعد فترة قصيرة لأنه دخل في عراك مع طالب آخر، في محاولة للدفاع عن نفسه. ثم عاد إلى منزل أبيه في "نورس"؛ حيث قضى هناك شتاء ذلك العام.(٢٤)

رؤيا سعيد للنبي ﷺ في المنام

قضى سعيد الشتاء في "نورس" حتى اخضر الربيع، وفي هذه الأثناء رأى فيما يرى النائم: أن القيامة قد قامت، والكائنات بعثت من جديد، ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول ﷺ، ثم تذكر أن عليه الانتظار في بداية الصراط الذي يمرُّ عليه كل فرد، فأسرع إليه.. وهكذا مرَّ به جميع الأنبياء و الرسل الكرام فزارهم فرادى وقبّل أيديهم، وعندما حظي بزيارة الرسول ﷺ هوى على يديه فقبلها ثم طلب منه العلم، فبشَّره الرسول ﷺ قائلا: سيوهب لك علم القرآن ما لم تسأل أحدا. وعندئذ استيقظ سعيد في حالة من السرور الشديد، وأخذ على

(٢٤) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 6-7; Badıllı, *Nursi*, 1:86-87

نفسه العهد ألا يسأل أحدا، وحتى عندما ذهب إلى استانبول التزم بهذا، ولم يجِب إلا على الأسئلة التي طرحت عليه.

ترك سعيد قرية "نورس"، يملؤه الحماس، فاتجه أولا إلى قرية "أرواس" ومنها إلى مدرسة الشيخ محمد أمين أفندي في "بتليس".[٢٥] ولما كان سعيد صغيرا في السن، لم يعلمه الشيخ بنفسه، ولكنه أوصى طلابه بالتدريس له، ولكنه ثقل عليه هذا الأمر وحز في نفسه. وفي أحد الأيام، عندما كان الشيخ أمين يلقي دروسه في المسجد، نهض سعيد واعترض على ما قاله قائلا: "سيدي، إنك مخطئ، إنه ليس كذلك يا سيدي! فنظر كل من الشيخ وطلابه إلى سعيد الصغير في دهشة. لقد كان اعتراض التلميذ على شيخه أمرا لا يمكن تصديقه.

اضطر سعيد ثانية أن يقطع إقامته. وهذه المرة رحل إلى مدرسة "مير حسن ولي" في موش (بقجه سراي)، وكان شيخ هذه المدرسة هو الملا عبد الكريم. وما أن شاهد عدم الاهتمام بالطلاب الجدد، والطلاب الفقراء، حتى ترك سبعة من دروس الكتب المقررة التي كان يجب أن يدرسها على التوالي، وأعلن أنه سيبدأ الدراسة بداية من الكتاب الثامن مباشرة. وقد بقي هناك لعدة أيام فقط، ثم ذهب للاستجمام في مدينة في قصبة "وسطان" (كواش) بالقرب من "وان". وبعد أن قضى شهرا في "كواش"، توجه برفقة الملا محمد نحو "دوغو بايزيد"، وهي بلدة صغيرة تقع بالقرب من سفح جبل "أرارات". ولقد كان هذا هو المكان الذي بدأت فيه دراسته الحقة، إذ لم يكن حتى الآن قد قرأ سوى مبادئ النحو والصرف التي كانت تدرس في المدارس الدينية الواقعة شرقي الأناضول من كتاب "حل المُعقد"، وكان هذا الكتاب للمستوى المتوسط، ويعادل هذا الكتاب كتاب "إظهار الأسرار"، والذي كان يُدرس في مدارس مدينة استانبول.[٢٦] كان هذا في عامي (١٨٩١) و(١٨٩٢).

---

(٢٥) كان الشيخ أمين أفندي عالما مشهورا وكانت مدرسته في Kızılmescit من قرية "بتليس". كان مدرسا للعديد من الشخصيات الهامة، وذهب إلى استانبول عام ١٩٠٠ وقد أعدوا له استقبالا رسميا وكان له حديث خاص مع السلطان عبد الحميد الثاني. رجع إلى "بتليس" عام ١٩٠٣، وتوفي عام ١٩٠٨) عن عمر يناهز السبعين عاما، Şahiner, *Bilinmeyen* 55.

(٢٦) النورسى، سيرة ذاتية، ص: ٤٥؛ *Âsâr-ı Bediiyye 668* .

بايزيد

دامت دراسة سعيد الجادة والمكثفة في "بايزيد" ثلاثة أشهر على يد الشيخ محمد الجلالي،[٢٧] والغريب أنه أتم قراءة جميع الكتب المقررة للطلاب في شرقي الأناضول، ولكنه قصد من وراء ذلك أن يتعلم الأسس أو المدخل لدراسة العلوم الدينية، التي قامت عليها أفكاره وأعماله فيما بعد. أيضا، تعين على سعيد أن يعلن أنه غير راضٍ منذ البداية عن النظام التعليمي القائم، وأنه يدرك تماما الحاجة الملحة لإصلاح هذا النظام. علاوة على ذلك، فإن كم الكتب الهائل الذي قرأه سعيد، وحفظه عن ظهر قلب، واستوعبه خلال تلك الفترة القصيرة، قد أظهر قدرته الفائقة على الحفظ، وذكاءه وفهمه غير العاديين؛ فكل منهما تطور إلى درجة تخطت متوسط قدرة الأولاد الذين يشاركونه نفس العمر، وكان عمره حينذاك أربعة أو خمسة عشر عاما.

وخلال الفترة التي قضاها سعيد في "بايزيد"، استكمل مناهج الدراسة التي كانت متاحة في المدارس الدينية في ذلك الوقت، وكانت الكتب التي تدرس في هذه المدارس مليئة بالتعليقات، وشروح على التعليقات، وهوامش أخرى على هذه الشروح، بالإضافة إلى المزيد من الحواشي والشروح، حتى أن دراسة هذه المناهج كانت، في الحالات العادية، تستغرق من الطالب المتوسط خمسة عشر إلى عشرين عاما. وكانت الطريقة المتبعة في الدراسة هي أن يتقن الدارس كتابا واحدا ومادة واحدة قبل أن ينتقل إلى الكتاب التالي.

بدأ سعيد دراسته بدراسة كتب "ملا جامي"،[٢٨] وأتم قراءتها جميعا، ولكنه تجنب دراسة التعليقات والشروح، كان يقرأ من كل كتاب درسا أو درسين وربما عشرة دروس، دون أن ينتهي من قراءة أي كتاب ثم يبدأ بغيره. وعندما

---

(٢٧) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 8-10؛ النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٤٦.

(٢٨) هو العالم الصوفي الشهير نور الدين عبد الرحمن الجامي (١٤١٤-٩٢)، عاش في هراة، من بين أعماله العديدة، كتابه الذي عرف باسم "الملا جامي"، والذي شرح فيه كتاب "الكافية لابن الحاجب" في النحو، وكان هذا الكتاب جزءا من المنهج الدراسي الذي كان يدرس في المدارس الدينية حتى وقت قريب. وقد كتب حوالي ١٠٠ كتاب تعليقا على هذا الكتاب، وكان لكل منها شروح وتذييلات إضافية، انظر: "İbnü'l-Hacib" في TDVIA, *Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*

استفسر منه أستاذه الشيخ محمد الجلالي الذي لم يكن راضيا عن هذه الطريقة، عن سبب قيامه بهذا العمل المخالف للعرف السائد، أجابه سعيد: "ليس في طوقي قراءة جميع هذه الكتب وفهمها، فهذه الكتب شبيهة بصندوق الجواهر، ومفتاحها لديكم، وكل ما أرجوه منكم إرشادي إلى ما يحتويه هذا الصندوق، أعني عن ماذا تبحث هذه الكتب، لكي أختار منها ما يوافق طبعي.

وكان سعيد يهدف من إجابته بهذه الطريقة أن يشير إلى الحاجة إلى إصلاح عملية التعليم في المدارس الدينية، وأن يحول ضد تبديد الوقت في دراسة كم هائل من التعليقات، والتذييلات، والشروح. وعندما سأله أستاذه: أيُّ هذه العلوم يوافق طبعك؟ أجاب: "لا أستطيع التمييز بين هذه العلوم، فكلها سواء عندي، فإما أن أفهم جميعها حق الفهم أو لا أفهم منها شيئا."

كان النورسي يفهم أي كتاب يقرؤه دون معونة أحد، وكان يقرأ في اليوم الواحد ما يقارب من مائتي صفحة أو يزيد من متون أمهات الكتب أمثال: "جمع الجوامع" و"شرح المواقف" و"ابن حجر"[٢٩] مع الفهم التام إلى حد أنه ما كان يُسأل سؤالا عن أي علم كان إلا ويجيب عنه إجابة شافية دون تردد أو تلعثم. وقد استغرق في القراءة والدراسة حتى انقطعت علاقته مع الحياة الاجتماعية.

كان سعيد يقضي معظم أوقاته، خاصة في الليالي، عند ضريح الشيخ أحمد الخاني الأديب الكردي الشهير،[٣٠] ولهذا كان الناس يقولون: إنه حظي بفيض من أحمد الخاني ويسندون وضعه هذا إلى كرامة الشيخ. وفي إحدى الليالي افتقده أصدقاؤه في المدرسة فذهبوا للبحث عنه، وأخيرا ذهبوا يبحثون عنه في الضريح فوجدوه يستذكر دروسه على ضوء شمعة، ولكنه عنفهم على إزعاجهم له. وهكذا بدأ النورسي، أثناء انشغاله بالدراسة، يتبع طريق الحكماء

---

(٢٩) جمع الجوامع أصول الفقه: لتاج الدين السبكي (ت ١٧٣٠م)؛ شرح المواقف في علم الكلام والعقائد: لسيد شريف الجرجاني (ت ١٤١٣ م)؛ ابن حجر في أصول الفقه لابن حجر الهيتمي (ت ١٥٦٧م). وكلها مصادر معتمدة. لمعرفة قائمة الكتب التي كانت تدرس في المدارس الدينية، في كردستان، Badıllı, *Nursi,* 1 :97-98.

(٣٠) لمعرفة سيرة أحمد خاني الذاتية (١٧٠٧م)، انظر: "Şeyh Ahmed Hânî," . *TDVİA,*

الإشراقيين، وبدأ يزاول الرياضة الروحية وممارسة التزهد. وقد عود الحكماء الإشراقيون أجسادهم على هذا الزهد شيئا فشيئا، ولكن سعيد تجاهل الفترة اللازمة للتعود على ذلك، وعاش أقصى درجات التقشف والزهد مرة واحدة. لم يطق جسمه هذا النوع من الرياضة حتى هزل يوما بعد يوم ونحل جسمه إذ كان يكتفي بقطعة واحدة من الخبز طوال ثلاثة أيام سعيا لبلوغ حالة الحكماء الذين ينظرون إلى الرياضة الروحية على أنها توقد الفكر.

لم يكتفِ سعيد بذلك، واتخذ القاعدة النبوية الجليلة "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" دستورا لحياته من زاوية التصوف الذي وصفه الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين"،[٣١] فترك كل ما فيه شبهة، حتى بدأ يقتات على الأعشاب، بل ونادرا ما كان يتكلم.

وبعد انقضاء ثلاثة أشهر، وبالقرب من وقت الربيع، حصل سعيد على شهادته من الشيخ الجلالي ومنذ ذلك الحين أصبح يُعرف باسم "الملا سعيد". وكان واضحا أنه ينوي الاستمرار في حياة الزهد والتقشف؛ فقد ارتدى زي الدراويش حاملا جلد غنم فوق كتفيه، واتجه إلى بغداد قاصدا زيارة علماء الدين المعروفين الذين يعيشون بها، وكذلك زيارة قبر الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولكنه أراد أيضا أن يقيس معرفته بمعرفة غيره من العلماء. وبعد ثلاثة أشهر قضاها في السفر إلى هناك والسير في طرق غير معتادة والسفر أثناء الليل، وصل الملا سعيد إلى مدينة "بتليس". وكان هذا دليلا على شجاعته وقوة تحمله، الأمر الذي لا يمكن إغفاله؛ لأن المسافة لم تكن ٢٠٠ ميل فحسب، ولكنها كانت مليئة بالجبال والأشجار الكثيفة، هذا بجانب الحيوانات المتوحشة مثل الدببة والذئاب، كما أنها كانت مليئة باللصوص وقطاع الطرق والصراعات القبلية. كل هذا جعل من السفر مخاطرة عظيمة، ناهيك عن كون المسافر صبيّا أعزل في حوالي الخامسة عشر من عمره.

وعندما وصل الملا سعيد في نهاية الأمر إلى مدينة "بتليس"، توجه إلى الشيخ محمد أمين أفندي وحضر يومين حلقة درسه، وكلفه الشيخ أن يلبس زي

(٣١) إحياء علوم الدين، الغزالي ج٢، ص ٢٤٧. وقال النسائي والترمذي: حديث صحيح.

العلماء (الجبة) ويدع زي الدراويش. ولم يكن الطلاب في شرقي الأناضول في ذلك الوقت يرتدون جبة العلماء وعباءتهم، ولكن كانوا يحصلون عليها عند حصولهم على الشهادة (الإجازة). فقد كان ارتداء ملابس العالم من حق المدرس فقط. ولكن الملا سعيد رد تكليف الشيخ قائلا: "إنني لم أبلغ بعد الحُلُم، فلا أجدني لائقا بلبس ملابس العلماء، وكيف أكون عالما وأنا مازلت صبيّا؟ ووضع الجبة والعباءة في أحد أركان المسجد. وبالرغم من ذلك، فقد بدأ منذ ذلك الحين في القيام بتدريس العلوم العربية وأصبح له طلابه.[٣٢] علاوة على ذلك، حاول النورسي من خلال قيامه بالجدال والتحاور مع العلماء الآخرين وتنصيب نفسه للإجابة على أسئلتهم أن يرسي مكانته كأحد علماء الدين والمعلمين.

شـــيروان

ذهب الملا سعيد من "بتليس" إلى "شيروان" حيث التقى بأخيه الملا عبد الله في المدرسة الدينية التي كان يدرس فيها. وفي أول لقاء لهما دار بينهما هذا الحوار:

قال الملا عبد الله: "لقد أنهيتُ كتاب شرح الشمسية،[٣٣] فماذا قرأت أنت؟"

فقال الملا سعيد: "لقد قرأت ثمانين كتابا".

الملا عبد الله: "ماذا تعني؟"

الملا سعيد: "أجل، لقد أنهيت الكتب المقررة كلها، كما قرأت كتبا أخرى."

كان من الصعب على الملا عبد الله أن يصدق أن أخاه قد قرأ هذا الكم الهائل من الكتب في هذه الفترة الزمنية القصيرة، ولذا قال له: سأختبرك. فقال الملا سعيد: أنا مستعد، سل ما بدا لك، وهنا شعر الملا عبد الله بالدهشة والانبهار عندما استمع إلى أجوبته السديدة. ثم وافق خفية عن طلابه أن يتخذ الملا سعيد أستاذا له، مع أنه كان قبل ثمانية أشهر تلميذا لديه، ولكنه بدأ الآن يتلقى الدروس على يديه. وعندما اكتشف طلاب الملا عبد الله أن أستاذهم

---

(٣٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٤٧.

(٣٣) كتاب في المنطق: لقطب الدين الرازي.

يتلقى العلم على يدي أخيه الأصغر، أخبرهم سعيد أنه فعل ذلك "اتقاء للحسد". والسبب وراء تغييره لزيه وشكله في ذلك الوقت، والذي سنذكره فيما بعد، يبيّن أنه قال هذا كنوع من إنكار الذات أكثر منه تواضعا؛ حيث بدأت تنتشر الشائعات بين الناس بأن الملا سعيد الصغير الطفل الولي، الولي المعجزة، وكان عليه استجابة لذلك أن يخفي المعرفة والفيض الذي يحصل عليه، كما خلع زي الدراويش وبدأ يلبس زي الشيوخ الأكراد الذي اشتهر به فيما بعد. وكان هذا الزي يتكون من دثار مصنوع من مادة صوفية منسوجة ومنقوشة، ذات لون خمري مع بنطال واسع، بالإضافة إلى حذاء طويل من الجلد، وصدرية، ووشاح طويل ملفوف حول الوسط عدة لفات، وعمامة. وكان بديع الزمان يصر على ارتداء هذا الزي حتى عندما رحل إلى استانبول،[٣٤] واستبدله بعد ذلك بجبة العالم الديني الوقور عندما تحول إلى سعيد الجديد بعد الحرب العالمية الأولى.[٣٥] ويمكن أن يكون هذا إعلانا عن نيته اتباع منهج جديد إما الطرق الصوفية أو طريق العلماء.

سعرد

بعد أن مكث الملا سعيد عند أخيه عبد الله بعض الوقت، ذهب إلى "سعرد"، وفيها تحداه العديد من علمائها للمرة الأولى، وقد أفحم جميع العلماء الذين ناظروه وجادلوه وأجاب على كل ما طرحوه من أسئلة. وقد ذاع صيته وأصبح ذا شهرة واسعة. ولدى وصوله إلى "سعرد" ذهب إلى مدرسة الملا فتح الله أفندي، الذي أصابه ما أصاب الملا عبد الله من الإعجاب بهذا الكم الهائل من الكتب التي قرأها سعيد وتعلم منها. فبدأ الملا فتح الله بطرح

---

(٣٤) كما ذكرنا في الفصل التالي، كان السبب الذي ذكره النورسي عن ارتدائه هذا الزي المميز هو أنه كان يشجع الصناعات المحلية، التي كانت مهددة بظهور سيل من الواردات الأوروبية رخيصة الثمن. في حوالي الثمانينيات، كان إنتاج قماش "الموهير" المحلي، والذي كان يفصل النورسي منه ملابسه: İnalcık and Quataert, *Economic and Social History of the Ottoman Empire,* 2:924 ، وانظر أيضا: Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 18-19، وقد أشير في هذا المصدر أن الأرمن فقط هم الذين كانوا ولا يزالون ينتجون المواد الخام، انظر أيضا: Mardin, *Religion and Social Change,* 46

(٣٥) Abdülmecid Nursi, *Hatıra Defteri,* 16, quoted in, Badıllı, *Nursi,* 1:93

الأسئلة، فما سأل سؤالا من أي كتاب كان إلا وكان الجواب شافيا وافيا؛ ولذا قرر الملا فتح الله أن يختبر قوة حفظه فأعطاه نسخة من مقامات الحريري (١٠٥٤-١١٢٢)، ذلك الرجل الذي عُرف أيضا بالذكاء وقوة الذاكرة. وتناول الملا سعيد الكتاب وقرأ منه صفحة واحدة مرة واحدة فإذا بها كافية لحفظها. وقرأها لأستاذه حفظا، فلم يملك أستاذه إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه.

وهناك حفظ الملا سعيد كتاب "جمع الجوامع" عن ظهر قلب بقراءته ساعة أو ساعتين في اليوم لمدة أسبوع. مما دفع هذا الأمر بالملا فتح الله إلى كتابة العبارة الآتية على غلاف الكتاب: "قد جمع في حفظه "جمع الجوامع" جميعه في جمعة." لا تزال نسخة سعيد المكتوب عليها نفس هذه العبارة ولكن بصيغة المتكلم وبخطه الرديء على الغلاف موجودة. ويتألف الكتاب من (٣٦٢) صفحة.[٣٦]

في خطاب كتبه النورسي عام (١٩٤٦)، يشير في منفاه في "أميرداغ" أن النورسي قد لُقب في تلك الفترة، نظرا لذكائه النادر وعلمه الوافر، بلقب "بديع الزمان"، وكان الملا فتح الله هو من لقبه بذلك. فقد كتب لأحد تلاميذه يقول: "أخي المتلهف رأفت بك، إنك تريد بعض المعلومات عن أعمال بديع الزمان الهمداني في القرن الثالث الهجري، إن كل ما أعرفه عنه هو ذكاؤه النادر وقوة ذاكرته. منذ خمسة وخمسين عاما مضت، قام أحد أساتذتي الأوائل، هو الملا الراحل فتح الله بتقريب سعيد القديم منه ومنحه اسمه (بديع الزمان)".[٣٧]

لهذا شاعت أحواله في "سعرد"، مما أثار فضول علمائها، فأقبلوا عليه يمتحنونه ويحاولون إحراجه بأسئلتهم وذلك في اجتماع واسع، إلا أن الملا سعيد أفحمهم في الحوار وأجاب على كل أسئلتهم، فالعلماء الذين شاهدوا هذا المنظر حكموا بأنه شاب خارق وأثنوا على ذكائه وعلمه ومنزلته. وما لبث خبر هذا الشاب أن شاع وانتشر بين الأهلين في "سعرد" حتى بدأ الناس يوقرونه كتوقيرهم لولي من الصالحين، مما أثار الحسد عند بعض العلماء وطلاب

---

(٣٦) Badıllı, *Nursi,* 1:100-101; Şahiner, *Nurs Yolu* 2, 100

(٣٧) Badıllı, *Nursi,* 1:100 ؛ النورسى، سيرة ذاتية، ص: ٦٥

العلوم الآخرين. ولما كانوا غير قادرين على منازلته والتغلب عليه في ساحة المعرفة وميدان العلوم حاول بعض الشباب إيذاءه بالقوة والصراع والعراك. فطرق سمع أهالي "سعرد" هذا الخبر فحالوا دون ذلك وأنقذوه من بين أيديهم. وقد خاطب سعيد الجند الذين أتوا من قبل متصرف مدينة "سعرد" قائلا: "نحن طلاب العلم، قد نتخاصم، ثم نتصالح ونتصافى فيما بيننا، ثم إنه من غير المناسب أن يتدخل من ليس من مسلكنا فيما يدور بيننا، على أن الخطأ قد صدر مني فأرجو إبلاغ المتصرف اعتذاري عن المجيء."

أجاب سعيد على هذا النحو انطلاقا من احترامه الشديد لمهنة المتعلمين التي يرى أنها ستهون وتضعف ما إن يدخل في أمرها الجهلة وغير المتعلمين، حتى لو كان تدخلهم من أجل العون والمساعدة.

بعد هذا الحادث، اعتاد سعيد أن يحمل معه خنجرا صغيرا يردع به كل من يريد أن يعتدي عليه.[٣٨] كان الملا سعيد في هذه الأثناء في الخامسة عشر من عمره يتمتع بقوة البدن والنشاط فضلا عن إفحامه جميع العلماء مما جعلهم يطلقون عليه "سعيد مشهور" أي السعيد المشهور، حيث أعلن في "سعرد" أنه مستعد للإجابة عن أي سؤال كان يرد منهم دون أن يسأل أحدا سؤالا. كما كان أيضا يتبارى في الرياضات والأعمال الجسدية الفذة، بل وأظهر تفوقه في تلك أيضا. فقد تنافس يوما في "سعرد" مع أحد أصدقائه، وهو الملا الجلالي على قفز قناة من قنوات المياه. فتمكن هو من قفز هذه القناة العريضة بنجاح، ووقف ليرى صديقه فوثب الملا الجلالي وثبة جري، ولكنه للأسف سقط في الطين عند حافة القناة؛ حيث لم يكن يتمتع بقوة سعيد أو رشاقته.

---

(٣٨) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٥٢

بتليس

ربما تكون النجاحات التي حققها الملا سعيد كعالم جليل، هي ما جعلته يترك رحلته إلى بغداد ويعود إلى "بتليس" ومدرسة الشيخ أمين الدينية ليحقق نجاحا آخر في قلب الإقليم. ومع ذلك، ورغم أن الشيخ قال عنه إنه ما زال صبيّا ليس أهلا للخطاب، كما حدث من قبل، لم يكن ليصده أحد عن ذلك؛ فطلب منحه فرصة أخرى يثبت فيها أنه أهل للخطاب. فأعد له الشيخ أمين مجموعة من أكثر المسائل تعقيدا في مختلف العلوم، ولم يتوانَ الملا سعيد من الإجابة عليها جميعا، فوضع له الشيخ مجموعة من الألغاز، فقام بحلها في وقتٍ قياسي. ثم ذهب إلى جامع قريش وبدأ في موعظة الناس وإرشادهم.

ذاع صيت سعيد والتف العديد من أهالي "بتليس" حوله ليستمعوا لوعظه. وعلى أثر ذلك، بدأ قسم من أهالي "بتليس" بتأييد بديع الزمان ومناصرته، وبدأ آخرون يناصرون الشيخ محمد أمين أفندي، فخشي متصرف المدينة من وقوع احتكاك بين الجماعتين فأصدر أمره بنفي الملا سعيد من المدينة إلى شيروان.[٣٩]

وردت قصة عن سعيد النورسي في ذلك الوقت، رواها "باديلي" عن طرق السند، توضح كيف أن الشيخ أمين كان يقدر المعرفة الغزيرة التي لدى سعيد، وتوضح كيف أنه لم يكن يتردد في عرض آرائه مهما كانت درجة أو قيمة من يتحدث معه. ويذكر أنه عندما كان في بتليس، أتى المدينة ثلاثة من الوعاظ الذين يحملون افكارا مغايرة لعقيدة الأمة وقاموا بزيارة متصرف الإقليم الذي دعا بدوره الشيخ أمين لكونه أشهر علماء البلدة للدخول في مناظرة معهم والرد عليهم. وربما لم يكن الشيخ واثقا من قدرته على مواجهتهم، ولكنه على أية حال كان لا يريد مقابلتهم فرشح الملا سعيد الصغير لمناظرتهم بدلا منه. ومرة أخرى أراد أن ينقذ نفسه من المحاولات التي تسعى لمنعه، وكان هذه المرة محبوسا في حجرته، فقدم نفسه حتى يشعر الحاكم بدهشة ممزوجة بالاحتقار حينما رأى الشيخ أمين يقف ويجلسه مكانه. وبكل ثقة في النفس، ودون أن

---

(٣٩) Abdurrahrnan, *Tarihtçe-i Hayatı*, 15؛ النورسى، سيرة ذاتية، ص:٥٣ .

يشعر بأدنى درجات الربكة والحيرة، اتجه إلى الوالي وقال له: "..هؤلاء الذين قاموا عند دخولي لم يفعلوها احتراما لشخصي، فأنا أصغر منهم سنّا وربما أصغر من أحفادهم، ولكنهم قاموا تقديرا لعلمي!" .[٤٠]

ومما لا شك فيه أن الهدف من وراء سرد هذه الرواية هو توضيح مدى براعة وموهبة الملا سعيد، ولكنها أيضا تعطينا فكرة حول بعض التيارات الدينية التي كانت تحاول فرض تأثيرها على المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر. وهناك رواية أخرى توضح كيف أنه استطاع أن يُفحم وعاظا من الشيعة وأن يجعلهم يغيرون وجهتهم ويعودون لإيران.[٤١] هذه الأمور بجانب عاملين مهمين آخرين، وهما نشاط الإرساليات المسيحية التبشيرية والقضية الأرمنية،[٤٢] وضعت مسلمي شرقي الأناضول في حرج كبير، ولهذا ليست هناك أية مراجع لتلك التساؤلات في سيرة سعيد الذاتية في هذه المرحلة، فمن المؤكد أن هذه الأحداث قد أثرت بعنف في وعيه وكانت قوة مؤثرة ودافعة له. وكان انهيار النظام الاجتماعي والتغيرات الاجتماعية والسياسية نتاجا للإصلاحات المركزية في القرن التاسع عشر وإعادة التنظيم الإداري المسمى "بالتنظيمات"، كل هذه القضايا بالإضافة إلى القضايا الأرمنية وتأثيرها على المنطقة خاصة بتليس تناولها شريف ماردين بمزيد من التفصيل.[٤٣] وسوف نتناول في هذا الجزء مجموعة من النقاط المختصرة التي توضح بعضا من الخلفيات حول أنشطة سعيد.

لقد كان لحالة الضعف التي كان عليها العثمانيون في مقابل الأوربيين عواقب سيئة في جميع أنحاء الإمبراطورية، خاصة في الأقاليم الشرقية؛ لأن الأمر قد استفحل بسبب العاملين السابق ذكرهما والذي يرتبط كل منهما بالآخر. وكان البروتستانت الأمريكان، من بين مجموعات الإرساليات التي

---

(٤٠) Badıllı, *Nursi,* 1: 109-110

(٤١) المرجع السابق، ١: ١٠٩.

(٤٢) عن الأنشطة التبشيرية في الإمبراطورية العثمانية والأرمن، Salt, *Imperialism, Evangelism, and the Ottoman Armenians*، وانظر أيضا: Salt, Trouble Wherever They Went, 287-314

(٤٣) Mardin, *Religion and Social Change,* 42ff., 60-65; Mardin, *"Nursi,"* 76-77

مُنحت الحرية كي تحقق أهدافها في الإمبراطورية وفقا لأحكام الإصلاح لعامي (١٨٣٩)، (١٨٥٦)، هم الأكثر تحقيقا لأهدافهم في "بتليس. وبشكلٍ عام، كانت معظم الأنشطة التبشيرية، التي حصلت على دعم قوي خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر،[٤٤] إرساليات تعليمية، وبنهاية القرن كانوا قد أقاموا ما يقرب من أربعمائة مدرسة في جميع أنحاء الإمبراطورية تتسع لأكثر من ثلاثين ألف طالب. ووفرت هذه الإرساليات تعليما متميزا كان هدفه الرئيسي هو أن يعتنق الناس المسيحية.[٤٥] وكانت هذه الإرساليات موجهة في الأساس للأقليات المسيحية. لقد دمرت هذه الإرساليات التبشيرية الدولة العثمانية بشدة من عدة جهات وكانت تمثل إحدى العقبات الرئيسية أمامها، ولم يكن الوضع أحسن حالا في "بتليس"؛ حيث زعموا أنهم يساندون الأرمن في جهودهم الإصلاحية.[٤٦] وقد أتت جهود رسل الإرشاد البروتستانت بثمارها في "بتليس"؛ فتحول الأرمن إلى بروتستانت، حيث تأسس لهم صرح كنسي كبير يضم أربعمائة رجل دين ومجمع للمدارس يضم مدرسة داخلية كبيرة للبنين والبنات.[٤٧] ويحكي "شريف ماردين" عن نفس المصدر قائلا: إنَّ الإرساليات الأمريكية كانت لها مدرسة للبنات تضم خمسين بنتا بنظام المدرسة الداخلية وخمسين آخرين بنظام المدرسة الخارجية. كما أقام آخرون معهدا للفتيات ثم فروعا له في مقاطعات بعيدة.[٤٨] كان هذا يُعد ثورة إصلاحية آنذاك في منطقة لم تكن فيها الفتيات يحصلن على التعليم إلا نادرا (وقد حصلت أخت سعيد "خانم" على هذه الفرصة).

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر قامت هذه الإرساليات بعمل الكثير، بالتعاون مع القوى العظمى خاصة روسيا وبريطانيا، لتأييد الحماس

---

(٤٤) Deringil, *Well-Protected Domains,* 114

(٤٥) Shaw and Shaw, *History,* 2:250

(٤٦) انظر Mardin, *Religion and Social Change,* 62; Deringil, *Well-Protected Domains,* 127, 128

(٤٧) Bishop, *Journeys in Persia and Kurdistan,* 354؛ وذكر في Mardin, *Religion and Social Change,* 61؛ وانظر أيضا: Brant, *"Journey,"* 6:187-223

(٤٨) Bishop, *Journeys,* 121, 122؛ وذكر في Mardin, *Religion and Social Change,* 61

الوطني لإظهار القضية الأرمنية.[٤٩] في البداية، كانت الغالبية العظمى من الأرمن في الدولة العثمانية ضد الكفاح الوطني، الذي أثاره الأرمن من غير العثمانيين ومن بعدهم الجمعيتان الثوريتان؛ هنجاق وطاشناق.[٥٠] وما نود أن نسلط الضوء عليه هنا هو أن الثوار دعوا إلى سلسلة من الثورات في الأقاليم الشرقية التي ادعوا أنها أرضهم، كما دعوا لذلك في استانبول أيضا، كالثورة التي حدثت في "وان" عام ١٨٩٦.[٥١] وعلى الرغم من أن "بتليس" و"وان" بهما أكبر تجمعات الأرمن إلا أنهم لا يشكلون سوى ٢٦ إلى ٣٠% من نسبة السكان.[٥٢] وعندما مارست كتائب السلطان عبد الحميد[٥٣] القمع لأعمال العنف، والثورات، منذ عام (١٨٩٠) حتى عام (١٨٩٤)، قُتل الآلاف من الأرمن والمسلمين.[٥٤] كانت هذه هي الأحوال السائدة في معظم أنحاء البلاد، بينما كان الملا سعيد يطوف من مكان إلى مكان يتناظر مع العلماء هذه الأحوال. ولكن كان الأهم من ذلك مشاعر الغضب التي اشتعلت جراء ما كان يحدث من إرهاب، ومذابح، والمذابح المضادة، والتي استغلتها شبكات الثوار كحرب دعائية ضد العثمانيين، وكان هذا هدفهم في واقع الأمر، وقد قدموا مبررات للقوى الأوروبية لزيادة الضغط على العثمانيين ولإرهاب أي طرف يحاول التدخل. لقد كان للإحباط والإحساس بالضعف اللذين انعكسا على الإسلام، حافزا دائما لحث سعيد الصغير الطموح على السعي في جهوده من أجل بث روح الحياة مرة أخرى في الإسلام.

---

(٤٩) Shaw and Shaw, *History*, 200-205، Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi,4:331-35*

(٥٠) Zürcher, *Turkey*, 87-88

(٥١) Öke, *Yüzyılm Kan Davası*, 101

(٥٢) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٥٣) لمعرفة تفاصيل عن الكتائب الحميدية Shaw and Shaw, *History*, 2:246، Bruinessen, *Agha, Shaikh and State*, 185-86، Kodaman, *Sultan II. Abdülhamid'in Doğu Anadolu Politikas*

(٥٤) Danişmend, 4:334

تيللو

عندما زادت شهرة سعيد، ازدادت مصاعبه، فانتقل من بتليس إلى "سعرد". وكان هناك بعضُ المعلمين وعدد قليل من العلماء الذين أفحمهم من قبل في مناظرات أرادوا بها أن يقللوا من شأنه أمام الناس، وكانوا دائما يراقبونه ويتتبعونه، وقدَّر الله أن تفوته صلاة الفجر ذات يوم، وما أن علم خصومه هذا الأمر حتى أشاعوا في المدينة: قد ترك الملا سعيد الصلاة. ولكنه ما لبث أن خرج من المدينة بسرعة، وهذه المرة لأن بعض القرويين هاجم أحد تلامذته، فاستاء من هذا الموقف ورحل إلى "تيللو"، وهي إحدى قصبات مدينة "سعرد"، وتبعد عنها أميالا قليلة.

انزوى سعيد عن الناس في "تيللو" تحت قبة حجرية خالية، كانت مصممة لتكون مكانا آمنا هادئا، وأطلق على هذه القبة اسم "القبة الخاصية". وقد تميزت إقامته تحت هذه القبة بثلاثة أشياء، أولها: أنه حفظ من كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي حتى باب السين.[٥٥]

الثاني: أن أخاه الأصغر، محمد، كان يأتي له بالحساء، وكان يقوم بإعطاء حبات الحساء إلى النمل ويكتفي بغمس الخبز في سائل الحساء. وعندما سألوه عن سبب ذلك قال: "إن أمة النمل وكذلك النحل تعيش في نظام جمهوري، ويعملون معا عملا دءوبا، وأنا أعطي الحبات للنمل احتراما لنظامها الجمهوري."[٥٦]

ولكن ما لبث أن عاد سعيد "واستيقظ سياسيّا"؛ حيث يظهر لنا من قصة

---

(٥٥) القاموس المحيط، كتبه أبو طاهر الفيروزآبادي (ت ١٤١٥). ولأن هذا القاموس كان في أربعة أجزاء، تعين على النورسي أن يحفظ مئات الصفحات، Badıllı, *Nursi,* 1:111 ،Şahiner, *Bilinmeyen* ،63-64 *TDVİA,* S. V., "Fîrûzâbâdî,"

(٥٦) عندما حوكم على معارضته للجمهورية التركية في محكمة "أسكي شهر" في عام ١٩٣٥، سئل النورسي عن رأيه في الحكم الجمهوري. فأجاب المحكمة قائلا: "كما تثبت سيرتي الذاتية التي بين يديك الآن، أنني جمهوري متدين مولود قبلكم جميعا، باستثناء رئيس المحكمة،" وقص قصة النمل المذكورة أعلاه. وقال: "لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه، ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ، بل كل منهم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية"، النورسى، سيرة ذاتية، ص:٥٤

النمل هذه أنه قد اكتسب في هذه المرحلة أفكارا سوف يلتزم بها ويطبقها خلال حياته كلها. وبما أن هذه الأفكار سوف يرد ذكرها بالتفصيل في الفصول التالية، فيكفينا أن نذكر الآن أن أفكاره السياسية كانت مبنية على تعاليم الإسلام وعلى مبادئ الحرية الشرعية، والعدالة الحقيقية، والشورى، وقوة القانون.

الثالث: أيضا عندما كان النورسي في "تيللو" رأى مناما دفعه أن يبدأ عمله كمُصلح بين القبائل ورجل دين بشكلٍ عام، حيث رأى في المنام الشيخ عبد القادر الكيلاني وهو يخاطبه قائلا: ملا سعيد! اذهب إلى مصطفى باشا، رئيس عشيرة "ميران"،[٥٧] وادعه إلى الهداية والرشاد والإقلاع عن الظلم، وليقم الصلاة ويأمر بالمعروف. واقتله إن لم يستجب."

كانت مهمة صعبة على فتى صغير مثله لم يزد عمره عن ستة عشر عاما، ولكنه اعتبر ما رآه في المنام مرحلة جديدة في حياته العملية: وهو عمله كرجل دين بين القبائل، وهو الأمر الذي كان يقوم به الشيوخ في العادة. ومما زاد الأمر غرابة، هو أن مصطفى باشا كان معروفا بالسلب والنهب والظلم العام، وكل هذا يسجله التاريخ عنه. وبجانب زعامته لقبيلة "ميران" (إحدى القبائل القليلة التي استطاعت أن تزيد من سلطانها بعد انهيار الإمارات القديمة)، عُين قائدا لإحدى الكتائب الحميدية التي أنشأها السلطان عبد الحميد عام (١٨٩٢) وحصل على لقب "باشا" منذ هذا الحين. مما منحه الفرصة كي يزيد من سطوته على القبائل الأخرى، باستخدام القوة وعلى نطاقٍ واسع. ذكر أحد الرحالة الذين مروا بالمنطقة بعد تعيين مصطفى باشا، وكان ذلك في عام (١٨٩٢)، أنه قد أنشأ مملكة صغيرة منفصلة في الواقع عن الحكم العثماني واعتمد في إنشائها على وسائل غير شرعية وعلى الغزو، وقد حدث هذا في نفس الوقت الذي رأى فيه سعيد المنام تقريبا.[٥٨]

---

(٥٧) لمزيد من المعلومات عن مصطفى باشا، Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 181, 186-87؛ Şahiner, *Son Şahitler* 1 :31-34

(٥٨) الرحالة "Lehmann-Haupt"، ذكره "Bruinessen, *Agha*" في *Shaikh and State,* 186-87

ورغم هذا، لم يبالِ سعيد بالأمر فأخذ متاعه واتجه إلى الجنوب إلى منطقة "الجزيرة" على نهر دجلة.[٥٩] وقد أبرزت مواقفه مع هذا الزعيم الطاغية إحدى أهم صفاته المتأصلة، وهي عدم الخوف خاصة في مواجهة الطغاة والجبارين؛ فهو لا يخاف أحدا سوى خالقه.

الملا سعيد ومصطفى باشا

بادر الملا سعيد بالذهاب إلى عشيرة "ميران" قاصدا خيمة مصطفى باشا، ولكنه لم يجده، فجلس ليأخذ قسطا من الراحة، وما أن دخل مصطفى باشا الخيمة حتى هبّ الحاضرون قياما واحتراما له، بينما لم يحرك الملا سعيد ساكنا. لمح الباشا ذلك فسأل أحد أمراء العشيرة "فتاح آغا" عن هذا الشاب فأعلمه أنه الملا سعيد المشهور، وحاول الباشا كظم غيظه، وهو الذي ما كان ينشرح للعلماء، وسأله: لِمَ أتيت إلى هنا؟ فأجاب سعيد: جئت لإرشادك إلى الحق، فإما أن تتخلّ عن الظلم وتقيم الصلاة، أو أقتلك!

لم يتحمل الباشا هذا الكلام فاندفع خارج الخيمة، وتجول قليلا ثم عاد إليها وكرر السؤال نفسه، فأجابه الملا سعيد: لقد قلت لك... جئت من أجل ما ذكرت! وبعد مزيد من الحوار المتبادل بينهما، فكَّر مصطفى باشا في حل؛ ومرة أخرى ترك الباشا الخيمة وهو يفور غضبا، ثم دخلها مخاطبا الملا سعيد: إن لي جمعا غفيرا من العلماء في منطقة الجزيرة (جزيرة ابن عمر) وسأعقد مناظرة علمية فيما بينكم، فإن أقمت الحجة عليهم وألزمتهم، أنفذ طلبك وإلا فسألقيك في النهر. كان سعيد رابط الجأش، وقال: كما أنه ليس من شأني إلزام جميع العلماء، فليس باستطاعتك أن تلقيني في النهر. ولكن إن تفوقت عليهم فسأطلب منك بندقية "ماوزر" لأقتلك بها إن لم تحافظ على وعدك.

عقب هذه المشادة العنيفة ذهبا معا على الخيول إلى منطقة "الجزيرة"، ولم يتكلم الباشا مع ملا سعيد طول الطريق. ولما وصلا إلى أحراش "باني خاني" خلد الملا سعيد إلى النوم بعد أن أصابه الإرهاق، ولكنه كان على ثقة تامة بفوزه في المناظرة القادمة. ولما أفاق وجد علماء الجزيرة ومعهم كتبهم

(٥٩) هذه الحكاية مأخوذة عن عبد الرحمن في: *Tarihçe-i Hayatı* 18-21؛ النورسي، سيرة ذاتية، ص:٥٥.

منتظرين ساعة المناظرة. انعقد المجلس... وبعد تبادل السلام دارت أقداح الشاي على الحاضرين ولكن العلماء كانوا في شغل شاغل عن الشاي، إذ كانوا يقلبون صفحات الكتب، مأخوذين بشهرة الملا سعيد ومنتظرين أسئلته، بينما لم يحفل الملا سعيد بالأمر، ولم يكتفِ بشرب شايه، بل بدأ بارتشاف الشاي الموضوع أمام اثنين أو أكثر ممن حوله من العلماء المشغولين بالنظر في الكتب، وعندها خاطب مصطفى باشا العلماء وهو يراقب مجرى الأمور قائلا: على الرغم من أنني لست متعلما فإنني أرى أنكم ستُغلبون أمام الملا سعيد في مناظرتكم، لأنني لاحظت أن انكبابكم على الكتب قد ألهاكم عن شرب الشاي، بينما شرب الملا سعيد شايه ثم عددا من أقداح غيره.

بدأ الملا سعيد بالملاطفة وشيء من المزاح مع العلماء ثم قال: أيها السادة! لقد عاهدت ألا أسأل أحدا، وها أنا منتظر أسئلتكم. فاطمأن العلماء! وبدأوا بطرح ما يقرب من الأربعين سؤالا، وأجاب الملا سعيد عن الأسئلة كلها إجابات صائبة عدا سؤال واحد أخطأ في جوابه، دون أن ينتبه إليه العلماء، حيث صدرت من الجميع علامات التصديق. وبعد أن انفضّ المجلس، تبعهم الملا سعيد قائلا: أرجو المعذرة.. لقد سهوت في جواب السؤال الفلاني ولم تفطنوا إليه، والجواب الصحيح هو كذا وكذا...فقالوا: حقّا إنك قد ألزمتنا الحجة، فإننا معترفون بذلك! ثم باشر قسم من هؤلاء العلماء يجلسون منه مجلس الطالب لينهلوا من فيض علمه. أما مصطفى باشا فقد وفى بوعده وأهدى إلى الملا سعيد بندقية "ماوزر" وبدأ بإقامة الصلاة.

كان سعيد قوي البنية والفكر، فقد كان يستمتع بالمصارعة، وكان يصارع كل طلابه في المدارس الدينية، ولم يستطيعوا أبدا هزيمته.

خرج مصطفى باشا معه يوما إلى سباق الخيل، ودبّر خفية جلب فرس جموح للملا سعيد، فامتطى الفرس وهو الشاب في مقتبل السادسة عشر من العمر وأخذ يوجهها يمنة ويسرة، إلا أن الفرس اندفعت إلى وجهات مخالفة، ومهما حاول ضبطها لم يفلح، حتى انطلقت إلى موضع أطفال يلعبون ويمرحون، فطرح أحدهم أرضا - وهو ابن أحد سادة الجزيرة - وصار الطفل

تحت أقدام الفرس مضطربا. سارع الناس للنجدة، ولكنهم رأوا أن الطفل لا حراك له فهمّوا على الفور بقتل الملا سعيد وسلّوا خناجرهم، وعندها وضع الملا سعيد يده على مسدسه، وخاطبهم قائلا:

"من وجهة نظر واقعية؛ فإن الله سبحانه هو الذي أمات الطفل، أما في ظاهر الأمر فالفرس هي القاتلة. وإذا ما نظر إلى الأمر من زاوية السبب، فإن مصطفى الأقرع الذي أعطاني الفرس هو الذي قتله... إذن فلننظر أولا إلى الطفل، إن كان ميتا فلنتعارك. ثم نزل من على الفرس واحتضن الطفل، ولما لم يجد فيه حراكا غمسه في ماء بارد، وأخرجه بسرعة. ففتح الطفل عينه مبتسما، وظل الناس في حيرة مما حدث!

ظل الملا سعيد مدة قصيرة في الجزيرة بعد هذه الواقعة، بعدها توجه مع أحد طلابه "الملا صالح" إلى "بيرو" وهي منطقة بدو العرب، ومكث فيها مدة حتى طرق سمعه أن مصطفى باشا قد عاد إلى عادته القديمة في ظلم الناس. فذهب إليه وأبدى له النصائح مدة ثم هدده، ولكن الباشا لم يتحمل هذه الإهانات وهمّ بقتله فحال شيوخ عشيرة "ميران" دون ذلك، ثم تقرّب نجل الباشا عبد الكريم من الملا سعيد ورجاه قائلا: لا تكترث بصنيع أبي إنه لا يسمع كلاما من أحد.. عقيدته فاسدة.. أرجوك رجاء خالصا أن تتكرم بالذهاب إلى مكان آخر.. فمال الملا سعيد إلى كلام عبد الكريم ورجائه، وغادر المكان متوغلا في صحراء بيرو وحده.[٦٠]

في الصحراء بين "نُصيبين" و"ماردين"، واجه سعيد الهجوم المسلح مرتين، مرة من قِبَل أشقياء مسلحين بالحراب والخناجر، ولما كان الملا سعيد يحمل بندقية أطلق عليهم عدة أعيرة نارية، فانصرفوا. والمرة الأخرى كانت عندما وجد نفسه محاصرا بين عدد من قطاع الطرق، وعندما همّوا بقتله لمحه أحدهم

---

(٦٠) كان من الواضح أن رأي النورسي في الابن أفضل من رأيه في الأب (الذي قتل في مناوشة عام ١٩٠٢)، لأنه أعطى له نسخة من أول صورة له. أعطيت لمؤرخ النورسي نجم الدين شاهينير عن طريق مريم، ابنة عبد الكريم، Şahiner, *Resimlerle Bediüzzaman Said Nursi.* 18. وقد أمر كتائب الحميدية التي تألفت من أفراد قبيلة "ميران" أن تدخل في حروب "البلقان"، Şahiner, *Son Şahitler* ,1:33-34

وقال: إنه شخص مشهور شاهدته في عشيرة "ميران، وما أن سمعوا هذا الكلام حتى أخلوا سبيله معتذرين منه، بل أرادوا مرافقته لئلا يصيبه أذى في تلك الأماكن الخطرة. فردّ الملا سعيد طلبهم واستمر في طريقه إلى "ماردين" وحده، وبعد أيام وصل إلى "ماردين".

نقل عبد القادر باديللي تلميذ سعيد النورسي والذي أرَّخ له، أول وصف مباشر لمشهد لقاء سعيد النورسي مع العلماء في "الجزيرة" والذي يلقي الضوء على قدراته العقلية والروحية (الكرامة). وعلى الرغم من أنه كان دائما في أواخر حياته يقلل من شأن تلك القدرات ويعزوها إلى القرآن أو رسائل النور، إلا أن تلك القدرات كانت سمة ملازمة للمشايخ ورجال الدين البارزين في تلك الحقبة، كما أن امتلاك تلك القدرات يمكن أن يوضح كيف استطاع هذا الملا الصغير أن يفرض رغبته على طاغية مستبد مثل مصطفى باشا.

وفي عام (١٩٦٩)، قام باديللي بإجراء حوار مع رجل من قبيلة "بوختي"، يدعى "فقير الله ملا زاده"، والذي يبلغ من العمر ستّا وتسعين عاما، حيث كان ذلك الرجل يدرس في "الجزيرة" أثناء مناظرة علمائها للنورسي، بل وشهد ذلك اللقاء. وقد استقر ذلك الرجل في "نصيبين" عقب إتمام دراسته، حيث حمل على عاتقه عبء الدعوة والفتوى لمدة ستين عاما. ورغم أنه كان طريح الفراش أثناء المقابلة إلا أنه كان لا يزال يتمتع بكامل قدراته وملكاته العقلية تماما.

قال فقير الله لبديللي إنه كان منجذبا جدّا للملا سعيد بعد اجتياز الاختبار الذي عقد له بنجاح لدرجة أنه تتلمذ على يديه لمدة سبعة أشهر، وكيف أنه رأى العديد من الشواهد على كراماته، فلقد كان الملا سعيد يحبه جدّا كما اعتاد المزاح معه في كثير من الأحيان؛ حيث أخبره ذات يوم بقوله: "سيدي! سوف تعيش حتى تبلغ من العمر مائة عام! بينما سأموت أنا في أورفة، ولكنهم سيفتحون قبري وينقلونني إلى مكان آخر! لا تمت سيدي! سوف تبلغ من العمر مائة عام!"

ويستأنف "فقير الله" كلامه قائلا إنه كان قد نسي ما قاله له الملا سعيد حتى ذهب النورسي إلى اورفة في مارس من عام (١٩٦٠)، قبل وفاته بيومين. فأسرع

"فقير الله" بزيارته، إلا أن الوقت كان قد فات، فقد فاضت روح النورسي إلى بارئها. ومن الجدير بالذكر أنه بعد مرور ثلاثة أشهر ونصف من وفاة النورسي، قامت السلطات العسكرية بفتح قبر النورسي ونقلت ما تبقى من رفاته إلى مكان لم يعرف بعد، كما توفى "فقير الله" عام (١٩٧٣) عن عمر يناهز المائة عام.[٦١]

ماردين

إلى جانب ما حققه الملا سعيد من نجاحات متواصلة على صعيد المناظرات العلمية والتي تضمنت منافساته مع علماء "ماردين"، فإن إقامته في "ماردين" كان لها أهميتها من جوانب أخرى عديدة، إلا أننا نود في البداية أن نذكر هذه الرواية التي تكشف لنا عن إقدام سعيد النورسي وجرأته.

يروي لنا الحاج أحمد الأنصاري أن الملا سعيد النورسي خرج ذات يوم بصحبة ابن مضيفه، وكان يدعى "قاسم"، واقترح على الملا أن يصعد كلاهما فوق مئذنة مسجد الأولياء حتى يتسنى لهم رؤية المنظر من أعلى. وبعد أن صعدا فوق المئذنة، إذ بسعيد النورسي يقفز فوق حاجز شرفة المئذنة التي لا يتجاوز عرضها الأربعة سنتيمترات. وعندها بسط ذراعيه وأخذ يدور حولها، وفي ذلك الحين كان "قاسم" قد أغلق عينيه من شدة الخوف، وكلما بدا سعيد من الجانب الآخر من المئذنة نادى بصوت عالٍ: قاسم! قاسم! هلم يا قاسم، هيا بنا ندور سويّا حول المئذنة." ولكن "قاسم" الذي كانت ترتعد فرائصه من شدة الخوف كان قد نزل من فوق المئذنة لينضم إلى صفوف الجماهير التي احتشدت لتشاهد ذلك الملا مندهشين من جرأته وشجاعته.[٦٢]

إذا أردت أن تعلم مدى جرأة هذا العمل، فعليك أن تتذكر أن ماردين كانت قد بنيت فوق منحدرات تشبه البركان الخامد الذي تحصنت قمته حتى تحولت إلى ما يشبه القلعة كبيرة. وتطل المدينة على سهل بلاد الرافدين الذي تترامى أطرافه بلا حدود ناحية الجنوب، ويبلغ ارتفاع تلك المئذنة الحجرية المزخرفة والتي تعود إلى القرن الثاني عشر أكثر من ستين ذراعا، حيث تقف

(٦١) Badıllı, *Nursi,* 1:116-7

(٦٢) Şahiner, *Bilinmeyen* 68-69

شامخة في مشهد مهيب بينما تنحدر الأرض باتجاه السهل. لذا، فإن المرء إذا أراد أن يقوم بما يؤكد به على جرأته فإن تلك المئذنة هي أنسب مكان لذلك.

نزل الملا سعيد أثناء وجوده في ماردين على الشيخ أيوب الأنصاري وبدأ يلقي دروس العلم في مسجد الشهيد ويجيب على أسئلة كل من قصده بالزيارة. وكان من أعلام تلك المدينة حسين شلبي باشا، الذي أعجب أيما إعجاب بعلم سعيد ومهارته في الجدال، حتى أنه عرض عليه الكثير من الهدايا. ولكن كعادة سعيد فقد رفضها جميعا فيما عدا بندقية قيمة كان يطلق عليها شيشاني.

على الرغم من ذلك، كان الملا سعيد في تلك الأثناء، وكما عبر عن نفسه "يقظاً" سياسيا كما أصبح مطلعا على كبرى القضايا التي تواجه العالم الإسلامي، وفي واحد من كتبه وهو "المناظرات" والذي نشر لأول مرة عام (١٩١٣)، كتب الملا سعيد يقول: "لقد التقيت شخصا فاضلا حول مدينة "ماردين" وذلك قبل الانقلاب عام (١٩٠٨) بست عشرة سنة، فأرشدني إلى الحق وبيّن لي المسلك المعتدل القويم في السياسة، فأفقت من نومي برؤيا — كمال – المشهور."[٦٣]

كمال الشهير المذكور هنا هو الشاعر "نامق كمال"، أحد الرموز الرائدة للحركة العثمانية في القرن التاسع عشر،[٦٤] وقد طالع الملا سعيد الأهداف الرئيسية التي أبرزها في كتابه "الرؤيا". جاء هذا الكتاب في شكل خطاب للأمة من قبل الممثل السماوي للحرية؛ حيث دعا هذا النموذج الملائكي الجميل الذي انفلت من بين السحاب إلى التحرر من ربقة الاستبداد وشجع على الكفاح من أجل الأمة، ومن أجل تحقيق التقدم والرفاهية للوطن. ويرسم الكتاب، بعد ذلك، صورة لمجتمع وبلاد تبدو في المستقبل متحررة، يتمتع أهلها بالسيادة ويحظون بقدر من التعلم ويتحقق فيها العدل والحق.[٦٥]

في مكان آخر من كتابه "المناظرات"، يصف النورسي نفسه بأنه "الشخص الذي ناصر الحرية ضد الاستبداد على مدار عشرين عاما؛ فكان يجاهد في

---

(٦٣) النورسي، سيرة ذاتية، ص:٥٨.

(٦٤) لمعرفة هذا، انظر: Mardin, *Genesis of Young Ottoman Thought*

(٦٥) Kocatürk. *Büyük Türk Edebiyatı Tarihi*, 662

سبيلها حتى في أحلامه بل إنه هجر كل شيء بسبب تلك الرغبة المتقدة فيه."[٦٦]

هكذا، كانت الفترة التي قضاها الملا سعيد في "ماردين" هي المرة الأولى التي أدرك فيها حقيقة الصراع من أجل الحرية كما أدرك مفهوم الحكومة الدستورية التي طالما حلم بها العثمانيون الجدد في ستينيات القرن التاسع عشر. ويؤكد سعيد النورسي، كما سنرى في الفصل التالي، على أن هذه الحرية قد فرضها الإسلام وأنها كانت سر التقدم كما أنها تقدم الإجابة الكافية للتساؤل المطروح "كيف يمكن إنقاذ هذه الدولة؟". ورأى أن الاستبداد والحكم المطلق من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تلك الحالة المزرية التي أصابت الإمبراطورية العثمانية والعالم الإسلامي داخليًا وخارجيًا.

أثناء إقامته في "ماردين"، التقى النورسي باثنين من الدراويش الذين كان لهما دور في نشر أفكاره؛ أحدهما من طلاب السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٨٩٧)، الذي استقدمه السلطان عبد الحميد في صيف (١٨٩٢) إلى استانبول بهدف الاستعانة به، كما كان يأمل الأفغاني[٦٧] في نشر سياسة الإسلام الوحدوي التي كان يدعو إليها.[٦٨] أما الآخر فقد كان منتسبا للطريقة السنوسية التي لعبت دورا هامًا في إيقاف التوسعات الاستعمارية في شمالي إفريقيا.

من الراجح أن يكون تلميذ الأفغاني والذي التقى به الملا سعيد هو نفس الشخص الذي أرشده إلى السياسة الحكيمة العادلة، لو أن "السياسة الحكيمة العادلة" هنا ترمز إلى المبادئ التحررية في المشروطية؛ إذ أن تقديم نظام الحكم الدستوري إلى العالم الإسلامي والحد من النظام الاستبدادي كان جزءا من أفكار الأفغاني التي نادى بها لدفع المسلمين إلى طريق التقدم ومقاومة تجاوزات الإمبريالية الأوروبية.[٦٩] هذا ولم تورد سيرة النورسي في مرجعها الأصلي المزيد من التفصيل حول لقائه بهذين الدرويشين. وعلى أية حال فقد

---

(٦٦) النورسي، صيقل الإسلام، ص:٣٩٢ .

(٦٧) Keddie, *Islamic Response,* 29-30

(٦٨) Hourani, *Arabic Thought,* 115-16

(٦٩) Keddie, *Islamic Response,* 35

كان مرتبطا بفكرة الاتحاد الإسلامي على وجه التحديد أو الإسلام الوحدوي التي وردت فيها إشارة سعيد الثانية للأفغاني والتي نال بها الأفغاني شهرة عظيمة.(٧٠) وصرح سعيد في مرافعته في المحكمة العسكرية عام (١٩٠٩) بقوله: "فأسلافي في هذه المسألة هم: السيد جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده، ومن العلماء الإعلام علي صعاوي، والعالم تحسين. والشاعر نامق كمال الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي والسلطان سليم."(٧١)

هذه المسائل تناولناها بقدر كبير من التفصيل في نهاية الفصل إلا أنه يجدر بنا أن نلحظ في هذا المقام أن سعيد النورسي قد قدم لنا ما نستطيع أن نطلق عليه الاتحاد الإسلامي قبل أن يقدم لنا هذه الأسماء السالف ذكرها. وهذه الوحدة لم تكن تهدف إلى إقامة وحدة سياسية بل كان هدفها "إيقاظ الضمير في كل فرد والمضي به على طريق التقدم، وذلك لأن أوقع السبل وأبلغها أثرا في "إعلاء كلمة الله" في تلك الفترة لم يكن ليتحقق إلا من خلال التقدم المادي"، وفي ذلك دلالة على السبب الذي لأجله ضمَّن مرافعته هذه الأسماء التي لم يكن لها ارتباط مباشر بالاتحاد الإسلامي بل كان ارتباطها بالتعليم وخاصة بتوطئة العلوم الطبيعية الحديثة في المجتمع المسلم. ومن الجدير بالذكر أن هذا المطلب يتفق مع ما جاء به المنهج السنوسي، وتشير إحدى الأعمال الحديثة نسبيّا، إلى أن هذا المنهج فضلا عن انتشاره غير العادي في أرجاء العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر إضافة إلى سعيه وراء تحقيق الاتحاد الإسلامي،(٧٢) وتأكيده على دور التعليم وأهمية التطبيق الهادف من قبل أبناء هذا المجتمع في كافة مجالات الحياة بدلا من اعتباره مجرد نافلة من نوافل العبادة، فقد كان أشبه بنظام اجتماعي أو بنظام المؤاخاة أكثر من كونه طريقة صوفية.(٧٣) ولذا يمكن القول، في ضوء الأنشطة المتتالية التي قام بها

---

(٧٠) Hourani, *Arabic Thought* 115-19؛ Enayet, *Modern Islamic Political Thought*, 41-42

(٧١) النورسي، صيقل الإسلام: المحكمة العسكرية العرفية، ص:٤٤٦.

(٧٢) Ahmed Hilmi, *Senūsīler.*, 32, 37, 43

(٧٣) المرجع السابق، ٢٩-٣٠

النورسي، بأن الدراويش في "ماردين" كانت لهم اليد الطولى في تعرفه على أفكار الأفغاني العظيمة التي كانت تهدف إلى استنهاض المسلمين وتوحيد صفوفهم وإحياء الحضارة الإسلامية التي كانت المبادئ الدستورية والتعليم أمرا حتميّا لتحقيق هذه الأهداف والتي دفعت به في هذا الصراع.

ورد أيضا أن الملا سعيد شغل نفسه في بادئ الأمر بالنشاط السياسي خلال إقامته في "ماردين"، ولكننا مرة أخرى نعجز عن الوصول إلى المقصود من هذا الأمر تحديدا ولكن "صحوته" وصراعه قد يكون دليلا للوصول إلى معرفة هذا الأمر. ولما أبدى نشاطا دائبا ومناصرة للمنادين بالحرية واهتماما بالأمور الاجتماعية والسياسية، قرر متصرف "ماردين" سوقه مكبلا بالأغلال إلى مدينة "بتليس" بصحبة اثنين من الجندرمة.[٧٤]

أثبتت هذه المهمة لمن كُلِّفا بترحيله وهما، محمد فاتح وأخوه إبراهيم أن هذا الشخص غير عادي، وقد أصبحت هذه القصة مشهورة. وبدأت رحلتهم وركب سعيد وهو مكبل اليدين والرجلين، وفي طريقهم إلى "بتليس"، وبالقرب من قرية "أحمدي" حان وقت الصلاة، فطلب من الجندرمة فك القيود إلا أنهم أبوا خائفين أن يهرب، ففكّها بيسر كمن يفك منديلا وألقاها أمامهم، ونزل من على فرسه وتوضأ، ثم أدى الصلاة وسط اندهاش الجندرمة من هذا الأمر، وعدّوه كرامة. فقالوا متوسلين راجين: "كنا حراسك إلى الآن، أما بعد الآن فنحن خدامك!" فطلب منهم سعيد أن يؤدوا واجبهم.

وحينما كان يُسأل: كيف انحلّت القيود؟ يقول: "وأنا كذلك لا أعلم، وإن هو إلا كرامة الصلاة ليس إلا."[٧٥]

لقد كان الملا سعيد بحق ذي شهرة واسعة، وانتشرت أخبار كراماته في كل أنحاء المنطقة حتى وصلت إلى قرية "نورس". ويصف النورسي في سنوات تالية ردود أفعال والديه على ما سمعاه عن كراماته بقوله:

---

(٧٤) النورسي، سيرة ذاتية، ص:٥٧

(٧٥) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 23-24; Badıllı, *Nursi*, 1:123-24

عندما كانت تُنقل أخبار سيئة إلى والدي ووالدتي، كأن يقول أحدهم: إن ابنكم قد قُتل او ضُرب أو سُجن، كان أبي يبتهج ويضحك كلما سمع مثل هذه الأخبار، ويقول: ما شاء الله... قد كبر إذن ولدي حتى يُظهر بطولة أو عملا عظيما يتكلم عنه الناس، أما والدتي فكانت تبكي بكاء مرّا مقابل سرور والدي، ثم أظهر الزمان أن والدي كان محقّا في كثير من الأحيان.[٧٦]

بتليس

على الرغم من رحيل الملا سعيد من "بتليس" قبل عامين وإعادته إليها بعد ذلك تحت الحراسة المسلحة، إلا أنه لم يلبث أن استقر في وسط الإقليم؛ فقد مكث في مضيف الوالي المرحوم عمر باشا في "بتليس". وقد أكسبته حماسته لمناصرة الشريعة احترام الوالي وتقديره، رغم أنه كان ضد الوالي نفسه. وطرق سمعه يوما في بتليس أن الوالي وعددا من الموظفين يشربون الخمر فثارت ثائرته وقال: "لن يرتكب هذا الفعل شخص يمثل الحكومة في مدينة مسلمة مثل "بتليس"! فذهب فورا إلى مجلس الخمر، ووعظهم موعظة بليغة في بادئ الأمر واستهلها بحديث شريف حول الخمر، ثم انهال عليهم بكلام جارح، وكانت يده على مسدسه يتوقع إشارة من الوالي للاعتداء عليه، إلا أن الوالي كان حليما صبورا لم ينبس ببنت شفة. وعندما انصرف الملا سعيد من المجلس قال له مرافق الوالي: ماذا فعلتم؟ إن كلامكم هذا يوجب الإعدام، فأجابه سعيد: "لم يرد على خاطري الإعدام، بل كنت أحسب العقاب سجنا أو نفيا.. وعلى كل حال.. ما أبالي إن مت في سبيل دفع منكر واحد!

وبعد ما يقرب من ساعتين من عودته من المجلس، أرسل إليه الوالي شرطيين لاستدعائه. فدخل عليه واستقبله الوالي بإعظام وإجلال، وهمّ بتقبيل يده، وقال: "لكل أحد أستاذ قدوة، فأنت أستاذي القدوة."[٧٧]

ظل الملا سعيد طيلة العامين التاليين يعيش في كنف الوالي، وقد كرس حياته خلال هذين العامين للمزيد من الدراسة وتحصيل العلم. ولم ترد هنا أية أخبار عن اشتراكه في مغامرات سياسية تكون قد أدت إلى طرده من "ماردين".

---

(٧٦) النورسي، الملاحق: ملحق اميرداغ - ١، ص: ٢٨٣.
(٧٧) النورسي، سيرة ذاتية، ص:٥٩

ولم تكن إقامة سعيد عند الوالي نوعا من الاعتقال غير الرسمي كما توضح تلك الرواية التي يرويها ابن أخيه عبد الله في سيرته الذاتية، فهو يصف كيف رفض الملا سعيد أثناء جلوسه يوما مع عدد كبير من الجند الامتثال لأوامرهم والابتعاد عن المناطق المحظورة من ثكنات الجيش، عند وجود حامية تتألف من ٢٥٠٠ رجل في "بتليس" في تلك الأثناء. وقد تمكن في نهاية الأمر من النجاة بجلده من المشاجرات العنيفة عند تدخل أحد الضباط، وقال بعد ذلك إنه كان في حاجة لهذا الدرس كي يتأقلم مع الانصياع لـ"قيود المدنية"، الأمر الذي كان يشعر بأنه يتعارض تماما مع طبيعته.(٧٨) فقد كان سعيد يعلو بحريته الشخصية فوق أي أمر آخر.

يبرز لنا عبد الرحمن بعض الرؤى القيمة عن التكوين النفسي لشخصية سعيد الصغير وكيف تمكن من تحصيل هذا العلم الهائل، فهو يخبرنا أن كل ما حصل عليه سعيد من العلم حتى هذا الوقت كان مما يسمى بـ "السنوحات" أي أنه فهم المواد التي درسها دون عناء في التفكير؛ وكانت تنزل عليه كنوعٍ من الإلهام دون إعمال ملكته الفكرية، ولهذا السبب لم يكن ضروريّا بالنسبة لَه أن يدرس المواد لفترات زمنية طويلة. وبدأت سانحاته القلبية وفيوضاته الإلهية - التي كان يتغلب بها على العلماء في مناظراته - تقل شيئا فشيئا، ولا يعرف السبب الحقيقي في هذا التغير الذي طرأ على حالاته، فلربما هو من مقتضيات سن البلوغ، أو من اهتمامه بالأمور الاجتماعية والسياسية. وكي يحفظ مكانته بين العلماء، وكي يرد على الشبهات ويدفع الشكوك الواردة على الدين، انكب على دراسة شاملة للعلوم الدينية، فضلا عن حفظه متون كتب العلوم الآلية كالنحو والصرف والمنطق وغيرها، ومتون كتب العلوم العالية كالتفسير والحديث والفقه. حفظ عن ظهر قلب خلال سنتين أربعين كتابا بما في ذلك متون كتب علم الكلام مثل المطالع وشرح المواقف للجُرجاني، كما حفظ متن كتاب مرقاة الوصول إلى علم الأصول في الفقه الحنفي لمحمد بن فرامروز الخسروي (توفي: ٨٨٥هـ)، واعتاد أن يقرأها جميعا في ثلاثة أشهر، بمعدل ثلاث ساعات يوميّا.

---

(٧٨) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 25-26

وقد بدأ سعيد أثناء إقامته في "بتليس" حفظ القرآن الكريم عن طريق قراءة جزء أو جزأين[٧٩] منه كل يوم، وقد حفظ الجزء الأكبر منه بهذه الطريقة، إلا أنه لم يكمله. وقد كان هناك سببان لذلك: الأول، هو رغبته في ألا يكون مسيئا إلى القرآن؛ حيث خطر بباله أن قراءة القرآن بسرعة كبيرة هي ضرب من ضروب عدم الاحترام لقدسيته؛ أما السبب الثاني فهو الضرورة الملحة لدراسة الحقائق التي جاء القرآن ليعلمها الناس. لذا حرص سعيد في العامين التاليين على حفظ أربعين علما من العلوم الإسلامية التي ذكرت من قبل، والتي كان يرى سعيد أنها تمثل مفتاحا لإدراك تلك الحقائق، بل وستبقي على هذه العلوم عن طريق الرد على الشكوك التي أُثيرت حولها. وقد هيأ له مسكن الوالي في "بتليس" بيئة صالحة للمضي في هذا العمل.

كانت زوجة عمر باشا ميتة، وكان له من البنات ست. وذات يوم، أرادت إحداهن الدخول لحجرة الملا سعيد لتنظيفها أو لسبب آخر بريء لا غبار عليه، فما كان من الملا سعيد إلا أن زجرها وأغلق الباب في وجهها بشيء من الغلظة، فتراجعت الفتاة والضيق يملأ صدرها من تصرفه. وفي نفس اليوم حاول أحد الأشخاص – بدافع الغيرة – أن يسبب بعض المتاعب لسعيد، فهمس في أذن الوالي وهو في مكتبه قائلا: "كيف تترك سعيدا في بيتك طيلة اليوم؟ فبناتك غير متزوجات، وأنت لست متزوجا الآن، وسعيد لا يزال شابّا قويّا يافعا، كيف يمكنك أن تفعل هذا؟" وقد حاول بذلك أن يغرس بذور الشك في عقل الوالي تجاه سعيد.

وعندما عاد عمر باشا إلى بيته في المساء، قابلته ابنته الحزينة وأخذت تشكو له: "إن سعيدا هذا الذي أعطيته الحجرة رجل مجنون فهو يوبخنا بشدة ولا يسمح لنا بدخول الحجرة. "فذهب عمر باشا بعد أن شعر بالندم على ما جال بعقله من شكوك مباشرة إلى حجرة الملا سعيد وأخذ يعامله باحترام وعطف شديدين."

وقد وصف بديع الزمان سلوكه في عمل آخر كما يأتي:

---

(٧٩) الجزء: جزء من ثلاثين جزءا من القرآن.

عندما كنت في العشرين من عمري، مكثت سنتين في مضيف الوالي المرحوم عمر باشا في "بتليس" بناء على إصراره الشديد ولفرط احترامه للعلم والعلماء.. كان له من البنات ست؛ ثلاث منهن صغيرات وثلاث بالغات كبيرات.. ومع أني كنت أعيش معهن في سكن واحد طوال سنتين إلا أنني لم أكن أميّز بين الثلاث الكبيرات؛ إذ لم أكن أنظر إليهن كي أعرفهن وأميّز بينهن، حتى نزل أحد العلماء يوما ضيفا عليّ، فعرفهن في ظرف يومين فقط وميّز بينهن، فأخذت الحيرة الذين من حولي، لعدم معرفتي إياهن، وبدأوا بالاستفسار: لماذا لا تنظر إليهن؟. فكنت أجيبهم: صون عزة العلم يمنعني من النظر الحرام! [٨٠]

كان آخر درس تلقاه الملا سعيد، هو الدرس الذي تعلمه في "بتليس" على يد واحد من كبار شيوخ الطريقة النقشبندية وهو الشيخ محمد الكفروي.[٨١] حيث ارتجل الشيخ الدرس بقوله" "الحمد لله الذي قدّر مقادير الأشياء بقدرته وصوّر تصاوير الأشكال بحكمته، والصلاة على محمد محيط مركز دائرة النبوة وعلى آله حبيب كسوة الفتوة والمروة ما دارت على سطوح الأفلاك والنجوم، وما سارت في زوايا الغبراء الغيوم". وفي إحدى الليالي يرى ما يراه النائم: أن الشيخ محمد الكفروي يخاطبه: يا ملا سعيد تعالَ لزيارتي، فإني سأرحل، ويبادر إلى زيارته في الحال، ولكن يشاهد رحيل الشيخ من البيت، وينتبه من النوم، وينظر إلى الساعة فإذا هي الواحدة بعد منتصف الليل ثم يعود إلى النوم ثانية. وفي الصباح يسمع نداء النعي يتصاعد من بيت الشيخ، فيذهب لاستقصاء الخبر فيعلم أنه قد توفي في الواحدة بعد منتصف الليل ويرجع محزونا مرددا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.[٨٢]

كان الملا سعيد يكن في قلبه حبّا جمّا لشيوخ شرقي الأناضول، فقد ذُكر منهم أربعة في سيرته الذاتية،[٨٣] وهم: سيد نور محمد الذي درَّس له الطريقة

---

(٨٠) النورسي، الملاحق: ملحق اميرداغ ـ ١، ص: ٣١٢.

(٨١) Şahiner, *Son Şahitler*, 1:344-45

(٨٢) هذا الحدث يعطينا تاريخا محددا لإقامة سعيد في "بتليس". الشيخ محمد الكفروري (ت ١٣١٣ هـ، الموافق ١٨٩٥-٩٦)، Badıllı, *Nursi*, 1:128 n. 56؛ النورسي، سيرة ذاتية، ص:٦١.

(٨٣) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 28-29؛ النورسي، سيرة ذاتية، ص:٦١.

النقشبندية.[٨٤] ومنهم الشيخ عبد الرحمن تاغي[٨٥] الذي علم الملا سعيد المحبة، والشيخ فهيم[٨٦] الذي تعلم منه سعيد علم الحقيقة، ولكن عن طريق شخص آخر، منهم أيضا الشيخ محمد الكفروي الذي كان آخر من تتلمذ سعيد على يديه. كما ذُكر ثلاثة من أهم العلماء الذين تلقى سعيد العلم على أيديهم وكانت لهم مكانة كبيرة في قلبه: وهم الشيخ أمين أفندي في "بتليس"، والملا فتح الله الذي تعلم سعيد على يديه في "سعرد"، والشيخ فتح الله وركانيسي.[٨٧] وتشير هذه القائمة الموجزة من الأسماء إلى نقطة هامة؛ ألا وهي أن معظم كبار العلماء الذين عاشوا في شرقي الأناضول في العقد الأخير من القرن التاسع عشر هم في الأساس من أتباع الطرق النقشبندية والخالدية. وربما يكون تخلف المنطقة وبُعدها عن العاصمة هو السبب في أن تخرج تلك المنطقة هذا العدد المحدود من المتعلمين،[٨٨] وهو ما يُعد إشارة واضحة لسبب الأهمية الكبرى التي رآها سعيد النورسي في ضرورة وجود إصلاح تعليمي شامل.

إلى جانب مشاعر التنافس والغيرة، قد يكون بُعد سعيد النورسي عن الطريقة النقشبندية السائدة آنذاك وعدم اهتمامه بها، وأفكاره الإبداعية، بالإضافة إلى ابتكاره طرقا جديدة للتعليم في نهاية الأمر، كانت هذه كلها أسبابا لتلك المعارضة التي كان يواجهها سعيد من حين لآخر من جانب علماء المدارس الدينية وطلابها الأقل شأنا منه على وجه العموم. كما واجه معارضة كبيرة عندما شرع في تدريس العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية،[٨٩] فقد كان

---

(٨٤) سيد نور محمد هو حفيد سيد صبغة الله المذكور آنفا. انظر أيضا: النورسي، الملاحق: ملحق بارلا، ص: ٧١.

(٨٥) الشيخ عبد الرحمن تاغ، والذي عرف أيضا باسم "سيدا"، توفي عام (١٨٨٦-٨٧).

(٨٦) الشيخ فهيم الأرواسي كان خليفة لسيد طه، والذي كان أحد خلفاء مولانا خالد.

(٨٧) الشيخ فتح الله وركانيسي (ت ١٨٩٩-١٩٠٠)، كان خليفة الشيخ عبد الرحمن تاغ، Badıllı, *Nursi,* 129

(٨٨) ورد في Sadık Albayrak's five-volume *Son Devir Osmanlı Uleması*، والمنتقى من السجلات الرسمية، أن عدد المشتغلين بمهنة التعليم في شرقي الأناضول كان عددا ضئيلا إذا ما قورن بمناطق أخرى في الإمبراطورية العثمانية.

(٨٩) Abdülmecid Nursi, *Hatıra Defteri,* 11؛ ذكر في Badıllı, *Nursi,* 1:144

جزء من خططه للإصلاح التعليمي ينصب على تقديم العلم الحديث من خلال المدارس الدينية حتى يبدد مخاوف العلماء بشأنها.

أخيرا، وعلى الرغم من احترام النورسي لكبار الشيوخ المذكورين من قبل، وامتنانه للعلم الذي تلقاه على أيديهم، واعترافهم - على حد تعبير الكثيرين - بقدراته التي لا يباريه فيها أحد، إلا أن النورسي لم يتبع مطلقا أيّا منهم على وجه الحصر. استمر سعيد في المضي قدما في طريقه الذي وضح له تماما بعد أن دخل مرحلة رئيسية أخرى في حياته بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وان

بعد انقضاء عامين، وبناء على دعوة من الوالي حسن باشا بمدينة "وان"،(٩٠) انتقل الملا سعيد إلى مدينة "وان"، لأنه في الوقت الذي كانت فيه "بتليس" مركزا هامّا للعديد من العلماء، لم يكن هناك أي منهم من ذوي السمعة والمكانة في مدينة "وان". وكان ذلك على الأرجح ما بين عامي (١٨٩٥) و(١٨٩٦)، عندما كان سعيد في التاسعة عشر أو العشرين من عمره. وبرغم غيابه عن مدينة "وان" لفترات طويلة استمرت بعضها لخمس سنوات، أصبحت تلك المدينة مقرّا لإقامة الملا سعيد حتى إصدار الحكم بنفيه في عام (١٩٢٥م). ذهب إليها واستقر فيها اثنتى عشرة سنة، قبل أن يقوم برحلته الأولى إلى استانبول عام (١٩٠٧م). وقد قسم وقته بين التجوال بين العشائر لإرشادهم والتدريس للطلاب. فضلا عن تكوين علاقات مع الوالي والموظفين في المدينة.

وأثناء وجوده في مدينة "وان"، عاش الملا سعيد في منزل حسن باشا، وبعد ذلك قضى فترة طويلة في مقر إقامة الوالي، وذلك عقب تولي أشكودرالي طاهر باشا منصب الوالي. وكان طاهر باشا أحد المسئوليين المتميزين الذين يحظون بقدر كبير من احترام السلطان عبد الحميد الثاني، وكان قد تولى

---

(٩٠) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı,* 29؛ وورد اسمه في السيرة الذاتية "الرسمية" على أنه "حسن باشا". بينما ذكر كل من عبد المجيد (Badıllı, *Nursi,* 1:144)؛ و"Şahiner" *Bilinmeyen,73*، أنه كان أيضا حاكم مدينة "وان".

منصب الوالي في الموصل، و"بتليس"، بالإضافة إلى "وان". لقد كان راعيا للعلم والتعلم، وكان شغوفا بتتبع أخبار التطورات العلمية، كما كان يمتلك مكتبة ضخمة. وكان هو أول مسئول في الدولة ينتبه إلى موهبة بديع الزمان العظيمة وإمكانياته، واستمر في تشجيعه ودعمه حتى وفاته في عام (١٩١٣م).

ومن العجيب، أن استقلالية سعيد هي التي سمحت له على الأرجح بقبول رعاية كل من والي "بتليس" ومن بعده والي "وان"، فقد كان يتوقع أنه سوف يمنع من هذه المكارم التي يقدمها كبار مسئولي الدولة، أي أنه لم يكن يتبع أي تنظيم أو مؤسسة دينية مما يمكن أن يكون له أثرا في إعاقة سعيه وراء تحقيق أهدافه ورسالته بهذه الطريقة. أما فيما يتعلق بالولاة، فقد كانوا متحمسين لدعم مشروعه العلمي، ولكننا لا ندري ما إذا كان هذا سياسة عامة، ولكن الأمر بالنسبة لطاهر باشا يمثل اهتماما شخصيّا.

وكان مجلس طاهر باشا مركزا مفضلا لدى كثير من المسئولين الحكوميين، ومدرسي المدارس الجديدة، وآخرين من المثقفين؛ حيث كانوا يلتقون لمناقشة الموضوعات الهامة، وكان طاهر باشا متحمسا لانضمام الملا سعيد إلى هذه المناقشات، ولكن سرعان ما أوضحت الأوضاع الجديدة للملا سعيد آثار تلك المناقشات على تفكير ومواقف المسئولين تجاه الإصلاحات العلمانية المتعلقة بالتنظيمات، والهوة التي حدثت بينهم وبين وجهات النظر المحافظة. وعلى أية حال، فقد أدرك سعيد أن تعاليم الدين الإسلامي في صورته التقليدية لم تكن قادرة على مواجهة الشكوك والانتقادات التي وجهت إلى الإسلام. وقد قاده ذلك إلى اتخاذ خطوة هائلة، حيث اتجه إلى دراسة العلوم الحديثة، الأمر الذي لم يسبقه إليه أي من العلماء الآخرين في الأقاليم الشرقية. ولقد نال في هذا الشأن أكبر قدر من التشجيع من قبل طاهر باشا، واستفاد الملا سعيد من مكتبة طاهر باشا ومن الصحف والدوريات التي كانت تصل إلى مكتبه، وطفق يطالع كتب العلوم الحديثة حتى حصَّل أسسها من تاريخ وجغرافيا ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة (أي العلوم الطبيعية) وأمثالها من العلوم، بالإضافة إلى المشاكل المعاصرة

والتطورات التي تشهدها الحياة بالدولة العثمانية والعالم الإسلامي وذلك خلال مدة قصيرة جدّا.

سبر النورسي أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرس يدرّسها إياه. حقق سعيد تقدما سريعا، وجدَّ في ذلك عن طريق تطبيقه لنظام المناقشة في هذا المجال الجديد. ففي إحدى المناسبات، اشترك في مناقشة حول مادة الجغرافيا مع أحد مدرسي المدارس الثانوية، وقد استمرت المناقشة مدة طويلة، حتى أنهم قرروا استكمالها في اليوم التالي، وذهب سعيد وحفظ عن ظهر قلب خلال أربع وعشرين ساعة كتابا في الجغرافيا، قبل أن يناظر في اليوم التالي مدرس الجغرافيا ويلزمه الحجة في دار الوالي طاهر باشا. وعلى الشاكلة نفسها، ألزم مدرس الكيمياء، بعد أن حفظ كتابا في الكيمياء غير العضوية خلال خمسة أيام.[٩١]

وقد ظهر ذكاؤه المميز وسرعة بديهته خاصة في مجال الرياضيات، فقد استطاع أن يقدم حلولا لأصعب المشكلات الذهنية في وقت قياسي. وكان ذلك خلال رسالة ألّفها في الرياضيات بيد أنها فقدت في إحدى الحرائق التي نشبت في مدينة "وان".

كان من عادة طاهر باشا القيام بتنظيم مسابقات في مجال المعرفة وطرح العديد من المسائل الرياضية، فما من مسألة طرحت أمامه إلا وحلَّها في ذهنه ويسبق الجميع في أمثال هذه المسابقات الذهنية على الدوام.

حتى هذا الوقت لم يكن الملا سعيد قد بدأ بتعلم اللغة التركية، ولكن يبدو أنه تغلب بسرعة على هذا العائق، فقد كان طاهر باشا يوجه أسئلة - علمية فلسفية - إليه مستخرجا إياها من بطون الكتب الأوروبية، وكان يجيب عن تلك الأسئلة أجوبة قاطعة مع أنه لم يطلع على تلك الكتب ولم يكن يتقن اللغة التركية. وعندما شاهد - بعد فترة - تلك الكتب، علم أن طاهر باشا يستخرج الأسئلة منها، فباشر بدراستها وهضم مضامينها في مدة قصيرة.[٩٢]

---

(٩١) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 44-45؛ في الحقيقة، بعد عدة سنوات، عندما كان يحكي عن دراسته في مدينة "وان" لأحد طلابه، وهو محسن آلو، قال النورسي إنه درس وأتقن كل العلوم، باستثناء الكيمياء العضوية؛ فهذا العلم هو الوحيد الذي لم يتقنه تماما. Şahiner, *Son Şahitler*, 4:314.

(٩٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٦٣

استمر الملا سعيد في حفظ تلك الكتب التي اعتبرها ضرورية عن ظهر قلب، وقد بلغ عدد هذه الكتب التي استطاع أن يحفظها أثناء إقامته في مدينة "وان" تسعين كتابا تقريبا. وفي إحدى المرات، وأثناء مرور طاهر باشا بجوار باب حجرة الملا سعيد، تناهى إلى سمعه صوت بدا له وكأنه صوت صلاة وابتهال يقوم الملا بتأديتها بصوت رقيق؛ ولكن ذلك كان صوت الملا سعيد وهو يردد الكتب التي حفظها عن ظهر قلب. وعقب مرور عدة أعوام، أخبر الملا سعيد أحد طلابه والذي كان يُدعى مصطفى صونغور، بما يلي:

"عندما كنت في "وان" خصص الوالى طاهر باشا غرفة لي في الطابق العلوي من مضيفه، فكنت أبيت هناك وقد حفظت آنذاك ما يقرب من تسعين كتابا في الحقائق، وكنت أعيد ما حفظته في ذاكرتي ثلاث ساعات يوميّا فأكمله كل ثلاثة أشهر. فيا إخواني إنى أشكر الله كثيرا على تكراري لتلك المحفوظات حيث أصبحت وسيلة للعروج إلى حقائق القرآن الكريم. ثم بلغت القرآن الكريم وشاهدت أن كل آية كريمة منه تحيط بالكون إحاطة تامة، وبعد ذلك أغناني القرآن عن غيره."(٩٣)

وهكذا لتعدد مواهبه ولذكائه الخارق وقوة ذاكرته، أطلق العلماء عليه لقب بديع الزمان، معجزة عصره، وهو اللقب الذي أطلقه عليه الملا فتح الله بمدينة "سعرد" قبل ذلك بعدة أعوام.

وبالرغم من أن الملا سعيد قد استخدم هذا اللقب بنفسه، إلا أن ذلك لم يكن بدافع المدح والكبرياء؛ ففي إحدى المقالات التي تم نشرها في عام (١٩٠٩)، سئل: أنت تذيّل مقالاتك وتوقعها باسم بديع الزمان وهذا يومئ إلى المدح. فأجاب: "كلا، ليس للمدح! وإنما أريد أن أُبين - بهذا التوقيع - تقصيري. وتعليلي هو: أن البديع يعني الغريب فأخلاقي غريبة كمظهري، وأسلوب بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين، فأنا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياسا لمحاكماتي العقلية ومحكّا لأساليب بياني."(٩٤)

---

(٩٣) المرجع السابق، تقديم.

(٩٤) النورسى، صيقل الإسلام، محاكمات ص٢٢.

وقد عبر فيما بعد، من خلال أحد كتبه، أنه قد استخدم الاسم من أجل أن يعلن عن الكرم الإلهي، فكتب قائلا: "هذا وإن لقب بديع الزمان الذي مُنحته منذ سنوات عديدة مع عدم استحقاقي له، ليس لي وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، قد قُلّد مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة، والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبه الحقيقي."(٩٥)

لقد كان للملا سعيد مدرسته الخاصة، وقد كانت الفترة التي قضاها في "وان" هي التي صاغ خلالها أفكاره عن إصلاح التعليم وطريقته الخاصة في التدريس. وقد قام بتطوير ذلك من خلال دراسة كل المبادئ التي قام بدراستها بالإضافة إلى خبرته الخاصة في مجال تدريس المواد الدينية والعلمية، ثم فوق ذلك إمعان التفكير فيها فيما يتعلق بملاءمتها لاحتياجات العصر. والأساس الذي قامت عليه هذه الطريقة هو توحيد العلوم الدينية مع العلوم الحديثة، بغية أن تكون نتيجة ذلك أن العلوم الإيجابية سوف تساهم في تأييد وتقوية الحقائق الدينية. وبدأ سعيد في إتباع هذه الطريقة أثناء قيامه بالتدريس لطلابه.(٩٦)

كان الهدف الرئيسي للملا سعيد هو إنشاء جامعة في شرقي الأناضول، حيث تتم ممارسة هذه الطريقة، أي أنه المكان الذي سوف يتم به تدريس العلوم الطبيعية جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية، ويتم فيه تطبيق أفكاره الأخرى. وقد أطلق على هذه الجامعة اسم "مدرسة الزهراء"، وذلك على غرار جامعة الأزهر في القاهرة،(٩٧) حيث اعتزم أن يجعل منها قرينة لهذه الجامعة في قلب العالم الإسلامي الشرقي. وقد قام فيما بعد بتوسعة مشروعه لكي يصل إلى ثلاثة أماكن أخرى، هي مدينة "وان"، و"بتليس"، و"دياربكر" على التوالي. وحيث إنه سافر كثيرا في شرقي الأناضول، فقد رأى أنها لن تكون مجرد وسائل فعالة في مواجهة الجهل المتفشي وحالة التردي التي تعاني منها المنطقة، ولكنها ستقدم أيضا حلا لكل مشاكل المنطقة الأخرى سواء

---

(٩٥) النورسي، سيرة ذاتية ص٦٤.

(٩٦) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 30.

(٩٧) لمعرفة المزيد عن الأزهر: Hatina, *"Historical Legacy,"* 51-68

الاجتماعية أو السياسية منها. وسوف تتم مناقشة أفكار النورسي عن التعليم بقدر أكبر من التفاصيل في أحد فصول الكتاب التالية.

وقد اعتاد الملا سعيد أن يقضي فترة شهور الصيف في المراعي المرتفعة في كل من "باشيد"، و"فراشين"، و"بيت الشباب"، كما أحب جبال كردستان – حيث الحرية المطلقة – أكثر من أي شيء آخر. وبالإضافة إلى قيامه بدور الوسيط في حل النزاعات القبلية والعمل بين القبائل، فقد كان يتنقل بين الجبال والغابات، حيث كان يقوم بقراءة "كتاب الكون" عاكفا على تأمل مغزاه ورسائله كما وجهه القرآن الكريم؛ فقد كانت هناك ألفة بينه وبين عالم الطبيعة ومخلوقاته، كما شعرت هذه المخلوقات أيضا بهذه الألفة نحوه. ونحن على دراية بتاريخ وقوع إحدى هذه القصص التي توضح ذلك: أي في عام (١٣٢١) هجريّا، (١٩٠٥) ميلاديّا، وتروي هذه القصة أن الملا سعيد صعد أعلى جبل "باشيد" وحده؛ وجلس على إحدى الصخور في حالة من التأمل، وذلك بعد أن أدى صلاة المغرب، عندما ظهر له ذئب ضخم، كالاسد قد أتى إليه مثل "صديق"، وبعدها تابع السير في طريقه دون أن يفعل أي شيء.[٩٨]

عندما وصلت إلى أسماع الملا سعيد أخبار عن نزاع قبلي، قرر أن يتدخل ويصلح بين الطرفين المتنازعين، ولقد حقق نجاحا حتى في الأمور التي فشلت فيها الحكومة، وذلك عندما استطاع أن يصلح بين "شكر أغا"، زعيم فرع "كيراوي" من قبيلة "ارتوشي"،[٩٩] وبين "مصطفى باشا"، زعيم قبيلة "ميران"، وذلك عن طريق تسوية النزاع حول حقوق الرعي. وحيث إن الشجاعة الشخصية كانت هي أكثر الصفات تقديرا، فقد كان يتمتع باحترام كل قبائل المنطقة. وقد كان مصطفى باشا مصرّا على المضي في الخروج على القانون وممارسة القهر، وفي تلك المرة حاول أن يسترضي الملا سعيد من خلال منحه مبلغا من المال وجوادا على سبيل الهدية، ومن خلال محافظته على أسلوبه العادي، فقد رفض

---

(٩٨) النورسى، سيرة ذاتية، ص: ٦٣

(٩٩) لمزيد من التفصيل عن قبيلة "الكيراوي"، تلك القبيلة القوية، Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 55, 106, 120. قال بادللي: أن أفرادها معروفون بشجاعتهم وبسالتهم، وهي القرية التي كان سعيد مولعا بها في منطقة "وان" أكثر من غيرها. Badıllı, *Nursi,* 1:151.

الملا سعيد قبول الهدية وقال له إن كان قد تراجع بالفعل عن وعده بوقف القهر، فإنه لن يصل إلى مدينة "سيزري" التي كان متجها إليها. وفي الحقيقة، فلقد سمع الناس فيما بعد أن "مصطفى باشا" قد تعرض للقتل أثناء سفره ولم يصل مطلقا إلى مدينة "جزرة"،[١٠٠] وكان ذلك في عام (١٩٠٢) ميلادية.

كانت ملابس الملا سعيد دائما محل تعليق، فقد كان يحمل خنجرا كبيرا ومسدسا حول خصره، بالإضافة إلى حزام عريض للذخيرة على صدره، ويرتدي سروالا فضفاضا، ويلف رأسه بشالٍ على شكل مخروطي. وقد قابل طاهر باشا هذا المظهر بالترحاب المصحوب بالدهشة عندما رآه لأول مرة.[١٠١] وفي حقيقة الأمر، ادعى سعيد أن طاهر باشا قد عرض عليه أن يمنحه ألف ليرة ذهبية، ومنزلا، وأن يزوجه من إحدى بناته، وذلك نظير موافقته على ارتداء زي عالم الدين، ولكنه رفض قبول هذا العرض.[١٠٢]

يبدو أن الملا سعيد قد أصبح فردا من أفراد أسرة طاهر باشا، وعلى أي حال، ففي أثناء الحرب العالمية الأولى، عمل الملا سعيد جنبا إلى جنب مع الابن الأكبر لطاهر باشا، "جودت بك"، الذي كان يحكم مدينة "وان"، وأحد كبار المسئولين في لجنة الاتحاد والترقي، وكان متزوجا من إحدى شقيقات أنور باشا. ويؤدي ذلك إلى إثارة مسألة ما إذا كان طاهر باشا عميلا سريّا للحركة الدستورية أم لا. وقد يكمن في ذلك سبب آخر يفسر وجود العلاقات الوطيدة، بالرغم من تعرضها للاضطراب أحيانا، بين طاهر باشا والملا سعيد، ذلك الشخص الموهوب الذي ينأى بنفسه عن الرسميات.

دأب النورسي على قراءة الجرائد بانتظام أثناء الفترة التي قضاها في مدينة "وان". وفي أحد الأيام، أشار طاهر باشا إلى أحد الأخبار التي أحدثت ثورة عارمة داخله. لقد كان ذلك عبارة عن تقرير عن الخطاب الذي ألقاه الوزير المسئول عن المستعمرات أمام مجلس العموم البريطاني. وقد وصف النورسي هذا التقرير كما يلي:

---

(١٠٠) Abdurrahman, *Tarihçe-i Hayatı*, 31-32، النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٦٢.

(١٠١) Erdem, *Davam*, 192.

(١٠٢) Badıllı, *Nursi*, 1:163

جدير بالأهمية والتأمل، أن مؤلف رسائل النور قد حدث له انقلاب مهم في حوالي سنة (١٣١٦هـ)[١٠٣] إذ كان يهتم بالعلوم المتنوعة إلى هذا التاريخ من أجل استيعاب العلوم والتنور بها. أما بعده فقد علم من الوالي المرحوم طاهر پاشا أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، إذ سمع منه أن وزير المستعمرات البريطاني قد قال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيّا، فلنسعَ إلى نزعه منهم. فثارت ثائرته واحتدَّ وغضب."

كان النورسي يمتليء بالحماسة، آخذا في اعتباره الآية القرآنية: ﴿فأعرض عنهم﴾ (المائدة: ٦٨). وقد غيّر اهتمامه من جراء هذا الانقلاب الفكري فيه.. جاعلا جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه مدارج للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفا لعلمه وغاية لحياته. وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلا ومرشدا وأستاذا. لكن لسوء الحظ، فإنه نتيجة لوجود العديد من العوائق المخادعة في فترة شبابه، فإنه لم يتولَّ مسئولية ذلك. فلقد كان ذلك بعد مرور فترة من الزمن عندما انتبه إلى صراع الحرب وصخبها ، وبعدها قفزت تلك الفكرة إلى الحياة، فقد بدأت تظهر وتتحقق.[١٠٤]

تروي لنا هذه القصة أن ذلك التهديد الصريح من قبل وزير المستعمرات البريطاني للقرآن الكريم والعالم الإسلامي قد أحدث ثورة عارمة في أفكار النورسي، وعمل على توضيحها ووضعها في الاتجاه الذي ظل يتبعه منذ تلك اللحظة. وهذه التهديدات هي التي جعلته يعلن: "لأبرهننّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها."[١٠٥] لقد أعلن، مستعينا بالمعارف التي اكتسبها من أجل أن يبرهن على حقائق القرآن، أن القرآن الكريم هو منبع المعرفة الحقيقية والتقدم الفعلي، مدافعا بذلك عن الجهود المتعمدة

---

(١٠٣) هذا يعني، أن ذلك كان قرب انتهاء القرن. لم تذكر أي من المصادر المذكورة أو كليات رسائل النور اسم هذا الوزير، ولكن قال "Şahiner " كما جاء في *Bilinmeyen,* 79-80 إن اسمه كان "جلادستون"، وكان معروفا عنه "كرهه" للأتراك، ولو كان هذا صحيحا، فمن المؤكد أنها كانت تقريرا قديما؛ لأن "جلادستون" قد توفي عام (١٨٩٨) أي أن هذا الكلام هو ما قاله جلادستون الأب الذي كان رئيسا للوزراء وليس وزيرا للمستعمرات.

(١٠٤) Şualar.863

(١٠٥) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٦٦

للتشكيك فيه وتخريب المجتمع الإسلامي. وفي خطاب كتبه النورسي عام (١٩٥٥)، أعرب فيه عن اكتشافه وسيلتين لتحقيق ذلك: الأولى كانت تتمثل في "مدرسة الزهراء"، والتي وصلت به إلى مدينة استنابول وحتى إلى بلاط السلطان عبد الحميد، أما الثانية فكانت رسائل النور.[١٠٦] ولكن هذه الوسيلة الثانية لم تتحقق إلا مع ظهور سعيد الجديد في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وحتى ذلك الوقت، كان النورسي منهمكا تماما في الأحداث الجسام التي حدثت في ذلك العصر. ولقد قام بخدمة قضايا الإسلام من خلال مشاركته النشطة في الأمور السياسية والاجتماعية. ولكن، كما سنرى في فصل لاحق، كانت العلوم "الوضعية" والفلسفية تشغل باله أيضا، وكان يأمل أن يسعى وراء تحقيق هدفه من خلالهما.

---

(١٠٦) النورسي، الملاحق: ملحق اميرداغ - ١، ص: ٣٣٦

الفصل الثاني

استانبول

في نوفمبر عام ١٩٠٧، اتجه سعيد النورسي إلى استانبول بغية الحصول على الدعم والمساندة الرسمية لإنشاء جامعته الإسلامية التي أطلق عليها اسم (مدرسة الزهراء). وكان يناهز الثلاثين من العمر آنذاك، ومنذ بداياته المتواضعة في قرية "نورس"، بدأ سعيد يبني لنفسه مكانة عظيمة بين علماء كردستان. وقد كان النورسي شخصية بارزة وذائعة الصيت؛ ليس فقط لأن مناقشاته فاقت علماء منطقته جميعا، ولا بسبب علمه الغزير وقدراته الفائقة، وإنما أيضا لسعيه من أجل تحقيق العدل والدفاع عن الحق وعدم رهبته من أيٍ شيء سوى خالقه سبحانه وتعالى. وقد توافقت طموحاته مع قدراته، وتميز بهذا منذ نعومة أظافره، ولم يقنع بهذا فحسب، ولكن كان هناك دائما شيءٌ ما في داخله يدفعه أن يسلك مسالك أنشط وأحدث وأفضل. وعندما اتسع أفقه، أصبح هذا المسلك أكثر وضوحا.

وكما أوردنا في الفصل السابق، كانت هناك أحداث حاسمة جعلته يأخذ هذا الاتجاه. أحد أهم هذه الأحداث هو علمه بالعواقب الأليمة لتلك التهديدات التي أطلقت ضد القرآن والإسلام، وقراره أن يكرس حياته وعلمه ليؤكد على أن القرآن والإسلام هما أصل التقدم والمعرفة الصحيحة. أما الأمر الثاني الذي أثر فيه هو تلك المعارف التي حصل عليها في مدينة "ماردين" عام (١٨٩٢) وما تعلمه من جهاد من أجل الحرية وإرساء مبادئ المشروطية، والحركة من أجل الوحدة الإسلامية والقضايا الأخرى التي تهم العالم الإسلامي. ولعل أكثر الأحداث التي كان لها عميق الأثر عليه هو اختلاطه بالمسئولين في مدينة "وان"، الأمر الذي جعله يدرك مدى تأثير حركات التغريب والعلمنة، التي دعت إليها حركة التنظيمات الغربية، على فكر وأراء

الفئات المتعلمة، مما أثار العديد من الشكوك حول الإسلام. ووصل الأمر ببعض هؤلاء الذين تأثروا بالفكر الأوروبي إلى أن سلَّموا بأن الإسلام هو المسئول عن تخلف الإمبراطورية. هذا ما أثبت للنورسي أن هناك ضرورة ملحة لإصلاح النظام التعليمي في المدارس وتحديث العلوم الإسلامية على ضوء التطورات الجديدة في المعرفة والعلوم. وقد كان اهتمام النورسي مُنصبا على هذه القضايا حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

التنظيمات والمشروطية

أُطلق اسم "التنظيمات" على الفترة ما بين عام (١٨٣٩) وعام (١٨٧٦)، وهي الفترة التي أدخل فيها السلاطين العثمانيون وكبار الوزراء لديهم سلسلة من الإصلاحات، تحت ضغط ونصيحة الأوروبيين. وقد قصدوا من وراء هذه الإصلاحات إعادة تنظيم الحكومة والإدارة وجوانب أخرى عديدة في الحياة العثمانية على نهج وطراز الطريقة الأوروبية، وذلك حتى يتسنى للإمبراطورية استعادة قوتها السابقة وتحررها من تبعيتها لأوروبا.[١] وفي الواقع، لم تقدم هذه التنظيمات حلا لأي من مشاكل الإمبراطورية الحالية، ولكنها رسمت طريق المستقبل للتاريخ التركي. وتجدر الإشارة هنا إلى أشياء عديدة تتعلق بظهور المشروطية، والتي قدم أنصارها حلولا بديلة.

إن إدخال إصلاحات ذات طابع غربي على النظام الحالي، ومصاحبتها له في كثير من الأحيان، أدى إلى الفصل بين المهام الدينية والمهام الدنيوية في الدولة، وقد اجتمع هذا من قبل في شخصية الخليفة السلطان.[٢] وبالرغم من هذا الاتجاه نحو العلمنة وما صاحبه من إهمال للمؤسسات الدينية وتهميش دور الدين في الحياة، إلا أن العلماء الكبار قد ساندوا هذه الإصلاحات،[٣] ولم يُعاد هذه الإصلاحات سوى صغار العلماء وطلبة المدارس.[٤] بالإضافة إلى

(١) راجع إلى المصادر الآتية: Ahmad, *Making of Modern Turkey*، Findey, *Bureaucratic Reform in the Ottoman Empire*، Goffman, *Ottoman Empire and Early Modern Europe*

(٢) لمعرفة معاني هذه المصطلحات، انظر: Lewis, *Political Language of Islam*

(٣) Heyd, *"The Ottoman 'Ulema and Westernization,"* 29-33; 39-53

(٤) المرجع السابق، ٣٣-٣٥

ذلك، كان هناك عاملٌ آخر تسبب في ازدياد المعارضة وهو أنه بمنح المساواة للأقلية المسيحية وحماية مصالحها كملةٍ مستقلة (أي مجموعات دينية)، أدت الإصلاحات إلى تقوية وضعهم الاقتصادي والسياسي على حساب الأغلبية المسلمة في الإمبراطورية. ومما أشعل نار المعارضة ضد الإصلاحات أيضا بعض التطورات الأخرى مثل زيادة السلطة الاستبدادية للسلطان بدلا من تقليلها. هذا بالإضافة إلى تدفق الأفكار الغربية والتي صاحبت عمليات الإصلاح. وقد زادت المدارس العلمانية الجديدة من تدريس اللغات الأوروبية، خاصة الفرنسية، وكثيرا ما كانت ترسل الطلبة في بعثات إلى أوروبا، وأدى هذان العاملان إلى تدفق الأفكار الأوروبية إلى الإمبراطورية العثمانية.

ومع انهيار الإمبراطورية العثمانية تحت الضغوط الأوروبية الغامرة، على الرغم من الإصلاحات التي شهدتها التنظيمات، ظهرت في الصحافة الجديدة مجموعة من المفكرين والكتاب الذين بدءوا ينتقدون الإصلاحات ورجال الدولة الذين جاءوا بها. وتركزت الأفكار، التي ناضلوا من أجل نشرها وتعميمها كحلولٍ بديلة لأزمة الإمبراطورية، حول مفاهيم الحرية والمشروطية. وكان "نامق كمال" أبرز عضو في هذه المجموعة غير المتماسكة، والتي عُرفت فيما بعد باسم "العثمانيون الجدد". كان "كمال" يسعى، من خلال كتاباته، لجعل الإسلام هو أساس وروح الدولة[٥] من جديد، وكان يسعى أيضا لأن يجد في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية مفاهيم مماثلة لتلك المفاهيم الليبرالية التي ارتبطت بالمشروطية والحكومة النيابية، والمستمدة من الفكر الغربي، وذلك لربطهم معا. وقد طوَّع معاني المصطلحات الإسلامية التقليدية لتتوافق مع المفاهيم الجديدة.[٦] وعلى الرغم من أنه قد بدا أن "كمال" والأجيال التي تلته من المفكرين الإسلاميين قد اكتفوا بهذه الوحدة، إلا أن العلماء المعاصرين قد لاحظوا وجود بعض الأشياء المتناقضة التي لم يوجد لها حلول.[٧] وستجد العديد من مناقشاته وأفكاره والمصطلحات التي يستخدمها في الأعمال الأولى لسعيد النورسي.

(٥) Mardin, *Religion and Social Change,* 122; Mardin, *Genesis,* 117

(٦) Zürcher, *Turkey,* 72; Berkes, *Development of Secularism,* 261

(٧) Mardin, *Genesis,* 289, 402; Berkes, *Development of Secularism,* 482

لعب "نامق كمال" دورا مهما في وضع أسس الدستور الأول، والذي أعُلن في ٢٣ ديسمبر عام (١٨٧٦)، بعد العديد من المناورات السياسية وخلع اثنين من السلاطين، ثم يؤجله السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) لمدة عام. وبهذه الطريقة، استمر الصراع من أجل إرساء المشروطية سرا.

عانت الإمبراطورية السقيمة كثيرا وهي على حافة الانهيار، خلال الأعوام التي سبقت وتلت اعتلاء السلطان عبد الحميد العرش؛ اقتصاديا (فقد أعلنت إفلاسها عام ١٨٧٥) وعسكريا وسياسيا (بعد حرب عامي ١٨٧٧-١٨٧٨ مع روسيا ومعاهدة برلين)، فخسرت الإمبراطورية حوالي ثُلث أراضيها وأكثر من ٢٠٪ من عدد سكانها.[٨] ولكن على الرغم من هذه الخسائر الأولية، نجح السلطان عبد الحميد، وهو سياسي محنك، أن يجمع شتات الأجزاء المتبقية من الإمبراطورية خلال فترة حكمه التي دامت ثلاثة وثلاثين عاما، حيث كان يوقع بين القوى العظمى والقوى الأخرى المضادة لها.[٩] ومع هذا، فنجاحه في سياساته الخارجية كان ثمنا لصرامته في السياسة الداخلية. وبعد حل أول برلمان، حكم البلاد من قصر "يلدز"، يسانده شبكة من الاستخبارات والعيون التي انتشرت في أركان الإمبراطورية. وقد فرضت قوانين الصحافة الصارمة والرقابة الشديدة عليها سياجا حول حرية الفكر والتعبير. وزادت كفاءة هذا النظام الصارم بعد دخول التلغراف ووسائل الاتصالات المتطورة. واستمر عبد الحميد في عملية الإصلاح والتحديث وبدأ بالتنظيمات، طالما أن هذا يقوي شوكة الإمبراطورية ولا يأتي على الامتيازات التي يحظى بها. وقد أدى تنفيذ المركزية المتزايد في الحكم إلى تقوية نظامه، إلا أنه ظهرت في نفس الوقت متناقضات أدت إلى تقويضه في النهاية. وكان التعليم أحد هذه المجالات التي حدث فيها ذلك. فقد أنشأ السلطان عبد الحميد المئات من المدارس الجديدة في جميع أنحاء الإمبراطورية وأنشأ كذلك حوالي عشرة معاهد للتعليم العالي في العاصمة. وعلى الرغم من أن هدف هذه المدارس كان غرس الإيديولوجية

(٨) Zürcher, *Turkey*, 85

(٩) للمزيد من المعرفة عن السلطان عبدالحميد، انظر: Dorys, *Private Life of the Sultan of Turkey*

الإسلامية الرسمية وإخراج جيل من الموظفين الموالين للسلطان، إلا أن نظام التعليم العلماني السائد، خاصة في المدارس الثانوية، جاء بنتيجة عكسية. أما في مجال التعليم الجامعي، فقد كانت الجامعات ساحات للمعارضة، خاصة مدرسة الطب العسكرية والكلية الحربية.[١٠] وكانت الأفكار التي نشرها "نامق كمال" ومعاصروه هي التي أشعلت النيران داخل عقول معظم المعلمين والطلبة على حد سواء. وأثناء هذا الوقت، قرأ سعيد النورسي أحد أعمال "نامق" الممنوعة. وقد أيقظ هذا سعيد النورسي الذي كان صغيرا، وهو بعيد في ماردين، كي يبدأ الصراع من أجل المشروطية. وقد ذاع بين الطلاب، وخاصة طلبة الطب، أعمال كانت تثير رد فعل مختلف تماما عنه، وهي التفسيرات المادية العلمية والفلسفة الوضعية.[١١]

من الأشياء الأخرى التي لم تكن تتصل مباشرة بعمليات الإصلاح، ولكن كان لها نتائج غير متوقعة هو التوسع في مجال الصحافة والنشر.[١٢] ولكن بسبب قوانين الصحافة التي كانت تمنع ذكر أي شيء أو حتى التلميح لموضوعات يمكن أن يكون لها علاقة بالسياسة أو الحكومة،[١٣] بدأت الصحف والدوريات في ملء صفحاتها بمقالات حول العلم المبسط والاكتشافات الجديدة في كل من أوروبا وأمريكا إلى جانب كل أنواع الموضوعات الإخبارية غير الضارة. وأصبح هذا النوع من الأدب يُقرأ بكثرة، وتزايد الطلب على هذه النوعية ودفع هذا بالناشرين إلى تقديم كم أكبر من المواد المتنوعة. وعلى الرغم من أن معظمها كانت مواد تافهة، إلا أنها فتحت أعين القُراء المتزايدين (ولكنها مازالت نسبة قليلة من عدد السكان) على العالم الغربي وقفزاته الهائلة في عالم الحضارة المادية.[١٤] وبدا من المنطقي أن

---

(١٠) Berkes, *Development of Secularism,* 275-6

(١١) Mardin, *Religion and Social Change,* 354; Hanioğlu, *Abdullah Cevdet,* 9-14; Hanioğlu, *Young Turks in Opposition,* 20-21

(١٢) Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 187ff

(١٣) لمعرفة الكتاب والكلمات المحظورة، انظر: Shaw and Shaw, *History,* 2:251

(١٤) Berkes, *Development of Secularism,* 276-82

نتصور أنه على الأقل كانت بعض الصحف والدوريات التي كانت تصل إلى بيت طاهر باشا في مدينة "وان" من هذه النوعية. أما الصحف أو المطبوعات ذات الطبيعة السياسية فقد كانت تدخل البلاد عن طريق مكاتب بريد السفارات الأجنبية.[١٥]

وكانت أول حركات المعارضة السياسية ضد قوانين السلطان عبد الحميد المانعة للحريات، من الطلبة الغاضبين في مدرسة الطب العسكرية، وقد أنشأوا جماعة سرية عام (١٨٨٩). ونمت هذه الجماعة تدريجيا عن طريق إنشاء خلايا تضم ضباط في الجيش ومسئولين في الحكومة وآخرين من المفكرين، سواء كانوا من الموجودين داخل البلاد أم من الموجودين في المنفى. وقد تكونت حركة "الأتراك الجدد"، كما كانت تُعرف في أوروبا، من مجموعات عديدة تمثل أفكارا متصارعة، ولكن كان هناك هدف مشترك بينهم جميعا وهو معاداتهم لاستبداد السلطان عبد الحميد داخل البلاد ورغبتهم في أن يروا إصلاحا جوهريا على المستوى الاجتماعي والسياسي، كما يرغبون في استعادة الدستور. وبعد أن انساق "مراد بك"، والذي كان قائدا للجماعة الإسلامية المحافظة، وراء وعود السلطان عبد الحميد بتطوير البلاد من الداخل، استرد "أحمد رضا بك" مكانته القيادية على الرغم من عدم رواج أفكاره عن الفلسفة الوضعية. وقد واجه تحديا آخر من الأمير صباح الدين، ابن أخت السلطان، حيث فضل حلا بديلا يتركز حول المبادرة الخاصة واللامركزية. بدأت عام (١٩٠٧) علاقة بين جماعة أحمد رضا في باريس والحركة الاستقلالية الثورية السرية داخل الإمبراطورية وكان مقرها في مدينة "مقدونيا". كانت هذه الجماعة، والتي عُرفت باسم "جمعية الاتحاد والترقي" تحظى بتأييد قوي من ضباط الجيش والموظفين المدنيين، وهي التي قادت ثورة المشروطية عام

(١٥) على سبيل المثال، جريدة "العثمانية" التي نشرها كل من عبد الله جودت وإسحاق سكوتي، وهما من كبار مؤسسي لجنة الاتحاد والترقي، في جينيف بداية من عام ١٨٧٩، قد تم تهريبها إلى الإمبراطورية عن طريق مكاتب البريد الفرنسية والاسترالية، Zürcher, *Unionist Factor*, 16؛ Hanioğlu, *Abdullah Cevdet*, 34ff

(١٩٠٨).[١٦] وهنا كان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، على الأقل، يؤمنون إيمانا عميقا بالمشروطية والحكومة النيابية كشرطٍ أساسي للحفاظ على وحدة الإمبراطورية،[١٧] خاصة في مواجهة الطموحات القومية للأقليات، وكذلك من أجل ضمان تقدمها المادي.

عندما نأتي للحديث عن سعيد النورسي وعلاقاته بجمعية الاتحاد والترقي، علينا أن نقول إنه يجب تناول هذه العلاقات بكل تفصيلاتها، كما فعلنا مع الجوانب الأخرى خلال الفترة الأولي من حياته. وهناك محاولة، في الدراسة التي بين أيدينا، لإلقاء الضوء على هذا الأمر عن طريق تحليل ما كتبه بنفسه عن الأتراك الجدد خلال أعماله، وعما هو معروف عن نشاطاته، وعن طريق تحليل أفكاره. ويكفي هنا أن نقول إنه على الرغم من أنه بدا أن سعيد كان يعمل مع لجنه الاتحاد والترقي في بدايات الثورة من أجل المشروطية، وأنه كان على علاقة ببعض أعضائها قبل الثورة، إلا أنه قد تحرر منها في وقت قصير كما فعل الكثيرون، ولم يتردد لحظة في أن يعارضها. وجاء رده على أحد الأسئلة التي وجهت له في مقال صحفي نشر في أبريل عام (١٩٠٩)، جاء فيه: "كنتَ تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي في "سلانيك"، فلماذا تركتهم بعد ذلك؟" فكان جوابه كالأتي: "أنا لم أتركها، ولكن بعض أعضائها هم الذين تركوها. وأنا لا زلت على عهدي مع أناس مثل "نيازي بك" و"أنور بك"،[١٨] ولكن بعضهم تركونا، فقد ضلوا عن الطريق واتجهوا ناحية مستنقع آسن".[١٩]

الحفاظ على وحدة الإمبراطورية - أحد أهم المشاكل الرئيسية التي واجهت

---

(١٦) لمعرفة تفاصيل عن لجنة الاتحاد والترقي، راجع: Ahmad, *Young Turks* ؛Arai, *Turkish Nationalism* Heyd, *Foundations of Turkish Nationalism*

(١٧) Zürcher, *Unionist Factor,* 22

(١٨) نيازي الرسنوي ١٨٧٣-١٩١٢ وكذا "أنور بك" ١٨٨١- ١٩٢٢ كانا "بطلا الحرية" انظر المرجع السابق ٢٠، ملحوظة رقم ٩؛ ٢٢، ملحوظة رقم ٢٠ ذكرا معا فيما لا يقل عن ٢٥ مرة في ١١٠ عدد من جريدة "فولقان" على أنهما مثل يحتذى به لمناصرتهما مبادئ المشروطية في خضم حالة التدهور العامة التي تلت الثورة

(١٩) Nursi, *"Lemeân-ı Hakikat," Volkan nos 103 Mart 31, 1325/Nisan 13, 1909, 105 Nisan 2, 1325/Nisan 15, 1909* المذكور في Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 504, 511

الحكومة - كان هدفا جعل النورسي يستمر في اتفاقه مع لجنه الاتحاد والترقي ويوجه الكثير من أنشطته نحوها. ومع هذا، وكما قال: "لا يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد امتزاج للأفكار، وهذا الامتزاج لا يتمّ إلاّ بالنور الوضيء للمعرفة ".[٢٠] ولهذا، فإن التعليم كان المجال الذي بذل من أجله الكثير من الجهد، خاصة من أجل أبناء بلده من الأكراد. وعلى عكس ما كان يتردد من الاتهامات التي أثارها أعداؤه ضده من أنه كان كردي النزعة، إلا أن هدف النورسي في جميع ما كان يقوم به من جهود للإصلاح ونشر التعليم في كردستان ومن أجل تقدمها المادي والثقافي، كان لتقوية الإمبراطورية العثمانية والعالم الإسلامي. وكانت هذه نيته حينما سافر إلى عاصمة الدولة العثمانية في نوفمبر عام (١٩٠٧).

ولنتوقف هنا عند عام (١٩٠٧)، ووصول النورسي لاستانبول.

خطاب طاهر باشا

كتب طاهر باشا، حاكم محافظة "بتليس"، الذي أمدَّ سعيد النورسي بكثير من الدعم والتشجيع، خطاب توصية له إلى القصر، يشير فيه إلى شهرته ومكانته بين علماء شرقي الأناضول، ويطلب من السلطان التكرم بالمساعدة في توفير العلاج الطبي لسعيد. وهذا العلاج كان من أجل الارهاق الذهني الشديد الذي يتعرض له بسبب الجهد الذهني الكبير الذي يبذله على مدار فترة طويلة من الوقت. وقد لاحظ ابن شقيق سعيد النورسي ويدعى عبد الرحمن بأن التنافس في حل المسائل الرياضية على وجه الخصوص هو الذي أرهق ذهنه، وأنه خلال إقامته في "وان" والتي تصل مدتها إلى ثلاث سنوات أقلع فيها عمليا عن الانغماس في مثل تلك المناقشات وكان لا يتحدث إلا بالكاد وعند الضرورة فقط.[٢١] وها هي ترجمة ما ورد في خطاب طاهر باشا:

التماس من أكثر خدم السلطان تواضعا:

---

(٢٠) النورسي، صيقل الإسلام، المناظرات، ص ٤٢١.

(٢١) Abdurrahman, *Tarihrç-i Hayatı*, 33-34

نظرا لأن الملا سعيد – والذي يعتبر من أشهر علماء كردستان بسبب ذكائه الحاد – كان في احتياج شديد للحصول على العلاج الطبي؛ فقد طمع في عطف الخليفة وكرمه وحمايته وطلب منه الدخول في كنفه.

رغم أن من تحدثنا عنه أنفا هو الشخص الذي يلجأ إليه كل من يقطن تلك الأماكن لحل المشكلات العلمية والمعرفية، ونظرا لأنه يعتبر نفسه طالبا، إلا أنه لم يقبل يوما بالانسلاخ عن ذلك.

علاوة على كونه خادما صادقا ومخلصا لسعادة ولي النعم، فإن المذكور آنفا هو بطبعه شهم ويرضى بالقليل. وهو في نظر هذا الخادم الوضيع، سواء بسبب صفاته الخلقية العظيمة أو بسبب ولائه وإخلاصه لسعادة الخليفة من بين علماء الأكراد الذين مازالوا يمتلكون الفرصة للذهاب إلى استانبول، شخص متميز بسبب إخلاصه وجدير بالبر. وبكل صراحة ومن المسلم به أنه إذا حصل على المعروف الذي طلبه فيما يتعلق بتلقي العلاج، فسوف ينظر كل علماء كردستان إلى ذلك على أنه معروف رقيق من عظمة السلطان لا يمكن نسيانه للأبد.

في هذا وفي كل الأمور ترجع القيادة إلى من تؤول له كل الأوامر.

٣ من تشرين الثاني ١٣٢٣ (١٦ نوفمبر ١٩٠٧)

طاهر، حاكم محافظة "بتليس"[٢٢]

خان الشكرجي

لم يرد أبدا أن هذا الخطاب قد لبى الطلب المنشود منه. وقد نزل سعيد عقب وصوله ضيفا على الفريق أحمد باشا الذي مكث معه لمدة شهرين.[٢٣] ومن الصعب الوقوف على سلسلة الأنشطة التي قام بها سعيد على مدار فترة السبعة أو الثمانية أشهر التي مكثها هناك حتى إعلان الدستور في ٢٣ يوليو عام (١٩٠٨) وحتى بعد ذلك. ومن المحتمل أن أحمد باشا، الذي لم يوافنا المصدر السابق بمزيدٍ من المعلومات عنه، قد قام بمساعدته في إعداد التماس يطلب فيه الدعم لمشروعاته التعليمية في كردستان وتقديمه إلى القصر مع

---

(٢٢) Şahiner, *Son Şahitler,* 1:41-42؛ والنسخة الأصلية في أرشيف مكتب رئاسة الوزارة، استانبول بين أوراق قصر "يلدز" الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وقد أعطى "Şahiner" نسخة وصورة من النسخة الأصلية ولكن لم يأت برقم الوثيقة.

(٢٣) Abdülmecid Nursi, *Hatıra Defteri,* 4, in Badıllı, *Nursi,* 1: 171

مساندته بالتوصيات اللازمة. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الطلب لم يقدَّم فعليا إلى القصر حتى مايو أو يونيو من عام (١٩٠٨).

كما استقر سعيد في أحد الفترات في منطقة محافظة في استانبول تسمى "فاتح"، وبدأ يتكيف مع علماء استانبول. وقبل مغادرته "وان"، قال له طاهر باشا كنوعٍ من التحفيز: "يمكنك أن تهزم كل علماء شرقي الأناضول، ولكن لا يمكنك أن تذهب إلى استانبول وتتحدى كل الأسماك الكبيرة في ذلك البحر"، فقد كان طاهر باشا يعلم أنه لا يمكن أبدا أن يترك ذلك التحدي دون أن يفحمه.[٢٤] وقد استقر في حجرة في مبنى كبير في حي فاتح يدعى "خان الشكرجي"، والذي كان يعد مأوى للعديد من أعلام الفكر البارزين في ذلك الوقت؛ حيث كان الشاعر محمد عاكف والعالم فطين مدير المرصد من بين نزلاء هذا المبنى. وفي ذلك الحين قامت كل الطبقات المثقفة، ما عدا العلماء منهم، بارتداء الملابس الغربية محتفظين بالطربوش فقط كعلامة على هويتهم الإسلامية، مما أثارهم لبس سعيد الزي التقليدي الذي يرتديه الناس في الأقاليم الشرقية المتخلفة، وتصادف ذلك مع التشكيك في أنه يتعين على كل فرد مهما كانت مكانته، ناهيك عن العلماء، وصف المشاكل المتأصلة في المنطقة وعرض اقتراحاته لحل تلك المشكلات بنوع من التأكيد والفصاحة. كما تحدى أيضا علماء المدارس والمدارس العلمانية أن يناقشوه ويلقوا عليه أسئلتهم. كما علق على باب حجرته في خان شكرجي لوحة مكتوب عليها: " هنا تحلّ كل معضلة ويجاب عن كل سؤال من دون توجيه سؤال لأحد". ومع ذلك، لم يكن يهدف بذلك إلى شد الانتباه إلى نفسه ولكن إلى مشكلات الأقاليم الشرقية ومن أجل نشر أفكاره عن الإصلاح التعليمي.

ونعرض فيما يلي انطباعات بعض زواره الذين أتوا إلى "خان" وآخرين ممن تقابلوا معه في ذلك الوقت، ولكن سنعرض أولا الواقعة التي أدت إلى اعتقاله؛ حيث يروي الدكتور حامد عراس، وهو طبيب من "غازي عنتاب" قائلا:

> حدث هذا خلال الفترة الدستورية الثانية عندما كنا طلابا في مدرسة الطب.

---

(٢٤) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٦٨ .

كان النورسي أيضا في استانبول في تلك الفترة، واختار النورسي من بين أساتذة المدارس أساتذة فاتح وأُعجب بهم. كان النورسي في ذلك الوقت ذائع الصيت ووصلت شهرته إلى كل مكان. وذات يوم استوقفه رجال الشرطة عندما كان يتجول في أراضي القصر، وقبضوا عليه وسألوه عما إذا كان يعلم أن هذه الحدائق جزء من القصر وأنها مِلكٌ للخليفة. ولكنه رد عليهم قائلا أنه يعرف هذا جيدا ولكن هذا لا يمنعه من التجول بها، وأن له الحق كأحد مواطني الدولة في التجول بتلك الحدائق. وقد اعتبرت السلطات أن هذه الواقعة خطيرة، وأرسلوه إلى طبيب الحكومة لفحصه، وكان ذلك الدكتور يونانيا. تحدث الطبيب مع سعيد وأثناء الحوار أخذ سعيد كتابا عن التشريح من خزانة الكتب وقرأ أربع أو خمس صفحات منه، ثم طلب من الطبيب أن يختبره في ذلك الجزء. واختبره الطبيب واندهش من المريض الذي استطاع أن يحفظ كل كلمة قرأها وأعادها أمامه. ثم أعرب الطبيب عن أسفه لسعيد، ومن ثم كتب تقريرا اطرائيا وأرسله إلى القصر من خلال رئيس الشرطة.[٢٥]

يقول "حسن فهمي باشا أوغلو" (الذي أصبح فيما بعد عضوا في هيئة الاستشارة للشئون الدينية في تركيا:

عندما كنت طالبا في " مدرسة فاتح" زمن المشروطية سمعنا بقدوم شاب إلى استانبول اسمه "بديع الزمان" علق لوحة على باب غرفته في "خان الشكرجي" الذي يقيم فيه كتب فيها : هنا إجابة لكل الأسئلة وحل لكل المشكلات، وقد خطر ببالي ان صاحب مثل هذا الادعاء لابد ان يكون مجنونا، ولكن كثرة الثناء والمديح المتكرر الذي بدأت اسمعه من الناس ومن الطلبة ومن العلماء الذين قاموا بزيارته أثارت في نفسي رغبة كبيرة لزيارته، فقررت أن أختار أصعب الأسئلة لأدق المسائل لأطرحها عليه، وكنت آنذاك أعدّ من الطلبة المتفوقين في المدرسة. وفي مساء أحد الأيام تهيأت واخترت من علوم العقائد أدق المواضيع التي تحتاج الاجابة عليها الى عدة كتب، وذهبت اليه في اليوم التالي ووجهت اليه تلك الاسئلة فكانت أجوبته خارقة ومدهشة وعجيبة فكأنه كان معي يدقق الكتب البارحة لأن أجوبته كانت تامة وكاملة. اما أنا فقد اطمأننت تماما وعلمت علم اليقين بان علمه ليس كسبيا كعلمنا، بل هو علم لدني، ثم أخرج لنا خارطة أوضح عليها مدى أهمية وضرورة فتح المدارس العلمية في شرقي البلاد التي كانت تدار آنذاك من قبل "القوات الحميدية"

---

(٢٥) Şahiner, *Bilinmeyen* 102-103

فبين عدم كفاية هذا الطراز من الإدارة لتلك المنطقة، كما بين ضرورة إيقاظ هذه المنطقة علميا وذلك بأسلوب مقنع، وانه لم يأت الى استانبول الاّ من أجل تحقيق هذه الغاية وكان يقول: (إن الدين هو ضياء القلوب، اما العلوم الحديثة فهي نور العقول).[٢٦]

ويسرد السيد " علي همت بركي" وهو من رؤساء محكمة التمييز السابقين ذكرياته حول وصول "بديع الزمان" إلى استانبول فيقول:

"كنت آنذاك طالبا في مدرسة القضاة (أي كلية الحقوق)، كنت متفوقا على كل الطلاب الآخرين. في تلك الأثناء ذاعت شهرة النورسي وانتشرت في أرجاء استانبول؛ حيث كان الجميع يتحدثون عنه في الدوائر العلمية. كما سمعنا بأنه نزل ضيفا في "خان" بمدينة "فاتح"، وأنه يجيب عن أي سؤال كان يوجه اليه، فشعرنا بفضول كبير وذهبنا لرؤيته في عدد من رفقائي الطلاب.

ذات يوم سمعنا أنه يحضر في صالة عامة يرد فيها على الأسئلة. لذا قررنا الذهاب إليه على الفور، فوجدنا حشدا كبيرا من الناس، وكان يرتدي ملابس غريبة، تختلف عن ملابس العلماء، ولكنه كان يرتدي الملابس التي يرتديها الناس في شرقي الأناضول.

عندما اقتربنا من النورسي كان منشغلا بالرد على الأسئلة التي وجهت له. وكان محاطا بالعلماء الذين كانوا يصغون إليه في هدوءٍ تامٍ وعجبٍ مما يقول. وكان الجميع راضين وسعداء بالإجابة التي يتلقونها. كان جالسا يتناول بالتفنيد والدحض الفلسفة السوفسطائية بأدلة عقلية ومنطقية. كما شاع عنه أيضا أنه كرجل دين لم يكن يقبل هدايا أو أموال أو إحسان من أحد. كما كان بإمكانه تملك أشياء عديدة لو رغب في ذلك، ولكنه لم يمتلك حتى عصا في هذه الدنيا.[٢٧]

ويقدم "عبد الله أنور أفندي" المعروف "بالمكتبة المتنقلة" هذه الرواية:

كان "حربي زادي حسن أفندي من طواس" معلما في مدرسة الفاتح، وكان شخصية علمية جليلة. وظل حتى التسعين من عمره منشغلا بالتعليم حتى أواخر أيامه. ولم ينقطع يوما عن الذهاب للمدرسة، ولكنه ذات يوم قال لهم: "لا أستطيع الحضور اليوم لأن رجلا يدعى "بديع الزمان" وصل من شرقي الأناضول وأنا ذاهب

---

(٢٦) Başoğlu, "Bir Hatıra," *Uhuvvet Gazetesi* Istanbul, 11,12,1964 ؛ Şahiner, *Bilinmeyen* 87-89

(٢٧) علي همت برقي في Şahiner, *Son Şahitler1:159-160*

لزيارته، وترك المدرسة وذهب إلى زيارته في (خان شكرجي). وعقب عودته أعرب عن الألفة والاندهاش اللذين شعر بهما قائلا لتلاميذه: "هذا الشخص لم ير الزمان مثله من قبل، فهو أعجوبة دهره، ولم يَجُد الزمان بمثله بعد."(٢٨)

أخيرا، هذه حكاية طريفة عن النورسي يحكيها لنا "حجي حافظ أفندي"، الذي اعتاد حضور المناقشات التي تعقد في مدرسة الفاتح في فترة المناقشات النشيطة. تلك الحكاية يرويها لنا ابنه "فيصلي بيك" من مذكرات أبيه.

ذات يوم كان بعض العلماء مجتمعين في ساحة مسجد الفاتح لمناقشة أمرٍ ما، ولكن لم يستطع أي منهم إقناع الآخر وحل المشكلة بأية طريقة. وكانت المناقشة مستمرة عندما ظهر بديع الزمان مرتديا زي البلد مع شال وقلنسوة من الفرو على رأسه. فقد تعرفت عليه وعلمت عن معرفته ومكانته العلمية والمعرفية العالية، ولذا قررت الجلوس والمشاهدة مرة ثانية.

وحينئذ سأل النورسي العلماء قائلا: ما هي المسألة التي تتناقشون فيها؟ هل من الممكن لي أن أعرفها؟ أيمكنكم أن تخبروني بها من فضلكم؟

وحينما نظر العلماء إلى ملابسه المتواضعة، أجابوه: "أنظر! يا أفندي! إنك لن تفهم هذه المسائل. انصرف واذهب لحالك!".

لكن هذا لم يسبب أي ألم أو إزعاج للنورسي، وعلم بالأمر وبدأ في إيضاحه وشرحه بطريقة منسقة، ودلل على ما قاله بآيات من القران الكريم وأحاديث من السنة النبوية لدرجة أن الجميع قد فتحوا أفواههم من هول المفاجأة؛ لأن النورسي استطاع إقناعهم تماما، لدرجة أنه قد يُخيّل إليك أنه كان بجانب النبي ص عندما نزلت عليه هذه الآيات. وعقب ذلك اتجه العلماء إليه مهللين ومصفقين له ولكن النورسي اعتذر بتواضع، وغادر المكان.(٢٩)

بعد مرور أربعين عاما، شرح النورسي في خطابٍ أرسله إلى تلاميذه كيف سلكت حياته المسار الذي حدده لها حتى يتمكن من تأليف رسائل النور، وأخبرهم بمزيد من الإيضاح قائلا:

في طريقي إلى استانبول وقبل الحرية، وقع بين يدي العديد من الكتب الهامة في علم الكلام، عكفت على دراستها بعناية بالغة. وعندما وصلت إلى استانبول،

---

(٢٨) Şahiner, *Bilinmeyen* 90

(٢٩) حسن صاري قايا Şahiner, *Son Şahitler,1:188*

وجهت دعوات إلى كل من العلماء والمعلمين في المدارس العلمانية للتناقش معهم معلنا لهم أنه يمكنهم توجيه أية أسئلة يرغبونها في طرحها علي. وكانت الأسئلة التي وجهت لي مذهلة، ولكنها جميعها كانت عن أمور ومسائل قمت بدراستها وأنا في طريقي إلى استانبول، وكانت جميعها محفورة في ذاكرتي، كما كانت المسائل التي وجهها لي دارسو الفلسفة (من طلبة ومدرسي العلوم العصرية) أيضا عبارة عن أمور وأشياء راسخة في عقلي. وقد أصبح من المفهوم الآن بأن نجاحي منقطع النظير وعلو مكانتي وذيوع شهرتي - التي لا استحقها - بالإضافة إلى إظهار موهبتي، كانت تعد الأسس التي من خلالها يمكن لاستانبول وعلمائها أن يقبلا في المستقبل رسائل النور والتسليم بأهميتها.(٣٠)

أوروبا حبلى بالإسلام

في تلك الأثناء، قام الشيخ محمد بخيت(٣١) - أحد كبار علماء جامعة الأزهر بالقاهرة (والذي تولى منصب مفتي الديار المصرية لفترةٍ ما)- بزيارة استانبول، وطلب علماء استانبول، الذين عجزوا عن التفوق على النورسي في المناظرة، من الشيخ بخيت مقابلة النورسي. قبل الشيخ بخيت الأمر، وسنحت الفرصة له يوما بعد أداء الصلاة في مسجد "أيا صوفيا"؛ حيث كان النورسي جالسا في صالة الشاي، وفي حضور بعض العلماء الآخرين، اقترب الشيخ بخيت من النورسي وسأله السؤال التالي: "ما تقول في حق هذه الحرية العثمانية والمدنية الأوروبية؟"

أوضحت إجابة النورسي التلقائية مدى واقعيته وبُعد نظره، فقد قال: "إن الدولة العثمانية حبلى بدولة أوربية، ويوشك أن تلدها يوما ما، كما أن أوروبا حبلى بالإسلام، ويوشك أن تلده يوما ما."

فأثنى الشيخ على الإجابة قائلا: "لا يمكن مناظرة هذا الشاب" وأضاف قائلا "إنني أرى ما يقوله، ولا يمكن لأحد أن يجيب بهذا الإيجاز وهذه البلاغة الرائعة سوى بديع الزمان".(٣٢)

---

(٣٠) النورسي، الملاحق: ملحق اميرداغ ـ ١، ص: ٢٥٦

(٣١) لمزيد من المعلومات عن حياة الشيخ محمد بخيت (توفي عام ١٩٣٥)، انظر: *Şahiner, Son Şahitler1:177-178*؛ وايضا *Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi*

(٣٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص:٨٤ النورسي؛ الملاحق: ملحق اميرداغ ٢، ص: ٣٨٦

اقتراحات الإصلاح التعليمي

في مايو أو يونيه عام (١٩٠٨)،[٣٣] قدَّم سعيد للقصر عريضة حدد فيها أفكاره حول الإصلاح التعليمي، وقد نُشرت هذه العريضة في جريدة الشرق وجريدة كردستان في ١٩ نوفمبر عام (١٩٠٨)، إلا أن تقديم الجريدة للمقال أوضح أن هذا الحدث كانت له عواقب غير محمودة؛ فقد نجح النورسي، في الفترة القصيرة التي قضاها في استانبول، أن يجذب إليه الانتباه سواء على نحو إيجابي أو سلبي؛ حيث نجح في الحصول على مساندة الناس، لكن عندما كان الأمر يتعلق بالسلطات المعنية، يظهر الجانب المعادي له. ولأن النورسي كان شخصا مثيرا للجدل في مثل هذه الأوقات التي ساد فيها القمع، فقد كان من الحتمي أن تفرض عليه رقابة شديدة، بل ووضعه تحت الإقامة الجبرية.[٣٤] بالإضافة إلى ذلك، أضمر له الكثيرون من بني مهنته العداء لغيرتهم من علمه وذيوع صيته، ومع هذا لم يكن للنورسي سوى هدف واحد: هو خدمة قضية الإسلام والإمبراطورية، ولذا لم يخف في الله لومة لائم. وها هو نص العريضة، ولكنه مسبوق ببعض الكلمات التمهيدية التي أضافتها الجريدة.

نتشرف بأن نقدم نص الاقتراح الذي تقدم به بديع الزمان الملا سعيد أفندي إلى القصر، والذي تعرض سعيد بسببه للعديد من المتاعب والمصاعب:

> من أجل مواكبة حركة التقدم مع الدول الأخرى الشقيقة في عالم المدنية وعصر التقدم والمنافسة، تم إنشاء المدارس كخدمة تقدمها الحكومة في مدن كردستان وقراها، وقد لاقى ذلك امتنانا كبيرا، إلا أن الأطفال الذين يتحدثون التركية هم من يستفيد من هذه المدارس فحسب. وحيث إن الأطفال الأكراد الذين لم يتعلموا اللغة التركية يعتبرون أن المدارس هي منبع العلم، ولأن المدرسين في المدارس (من أصحاب المدارس العلمانية الجديدة) لا يعرفون اللغة المحلية، فإن

---

(٣٣) في مقالة بعنوان "إفادة المرام" التي كتبت عام ١٩٠٨، يصف النورسي ما يكتبه من إجابة أربعة وأربعين سؤالا عن الإسلام التي سألها الزائرون من اليابان الذين أتوا إلى استانبول قبل شهرين من إعلان الحرية، وقد سألوه عنها قبل ذلك بستة أشهر. النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: ٣٠، يُفهم من هذا أن الإجابات كانت في مايو عام ١٩٠٨، وأن المشادة مع باشاوات "مابين" والسجن كان في مايو/ أو يونيو عام ١٩٠٨، وأن المقالة قد كتبت في نوفمبر.

(٣٤) علي رضا صاغمان في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:161-163

هؤلاء الأطفال لا يزالون محرومين من التعليم، مما يترتب عليهم أن يبقى سلوكهم غير متمدن، كما ستكون الفوضى التي تسيطر عليهم محل سخرية وشماتة الغرب. وبما أن الناس ستظل على تلك الحالة البدائية، والتقليد المتخلف والأعمى، فسيظلون فريسة للشكوك والارتياب. وهذه الأمور الثلاثة ستكون بمثابة صفعة مدوية للأكراد في المستقبل، وهو ما يعد مصدرا لقلق ذوي البصائر والعقول.

ومن أجل معالجة ذلك: يجب إنشاء ثلاث مؤسسات تعليمية في مناطق مختلفة من كردستان كنموذج يُحتذى به وكتشجيع ودافع للآخرين، على أن تُقام إحدى هذه المؤسسات في بيوت الشباب وهي مركز عشائر "الأتروش"، وأخرى في وسط عشائر "متكان" و"بلكان" و"ساسون"، وواحدة في وسط "وان" نفسها والتي تقع وسط عشائر "حيدر" و"سبكان". ويجب أن يطلق عليها اسم "المدارس الدينية"، ويجب أن تُدرس كلا من العلوم الدينية والعلوم الحديثة. كما يجب أن تضم هذه المدارس خمسين طالبا على الأقل، تتولى الحكومة الإنفاق عليهم. كما ستكون إعادة إحياء عدد من المدارس الأخرى عاملا فعالا في تأمين الحياة المستقبلية في كردستان على شتى أوجهها المادية والروحية والأخلاقية. وبهذه الطريقة يمكن وضع أساس للتعليم، بل ويمكن أن يؤدي هذا إلى نشر هذا الأمر خارجيا، إذا ما نُقلت هذه القوة الهائلة إلى الحكومة والتي تنغمس حاليا في الصراع الداخلي. كما يُظهر ذلك، إلى حد كبير، مدى أحقية الأكراد في التمتع بالعدل وقدرتهم على التحضر والتمدن، بالإضافة إلى جدارتهم في إظهار ما مُنحوا من قدرات.[٣٥]

كيف قدم سعيد النورسي عريضته، وماذا حدث بينه وبين باشاوات "القصر"؟ هذا ما لا يعلمه أحد. وقد كان هذا الجزء من القصر هو المكان الذي اعتاد فيه السلاطين، على مدار التاريخ، استقبال الزوار، والذي تحول أيام عبد الحميد "إلى "دواوينية كبيرة"[٣٦] تحل محل الباب العالي كمركز للحكومة. وقد رأى الباشاوات – وهم موظفون كبار لدى السلطان وذويه - أنه نوع من الوقاحة والتطاول أن يأتي ملا صغير السن باعتمادات من مناطق نائية من الإمبراطورية ويكون على هذا القدر من الجرأة، ويقدم اقتراحات تنم عن انتقاد لسياسات جلالة السلطان التعليمية. وربما علم هؤلاء الباشاوات بأنشطته عن

(٣٥) النورسي، سيرة ذاتية، ص: ٤٩٩
(٣٦) Zürcher, *Turkey*, 83

طريق الأسراب الهائلة من عملاء الحكومة وعيونها الذين كانوا يمدون مكتب السلطان بتقارير يومية عن تحركات أي فرد في الدولة، وربما أثار سعيد حنقهم عندما طلب مقابلة السلطان نفسه مقابلة رسمية، ولكننا على يقينٍ تام من أنه تحدث إليهم علنا على نحو لم يألفوه من قبل. وعلى أية حال، فقد ألقوا القبض عليه، وبعد فحصه على يد الأطباء أحاله أحدهم وكان أرمنيا إلى مستشفى "طوب طاش" للمجانين، ثم جاء التقرير من الطبيب في صالحه، وقد ذهل الطبيب الذي أرسله القصر لفحص سعيد، وقد تسبب هذا في قيام السلطات بنقله من المستشفى لتزج به في السجن. وقد انصبَّ جزء من الحوار الذي دار بين سعيد وبين الطبيب حول أفكار سعيد عن الإصلاح التعليمي. وعند هذه النقطة وقبل الشروع في وصف هذا الحوار، يجب علينا أن نلقي نظرة موجزة عن تلك الأفكار بصفة عامة، يسبقها مسح موجز عن أحوال المدارس في أواخر حكم السلطان عبد الحميد.

لقد كانت المدارس في أواخر عهد السلطان عبد الحميد في حالة سيئة للغاية؛ حيث كانت تعاني من كم المناهج والمواد الدراسية الجامدة التي لم تتغير منذ القرن الخامس عشر،[٣٧] والمباني المتصدعة،[٣٨] وعدم وجود مرافق للطلاب بها، بالإضافة إلى مصادر الدخل المستقلة التي تعتمد على "الأوقاف" التي خصصتها الحكومة المركزية لها في عام (١٨٤٠).[٣٩] وكان هذا نتاجا طبيعيا لفترة طويلة من التدهور عجل به الإصلاح التعليمي الذي قامت به التنظيمات الأولى، والذي قام به بعد ذلك السلطان عبد الحميد نفسه. وكما أشرنا من قبل، اسُتبدلت المدارس الدينية والمؤسسات التعليمية برمتها بالأنظمة القانونية والتعليمية ذات الطابع الغربي التي جاءت بها التنظيمات، وهو ما انتهجه السلطان عبد الحميد، الأمر الذي لم يتوقعه أحد. ونظرا لما انتهجه السلطان عبد الحميد من سياسات الأسلمة ومناصرة الإسلام، انتظر منه العلماء دعما فعالا في النواحي الأخلاقية والمادية وغيرها، إلا أنهم أُهملوا إلى حدٍ

---

(٣٧) Sarıkaya, *Medreseler ve Modernleşme,* 82

(٣٨) المرجع السابق، ص٧٩

(٣٩) المرجع السابق، ص ١٩١، ١٩٢

كبير. أما المدارس التي كان من المفترض أن تكون قد أخرجت أجيالا جديدة من العلماء، فلم يكن مصيرها سوى المزيد من التدهور،(٤٠) وكان سبب هذا التدهور في كلتا الفترتين على الأرجح هو الخوف من تأثير العلماء والرغبة في القضاء على هذا التأثير.(٤١) أما الموقف في شرقي الأناضول – وكما سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول - فقد استعاد ما كان عليه بفضل الطريقة النقشبندية/ الخالدية والمدارس التي أقامتها هذه الطريقة، وبغير ذلك لما حظي المتعلمين بأي مكانة.

بعد أن انتهى الحكم الفعلي للسلطان عبد الحميد عقب اندلاع الثورة من أجل المشروطية، بدأت عمليات إصلاح جادة، وقبل ذلك، كان العديد من العلماء قد نشروا مقالات وأبحاثا لهم عن هذا الموضوع، بيد أن أفكارهم لم توضع موضع التنفيذ. ومن أبرز هؤلاء العلماء علي صعاوي،(٤٢) والعالم محي الدين،(٤٣) وهناك قدر كبير من التشابه بين أفكار النورسي وأفكار هذا الأخير، خاصة فيما يتعلق بإدخال العلوم الحديثة إلى المدارس الدينية، والمناهج المهملة التي عفا عليها الزمان، وتأمين وضع مماثل للمدارس الدينية التي تم إصلاحها، وكذلك مثيلاتها التي تدرس العلوم الكونية. ومع ذلك، تميزت اقتراحات النورسي حول الإصلاح لأنها تناولت مشكلات الشرق على نحو خاص.

---

(٤٠) في مقالة صحفية نشرت في مارس عام ١٩٠٩، يصف النورسي للسلطان في حوار أسطوري كيف يجب عليه أن يعمل كخليفة في عصر جديد من المشروطية قائلا: "إذ لم يُهرق دم في قلب الممالك، استانبول وأنت برأفتك وشفقتك رضيت بها دون إراقة دم فاجعل قصر "يلدز" المكروه لدى الناس محبوبا إليهم، وذلك بتنويره بملائكة الرحمة، العلماء العاملين، بدلا من الزبانية السابقين وحوّله إلى جامعة إسلامية تحيا فيها العلوم الإسلامية وارفع من مستوى المشيخة الإسلامية والخلافة إلى ما يليق بهما وداو - بقدراتك وثرواتك - ضعف الدين الذي أصيبت به الأمة في قلبها والجهل الذي أصيبت به في رأسها لتظل الأسرة العثمانية متربعة على برج الخلافة ناشرة العدالة إلى الأرجاء" Bediüzzaman Kürdi'nin Fihriste-i Makasıdı," *Volkan,* no: 84 Mart (12,Mart 1325/ 24, 1909)، Düzdağ, *Volkan Gazetesi,407*

(٤١) Sarıkaya, *Medreseler ve Modernleşme,* 76, 77

(٤٢) المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦؛ وانظر أيضا: Çelik, *AU Suavi ve Dönemi,* 650-56

(٤٣) Sarıkaya, *Medreseler ve Modernleşme,* 96-100

يدور محور اقتراحات سعيد النورسي حول الإصلاح الديني حول التقريب بين "الأفرع الرئيسية الثلاثة" للنظام التعليمي؛ وهي المدارس الدينية التقليدية، والمدارس الجديدة، والتكايا أو المدارس الصوفية، والنظم التعليمية التي قدمتها هذه المدارس. وقد تجسد هذا التقارب في "مدرسة الزهراء" التي أشرنا إليها سابقا، وقد نوَّه النورسي بأهمية إنشاء جامعة تُدرس فيها العلوم الدينية جنبا إلى جنب مع العلوم الكونية، بل وظل النورسي يسعى وراء هذا الهدف طوال حياته.

أما الجزء الثاني الرئيسي من اقتراحات النورسي فيكمن في إعادة تنظيم التعليم في المدارس الدينية تنظيما كاملا، وأن تكون هذه المدارس عصرية في طريقة عملها. وقد تضمنت تلك المدارس ما يمكن وصفه بديمقراطية نظام المدارس الدينية وتنوعه حتى يمكن تطبيق "قاعدة تقسيم العمل".

ويتعلق الجانب الثالث بالدعاة "الذين كانوا يرشدون العامة". وفي الوقت الذي رأى فيه النورسي أن دور مدرسة الزهراء من الأهمية بمكان لتأمين مستقبل كردستان ووحدة الإمبراطورية، إلا أن المبادئ العامة التي كانت تمثلها كانت تنطبق على المدارس الدينية. وقد ذكر النورسي في عريضته العديد من الأحوال التي رأى أنها على قدر كبير من الأهمية: يجب أن تُعرف مدرسة الزهراء والمنشأتان المماثلتان لها بالاسم المألوف "المدارس الدينية"، ويُدرس بها باللغة التي يعرفها الطلاب الذين سيتلقون العلم بها. وفي عمل آخر للنورسي وهو "المناظرات"، يذكر أنه يجب أن تدرس في هذه المدارس اللغات الثلاث؛ اللغة العربية وتكون "إجبارية"، واللغة الكردية وتكون "اختيارية"، واللغة التركية وتكون "ضرورية"،[٤٤] كما ذكر في العمل ذاته أنه يجب اختيار معلمين أكراد يحظون بثقة الأتراك والأكراد على حد سواء، كذا يجب اختيار هؤلاء الذين يجيدون اللغات المحلية. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار قدرة المجتمع الذي يدرسون فيه ودرجة ثقافته. علاوة على ذلك، يجب أن تكون المدارس الدينية على قدم المساواة مع المدارس الرسمية، كما يجب أن تحظى

(٤٤) النورسي، صيقل الإسلام، ص:٤٢٨.

الاختبارات في المدارس الدينية بقدر الاهتمام الذي تحظى به اختبارات تلك المدارس. ويتضح من خلال ذلك أن أساس النظام التعليمي الذي اقترحه النورسي هو الجمع بين تدريس العلوم الدينية والعلوم الحديثة.

لقد أصبحت مناهج المدارس الدينية بمرور الزمن محدودة عقيمة مع رفضها للتطورات العلمية المعاصرة، لذلك كان العلماء المتخرجون منها إبان مطلع القرن العشرين يرون – مثل الأوروبيين- أن هناك تصادما وتعارضا جوهريا بين بعض "الظواهر" الإسلامية وبعض الأمور العلمية مثل كروية الأرض. وقد أدى هذا الفكر الخاطئ إلى تفشي مشاعر اليأس والقنوط، وإغلاق باب التقدم والمدنية. وقد أشار النورسي قائلا: " الاسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها".(٤٥)

على المستوى الإنساني، وجد النورسي في الدين تمثيلا للقلب والضمير، والعلم والعقل؛ كلٌ منهم ضروري من أجل حصاد ثمرات التقدم الحقيقي:

"ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية."(٤٦)

وإذا نظرنا إلى الأمر على نطاق أوسع، نجد أن مدرسة الزهراء عملت على توحيد التقاليد الثلاثة في النظام التعليمي بتقديم "أرقى المدارس الرسمية عن طريق العقل، وأفضل المدارس الدينية عن طريق القلب، وأقدس الزوايا عن طريق الضمير."

ونظرا لقيمتها الفريدة للعالم الإسلامي، سيأتي اليوم الذي تحصل فيه هذه المدارس على استقلالها المادي عن طريق التبرعات أو التركات التي تؤول إليها.

وسوف تتعدد فوائد هذا النظام؛ فهو يضمن مستقبل العلماء في الأقاليم الشرقية من ناحية، كما أنه في الوقت ذاته يُعد خطوة نحو توحيد النظام العام وإصلاحه. فهل يُنقذ هذا الإسلام من التعصب، والخرافات، والمعتقدات الخاطئة التي أحاطت به على مدى قرون طويلة؟ الأهم من ذلك هو أنه سيكون

(٤٥) النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات ص: ٢٢
(٤٦) النورسي، صيقل الإسلام، المناظرات، ص:٤٢٨

طريقة لتقديم العلم الكوني في هذه المدارس الدينية بطريقة تحد من شكوك العلماء المتعلقة بالعلوم الكونية، كما "سيفتح الباب أمام نشر الجوانب المفيدة من مبادئ المشروطية."[٤٧]

لقد تمنى النورسي للإسلام أن يعمل كمجلسٍ استشاري، بمعنى تطبيقه من خلال الشورى مع "أنماط التعليم الإسلامي الثلاثة"؛ المدارس الدينية، والمدارس الحديثة، والتكايا الصوفية حتى يكمل كل منهم ما ينقص من الآخر، وقد أراد النورسي أن تكون مدرسة الزهراء تجسيدا لذلك.[٤٨]

إن تحول المدارس الدينية – حسب رأي النورسي- من مؤسسات "أحادية" إلى مؤسسات "متعددة"، ووضع "قانون تقسيم العمل" حيز التنفيذ يتفق وحكمة الكون وقوانينه. لقد أدى الفشل في تحقيق ذلك في القرون السابقة إلى تفشي الاستبداد واستغلال التعليم في المدارس، ومارس مهنة التدريس أشخاص غير مؤهلين لذلك؛ مما أودى بالمدارس الدينية إلى نهايتها.[٤٩]

وهناك بعض النقاط الأخرى التي وردت في حوار النورسي مع الطبيب نذكرها فيما بعد.

أخيرا، هناك نقطة أخرى ربما يؤدي ذكرها إلى النظر إليها على أنها عنصرية؛ وهي رأي النورسي في ضرورة غلبة "الرأي العام" بين العلماء والطلاب. وهذا يعني أن النورسي كان يرى أن "التعسف الدراسي" – الناتج عن الاستبداد السياسي - هو الذي فتح الباب على مصراعيه أمام التقليد الأعمى، بل وأعاق طريق البحث عن الحقيقة". وإذا كانت هناك رغبة في احتواء المشكلات التي يعاني منها العصر الحديث وضمان تقدمه، فيجب إرساء "مبادئ المشروطية بين العلماء" في دولة العلماء. وبالمثل، يجب أن تكون الغلبة بين الطلاب "للرأي العام" أو الأفكار السائدة التي تتولد من الجدل وتبادل الأفكار بين الطلاب من مختلف الانتماءات. وقد توقع النورسي بأن

---

(٤٧) انظر: المرجع السابق، ص ٤٣٠

(٤٨) انظر: المرجع السابق، ص ٤٣٠

(٤٩) انظر: النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات ص: ٤٣

ذلك سيكون حافزا وباعثا قويا للتقدم، ومن ثم "فإذا كانت الغلبة للرأي العام في الدولة، فيجب أيضا أن يكون الرأي بين العلماء للمفتي، وبين الطلاب للمعلم والمدرس."(٥٠)

بعد ذلك بسنوات، كتب النورسي قائلا: "لقد وُلدت في قرية "نورس" بإقليم "بتليس". ومنذ أن أصبحت طالبا دخلت في مساجلات مع كافة العلماء الذين قابلتهم في حياتي، وبتوفيق الله تمكنت من الظفر على كل من تحداني في جدل علمي، وقد دفعني هذا إلى الاستمرار في المساجلات مما كان له أثر في هذا المجد الذي جر علي العديد من الكوارث. وبتحريض من خصومي، وبناء على أوامر أصدرها السلطان عبد الحميد، زُجَّ بي إلى مستشفى الأمراض العقلية."(٥١)

مستشفى (طوب طاش) وحديث النورسي مع الطبيب

لا يعلم أحد بالضبط الفترة الزمنية التي قضاها سعيد في معاناته في مستشفى الأمراض العقلية، إلا أنه أُطلق سراحه في آخر الأمر بفضل التقرير الذي قدمه الطبيب. وفيما يلي نص الحديث الذي دار بينه وبين الطبيب، والذي أدى مباشرة إلى التقرير الذي كان في صالح النورسي، فهو يشرح للطبيب بوضوحه ومنطقه المعتاد أهدافه ونواياه، ولماذا كان سببا في إثارة المعارضة في استانبول.

في البداية يشير سعيد إلى أربع نقاط يجب على الطبيب أن يأخذها في اعتباره وهو يشخِّص المرض، فيشير النورسي أولا إلى خلفيته؛ حيث إن "الفضائل السائدة في كردستان هي الشجاعة، واحترام الذات، والتدين، واتفاق القلب واللسان، ويعتبرون الأمور التي يُنظر إليها بمقاييس التحضر على أنها أدب وتهذيب ضربا من ضروب التملق."

ثانيا، لا يجب على الطبيب أن يحكم عليه بطريقة سطحية حسب الأعراف المنحرفة التي كانت سائدة، بل عليه أن يدرك أن سعيد يتخذ من الدين معيارا

---

(٥٠) Nursi, *"Bediüzzaman Kürdi'nin Fihriste-i Makasıdı"* Mart 11, 1325/Mart 24, 1909, Düzdag, *Volkan Gazetesi,* 403

(٥١) النورسي، الشعاعات، ص ٥٤١

لأفعاله؛ حيث ينوي سعيد من خلاله خدمة الأمة والوطن والدين. ثالثا، يوضح سعيد أن بعض أهل السلطة لا يطيقونه لأنه استطاع أن يوجد حلولا لمشكلات ليس لها حل حتى الآن، وكل ما أمكنهم فعله هو رميه بالجنون. رابعا، لقد قضى سعيد خمسة عشر عاما من حياته سعيا وراء الحرية الإسلامية، تلك "الحرية التي تتوافق والشريعة الإسلامية"، والآن يمنعونه من معرفة ما يحدث، والحرية التي ينشدها قاب قوسين أو أدنى من أن تصبح حقيقة، فكيف له ألا يغضب؟ ثم أضاف: "ستجد في كل ألف من الناس شخصا واحدا غير مصاب بهذا الجنون المؤقت."

ثم بدأ سعيد يفصل القول في هذه النقاط، مؤكدا أنه ليس عنده أي استعداد أن يضحي بأهدافه أو مبادئه المقدسة - التي تهدف إلى الصالح العام - من أجل منفعة شخصية أو من أجل أن يحظى بقبول أكثر.

أولا، لقد كان هدف سعيد هو تقوية الإمبراطورية العثمانية وتقدمها من خلال التطور والتقدم التعليمي والمادي والثقافي في كل أرجائها. فقد أراد من وراء الاحتفاظ بزي منطقته والجهر بحبه لها أن يؤكد في عاصمة الإمبراطورية أهمية التنمية الإقليمية وإبراز الحاجة إلى الصناعات المحلية، وقد أوضح سعيد بإعلانه ذلك ولاءه للسلطان سليم (١٥١٢-١٥٢٠)، هذه الشخصية الصارمة التي قال عنها سعيد إنه كان يكرس حياته لنفس الهدف وهو الوحدة، فقد لعبت الإصلاحات التي كانت تهدف إلى تنمية الأقاليم دورا في تعزيز وحدة الإمبراطورية، ومن ثم تقوية الوحدة الإسلامية.

ثانيا، لقد أثار سعيد المعارضة بسبب مجادلته مع العلماء، وهو الآن يشرح للطبيب أنه أراد بذلك ضرب مثال عملي لحل حالة الركود التي منيت بها المدارس الدينية، كما كان يوصي بمزيدٍ من المشاركة الفعالة في عملية الدراسة من جانب الطلاب. ويورد النورسي سببا آخر لتخلفهم؛ وهو أن العلوم المساعدة (مثل علم المنطق والعلوم اللغوية) قد حلت محل العلوم الدينية مثل (علوم التفسير، والحديث، والكلام). ومن ثم، يؤكد سعيد على الحاجة إلى جدال فعَّال وعلى دور التنافس في بعث الروح في المدارس الدينية، وكذا على

أهمية العلوم الدينية الأساسية، ثم يذهب النورسي إلى التأكيد على الحاجة إلى التخصص في العلوم. ويمكن للطلاب - من خلال اتخاذ علم واحد كأساس والاقتصار على دراسة مواد أخرى تمكنهم من إتمام مجال الدراسة الرئيسي- دراسة هذا العلم بعمق كافٍ والتوغل في دراسته على النحو المطلوب.

ثالثا، يُفسر سعيد أسباب التباعد والاختلاف بين فروع النظام التعليمي المتنوعة، والتي يرى أنها سبب رئيسي وراء تخلف الحضارة الإسلامية؛ والتي تعد حضارة حقيقية فيما يتعلق بالحضارة المعاصرة، فهو يقول: "إن أهل المدارس الدينية يرمون أهل المدارس بضعف الإيمان لما يُعرف عنهم من تفسير حرفي لبعض الأمور، أما أهل المدارس فيرون أهل المدارس الدينية جهلاء لا يُعول عليهم؛ بسبب عدم إلمامهم بالعلم الحديث، كما ينظر علماء المدارس الدينية إلى أهل التكايا على أنهم أتباع البدع.

ويؤكد النورسي أثناء حديثه عن الاختلافات بين هذه الأنواع على ضرورة إزالة العوائق بينهم جميعا، وكنوع من الإصلاح، يُدرس العلم الحديث في المدارس الدينية بدلا من "الفلسفة القديمة المهملة"، كما تُدرس العلوم الدينية "كاملة" في المدارس الحديثة، كما يجب أن يوجد بعضٌ من أفضل العلماء من المدارس الدينية في التكايا الصوفية. ويذهب النورسي بعد ذلك إلى تحليل الأسباب التي تكمن وراء عدم فاعلية الدعاة، الذين كانوا يلعبون ذلك الدور الحيوي في تعليم العامة من الناس؛ فقد أراد النورسي من الدعاة "أن يكونوا علماء باحثين حتى يمكنهم إثبات ما يدعونه، وفي نفس الوقت أن يكونوا فلاسفة مهرة حتى لا يفسدوا ما للشريعة من اعتدال، كما يرى ضرورة تحليهم بصفتي البلاغة والقدرة على الإقناع؛ فاتصافهم بتلك الصفات أمر أساسي."[٥٢]

لقد بات واضحا للطبيب أن سعيد ليس مختلا البتة،[٥٣] فأعد تقريرا بذلك. وأيما كانت الأسباب التي جاءت به إلى مستشفى الأمراض النفسية، فهي

(٥٢) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyye,324-29*

(٥٣) هناك روايتان يبينان أيضا أن أطباء آخرين وصلوا إلى نفس النتيجة:
Şahiner, *Bilinmeyen* 102-103 ؛Şahiner, *Türk* ve *Dünya Aydınlarının Gözüyle Nurculuk Nedir?* 142-143

أسباب ليست طبية بالمرة، وليس للطبيب شأن بها، إلا أن سلامته التي أقرها الطبيب وضعت القصر في قلق وذعر أكبر، وقرروا أن يتخلصوا منه وأن يعيدوه إلى حيث أتى، لكنهم زجوا به في السجن بعد ذلك، وحاولوا استمالته بالمال، ولكن دون جدوى. ولأن سعيد لم يكن يعرف الخوف، ولم يكن لأحدٍ أن يثنيه عن الطريق الذي اختاره، لذا فلم تكن بداخله أية رغبة في ثروة أو مكانة، فقد كانت من الصفات الجوهرية التي لازمت سعيد طيلة حياته رفضه لقبول أي منافع شخصية؛ مادية أو غيرها، فلم يكن هناك طريق لاستمالة هذا الرجل بالمال، ولا يمكن لأحد أن يثنيه عن التمسك بقضيته. وتؤكد حقيقة إرسال القصر شفيق باشا – وزير الأمن العام - إلى النورسي ليبلغه برغبات السلطان ومناقشة مجلس الوزراء لاقتراحاته أن السلطات كان عليها أن تتعامل معه بشيء من الجدية،[٥٤] وقد جاء الحوار بين الباشا وسعيد النورسي على النحو التالي:

الوزير: السلطان يقرؤك السلام، وقد أمر لك بألف قرش كراتبٍ لك، ويخبرك أنه سوف يرفعه إلى عشرين أو ثلاثين ليرة عندما تعود إلى الشرق، وقد أرسل لك هذه الليرات الذهبية كعطاء ملكي من أجلك".

فأجابه سعيد: "إنني لا أسعى لنيل راتب، ولن أقبلها ولو كانت ألف ليرة، إنني لم آتِ إلى استانبول لحاجة لي؛ بل لقد جئت إليها من أجل أمتي، وتلك الرشوة التي تريد أن تعطيني إياها هي رشوة للسكوت عن الحق."

فقال الوزير: "إنك ترفض مرسوما ملكيا، والمرسوم الملكي أمر لا يُرفض."

فأجابه سعيد: لقد رفضته حتى يغضب السلطان، فيستدعيني فأخبره الحقيقة."

فقال الوزير: "إن عواقب ذلك ستكون وخيمة."

فأجابه سعيد: "حتى لو رميتموني في البحر، فالبحر نفسه قبر رحب، وإذا

(٥٤) ثبت هذا اللقاء مؤخرا باكتشاف وثائق تتصل بهذا الموضوع من بين وثائق قصر "يلدز" الأولى بتاريخ ٢٦ من يونيو عام ١٩٠٨، وتبين أن "سعيد أفندي" الذي ينتمي إلى مدينة "وان" قد تقاضى مرتبا قدره ١٠٠٠قرش، والأخرى بتاريخ ٢٧ من يونيو قد حصل على مرتب قدره ٢٠٠٠ قرش حتى يلبي تكاليف سفره إلى مدينة "وان "، Şahiner, *Bediüzzaman Zehrā, 46-50*

علقتموني على المشانق، فسأعيش خالدا في قلوب الأمة، لقد وهبت حياتي للأمة منذ قدومي إلى استانبول، افعل ما بدا لك. وأقول بمنتهى الجدية إنني أريد أن أحذر إخواني من أنه لو كان أحدهم على علاقة بالحكومة، فلتكن العلاقة لخدمة الأمة لا للحصول على راتبٍ من الحكومة، ومثلي لا يخدم الأمة والحكومة إلا من خلال النصح والإرشاد؛ وذلك من خلال التأثير الجيد على الناس دون انتظار مقابل، وكذلك بعدم الانحياز وتجنيب كل الدوافع الأخرى، والتخلي عن كافة المنافع الشخصية؛ وهذا يعطيني العذر لعدم قبول هذا الراتب."

فقال الوزير: "يناقش مجلس الوزراء ما تسعى إليه بنشر التعليم في كردستان"

فأجاب النورسي: أي قانون يجعلكم تؤخرون التعليم، وتعجلون برصد الرواتب؟" لماذا تفضلون منفعتي الشخصية على مصالح الأمة عامة؟"

فاستشاط الوزير غضبا، فقال النورسي: "لقد كنت حرا، ترعرعت في جبال كردستان، معقل الحرية المطلقة، وليس هناك داع للغضب، لا تغضب دون سبب. أرسلوني إلى المنفى إن شئتم في "فزان" أو "اليمن"، فأنا لا أمانع ذلك، فسأكون في مأمن من السقوط إلى الهاوية."

فقال الوزير: ماذا تريد أن تقول؟"

فقال النورسي: "لقد حاولت أن تغطي ما بداخلك من الأفكار والمشاعر الغاضبة بستار رفيع كلفائف السجائر، وتسمي ذلك قانونا وأمرا، وكل من هذه الأفكار والمشاعر تتأوه تحت وطأة بغيك كرفات الميت. لقد كنت قليل الخبرة، لذا ظللت فوق هذا الحجاب ولم أنحدر دونه، ثم انشق هذا الحجاب ذات مرة في القصر، وكنت في بيت أحد الأرمنيين في شيشلي، وانشق الحجاب هناك أيضا، كما انشق وأنا في حانة الحلواني، فزجوا بي في مستشفى الأمراض العقلية، وأنا الآن رهن الحجز والاعتقال. وباختصار، إنك قد حاولت جاهدا أن تجعلني أشعر بالضيق كما تشعر أنت، لقد تعرفت عليك جيدا وأنا في كردستان، وخبراتي هي التي أطلعتني على أسرارك، وخاصة مستشفى

الأمراض العقلية التي جعلتني أفهمكم فهما واضحا؛ لذا أشكرك على ما أكسبتني من خبرات؛ لأنني اعتدت دائما على حسن الظن لا سوء الظن."[٥٥]

وقد اكتملت صورة النورسي في هذه المرحلة من خلال جزءٍ من مقال صحفي للكاتب أشرف أديب، الذي أصبح إبان الحرب العالمية الأولى من أصدقاء النورسي المقربين. فقد كانت صحيفته "الصراط المستقيم" — التي حملت بعد ذلك اسم "سبيل الرشاد" - عضواً رئيسيًا في الصحافة الإسلامية في الفترة الدستورية الثانية.[٥٦]

لم يكن هناك أحد - ومنهم السلطان - يظن ولو لبرهة أن هذا الرجل عنده أدنى ذرة من الخيانة وعدم الوفاء؛ فقد كانوا يقدرون تميزه وحماسه.

لقد جاء إلى استانبول كي يفتح مدارس جديدة في الأقاليم الشرقية من أجل بث الروح في التعليم، كما كان من أكثر الناس ولعا بالحرية، وعلى قدرٍ كبير من الشجاعة والتحضر. وبنظرة إلى ظروف تلك الحقبة، نسأل، ماذا كان موقف القصر تجاه "نامق كمال"، و"ضياء باشا" وغيرهم من أنصار الحرية؟ لقد كان النورسي يأتي على رأسهم بشجاعته وجرأته ووطنيته وحبه للحرية، وقد أظهر القصر تسامحا كبيرا تجاه هذا الصراع الذي خاضه الرجل بحثا عن الحرية من منطلق احترامهم لما يتمتع به النورسي من العلم والفضيلة، وكان من المستحيل الحد من جهود الرجل. وقد أنقذه شبابه وذكاؤه الحاد الخارق وحبه للحرية وروحه القتالية من العواقب التي ألمت بغيره ممن ساندوا الحرية ونادوا بها.

لقد أظهر النورسي هذا القدر من الشجاعة والجرأة في معركته من أجل الحرية في وقت كان الناس يخشون التفوه ولو بكلمة، بل اكتفوا بالإيماءات والإشارات التي كانت غريبة عليهم. وكان طبيعيا أن يخرج من الأقاليم الشرقية رجل يُظهر هذه الجسارة في وقت ساد فيه القصر والباشاوات، واستحوذوا على السلطة المطلقة ليكون لظهوره عليهم وقع الحيرة والخوف. ولم يستطع الباشاوات المستبدون — الذين اعتبروا الرعية عبيدا لهم - إيجاد طريقة تخلصهم منه وتعيد لهم استقرارهم سوى القول: "إن إظهار هذه الجسارة يشير إلى عدم سلامة العقل"،

---

(٥٥) *Asar-ı Bedi'iyye,431-433*

(٥٦) لمعرفة المزيد عن حال الصحافة العثمانية إبان هذه الفترة، انظر: Brummet, *Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press*

ومن ثم زجوا به في مستشفى الأمراض العقلية، وهذا هو السبب في دخول النورسي هذه المستشفى.

لقد تملك الطبيب الحيرة والدهشة مما سمعه من النورسي، وعجب لما يتمتع به النورسي من ذكاء وعلم، وما يتحلى به من شجاعة وجرأة. لقد أدرك الطبيب السبب في إيداعه في هذه المستشفى، وظل يذكر النورسي بالأخلاق العصرية المهذبة، ونصحه بالاعتدال، وطلب منه العفو.

أجل، هذا هو الرجل الذي رموه بالجنون، الأسد المجنون![٥٧]

الحرية

لا يعرف أحدٌ كيف استطاع النورسي الخروج من المكان الذي كان محتجزا فيه؛ فربما أفرج عنه أثناء ترحيله مرة أخرى إلى مدينة "وان"، أو ربما يكون قد هرب في الطريق، أو أنه كان لا يزال محبوسا عندما أُعلن الدستور في ٢٣ يوليو عام (١٩٠٨)، وأُفرج عنه عندما صدر العفو العام في ٢٦ يوليو. ومع ذلك، ولأنه وفقا للمصادر المتاحة أن العفو العام تم تنفيذه بعد يومين،[٥٨] وأن سعيد النورسي قد ألقى خطبته الارتجالية، "خطاب إلى الحرية" في اليوم الثالث للثورة، فإن هذا الاحتمال مستبعد. وهناك مزاعم تقول بأن موالين لحركة الاتحاد والترقي قد قاموا بتهريب النورسي من السجن وأخذوه سرا إلى "سلانيك"، وقيل إنه نزل ضيفا في منزل "رفيق بك" وزير العدل في أول وزارة جاءت بعد إعلان الدستور، وكان آنذاك رئيس اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي. وقد أتاح الفرصة أمام النورسي للتعرف على قيادات في جمعية الاتحاد والترقي.[٥٩] وهذه الرواية ممكنة، وربما أنه عاد إلى استانبول بعودة الدستور مرة أخرى، لكن لأسباب سيتم إيضاحها فيما بعد، ومن الأفضل التعامل مع هذه الروايات وروايات أخرى لنفس المؤلف بحذر. على أية حال، من المؤكد أن النورسي كان على اتصال بأعضاء جمعية الاتحاد والترقي في

---

(٥٧) Eşref Edip, *"İslam Düşmanlarmm Tertiplerini Ortaya Çıkarmak Vazifernizdir," Yeni İstiklal Gazetesi,* no 241, March 23, 1966 نقلا عن Şahiner, *Bilinmeyen* 101-102

(٥٨) Badıllı, *Nursi,* 1:197؛ وانظر أيضا Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 41

(٥٩) Kutay, *Bediüzzaman Said Nursî*, 186, 310

استانبول، كما كان من المعروف أنه قام بزيارة "سلانيك" بعد الثورة كما سنبين لاحقا.[٦٠]

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الوضع في "سلانيك" أثناء الأسابيع الأخيرة من الحكم الحميدي كان متقلبا تماما ولا يسمح باستقبال الضيوف وإكرامهم أو ترتيب مقابلات. ورغم أن جمعية الاتحاد والترقي كانت تتكون في الأساس من الضباط الشباب من الجيش الثاني (أدرنة) والثالث (مقدونيا) وموظفين وأشخاص محترفين، إلا أن الحركة كانت لا تزال منظمة ثورية سرية ومضطهدة، على ما فيها من عدد كبير من الأعضاء. ومن المؤكد أن عيون وجواسيس السلطان عبد الحميد كانوا يراقبونها عن كثب، وقد برز قواد هذه الحركة في هذه المجموعات السابق ذكرها، ويأتي في مقدمتهم "أنور بك" قائد الجيش الثالث، و"طلعت بك" أمين سر البريد والتلغراف في مكتب البريد. لقد كان الاضطراب منتشرا في جميع أنحاء الإمبراطورية خلال الأعوام السابقة لثورة الأتراك الجدد بين جميع طوائف الشعب بسبب الأحوال المتردية، وكذلك في الجيش وخاصة بين شباب الضباط الذين تلقوا تعليمهم في المدارس العسكرية الجديدة.

بدأت الأحداث التي أدت إلى إعادة الدستور بالقوة في نهاية يونيو، وفي تلك الأثناء نقل رئيس الشرطة أوامر السلطان إلى سعيد النورسي، وكرد فعل للتهديدات، فر "أنور بك" ثم تبعه في الفرار مجموعة أخرى من الضباط، أشهرهم نيازي، مع مجموعة من رجالهم وأسلحتهم إلى التلال، وانتشر التمرد، وقتل العديد من كبار الضباط الذين أرسلهم السلطان للتحقيق فيما يحدث. وكانت هناك ثورات في أماكن عديدة في "روملي" بإقليم "البلقان". وأرسلت العديد من التلغرافات تطالب بإعادة الدستور، ومرت الأحداث سريعا، وأخيرا رق قلب السلطان ولم تعد لديه الرغبة في إراقة دماء رجاله، ولهذا أصدر قرارا بالموافقة على إعادة الدستور ليلة ٢٣ يوليو، وهكذا، قامت ثورة الأتراك الجدد وحققت أهدافها.

---

(٦٠) Macfie, *End of the Ottoman Empire*, 25-26

بـدأ العـصر الجديـد بفرحـة هائلـة فـي كـل مـن "سـلانيك" و"روملـي"، وصاحبت ذلك مصالحة واضحة بين الجماعات العرقية المتعددة التي تفاءلت بالحصول على مطالبها في ظل النظام الجديد مقابل الدعم الذي قدَّموه له، وانتشر في أرجاء الإمبراطورية المتحدثون عن معنى المشروطية أمام الجماهير المحتشدة، "وأبرزوا أفكار عام (١٧٨٩)".[٦١]

على الرغم من أن عيون السلطان في أماكن أخرى كانت، في بداية الأمر، تمنع نشر هذه الأحداث العظيمة، أو تعلن أن استعادة الدستور عمل عظيم أصدره السلطان بإيعاز من داخله،[٦٢] كانت الجماهير أيضا في استانبول تحتشد في الشوارع احتفالا بالخلاص من الدكتاتورية والاستبداد ويحتضنون بعضهم البعض في حبٍ وتآخ، وايا كان المكان الذي كان فيه سعيد في هذه الأيام المليئة بالعواطف الجياشة والآمال الكبيرة، إلا أنه كان بدون شك متأثرا بها ومشتعلا حماسة.

خطاب إلى الحرية

في اليوم الثالث للثورة، وعندما هدأت الأفراح والاحتفالات، ألقى سعيد النورسي أول خطبة له في سلسلة الخطب التي شرح فيها معنى "المشروطية" وكيف يجب تقديرها، وقال إنه لو كانت الشريعة مصدرا للمشروطية، لكانت هذه الأمة المقهورة قد تقدمت آلاف المرات عما كانت عليه.

لم يكن "خطاب إلى الحرية"[٦٣] مجرد قصيدة في مدح الحرية، وإنما كان في الأساس مقدمة لهذه الأفكار الجديدة ونصيحة للالتزام بالإسلام وأخلاقياته في هذا العصر الجديد. ومع ظهور الحرية، كانت أمام الأمة العثمانية فرصة للتقدم وبناء حضارة حقيقية مثل التي كانت موجودة من قبل، ولكن لن يتحقق هذا إلا إذا كانت الشريعة أساسا لهذه الحرية. وقد أوضح الخطاب الآثار السيئة للاستبداد من جانب، واحتمالات التقدم التي وفرتها الحرية من جانب آخر.

---

(٦١) Tunaya, *Türkiye'de Siyasal Partiler,* 3:22

(٦٢) Zürcher, *Turkey*, 97

(٦٣) النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦٥

وإلى جانب هذا، يمثل الخطاب برنامجا لما يجب تنفيذه وما يجب تجنبه من أجل الحفاظ على الحرية وضمان التقدم. وبهذا الحديث وصف الخطاب بعضَ أسباب انحدار الدولة العثمانية.

وقبل أن نستعرض مقتطفات من هذا الخطاب، علينا أن نشير إلى أنه مثل جميع مؤيدي الدستور، لم يتردد العلماء[٦٤] وغيرهم من الطبقات المتعلمة الأخرى أمثال سعيد النورسي في وضع أفكاره في إطار المفاهيم الليبرالية التي قدمها نامق كمال والعثمانيون الجدد إلى الدولة العثمانية، ثم خلدتها جمعية الاتحاد والترقي كما سبق ذكره. ولكن بالإضافة إلى ضمان وحدة وتقدم الدولة العثمانية والجدل الدائر حول وجوب أن تكون المفاهيم التي تُبنى عليها هذه الوحدة مفاهيم إسلامية في حقيقتها، كانت أهداف ومساعي سعيد النورسي أكثر شمولية من أفكار المثقفين والمفكرين العثمانيين، كما كان يبذل قصارى جهده لتطبيقها بشكلٍ عملي. ويمكن القول إنه كان يؤمن مثلهم أن الإسلام يتضمن في طياته جميع متطلبات التقدم والحضارة، وقدم العديد من الطروحات التي تثبت هذه الفكرة، ولكن ما يميز النورسي عنهم هو أنه كان نشطا وقدم أعمالا تؤدي في النهاية إلى تحقيق هذه الأفكار. وقد نوقشت أفكاره الخاصة بإصلاح التعليم ومشاريع نشر العلم في الأقاليم الشرقية والتي تعد جزءا من عملية الإصلاح. وسوف نلقي مزيدا من الضوء خلال الفصول القادمة على بعض النقاط الأخرى. جانبٌ آخر من نشاط النورسي كان اهتمامه بجعل المواطن العادي يشارك في نظام "المشروطية"، وكانت هذه الفكرة جديدة في ذلك الوقت. وقد شرح النورسي الأفكار الغربية المرتبطة بهذا النظام في لغةٍ بسيطة ومفهومة وقدمها في صورة برنامج يمكن للشخص العادي أن يتعامل معه ويمارسه، وفي ذات الوقت قدم كل هذا في السياق الإسلامي. لقد كانت كل هذه الأفكار مختلفة عما قدمه المفكرون السابقون، فأعطى هذا للنورسي صبغة مميزة عن غيره.

---

(٦٤) Kara, *İslamcıların Siyasî Görüşleri, 24, 39-45*

بدأ النورسي الخطاب بتقديم اعتذار، وبأسلوبه المباشر المفعم بالحيوية والروعة، بين أنه كما أن ثيابه لا تتماشى مع "الطراز الحديث" للملابس إنه لا يعرف خياطا تركيا حتى يفصل له ثيابا جيدة ويضع له الأزرار لما يريد أن يقوله. وقد كان يبغي من وراء هذا الأسلوب جذب اهتمام الجمهور، كما كان يريد منهم أن يشاركوه بعقولهم فيما سيقوله، وحث كل واحدٍ منهم أن يعمل من الآن وأن يتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه إذا ما أردنا تحقيق أهداف "المشروطية" التي ترمي إلى التقدم وإعادة بناء الحضارة الإسلامية.

> أيتها الحرية !... إنني أبشرك بعمر خالد. فإذا ما اتخذت الشريعة التي هي عين الحياة، منبعا للحياة، وترعرعت في تلك الجنة الوارفة البهيجة، فإنني أزف بشرى سارة أيضا بأن هذه الأمة المظلومة ستترقى ألف درجة عما كانت عليه في سابق عهدها. وإذا ما اتخذتك الأمة مرشدة لها، ولم تلوّنك بالمآرب الشخصية وحب الثأر والانتقام، فقد أخرَجَنا إذن مَن له العظمة والمنة من قبر الوحشة والاستبداد، ودعانا إلى جنة الاتحاد والمحبة.
>
> وفُتحت أبواب جنة التقدم والحضارة التي لا عناء فيها.... إن الدستور الذي يتوافق مع الشريعة هو البداية لسيادة هذه الأمة، ويدعونا إلى دخول تلك الجنة كخازنها. فهيا يا أخوة الوطن المظلومين! هيا نذهب وندخلها سويا!"

وبإشارته إلى أن السيادة ستكون الآن للأمة، استطرد النورسي في وصف الأبواب الخمسة التي يجب أن نطرقها، أو بمعنى أخر المبادئ الخمسة التي يجب أن تتمسك بها الأمة حتى يتسنى لنا الفوز بهذه الجنة. الباب الأول هو "وحدة القلوب"، وقد وصف هذا الباب بأنه هو الذي سيحفظ الشعور بوحدة وتضامن الإمبراطورية العثمانية خاصة في وجه حركات الأقليات القومية والانفصالية. الباب الثاني "محبة الأمة"؛ وهو أن يشعر أفراد الأمة بوطنيتهم وحبهم لبعضهم البعض. الباب الثالث "التعليم"، وهو يشير إلى المستوى الثقافي والعلمي للأمة ووصوله لمرحلة مرضية. الباب الرابع "السعي الإنساني"، وذلك بأن يضمن لكل إنسان عملا ويلقى أجرا عادلا على عمله. الباب الخامس "البعد عن السفاهة"، ويعني بذلك ترك التفاخر والإسراف، على

كل من المستويين الفردي والجماعي، وذلك لما سبَّباه من شقاق ونزاع، وأنهما كانا مرضا ابتلى به موظفو الدولة في تلك الأيام.(٦٥)

أشار النورسي إلى الآثار السيئة لانتشار الرذيلة وانعدام الأخلاق الناجمين عن الاستبداد على المستويين المادي والأخلاقي. وقال "إن صوت الحرية والعدل، يوقظ في الحياة مشاعرنا وآمالنا وطموحاتنا القومية العظيمة وشخصية وأخلاق الإسلام الحميدة وهي الأشياء التي كانت قد وُئدت".

وبعد أن حذّر من وئدها ثانية من خلال "السفاهة واللامبالاة في الدين"، تنبأ النورسي بأن الوحدة والالتزام بأخلاق الإسلام والإدارة الناجحة للمشروطية والممارسة الصحيحة لمبادئ الإسلام في الشورى سوف تضع الأمة العثمانية في منافسة حقيقية مع الأمم المتحضرة". وتظهر الاستعارات التي استخدمها النورسي حول التقدم في خطبته مدى إيمانه بالعلم والتكنولوجيا.

أكد النورسي بشدة على الحاجة إلى الالتزام بالأخلاقيات الإسلامية لتحقيق تقدم وحضارة حقيقية، ثم أظهر خوفه المستمر من أن تُفهم الحرية على أنها رخصة لفعل أي شيء. وإذا حدث هذا، سوف يؤدي إلى الضياع والعودة للاستبداد مرة أخرى. وقد عبر النورسي عن ذلك قائلا: "من أجل ازدهار الحرية وإدراكها من خلال الالتزام بنظام وسلوك الشريعة والأخلاق الحميدة".

يحذر النورسي بعد ذلك أيضا من أخذ "مفاسد الحضارة وشرورها" وترك فضائلها، ويرى أنه يجب على العثمانيين الإقتداء باليابانيين في الأخذ من محاسن وفضائل الحضارة الأوروبية ما يساعدهم على التقدم مع الحفاظ على تقاليدهم القومية، فيقول في ذلك: "نرحب بأن نأخذ من أوروبا أشياء مثل التكنولوجيا والصناعة مما يساعد على التقدم والتحضر، ومع ذلك، علينا أن نمنع مفاسد وشرور الحضارة من أن تتعدى حدود الحرية وحدود حضارتنا باسم الشريعة، وبهذه الطريقة سوف نصون شبابنا من خلال تنفس هواء الشريعة النقي العليل. علينا أن نحاكي اليابانيين في تعاملهم مع الحضارة الغربية، فقد أخذوا منها الفضائل فقط وحافظوا على عاداتهم القومية في ذات الوقت، وهذا

---

(٦٥) Mürsel, *Devlet felsefesi* 249-52

هو أساس استمرار أي أمة. وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به، فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام."

لقد استرسل النورسي، عن طريق المفاضلة بين النظامين القديم والجديد، في وصف الحقائق الأبدية الخمس التي يجب أن تقوم عليها الحرية. وهذه الحقائق هي: الأولى "الوحدة"، الثانية "العلم والتعلم والحضارة"، الثالثة "جيل جديد من الرجال الأكفاء والمثقفون القادرون على قيادة وحكم هذه الأمة". ووصف النورسي كيف أنه مع " أمطار الحرية" يمكن لقدرات وإمكانيات كل منا حتى القرويين، أن تتطور حتى أن أرض "أسيا" و"روملي" الخصبة سوف تنتج لنا نبتا من الرجال الأذكياء أصحاب الروح القيادية الذين نحتاجهم بشدة، وسيصير الشرق بالنسبة للغرب ما يمثله الشروق للغروب، هذا إذا لم يضعفوه بوهن التكاسل وسم المرض.

الحقيقة الرابعة هي "الشريعة"، وشرحها النورسي قائلا: "إن الشريعة الغراء تمضي إلى الأبد لأنها آتية من الكلام الأزلي". ولأن الشريعة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، استطاعت أن تتكيف وتتوسع في علاقتها بتطور الإنسان. ومن هنا احتوت الشريعة على المساواة والعدل والحرية الحقيقية فيما يتعلق بعلاقاتهم ومتطلباتهم. وكانت الفترة الأولى من الإسلام خير دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدل والحرية الحقة. وقد أرجع النورسي سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا إلى الآن لأربعة أسباب: عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء، وتصرفات بعض المداهنين تصرفا عفويا، والتعصب المقيت في غير محله الذي يأتي من جانب "عالم جاهل ساذج"، ومن خلال "تركنا – لسوء الحظ أو لسوء الاختيار – لفضائل الحضارة الأوربية والتي يصعب اكتسابها، وتقليد مساوئ ومفاسد المدنية الأوروبية كالببغاوات أو كالأطفال في إشباع شهواتنا وغرائزنا.

أما الحقيقة الخامسة فهي "البرلمان والمبادئ الإسلامية الخاصة بتبادل المشاورات، حيث لم تكن الدولة لتستطيع النهوض والإدارة والقيادة في هذا العصر المعقد إلا عن طريق برلمان دستوري ومن خلال التشاور وحرية الفكر.

اختتم النورسي خطابه بتوجيه ثلاثة تحذيرات: التحذير الأول، يجب

معاملة المسئولين الذين تم إعدادهم للتعامل مع النظام الجديد باحترام والاستفادة من خبراتهم. التحذير الثاني، أن المرض الذي أصاب الإمبراطورية جاء من مركز الخلافة في استانبول، ومن ثم يجب أن يتم التوفيق بين الأفرع الثلاثة "للإرشاد العام"؛ علماء المدارس الدينية وعلماء المدارس الحديثة والتكايا الصوفية. واختص التحذير الثالث بالوعاظ؛ حيث كان النورسي يحثهم مرة أخرى على تجديد أفكارهم وأساليبهم والتحدث فيما يتوافق مع احتياجات العصر.

تجدر الإشارة فيما يتعلق بالتحذير الثاني إلى أن النورسي كان قد حدد في مرحلةٍ مبكرةٍ المشاكل التي ظهرت نتيجة إدخال نظام التعليم العلماني مع وجود النظام الإسلامي المتكون من المدارس الدينية والتكايا الصوفية، حيث كان النورسي مؤمنا بأن هذا الانقسام سبب رئيسي في تخلف الحضارة الإسلامية وخلخلة أسس الأخلاق الإسلامية وشق وحدة الأمة، كما كان هدفه من خطط إعادة بناء النظام التعليمي في الشرق هو أن يوحد ويوفق بين هذه التيارات المنفصلة من خلال التعليم، ومن ثم يعيد توحيد المجتمع المنفصل من المسلمين ومعالجة الخروج عن الثقافة الإسلامية القومية.

سلانيك ، جمعية الاتحاد والترقي، ونشر فكر المشروطية

شكل الخطاب الشعبي الأول لسعيد النورسي "خطاب إلى الحرية" بداية تسعة شهور من الحياة العامة والتي قام خلالها، بشكل جاد، بنشر أفكاره حول مبدأ "المشروطية" خاصة بين العلماء وطلبة المدارس الدينية من جانب، وبين عشيرته من الأكراد من الجانب الأخر؛ حيث سعى إلى كسب تأييدهم للدستور والحكومة الجديدة مبينا دورها الحيوي الذي يصب في صالح الإمبراطورية والعالم الإسلامي. وهذا هو ما فعله من خلال اختلاطه بكافة الفصائل وإلقاء المحاضرات والخطب، وكذلك عن طريق الصحافة التي ازدهرت بعد إلغاء الرقابة. وتوقفت هذه المرحلة توقفا مفاجئا مع وقوع ثورة عُرفت باسم حادثة ٣١ مارت (١٣ نيسان ١٩٠٩م)، والتي ألقي القبض على النورسي بعدها

وحوكم أمام المحكمة العسكرية فبرأته وأفرجت عنه. وتم غلق عدد من جرائد المعارضة ووضع قانون صحافة جديد.(٦٦)

قام النورسي في السادس من أغسطس عام (١٩٠٨) بنشر مقاله الأول والذي أخذ عنوانه من الآية القرآنية "وشاورهم في الأمر" (آل عمران: ١٥٩)، وكان ذلك في العدد الأول من جريدة ضعيفة الانتشار تسمي "Rehber-i Vatan" (دليل الوطن).(٦٧) وإذا كانت هذه الجريدة قد نشرت في استانبول، فمن المرجح أنه سافر إلى "سلانيك" بعد ذلك. ويشير البحث الحالي إلى أن مقالته التالية ظهرت في الثاني من أكتوبر عام (١٩٠٨)، وكان ذلك في العدد الثاني من جريدة "*Misbah*" (المصباح)،(٦٨) ومن المؤكد أنه قد عاد إلى استانبول في ذلك الحين. وخلال الأسابيع الأولى من الثورة، كان من الواضح أنه يعمل مع جمعية الاتحاد والترقي، وكان بعض قادتها، وهم لجنة السبعة، قد تركوا "سلانيك" متجهين إلى استانبول في أوائل شهر أغسطس. كان من بينهم، "طلعت" و"جمال" و"جاويد" و"رحمي"،(٦٩) والذين بقوا في استانبول بعيدا عن الأنظار للعمل كمجموعة ضغط على الحكومة الجديدة التي تكونت من السياسيين المعترف بهم.

لا يعرف أحدٌ من الذي وجه الدعوة إلى النورسي للذهاب إلى "سلانيك" لإلقاء الأحاديث، ولكن بدون شك كانت لدى جمعية الاتحاد والترقي الرغبة القوية أن تضم مثل هذا المؤيد البليغ من بين العلماء. وهنا لم يتوان النورسي عن اقتناص الفرصة في أن يتقدم إلى من بأيديهم مقاليد السلطة في الإمبراطورية بقضيته التي تنادي بالالتزام بالشريعة. لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي في "سلانيك" "رابطة مختلطة"؛ وحَّدتهم وطنيتهم والرغبة في الحفاظ على الإمبراطورية التي تتفتت من بين أيديهم، وكذلك جمعهم الاعتقاد بأن هذا لن يتحقق إلا بإعادة تأسيس الدستور وإنشاء حكومة نيابية. ولكن بسبب كونهم

(٦٦) حول هذه الحادثة، Fahri, "*Şeriat as a Political Slogan*"

(٦٧) Kara, *İslamcıların Siyasî Görüşleri*, 131

(٦٨) Badıllı, *Nursi*, 1:286

(٦٩) Macfie, *End of the Ottoman Empire*, 44

ضباطا في الجيش، كان غالبية أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في "سلانيك" قليلي الخبرة في أمور السياسة وطبيعة الحكومة السياسية. وعندما ضغطوا على الحكومة من أجل إعلان الدستور، لم يكن لهم برنامج مخطط لذلك؛(٧٠) فلم تسمح لهم ظروفهم أن ينشغلوا بالجانب النظري من الإصلاح.(٧١)

لقد بدا أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على أنهم علمانيون في الظاهر، ولكنهم قبل وبعد الثورة سعوا لتقنين مبدأ "المشروطية" بالتأكيد على أنه ينبع من الإسلام وأنه يتوافق ومبادئ الشريعة، كما أقاموا علاقات جيدة مع العلماء والمؤسسات التعليمية،(٧٢) وقد أيد معظمهم هذا المبدأ.(٧٣) ومبدئيا، نجد أن المنظرين من بين الأتراك الجدد أمثال أحمد رضا وعبد الله جودت، الذين قضوا سنوات عديدة من المعارضة في المنفى وكانوا معروفين بمناصرتهم لمبدأ الفلسفة الوضعية والمعتقدات المادية الأخرى، قد تقبلوا دور الإسلام الإيجابي والحقيقي في المجتمع.(٧٤) وكما كتب النورسي نفسه بعد ذلك: "في بداية الفترة الدستورية، وجدت أناسا ملحدين، من الذين انشقوا على جمعية الاتحاد والترقي، قد قبلوا فكرة أن الإسلام وشريعة محمد ص بها مبادئ عظيمة تفيد حياة المجتمع، وخاصة فيما يخص السياسات العثمانية، كما ساند هؤلاء الملحدون الشريعة بكل قوتهم.(٧٥)

رغم أن التصدعات التي حدثت في الواجهة الإسلامية لجمعية الاتحاد والترقي أصبحت ظاهرة، اقتنص النورسي الفرصة لتحقيق أهدافه و"عمل بكل قوته كي يجعل الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة."(٧٦) ولكن يجب أن نؤكد من جديد أنه عندما استمر في تأييد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين شاركوه في هذا المسعى، أصبح ندا قويا للذين انشقوا عليها.

---

(٧٠) Tunaya, *Türkiye'de Siyasal Partiler, 3:308-9*

(٧١) Zürcher, *Unionist Factor,* 21

(٧٢) Tunaya, *Türkiye'de Siyasal Partiler, 3:308-9*

(٧٣) Kara, *İslamcıların Siyasî Görüşleri*, 50,97ff

(٧٤) Hanioğlu, *Abdullah Cevdet, 129ff, 139-40* ،Mardin, *Continuity and Change,* 23

(٧٥) النورسي، الملاحق ملحق بارلا ص ٩١

(٧٦) النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦٥

ألقى النورسي "خطاب إلى الحرية" للمرة الثانية في ميدان الحرية في "سلانيك" "في حضور الآلاف من المهتمين بالسياسة"،[٧٧] ويبدوا أنهم كانوا من أعضاء ومؤيدي جمعية الاتحاد والترقي، وقد كان هذا جزءا من الاحتفالات والاجتماعات المكثفة من أجل دعم الثورة.

ومن الأدلة التي تشير إلى أن النورسي عقد صداقة مع قادة جمعية الاتحاد والترقي في "سلانيك"، هي تلك الحكاية التي جاءت في سيرته الذاتية "الرسمية" عن لقائه مع "عمانويل كاراصو"، نائب اليهود عن "سلانيك"، والمؤسس والعضو البارز في محفل "ريزورتا" الماسوني بمقدونيا.[٧٨] ومما لا شك فيه أن كاراصو كان يسعى إلى إيجاد طريقة من أجل التأثير في بديع الزمان والاستفادة من موهبته الفذة في تحقيق أغراضه، ولم يمانع النورسي في مقابلته، ولكن هذا اليهودي سرعان ما قطع الاجتماع وتركه هربا من تأثير شخصية بديع الزمان؛ إذ قال وهو لا يكاد يصدق نفسه: "لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه."[٧٩]

ففي بداية إعلان الحرية، أرسلتُ ما يقارب من خمسين أو ستين برقية إلى العشائر التي تقطن في شرقي البلاد، وذلك بوساطة ديوان رئاسة الوزارة يدعوهم للاعتراف بالحكومة الدستورية الجديدة وتدعيمها، وأخبرهم: "أن المسألة التي سمعتموها وهي المشروطية والقانون الأساسي فما هي إلا العدالة الحقة والشورى الشرعية. تلقُوها بقبول حسن. اسعوا للحفاظ عليها؛ لأن سعادتنا الدنيوية في المشروطية، فلقد قاسينا الأمرين من الاستبداد أكثر من الآخرين.[٨٠]

ونظرا لجهل الناس المنتشر عن المشروطية في أرجاء الإمبراطورية ما عدا في "روملي"، فقد كانت أولى المهام الرئيسية لجمعية الاتحاد والترقي، بجانب

---

(٧٧) المرجع السابق، ص٤٦٥، دار سوزلر للنشر. استانبول

(٧٨) خطاب من السير جيرارد لوثر إلى السير ريتشارد هاردنج، نقلا عن: Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 31

(٧٩) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٨٧.

(٨٠) النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤١

دعمها لسلطتهم، هي تنوير وتوعية العديد من الناس بقدر ما تسمح لهم الوسائل المتاحة. وقد أصبح نظام التلغراف الآن، والذي كان يشكل من قبل عنصرا أساسيا من عناصر الاستبداد، متخصصا في نقل الأخبار السعيدة. وقد أرسلت البرقيات إلى كل أنحاء الإمبراطورية مع المندوبين، لإطلاع الناس على آخر الأنباء وتشجيعهم على دعم جمعية الاتحاد والترقي.

لم يدم تحالف النورسي مع جمعية الاتحاد والترقي طويلا؛ فهو مثل غيره سرعان ما تحرر من الوهم كما تكشفت الأحداث، ولكن لم تنقطع علاقته بـ "أنور بك" (الذي أصبح باشا فيما بعد) لأسباب سوف نحاول التعرف عليها لاحقا. وعلى الرغم من ذلك، فقد وجد في سياساتهم ما يمكن قبوله والاستفادة منه، أو أنه ربما يكون قد وجد تشابها كبيرا بين سياساتهم وبين أفكاره. ويتمثل أحد أوجه هذا التشابه في مشايعة أيديولوجية وجود خلافة عثمانية،[٨١] والتي كانوا يتطلعون من خلالها إلى تحقيق أحد هدفين رئيسين لهما، تجسدا في اسم اللجنة، وهما "الاتحاد والتقدم (الترقي)". وكانت فكرة الإمبراطورية العثمانية – التي كان للتنظيمات السبق في طرحها– فكرة نموذجية تقدم بها أيضا العثمانيون الجدد،[٨٢] وهذه الفكرة هي: "الاتحاد تحت سيادة السلطان في إطار "القومية" العثمانية، والتي تضم كافة المجموعات العرقية والمجتمعات الدينية التي تشكل الإمبراطورية. وبصياغة هذه الأيديولوجية - التي كانت علمانية في جوهرها - اكتسبت كلمة "القومية" معنى جديدا؛ فقد أصبح يطلق على المجتمعات الدينية (القومية) الآن "عناصر" أو مجتمع؛[٨٣] وأصبح أعضاؤها جميعا من مواطني الدولة العثمانية ويتمتعون بحقوق دينية متساوية. وقد كانت جمعية الاتحاد والترقي تنوي في بعض الأحيان القيام بتوحيد جميع عناصر الإمبراطورية تحت حكومة مركزية قوية بصرف النظر عن الفوارق العرقية والدينية. ومع ذلك، فمنذ أن كان الإسلام هو أساس

---

(٨١) Zürcher, *Turkey*, 133

(٨٢) Mardin, *Genesis of* Young *Ottoman Thought, 330*

(٨٣) Berkes, *Development of Secularism*, 331

الإمبراطورية العثمانية وكانت الأسرة الحاكمة تركية، فقد واجهت جماعة الأتراك الجدد[٨٤] الانتقاد من قبل أوروبا والأقليات نفسها[٨٥] بسبب النمو المتزايد لفكرة القومية ونزعات الانفصال التي تدعو إليها، حيث اعتبروا أن تلك الفكرة غير عملية بل واعتبروها "خيالا لا يمكن تحقيقه".[٨٦] وعلى الرغم من فشل تلك الفكرة في النهاية، فقد لاقت فكرة الخلافة العثمانية دعما في البداية من العديد من الجهات بما في ذلك الأقليات والنشطاء مثل سعيد النورسي. وبحلول عام (١٩١٠) كانت قيادة جمعية الاتحاد والترقي تقوم بتغيير اهتمامها موجهة إياه نحو الجانب الإسلامي.[٨٧] وحينئذ، فقد اعتنق الكثير من قيادي جمعية الاتحاد والترقي بعد حروب البلقان القومية التركية مع الاحتفاظ بالارتباط بالإمبراطورية الإسلامية.

النورسي يناضل ضد الانفصال

لقد أدى السماح بحرية التعبير وتكوين الجمعيات والاتحادات بعد ثلاثين عاما في فترة حكم السلطان عبد الحميد، وكذلك إلغاء الرقابة على المطبوعات وإلغاء القوانين الصحفية إلى إحداث انفراجة كبيرة على مستوى النشاط السياسي؛ حيث ظهرت المئات من المجلات والصحف والمجلات التي تمثل المذاهب المختلفة، كما تلت ذلك عملية تسييس سريعة وغير مسبوقة للمجتمع، وذلك لأن السياسة أصبحت هي الشغل الشاغل بين مختلف الطبقات بما في ذلك الحرفيين والحمالين.[٨٨] من ناحية أخرى، كان هناك متنفس كبير للتعبير عن الاهتمامات المختلفة من خلال العديد من الأندية والجمعيات السياسية والثقافية

---

(٨٤) هذا الاسم مضلِل بعض الشيء؛ فقد استخدمه الأوروبيون للإشارة إلى أعوان السلطان عبد الحميد في المنفى، وليس له أي صدى وطني أما الأتراك الجدد فقد نظروا إلى أنفسهم مبدئيا على أنهم مثل العثمانيين، Berkes, *Development of Secularism,* 305

(٨٥) Kayalı, Arabs *and* Young Turks, 82-83

(٨٦) Lewis, *Emergence of* Modern *Turkey,* 233

(٨٧) انظر المرجع السابق، ص ٢١٨؛ وانظر أيضا: Kayalı, *Arabs and Young Turks*, 114

(٨٨) Birinci, *Hürriyet ve İtilaf Fırkasl,* 28-29

والمهنية،[٨٩] كما تنفست قوى المعارضة أيضا على الفور من خلال الأندية[٩٠] وتأسيس الأحزاب. وكان من أبرز تلك القوى حزب الاتحاد الليبرالي الذي كان – من خلال إجراء بعض عمليات الإعداد السريعة التي قام بها- هو الحزب الأوحد الذي تحدى النظام الجديد في أول انتخابات أجريت في نهاية عام (١٩٠٨). وكان صباح الدين بك قائد هذا الحزب، ابن شقيق السلطان عبد الحميد والذي كان خصما له في الفترة التي كان فيها أحمد رضا في منفاه في باريس، من أنصار المذهب الوضعي وكان من أهم الأيديولوجيين المعارضين في جمعية الاتحاد والترقي. وعاد أحمد رضا إلى استانبول واستقبله الناس استقبال الأبطال، ثم عُيِّن رئيسا لمجلس النواب بعد الانتخابات. وفي الوقت الذي كانت جمعية الاتحاد والترقي ملتزمة بسياسة تأسيس حكومة مركزية قوية، قام صباح الدين بإعداد ما اعتقده بأنه سيكون طوق النجاة للإمبراطورية القائمة على المبادئ المناهضة تماما "للمبادرات الخاصة وفكرة اللامركزية". وقد أثارت تلك الأفكار، التي تضمنت تطور السلطة من الحكومة إلى الأقليات الدينية والعرقية المختلفة، معارضة واسعة النطاق.

وفي خطاب صريح لصباح الدين تحت عنوان "الرد على صباح الدين فكرة جيدة، ولكن يسيء الآخرون فهمها"،[٩١] والذي أورده النورسي في أول كتاب له "النطق"، والذي نشر عام (١٩١٠)،[٩٢] يوضح فيه النورسي وجهة نظره حول هذه القضية الجوهرية علاوة على إيضاح منهجه المعقول والمنطقي.

ويشير النورسي في الخطاب إلى أن النظام الفيدرالي للإمبراطورية العثمانية كان مقبولا من الناحية النظرية، ولكن نظرا لأن مستوى تطور المجموعات العرقية والدينية المختلفة قد تغيَّر بدرجة كبيرة، فلم يعد هذا النظام

(٨٩) المرجع السابق، ص ٢٥-٢٧

(٩٠) Kayalı, *Arabs and Young Turks*, 75

(٩١) Nursi, "Nutuklar," 356-57

(٩٢) هنا إشارة إلى نسخة سابقة عام ١٩٠٨/١٣٢٤ في: Hanioğlu, *Abdullah Cevdet*, 315 n 2، ولكني لم أتمكن من التحقق منها

مجديا في ذلك الوقت، وقد كتب، "الحياة هي الوحدة"، وكان استخدامه للاستعارات العلمية ممتعا، حيث عبرت عن رغبته في التركيز على أهمية التعليم والعلم والتقدم.

يشبِّه النورسي "حب الوطن" بالتجاذب بين الجسيمات؛ حيث تتسبب الجاذبية في تكوين الكتلة وكذلك يؤدي "حب الوطن" إلى تكوين كيان متماسك، ومن خلال تقوية روابط الوحدة وزيادة الوعي بحب الوطن، أمكن تطبيق المبادئ والمعتقدات المشتركة وتحقق جزءٌ كبير من التقدم. لم يكن النورسي مؤمنا بأن الخلافات العرقية سوف تتلاشى يوما ما؛ بل على العكس كما سنرى، كان يؤمن بأنه يتعين على الحكومة أن تعمل على النهوض بكل عناصر الإمبراطورية لنفس المستوى، و ذلك عبر برنامج يتكيف مع القدرة الفكرية واللغة المحلية والعادات والتقاليد المحلية لكل طائفة داخلية. وسوف يؤدي ذلك، في جو صحي من التنافس، إلى "هبوب رياح التقدم الحضاري".

لقد تبين لنا تماما أن النورسي قد حذر صباح الدين بك من أن فكرة اللامركزية و"الأفكار وثيقة الصلة بها"، من الأندية السياسية ومنظمات الأقليات المختلفة سوف تتحول إلى قوة دفع طاردة بسبب الصراع بين العناصر المختلفة. وقد غمر هذا التصاعد في العنف مركب "امتداد القوى" وسيؤدي ذلك إلى الحكم الذاتي، كما سيؤدي إلى الاستقلال وتكوين جيش لكل دولة صغيرة وذلك من خلال خرق ستار الخلافة العثمانية ومبدأ "المشروطية"، ثم يستفحل هذا العنف في النهاية من خلال التنافس والرغبة في الهيمنة اللذين يأتيان نتيجة عدم المساواة، وسوف يؤدي هذا إلى أن تسود حالة من الخلل والفوضى. ولم يرد على ذهن النورسي أن وطنية ونبل شخص موهوب ومثقف مثل الأمير صباح الدين سوف يدعانه يبدد الإمبراطورية ويثير الخصومات ويقضي على مستقبلها. لقد كان معظم أفراد الأمة مؤمنين بوحدانية الله، ومن ثم كان منوطا بهم أن يرسوا مبادئ الوحدة والتشجيع على حب الوطن، وفي الإسلام ما يكفل تحقيق ذلك، ويجب البحث عن حلول داخل إطار الإسلام؛ فقد ذكر قائلا: "إذا كان لابد وأن توجد هناك عناصر، كفى بالإسلام عنصرا لنا".

من هنا، احتلت فكرة الاتحاد الأولوية على أي شيء أخر لدى النورسي؛ ففي وجه كل قوى دفع الطاردة - سواء الداخلية أو الخارجية – التي كانت تعمل ضد الإمبراطورية العثمانية والتي كانت تهدف إلى تمزيق أواصرها، كان يجب الحفاظ على وحدتها مهما تكلف الأمر. ويتبين من خلال دراسة كتابات النورسي أنه قد ركز على الاتحاد على اختلاف مستوياته. وفي كل خطبه ونصائحه لأتباعه من الأكراد، يحث النورسي على الاتحاد، ويصف الصراع الداخلي كأحد أخطر أعداء هذا الاتحاد، وهذا يعني أنه يجب إرساء مبادئ الاتحاد بين العديد من الفصائل المختلفة داخل الإمبراطورية ذات الأصول العرقية المختلفة والأديان المتعددة؛ داخل الإمبراطورية نفسها وعلى أسس الإسلام. ويرى النورسي أن الإسلام والوحدة الإسلامية جزء لا يتجزأ من الخلافة العثمانية.

كان مفهوم السيادة القومية هو أساس الوحدة والتقدم والهيكل الكامل لأفكار النورسي المتعلقة بالحرية و"المشروطية". وقد تسبب الشعور بالسيادة القومية في إثارة مشاعر الحب، الذي أدى بدوره إلى التماسك الاجتماعي مما سمح بإمكانية التقدم، وينطبق هذا أيضا على المستويات الأكثر اتساعا. وكان من بين أحد أهم الانتقادات التي وجهها النورسي إلى الحكم الاستبدادي هو أنه قد قضى على الشعور بالقومية وولد الإحساس بالكراهية والانقسام، الأمر الذي أدى إلى ضياع فرص التطور البنَّاء. وبناء على ذلك، يستخدم النورسي كلمة "قومية" ومشتقاتها للإشارة إلى المستويات الثلاثة، وهي المجموعات المتآلفة، والإمبراطورية، والإسلام، ويدعو إلى الاتحاد بينها جميعا، وقد تعرض لوضع الأقليات غير المسلمة في هذا النظام لاحقا.

كانت هذه هي الأفكار التي حاول النورسي جاهدا غرسها في أذهان الناس من خلال كتاباته وأحاديثه. وفي دفاعه أمام المحكمة العسكرية في مايو عام (١٩٠٩)، وصف النورسي كيف أنه جال وحضر كل المنتديات والأماكن التي يتردد عليها حوالي عشرين ألفا من العمال الأكراد في استانبول، وكيف أنه أمرهم بأسلوب بسيط بمساندة "المشروطية" والاستفادة منها. وقد عبر النورسي

عن الأكراد أنهم يعانون من ثلاثة أعداء رئيسية: الفقر، الجهل – حتى إنك لا تجد أربعين فردا من بين أربعين ألف كردي يستطيعون قراءة الجرائد – والاختلاف، ولذلك فهم في حاجةٍ إلى "ثلاثة سيوف من الماس" للقضاء على ذلك: الوحدة القومية (أي الوحدة فيما بينهم)؛ الجهاد؛ وحب الوطن (يعني حب الأمة العثمانية). وتأكيدا على هذا المطلب الأخير - وهو حب الأمة العثمانية - أخبرهم النورسي بأنهم يمتلكون الشجاعة والقوة البدنية التي يتعين عليهم إظهارها، بينما يمتلك الأتراك الذكاء والتعليم: "الأتراك هم عقلنا ونحن قوتهم" معا نكون إنسانا كاملا... يجب أن ننظر إلى الفوائد فقط، لأن الحكومة الدستورية هي في الحقيقة حكومة قائمة على الشريعة... والقوة في الوحدة؛ والوحدة هي الحياة؛ والأخوة هي السعادة؛ والإذعان للحكومة هو الرخاء. ولذلك فإنه من الضروري التمسك قدر الإمكان بروابط الوحدة والحب القوية".(٩٣)

نلاحظ مرة أخرى هذا الاهتمام الكبير من قبل النورسي بضرورة بلوغ رسالة الحرية والمشروطية إلى عامة الناس بالإضافة إلى بلوغها النموذجي "لحب الوطن".

لعب العمال الأكراد أيضا دورا هاما في المقاطعة النمساوية. وقد هبت أول العواصف العاتية على الإمبراطورية تحت السلطة الجديدة عقب إعلان الدستور مباشرة؛ ففي الخامس من أكتوبر عام (١٩٠٨)، نجحت النمسا في إخضاع البوسنة والهرسك، وأعلنت بلغاريا الاستقلال، ونجحت اليونان في إخضاع جزيرة كريت في اليوم السادس من نفس الشهر. وردا على ذلك، نظمت جمعية الاتحاد والترقي مقاطعة،(٩٤) أعلن شعب استانبول على إثرها في العاشر من أكتوبر مقاطعة كل البضائع النمساوية والأماكن التي تبيع وتتاجر في تلك البضاعة. ونظرا لكونهم أميين وبسطاء، فقد كان العمال الأكراد، البالغ عددهم عشرين ألفا أو يزيد، والذين حملوا على عاتقهم الحياة التجارية في

(٩٣) Nursi, *"Nutuklar,"* 358-59

(٩٤) Ahmad, *"War and Society under the Young Turks,"* 127-28

استانبول، عرضة للتحرش من كل جانب، وخاصة أن هذه المقاطعة قد استمرت ما يقرب من حوالي خمسة أشهر.(٩٥) ولكن بفضل نصائح النورسي وتوجيهاته المهدئة في وقت الاضطراب والإثارة، كان العمال يتصرفون بحكمة وعقلانية،(٩٦) على الرغم من أنهم هم الذين تحملوا الوطأة العظمى للمقاطعة.(٩٧)

لم يكن من السهل أبدا مناقشة قضية مثل انتشار الجهل والتخلف في الأقاليم الشرقية في مجلس النواب، تلك القضية التي كان النورسي يسعى جاهدا إلى تصحيحها من خلال إصلاح التعليم، وإدخال العلوم الحديثة، ونشر التعليم. وفيما يتعلق بتمييز الأقليات العرقية، نوقشت مشكلات الأكراد فيما يتعلق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها الأقاليم الشرقية، كما تحدث أيضا عن معدل الأمية وقال: "إنك لا تجد حتى شخصا واحدا متعلما من بين كل عشرة آلاف شخص"، ولذلك فقد طلب من المجلس تقديم الدعم المالي لتقليل معدل الأمية حتى يصل "إلى شخص واحد متعلم بين كل ألف فرد".(٩٨)

حري بالذكر أن نقول إن أمر التعليم كان أحد الأسباب الأولى لتعاون النورسي الوثيق مع جمعية الاتحاد والترقي، وذلك نظرا لأن أهدافهم وأغراضهم في هذا المجال كانت مشتركة. وقد أولت جمعية الاتحاد والترقي اهتماما كبيرا للتعليم، وكانت تهدف إلى تنوير "العثمانيين وجعلهم أكثر إحساسا وتقبلا لأفكار المشروطية والليبرالية" من مجرد الاهتمام بإعداد مرشحين في المستقبل للبيروقراطية والجيش كما فعل أسلافهم.(٩٩) كما قامت هذه اللجنة كذلك بتأسيس النوادي في العديد من الأماكن، والتي كان من بين أحد أهم أهدافها إتاحة التعليم للعامة في كل من الأمور الدينية والسياسية.(١٠٠)

---

(٩٥) Brummet, *Image and Imperialism*, 175

(٩٦) النورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٢

(٩٧) Brummett, *Image and Imperialism*, 183

(٩٨) Tunaya, *Turkiye' de Siyasal Partiler*, 1 *:407*

(٩٩) Kayalı, *Arabs and Young Turks*, 76

(١٠٠) Kara, *İslamcıların Siyasî Görüşleri*, 63, 88

النورسي يحافظ على النظام العام

على الرغم من أن روح التفاؤل العظيمة التي سادت عند إعلان الحرية قد تحولت إلى أوهام، وباتت الآراء والأحزاب المختلفة أكثر معارضة، إلا أن الموقف العام قد أضحى أكثر تقلبا وأقل استقرارا. وبناء على ذلك، بذل النورسي كل ما في وسعه من أجل الحفاظ على النظام العام والتآلف حتى تمكنت المشروطية من الاستقرار وأمكن الاستفادة منها، وقد ذكرنا فيما مضى بعد الأمثلة الدالة على ذلك، ونذكر الآن بعض الأمثلة الأخرى التي تؤكد ذلك الأمر.

ألقى مراد بك، صاحب جريدة "الميزان" ، محاضرة عامة في مسرح "فرح" باستانبول، وكان عنوانها "نهوض وسقوط الإمبراطورية الرومانية"، وخلال المحاضرة بات من الواضح أن مراد بك – الذي سبق وأن كان قائدا لمجموعة الأتراك الجدد – يقارن كلا من جمعية الاتحاد والترقي والحكومة بالرومانيين. وعندما اتضحت المقارنات التي كان يعقدها، عبر أنصار جمعية الاتحاد والترقي من الجمهور عن اشمئزازهم ورفضهم لذلك. وقد واصل مراد بك انتقاداته وهو رابط الجأش، ولم يبال عندما هدده أحد الأشخاص بتصويب سلاح نحوه، ولكن عندما تحولت إيماءات الضجر إلى صياح وفوضى، تدافع عليه خصومه بقوة، ولكنه لم يستطع الاستمرار في حديثه، وتقهقر ناحية مؤخرة المسرح وأسدل الستار، ولكن ظل الضجيج مستمرا، أما الجمهور - الذي انقسم إلى فريقين - فقد بدأ يتدافع ويتبادل السباب والشتائم، ولم يحاول أحد أن ينصرف كما لم يحاول أحد أن يتدخل.

فجأة نهض أحد الأشخاص من فوق مقعده وصاح بأعلى صوته قائلا: "أيها المسلمون!" إنه بديع الزمان، وبعد أن لفت أنظار الناس جميعا إليه، أشار إلى وجوب احترام حرية التعبير، وشدد على أنه من العار على أفراد إحدى الأمم التي أعلنت الحرية والدستور أن تتجاوز حدود السلوك القويم بهذه الطريقة وتمنعه من إلقاء محاضرته، رغم أن الدين الإسلامي قد أوصى أيضا باحترام أفكار الغير. ولقد دعم حديثه بذكر آيات من القران الكريم وأحاديث

نبوية، كما ضرب أمثلة من التاريخ الإسلامي، حيث أخبرهم كيف اعتاد النبي محمد ﷺ أن يستشير الآخرين ويأخذ بآرائهم. وهكذا اقتبس بعضا مما قاله سعيد النورسي، ثم أمرهم جميعا أن يتفرقوا في هدوء تام وأن يسير كل واحد في طريقه.

تحدث النورسي بأسلوب جميل ومقنع جدا لدرجة أنه لم يقاطعه أحد، حتى أولئك الأشخاص السفاكين والمجرمين الذين كانوا منذ لحظات قليلة يرمونه بأفظع الشتائم وكلمات الطعن لم يتفوهوا بشيء. وقد غادر الجميع المسرح في حالة من القهر والحزن التام.[١٠١]

ما زال لدى الصحفي منير سليمان جبان اوغلو، الذي كتب هذه السطور السابقة، المزيد من الوقائع في تلك الفترة، والتي رواها في أحد الحوارات في عام (١٩٧٢) قائلا: "لا ريب أن النورسي رجل استطاع فهم طروحاته جيدا والدفاع عنها، في فترة "المشروطية"؛ حيث سار بنفس الإيقاع ونفس السرعة في نفس الاتجاه مدافعا عن نفس الأفكار. ولقد أفزع السلطات في تلك الفترة مثلما يحدث الآن، لأنه متى خرج إلى الشارع، يحوطه جمع غفير من الناس على الفور.

وعندما سئل منير جبان اوغلو عما إذا كان تلاميذه هم الذين يتوافدون عليه، أجاب قائلا: "تلاميذه وعامة الناس، ولكن يكون الناس في الغالب هم الذين يرغبون في رؤيته والاستماع إلى حديثه، فلقد شاهدت ذلك بنفسي في العديد من المرات؛ حيث يتميز حديثه بالجمال والإقناع".[١٠٢]

ولقد استطاع النورسي كذلك تهدئة أحد المواقف المتوترة في الاحتجاج الجماهيري الذي أثاره طلاب المدارس في بايزيد باستانبول عام (١٩٠٩). وحسبما هو متبع، تم إعفاء طلاب المدارس الدينية من أداء الخدمة العسكرية تماما، ولكن بعد إعلان الدستور قررت الحكومة تطبيق اختبار ما، بحجة أن

---

(١٠١) Şahiner, نقلا عن Münir Süleyman Çapanoğlu, *Türkiye'de Sosyalizm Hareketleri ve Sosyalist Hilmi* *Bilinmeyen* 117-118

(١٠٢) Şahiner, *Nurs Yolu,* 131

هذا الامتياز قد أسيء استخدامه، وأن التلاميذ الذين استطاعوا اجتياز ذلك الاختبار تم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية، بينما أصبحت الخدمة العسكرية واجبة على من أخفق في هذا الاختبار. وقد نظم التلاميذ اجتماعا علنيا للاحتجاج على قصر الفترة التي منحوا إياها للاستعداد للاختبار.

وقد صفا جو الاجتماع عند قدوم النورسي إليه، ونظرا لكونه معروفا من قبل التلاميذ، فقد تحدث إليهم شارحا العلاقة الوثيقة بين الشريعة والمشروطية ومعلقا على أن الاستبداد لا يمكن على الإطلاق أن يتصاحب مع الشريعة. وقد تمكن في غضون فترة قصيرة من تهدئة الموقف ومنع حدوث أية اضطرابات.(١٠٣)

(١٠٣) Şahiner, *Bilinmeyen* 123؛ النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٥

الفصل الثالث

بديع الزمان وحادثة الحادي والثلاثين من مارس

مقدمة

بعد تسعة أشهر من حكم جمعية الاتحاد والترقي، كانت حادثة الحادي والثلاثين من مارس الشهيرة[1] خير معبر عن حالة السخط المتزايدة التي عمت تركيا. وقد ظل كثير من عناصر هذا العصيان - الذي بدأ بتمرد بعض فرق الجيش في استانبول واستمر لمدة اثني عشر يوما - خافية عن الناس، إلا أنه من المؤكد ـ بغض النظر عن الأسباب — أن دور بعض الصحف في التمرد كصحيفة *"فولقان" لصاحبها درويش وحدتي*، وجمعية الاتحاد المحمدي (التي كانت *"فولقان"* الجريدة الناطقة باسمها) قد بولغ فيه وربما حُرّف تحريفا تاما. ونحاول في الجزء التالي على الأقل جذب الانتباه لبعض هذه التحريفات، إلا أنه يتعذر عرض كل التحريفات أو التحقق من الحادثة بشكل دقيق.

لم يلعب سعيد النورسي أي دور في هذا التمرد، بل على العكس فقد حاول قدر استطاعته استغلال نفوذه وسمعته كي يقنع الجنود المتمردين بطاعة أوامر ضباطهم والعودة إلى الثكنات العسكرية، ومع جميع محاولاته هذه أُلقي القبض عليه مع مئات آخرين عندما صدرت الأوامر بوصول الجيش من سلانيك، وحوكم أمام إحدى المحاكم العسكرية.وكان السبب وراء القبض عليه ومحاكمته هو اشتراكه في جمعية الاتحاد المحمدي، التي وُجهت إليها تهم التحريض على التمرد في هذا الحادث، وقد بُرئ النورسي وأُطلق سراحه.

وقد نُشرت مرافعته التي كانت سببا رئيسيا في إطلاق سراح أربعين أو

---

(١) تحدد تاريخ هذه الحادثة طبقا للتقويم الروماني، ثم أشير إليها في الإمبراطورية العثمانية بتاريخ ٣١ من مارس عام ١٣٢٥، الموافق ١٣ من إبريل عام ١٩٠٩ في التقويم الميلادي.

خمسين ممن كانوا معه - في عام ١٩١١ تحت عنوان *شهادة مدرستي المصيبة، أو المحكمة العسكرية وسعيد الكردي*. وقد طُبعت المرافعة طبعة ثانية في العام التالي.

الاتحاد المحمدي

وكان من بين الأخبار التي جاءت بها *"فولقان"* في عددها رقم ٣٦ (٥ فبراير ١٩٠٩) ثلاثة أخبار ترتبط ببعضها البعض ارتباطا واضحا. أولا، اجتماع الماسونيين في منزل المشير فؤاد باشا، وتوقعوا افتتاح مَحْفِلِ ماسوني لهم بعد ثلاثة أسابيع. ثانيا، تم تأسيس جمعية الاتحاد المحمدي. ثالثا، بدأت "الجمعية المقدسة" - التي يُفترض أنها تعني الاتحاد المحمدي - "تعلن عن نفسها للعالم" ردا على الماسونيين الذين بدأوا في التغلغل بين العامة.[٢] وعلى الرغم من أن الاعتقاد العام يؤكد أن درويش وحدتي[٣] كان المؤسس الحقيقي للاتحاد المحمدي، إلا أنه (كما يشرح هو ذاته بشكل مُطول في سلسلة من المقالات التي نشرتها جميع أعداد جريدة "فولقان" ما بين العدد ٦٦ إلى ٧٠) وعى هذه الفكرة من خلال مجموعة من الأفراد الذين لا تربطهم به علاقة، والذين كانت لديهم الرغبة في استخدام *"فولقان"* كجريدة تابعة للاتحاد. وقد زعموا أن الاتحاد قد تأسس منذ عشر سنوات.[٤] وعلى الرغم من أن النورسي أطاعهم في بادئ الأمر، إلا أن الشكوك بدأت تساوره وانفصل عنهم؛ حيث كان هدفهم هو "التفاعل السياسي"،[٥] وربما كان أحدهم على الأقل جاسوسا أو مخبرا سابقا،[٦] ثم بدأ يتولى أمر الاتحاد بمفرده. وقد كُتِبَ فوق *"فولقان"* جملة "مطبوعة *الاتحاد المحمدي*" بداية من العدد ٤٨ الصادر في ١٧ فبراير ١٩٠٩،

---

(٢) أعلنت صحيفة "فولقان": *Volkan,* no. 36, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 168. *Volkan,* no. 70, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 335، أن الاتحاد قد تأسس في ٦ من فبراير عام ١٩٠٩.

(٣) لمعرفة المزيد عن درويش وحدتي، ارجع إلى الملحوظة رقم ٢٢، والنص الذي تشير إليه.

(٤) انظر: *Volkan,* no. 69, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 331.

(٥) انظر: *Volkan,* no. 68, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 328-29; no. 98, in Düzdag, *Volkan Gazetesi,* 476.

(٦) انظر: *Volkan,* no. 69, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 331؛ انظر أيضا: Düzdağ, *Yakın Tarih Yazıları,* 155, 158.

رغم أن الطبعات الكاملة لبيانها الرسمي ومدوّنة قواعدها لم تظهر في الجريدة حتى ١٦ مارس ١٩٠٩،[٧] وقد جاءت مراسم "الافتتاح الرسمي"[٨] في شكل

---

(٧) انظر: Volkan, no. 75, in Düzdağ, Volkan Gazetesi, 362-64؛ Tunaya, Türkiye'de Siyasal Partiter, 1:199-203.

(٨) حضر عدد من المؤرخين هذا الافتتاح الرسمي الذي تم تأجيله حتى يواكب ذكرى مولد النبي ﷺ، كما لاحظنا، ويأتي على رأس الحضور "طونايا" الذي ورد في مؤلفه المذكور أعلاه، ولو ضمنا فقط، ربطه الجمعية بحادثة الحادي والثلاثين من مارس، التي حدثت بعد ذلك بعشرة أيام فقط. وهناك أعمال كثيرة تناولت هذا الأمر، من بينها على سبيل المثال: Kayalı, Arabs and Young Turks, 72-73. وأود أن ألفت النظر، بناء على ما سبق ذكره، إلى نقطتين رئيسيتين في معاملة "طونايا" للاتحاد، وأرى أن تصريحاته الختامية مضللة. وهي تتعلق بطبيعة الاتحاد المحمدي. وأيضا، بالنظر في دور الاتحاد في الثورة، والتحقيق القريب والموضوعي لذلك من خلال دراسة مادة المصدر الأصلي أن، يتبين أن هذا الاتحاد لم يلعب الدور القيادي الذي أكده "طونايا" وآخرون، ولكن هذا الأمر خارج نطاق الدراسة الحالية. ولدى دراسة هذه الأمور، أول شيء يأتي في ذهن الإنسان هي الطبيعة المناصرة للحياة السياسية في هذه الفترة، الذي يجعل من الضروري معرفة انتماءات الشخص لتقييم حقيقة تصريحاته عن خصمٍ ما، حتى لو أو وخاصة لو كان عضوا في الحكومة أو البرلمان. ولتناول النقاط الأخرى علينا أن نعلم أن:

أولا: في الجزء الخاص بعمله الممتاز، يطلق "طونايا" على الاتحاد المحمدي مصطلح "فرقة"، والذي يعني هنا حزب سياسي، انظر: Red-house Yeni Türkçe-İngitizce Sozlük [Istanbul, Redhouse Yayinevi: 1979], 371، في حين أن الاتحاد يعرف نفسه، كما يعبر الدستور الخاص به، على أنه "جماعة"، انظر: Volkan, no. 70, in Düzdağ, Volkan Gazetesi, 362، ولا يستخدمون أبدا مصطلح "فرقة".

ثانيا: يصنف "طونايا" الاتحاد على أنه "اكليركي، سري، وثوري"، انظر: Volkan, no. 70, in Düzdağ, Volkan Gazetesi, 362. الصفة الأولى صحيحة رغم أن استخدام لفظ "اكليركي" الذي يُكتب بالتركية klerikal بما له من دلالة مسيحية يمكن أن يكون محل نقاش. يجب أيضا أن نتذكر أن المجتمع كان مفتوحا أمام "كل الاعتقادات". ومع ذلك، تعد الصفتان الثانية والثالثة غير صحيحتين. فبالنسبة بكونه جماعة سرية، فإن المعلومات الواردة في صحيفة فولقان عنه وعن أهدافه وأنشطته، إلى جانب تصريحات ومقالات أعضائه، بالإضافة إلى تصريحات الأعضاء الجدد فيه وغيرها، كل هذا ينفي هذا الادعاء، وما أستطيع أن أثبته من خلال المادة التي جمعتها هو أنه ليس هناك ما يؤيد ذلك. ولإثبات هذا، يخطئ "طونايا" في الاستشهاد بجزء صغير من صحيفة "فولقان": Volkan, no. 75, in Düzdağ, Volkan Gazetesi, 361-62، والذي يشرح فيه أنه كان يوجد في العالم جمعيات ذات طبيعة دينية مثل "الاتحاد الإسلامي في الهند، وجمعيات المسيح والتبشيرات والجماعات الصهيونية في أوروبا وأمريكا وأماكن أخرى عديدة"، كما أنه كان هناك جماعات وأحزاب سياسية، مثل: "الماسونية، والكاربونير، وأوروبا الجديدة، والاشتراكيون، والشيوعيون، والوضعيون، وجمعية كارل ماركس الدولية، والأحزاب الثائرة والأحزاب الحكومية، وهيئات من كل لون

مولد،[٩] وعُقد الاحتفال في وقت لاحق في الثالث من أبريل ليتزامن مع مولد النبي محمد ﷺ في (١٢ ربيع الأول ١٣٢٧). وقد لعب النورسي دورا بارزا في المولد الذي أُقيم في أيا صوفيا؛ حيث ألقى خطبة استمرت لمدة ساعتين.إلا أنه من المفيد في بادئ الأمر أن نعلم كيف ذكر النورسي للمحكمة العسكرية أسباب انضمامه للجمعية وكيف كانت نظرته إليها.

قال النورسي: "لقد سمعت أن هناك جمعية اسمها الاتحاد المحمدي قد تأسست، وانتابني قلق شديد مخافة أن يضل بعض الناس تحت هذا الاسم المبارك، ثم سمعت أن أناسا أفاضل، كسُهَيل باشا[١٠] والشيخ صديقي،[١١] قد انضموا إليها لتطهير أعمالهم واتباع السنة النبوية الشريفة. لقد انصرفوا عن تلك الجمعية السياسية [جمعية الاتحاد والترقي]، وقطعوا كل علاقاتهم بها، بل وقرروا عدم التدخل في شئون السياسة، إلا أن الخوف غالبني ثانية، وأخذت

ونوع". في مثل هذه البيئة كان الاتحاد المحمدي "ينشر أنوار الوحي الإلهي"، وهذا يعني أنه في مثل هذا البيئة، كان يجب عليهم أن ينشروا رسالة محمد ص، فلم يكونوا يفعلون مثل المجتمعات السرية التي ذكرناها الآن. وقد ذكرنا أدناه أهداف ومقاصد هذا الاتحاد؛ فلم يكن الاتحاد سريا أو ثوريا أو سياسيا، ولكنهم كانوا ينادون بالالتزام بالشريعة وتهذيب الأخلاق، وأحيوا من جديد الأفكار الاجتماعية والسياسية للأمة الإسلامية وذلك من أجل تطويرها. وقد أخذوا كل هذه الأمور في اعتبارهم عندما نادوا بفكرة الوحدة الإسلامية. ولأن هذا الاتحاد لم يكن حزبا سياسيا جعل من المستحيل على أعضائه الانتماء لأيٍ من الأحزاب السياسية. أما فيما يتعلق بقضية كونه حزبا ثوريا يبغي الإمساك بالسلطة، انظر: Tunaya, *Turkiye'de Siyasal Partiler,* 1: 192-93، ولم يقدم "طونايا" دليلا قويا يؤيد هذه الادعاء. ولم أستطع التحقق من تصريحاته عن الأمير صباح الدين، ولكن من الصعب أن نجد صلة بين الاستشهادات التي ذكرها من صحيفة "فولقان" وهذا الأمر. المرجع السابق ذكره، ١: ص ١٩٢-١٩٣.

وباختصار، بالنظر إلى أهمية عمل "طونايا" كمصدر واسع الانتشار، يجب أن نلاحظ أنه يحاول بناء صورة مغلوطة عن جماعة الاتحاد المحمدي على أنه مؤسسة مهلهلة. الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة الموضوعية.

(٩) المولد عبارة عن ترنيمات يرددها بعض المنشدين لقصائد طويلة في مدح النبي ﷺ كتبها سليمان شلبي المتوفى ١٣٧٨.

(١٠) ورد في مجموعة الإصدارات التي أعيد نشرها باللغة اللاتينية أن سُهيل فاضل باشا كان على رأس قائمة اللجنة المركزية للاتحاد؛ ومن المحتمل أن يكون هناك خطأ في كتابة اسم "سُهيل"، رغم أنه يظهر هكذا في ديوان الحرب العرفي، انظر: *Volkan,* no. 75, 364.

(١١) الشيخ فضل الله أفندي محمد صديق أفندي، انظر: *Volkan,* no. 75, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi*.

أحدث نفسي: "الكل له الحق في هذا الاسم، ولا يجب أن يستغله [واحد بعينه] أو أن يكون قصرا على أحد". أما بالنسبة لي، فقد انضممت إلى سبع جمعيات، لأنني أرى أن أهدافهم جميعا واحدة، ثم انضممت إلى هذه [الجمعية التي تحمل الاسم الشريف"]."

وقد ظهرت أولى المقالات التي كتبها النورسي لجريدة *"فولقان"* في العدد رقم ٧٠ (الصادر في ١١ مارس ١٩٠٩). وهناك بيان في العدد ٦٨ (الصادر بتاريخ ٩ مارس) يدعو أعضاء الاتحاد الرئيسيين ـ ومنهم النورسي ـ لاجتماع غير عادي، وقد أُدرج اسم النورسي في العدد رقم ٧٥ كواحد من الأعضاء الستة والعشرين الذين يمثلون الهيئة التنظيمية للاتحاد. وربما يكون النورسي قد بدأ المشاركة في الاتحاد في هذا الوقت الذي كان فيه وحدتي يؤسس الاتحاد على نحو مستقل. ويستأنف قائلا:

"ومع هذا يمكنني تعريف الاتحاد المحمدي الذي أنتمي له على النحو التالي: ولكن الاتحاد المحمدي الذي اعرفه وانضممت اليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. فالذين ينضوون تحت رايتها يتجاوز عددهم ثلاثمائة مليوناً في هذا العصر، وان جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله. قسمه وعهده هو الإيمان. والمنتسبون اليه جميع المؤمنين منذ الخليقة. وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ. وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله. ومحالّ اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية. ومركزه: الحرمان الشريفان.

فجمعية مثل هذه.. رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم ﷺ. ومسلكها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه اي التخلق بأخلاق الرسول الكريم ﷺ واحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين وإسداء النصح لهم ما لم ينشأ منه ضرر. والنظام الداخلي لهذا الاتحاد: السنة النبوية. وقانونه: الأوامر الشرعية ونواهيها. وسيوفه: البراهين القاطعة، حيث أن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار. وان تحرّي الحقيقة لا يكون الاّ بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب. أما أهدافهم ومقاصدهم فهي إعلاء كلمة الله . هذا وان نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمائة بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحدة بالمائة. فليفكر فيها أولياء أمورنا."

واستأنف النورسي كلامه قائلا:

"فان مقصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، وذلك بتحريك تلك السلسلة النورانية، إذ إن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان".

وواصل حديثه قائلا:

" فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه وإلاّ فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس".(١٢)

ومن ثَم، فقد كان النورسي في بادئ الأمر مهتما بمنع أي جمعية تحمل اسم النبي ﷺ، من استغلاله لتحقيق مآرب سياسية، أو من أن تكون مصدرا للفرقة والصراع. ومن المؤكد أن جمعية الاتحاد المحمدي قد تبنت كل طوائف المؤمنين، كما كانت سبيلا للتغلب على الاختلافات العديدة التي نشبت بين الجمعيات والأحزاب السياسية المتعددة خلال شهور حكم جمعية الاتحاد والترقي، لقد كانت تلك الخلافات مريرة، على الأقل في الجزء الذي وصفه سعيد النورسي بـ "الفاجعة الكبرى" وكان يقصد بذلك حادثة الحادي والثلاثين من مارس.(١٣)

وقد كتب النورسي: " إن مشربنا؛ محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي إمداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشتيت عساكر الخصومة فيما بينهم".(١٤) وقد وصف النورسي الاتحاد المحمدي "هو اتحاد الإسلام، فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل".(١٥) لقد كانت الوحدة والأخوة "مثل أعراق الذهب الدفينة في نصف الكرة الأرضية"، وكان الاتحاد في تركيا "شعلة جديدة في أحد أركانها، وبشر بهذه الحقيقة القوية التي تكشفت بكاملها". ولقد تحولت من مجرد احتمال لتصبح حقيقة واقعة تتلمس خطاها

---

(١٢) النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٦.

(١٣) النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٥٥.

(١٤) Nursi, "Yaşasin Şeriat-i Ahmedī," *Volkan,* no. 77 Mart 5, 1325/March 18, 1909, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 371، وانظر: النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٥٣٢.

(١٥) انظر: Nursi, "Reddü'l-Evham," *Volkan,* no. 90 Mart 18, 1325/March 31, 1909, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 438، وانظر النورسي، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٥٣٣.

الآن لتوقظ المؤمنين وتحثهم على المضي في طريق التقدم من خلال واعظ الضمير وقوته، ولم يدرك المسلمون هذا الاحتمال الهائل، فقد أصبحت سلسلة الوحدة المضيئة ـ التي كانت تربط بين مراكز الإسلام قاطبة ـ جامدة لا حراك فيها بسبب إهمال المسلمين لها، وقد حان الوقت الآن لتدب فيها الحياة وتتحرك من جديد.(١٦)

لقد كان أساس وحدة العالم الإسلامي وتقدمه وقوته وتحرره إحياء أخلاقيا، وكان النورسي يرى أن جمعية الاتحاد تقود حركة واسعة الانتشار لإعادة التسلح الخلقي من خلال بث طاقة جديدة في اتباع الشريعة وسنة النبي ص، فهو يقول: "لقد كان السبب في انهيارنا الدنيوي هو الفشل في اتباع ديننا، ونحن أيضا في أمسّ الحاجة إلى الارتقاء الأخلاقي منه إلى الإصلاح الحكومي".(١٧)

ويشرح سعيد في هذه المقالات بمزيدٍ من التفاصيل أهداف الاتحاد المحمدي كما ظهر في البيان الرسمي ومدونة القواعد الخاصة بالاتحاد. بالإضافة إلى ذلك، أشار البيان إلى أن الجمعيات والأحزاب المختلفة والمتعددة في هذا الوقت كانت تُنظم في أنحاء مختلفة من العالم، كما ذكر بأنه طالما لا يضر المسلمين الانضمام إلى الجمعيات، فبالتالي لا يمثل الانضمام لها أي عائق أمام الانضمام إلى جمعيات أخرى، سواء كانت هذه الجمعيات دينية أو سياسية، فالجمعيات كانت ضرورية لأن "الثمار المرجوة لا يمكن أن تُجنى من الإيمان بالحكم الدستوري فحسب، ودون وجود أحزاب وجمعيات". وأقر الاتحاد أن كل المواطنين متساوون أمام القانون ، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. ويحاول البيان جاهدا أن يشير إلى أن كل أنشطته والأنشطة التي يهدف إلى ترويجها تمضي كلها وفقا للقانون.(١٨)

---

(١٦) Nursi, "Lemean-ı Hakikat," *Volkan,* no. 102 March 30, 1325/April 12, 1909, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 498.

(١٧) Nursi, "Lemean-ı Hakikat," *Volkan,* no. 101 March 29, 1325/ApriJ 11, 1909, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 494.

(١٨) "Beyanname," *Volkan,* no. 75, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 361-62.

المولِد في أيا صوفيا

نظم الاتحاد المحمدي هذا المولد في أيا صوفيا كي يتزامن مع مولد النبي ص، وقد أُعلن عنه في جريدة *"فولقان"* في ٣١ مارس ١٩٠٩، وذكرت الجريدة أن الاتحاد قد دخل "حقبة جديدة من السكينة والتقدم؛ حيث نجح في التغلب على كل الهجمات التي تعرض لها والأزمات التي نتجت عن هذه الهجمات". وقد كان المولد "هدية إلى روح محمد ﷺ الطاهرة التي لا تشوبها شائبة".[١٩]

وقد أثارت أنباء المولد استجابة هائلة بين سكان استانبول، وتجمع في المنطقة ما يقرب من مائة ألف في اليوم الموعود، ولم تشهد المناطق المحيطة بأيا صوفيا حشدا بمثل هذه الضخامة من قبل. وعلى الرغم من هذه الأعداد الكبيرة، لم يحدث أثناء المولد أو بعده أي شيء يعكر الصفو، فقد مضى الاحتفال على أعلى درجة من النظام، "كصورة للأخوة واللياقة الإسلامية"، وقد وصف درويش وحدتي وصول النورسي وخطبته على النحو التالي:

> في حوالي تمام العاشرة، وصل بديع الزمان سعيد الكردي على رأس جمعية طلبة العلوم الدينية، فقمنا نحييه عند الأبواب الخارجية حيث كنا نقابل الوفود الجدد... وكانت العمائم التي يرتديها الطلبة بيضاء كضوء يبعث على النشوة مثل الزهور، ولكن يبقى القول أن ما حصل عليه هؤلاء من علوم الدين هو ما أعطاهم هذه المكانة الخاصة.
>
> ولما أخذ الناس يطلبون منه وينادونه بقولهم "يا حضرتنا"، هكذا، يا أعجوبة المسلمين، صعد النورسي المنبر بملابسه الكردية الشهيرة وأسلوبه البطولي والخنجر في وسطه ووقف يلقي خطبة بليغة".[٢٠]

وبدأ النورسي خطبته بالكلمات التالية: "لقد انكشفت الحقيقة من القلب، لا تدع هؤلاء الذين حُرموا منها يتفرسون فيها". وقد استمرت الخطبة ساعتين يتحدث فيها عن الأمور السياسية والاجتماعية والدينية ذات الأهمية في ذلك الوقت. وقد ذكر أحد من حضر هذه الخطبة قائلا: "لقد كانت الخطبة التي ألقاها النورسي رائعة من روائع الخطب".[٢١]

---

(١٩) *Volkan,* no. 90, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 435.

(٢٠) *Volkan,* no. 95, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 461.

(٢١) Hafız Ali Sağman, *Mevlid Nasıl Okunur ve Mevlithanlar*؛ نقلا عن: Şahiner, *Bilinmeyen* 6th ed.,116-17

درويش وحدتي

يظل حافظ درويش وحدتي[٢٢] ـ صاحب جريدة *"فولقان"* ومؤسسها ـ أحد الشخصيات التي ظلت مجهولة القدر حتى يومنا هذا؛ وإنه إذ يوصف بأنه شعلة أصولية متوهجة[٢٣] ورجعي راديكالي ومعادٍ لقيم المشروطية،[٢٤] بل حتى مخرب وعميل بريطاني،[٢٥] إلا أن الدراسات الأخيرة أثبتت بطلان هذه المزاعم؛ فهو كما يُرى الآن مجرد ضحية لظرف جعل منه رمزا للتمرد والعواقب التي ترتبت على ذلك،[٢٦] كما أن مقالاته في أعداد جريدة "فولقان" التي بلغت ١١٠ عددا[٢٧] ـ والتي ظهر أولها في ١١ ديسمبر ١٩٠٨ ـ تنفي عنه كونه مثيرا للشغب والاضطراب. ومن المؤكد أن النورسي كان يرغب في تناول المشكلات المعاصرة من وجهة النظر الإسلامية لرفع كلمة الشريعة، وجذب الانتباه إلى الأحداث التي تولدت مع الحرية الجديدة التي يتمتع بها النظام الدستوري، والتي أدرك الناس أنها خطر يهدد الأعراف الراسخة، وتوفير منبر للنقاش؛ ورغم بقائها كجريدة يومية، تناقش *"فولقان"* القضايا السياسية الجارية والقضايا الموضوعية بأسلوب ونبرة يمكن وصفها بالاعتدال بصفة عامة. وقد يكتشف المرء ازدياد حدة النبرة في بعض المقالات، خاصة بعد التدهور الذي شهدته الأوضاع السياسية بعد الاستقالة الاضطرارية التي أُجبر عليها الوزير كامل باشا الكبير (١٣ فبراير ١٩٠٩)، واغتيال حسن فهمي محرر جريدة "سربستي" المعارِضة (٦ أبريل ١٩٠٩). وكما أراد لها "وحدتي"، فقد كانت "فولقان" صغيرة للغاية، إلا أنها كانت شعلة من النشاط"، وكان "الاعتدال" سبيلها، "فلا مفر من ثوران *"فولقان"* إذا تعرض الحق أو الحقيقة لأي خطر أو تهديد".[٢٨] وعلى الرغم من ذلك، كانت الجريدة مؤيدا شجاعا للدستور،

---

(٢٢) لمعرفة سيرة "درويش وحدتي"؛ انظر: Düzdağ, *Volkan Gazetesi* في الصفحة المقابلة لصفحة العنوان؛ وانظر أيضا Düzdağ, *Yakın Tarih Yazıları,* 153-56.

(٢٣) Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 46.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٥٠؛ انظر أيضا: Shaw and Shaw, *History,* 2:280.

(٢٥) Yalman, *Yakın Tarihte Gördüklerim ve Geçirdiklerim,* 1 :205, 208؛ Düzdağ, *Yakın Tarih Yazıları,* 161.

(٢٦) Düzdağ, *Yakın Tarih Yazıları,* 157-65.

(٢٧) ظهرت جميع هذه الأعداد، ولكن العددين ١٠، ١٣ لم يتم طباعتهما نظرا لنقص التمويل.

(٢٨) *Volkan,* no. 1, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 1; no. 4, 20.

واشتملت على ما لا يمكن وصفه سوى بأنه تملق لأعضاء جمعية الاتحاد والترقي أمثال أنور ونيازي "أبطال الحرية".[٢٩] ومع هذا أدانت الجريدة أحمد رضا لعودته الى الحكم المطلق بمجرد أن ضمن مكانة كبيرة لنفسه.[٣٠] علاوة على ذلك، أيدت الجريدة حكم القانون، ولم تتردد في معارضة الاستبداد والخروج على القانون الذي تقترفه جمعية الاتحاد والترقي وأتباعها بشكل متزايد يوميا.

وتشير حالة الخوف التي عبّر عنها النورسي عند سماعه عن "أناس" قاموا بتأسيس جمعية تسمى "الاتحاد المحمدي" إلى قلقه من انغماس هذه الجمعية التي تحمل اسم النبي في سياسات حزبية، أو أن يقتصر نشاطها على جماعة واحدة، ولذا فلم يكن خوفه من درويش وحدتي، وربما يكون قد سمع عن مؤسسي هذا الاتحاد الذين تحوم حولهم الشبهات. ورغم هذا، نجد النورسي في كثير من الأحوال يحمل نفس الآراء التي عبرت عنها الجريدة، حيث أراد بلا شك أن يضمن استمرارها على نهج التحديث الذي أعلنته من قبل سبيلا ومنهجا لها، وكان النورسي من أشد المنتقدين للدور الانشقاقي الذي لعبته الصحافة في تلك الفترة، وقد عبر كثيرا في مقالاته عن النهج الذي يجب أن تسلكه الصحف.[٣١] ويُذكر بعد كل ذلك أن النورسي كتب في خاتمة إحدى مقالاته الطويلة التي نُشرت في جريدة *"فولقان"* عام ١٩١٥ تذكرة لوحدتي يذكره فيها بأن عليه أن يكون معتدلا في كتاباته كما يأمر الإسلام:

"أخي درويش وحدتي بك!

يتعين على الكُتاب التحلي بدماثة الخلق، ويجب أن تُصبغ أخلاقهم بصبغة أخلاق الإسلام، كما يجب أن يُصاغ قانون الصحافة بحس الدين في الضمير، حيث أظهرت الثورة الإسلامية أن ما يحكم الضمائر هو الحماس الإسلامي، والذي هو بحق نبراس الأضواء، كما عرف الناس أن الوحدة الإسلامية تتضمن كل البشر وسائر المؤمنين، فلا أحد خارجها.[٣٢]

---

(٢٩) انظر، على سبيل المثال، *Volkan,* no. 2, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 8-9.

(٣٠) *Volkan,* no. *103,* in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 502.

(٣١) انظر: النورسي، صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦١. Nursi, "Nutuklar," 359-60.

(٣٢) انظر: Nursi, "Lemean-ı Hakikat," *Volkan,* no. 105 Nisan 2, 1325/April15, 1909, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi,* 512.

وقد ظهرت رسالة التذكير هذه في اليوم الثاني من الثورة، وتشير إلى قانون الصحافة المُقترح، والذي كان موضعا للجدل في الصحف على مدار أكثر من شهر.[٣٣] ولا يتضح بشكل محدد أية مقالة من مقالات وحدتي كان يشير إليها النورسي، بيد أن حالة التوتر اشتعلت بشدة بعد اغتيال حسن فهمي الذي يمكن الربط بينه وبين مظاهرة احتجاج دعت إليها جريدته - "سربستي" - ضد القانون الجديد وكان مقررا لها اليوم التالي لاغتياله. وقد كان اغتياله البشع صفعة مزدوجة وجهتها جمعية الاتحاد والترقي لحرية التعبير وحرية الاحتجاج؛ حيث وُجّهَ اللوم للجمعية في حادث الاغتيال، وتسببت في حالة من الغضب والسخط بين الناس. ومن الواضح أن النورسي أحس وسط هذه الظروف المتقلبة بأنه مطالب بتذكير وحدتي أن تمسكهم بالاعتدال وحده يمكنه أن يساعدهم على تهدئة الموقف وإرساء النظام العام الذي كان ضروريا حتى يعمل النظام "الإسلامي" الدستوري، حتى يكون الإسلام قوة فعالة في سن القوانين وغيره من أفرع الحكم والإدارة. وستسهم مثل هذه الحالة من الفوضى والاضطراب في إعاقة القيام بذلك، بل وستخدم مصالح هؤلاء الذين يقفون من الحرية موقف الند للند.

وكغيرها من العديد من الصحف الأخرى مثل *الميزان* وبعض الصحف الأخرى، اتخذت جريدة *"فولقان"* موقفا مناهضا لجمعية الاتحاد والترقي، وهو الأمر الذي جعل منها ومن الاتحاد المحمدي موضعا للعديد من الانتقادات. وقد حاول النورسي في مقالاته التي تتميز بنبرة تميل بشدة إلى الاعتدال والمنطق أن يبدد المخاوف التي بدأت تحوم حول الاتحاد، فأخذ يتحدث عنه بالمصطلحات التي وُصفت من قبل. وربما أراد النورسي بالحفاظ على هذه النبرة السوية أن يحول موقف وحدتي العدائي، ومنع الهجوم الذي كان ينهال على الاتحاد المحمدي. وقد خصص النورسي ثلاث مقالات ظهرت في الفترة ما بين ٣١ مارس ١٩٠٩ و١٥ أبريل للرد على هذه الانتقادات والشكوك والقضايا المتعلقة بالاتحاد. وقد ظهر الجزآن الأخيران من المقالة الثالثة

---

(٣٣) انظر على سبيل المثال، *Volkan,* nos. 59, 64, 71, and 84, in Düzdağ, *Volkan Gazetesi*.

(إجلاء الشكوك في ضوء الحقيقة) بعد وقوع حادثة الحادي والثلاثين من مارس، وربما كانت هذه المقالة سببا في القبض على النورسي والزج به إلى المحكمة العسكرية. أما درويش وحدتي، فقد دفع ثمن معارضته الصريحة لجمعية الاتحاد والترقي؛ حيث أُتهم وأُدين بإثارة التمرد، وشُنق مع اثني عشر شخصا آخرين في التاسع عشر من يوليو ١٩٠٩،[٣٤] وها هي جمعية الاتحاد والترقي قد انتقمت لنفسها شر انتقام، فقد بلغ إجمالي من أعدمتهم الجمعية ٢٣٧ شخصا.[٣٥]

خلفية عن التمرد

أعلنت جمعية الاتحاد والترقي أن حادثة الحادي والثلاثين من مارس حركة رجعية،[٣٦] وحمّلت السلطان عبد الحميد مسئوليتها.[٣٧] ورغم اقتراح الكثير من العوامل التي يمكن أن تساهم في تصعيد حالة الغضب ضد جمعية الاتحاد والترقي، إلا أن التمرد نفسه لم يكن مبررا بصورة كافية. وكما ذكرنا سابقا، فإن البحث المنصف للمصادر يوضح عكس ما تكرر على نحو مؤسف في معظم الأعمال التي ذكرت هذه الحادثة، حيث كانت كل من جريدة *"فولقان"* التي احتوت على كتابات درويش وحدتي والاتحاد المحمدي يقومان بدور تحريضي على العصيان. ويبدو أن مصدر هذا التبرير هو جمعية الاتحاد والترقي ومؤيدوها، حيث أصبحت رواية أحداثها من المواد المفضلة لدى كثير من الكتاب المتميزين. وطبقا لذلك، فإن التمرد كان رجعيا لأنه يرفض نظام الحكم الدستوري الليبرالي ويريد الرجوع إلى الحكم الأوتوقراطي للسلطان عبد الحميد. وكما ذكرنا سابقا، لم تكن هذه هي رغبة أعضاء الاتحاد المحمدي كما عبروا عنها في جريدة *"فولقان"*. علاوة على ذلك، وصفت جمعية الاتحاد والترقي كل معارضيها بأنهم رجعيون كما أوضح أحد

---

(٣٤) Albayrak, *31 Mart Vak'asl Gerici Bir Hareket Mi?,* 118.

(٣٥) Kutay, *31 Mart İhtilalinde Sultan Hamit,* 59.

(٣٦) Tunaya, *Türkiye'de Siyasal Partiler,* 1: 185; Özçelik, *Sahibini Arayan Meşrutiyet,* 271.

(٣٧) Zürcher, *Turkey,* 103.

المؤرخين المشهورين، كذلك أصبحت كلمة "حركة رجعية" عندهم مرادفة لكلمة "معارضة".[٣٨]

وبالاعتماد على المصادر الأساسية التي تؤيد الرأي السابق،[٣٩] فإن التحريض على العصيان كان من خلال الليبراليين (الأحرار) الذين كانوا في تحالف مع البريطانيين وكان يقودهم وحدتي الذي لم يكن قادرا على التحكم في المكانة التي اتخذها لنفسه،[٤٠] وكان مثالا للكفاح السياسي العنيف ضد جمعية الاتحاد والترقي. وبالتأكيد فإن التبرم والسخط كانا يظهران من خلال عدة مصادر، كما كانت كل هذه الأمور تساعد على تقوية حركة المعارضة. وهناك تبرير آخر ذكره النورسي بنفسه،[٤١] وهو أن الذي دبر التمرد هي الأحزاب التي تريد أن تسرع بنشر العلمنة والتغريب وإزالة القوى التي تواجه نشر هاتين الحركتين، تلك القوى المتمثلة في جمعية الاتحاد والترقي، بينما تلقي بعض المصادر الأخرى باللائمة على هيئة الاستخبارات البريطانية.[٤٢] والمصادر التي تعتبر أن جمعية الاتحاد والترقي مسئولة عن ذلك تقلل من دور وحدتي،[٤٣] وإن كانت مناقشة التفاصيل الخاصة بهذا التمرد خارج نطاق هذا الكتاب، إلا أنه في ضوء تشويه الأدوار التي لعبها هذا العصيان ولعبها النورسي فسنحاول أن نقدم صورة أوضح له متضمنة الإيجاز التالي لأسبابه الرئيسية وسير أحداثه.

وكما ذكرنا من قبل، عندما لا تدرك الآمال والتوقعات التي يصرح بها الدستور فسوف تعم حالة من خيبة الأمل والاستياء؛ فيوما بعد يوم، تنزاح الغشاوة من على العيون بخصوص جمعية الاتحاد والترقي حيث أصبحت أهدافها الحقيقية أكثر وضوحا. ومازلنا مع خلفية العصيان حيث لم تكن هذه الحركة حزبا سياسيا رسميا ـ كان ذلك فقط في اليوم السابق للتمرد الذي

---

(٣٨) Birinci, *Hürriyet ve İtilaf Fırkası,* 33 ؛Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi,* 4:364.

(٣٩) Tunaya, *Türkıye'de Siyasal Partiler,* 1:148.

(٤٠) Zürcher, *Turkey,* 103, 104.

(٤١) انظر: النورسي، صيقل الاسلام، المناظرات؛ ص ٤٠٦.

(٤٢) Öke, *Siyonizm ve Filistin Sorunu,* 123.

(٤٣) *TDVİA,* S. V., "Derviş Vahdetî," by Zekeriya Kurşun and Kemal Kahraman.

ظهرت فيه جمعية الاتحاد والترقي علنا ثم أعلنت نفسها حزبا سياسيا[٤٤]. ولم يكن أعضاؤها كذلك مسئولين عن أي شخص ولكن زاد تدخلهم في الشئون الحكومية باستمرار. وبالإضافة إلى ذلك، وعلى عكس السلطان عبد الحميد لم يكن هؤلاء ذوي خبرة، حيث أسهم رفضهم الخضوع لهذا العصيان بطريقة مباشرة في الخسارة الفورية للمنطقة والزوال السريع للإمبراطورية، وألغِيَت الرقابة، وبدأ الاتحاديون في شن هجوم عنيف ضد السلطان على صفحات الجرائد. وقد حاولوا إجبار الناس على اتباع آرائهم بدعوى أنهم وحدهم أصحاب مبادئ الحكم الدستوري، لكن ميولهم الاستبدادية اتضحت بجلاء، وكلما كانت أغراضهم الحقيقية تظهر بكثرة كانت شعبيتهم تتضاءل وثقة الناس بهم تقل. عندئذ اشتدت المعركة بين الأحزاب والمجتمعات، وأصبحت الصحافة تمثل أرض هذه المعركة. وبناءا على ذلك فقد لجأ الاتحاديون إلى طريق ملتوية وغير شرعية ليرسّخوا بنيانهم؛ حيث أكثروا من استخدام القوة كي يتخلصوا من معارضيهم، فقد كانوا متعصبين ضد أية معارضة كانت، معتقدين أنهم "جمعية مقدسة" و "منقذو الأمة".

وقد أوجد الترويع والعنف السياسي جوا من الذعر، كما ظل الذين يحرضون عليه طيلة هذه الفترة في خلفية هذه الأحداث. ففي الخامس عشر من أكتوبر ١٩٠٨ تم اغتيال إسماعيل ماهر باشا الذي كان أحد رجال السلطان، وتبعه آخرون من بينهم صحافيون مشهورون مثل حسن فهمي بك، الذي كان رئيس تحرير جريدة "سربستي" التي كانت من أعلى أصوات المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي. وكما ذكرنا سابقا، فإن هذه الجريدة دعت لمظاهرة حاشدة للاحتجاج على قانون الصحافة المقترح، وكان مزمع قيامها في الثامن من أبريل، أي بعد موته بيوم واحد. ولما كان القدر سباقا، فقد كانت جنازته هي التي اكتظت بالحضور.[٤٥] وظهر الإعلان عن المظاهرة حول "حرية الصحافة"

---

(٤٤) Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 215.

(٤٥) ذكرت صحيفة "إقدام" أن عدد الحاضرين كان يتراوح ما بين خمسة وثلاثين إلى أربعين ألف شخص، انظر: Özçelik, *Sahibini Arayan Meşrutiyet,* 169

في جريدة *"فولقان"* ، العدد ٩٧، (٧ أبريل ١٩٠٩). وقد نتج عن اغتياله في ليلة ٧/٦ من أبريل عام ١٩٠٩ مطالبات عديدة بالحرية، لم يُستجَب لها، وقد كان ذلك عودة للاستبداد في شكل أسوأ مما كان عليه.[٤٦]

وفي نفس الوقت بدأت جمعية الاتحاد والترقي حملة لاستئصال مسئولي الحكومة الرسميين واستبدالهم ببعض مؤيديهم سواء كانوا ذوي خبرة أم لا. وقد تورط في ذلك عدد كبير مدعمين بآلاف الجواسيس والعملاء السريين للنظام السابق. وقد تم تطبيع نفس هذه السياسة في الجيش، حيث كان الضباط على صنفين: أولئك الذين برزوا في القوات المسلحة بناءا على جدارتهم وخبرتهم، والصنف الآخر هم الذين تدربوا في المدارس العسكرية الحديثة. وبدأت جمعية الاتحاد والترقي باستبدال الصنف الأول بالآخر الذي كان مواليا بشدة لهذه الجمعية، وقد بلغ عدد الذين تم إقصاؤهم من جميع الطوائف من الجيش عدة آلاف. وكان الكثير من الضباط الجدد يفتقدون الخبرة، وكان بعضهم يحتقر الإسلام، ولذا حاول أن يمنع الجنود من تأدية واجباتهم الدينية. ونتيجة لذلك، انتشر التذمر بنسبة كبيرة بين الجنود حتى حدث بالفعل تمرد في أكتوبر من عام ١٩٠٨،[٤٧] حيث قام المسئولون والضباط المستبعدون بتكوين هيئة مستعدة للتمرد ضد الحكومة.

بعد ذلك، تسبب القانون المقترح بشأن طلبة المدارس والخدمة العسكرية في الدفع بقوى لا يستهان بها من الرأي العام إلى معسكر المعارضة، بالإضافة إلى ذلك ساد شعور عام بالإهانة والريبة بين الناس بسبب الموقف المتخاذل الذي اتخذته جمعية الاتحاد والترقي تجاه الدين، فقد عجلت الحرية من استيراد ثقافة الغرب وطبائعه وأخلاقه وأدى ذلك إلى انحطاط المعايير الأخلاقية. ومما أضعف شعبية جمعية الاتحاد والترقي ما عُرفَ عن انخراط بعض أعضائها في الماسونية.[٤٨]

---

(٤٦) انظر: Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi,* 4:371.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٣٧١.

(٤٨) Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 30-4.

وأخيرا ظهر التحزب المتطرف بين مختلف الأحزاب والجمعيات، وازداد الموقف اشتعالا باندلاع حرب صحفية لا هوادة فيها بين الجرائد التي كانت تمثل جمعية الاتحاد والترقي وجرائد معارضيها.

التمرد

اندلع التمرد بين إحدى كتائب المشاة خفيفة التسلح التي اسْتدعِيَت إلى استانبول قبل ذلك بأسابيع قليلة من سلانيك كمدافعين عن الحرية. ومن أحد أهم التبريرات لهذا التحول المفاجئ للأحداث هو أن الضباط الشبان الذين تلقوا تعليما عصريا قد تركوا مواقعهم وجنودهم من أجل "الحياة السياسية المتهورة في العاصمة".(٤٩) وقد بدأت الأحداث في منتصف ليلة ١٣/١٢ من أبريل، حيث أغلق الجنود الغرف على الضباط ثم أمسكوا بقيادة الثكنة وانطلقوا إلى الشوارع بعد ذلك. وأثناء سيرهم وهم في طريقهم إلى أيا صوفيا ومجلس النواب الذي كان بالقرب منهم، انضم إليهم جنود آخرون وطلبة مدارس وبعض من عامة الشعب، وكان هُتافهم من أجل الشريعة. وقد استغرقوا يوما واحدا حتى يصلوا إلى أيا صوفيا، وحاصروا المجلس وقدموا مطالبهم، التي تضمنت إقالة رئيس الوزراء ووزير الحربية وقائد الحرس وكذلك إقصاء أحمد رضا الذي كان رئيسا لمجلس النواب منذ إعلان الدستور، وكان من ضمن مطالبهم أيضا التطبيق الكامل للشريعة وإعادة الضباط الذين أُقِيلوا والتعهد بعدم معاقبة الجنود الذين شاركوا في هذا التمرد.

وفي غضون ذلك، قام المتمردون بقتل أحد أعضاء مجلس النواب على اعتقاد خاطئ منهم أنه حسين جاهد، أبرز الصحفيين الموالين لجمعية الاتحاد والترقي، كما قتلوا وزير العدل معتقدين أنه رئيس الوزراء. وقد تقدمت الحكومة بالاستقالة وقام السلطان بتعيين رئيس جديد للوزراء ووزير جديد للحربية. ومع ذلك استمر التمرد حيث انتشر النهب وسفك الدماء، وأُقِيل مسئولو جمعية الاتحاد والترقي والأعضاء الأساسيين في الصحافة الخاصة بها. وكل هذا يمكن النظر إليه على أنه يقظة سياسية، وكذلك يمكن النظر إلى

(٤٩) المرجع السابق، ص ٤٩.

الليبراليين على أنهم القوة التي ساندت التمرد.[٥٠] وبدلا من إخماد هذا الاضطراب ـ الذي لم يسانده أحد من ذوي السلطة سواء أكان عسكريا أم مدنيا ـ فضلت جمعية الاتحاد والترقي أن ترسل في طلب قوات من سلانيك.

وقد أثارت أخبار هذا التمرد ردود فعل عنيفة في سلانيك التي كانت تعتبر معقلا لجمعية الاتحاد والترقي. وبعدما أذاع الاتحاديون أخبارا تفيد أن الدستور نفسه بات مهددا، لم يجدوا صعوبة في حشد قوة من المتطوعين، ضمت مجموعات كبيرة من الصرب والبلغار واليونانيين والمقدونيين والألبان، وكانت هناك وحدات نظامية بأعداد صغيرة في جيش الحركة هذا، وكانوا يتسلحون ويتجهون صوب استانبول. وقد تجمعت هذه القوة عند بلدة أياستيفانوس، التي تبعد عدة كيلو مترات عن المدينة، وكانت تحت حكم محمود شوكت باشا. وقد أحكمت هذه القوات السيطرة على المدينة في الرابع والعشرين من أبريل ثم أعلنوا الأحكام العرفية في اليوم التالي. وقد خُلِع السلطان عبد الحميد في السابع والعشرين من نفس الشهر. وبإصرار شديد نجح قادة الاتحاد والترقي في استصدار فتوى من شيخين بارزين تجيز خلع السلطان بعدما فشلوا في انتزاع مثل هذه الفتوى من شيخ الإسلام.[٥١] وبعدما اتجهوا بعد ذلك صوب أياستيفانوس ليقوموا بمظاهرة تأييد لجيش الحركة، اتخذ بعض أعضاء مجلس النواب ومجلس الشورى قرارا سريا بخلع السلطان مع أنهم قد نشروا إعلانا يقول إن هدفهم من ذلك كان حماية السلطان.[٥٢]

وعندما قامت القبائل في الأناضول الشرقية بتوجيه الأسئلة للنورسي في العام التالي عن هذا الأمر، أجاب قائلا:

> ولقد رأيت في حادثة الحادي والثلاثين من مارس حالة قريبة من هذا: عندما نادى من كانوا يجودون بأرواحهم للإسلام من أصحاب الهمم بالدعوة إلى المشروطية [مبادئ الحكم الدستوري]، والذين كانوا يعتقدون أن نعمة المشروطية غاية المنى وجوهر الحياة، وجدّوا في تطبيق تفرعاتها وفق الشريعة مرشدين

---

(٥٠) Zürcher, *Turkey,* 104.

(٥١) Müftüoğlu, *Her Yönüyle Sultan İkinci Abdülhamid,* 340-41, 350-51.

(٥٢) Bahadıroğlu, *Osmanlı Padişahlar Ansiklopedisi,* 3:747.

للمسئولين في الدولة ودالين لهم على التوجه إلى القبلة في صلاة العدالة طالبين إعلاء الشريعة المقدسة حقا بقوة المشروطية، وإبقاء المشروطية بقوة الشريعة، محمّلين مخالفة الشريعة السيئات السابقة جميعها، فما أن نادى هؤلاء بهذا النداء وقاموا بتطبيق بعض الأمور الفرعية، إلا وبرز أمامهم بعض من لا يميّز يمينه عن شماله وجابهوهم ظنا منهم أن الشريعة تشد أزر الاستبداد – حاشاها- فقلّدوا كالببغاء منادين: "بأنا نطالب بالشريعة" فاختفى الهدف ولم يعد يُفهم القصد الحقيقي، وآل الوضع إلى ما رأيتم. ومعلوم أن الخطط قد مهّدت وحيكت من قبل، فلما آل الأمر إلى هذا، هجم بعض من يتقنع كذبا بالحمية على ذلك الاسم السامي.(٥٣)

ومراد النورسي أن الخطط قد أحبكت للتحريض على العصيان، وعندما وقعت حادثة الحادي والثلاثين من مارس اسْتغِلتْ أحسن استغلال لشن الهجوم على الشريعة والتقليل من قوة الإسلام داخل الدولة. وفي الحقيقة، فقد وصفت المحاكم العسكرية التي عقدت بعد ذلك بأنها "عملية تطهير"، حيث لم يكن الغرض منها تنفيذ العدالة وإنما هو التخلص من عقلية ونظام.(٥٤)

دعوة الأستاذ النورسي لحفظ النظام

نتعرف من كلام النورسي أثناء دفاعه عن نفسه أمام المحكمة العسكرية على التحركات التي قام بها أثناء العصيان، وكيف بذل كل ما في وسعه لإعادة النظام إلى الجيش، فقد أخبر المحكمة بما يلي:

لقد شاهدت الحركة الرهيبة التي حدثت في (٣١) مارس لبضع دقائق، وسمعت مطالب عدة... فأدركت أن الأمر ينساق إلى الفساد؛ إذ الطاعة قد اختلت، والنصائح لا تجدي، وإلا كنت اندفعت إلى إطفاء تلك النار مثلما كنت أطفئ غيرها، ولكن العوام هم الأغلبية، وأصدقائي غافلون وبسطاء، وأنا أظهر بمظهر الشهرة الكاذبة.

فبعد ثلاث دقائق انسحبت ذاهبا إلى باقرگوي كي أحول بين معارفي وبين التدخل في الأمر. وأوصيت كل من قابلني بعدم التدخل، فلو كان لي تدخل - بمقدار أنملة - لكنت ظهرت في هذا الأمر ظهورا عظيما؛ حيث إن ملابسي تعلن عني، وشهرتي التي لا أريدها ذائعة بين الجميع، وبدوت مهما للغاية، وواقع الأمر

(٥٣) النورسي: المناظرات، ص ٤٠٦.

(٥٤) Cemal Kutay, in Şahiner, *Aydınlar Konuşuyor,* 345.

أنني كرست مظهري في أياستافانوس وواجهت جيش الحركة، حتى ولو كنت وحدي؛ فسأموت رجلا. وعندئذ كان تدخلي في الأمور من البديهيات، فلا تبقى حاجة إلى التحقق من ذلك.

وفي اليوم التالي، سألت الجنود المطيعين - الذين يمثلون عقدة الحياة لنا - عن النظام في الجيش، فقالوا إن "الضباط قد لبسوا ملابس الجنود، فالطاعة ليست مختلة كثيرا"، وسألت كذلك عن عدد الضباط الذين تم رميهم بالرصاص، فخدعوني قائلين: "أربعة فقط كانوا من المستبدين، وعلى أية حال فسوف تنفذ أحكام الشريعة وحدودها".

ثم تصفحت الجرائد ورأيت أنهم يرون تلك الحركة حركة مشروعة ويصورونها على هذه الصورة، ففرحت من جهة لأن أقدس غاية هي تطبيق الأحكام الشرعية تطبيقا كاملا. ولكن يئست أشد اليأس وتألمت كثيرا باختلال الطاعة العسكرية، فخاطبت الجنود بلسان جميع الجرائد وقلت:

"أيها الجنود! إذا كان ضباطكم يظلمون أنفسهم بإثمٍ واحد، فإنكم بعصيانكم تظلمون حقوق ثلاثين مليونا من العثمانيين وثلاثمائة مليونا من المسلمين، لأن شرف وسعادة عامة المسلمين العثمانيين مرتبط في هذا الوقت بطاعتكم، ثم إنكم تطالبون بالشريعة ولكنكم تخالفونها بعصيانكم هذا. ولقد باركت حركتهم وشجاعتهم؛ لأن الصُحُف وكتابها الكاذبين المحللين للرأي العام، قد أظهرت لنا أن حركتهم مشروعة. فلقد تمكنت ـ بتقديرهم هذا ـ أن أؤثر بنصيحتي فيهم، فهدّأت العصيان إلى حد ما، وإلا لما كان الأمر سهلا.

لقد ذهبت بصحبة العلماء يوم الجمعة (رابع أيام العصيان) إلى الجنود الذين تمردوا في وزارة الحربية، وأقنعت ثمانية كتائب أن عليهم التزام السمع والطاعة واتباع النظام. وقد أظهرت نصائحي فوائدها بعد مدة.

ينقل لنا النورسي بعد ذلك حديثه إليهم، والذي استهله بجمل شبيهة بتلك التي نشرها في حديثه للجنود المتمردين من خلال الصحف، وهي الكلمات التي نقلناها آنفا، والتي أشار فيها أنهم يهددون وحدة المسلمين وأخوتهم بعصيانهم هذا:

اعلموا جيدا! إن مركز الجندي عظيم جدا، إذ هو أشبه ما يكون بالمعمل، فإذا اختلت آلة منه يختل العمل في المعمل كله. ألا إن الجنود لا يتدخلون بالسياسة، والإنكشاريون خير شاهد على هذا. إنكم تطالبون بالشريعة إلا إنكم تخالفونها وتدنسونها.

إنه ثابت بالشريعة والقرآن والحديث والحكمة والتجربة أن الطاعة فرض لولي الأمر المستقيم المتدين القائم بالحق. فأولياء أموركم هم ضباطكم.... فلقد سَنّت الشريعة، وقرر القرآن والحديث، وأثبتت الحنكة والتجربة أنه من الواجب طاعة الحكام العدول المؤتمنين الملتزمين بحدود الدين، وحكامكم هم الضباط ومن يقومون بتعليمكم.

واصل النورسي حديثه قائلا: يتوجب عليكم طاعة رؤسائكم الذين تخرجوا من الأكاديميات العسكرية الجديدة، حتى ولو شاب سلوكَهم بعض الأشياء غير المشروعة؛ فإذا ارتكب الطبيب أو المهندس خطأ ما، فإن هذا لا يؤثر بالسلب على مهارته المهنية بالضرورة، ونفس الأمر ينطبق على هؤلاء الضباط أيضا. وكانت روح الوحدة التي تفرضها قوانين السماء تسكن أفئدة الجنود، ولذا فقد كانوا أقوياء لدرجة جعلتهم يساندون النظام والانضباط، ومعلوم أن ألفا من الجنود النظاميين الطائعين يعدون بمائة ألف من القوات غير المنظمة.[٥٥]

الاعتقال والسجن

يروي لنا شاهد عيان أنه عندما تسربت أخبار تعبئة جيش الحركة في سلانيك إلى استانبول، اجتمع ممثلو صحف المعارضة وأصدروا بيانا يدعون فيه الأحزاب السياسية إلى الوحدة. وتلا هذا اجتماع ممثلي الأحزاب المختلفة والجمعيات والصحف في يوم السبت السابع عشر من أبريل، وللمرة الثانية أصدروا دعوتهم للوحدة وأعلنوا ولاءهم للدستور، وفي أعقاب ذلك غادر بعض أعضاء صحف المعارضة إستانبول فرارا من جيش الحركة الذي كان على وشك الوصول.[٥٦]

ومن الممكن أن يكون النورسي بين هؤلاء؛ إذ تم اعتقاله في الأول من مايو ١٩٠٩ بمدينة أزميت في أقصى شرق بحر مرمرة على بُعد ما يقرب من مائة وعشرين كيلو مترا من إستانبول، ومع ذلك، فلابد أنه قد قضى هناك يومين أو ما يقرب من ذلك؛ حيث ظهرت له ثلاث مقالات في العدد الأخير من

---

(٥٥) انظر: النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٨- ٤٥٠.

(٥٦) Yalman, *Gördüklerim ve Geçirdiklerim*, 1:114.

"فولقان" في ٢٠ من أبريل (وحملت مقالة واحدة اسمه).[٥٧] هذا، وقد أشار لرحلته إلى "أزميت" بإيجاز في عمل لاحق.[٥٨] وقد نقلت *جريدة صوفية* أنباء هذا الاعتقال في الثامن عشر من نيسان ١٣٢٥/ الثاني من مايو ١٩٠٩، وظهر الخبر على صفحتها الأولى: اعتقال بديع الزمان الكردي في مدينة أزميت وإرساله بالقطار إلى دار السعادة (استانبول)، وتسليمه إلى وزارة الحرب.[٥٩]

سُجنَ سعيد النورسي مع عشرات المئات من الجناة الآخرين والذين كانت غالبيتهم من الأبرياء وكبار ضباط الجيش، والموظفين المدنيين، والنواب، ورجال القضاء، والكتاب، والجنود، بل ومن عامة الناس الذين أُخذوا من الطرقات في سجن لواء "بكر أغا" العسكري المقيت، الواقع بجوار وزارة الحرب. كان عدد السجناء كبيرا جدا، فقد بلغ ثلاثة آلاف وفقا لأحد التقارير،[٦٠] مما أدى إلى ازدحام السجن بهم واضطرت السلطات العسكرية إلى اقتطاع جزء من الثكنات والأبنية الأخرى ونصب خيام في الميدان الفسيح لإيواء السجناء البؤساء، الذين تعرضوا للإهمال الشديد فتُركوا دون طعام وتمت معاملتهم معاملة سيئة للغاية.[٦١]

ويورد تقرير أحد سجاني السجن وجلاديه واسمه الجلاد حسن[٦٢] معلومات أصيلة وقيّمة عن أحوال السجن والسجناء، ويؤكد حديثه عن النورسي بعض صفات النورسي الشخصية؛ حيث رباطة جأشه وتمتعه بالهدوء حتى في ذلك المكان الكئيب حيث التعذيب على أعواد المشانق، مع شفقته على السجناء الآخرين بطريقة رقيقة حقا، ثم مشاركته تعيينه اليومي من حبات

---

(٥٧) ترك "درويش وحدتي" استانبول في ١٨ من أبريل، واختفى في مناطق جبزة، سبانجا، هركه، ثم قبض عليه في إزمير في ٢٥ من مايو، عندما أبلغ عنه زميل قبرصي، انظر: Düzdağ, *Yaın Tarih Yazıları*, 156.

(٥٨) انظر: النورسي: سيرة ذاتية، ص ١١١.

(٥٩) نقلا عن Badıllı, *Nursi*, 1 :304; photo, 306.

(٦٠) انظر: Badıllı, *Nursi*, 1 :309.

(٦١) محمد صباح الدين *İttihad ve Terakki'nin Kuruluşu*, 32.

(٦٢) جاءت مذكرات الجلاد حسن متسلسلة في مجلة *Resimli Perşembe Dergisi* الأسبوعية، بداية من ٣ مارس، ١٩٢٧إلى ٢١ إبريل، ١٩٢٧ تحت عنوان "ما رأيته في سجن بكر أغا"، وهذا الجزء من الأجزاء التي تناولت هذا الموضوع، مدعمة بالصور، انظر: Badıllı, *Nursi*, 1:309-10.

الزيتون مع الباشا البائس الذي هَوى متضعضعا في حالة يرثى لها عند مواجهته نبأ الحكم بإعدامه. ويذكر آخر التقرير الذي نقله الجلاد حسن معلومات إضافية عن الشيخ بديع الزمان سعيد الذي استقبل زوارا في أيام الزيارة أتوا لرؤيته ما لا يقل عن ثماني مرات، وكانوا يشغلونه طوال اليوم،[٦٣] فلم يكن بين ذوي السجناء أحد لم يسمع شيئا عن ولده لشهور سوى والد النورسي، المرزا الصوفي، مما حدا به أن يقطع الطريق من نورس إلى مكانه ليراه.[٦٤]

لقد كانت قوة شخصية النورسي هي التي أنقذته من صنوف التعذيب التي مُني بها السجناء الآخرون؛ فعقب وصوله مباشرة، دخل إلى زنزانته حارسان أو جنديان، تلذذا بتعذيبه أو إشباعا لرغبة الانتقام، وهنالك استشاط سعيد غضبا، وتغلب عليهما، ورماهما بأقذع السباب، وفي غمار مباغتتهما بذلك الرد غير المتوقع، وليّا الأدبار وفرا هاربيْن، ولم يفكرا أبدا في مضايقته مرة ثانية.[٦٥]

المحكمة العسكرية

إذا كانت هناك ثمة حاجة لمزيد بيان عن ولاء النورسي الراسخ للقضية التي رأى فيها سبيل الخلاص للعثمانيين والعالم الإسلامي، وكذا شجاعته وبسالته الباهرة في مساندة هذه القضية؛ فإن مرافعته ودفاعه عن نفسه أمام المحكمة يلبي تلك الحاجة. إنه بيان للطريقة التي دعم بها هذه القضية منذ قدومه إلى استانبول، كما أنه في ذات الوقت تنديد لاذع بجمعية الاتحاد والترقي والاستبداد الجديد الذي كانت تقوم به باسم المشروطية، وكذلك بالمحاكم العسكرية التي تم إنشاؤها باسم العدالة عقب حادثة الحادي والثلاثين من مارس. لقد سُجن النورسي ثلاثة أسابيع قبل إرساله إلى المحكمة العسكرية،[٦٦] وقد صاحب هذا معاناته في المصحة النفسية، مما حدا به أن يهاجم خيانة جمعية الاتحاد والترقي لمبادئ المشروطية، وهو ما جعله عنوانا

---

(٦٣) Şahiner, *Son Şahitler* 1: 179-85، نقلا عن مذكرات الجلاد حسن.

(٦٤) Şahiner, *Son Şahitler*, 1:186.

(٦٥) المرجع السابق؛ وانظر أيضا: Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî,* 40.

(٦٦) في ٢٣ مارس عام ١٩٠٩، أعلنت "*Tanin*" أن المحكمة العسكرية هي التي نظرت في قضية النورسي عن طريق لجنة التحقيقات، انظر: Badıllı, *Nursi,* 1:304.

لكلامه هذا عند صدوره في كتاب. كان الدرس الذي تعلمه من "مدرستي المصيبة" علّمني الشفقة على الضعفاء وشدة النفور من الظلم والغدر.[٦٧]

وقد تم إعداد محكمتين عسكريتين لمحاكمة مئات السجناء؛ رأس الأولى منهما خورشيد باشا، وكان أعضاؤها من الضباط الشرفاء الأحرار الذين لم يسمحوا للمحكمة أن تكون جزءا من الطغيان على حد قول أحد المعلقين. أما الثانية، التي حاكمت النورسي فقد تكونت من صغار الضباط الذين أصدروا أحكاما بالإعدام على الجميع - أبرياء كانوا أم مخطئين - حتى يثبتوا ولاءهم لجمعية الاتحاد والترقي ويحوزوا رضاها، دون اعتبار للقانون.[٦٨] وفي اليوم الذي عرض فيه النورسي على المحكمة، كان يمكن رؤية جثث خمسة عشر من ضحاياها المشنوقين في الميدان من خلال النوافذ.

سُئل النورسي في بداية الجلسة بعض الأسئلة التي وُجهت لجميع المتهمين، كان أحدها: "هل ترغب في الشريعة؟ أولئك الذين رغبوا في ذلك مشنوقون بالخارج هناك."

فأجاب النورسي: "لو كان لي ألف روح لكنت مستعدا لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون...

ثم سُئل: هل أنت عضو في الاتحاد المحمدي؟

فأجاب: "بكل فخر، أنا واحد من أقل أعضائه أهمية، إلا أن ذلك حسب طريقتي في التعريف، ولذا دعوني أرى واحدا من غير الفاسقين ممن ليسوا أعضاء فيه."

وقال للمحكمة:

> أيها القادة! أيها الضباط! بداية أقول: إن الشريف لا يتنازل لارتكاب جريمة. وإن أُتهم بها لا يخاف من الجزاء والعقاب. فلئن أُعدمتُ ظلماً فإني أغنم ثواب شهيدين معاً. وان لبثت في السجن فهو بلا ريب افضل مكان في ظل هذه الحكومة

(٦٧) انظر: النورسى: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦١

(٦٨) محمد صلاح الدين *İttihad ve Terakki'nin Kuruluşu*, 32-33.

الظالمة التي ليس فيها من الحرية إلاّ لفظها. فالموت مظلوماً هو خير من العيش ظالماً.[٦٩]

يشكل وصف النورسي للإحدى عشرة جريمة ونصف التي سجن بسببها الجزء الأساسي من مرافعته الطويلة. كانت هذه هي الأنشطة الرئيسة في التسعة أشهر التي سادت فيها الحرية، وكانت كلها في سبيل الدفاع عن الإسلام والدستور، ولقد وصفنا ذلك بصفة عامة فيما مضى، وشمل ذلك أسباب انضمامه للاتحاد المحمدي، ورؤيته له، وتحركاته أثناء التمرد. لقد صرح بعد ذلك:

ومع هذا فلي حسنة واحدة عوضاً عن هذه السيئات، وسأقولها وهي: أنني عارضت شعبة - الاتحاد والترقي - المستبدة هنا، تلك التي أذهبت شوق الجميع واطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيّز وسببت التفرقة بين الناس وأوجدت الفرق والأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطية بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة، بل حتى لطخت اسم الاتحاد والترقي.

ولكن لأنني قد عاهدت المشروطية الحقيقية المشروعة سأصفع الاستبداد إن قابلته في أي لباس كان، حتى لو كان لابساً ملابس المشروطية أو تقلّد اسمها. وفي اعتقادي أن أعداء المشروطية هم أولئك الذين يشوّهون صورتها بإظهارها مخالفة للشريعة وأنها ظالمة، فيكثرون بهذا أعداء الشورى أيضا. علماً أن القاعدة هي : لا تتبدل الحقائق بتبدل الأسماء. وحيث إن اعظم الخطأ هو ظن المرء انه لا يخطأ. فإني اعترف بخطأي وهو: أردت نصح الناس قبل أن آخذ بنصيحتهم، سعيت في إرشاد الآخرين قبل إرشاد نفسي، فهوّنت بهذا شأن الأمر بالمعروف حتى اصبح لا يجدي.

ثم انه ثابت بالتجربة أن العقاب يأتي نتيجة ذنب. إلا انه احياناً ينزل العقاب ولمّا يُرتكب ذلك الذنب إلاّ انه اظهر نفسه في صورة ذنب آخر. فذلك الشخص رغم انه برئ من هذا الذنب إلا انه يستحق العقاب لذنب آخر خفي. فالله سبحانه ينزل به المصيبة فيلقيه في السجن لذنب خفي، فيعدل. بينما الحاكم يظلم لعدم ارتكاب الشخص ذلك الذنب ، ولخفاء الذنب الخفي عنه.

فيا أولي الأمر! كانت لي كرامة وعزة، وكنت ارغب أن اخدم بها الأمة

---

(٦٩) النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤١.

الإسلامية، إلا أنكم أهنتموها. وكنت املك شهرة كاذبة - دون رغبتي - وأُجري نصحي بها إلى العوام، فأفنيتموها مشكورين. والآن ظلت لدي حياة ضعيفة مللت منها، فليهلكني الله إن صُنتها خوفاً من الإعدام، ولا أكون شريفاً إن لم اقدم على الموت ببشاشة. إن الحكم عليّ صورةً يورث الحكم عليكم وجداناً. وهذا لا يضرني بل هو رفعة وشرف لي، ولكنكم تلحقون الضرر بالأمة، لأنكم تزيلون تأثير نصائحي، فضلاً عن إضراركم بأنفسكم، حيث أكون حجة قاطعة بيد عدوّكم. فلقد وضعتموني على المحك، تُرى لو وضعت ما تسمونه بالفرق الخالصة (الأحزاب) على مثل هذا المحك كم سيسلم منهم؟

إن كانت المشروطية تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة، [فليشهد الثقلان أني مرتجع]![٧٠]

أراد النورسي أن يصحح الأمور فيما يتعلق بحادثة الحادي والثلاثين من مارس، والانضباط في الجيش، والشريعة ودورها، وهي الأمور التي أُسيء تفسيرها وعرضها منذ البداية من صحف الجانبين. كانت أسباب العصيان التي قدمها هي نفس الأسباب التي ذكرت آنفا في جوهرها.

وفي نهاية الخطاب، أخبر النورسي المحكمة:

إنني مصرّ إصراراً جادًا على جميع الحقائق التي نشرتها في الصحف في مقالاتي كلها. فلو دعيت من قبل الماضي، من قبل محكمة العصر النبوي السعيد، باسم الشريعة العادلة فسأبرز الحقائق التي نشرتها بعينها، لا أغير منها شيئاً، سوى ما يستوجبه هذا الزمان من زيّ.

ولو دعيت من قبل المستقبل، من قبل محكمة العقلاء الناقدين باسم التاريخ لما بعد ثلاثمائة سنة. فسأبرز هذه الحقائق أيضا. الاّ ما تحتاج من ترميم بعض جوانبها المتشققة. بمعنى أن الحقيقة لا تتحول إلى أمر آخر، فالحقيقة حق.."[٧١]

توقع النورسي أن يحكم عليه بالإعدام جراء هذه المحاكمة العسكرية التي تعتمد طرق الإثبات فيها على الوشاة والمُخْبرين. حقيقة لقد سأل المحكمة: "إن المخبرين اليوم أسوأ من ذي قبل، فكيف يعتمد عليهم؟ وكيف تعتمد العدالة على ما يقولون؟ وعند سماعه قرار براءته الذي أصدرته المحكمة

---

(٧٠) النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٧١) النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦٠ .

بالإجماع لم يبد النورسي أي امتنان، ثم استدار وغادر المحكمة فور إطلاق سراحه ثم مشى من بايزيد إلى السلطان أحمد على رأس جمهرة كبيرة محتشدة، والتي أخذت تصيح: فلتعش جهنم للظالمين! ولتعش جهنم للظالمين![٧٢]

وفي يوم الاثنين، الرابع والعشرين من مايو ١٩٠٩، حمل البلاغ رقم ٢٦١ هذا التصريح: "لقد ثبت أن الاتهامات الموجّهة ضد بديع الزمان سعيد الكردي كاذبة، وعلى النقيض فالمذكور قد قدم خدمات جليلة في سبيل إقامة حكومة المشروطية، وبموجب هذا فقد تمت تبرئته.[٧٣] كانت محاكمة النورسي وإبراؤه قد تمّا في اليوم السابق، وهو الثالث والعشرون من مايو.

إن التقرير الذي نشر حول مرافعة النورسي عن نفسه أمام المحكمة، كما عُرض سابقا، يتبع ذكر الإحدى عشرة جريمة ونصف التي اتهم بها بأحدَ عشرَ سؤالا ونصف، وهي الأسئلة التي وجهها النورسي - كما سجل في مذكرة له - لخورشيد باشا رئيس المحكمة العسكرية الأولى في اليوم التالي لإطلاق سراحه، وعقب ذلك وجهها مرارا لآخرين.[٧٤] تشير الأسئلة الموجزة أن غالبية المتهمين لم يكونوا مجرمين، كما أن مظالم جمعية الاتحاد والترقي كانت هي السبب في حدوث ذلك. وكان من أثر هذه الأسئلة إطلاق سراح ما بين أربعين إلى خمسين سجينا.[٧٥]

الواقع أن حادثة الحادي والثلاثين من مارس كانت "نكبة كبرى" على حد وصف النورسي لها. وبغض النظر عن دور جمعية الاتحاد والترقي في ذلك، فقد هيأت لهم الفرصة التي كانوا ينشدونها. أولا: حققوا الحلم الذي طالما راودهم، وهو خلع السلطان عبد الحميد؛ فلقد أعلنوا أنفسهم حزبا رسميا على الملأ قبيل العصيان مباشرة، وعقب ذلك، قاموا بحل أحزاب المعارضة، وعلاوة على ذلك قللوا من صلاحيات السلطان، وأحكموا قبضتهم على

---

(٧٢) انظر: النورسي: سيرة ذاتية، ص ٩٢.

(٧٣) Badıllı, *Nursi,* 1:304; photo, 307.

(٧٤) انظر: النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٥٨-٤٥٩

(٧٥) انظر: النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٠

الدولة. وفي العام نفسه قاموا بعدد من الإجراءات التي قيدت الحرية بدرجة تفوق ما كانت عليه أيام السلطان عبد الحميد، وتم إغلاق الاتحاد المحمدي وحله، ولقي الكثير من قادته مصرعهم على مشانق المحاكم العسكرية.

شعر النورسي بالتحرر من وهم استانبول ومظهرها الظاهري الخادع بعد ما مر به من تجارب في الوقت القصير الذي قضاه هناك. لقد تحول نظره الآن نحو موطنه في الشرق. فكتب يقول:

> إن كانت المدنية الحاضرة هي التربة الخصبة لإنماء مثل هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية وتعتدي عليها.. وهذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق.. وهذه الأفكار التي تغذي الحقد والانتقام.. وهذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الآداب الدينية.. إذا كانت هذه هي المدنية، فليشهد الجميع بأنني افضّل قمم الجبال الشاهقة في الشرق، وافضّل حياة البداوة في تلك الجبال في بلدي حيث الحرية المطلقة، على موطن النفاق الذي تسمّونه انتم قصر المدنية.
>
> إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها. وحسب علمي أن الأدباء يكونون متأدبين، إلاّ أنني أجد بعض الصحف الخارجية خالية من الأدب وناشرة للنفاق. فان كان هذا هو الأدب، والآراء العامة مختلطة إلى هذا الحد، فأشهدوا أني تخليت عن هذا الأدب. فلست داخلاً فيهم أيضا. وسأطالع الأجرام السماوية واللوحات السماوية النيرة على ذرى جبال موطني.(٧٦)

---

(٧٦) النورسي: صيقل الإسلام المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦١

الفصل الرابع

المستقبل للإسلام

النورسي يتجه شرقاً

في نهاية مايو ١٩٠٩ أُطلق سراح النورسي من السجن والمحكمة العسكرية، ورغم رحيله عن استانبول في نهاية مرافعته وتصريحه أنه سيعود إلى الشرق، فقد قضى مدة لا تقل عن تسعة أو عشرة أشهر قبل أن يقفل راجعًا إلى "وان"، وهي الرحلة التي لم نعثر حتى يومنا هذا عن إشارة لتحركاته فيها. وفي الربيع التالي انطلق عبر طريق البحر الأسود برفقة اثنين من تلاميذه؛ وتوقفوا في رحلتهم بمناطق كان منها اينبولو، وأوف، وريزا،[1] هذا وقد لقي النورسي استقبالاً حارًا في اينبولو من أحد الرموز الدينية بها، وهو الحاج ضياء، وعند مغادرته إياها رافقه حشد غفير من أبنائها حتى رصيف الميناء، وعند بلوغه مشارف تيفليس، عاصمة جورجيا، وبينما كان يشق طريقه من باطوم إلى وان صعد النورسي تلاً شهيرًا يعرف بتل الشيخ صنعان، يشرف على مدينة تفليس ووادي نهر القرى الذي تقع المدينة عليه، كما يشرف على الريف المحيط بها، وجعل يتأمل المنظر وهو مستغرق في التفكير، إذ اقترب منه أحد رجال الشرطة الروس، ودار الحوار التالي الذي ابتدأه الشرطي بالسؤال:

- بم تنعم النظر؟
- أخطط لمدرستي!
- من أين أنت؟
- من بتليس
- وهنا تفليس!
- بتليس وتفليس شقيقتان

---

(١) Badıllı, *Nursi,* 1:328

- ماذا تعني؟

- لقد بدأ ظهور ثلاثة أنوار متتابعة في آسيا، في العالم الإسلامي، وستظهر عندكم ثلاث ظلمات بعضها فوق بعض، سيُمزّق هذا الستار المستبد ويتقلص، وعندها آتي إلى هنا أنشئ مدرستي.

- هيهات ! إنني أحار من فرط أملك؟

- وأنا أحار من عقلك ! أيمكن أن تتوقع دوام هذا الشتاء؟ إن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهاراً.

- لقد تفرق المسلمون شذر مذر.

- ذهبوا لكسب العلم ، فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفوء يدرس في إعدادية الإنكليز. وها هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدرس في المدرسة الإدارية السياسية للإنكليز.. وها هو القفقاس والتركستان اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس.. الخ. فيا هذا ! إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعد ما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء.."[٢]

تنقل لنا تلك القصة القصيرة مضمون رسالة النورسي الرئيسية التي وجهها لقبائل شرقي الأناضول وعلمائها، وتنقل كذلك مضمون خطبته الشامية مطلع العام التالي حول الترغيب في المستقبل والأمل فيه، ورغم تحرره من أوهام ما طرأ على استانبول من تغيير؛ فقد كان النورسي على قناعة راسخة بأن المشروطية هي الطريق لنشر الإسلام والحفاظ على إمبراطوريته من خلال التقدم والاتحاد، وتنبأ بأن الإسلام والحضارة الإسلامية الحقة ستكون لهما السيادة في المستقبل كما تُنبئ كل المؤشرات، وأن قطاعًا كبيرًا من البشر سيَقْبَلُ الإسلام ويَدِينُ به، فكان يقول: "إن المستقبل الذي لا حكمَ فيه إلاّ للعقل

---

(٢)صيقل الإسلام – السانحات، ص٣٧١. ولذا تنبأ النورسي بصعود ظلمات ثلاث، والتي ستصيب شعوب القوقاز وتركستان، والتي شوهد آخرها سنة ١٩٩١-١٩٩٢. ويمكن أن يفسر ذلك بانهيار القيصرية الروسية والشيوعية، وحصلت الدول الإسلامية في المنطقة على استقلالها بانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه.. انظر Abdurrahman, *Tarihrç-i Hayatı*, 34-35، وقد أُعلن في ١٩٩٠ أن كلا من بتليس وتفليس "مدينتان شقيقتان".

والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان."[٣] وحينما كانت مبادئ المشروطية والحرية وسيلة للتعبئة الاجتماعية، وكانت بمثابة ترياق لعامة الناس، نجد النورسي يضع بين يدي العلماء، وهم صفوة المجتمع الكردي، مجموعة متكاملة من الاقتراحات تستهدف"تجديد الإسلام"، وتحديث فكرهم لمواكبة العصر، كما كان الإصلاح المعنوي وبث روح الأمل والدعوة إلى الوحدة هي رسائل النورسي الجوهرية التي وجهها للعرب في دمشق، وهم المجموعة الرئيسة الثالثة التي وجه إليها النورسي خطابه في هذه الرحلة.

بين قبائل شرقي الأناضول

أقام النورسي عقب عودته إلى "وان" عدة أشهر في مسجد إسكندر باشا؛ حيث واصل إلقاء دروسه،[٤] وفي نهاية صيف تلك الفترة انطلق مع عدد من تلاميذه متنقلاً بين قبائل جنوب شرقي الأناضول، وكتب يقول: "أقمت مدرسة في جبل وسهل، وأعطيت دروسًا في المشروطية." هذا، وقد وجد أن الفهم العام للموضوع "غاية في الغرابة والخلط"؛ لذا اقترح أن يسأله أبناء القبائل، ثم يقوم هو بالإجابة، وقام بجمع هذه الحوارات، ونشرها في تركيا عام ١٩١٣ تحت عنوان "المناظرات"،كما أعد منها نسخة بالعربية أطلق عليها "رجتة العوام".

عالجت الأسئلة عددًا كبيرًا من الموضوعات تتعلق بالحرية، ونظام الحكم الجديد، وآثاره على أبناء القبائل وزعمائها، وشكلت إجابات النورسي واحدة من المصادر الرئيسة له في هذا الموضوع، ونتج عنها عمل أصيل ورائع يستحق اهتمامًا أكبر مما يمكن أن يتاح له هنا، وقد سبقت الإشارة إلى بعض أفكاره المتعلقة بمبادئ المشروطية في مباحث سابقة، وسنشير هنا إلى بعض النقاط الإضافية التي تتعلق بتعريف المشروطية، وعلاقتها بالشريعة، كما سنبين بعد ذلك

(٣) النورسي: صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٤٩٥.

(٤) Erdem, *Davam*, 193، يقول علي جاووش تلميذ النورسي: "حوالي ستة أشهر"، ولكن يحتمل أنها لم تكن بهذا الطول.

كيف يمكن للنظام الجديد أن يحقق التقدم (للأكراد)، والوحدة للعالم الإسلامي والإمبراطورية الإسلامية عن طريق صحوة أبناء هذا الدين، ووعيهم التام بمستقبله، في استقلال وإقدام وتفانٍ؛ لأنهم أبناء هذه الأمة، ولكننا في المقام الأول لا ينبغي نغفل حقيقة، أن النورسي لم يأل جهدًا في سبيل هذه الغاية، كما لم يجعله محض جهاد قلم أو جهاد نظري؛ فقد سعى لتحقيق هذا الهدف حتى في استانبول معلنا دعوته إلى ما يتطلبه الشرق خاصة، كما بذل قدر طاقته في سبيل تطوير خططه نحو الإصلاح التعليمي، ثم آن له أن يعود إلى موطنه، مسافرًا عبر هذه المنطقة الجبلية المقفرة المتخلفة الفقيرة. كان مقصده عامة الناس فتوجه إليهم بخطاباته؛ حيث إن اتباعهم للدستور يرفعهم إلى منزلة السادة، ويجعلهم بناةً للمستقبل، وفي جوابه على أول استفسار طرحه أولئك العامة، يعقد النورسي مقارنة بين تعريف الاستبداد وتعريف المشروطية فيقول:

"الاستبداد هو التحكم أي المعاملة الكيفية - الاعتباطية - أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد، أي المساعد لتطرق سوء الاستعمالات، أي المفتوحة أبوابه لتداخل المفاسد، وما هو إلاّ أساس الظلم، وماح الإنسانية. وهو الذي دحرج الإنسان المكرّم إلى اسفل سافلين في السفالة.. وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلّة.. وهو الذي أيقظ الأغراض والخصومات.. وهو الذي سمم الإسلامية.. وهو الذي سرى سمّه في أعصاب العالم الإسلامي.. وهو الذي أوقع الاختلافات المدهشة..."[٥]

أما المشروطية فيراد بها "إعمال الآيات القرآنية التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾ (آل عمران: ١٥٨)، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨). إنها الشورى التي أوجبتها الشريعة، روحها الحقيقة لا القهر، وقلبها المعرفة، ولسانها الحب، وعقلها حكم القانون لا حكم الفرد، إن المشروطية بحق هي سيادة الأمة..."[٦].

ويجيب النورسي عن سؤال وجّه إليه عن سبب تعظيمه لحكومة المشروطية لهذا الحد قائلاً:

---

(٥) سيرة ذاتية، ص ٧٥؛ عن الصيقل الإسلامي ص ١٢٥ - النص العربي ط. أنقرة.

(٦) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy,299*؛ وانظر: سيرة ذاتية، ص ٨١.

إذا ما قُدر لحكومة أن تُعمل المشروطية؛ فإن فكرة الحرية تنبعث في كل مناحيها، فتنشئ نوعًا من المشروطية في كل أمرٍ وشأن من شئون الحياة، بقدر ما تدعو الحاجة إليه، ونتيجة لذلك يبرز نوع من المشروطية بين العلماء، في معاهد العلم، وكذلك بين التلاميذ، فتلهم دستورية خاصة وتجديدًا لكل مظاهر الحياة، إنها أشعة الشورى تنبئ ببزوغ شمس السعادة والرغبة الملهمة، والحب المتبادل، والوئام، مما جعلني أعشق الحكومة المشروطية ، وأحبها حبًا جمًا...[٧]

وعندما قيل له: "بعض الناس يرون أن المشروطية تناقض الشريعة"، أجاب النورسي:

إن روح المشروطية وحياتها مستمدة من الشريعة، إلا أن الظروف قد تجعل المشروطية لا توافق الشريعة في بعض التفصيلات العابرة، وكل القضايا التي عرضت خلال فترة المشروطية لم تنشأ بالضرورة من جراء المشروطية، وهل هناك ما يوافق الشريعة من كل وجه؟ أو هناك من يطبق الشريعة في كل أمور حياته؟ إذا كان هذا هو الحال؛ فإن الحكومة كهيئةٍ اعتبارية لن تكون بمنأى عن مثل هذه الأخطاء، ولعل ذلك لا يتيسر إلا في المدينة الفاضلة التي تخيلها أفلاطون، إن المشروطية تغلق الأبواب في وجه التعسف، بينما يفتح الاستبداد أبواب التعسف على مصاريعها.[٨]

وهكذا يبدو نهج النورسي واقعيًا، فإذا كانت المشروطية لا تختلف في جوهرها عن مبادئ الشريعة الإسلامية؛ فإن الظروف العسيرة للعصر اقتضت نهجًا مدروسًا ومتوازنًا. لقد كان تساؤلا عن توافق المشروطية مع الشريعة الإسلامية من كل وجه وفق منهج متوازن مع اعتبار ما يستجد من الحاجات."[٩]

كما تساءل أبناء القبائل عن الحرية التي وصفت لهم على أنها الإباحية والانحلال والتهاون، فذكر لهم التعريفات التالية:

إن الذين فسّروها هكذا، ما أعلنوا إلاّ عن سفاهاتهم ورذائلهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهذرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسناء ما هي إلاّ تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٩٩.
(٨) المرجع السابق ص ٣٠٢-٣٠٣.
(٩) المرجع السابق ص ٣٠٤.

والرذائل. بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء. إن الحرية العامة هي المحصّلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين."[١٠]

إن الحرية هي أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة مصوناً من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعضٌ في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ﴾ (آل عمران: ٦٤).[١١]

وهذا يعني أن "الحرية تنبع من الإيمان بالله تعالى"؛ حيث يقتضي "الإيمان ألا نسوم الآخرين استبدادًا وقهرًا وامتهانًا، كما يستوجب ألا يذل المسلم نفسه بين يدي الطغاة، فالعبد المخلص في عبوديته لله لا يقبل أبدًا أن يستعبده الآخرون." أي: إنه مهما بلغت درجة كمال الإيمان، فسوف تظل للحرية هذه المكانة."[١٢] كما أوضح النورسي أن الحرية لا تنفصم عن روابط الحياة الاجتماعية والحضارة، "بل تشرق كالشمس، حبيبة إلى كل نفس، فهي تعدل جوهر البشرية؛ إنها الحرية المتربعة على عرش الحضارة الوثير، متحلية بحلية المَعْرفة والفضيلة وحسن الخلق، ومتّشحة بعباءة الإسلام."[١٣]

تساءل أبناء القبائل عمّا حجب عنهم تلك المنافع الجمة التي ذكرها، فأجابهم بأن ذلك يعود إلى المشاكل التي لازمت هذه المنطقة كالجهل والفقر، والعداء الداخلي وتخلفها الحضاري. كان ما أراد النورسي أن يوضحه لهم هو العبء الواقع عليهم، إلا إنه أردف ذلك بأنه إنما ألمح إلى عيوبهم "بغية تخليصهم من التكاسل"، "فلو كانت لديكم الرغبة في إقامة الحياة المشروطية سريعًا، وبناء طريق عبر التعليم والفضيلة؛ فلسوف تدركون به الفوز والنجاح الذي يطلق عليه الحضارة، ناشرين بذور التقدم، ومتخطين به العقبات في وقت قصير، ولاقين به الترحاب، وكلما أسرعتم في بناء ذلك الطريق، بلغتم هذه الغاية سريعًا."[١٤]

---

(١٠) النورسي: صيقل الإسلام، المناظرات ص ٣٩٣.
(١١) المرجع السابق، ص ٣٩٤.
(١٢) المرجع السابق، ص ٣٩٥.
(١٣) المرجع السابق، ص ٣٩٤.
(١٤) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy,298*

جدير بالذكر في هذا المقام أن نروي الطرفة التالية: وصل النورسي خلال رحلاته عبر هذه المنطقة إلى أورفة من أرض ديار بكر، ثم انطلق ليطوف المناطق المجاورة، ومنها إلى أورفة ثانية ليخطب في حشد كبير من الناس بساحة مسجد يوسف باشا. بدأ حديثه بحكاية سؤاله أحد القرويين بإحدى الأماكن التي زارها عن الحالة الزراعية في بلاده فكانت إجابته "ذلك أمر يعرفه الآغا - وهو الإقطاعي أو زعيم القبيلة"، وهي الإجابة التي رد بها على كل تساؤل وُجّه إليه، فقال له النورسي: "حسنًا! سأخاطب إذًا ذكاءك الذي أَوْدَعْتَه حافظة الأغوات." ومضى في حديثه مبينًا أنه يتعين عليه ألا يعزو كل شيء للآغا، بل عليه أن يكون جسورًا ومتأهبًا للمبادرة، وعليمًا بكل شئون قريته، وجعل من هذه النقطة منطلقًا لحديثه.(١٥)

نرى في ضوء هذه الأمثلة أن النورسي كان يهدف إلى أن يغرس في أذهان الناس أن طريق التقدم يكمن في أيديهم، وأن سيادة الأمة تكمن في الإيمان بهذا الفكر، وعندما وجه إليه الناس سؤالاً حول مكانة زعمائهم وقادتهم - إذ كان المجتمع القبلي يخضع لسيطرة الزعماء والكبار والرموز الدينية — أجاب النورسي بقوله:

> لكل عصر نظامه وحكامه، وكما تعرفون فقد كان الأغا ضرورة لدفع عَجَلَة الحقبة الماضية. لذا فالعهد الخالي للحكم الاستبدادي كان يعتمد على القوة؛ فمن حاز سيفًا صمصامًا وقلبًا جلمودًا سطع نجمه، أما ربيع المشروطية وروحها وقوتها وحاكمها وأغاها فهي الحقيقة؛ حكم العقل والمعرفة والقانون والرأي العام، فمن حاز عقلًا متقدًا وقلبًا مستنيرًا علا نجمه دون غيره؛ حيث تتعاظم المعرفة وتتضاءل القوة بمرور الزمن؛ فحكومات العصور الوسطى التي قامت على القهر قد آلت إلى الفناء؛ وحيث إن حكومات العصور الحديثة تقوم على العلم؛ فسوف تظل خالدة إلى الأبد.

لم يكن النورسي يهاجم بكلامه هذا الزعماء والكبار في هذه البلاد، بل كان يحدد معالم الطريق الذي يسير فيه العالم الحديث كما يوضح الطريق الذي يتعين عليهم المضي فيه إذا كانوا يرفضون البقاء خارج الزمن، لقد أصبح الحكام في ظل النظام الجديد خدامًا للشعب والأمة، ومضى قائلاً:

---

(١٥) Şahiner, *Bilinmeyen* 144.

"أيها الأكراد! إذا كان نفوذ البكوات والأغوات وحتى المشايخ يقوم على قوة ومضاء أسلحتهم؛ فسوف يسقطون حتمًا، وهم أهل لذلك، لكن إذا كان نفوذهم يقوم على الفكر بدلاً من القهر، مفعّلين عاطفة الحب، ومخضعين العواطف للعقل؛ فلن يسقطوا بل سيرتفعون حقًا." (١٦)

نطالع في موضع آخر من الكتاب، النقد الأساسي الذي وجهه النورسي للزعماء - رغم أنه عيّنهم بالزعماء السابقين- بما "قذف من حصى" واصفًا لهم بـ "شياطين الاستبداد"؛ حيث إن " سبباً مهماً لذلك التدني هو بعض الرؤساء والخدّاعون المتظاهرون بالحميّة ممن يدّعون الفداء والتضحية للأمة، أو قسم من المتشيخين المدّعين غير المؤهلين للولاية" قد جردوا الأمة من مواردها المادية والمعنوية، ومن ثَمّ فقد قضوا على فكرة سيادة الأمة، وحلوا رباط الأمة، وأتوا على روح الجماعة فيها،(١٧) وكثيرًا ما تتردد في كتابات النورسي فكرة روح الجماعة أو الشخصية الجماعية أو الشخصية المعنوية للأمة وبنيتها الاجتماعية؛ حيث يصف العصر الحديث بأن " هذا الزمان، زمان الجماعة، فالأهمية والقيمة تكونان حسب الشخصية المعنوية للجماعة. ولا ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار ماهية الفرد المادية الفردية الفانية"(١٨)، فإن كانت روح البنية الاجتماعية، صالحة كان ذلك أكمل وأتم للأمة من شخصية الفرد، أما إذا ساءت فعاقبة ذلك وخيمة للغاية. ويمكن القول: إن النورسي كان يبين لأبناء شرقي الأناضول أن المسئولية التي تقع على عاتقهم الآن هي تخطي النظرة الضيقة لمصالحهم وولاءاتهم التقليدية، مع توسيع أفكارهم وتنمية الوعي بمفهوم الأمة الإسلامية، فأخبرهم:

إن لكم استعداداً لشجاعة لا تجارى ولبسالة لا تمارى، بدليل أن أحدكم يستخف حياته ويفدي روحه رخيصة لصغائر الأمور - كمنفعة بسيطة أو عزة جزئية أو شرف رمزي اعتباري أو ليقال أنه جَسور أو لاستعظام شرف رئيسه. فكيف إذا

---

(١٦) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy,299-300*

(١٧) انظر: النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٤١٢.

(١٨) النورسي: الملاحق (ملحق قسطموني ص١٠٠) وقد دخل مفهوم الشخصية المعنوية إلى الفكر العثماني عبر الفكر الأوربي من خلال كتابات نامق كمال.انظر: Mardin, *Genesis of Young Ottoman Thought*, 333-34, 399-400، ولقد طور النورسي الفكرة لتلائم فكره الخاص.

تنبّه هؤلاء.. ألا يستخفّون بحياتهم فداءً للملّة الإسلامية - التي لا تقدّر بثمن - ولو كانوا مالكين لألف روح إذ تكسبهم أخوةُ ثلاثمائة مليون مسلم؟(١٩)

واصل النورسي حديثه معربًا عن أن استعداد الفرد للتضحية بنفسه من أجل أمته كان خلقًا أصيلاً من أخلاق الإسلام ومطلبًا لها، أخذه عن المسلمين غيرهم، فقد كان أساس التطور الحديث ودعامته، ومضى قائلاً:

" إن أفضل خصالنا ومقتضى ديننا هو أن نقول، بروحنا وجسدنا ووجداننا وفكرنا وبكل قوانا: إن متنا، فأمتنا الإسلامية حية، وهي باقية خالدة فلتحيا أمتي ولتسلم، وحسبي الثواب الأخروي فإن حياتي المعنوية التي في حياة الأمة تحييني وتعيّشني، وتجعلني في نشوة ولذة في العالم العلوي".(٢٠)

وخلاصة القول: إن "تحطيم حواجز الاستبداد" قد نشر المشروطية وفكرة الحرية في شتى ربوع العالم الإسلامي، وبعث في الناس صحوة شاملة كما أحدث فيهم نوعًا من التطور في الأفكار والتغيّرات العظيمة؛ ذلك أنها "أزاحت الستار عن وجود الأمة"، وتلا ذلك "بدء تلألؤ درة الإسلام في أصداف الأممية" فقد كان الإسلام يهتز محركًا للحياة. لقد أبان ذلك للمسلمين قاطبة ألا يعيشوا فرادى أو متفرقين، بل مترابطين برباط المصلحة العامة وشعور الأخوة. إن العالم الإسلامي مترابط كقبيلة واحدة، وهذا الباعث والمحرك جعل المسلمين يدركون أن بين أيديهم مصدرًا عظيمًا للقوة والتأييد، وولد ذلك فيهم أملاً أحيا روحهم المعنوية التي كان اليأس قد ضعضعها.(٢١)

لقد اتضح من ذلك سبب إصرار النورسي على إقامة نظام الحكم الحالي رغم الاعتراضات المشروعة التي قد تثار بشأن لجنة الاتحاد والترقي، كما رد النورسي على الشكوك والاعتراضات التي أثارها أبناء القبائل مشيرًا إلى أن ذلك كان "أخف الضررين" وأن "الشورى لو انحرفت الآن قيد أنملة عن الشريعة؛ فإنها قد انحرفت عنها في السابق أضعاف ذلك بمئات المرات.(٢٢)

---

(١٩) كتب ذلك النورسي في بدايات القرن عندما كان عدد المسلمين نحو ثلاثمائة مليون فقط.
النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٤١٥،

(٢٠) النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٤١٥،

(٢١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩٨.

(٢٢) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy,303*

لقد هدأ بهذا الإيضاح من مخاوفهم بشأن الدين؛ إذ رأوا في هذه الثورة تهديدًا له، وعلى العكس من ذلك فقد كانت المشروطية هي الطريق لحماية الإسلام. كانت مشاعر التعاطف مع الإسلام، والتدين التي حركت الرأي العام للأمة أكثر أمانًا وفعالية، وسموًا للدفاع عن الدين بدلاً من تركه عرضة " إلى رئيسٍ مغلوب على أمره، أو إلى مسؤولين مداهنين، أو إلى فئة من ضباط لا منطق لهم."[٢٣]

مسائل تتعلق بحقوق الأقليات

لقد طرح رجال القبائل عددًا من الأسئلة تتعلق بالأرمن وغير المسلمين على وجه العموم كما كان متوقعًا، من حيث التوافق مع الشريعة عند منحهم حقوقًا متساوية في ظل المشروطية، وهنا لا بد من ملاحظة أمرين هامين:

الأول: نلاحظ مرة أخرى تشابهًا بين موقف النورسي وموقف حركة الاتحاد والترقي؛ حيث انصب اهتمامهم على الحفاظ على الإمبراطورية موحدة بتلفيق اتحاد بين كل العناصر التي تتكون منها الإمبراطورية، فعلى الطريقة العثمانية عكف شباب الأتراك على تأكيد المساواة بين كل المجتمعات المختلفة،[٢٤] كما أصروا على بقاء ما شرعوا فيه من الحوار والعلاقات مع الطاشناقيين الأرمن قبل الثورة المشروطية،[٢٥] واستمر هذا الوضع حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ حيث تعاون الأرمن مع الروس الغزاة على مختلف الجبهات، كما حرضوا على نشوب ثورات كثيرة. هذا، ولم يتورط النورسي بالتعاون مع الأرمن، إلا أنه اتضح من رده على رجال القبائل أنه كان يعتقد بأهمية الاعتراف بحقوقهم ومساواتهم بالمسلمين.[٢٦]

الثاني: نلاحظ كذلك إنسانية النورسي البالغة وشفقته المرهفة، التي أظهرها تجاه الضعفاء والمقهورين من أهل الديانات والطوائف، والتي كانت

---

(٢٣) النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص٣٨٧.

(٢٤) على سبيل المثال، في الكلمة التي ألقاها في جنازة الخمسين جنديا من جيش العمليات، والذين لقوا مصرعهم أثناء استيلائهم على استانبول بعد ثورة الحادي والثلاثين من مارس، ١٩٠٩، أكد أنور باشا أن المسلمين والمسيحيين يقفون في خندق واحد ... ولن يفرق إخوة الوطن بعد اليوم جنس أو عقيدة." Pears, *Forty Years in Constantinople*, 282 .

(٢٥) Öke, *Yüzyılın Kan Davası*, 141.

(٢٦) النورسي: صيقل الإسلام، المناظرات ص ٣٩٩.

شديدة الوضوح إبان أهوال الحرب العالمية الأولى، كما سنوضح لاحقًا، ولا بد أن هذه السمة قد صبغت آراءه، ومع ذلك فينبغي القول بأن شفقته إنما كانت للأبرياء لا للمعتدين، وإليك القليل مما أجاب به، وانظر كيف أثبت ما احتج به من خلال مبادئ مستقاة من الشريعة:

مما يجدر ذكره - حتى نضع هذه المسائل في سياقها - أن الأرمن على اختلاف مللهم قد ظلوا لقرون جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، بل واستمر الكثير منهم في إظهار ولائه لها رغم ارتفاع الشعور بالوطنية عقب الحرب الروسية التركية ١٨٧٧-١٨٧٨؛ حيث قام الروس بدعم من البريطانيين بتكثيف سياستهم في تحريض الأرمن على القيام بأعمال ثورية إرهابية ضد الدولة العثمانية بغرض تقطيع أوصالها[٢٧]، وكانت أعمال الإرهاب والقتل تُمارس لأغراض دعائية في الأساس؛ حيث أراد الأرمن باستفزازهم المسلمين للقيام بهجمات انتقامية أن يظهروا أنفسهم ضحايا أبرياء، وأن يؤججوا المشاعر الأوربية ضد الأتراك، وينالوا تأييدهم لقيام دولة خاصة بهم في شرقي الأناضول، وكذلك لإجبار كل من روسيا وبريطانيا على التدخل لدعمهم.[٢٨]

عقب قيام النورسي بتعريف الحرية أمام رجال القبائل قبلوا بها كشيء جيد، إلا إنهم قالوا بأن حرية اليونانيين والأرمن تبدوا شيئا "قبيحا"، وتجعلهم يفكرون في الأمر، وأرادوا معرفة رأي النورسي في الأمر، فجاء جواب النورسي في جزأين: " أولاً: إن حريتهم ألاّ يُظلَموا، ولا يُخلّ براحتهم، وهذا أمر شرعي. أما ما زاد على هذا فهو تعدّ منهم تجاه طيشكم وسوء تصرفكم، أو استغلال لجهلكم.."[٢٩]

يمكن أن يُفهم من ذلك أن النورسي يؤكد ثانية للأكراد أن عدوهم الحقيقي هو الموقف الذي ألمّ بهم: "إن عدونا الذي يدمرنا هو "جهل" الأغا، ونَجْله السيد "فقر" أفندي، وحفيده السيد "عداوة" بك، ورغم كراهة الأرمن وعداوتهم لنا، فقد قاموا بذلك تحت قيادة هؤلاء المفسدين الثلاثة."[٣٠]

(٢٧) J. McCarthy, *Muslims and Minorities*, ch. one
(٢٨) Shaw and Shaw, *History*, 2:202
(٢٩) النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٣٩٦.
(٣٠) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy*,319

ثانيا: أشار النورسي في الجزء الثاني من جوابه على هذا السؤال إلى أنه لو كانت حرية الأرمن شيئا سيئًا في رأيهم، فما زال المسلمون بمنأى عن الضرر، ثم إن عدد الأرمن ومجمل عدد غير المسلمين في الإمبراطورية قليل عند مقارنته بعدد الأمة الإسلامية مجتمعة، والتي يربو عددها على الثلاثمائة مليون. لقد كبلت هذه الثلاثمائة مليون بـ "ثلاثة قيود مروعة للاستبداد"، ولذلك "سحقوا" تحت أسر الاستبدادية الأوربية. واصل النورسي حديثه قائلا: "إن حرية غير المسلمين التي تعد فرعًا عن حريتنا لهي الرشوة التي قُدمت ثمنًا لسلب حرية أمتنا أجمعها (العالم الإسلامي). إن الحرية لحائط صد في وجه الاستبداد، وطريق رفع هذه الأغلال، وبها زوال ما أنزله بنا الأوربيون من استبدادية مروّعة". لقد رأى النورسي قدرتهم على تجشم هذا الثمن؛ فكما رأينا أن " حرية العثمانيين كشّافة لطالع آسيا العظيمة ومفتاح لحظ الإسلام وأساس لسور الاتحاد الإسلامي."[٣١]

حديث النورسي للأجيال القادمة

وضع النورسي المستقبل نصب عينيه؛ فقد كان العصر عصر هزيمة للعالم الإسلامي، وكانت الفترة فترة تخلف وظلام، ولكنه كان يعلم أن الربيع قادم، وسيشرق فجر العصر الذهبي بسعادة وتقدم، وحضارة للإنسانية جمعاء، وقد بدأت هذه العودة للحياة؛ حيث يمكننا رؤية ومضات النور وعلامات الحياة. كانت رؤية النورسي واضحة، بيد أنه قد ضجر من إحجام رجال القبائل عن فهمها، بل لقد كشف عن ضجره من معاصريه جُملةً بقوله:

> لماذا تكون الدنيا ميدان تقدمٍ وترقٍ للجميع، وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدنٍ. فهل الأمر هكذا؟ فها أنا ذا آليتُ على نفسي ألا أخاطبكم، فأدير إليكم ظهري وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا من اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون. وتلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تتسمّون بسعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر ويوسف وأحمد وأمثالهم إنني أتوجه بالخطاب إليكم:
>
> ارفعوا هاماتكم وقولوا: لقد صدقت وليكن هذا التصديق ديْناً في أعناقكم. إن

(٣١) انظر: النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٣٩٦.

معاصري هؤلاء وان كانوا لا يعيرون سمعاً لأقوالي، لندعهم وشأنهم، إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي – المسمّى بالتأريخ – إلى ذرى مستقبلكم الرفيع. ما حيلتي لقد استعجلت وشاءت الأقدار أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها.. أما أنتم فطوبى لكم ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة، إن ما يزرع الآن ويستنبت من بذور النور ستتفتح أزاهير يانعة في أرضكم.. نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا.. أنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي، عرّجوا على قبورنا، ، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على قمة "القلعة" التي هي بمثابة شاهد قبر مدرستي، والمستضيفة لرفاتنا وعظامنا والحارسة لتراب "خورخور" سنوصي الحارس ونذكّره... نادونا... ستسمعون صدى "هنيئاً لكم" ينطلق من قبورنا... إذا إن عيون هؤلاء الذين يرتضعون معنا ثدي هذا الزمان في قفاهم تنظر إلى الماضي دوماً، وتصوراتُهم شبيهة بهم معزولة وبلا حقيقة، هؤلاء الصبيان وان كانوا ينظرون إلى حقائق هذا الكتاب ويتوهمونها خيالاً.. فلا أبالي، لأنني على ثقة من أن مسائل هذا الكتاب ستتحقق فيكم واضحة.

أيا من أخاطبكم، ألا معذرةً، إني اصرخ عالياً، وأنا معتلٍ منارة العصر الثالث عشر الهجري، أدعو أولئك المدنيين المتحضرين صورةً وشكلاً والمتهاونين في الدين حقيقة، والذين يجولون في أودية الماضي السحيق فكراً.. أدعوهم إلى الجامع.. فيا أيتها القبور المتحركة برجلين اثنتين، أيتها الجنائز الشاخصة! ويا أيها التعساء التاركون لروح الحياتين كلتيهما.. وهو الإسلام، انصرفوا من أمام باب الجيل المقبل، لا تقفوا أمامه حجر عثرة، فالقبور تنتظركم.. تنحّوا عن الطريق ليأتي الجيل الجديد الذي سيرفع أعلام الحقائق الإسلامية عالياً ويهزها خفاقة تتماوج على وجوه الكون. ![٣٢]

رجتة للعلماء

سبقت الإشارة إلى أن ارتحال النورسي من "أربعين إلى خمسين يومًا" بين رجال القبائل كانت له ثمرتان: كتاب المناظرات، حيث خاطب عامة الناس، وشرع فيما يمكن أن يكون سلسلة من الأفكار، والمقترحات الراديكالية التي يمكنها الدفع بالقبائل الكردية إلى القرن العشرين بقوة وجعلهم أعضاءً فاعلين في تطورهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكذلك في مدنية الأمة الإسلامية. أما الكتاب الثاني فهو "صيقل الإسلام" كما هو عنوان أصله العربي،

---

(٣٢) النورسي: صيقل الإسلام المناظرات ص ٤٠٨-٤٠٩،

أو روشتة العلماء، حيث يخاطب العلماء، هذا وقد نشرت نسخته التركية التي تسمى "محاكمات عقلية" عام ١٩١١، وهو عمل أصيل يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسة كتبها النورسي "ليحدد مبادئ تفسير القرآن الكريم"،[٣٣] وقام في هذا الكتاب بتحديد بعض أمور تلتبس بـ "حقيقة الإسلام"؛ مثل الإسرائيليات والفلسفة اليونانية القديمة التي جعلت معاصريه يرسفون في فكر العصور الوسطى، ومنعتهم من التقدم.

قام في الجزء الأول بوضع عدد من المبادئ "لصقل" الإسلام، وتنحية ما لحق به من أشياء دخيلة، بينما عرض في الجزء الثاني بالشرح لعدة أمور تتعلق بروح البلاغة، حيث " إن مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار البلاغة، هو في معدن البلاغة العربية، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية ".[٣٤]

أما الجزء الثالث الذي لم يكتمل، فقد سرد فيه الأدلة والبراهين على "مقاصد" القرآن الأربعة: دليل الصانع، والنبوة، والبعث الجسماني، والعدالة. اعتمد طرح النورسي على أنه إذا كان المستقبل (الذي يعني به العصر الحاضر) سيكون زمن العقل والحكمة؛ فإن جوهر الإسلام (الإسلام دون إضافات) سيسود ويعلو، فكما توصل النورسي لسعيد الجديد بعد تفكره في الأحداث، فقد أدرك في ذلك الوقت -ونظرًا لرغبته في "تبديد يأس المؤمنين"- أنه قد أخطأ في تأويل ذلك الاعتقاد بعينه، وذلك بإدراكه أنه "يمتد إلى حقل السياسة والمجتمع الإسلامي"،[٣٥] ولكنه أنجزه بعد ذلك في الثلاثينيات (١٩٣٠) والأربعينيات (١٩٤٠) فيما يتعلق بالإيمان في رسائل النور، ومع ذلك فمن المفيد لنا أن نلقي نظرة على الحجج التي أوردها النورسي سابقا في "المحاكمات" تأييدًا لرأيه.

يوضح النورسي أن عقيدته الراسخة بأن "حقيقة الإسلام هي التي ستسود قارات العالم وتستولي عليها "[٣٦] قد شجعته على تحدي أفكار الماضي، التي

---

(٣٣) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٢٢٧.
(٣٤) النورسي: صيقل الإسلام، المحاكمات ص ٩٤.
(٣٥) انظر: النورسي: الملاحق ملحق قسطموني ص ١١٧.
(٣٦) النورسي: صيقل الإسلام، المحاكمات، ص ٢٣.

كما ذكرنا آنفًا، أصبحت ممزوجة بكثير من الأمور الدخيلة على الإسلام، والتي رآها بعد ذلك سخيفة؛ "لأن مصدر تبخر حقائق الحكمة في صحراء الوقت الحاضر والباعث بالسحاب الممطر إلى جبال المستقبل، هو الأفكار والعقل والحق والحكمة."[٣٧] لقد كانت العقبة الرئيسة التي حالت دون "الغلبة الكاملة" للشريعة في الماضي هي "الصدام والتعارض الموهوم" بين "بعض الأسئلة العلمية وبعض الأمور الظاهرية للإسلام"، ولكن العلم والتعليم قد جاوزا ذلك، ونجحا في تخطي هذه العقبة بإثارة رغبة اكتشاف الحقيقة، والتحفيز على الحب الإنساني والجنوح للموضوعية،[٣٨] فقريبًا ما "ستسود الحقيقة على القوة، والبرهان على المغالطة والعقل على الغريزة.. والفكر على العاطفة" إلى حد ما في الحاضر وكليّةً في المستقبل من خلال الأثر الإيجابي للعلم،"[٣٩] واستطرد النورسي قائلا: ".. ماذا هوى بالنصارى وأشباههم إلى أودية الضلال سوى إنكارهم للعقل ورفضهم للدليل وتقليدهم الأعمى لرجال الدين، ومن ناحية أخرى؛ "ما جعل الإسلام يتجلى دوماً، وتنكشف حقائقه وتنبسط بنسبة انبساط أفكار البشر إلاّ تأسّسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته لها"[٤٠] فكما أشرنا سابقًا في "خطاب الحرية" للنورسي، أن الشريعة، والتي يُقصد بها الهيكل الكامل للتعاليم الإسلامية، تتميز بفاعلية شديدة، بمعنى تكيّفها وملاءمتها مع التقدم الإنساني، ولذلك فإن تأكيد النورسي على سيادة الإسلام مستقبلا يعتمد على مفهوم التقدم، فقد رأى النورسي أن التقدم مفهوم شامل لا ينحصر في عالم البشر، إلا أنه قانون سارٍ على الكون والإنسان، حيث إنه "من ثمرات العالم وأجزائه". ففي كل من العالمين توجد الرغبة والميل نحو الكمال والتقدم، وهذا الميل هو ما يخضع هذه الكائنات للقانون،[٤١] وعلاوة

(٣٧) المرجع السابق، ص ٥٠.
(٣٨) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٦.
(٣٩) انظر: المرجع السابق، ص ٥٠.
(٤٠) النورسي: صيقل الإسلام، المحاكمات ص ٥٢،
(٤١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢.

على ذلك، فهناك انسجام وتوافق بين قوانين الطبيعة ومبادئ القرآن، هذا ما عبرت عنه اصطلاحات الشريعة المعروفة التي تنظم أعمال العبد التطوعية، وكذلك شريعة الخلق التي تتكون من القوانين النظرية السارية في الكون.[٤٢]

يرى النورسي أن حقائق الشريعة تتوافق مع القوانين الحسية السارية بين الخلق حتى إنها لتحفظ توازن هذه القوانين الطبيعية،[٤٣] ونتيجة لهذا الانسجام يعد القرآن هو "الضامن الأساسي لتوازن النظام الاجتماعي الإنساني وتقدمه." كان هذا موجزًا للأساس النظري لطرح النورسي، ونجد في "خطبته الشامية" مزيدًا من الحجج على ذلك.

الخطبة الشامية

اتجه النورسي في خريف عام ١٩١٠ إلى الجنوب، وقام "برحلة شتوية" عبر الأراضي العربية استمرت حتى الربيع التالي مواصلاً "دروسه عن المشروطية".[٤٤] مر بديار بكر وأورفة وكيليس التي قيل إنه أقام فيها بتكية الشيخ الأفندي،[٤٥] ثم ما لبث أن وصل دمشق حيث نزل ضيفًا في منطقة الصالحية على سفح جبل قاسيون، وهناك حيث دفن مولانا خالد البغدادي[٤٦] كان يعيش مجتمع كبير من الأكراد والأتراك. تنْقل بعض الروايات أن نية النورسي كانت تتجه أساساً للسفر إلى القاهرة كي يستكشف جامعة الأزهر عن قرب، ولكنه عدل عن هذه الفكرة عندما علم أن كل علماء دمشق من خريجي جامعة الأزهر، وسيمدونه بما يبغي من معلومات.[٤٧] وتنقل رواية ثانية أنه كان ينوي الحج في هذا العام (وافق عيد الأضحى يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٠)، ولكنه لم يستطع.[٤٨] وإذا كان ماضي النورسي شيئًا قد انقضى، فلنعلم أنه قد قام

---

(٤٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٤٤) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyye,292*

(٤٥) Şahiner, *Son Şahitler*, 1:56-57.

(٤٦) انظر مولانا خالد البغدادي في Aglar, "A Brief History," 34ff؛ Bruinessen, *Agha, Shaikh and State*, 223-24، Hourani, *"Shaikh Khalid and the Naqshbandi Order*," 89-103.

(٤٧) Erdem, *Davam*, 193.

(٤٨) Badıllı, *Nursi*, 1:338.

بمناقشات ومناظرات ثريّة مع علماء هذا المركز الهام من مراكز العالم الإسلامي، وعلى كلٍ، فقد كان إصرار العلماء هو ما دفعه إلى إلقاء "الخطبة الشامية الشهيرة بالمسجد الأموي في ربيع عام ١٩١١، ولا بد أنه كان ذائع الصيت، فقد احتشد ما يقرب من عشرة آلاف شخص بينهم مئة عالم للاستماع إليه في هذا المسجد التاريخي،(٤٩) وطبع نص الخطبة مرتين في أسبوع واحد، ورغم أن خطبة النورسي كانت معدة لإظهار الدلالات التي تؤكد النهوض الوشيك للإسلام لمواجهة اليأس، الذي رأى النورسي أنه أعظم بلوى تحول دون نهوض الإسلام، وأكد على أهمية التجديد الأخلاقي كعامل حاسم في تحقيق هذا النهوض. هذا، ومن المفيد ذكر قليل من الحقائق الموجزة حول الموقف السياسي في هذه الولاية العربية التابعة للإمبراطورية، والتي اتسمت بالاضطراب المتصاعد.

كان الشباب التركي يقرون سرًا حتى ١٩١٠، بأن سياستهم المركزية حول الدولة العثمانية غير فاعلة، وخلافًا لما كان يكتب غالبًا، فبعد خسارة ليبيا والبلقان، لم يفض ذلك بهم إلى الوطنية التركية بل للتأكيد على الوحدة الإسلامية.(٥٠) ورغم التواجد العربي في كل من لجنة الاتحاد والترقي والأحزاب المعارضة عند تأسيسها؛ فإن الاستياء من الحكومة كان مرجعه في الغالب لسياساتها المركزية، والوضع المتميز الذي منح للأتراك في الوظائف، وكذلك إلى لجنة الاتحاد والترقي المناهضة لمبادئ الإسلام، وتهتك بعض المسئولين.(٥١)

شهد عاما ١٩١٠-١٩١١ استياء عربيًا متصاعدًا على نحو بطيء ضد الأتراك، وكان أحد أسباب ذلك تقديم اللغة التركية في كل الشئون الحكومية والقضائية، وجعلها بديلاً عن العربية في بعض الأحيان، وكان الهدف الرئيسي من ذلك هو تعزيز وحدة الإمبراطورية، وعندما كان النورسي في دمشق أثناء شتاء ١٩١٠/١٩١١، أدت عدة عوامل إلى تفاقم الاضطرابات، وكان بين هذه

(٤٩) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 83 ؛Şahiner, *Bilinmeyen* ,144-145.

(٥٠) Kayalı, *Arabs and Young Turks,* 141-143.

(٥١) المرجع السابق، ص ٩٤-٩٥.

العوامل تصاعد المعارضة ضد الحكومة المركزية التي أعلنتها الصحافة في "لهجة مضادة لتركيا"،[٥٢] والشتاء القارص على غير العادة، وكذلك قضية الاستيطان الصهيوني في فلسطين، حيث كانت هناك نذر كبيرة عن خطر بيع الأراضي للمستوطنين،[٥٣] وإنه لمن النَصَفَة أن نذكر أن النورسي كان يكرر أطروحاته عن التقدم والوحدة في أشكال مختلفة وبدرجة أقل حول الحكومة المشروطية التي اعتبرها ترياقًا لكل هذه القوى المهلكة.

اتخذت خطبة النورسي شكلا مكونًا من ست "كلمات" مأخوذة من "صيدلية القرآن الكريم"، وهي التي تقدم العلاج لـ " الأمراض الستة الفتاكة"، التي رأى النورسي أنها تحول دون تطور العالم الإسلامي، ووصفها كما يلي:

> لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمتُ في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي:
>
> أولا: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.
>
> ثانيًا: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.
>
> ثالثًا: حبّ العداوة.
>
> رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.
>
> خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.
>
> سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.[٥٤]

بدأ النورسي حديثه مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر: ٥٣)، وكذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"؛ حيث استمد منهما فكرة الست "كلمات" التي تكونت منها الخطبة. الكلمة الأولى هي "الأمل"، والتي تستحق بعض التفصيل؛ حيث وضع النورسي تحتها كثيرًا من أسباب التفاؤل الذي يشعر به تجاه مستقبل العالم الإسلامي، وتتكون من "دليل تمهيدي ونصف دليل آخر"، لتأييد "عقيدته الراسخة" بأن

(٥٢) المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(٥٣) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٥٤) النورسي، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٤٩٢.

"المستقبل للإسلام دون غيره، وستكون السيادة لحقائق القرآن والإيمان." كانت مقدمة حججه أن "حقائق الإسلام تملك من القوة ما يجعلها قادرة على تحقيق التقدم ماديًا كان أم غير مادي."[٥٥] والمظهر الأول هو تحقيق التقدم في الأمور الأخلاقية غير المادية، والذي يحتوي على خمس أو ست نقاط رئيسة.

بدأ النورسي بالاستشهاد بتعليق شهير جاء على لسان القائد الأعلى للقوات اليابانية، وهي أن ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان هو قدرته على تحقيق التقدم، واشتماله على كل ما يعد ضروريًا لبناء حضارة حقيقية، ومن الأهمية بمكان أن هذه الملاحظة الثاقبة لم تأت فقط على لسان رجل غير مسلم بل جاءت على لسان رجل ياباني؛ فاليابانيون كما سبق ذكره قد اتخذهم العديد من مؤيدي المبادئ المشروطية نموذجًا يحتذى في أخذهم العلوم والتقنية عن الغرب في سعيهم الدءوب نحو التقدم والحضارة مع الحفاظ على ثقافتهم وأخلاقهم الأصيلة، واستطرد النورسي في عرض حجته مؤكدًا أن التاريخ لا يقدم أي دليل على أن أي مسلم قد اعتنق أي ديانة أخرى على أساس من العقل، بينما كان من أثر "الحجاج العقلي والأدلة البيّنة" أن "تقارب" كثير من أتباع الديانات الأخرى "مع الإسلام واعتنقوه." طرح النورسي بعد ذلك التحدي التالي على المؤمنين:

> "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل اتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام."

تلى ذلك وصف النورسي بحثَ إنسانِ العصر الحديث عن الدين الحق؛ فقال بأن التطورات العلمية، وما صاحبها من حروب وأحداث مروعة في القرن العشرين قد أثارت في الإنسان الرغبة في البحث عن الحقيقة، فقد استيقظ الإنسان بهذه الأحداث، وأدرك "طبيعة الإنسانية الحقة، وسجاياها الشاملة"، لذا فقد أدرك الإنسان حاجته للدين، حيث إن الشيء الوحيد الذي يساعد البشر العاجزين في مواجهة المصائب التي لا تنحصر والأعداء الخارجيين

---

(٥٥) المرجع السابق، ص ٤٩٣.

والداخليين الذين يحيطون به هو معرفة خالق الكون، والإيمان والتصديق بالحياة الآخرة. فليس هناك ملجأ للبشرية المتيقظة خلاف ذلك"، ومضى النورسي في قوله بأن الدول مثل الإنسان قد بدأت الآن تدرك "هذه الحاجة الملحة للإنسانية".

أوضح النورسي في المرحلة الثانية من حجته أن القرآن "يحيل الإنسان إلى عقله" مرارًا، مخبرًا له بأن يُعمل ذكاءه وأن يتدبر وأن يأخذ العبرة من حياته الخاصة ومن القرون الخالية، وبعد نصحه مستمعيه أن ينتبهوا إلى هذه التحذيرات، خلص النورسي إلى أن القرآن سوف يسود في المستقبل، فقال:

" نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتّبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائقَ الإيمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب اتباع سائر الأديان! وعلى هذا فان المستقبل الذي لا حكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان. (٥٦)

واستكمالا لهذا "المظهر الأول" حدد النورسي "ثمانية عوائق خطيرة" هي التي حالت دون سيادة الإسلام في الماضي" ثم ما لبثت أن تبددت، ثم أردف حديثه بشهادة في حق الإسلام أدلى بها اثنان من أعداء الإسلام على طريق الاستدلال على حجته.

كانت الثلاثة عوائق الأولى هي "جهل الأوربيين وهمجيتهم في هذا الوقت، وتعصبهم الديني الأعمى، ويعود للمعرفة والحضارة الفضل في زوال هذه العوائق وتبددها." أما العائقان الرابع والخامس فكانا "هيمنة رجال الدين والقادة الدينيين وقوتهم التعسفية؛ حيث كان الأوربيون يتبعونهم ويطيعونهم طاعة عمياء، وبدأ اختفاء هاتين العقبتين مع ظهور فكرة الحرية والرغبة في البحث عن الحقيقة بين بني الإنسان." أما السادس والسابع من هذه العوائق فكانا "الاستبداد الذي أُصبْنا به، وشيوع السفاهة والانحلال الذي نشأ عن مخالفة الشريعة"، وقد بدأت هاتان العقبتان في التبدد نتيجة لـ "لارتفاع الحماسة الإسلامية"، ونمو الوعي بقُبح السفاهة. أما العائق الثامن فكان الصراع الموهوم

(٥٦) النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٤٩٤.

بين العلوم الحديثة وبين بعض "المعاني الظاهرية لحقائق الإسلام". ويمكن القول بأن العلماء والفلاسفة قد عارضوا الإسلام نتيجة لعدم فهمهم معناه الحقيقي، أما إذا أدركوا معانيه؛ فإن أعتى الفلاسفة وأكثرهم تشبثًا برأيه لن يسعه سوى النزول على حكمه."

خلص النورسي للمظهر الأول بالاستشهاد بشهادة حول صدق الإسلام جاءت على لسان الفيلسوف الاسكتلندي توماس كارليل الذي عاش إبان القرن التاسع عشر، والفيلسوف البروسي الشهير بسمارك (١٨١٥-١٨٩٨)، واعتمادًا على ذلك كرر تنبؤه الذي أخبر به الشيخ بخيت: "إن أوروبا وأمريكا حبليان بالإسلام، ويوشكا أن يتمخضا عن دولة إسلامية تمامًا كما كان العثمانيون حبالى بفكر أوروبا مما تمخض عنه ولادة دولة أوربية."

يعرض "المظهر الثاني" لحجة النورسي "أدلة قوية على تقدم الإسلام المادي وتفوقه في المستقبل"، ويتلخص هذا في "خمس قوى عظمى وحصينة مجتمعة ومعقودة مع بعضها البعض، راسخة في قلب الشخصية الجماعية للعالم الإسلامي"، وقبل أن يصف هذه القوى تطرق للحديث عن أهم النقاط وأمتعها، وهي أن القرآن يدفع الإنسان نحو التقدم ويحثه على تحقيقه. يقول النورسي لدى ذكره معجزات الأنبياء: "يُعْلم القرآنُ الإنسانَ أن أحداثًا شبيهة بهذه المعجزات ستحدث مستقبلاً عن طريق التقدم، ويحثه على تحقيق ذلك، بقوله: "هيا اعملوا، وأظهروا نظير هذه المعجزات، كما كان سليمان عليه السلام يرحل مسيرة شهرين في يوم واحد، وكما كان عيسى عليه السلام يعمل جاهدًا لاكتشاف علاج لأفتك الأمراض." وأردف النورسي ذلك بذكر كثير من معجزات الأنبياء كشواهد على ذلك.

أما الخمس "قوى" فكانت أولاها: "ماهية الإسلام"، وثانيها: "الحاجة الشديدة والتي تعتبر أم الحضارة والصناعة"، مضافًا إليها "الفقر القاصم المدقع"، وثالثها: "الحرية التي توافق أحكام الشريعة"، ورابعها: "الشجاعة" أو "قوة العقيدة، وخامسها: "عزة الإسلام التي تدعو إلى إعلاء كلمة الله وتجاهد في سبيلها"، وكما رأينا فإن "الدعوة إلى اعلاء كلمة الله في هذا العصر، ترتكز على التقدم المادي."

توصل النورسي بعد ذلك أنه أثناء القيام بمساعي تحديث الدولة العثمانية لم تتحقق المظاهر المفيدة للحضارة التي تم نقلها، إلا أنه تم تقليد "مفاسد وشرور" هذا التحديث، مما آل بالإمبراطورية إلى دولة منهزمة، ومرد ذلك أيضًا إلى أن مفاسد الحضارة قد غلبت على أوجه نفعها مما جعل الإنسانية تعاني من الحروب الدامية المفجعة في هذا القرن، ثم قال النورسي:"ستسود - إن شاء الله- فضائل الحضارة غدًا بفضل الإسلام، وسيطهر ظهر البسيطة من الخبث، ويحل السلام العالمي".

وجّه النورسي عقب ذلك سؤالا لجمهوره: "كيف تيأسون أو تقنطون من مواجهة المستقبل وتدمرون معنويات العالم الإسلامي، في ظل وجود هذه الوسائل العظيمة والثابتة لتقدم المؤمنين والمسلمين ماديًا وأخلاقيًا، وكذلك وضوح الطريق إلى سعادة المستقبل أمامكم، لا عوج فيها؟ إن الميل نحو نيل الكمال سجية الإنسان، ولذا فبمشيئة الله سينير الحق والعدل غدًا الطريق إلى السعادة في الدنيا في ربوع العالم الإسلامي، لتكون كفارة لما اقترفته البشرية من أخطاء في الماضي، وكما يعقب الشتاءَ الربيعُ، ويخلف الليلَ النهارُ؛ سيكون للبشرية –إن شاء الله- نهار وربيع، ولك أن تأمل في رحمة الله لرؤية حضارة حقة يعمها السلام العالمي عن طريق شمس الحقيقة الإسلامية."(٥٧) أشار النورسي خلال الكلمات الخمس الباقية من الخطبة كيف يمكن لسامعيه أن يساهموا في تحقيق هذه الحضارة الحقة، وانصب اهتمامه فيها على الأخلاق.

تلقي النقطة الثانية الضوء على بعض النتائج المدمرة لليأس، "وهو المرض العضال الذي اقتحم لب العالم الإسلامي". لقد كان اليأس الذي دمر معنويات المسلمين حتى تمكن الأوربيون من السيطرة عليهم، ودعا النورسي العرب أن يقلعوا عن اليأس، ويقفوا في "تماسك وانسجام حقيقيين" مع الأتراك، رافعين "راية القرآن في ربوع العالم."(٥٨)

(٥٧) انظر:النورسى، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٥٠٢،
(٥٨) انظر: المرجع السابق، ص ٥٠٥.

أما الكلمة الثالثة فهي "الصدق" أو "الأمانة"؛ يقول النورسي: "إن هذه الكلمة هي أصل أصول الإسلام والمبدأ الأساسي للمجتمع الإسلامي، كما أخبرهم ألا سبيل للنجاة سوى الأمانة، ربما عُد الكذب مباحا في وقت مضى، وحيث أسيء فهم ذلك؛ فنحن الآن أمام أمرين لا ثالث لهما: "إما الصدق أو الصمت."

أما الكلمة الرابعة فكانت نداءً للحب والأخوة؛ يقول النورسي: "أحق الأشياء بالحب هو الحب، وأجدرها بالعداء هو العداء"؛ وذلك أن الحب هو الذي يضمن حياة المجتمع ويكفل سعادته، بينما يدمره العداء والكراهية.[٥٩]

أما الكلمة الخامسة فحث فيها النورسي العربَ أن يأخذوا مواقعهم بجانب الأتراك كـ "حراس للقلعة المقدسة للقومية الإسلامية"، فقال: "لقد رأينا كيف تعمل المشروطية على تنمية الوعي بالقومية الإسلامية بين المسلمين"، ونتعلم هنا المزيد عن حيوية ذلك للعالم الإسلامي، أوضح النورسي لسامعيه أن أعمال الإنسان في الوقت الحاضر، خيرًا كانت أم شرًا، لا يقتصر أثرها في الغالب على فاعلها بل تكون لها عواقب واسعة الانتشار؛ لذا حذر العرب من التكاسل، حيث إن الطيبات "يمكن أن تنفع ملايين المؤمنين."

واصل النورسي حديثه مذكرًا لهم بمسئوليتهم كمعلمين وقادة للآخرين، من الشعوب والجماعات المسلمة الصغيرة، وهي مسئولية أهملوها بسبب تكاسلهم، وفي الآن نفسه فإن إنجازات العرب عظيمة، لذلك تنبأ النورسي أن يدخل العرب خلال أربعين أو خمسين عامًا "نحو حالة عظيمة ... كالتي تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية"، "وسينجحون في تأسيس حكم إسلامي يسود نصف المعمورة ... وإذا لم تحدث كارثة رهيبة قريبًا فسترى الأجيال القادمة هذا الحكم إن شاء الله"، إلا أن النورسي أردف ذلك على الفور بقوله:

" أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا استنهض هممكم للاشتغال بالسياسة – حاش لله – فان حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة بل جميع أصناف السياسة وأشكالها يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له، وليس لأية سياسة كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها.

---

(٥٩) انظر: النورسى، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٥٠٧.

فأنا بفهمي القاصر أتصور المجتمع الإسلامي ككل - في زماننا هذا - أشبه ما يكون بمصنع ذي تروس وآلات عديدة. فإذا ما تعطل ترس من ذلك المصنع أو تجاوز على رفيقه الترس الآخر فسيختل حتماً نظام المصنع الميكانيكي. لذا فقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك التحقق. فينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية، وليتجاوز كلٌ عن الآخر.[٦٠]

كان النورسي يقول بأن سيادة الإسلام ستتحقق خلال التقدم المادي والتقني الذي يتم إنجازه عن طريق الوحدة والتعاون بين كل العناصر التي يتألف منها العالم الإسلامي، شعوبًا وجماعات.

أما الكلمة السادسة أو الوصفة السادسة من العلاج الذي وصفه النورسي للعالم الإسلامي فهي مبدأ الشورى، التي وصفها بأنها: "مفتاح سعادة المسلمين في حياة المجتمع الإسلامي"، وأكد على أهميتها كأساس للتقدم والتطور العلمي، مضيفًا أن أحد أسباب التخلف في الدول الآسيوية هو فشلهم في تطبيق نظام الشورى، ثم قال بأنه إلى الشورى يعود "مفتاح كشف القارة الآسيوية وتقدمها في المستقبل، وأنه كما يستشير الأفراد بعضهم البعض؛ فإن الأمم والقارات عليهم القيام بالعمل نفسه." هذا، وقد ختم النورسي أن ما تمخض عن الشورى من إخلاص وتضامن قد جعلها سبيلاً للحياة والتقدم؛ حيث إن "وجود ثلاثة رجال بينهم تضامن حقيقي يمكن أن ينفع الأمة كما لو كانوا مائة رجل، وتعلمنا كثير من الأحداث التاريخية أن الإخلاص والتضامن والتشاور الحقيقي لعشرة رجال يمكن أن يجعلهم يقومون بعمل ألف رجل."[٦١]

---

(٦٠) النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٥١٢.

(٦١) انظر: النورسي، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٥١٥.

الفصل الخامس

مدرسة الزهراء

العودة إلى استانبول

ما إن انتهى النورسي من خطبته حتى غادر دمشق إلى بيروت، ومنها بالباخرة إلى أزمير فاستانبول،[1] وكان هدفه من العودة إلى استانبول استئناف جهوده الرامية إلى إنشاء مدرسة الزهراء (الجامعة الشرقية)، وكان الجزء الأخير من *المناظرات* قد خُصص لهذا الهدف الذي سعى النورسي لتحقيقه، وبعد ذلك بسنوات كثيرة وصفه بأنه "الروح والجسد" لهذا العمل.[2] وبعد رحلاته الطويلة في المنطقة قرر كسب التأييد والدعم الرسميين لإقامة الجامعة على يقين بأن ذلك أشمل الحلول، وأوقعها أثرا في حل مشاكل المنطقة، وكان من المنتظر نجاحه هذه المرة إلا أن مسار الأحداث قد حال في النهاية دون تنفيذ مشروعه.

رحلته إلى روملي

انطلق السلطان محمد رشاد في الخامس من يناير عام ١٩١١ بصحبة حشد كبير من بطانته، بينهم اثنان من الأمراء ورئيس الوزارة حقي باشا، وعدد من نوابه في رحلته الشهيرة لروملي،[3] وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي يقوم فيها سلطان عثماني بزيارة الولايات الأوربية؛ إذ سرعان ما فقدت الإمبراطورية هذه الولايات، وكان العام السابق لهذه الرحلة قد شهد أول ثورة للألبان على الإمبراطورية العثمانية، فاستهدفت رحلة السلطان إحياء مشاعر الوطنية والتضامن بين الأجناس المختلفة في مقدونيا وألبانيا كي تكون قادرة على

---

(١) Şahiner, *Bilinmeyen* 150

(٢) انظر: النورسي، الملاحق (ملحق قسطموني ص ١٢٦).

(٣) .Danişmend, *İzahil Osmanil, Tarihi Kronolojisi*, 4:383

مواجهة تيار القومية، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي.(٤) كان نيازي بك وهو ألباني الأصل، وأحد "أبطال الحرية"، والمحرك الرئيسي للثورة الدستورية قد أعد للقيام برحلة خططت لها جمعية الاتحاد والترقي،(٥) ومن المحتمل أن تلك الجمعية هي التي اقترحت على النورسي أن يصحبهم في هذه الرحلة باعتباره ممثلا للولايات الشرقية؛ حيث كان هناك ممثلون لكل الأقليات العرقية. أبحروا إلى سلانيك حيث قضى السلطان وحاشيته يومين فيها، بعدها استقل القطار ليصل في الحادي عشر من يناير إلى أسكوب، وعلى القطار شارك النورسي في نفس المقصورة اثنان من المدرسين ممن تلقوا تعليمهم في إحدى المدارس الجديدة، ودار بينهم حوار عندما سألاه: "أيهما أكثر أهمية وأدعى أن يقوى في نفوس الناس: الحماس الديني أم الحماس القومي؟" فأجاب النورسي بما ملخصه: "يرى المسلمون أن الدين والقومية متحدان، رغم وجود خلاف نظري ظاهري عارض بينهما... فالحماس الديني والقومية الإسلامية قد ذابا بين الترك والعرب، ومن غير الممكن الآن فصلهما، وأوضح ثبات عقيدة المسلمين في وحدانية الله بعقد مقارنة بين المسلمين الذين رمز لهم بطفل في السادسة من عمره، وبين الأوربيين والكفرة الذين رمز لهم بصورة أبطال كهرقل ورستم.(٦) وعقب عودته من هذه الرحلة ضمن حواره هذا رسالة بالعربية أطلق عليها تشخيص العلة، وجعلها ملحقا للخطبة الشامية التي نشرت عام ١٩١١.

يستحضر بعض عجائز أسكوب زيارة النورسي لبلادهم، ويصفونه كما يلي:

> كان بديع الزمان ينتعل حذاء طويلا، له شارب قصير، وعينان لامعتان، جميل المحيا، حسن الطلعة، أسمر البشرة، يحمل سوطا شركسيا، على خاصرته خنجر ذو يدٍ عاجية، عُرف سريعا في سكوبجي ببديع الزمان الملا سعيد أفندي. أتاه علماء سكوبجي طائفة تعقبها أخرى يزورونه ويسألونه. كان يقف بجوار السلطان رشاد مباشرة عندما كان يُحيّي الجماهير من شُرفة المدرسة الثانوية بأسكوب التي دمرتها الزلازل فيما بعد، واستقبله آلاف من أبناء اسكوب بحفاوة بالغة.(٧)

---

(٤) McCarthy, *Ottoman Peoples and the End of the Empire*.

(٥) Zürcher, *Turkey,* 109.

(٦) انظر: النورسي، صيقل الإسلام الخطبة الشامية ص ٥١٨.

(٧) Şahiner, *Bilinmeyen*, 151 ، Badıllı, *Nursi,* 1:354.

وفي السادس عشر من يناير وصل السلطان وحاشيته إلى كوسوفا قادما من بريشتينا، وهناك في الساحة المفتوحة الواسعة حول قبر السلطان مراد الثاني (ت ١٤٥١)؛ أدوا صلاة الجمعة مع الألبان الذين تناسوا سخطهم على الإمبراطورية التركية مؤقتا، وبلغ هذا الجمع مائة ألف من الناس، فكان يوما لا ينسى في تاريخ هذا الوطن الضائع.

دار حديث عريض وهم في كوسوفا عن جامعة كبرى يريدون تأسيسها كجزءٍ من خطتهم الرامية إلى تهدئة الألبان الذين كانت لهم مطالب عديدة من بينها إعطاؤهم قدرا أكبر من الحكم الذاتي، وإدخال النصوص اللاتينية في مدارسهم،[٨] وقد أتاح ذلك للنورسي فرصة طالما انتظرها، فعرض على السلطان رشاد وزعماء جمعية الاتحاد والترقي المرافقين له اقتراحا أكد فيه حاجة الولايات الشرقية الماسة لمثل هذه الجامعة؛ إذ تقع في قلب العالم الإسلامي، قَبِل الجميع كلامه ووعدوه أن يتم افتتاح جامعة في الولايات الشرقية، وفي أكتوبر من العام التالي اندلعت حرب البلقان الأولى، وفقدت الإمبراطورية سيطرتها على كوسوفا، وعليه طالب النورسي بالتسعة عشر ألف ليرة ذهبية المخصصة لبناء جامعتها المزمع إنشاؤها، فقُبل طلبه وأعطي ألف ليرة ذهبية مقدما،[٩] بعدها قفل راجعا إلى وان وهناك على شواطئ بحيرة وان في إدريميت وضع أساس مدرسة الزهراء، ولكنها لم تستكمل، فقد توقف بناؤها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ولم يستكمل.[١٠]

انتهت زيارة السلطان رشاد وحاشيته المرافقة له لروملي بعودته إلى سلانيك؛ حيث استقلوا ثانية السفينة الحربية باربروس، والقوارب التابعة لها، مواصلين رحلتهم إلى استانبول بعد أن انطلقت المدفعية توديعا لهم في جنق قلعة، وفي السادس والعشرين من يناير كان في استقبالهم حشود كبيرة من الناس؛ حيث استمرت الرحلة ثلاثة أسابيع.

---

(٨) Zürcher, *Turkey*, 109.

(٩) رسالة لتوفيق إليري وزير التعليم بتاريخ ١٩/٨/ ١٩٥١، نقلا عن Badıllı, *Nursi*, 1:352-53.

(١٠) النورسي: سيرة ذاتية، ص ١١٧.

كان المد المُناوئ للعثمانيين يتصاعد بقوة في ذلك الوقت، ويتضح ذلك جليا من خلال تلك الإيماءات رغم الاستقبال الحار الذي لاقاه السلطان إبّان رحلته، والتظاهرات الضخمة المعلنة للولاء له؛ إذ ظل القوميون والانفصاليون يتلقون الدعم من القوى الأجنبية، كما زاد الأمر سوءا جرّاء إساءة الحكم التي اتبعته جمعية الاتحاد والترقي، فصعّد من الموقف المتدهور أصلا، مما أدى في النهاية إلى إنهاء النفوذ التركي في أوربا بعد حرب البلقان ١٩١٢، ١٩١٣.

كذلك اندلعت حرب طرابلس في أواخر عام ١٩١١؛ حيث داهمت إيطاليا طرابلس وبنغازي في ليبيا، وخرج كلاهما عن الحكم العثماني، وأقدم الإيطاليون على احتلال جزر دوديكانيز، وقصفوا مدخل الدردنيل. وفي نوفمبر ١٩١٢ اندلعت حرب البلقان الأولى، واحتلت اليونان جزر بحر إيجة، كما ضاعت أيضا سلانيك من يد الأتراك، ونقل السلطان عبد الحميد المخلوع على عجل من منفاه إلى قصر بكلربكي في استانبول. أدى الاحتلال المفاجئ لطرابلس إضافة إلى الأحداث الأخرى التي شهدتها الإمبراطورية العثمانية إلى وقوع أزمة سياسية في استانبول، كما أن جمعية الاتحاد والترقي قد عزلت عن السلطة مدة ستة أشهر، بداية من يوليو ١٩١٢، وحتى الهجوم الشهير الذي قاده أنور بك على الباب العالي في يناير ١٩١٣، وعين أنور وزيرا للحرب بعد أن تحررت أدرنة في يوليو ١٩١٣، وكان أنور باشا هو الذي أسس لتحالف تركيا مع ألمانيا مما أدى لدخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور في العام التالي.

كانت الفترة التي تلت رحلة النورسي إلى روملي واحدة من الفترات التي لم يرد عنها شيء في سيرة النورسي الذاتية خلال أيامه الأولى، ويتضح من الخطاب المشار إليه آنفا، والذي وجهه لوزير التعليم في ١٩٥١ أن النورسي لم يعد إلى الشرق إلا بعد أن وفر التمويل لمدرسة الزهراء، وتلقى ألف ليرة ذهبية مقدما. ويبدو من غير المحتمل - في ظل اندلاع حرب البلقان الأولى في الثامن من أكتوبر ١٩١٢، وهزيمة العثمانيين المفاجئة وتوقيعهم اتفاقية وقف القتال في الثالث من سبتمبر- أن يكون هذا الأمر اليسير من تحويل التمويل

الذي كان مخصصا لجامعة كوسوفا، التي فقدت الآن، إلى الجامعة الشرقية المزمع إنشاؤها قد تمت تسويته بشكل سريع، إضافة إلى ذلك؛ فإن أحمد رامز الذي قام بطبع كتاب" ايكي مكتب مصيبة شهادتنامه سي" الذي صدر في ١٩١٢، ١٩١٣ يقول في مقدمة الطبعة الثانية: كان النورسي في هذا الوقت قد عاد إلى الشرق. وعلى أي حال يمكن القول بصحة هذا الأمر؛ ذلك أن العام يبدأ في التقويم الروماني الذي كانت الإمبراطورية العثمانية تعمل به في الأول من مارس؛ ومن ثم يكون قد حصل على الدفعة الأولى من التمويل وعاد فورا، وفي العام نفسه نُشرت خطبته الشامية. كان رامز أيضا هو الذي نشر الطبعة الثانية من "نطق" في ١٩١٠ ، ١٩١١ بينما كان النورسي لا يزال في الشرق، ومن المحتمل أيضا أن يكون الهدف من الخطاب الذي أرسله عام ١٩٥١ التعميم وليس التخصيص، وبلفظ آخر فإن النورسي قد عاد إلى الشرق في فترة سابقة؛ حيث أمكنه المراسلة عن طريق التلغراف أو بعض الوسائل الأخرى كما فعل بعد ذلك في يناير ١٩١٣ عن طريق تحسين بك حاكم وان، ويبدو ذلك مرجحا في ضوء المعروف الآن.

التشكيلات المخصوصة

هناك تفسير ثالث يأخذ بأيدينا للجواب عن السؤال الذي لم يحسم عن اشتراك النورسي في التشكيلات المخصوصة، وهي منظمة استخباراتية وقوة عاملة خاصة تحولت بعد خلع السلطان عبد الحميد إلى مؤسسة المخابرات الرسمية على يد خليفته محمد رشاد، وأصبحت منذ ذلك الحين المؤسسة الأمنية الأهم في الإمبراطورية؛ ولعبت دورا في كل الأمور الهامة في ليبيا، والبلقان والحرب العالمية الأولى. كان هدفها الأول هو الحفاظ على تماسك الإمبراطورية ووحدتها، والعمل على نشر فكرة اتحاد الشعوب الإسلامية والتركية.

عُين أنور باشا قائدا عاما لها عندما أصبح وزيرا للحربية في عام ١٩١٣ إلا أنها ظلت في عملياتها مستقلة عن جمعية الاتحاد والترقي وعن الحكومة. وكان بين العاملين بها طليعة المفكرين وشخصيات دينية بارزة، كما كان بينهم

أعضاء من المؤسسة العسكرية ورجال من شتى مناحي الحياة ومجالاتها، وتعد أكثر الدراسات مصداقية عن هذه المنظمة السرية هي دراسة لفيليب ستودارد قام بها في أطروحته للدكتوراه التي تقدم بها لجامعة برينستون عام ١٩٦٣،[(١١)] إضافة لنزر يسير من المعلومات في المصادر التركية والأعمال الأخرى[(١٢)] التي كتبت أثناء تلك الفترة أو حولها، وكان أحد أهم المصادر التي اعتمد عليها ستودارت هو أشرف كوشجوباشي (١٨٧٣-١٩٦٤) المعروف بأنه مؤسس هذه المنظمة عام ١٩٠٣؛ حيث التقى ستودارد قوشجوباشي مرات عديدة.

كان السيد قوشجوباشي قد أفضى بكثير من مذكراته إلى المؤرخ الشعبي جمال قوطاي، وزعم قوطاي بعد وفاة قوشجوباشي أن النورسي قد لعب دورا هاما في هذه التشكيلات المخصوصة، ونشر العديد من المؤلفات بزعم أنها تبوح بما أودعه قوشجوباشي في مذكراته، واستخدمت الإشارة لهذه المآثر المجهولة للنورسي في أعمال صنفت عنه بلغات أخرى منها على وجه الخصوص: *Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediüzzaman Said Nursi* (1989) *لشريف ماردين*، ومنها كذلك ما كتبه صاحب هذه السطور: *The Author of the Risale-i Nur, Bediuzzaman Said Nursi* (1992).

ومهما كان الأمر؛ فينبغي القول بأن الغوص في حياة النورسي يلقي بظلال من الريب حول ما كتبه قوطاي عنه، إلا أننا مع أخذ مثل هذه المشاركات في الاعتبار، وحقيقة أن العديد من السجلات التاريخية لهذه الفترة قد فُقِد، ربما يكون من غير الممكن التأكد من حقيقة هذا الأمر برمته، وعلى أي حال فإن الأبحاث التي تمت حتى الآن لم تأت بما يمكن أن يكون مصدرا مستقلا لإثبات صحة ما قاله قوطاي.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن ستودارد قد أعرب عن أسفه جراء خيال قوطاي الجامح، كما أعرب عن شكوكه في قيمة إسهاماته في دراسة

---

(١١) Stoddard, *The Ottoman Government and the Arabs*، وقد صدرت ترجمة تركية لهذا العمل تحت عنوان *Teşkilat-ı Mahsusa* ، والإشارة في مؤلفنا هذا للترجمة المذكورة.

(١٢) هناك الآن استثناءات لهذا، Zürcher, *Unionist Factor*؛ و idem, *Turkey*، Macfie, *End of the Ottoman Empire*

التاريخ.(١٣) كان ذلك فيما يتعلق بقضايا أخرى بعيدة عن النورسي الذي لم يظهر في الدراسة التي قام بها ستودارد، ولا في وصف قوشجوباشي لمهامه الجريئة لقيام هذه التشكيلات المخصوصة في الجزيرة العربية في السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى،(١٤) وهو التقرير الذي أعده ستودارد للنشر، وللمرة الثانية فإن هذا لا ينفي بالضرورة إمكانية أن يكون النورسي قد اشترك في بعض أعمالها، فقد كان للمنظمة وهي في أوج أنشطتها عام ١٩١٦- كما يرى ستودارد - ثلاثون ألف عميل ينتشرون في أنحاء العالم الإسلامي، ويعملون لها بدرجات مختلفة.(١٥) وبينما لا يوجد من الأدلة ما يؤيد مزاعم قوطاي إلا إن عددا من النقاط تشير إلى أن النورسي ربما يكون قد عمل مع التشكيلات المخصوصة بطريقة أو أخرى، وأوقع هذه الأدلة هو علاقة النورسي بأنور باشا، وسنتناول هذا الأمر تفصيلا في الفصل التالي.

زعم جمال قوطاي كذلك أن النورسي قد قاد فرقة عسكرية من شرقي الأناضول في حروب البلقان المأساوية في عامي ١٩١٢ و ١٩١٣؛(١٦) حيث كان يرافقه أشرف قوشجوباشي وسليمان عسكري عندما أنشأ ثلاثتهم الحكومة الغربية المؤقتة في تريس في أغسطس ١٩١٣ بعد استردادهم أدرنة،(١٧) إلا أنه لم ترد حتى يومنا هذا أي إشارة لهذه المشاركة في أي مذكرات أو أعمال أخرى بما فيها ما صنفه هو نفسه، وأغلب الاحتمالات أن النورسي كان في عام ١٩١٣ بمدينة وان منهمكا في بناء جامعته، مدرسة الزهراء، غير أن هذه لا تبدو القضية، ولا يبدو ذلك محتملا خصوصا بالنظر إلى أن قوطاي يزعم كذلك أن النورسي ظل يدعم التشكيلات المخصوصة في إعداد ونشر شعارات الجهاد منضما لجماعة من قادتها الذين سافروا على متن غواصة إلى شمال إفريقيا مطلع ١٩١٥ في محاولة لإقناع السنوسي بالجهاد معهم، غير أننا لم نجد دليلا

---

(١٣) Stoddard , *Teşkilat-ı Mahsusa,* 182-183

(١٤) Kuşçubaşı, *Hayber'de Türk Cengî*؛ والترجمة الإنجليزية: معركة خيبر التركية *The Turkish Battle of Khaybar*.

(١٥) Stoddard , *Teşkilat-ı Mahsusa,52*

(١٦) Kutay,*Çağımızda,* 116

(١٧) المرجع السابق، ص ١٣٨-١٤٠.

يدعم أيا من هذه المزاعم، فحقيقة الأمر وكما صرح النورسي نفسه أنه التحق بالجيش فور إعلان الحرب، وقضى عامين على الجبهة الشرقية قبل أن يقع في الأسر مطلع مارس عام ١٩١٦.

رحلة العودة إلى "وان"

استأنف النورسي إلقاء دروسه عقب عودته إلى وان، ويصف علي جاووش أحد تلاميذ النورسي، كيف استقر النورسي بعد عودته قرب قرية "جوراوانز"، الواقعة على منحدرات جبل إرك قرب "وان"؛ حيث أقام فيها في فسطاط كبير اتخذ منه مقرا لمدرسته، وبحلول فصل الشتاء ازداد عدد التلاميذ إلى أربعين أو خمسين تلميذا، وعندها انتقلوا جميعا لتلقي الدروس في مسجد القرية، وظل النورسي يلقي دروسه بهذا المسجد مدة عامين وفقا لرواية أحد شهود العيان،[١٨] وهذا الكلام ليس سوى محض مبالغة، إلا إنه يشير على الأقل إلى عودة النورسي إلى الولايات الشرقية بعد رحلته إلى روملي في يونيو ١٩١١، فلم يطل به المقام في استانبول.

يبين علي جاووش أن النورسي كان يرغب في تأسيس تلك الجامعة الموعودة في قرية جوراوانز إلا إن تحسين باشا والي وان لم يسمح له بذلك، وعلى ذلك تخير النورسي لها مكانا على شواطئ بحيرة وان في إدريمت جنوبي وان. تم وضع أساس المدرسة غير أن بدء الشتاء عاق دون استكمال البناء، وبذلك استطاع النورسي إقامة مدرسة خورخور على سفح قلعة وان التي تملكها وزارة الأوقاف،[١٩] ومن الراجح أن يكون قد تيسر له ذلك بمساعدة حاكمها، ولا بد أن ذلك حدث في شتاء ١٩١٢، ١٩١٣.

نالت مدرسة خورخور شهرة بالغة، فقد بلغ عدد تلاميذها مائتي تلميذ في بعض الأحيان،[٢٠] كانت مدرسة كبيرة واسعة، لها مئذنة خشبية وبركة ماء، وقد أخذت المدرسة اسمها من زهور الربيع التي تنمو على جانبيها، ودرّس

---

(١٨) Erdem, *Davam*, 193.

(١٩) المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٢٠) Uslu, *Bediüzzaman'ın Kardeşi,29-31*.

النورسي التلاميذ على طريقته الخاصة، وإضافة لذلك غرس في أذهانهم مبادئ رأى أهميتها بالنسبة لهم؛ كان بينها تلك المبادئ التي ظل ينادي بها طوال حياته من التدبير والاعتماد على النفس، والتي حث عليها تلاميذ رسائل النور في أواخر أيامه، واستطاع بما ادخره من الإعانات التي خصصتها الوزارة لخمسة من هؤلاء التلاميذ أن يسد حاجة ما يقرب من ستين منهم،[٢١] وكانوا ينتقلون في فصل الصيف إلى جبل باشيد جنوب شرقي "وان" حيث يواصلون هناك دراستهم ويقضون نحو شهر أو شهرين بين قممه الشاهقة حيث الجمال والروعة.[٢٢] ونجد بين أعمال تلك الفترة عملين يشيران للمنهج الدراسي المتبع في خورخور: أحدهما: "تعليقات" النورسي وتفسيراته على أحد المصنفات الشهيرة في علم المنطق وهو "البرهان" للگلنبوي، كتبها الملا حبيب أحد تلامذته المقربين على هامش نسخة خطية للكتاب،[٢٣] ولو أن الگلنبوي (١٧٣٠-١٧٩١) تلك العبقرية التي ألمت بمختلف الجوانب الثقافية والرياضية، وهو العلامة الذي درّس في مدرسة الهندسة البحرية الحديثة (المهندس خانة)، وأصدر العديد من المصنفات في ميادين مختلفة،[٢٤] قد شاهد مدرسة النورسي، لوجد راحة وسعادة. وقد سمى النورسي هذا المصنف *"التعليقات"*، ووصفه بعد ذلك بأنه "إحدى روائع علم المنطق"،[٢٥] ثم نشر أحد المصنفات الأخرى في علم المنطق عام ١٩٢٠- ١٩٢١ وأطلق عليه "قزل إيجاز على السلم"، وفي هذه الأثناء تقريبا (١٩١٣) شرع النورسي أيضا في كتابة مصنفه الشهير في تفسير القرآن" إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"؛ حيث كان يتناول المصحف، ويبدأ في الشرح دون الاستشهاد بغير القرآن في التفسير، وشكلت الملاحظات التي دونها الملا حبيب في أثناء تفسير النورسي أساسا لهذا

---

(٢١) Nursi, *Emirdağ Lahikası* 1959 ed., 2:187.

(٢٢) Uslu, *Bediüzzaman'm Kardeşi,* 37.

(٢٣) تم حفظ هذه النسخة ونشرها في طبعة مطابقة تماما للأصل، النورسي، تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق.

(٢٤) *TDVİA,* S. V. "Gelenbevī," by Şerafettin Gölcük and Metin Yurdagür.

(٢٥) Nursi, *Kastamonu Lahikası,* 140.

المصنف الشهير الذي ألّفه في الخنادق على جبهة القوقاز بعد اندلاع الحرب،[٢٦] وأوضح النورسي هدفه من كتابة هذا المصنف في العبارات الآتية:

" إنَّ مقصدنا من هذه "الإشارات" تفسيرُ جملةٍ من رموز نظْمِ القرآن؛ لأن الإعجازَ يتجلى من نظمه. وما الإعجازُ الزاهر إلاّ نقشُ النظم. ."[٢٧]

يبسط النورسي القول في مقدمة تفسيره[٢٨] عن الطريقة التي يجب تفسير القرآن بها في العصر الحديث، ويبين غايته من كتابة هذا التفسير، فيشير أولا لطبيعة القرآن كخطاب إلهي للناس جميعا في مختلف العصور، ثم يشير إلى أن القرآن يشتمل أيضا على العلوم التي تفسر بنية العالم المادي، وبالفعل فإن الحقائق القرآنية تثبتها الاكتشافات العلمية يوما بعد يوم، لذا عندما تتكشف أسرار الكون وطرق سيره عن طريق العلم في العصر الحديث؛ فإن التفسير القرآني ينبغي أن يتواكب مع هذا التطور الكبير الذي يحققه العلم، ويشير النورسي أن الإلمام بكل العلوم أمر يفوق قدرة الفرد أو حتى الجماعات الصغيرة، لذا فمن الضروري أن تقوم لجنة من العلماء المختصين في عدد من فروع العلم الديني والدنيوي بتفسير القرآن. ولسوف يذكر يوما أن الجمع والمزج بين العلوم الدينية والدنيوية، والتخصص، وتطبيق مبادئ الشورى كانت من بين مقترحات النورسي للإصلاح التعليمي.

عندما استشرف النورسي أن كارثة هائلة في طريقها للوقوع، حذر الناس منها مرارا في الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الأولى، كما شهد بذلك كثير من تلامذته؛[٢٩] وفي ذلك الحين شرع في تأليف كتاب "إشارات الإعجاز"، وكان ذلك لشعوره بالحاجة الماسة، والأهمية الشديدة لتأليف هذا العمل؛ حتى لقد واصل تأليفه في ظل ظروف غير مواتية وهو في جبهة القتال، وحقيقة لقد رأى رؤيا أو كانت له رؤية عن بداية الحرب قوّت من هواجسه وشددت عزمه

---

(٢٦) Hamza, "Tarihçe," in *Asar-ı Bedi'iyye,* 674.

(٢٧) النورسي: إشارات الإعجاز، ص ٢٣.

(٢٨) النورسي، إشارات الإعجاز، إفادة المرام.

(٢٩) Erdem, *Davam,* 193؛ عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ص٣٥، النورسي؛ إشارات الإعجاز، ص٢١.

على كتابة هذا التفسير،[٣٠] ومن ثم فإن عمله جاء نموذجا أو مثالا يمكن أن تهتدي به لجنة العلماء المتخصصين التي وصفها في المستقبل.

مدرسة الزهراء

توقف العمل في مدرسة الزهراء بسبب امتناع الحكومة عن دفع الأموال المخصصة لها بعد أن شهد وضع أساسها احتفالا أعدت فيه وليمة وألقيت فيه العديد من الخطب احتفاء بها، وكانت إحدى هذه الخطب لطاهر باشا أحد أصدقاء النورسي القدامى ومناصريه،[٣١] وفي شهري يونيو ويوليو عام ١٩١٣ تكفل خليفته تحسين باشا بالأمر؛ حيث أرسل عددا من البرقيات لمكتب الصدر الأعظم ووزارة الداخلية يطالبهم فيها بالتعجيل بدفع المبلغ، حيث عُثر على نحو عشرين وثيقة من هذا النوع في أرشيف مكتب الصدر الأعظم في استانبول؛[٣٢] حيث كتب الوالي في إحدى هذه الوثائق التي أرسلها إلى مكتب الصدر الأعظم في الرابع من حزيران ١٣٢٩ السابع عشر من يونيو ١٩١٣ بأن العلماء ووجهاء القوم وزعماء القبائل في هذه البلاد يلتمسون سرعة دفع المال الكافي "من خزانة الإمبراطورية" لبناء جامعة إسلامية في وان تتسع لثمانين تلميذا؛ حيث قد تم الانتهاء من الخطط والمراحل الأولية بها، ولكن لم يدفع حتى ذلك الحين سوى مبلغ زهيد بسبب الضائقة المالية التي كانت تمر بها الحكومة.

كان الأمل يحدوهم في أن تتحمل الأوقاف السلطانية النفقات الجارية، فكتب يقول: إن وجود الجامعة سيضمن التواجد المستمر للإسلام والعثمانيين بالمنطقة في مواجهة الدعوة الشيعية المتصاعدة باطراد، وجهل الشعب الكردي، وسيكون من شأنها تقوية درجة الانتماء للإسلام، وإزالة أي نوع من سوء الفهم كما ستكون بالغة النفع والتأثير، وبعد أن تلقى ردودا إيجابية من مكتب الصدر الأعظم ووزارة الداخلية، وصلته برقية في نهاية الأمر من وزارة الأوقاف في الثاني من أغسطس ١٩١٣ تخطر الوالي بعجز الوزارة عن تحمل نفقات إنشاء الجامعة.[٣٣]

---

(٣٠) النورسي، المكتوبات، ص ٤٧٥.

(٣١) كان طاهر باشا عليلا، فعاد إلى استانبول في بداية ١٩١٣، حيث مات في نوفمبر من هذه السنة. وخَلَفَه تحسين بك، وكان من المقربين للنورسي كذلك. Şahiner, *Son Şahitler,* 1:40-43

(٣٢) للرجوع إلى بعض الوثائق المتعلقة بذلك، Şahiner, *Bediüzzaman Üniversitesi,* 118-33.

(٣٣) المرجع السابق، ص ١٣٢.

حادثة بتليس

في معترك هذا الجد والاجتهاد كان النورسي يمر بتحول عميق في عالمه الداخلي، وأفضى به تفانيه في سبيل المشروطية ثم سعيه وراء معرفة أسرار الإعجاز القرآني إلى عقد العزم على "التحرر من سعيد القديم، ويعكف بكل ما أوتي من قوة على جهاده الروحي وصولا لسعيد الجديد".[٣٤] بدا هذا التحول كما لو كان نتيجة للتداعي والتهالك المطلق للنظام القديم. كانت السياسة العثمانية التي علق عليها الشباب التركي آماله، والتي دعا إليها النورسي أيضا قد ثبت إخفاقها تماما.

دخلت القوى العظمى في صراع مع بعضها البعض في خضم أهدافها التوسعية لبسط سيطرتها على أرجاء الإمبراطورية المريضة، وظلت الأقليات العرقية واحدة من أخطر الأدوات التي تعمل على إضعافها. استغل الروس هذه الأداة أيّما استغلال خاصة بعد هزيمتهم للعثمانيين في حرب ١٨٧٧-١٨٧٨؛ حيث صعّدوا من ضغوطهم على الإمبراطورية العثمانية عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى وأجبروا الحكومة العثمانية - تحت ذريعة "حماية" الأرمن - على قبول تنفيذ سلسلة من الإصلاحات الموضوعة لمحاباة أرمن الأقاليم الشرقية، وهو ما رفضه السلطان عبد الحميد بشدة من قبل؛ إذ كان بمثابة خطوة نحو إعلان استقلال الأرمن، وتقطيع أوصال الإمبراطورية.[٣٥] كذلك حاول الروس زعزعة الأوضاع في شرقي الأناضول بكسب ولاء زعماء الأكراد وشيوخهم وتحريضهم للثورة على الحكومة، وكان الكثير منهم ساخطا على حكومة الاتحاد والترقي بسبب سياساتها المركزية الحثيثة، وتوجهها اللاديني العلماني بين شباب الأتراك.

جاءت حادثة بتليس الشهيرة في مارس/إبريل من عام ١٩١٤[٣٦] نتيجة

---

(٣٤) Nursî ,*Sikke-i Tasdîk-ı Gaybî* 215

(٣٥) Öke, *Yüzylim Kan Davas ı,* 75; Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 109; Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi,* 4:409

(٣٦) لبحث مفصل عن هذا، انظر: Balcıoğlu, *Teşkilat-ı Mahsusa'dan Cumhuriyete,* 169-73؛ يجعل Bruinessen, M. Van. *Agha, Shaikh and State,337* أن تاريخ وقوعها سنة ١٩١٢ أو ١٩١٣، بينما يقرر النورسي، الشعاعات، ٥٦٨ أنها وقعت قبل الحرب بشهرين.

لتحريض الروس،[٣٧] وتزَعّم هذه الثورة الشيخ سالم الخيزاني، الذي فرض سيطرته على مدينة وان بعد مناوشات عديدة مع السلطات، ومحاولاتٍ لكسب تأييد كل من ثوار الطاشناق، وزعماء القبائل، والقادة الدينيين في المنطقة بما فيهم سعيد النورسي في وان،[٣٨] ومن ثم كان على الجيش نشر قوات كبيرة لقمع هذه الثورة، والتي حال تكاتف الجهود المشتركة لولاة وان وبتليس دون انتشارها.[٣٩]

لم يشترك النورسي في أي من هذه الثورات مثلما كان الحال في وقائع أخرى عديدة بما فيها الثورة الكبرى التي قادها الشيخ سعيد بيران في ١٩٢٥. رفض النورسي الانضمام للشيخ سالم الذي حاول استمالته إلى جانبه فأعلن رفضه إشهار سيفه في وجه إخوانه المسلمين؛ حيث كان أحد أسباب الثورة فسق بعض القادة العسكريين في المنطقة، فأخبره:

«إن تلك الأعمال اللادينية وتلك السيئات تعود إلى أمثال أولئك القواد. ولا يمكن أن نحمّل الجيش مسؤوليتها، ففي هذا الجيش العثماني قد يوجد مائة ألفٍ من أولياء الله. وأنا لا أستطيع أن أَمتشق سيفي ضد هذا الجيش، لذا لا أستطيع أن أشترك معكم». فتركني هؤلاء، وشهروا أسلحتهم، وكانت النتيجة حدوث واقعة «بتليس» التي لم تحقق أي هدف. وبعد قليل اندلعت الحرب العالمية، واشترك ذلك الجيش في تلك الحرب تحت راية الدين ودخل حومة الجهاد، فارتقت منه مئات الآلاف من الشهداء إلى مرتبة الأولياء، فقد وقعوا بدمائهم على شهادات الولاية. وكان هذا برهاناً وتصديقاً على صحة سلوكي وصواب تصرفي في تلك الدعوى".[٤٠]

"السلاح والكتاب جنبا إلى جنب"

تصاعدت الأعمال الإرهابية وتدهورت الأوضاع بوجه عام فقام النورسي بشراء خمس أو ست بنادق ميزار، "وذلك بفضل "حسن تدبيره وتوفيره"

---

(٣٧) *Öke, Binbaşı E. W. C. Noel,* 14.

(٣٨) لمزيد عن أنشطة الأرمن، انظر: "Nalbandian, *Armenian Revolutionary Movement*.

(٣٩) Badıllı, *Nursi,* 1:367.

(٤٠) النورسي، الشعاعات، ص ٤٢٢.

أيضا،[٤١] واشتملت دراسته للتلاميذ على التدريب على حرب العصابات؛ حيث اعتاد أن يصعد بهم فوق الجبال ويتخذ من البيض أهدافا يتدربون عليها، وكان يرصد جائزة *مجيدّية* (عبارة عن عملة فضية) لمن ينجح في التصويب على البيض، ولذلك كان تلاميذ النورسي المدربين على درجة عالية من الكفاءة والإقدام لدرجة أنهم عندما كانوا يرتقون الجبل للتدريب، كان الثوار الأرمن ينسحبون ويتوارون في أماكن أخرى.[٤٢]

استطاع النورسي بهذه الشخصية القيادية المؤثرة، وبما لديه من قدرة على بث الحب والإخلاص في قلوب تلاميذه وأتباعه أن يغرس فيهم بعضا من جرأته وقدرته على التحمل، وأن يدفعهم للقيام بأعمال شجاعة. وقد وصف النورسي أعمالهم كما يأتي: "في تلك الأيام الخوالي كان ولاء تلاميذ سعيد القديم وارتباطهم باستاذهم قد بلغ حد التضحية بحياتهم في سبيله، ولذا كان سعيد القديم قادرا على أن يوقف ثوار الأرمن الطاشناق حول وان وبتليس؛ حيث كان لتلاميذه نشاط واسع هناك، فأوقفوا الثوار إلى حد ما. "وفر النورسي لتلاميذه بنادق موزر، وتحولت مدرسته في تلك الفترة إلى ثكنة عسكرية حيث البنادق والكتب جنبا إلى جنب، وفي تلك الأحيان قام أحد جنرالات الجيش بزيارتهم وتفقد أحوالهم، فقال لهم: "هذه ليست مدرسة بل ثكنة عسكرية"، ونتيجة لحادثة بتليس اشتبه بنا فأمر بمصادرة أسلحتنا، وبعد شهر أو شهرين اندلعت الحرب الكبرى واستعدت أسلحتي".[٤٣]

جاءت وقائع زيارة مدرسة النورسي على لسان ثلاثة ممن كان يمكن أن يكونوا تلاميذا له؛ حيث صوروا تلك الزيارة على النحو التالي:

> كانت الدراسة في المدرسة في تلك الفترة من تاريخ شرقي الأناضول تسير على النحو الاتي: لم يكن المعلم يتقاضى شيئا نظير تدريسه، بل كانت جهوده هي التي تدفع الناس إلى توفير الدعم للطلاب؛ لذا لم يكن هناك مانع مادي يحول دون استكمال الدراسة؛ وكان يتم اختيار المعلمين بناء على قدرتهم العلمية فقط، لذلك

---

(٤١) Nursi, *Emirdağ Lahikası* 1959 ed., 2:187.

(٤٢) النورسي، الشعاعات، ص ٥٦٨.

(٤٣) المرجع السابق، ص ٥٦٨.

إذا اشتهر عن شخص نبوغه العلمي اجتمع حوله الكثير من التلاميذ رغبة في التعلم على يديه. اجتمع بعض الأصدقاء وكنت أنا بينهم، وشرعنا في البحث عن مدرس جيد، وعندما سمعنا عن الملا سعيد وشهرته في مدرسة تسمى خورخور بمدينة وان، ذهب ثلاثة منا لتلقي العلوم فيها، لم يكن المعلم موجودا عندما وصلنا هناك، فاستقبلنا شخص يدعى الملا حبيب ودعانا للدخول، وطلب منا الانتظار قائلا: سيأتي المعلم حالا. استرعى انتباهنا في تلك اللحظة جدران المدرسة؛ حيث كان يتدلى منها صفوف من بنادق موزر وأسلحة أخرى عديدة وسيوف وخناجر وأحزمة طلقات نارية، إلى جانب الكتب على الرحلات. لقد أدهشنا ذلك حقا، وبعد برهة من الزمن أعلنوا وصوله، فانتصبنا وقوفا، فدخل الغرفة ورحب بنا ثم سألنا عن سبب مقدمنا. كان الشيء الآخر الذي استرعى اهتمامنا وأثار دهشتنا هو طريقة لبس المعلم؛ إذ لم نر ذلك الرداء التقليدي لعلماء الدين الذي نعرفه وتوقعنا رؤيته عليه. كان يرتدي قبعة مخروطية الشكل على رأسه وحذاء في قدميه، وخنجر على خاصرته، وله خطى ثابتة ذكرتنا بصورة الجندي أو أحد كبار الضباط أكثر من صورة المعلم، ولما كان شابا فقد تشككنا في علمه، إلا أن الملا حبيب أكثر تلامذته نبوغا كان يدرس أعمالا مثل الملا جامي فكان يشبه الرقيب على التلاميذ.

أخبرناه أننا أتينا لتلقي العلم على يديه، فقال: "عظيم! لكن لي شروط، إذا التزمتم بها قبلتكم عندي"، ومضى يقول: "ليس مسموحا لمن يبدأ دراسته معي أن يعود ليبدأ دراسته مع غيري، بل يظل معي مدى الحياة"، ثم قال: "لا تظنوا أن بإمكانكم القبول أو إعطاء كلمتكم اليوم ثم تولون بعد ذلك عندما يصيبكم الضجر أو لأي سبب آخر؛ وحيث إن والي وان صديق حميم لي، فبإمكاني أن أعيدكم ثانية إلى هنا بواسطته، وأنتم الليلة في ضيافتي، فامكثوا هنا وفكروا في الأمر مليا ثم أخبروني بقراركم في الصباح."

كنا آنذاك مذهولين ولم نعرف بم نرد على هذا العرض، استشرنا الملا حبيب، وسألناه عما إذا كان قرر البقاء هنا تحت هذه الشروط، فرد بالإيجاب قائلا "نعم، لقد أعطينا كلمتنا والتزمنا بها، ولم يكن الأمر باليسير، ولكن علمه كان خارقا، وأنتم أدرى بحالكم، فافعلوا ما ترونه صوابا لكم". نكّسنا رؤوسنا خجلا، وقلنا: لا يمكننا قبول هذا الأمر ثم رحلنا."[٤٤]

(٤٤) Şahiner, *Bilinmeyen* 161-162.

الفصل السادس

الحرب والأسر

إعلان الحرب

التحق سعيد النورسي عند إعلان الحرب مُجَنّدا في الجيش كمسئول ديني متطوع مع الملا حبيب، حيث انضما معا إلى فرقة "وان" (وهي الفرقة الثالثة والثلاثون) ثم تم إرسالهما إلى الأمام عند مدينة "ارضروم"[1]. وقام النورسي بكل واجباته العسكرية كمتطوع من أجل أن ينال شرف الجندية. وفي الثاني من أغسطس عام ١٩١٤، عُقد اتفاق سري بين الحكومة العثمانية التي مثلتها مجموعة صغيرة من القادة الأتراك الصغار وبين ألمانيا، وقد ترتب على هذا الاتفاق انضمام الدولة العثمانية إلى دول المحور (النمسا والمجر وألمانيا) ضد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا)، ثم أعلنت التعبئة في اليوم التالي. وفي السابع من سبتمبر، صدرت أوامر لفيلق الجيش الحادي عشر، والذي تتبعه فرقة وان،[2] بالاحتشاد في منطقة "حسن قلعة" شرقي مدينة ارضروم،[3] حيث وقعت أولى المناوشات في ٢١-٢٢ سبتمبر عندما قامت فرقة استطلاع روسية بعبور الحدود العثمانية ثم سقطت أولى الضحايا بعد ذلك بأيام قليلة. وبمرور الوقت هرب عدد كبير من الأرمن من القوات المسلحة العثمانية، وانضموا إلى الروس،[4] وبدأت الاعتداءات تتزايد في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ عندما شرع الروس في شن الهجوم، وأعلن العثمانيون الجهاد في ١٤ نوفمبر من نفس العام.

---

(١) النورسي، صيقل الإسلام، التعليقات ص ٢٤٢.

(٢) Sabis, *Harp Hatıralarım,* 1:157, 158

(٣) المرجع السابق، ٣٢/٢.

(٤) المرجع السابق، ٤١/١.

وفي هذه الأجواء، صدرت تعليمات للنورسي تطلب منه تشكيل قوة من المتطوعين، كان هو القائد العام لها وفقا لما رواه بعض شهود العيان، وقد شكل تلاميذه بعضا من أفراد هذه القوة، ولكنه ليس معلوما في أية مرحلة من مراحل الحرب كان ذلك.(٥) ومن المحتمل أن يكون النورسي قد قام بتشكيل هذه القوات بعد عودته من وان وإخلاؤها قبل الغزو الروسي، وسوف نورد فيما بعد تقريرا يؤكد على ذلك. ويعتقد الكثير أن الذي كلفه بهذه المهمة هو أنور باشا، وقد تذكر النورسي بعد ذلك استحسان الباشا لهذه الخدمة الرائعة.(٦) وإذا كان أنور باشا هو الذي كلفه بالفعل بهذه المهمة شخصيا، فربما كان ذلك في الفترة التي زار فيها القوقاز بين ١٣ ديسمبر ١٩١٤ و ٩ يناير ١٩١٥ وهي الفترة التي جرى فيها هجوم "صاري قاميش" المضاد المأساوي. ومن المحتمل أن يكون قد أُرسل النورسي في مهمة قيادة هذه القوة عن طريق تحسين باشا والي "وان" السابق، والذي أصبح فيما بعد واليا على "ارضروم". وطبقا لما قاله عبد المجيد شقيق سعيد النورسي، فإن تحسين بك أعطى النورسي شهادة بأن "الخدمة التي قامت بها فرقة "وان" كانت بسبب المساعدة المادية والمعنوية التي قام بها سعيد الكردي."(٧)

وإذا وضعنا في الاعتبار المناقشة التي وردت في الفصل السابق حول اتهام سعيد النورسي بعضوية التشكيلات المخصوصة، فمن المحتمل أن ندرك من خلال الحقائق المأخوذة عن المصادر المتاحة أن قواته كانت على صلة بهذه الجماعة، على الرغم من أن هذه العلاقة تبدو غير مباشرة، إما عن طريق والي "وان" أو "ارضروم". وقد شارك تحسين باشا، الذي تم بحث أمر توليته على ارضروم بين الصدر الأعظم طلعت باشا والدكتور بهاء الدين شاكر،(٨) في

---

(٥) على سبيل المثال، انظر: عبد المجيد البتليسي، Badıllı, *Nursi, 1:380*؛ والملا منور، Badıllı, *Nursi, 1:381* ؛ وخلوصي البتليسي، Badıllı, *Nursi, 1:382*

(٦) النورسي، المكتوبات، ٩٤.

(٧) عبد المجيد النورسي، *Hatıra Defteri* ص ١٧؛ نقلا عن Badıllı, *Nursi,* 1:375.

(٨) Arif Cemil, *Birinci Dünya Sava;jlnda Teşkilat-ı Mahsusa,* 73.

العمليات التي قامت بها التشكيلات المخصوصة في المنطقة.[٩] وقد كان "جودت بك" بن طاهر باشا أقدم حكام "وان"، والذي حل محل تحسين باشا في حكم "وان"، صديقا مقربا للنورسي، وكان متزوجا من أخت أنور باشا.[١٠] هذا وقد تم اختيار كل قادة الأقاليم الحدودية مثل "الموصل" و"وان" و"ارضروم" و"طرابزون" للعمل مع إدارة أنور باشا حيث تم ضمهم جميعا إلى وزارة الحربية، وكانت وظيفتهم إدارة كل الشئون المتعلقة بالمتطوعين والتشكيلات المخصوصة.[١١]

وقد كانت المهمة الرئيسة الموكلة لهذه الإدارة هي تنظيم المشروع الكبير لأنور باشا والذي تم وضعه قبل الحرب، وكان يهدف إلى تحرير كل الأراضي الإسلامية من النفوذ الأجنبي. وبالإضافة إلى صد التهديد الروسي على شرقي الأناضول، كانت خطته في هذه المنطقة ترمي إلى "تحرير المسلمين في القوقاز والأتراك في أذربيجان، وكذلك تحرير تركستان من نير الروس، وتحرير أفغانستان وإيران من النفوذ الخارجي وتمكين هذه الدول من أن تكون دولا إسلامية مستقلة."[١٢] وكان تحقيق هذا البرنامج الطموح أو الحلم الجامح، الذي وصفه الجنرال سابيس بأسف بأنه حلم غير معقول ولا يمكن تحقيقه، أحد الأهداف الرئيسة للتشكيلات المخصوصة. وقد وصف الجنرال سابيس، في مذكراته العسكرية، العمليات الناجحة التي قامت بها السرايا العسكرية لهذه التشكيلات المخصوصة في المراحل الأولى من الحرب غرب القوقاز على الجناح الأيسر من القوات العثمانية. وكان يقود هذه السرايا بعض من أعضائها البارزين: من أمثال الدكتور بهاء الدين شاكر وأجاريلي رضا بك ونائل بك، حيث استطاعوا بتنفيذ بعض تكتيكات حرب العصابات من استرداد مدن

---

(٩) المرجع السابق ص ٢٧-٢٨؛ كان هذا قطاعا منها بينما عمل القطاع الثاني من طرابزون، وقد أنشأت التشكيلات الخاصة الجمعية القوقازيين الثورية، وكان غرضها إذكاء الثورة في القوقاز، وعملت ما يمكنها عمله للتعجيل بهزيمة الروس.

(١٠) Leverkuehn, *Sonsuz Nöbette Görev*, 29, 56

(١١) Sabis, *Harp Hatıralarım*, 2:213؛ ولمزيد عن 'Umur-u Şarkiye Dairesi؛ انظر: Balcıoğlu, *Teşkilat-ı Mahsusa*, 1-8.

(١٢) Sabis, *Harp Hatıralarım*, 2:168.

"أرداهان" و "أرتوين" و "أردانوج"،[١٣] والتي كانت روسيا قد احتلتها في أثناء الحرب ١٨٧٧-١٨٧٨،[١٤] بالإضافة إلى الضغط على القوات الروسية من الغرب. ويبدو أن النورسي لم يلعب دورا في هذه الأحداث، بل إنه كان عنصرا آخر من العناصر المنفذة للمشروع الكبير لأنور باشا حيث كان منشغلا بشكل ما في الحملة العسكرية في إيران.

وكانت أولى هذه الحملات العسكرية تحت قيادة خليل باشا، عم أنور باشا، الذي كانت مهمته تتمثل في العبور إلى إيران والزحف نحو داغستان عبر "تبريز" من خلال إثارة العصيان المسلح ضد الروس، بالإضافة إلى القيام بتدمير وسائل الاتصال الخاصة بهم. وقد صدرت له تعليمات للاتصال بوالي "وان" لمناقشة الأمور الخاصة بالإمدادات والطريق الذي يجب أن يسلكه.[١٥] وكانت هناك قوة ثانية قوامها مائة ألف جندي من المشاة، تحت قيادة كاظم قره بكر، وكانت وجهتها إلى طهران ثم إلى تركستان لتنفيذ عمليات مشابهة للتي كانت تقوم بها قوات خليل باشا، حيث كان الهدف هو تمهيد الطريق لتحقيق التقدم نحو أفغانستان. ولم يكن الهدف الحقيقي من هذه الحملات العسكرية احتلال إيران وإنما تحريرها من السيطرة الروسية،[١٦] غير أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى طهران أو "تبريز"، بل إنهم في حقيقة الأمر قد فقدوا مدنهم الأصلية "وان" و "ارضروم".[١٧] وسوف نقوم فيما يلي بذكر نبذة مختصرة حول تبادل معلومات استخباراتية بين النورسي وخليل باشا.

الجبهة

بالرغم من الهزائم التي مُني بها الجيش العثماني نتيجة العديد من العوامل التي كان من بينها قلة الإمدادات والخدمات الاحتياطية وعدم توافر الطرق

---

(١٣) Sabis, *Harp Hatıralarım,* 2:137-38, 148, 154، وراجع: Arif Cemil, *Birmci Dünya Savaşında Teşkilat-I Mahsusa,* 13-269 في مواطن متفرقة.

(١٤) Zürcher, *Turkey,* 144; Macfie, *End of the Ottoman Empire,* 154-5.

(١٥) *Sabis, Harp Hatıralarım,* 2:255-56 .

(١٦) المرجع السابق، ص ٢٥٧- ٢٥٨.

(١٧) المرجع السابق ص ٢٥٩.

والاتصالات والأحوال المناخية في شمالي الأناضول حيث تصل درجات الحرارة إلى ٣٠ درجة تحت الصفر مما أعطى التفوق للقوات المعتدية، إلا أن الكثير من وحدات الجيش قد قاتلت بضراوة وبسالة منقطعة النظير. ولم تكن الميليشيات التي كان يقودها النورسي بأقل حالا من تلك الوحدات حيث قاتلت بشجاعة وبسالة رائعة، ولو ظل النورسي في هذه المرحلة على حاله كمفتي عسكري، لشارك بفعالية في القتال، ولكنه من أجل رفع الروح المعنوية للمتطوعين في هذه الظروف الحرجة، كان قلما ينزل إلى الخنادق، بل كان يتحرك بفرسه في مقدمة الصفوف الأمامية في المعارك. وقد كتب فيما بعد يقول:

أثناء الحرب العالمية وفي الجهة الأمامية من "باسينلر"، كنت أنا والمرحوم الملا حبيب نتحرك للأمام بغرض مهاجمة العدو، فقذفتنا مدفعيتهم بثلاث قذائف بين كل قذيفة وأخرى دقيقة أو دقيقتان، وقد مرت هذه القذائف يمينا فوق رءوسنا بحوالي مترين، وتراجع جنودنا القابعون في الخندق خلفنا في الوادي وكانت تصعب رؤيتهم. وقد قلت للملا حبيب مختبرا إياه: "ماذا تقول؟ أنا لن أختبئ من قذائف الكفار هذه." فأجابني قائلا: "وأنا أيضا لن أنسحب وسأظل خلفك." ثم سقطت قذيفة أخرى قريبا جدا منا فصرخت ـ وأنا على يقين من أن العناية الإلهية ستحفظنا ـ قائلا: إلى الأمام! "إن قذائف الكفار لا تقتلنا، نحن لن نتدنى إلى الفرار والتخلف."[(١٨)]

وقد وصفت كل الحكايات التي نقلت عن الجنود الذين حضروا معركة "باسينلر" تحركات النورسي بفرسه حول الخنادق بهذه الطريقة، محتقرا القذائف الروسية. وما يلي يوضح ضراوة هذه القذائف:

كانت السماء تمطر ثلجا حتى اكتسى كل شيء باللون الأبيض. وكنا ندافع عن وطننا العزيز في مواجهة الروس المعتدين؛ حيث كنا لا نستطيع أن نرفع رءوسنا من الخنادق خشية طلقات الرصاص التي كانت تتساقط علينا كالمطر. كنا نقاتل تحت وابل من القنابل، وكأن الشظايا كانت تتساقط من السماء، وكانت هذه الشظايا هي الشيء الوحيد الذي عجزنا أمامه حيث كانت تنفجر في السماء وتسحقنا سحقا وكانت خسائرنا هائلة. لقد كانت تنفجر في السماء وتتبعثر يمينا وشمالا.

---

(١٨) النورسي، الملاحق ملحق اميرداغ -٢ ص ٣٣٠-٣٣١.

وفي ظل هذا القصف الشديد كان الملا سعيد المشهور يجول بين الخنادق، وكان يتحرك أعلى الوادي وأسفله ممتطيا ظهر فرسه، عند ذلك خرج بعض الجنود من الخنادق مما أدى إلى إصابتهم ومقتلهم. وكنت أريد أن أرى الملا سعيد حتى أقبّل يده، ولكني خفت أن أصاب، فقد سمعت اسمه قبل ذلك ولكن كانت هذه هي أول مرة أراه فيها، كان ذلك هناك في الجبهة الدامية في "باسينلر"، حيث رأيته قريبا مني، وسمعته يقول: "قاتلوا لله! فالله ناصرنا!"[١٩]

وقد تحدث عنه جندي آخر كان يدعى "مصطفى يالجين"، من فرقة النورسي في "باسينلر"، قائلا:

كان قائدنا هو الملا سعيد، وكانت هناك جماعات من الروس والأرمن يهاجموننا بدون توقف. وكان الرجل يعلمنا أمور الدين كل ليلة. وقد قاتلنا قتالا مريرا ضد الروس في "باسينلر" مع الملا سعيد. وقد اعتاد الرجل أن يرتدي عمامة ولكن أثناء القتال كان يرتدي ما نسميه "بالقلنسوة اللبادية." وقد جرحت في "باسينلر" وانسحبت، حيث وقعت إحدى الشظايا على وِرْكي، انظر إنها ما تزال مفتوحة. وكنت سأموت لولا أن الملا سعيد كتب لكل واحد منا نحن الأربعة دعاء على ورقة، وكنا نعلقها حول رقبتنا فلا تتمكن أي رصاصة من إصابتنا. عند ذلك الحين كان هناك مائة كافر يقاتلون رجلا مسلما واحدا. في النهاية جرحتُ واصطحبوني للخلف، بينما ظل الملا سعيد يقاتل... كان الملا سعيد بطلا. في الأمام اعتاد أن يقود الهجمات وهو راكبٌ فرسه، فقد كان راميا جيدا، ولم يذهب أبدا إلى الخنادق. وفي إحدى المرات جاءته أخبار بأن بعض الوحدات قاربت على التفرق والانقسام، لذلك اتجه مسرعا إليها وأزال الخلافات بينهم ولم يتركهم حتى تأكد من أنهم لن يتفرقوا. وكان يوضح الأشياء بطريقة رائعة كما لو كان يسحر الناس.

وأثناء هذه الحرب الشيطانية كان الرجل يكتب كتابا، وكان تلاميذه يدونون ما يلقنهم إياه، وكان أيضا فارسا بارعا. وكان الناس يرفعون الصخور الضخمة ويقذفون بها الروس. واعتاد الرجل أن يقول لنا: "لا تخافوا من شيء فإيمان الرجل المسلم أقوى من أي شيء." وكان يقرأ لنا كل ليلة من الكتب التي ألفها، وكنت لا أفهم من ذلك كثيرا لأنني لم أكن متعلما، ولكنني كلما رأيت الملا سعيد كانت شجاعتي تزداد. ومع أنه كان شخصا عظيما، إلا إنه كان يتعامل معنا برفق شديد.[٢٠]

---

(١٩) أخلاطلي إسماعيل حقي أرسلان في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:78-79.

(٢٠) مصطفى يالجن في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:82-86

والكتاب الذي تحدث عنه هذا الجندي كان تفسير القرآن للنورسي وهو "إشارات الإعجاز" الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق.

سقوط "وان" وإنسانية النورسي

على الرغم من انسحاب الروس بعدما فشلوا في الهجوم الأول لهم، إلا أنهم وبكل هدوء قد واصلوا ضغوطهم على العثمانيين، مما أدى إلى إجبارهم على التقهقر بالتدريج إلى الأناضول والتمركز في عددٍ من النقاط على امتداد الجبهة الطويلة التي تمتد من "باطوم" على البحر الأسود بامتداد نهر "أراس" جنوبا ناحية القوقاز وصولا إلى إيران وجنوبا خلف "وان". وفي بداية مارس عام ١٩١٥، بدأ الروس بالتقدم نحو الجنوب غربي الجبهة؛ حيث بدا عزمهم السيطرة على "وان" وتحريض الأرمن على الثورة،[٢١] ولذلك فقد أخطر جودت بك والي "وان" الباب العالي طالبا منه مساعدة الحملة العسكرية التي يقودها خليل باشا.[٢٢] وكما هو متوقع حينذاك، خرج الأرمن في ثورة مسلحة في السابع من أبريل،[٢٣] حيث هاجموا المراكز الإسلامية بالمدينة والقرى المجاورة ودمروها. وقد استمرت تلك الثورة الدموية لمدة شهر تقريبا فر الناس خلاله من المدينة في جماعات لدرجة أنها أصبحت خالية تماما من السكان عندما قدم إليها الروس.[٢٤]

وفي ذلك الوقت كان سعيد النورسي في طريق عودته من الجبهة في "باسينلر" عندما اندلعت الثورة. وكتب ابن أخيه أنه قام عند عودته بالرجوع إلى مدرسته مع تلاميذه ولم يلعب دورا لمحاولة إخمادها، بل على العكس فقد حاول النورسي منع الأذى عن العزل والنساء والأطفال.[٢٥]

---

(٢١) Sabis, *Harp Hatıralarım,* 2:366

(٢٢) المرجع السابق: ص ٢٢٧، ٢٢٩.

(٢٣) Shaw and Shaw, *History,* 2:316؛ وSabis, *Harp Hatıralarım,* 2:40؛ Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi* *Kr'nolojisi,* 4:428، وحسبما جاء في المرجع الأخير فإن تاريخ ذلك هو الثالث عشر من أبريل.

(٢٤) Öke, *Yüzılın Kan Davası,* 132 ؛ Uslu, *Bediüzzaman'ın Kardeşi,* 35، Erdem, *Davam,* 194.

(٢٥) عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ص ٣٦.

وكانت الحملة العسكرية الأولى الموجودة على الحدود مع إيران في ذلك الوقت تتقدم ناحية الشمال، ولكنها سرعان ما منيت بالهزيمة على أيدي القوات الروسية في "ديلمان". وقد أدى ذلك إلى تفجر حلم أنور باشا الخاص بتحرير مسلمي القوقاز كما فتح الطريق للتقدم الروسي.[٢٦] ونتيجة لذلك أرسل جودت بك على الفور تلغرافا إلى الحملة العسكرية الأولى طالبا منها إما مساعدة "وان" وإما الوقوف في وجه الزحف الروسي، ولكن فشلت الحملة في تنفيذ أي من الأمرين. ونظرا لفشلها في ملاحقة الروس، فقد تقهقرت جنوبا، وفي النهاية اضطر جودت بك ـ الذي كان منذ بداية الثورة منغمسا في مقاتلة الأرمن بالقوة التي تحت يده – إلى ترك "وان" في ليلة ١٦/١٧ من مايو. وكان سعيد النورسي كارها للفرار من وجه القوات الروسية، ولذا تحصن هو وتلاميذه في القلعة مصممون على الصمود حتى أنفاسهم الأخيرة. ولم يغادروا إلا بسبب إصرار جودت بك على رحيلهم من المدينة، حيث تقهقروا جنوبا نحو "واسطان" بأقصى سرعة مع من تبقى من السكان المسلمين قبل وصول القوات الروسية. وقد هزم الروس الكتيبة العثمانية المتمركزة في "واسطان"،[٢٧] بينما كان الأرمن في تلك اللحظات يقومون بتنظيم قواتهم لطرد الأتراك من الشاطئ الجنوبي بأكمله للبحيرة تمهيدا لخطة روسية بالاتفاق مع الأرمن لغزو ولاية "بتليس".[٢٨]

ويروي أحد تلاميذ النورسي، الذي كان مرافقا له خلال تلك الأحداث، قيامه بتشكيل قوة عسكرية في ذلك الحين بالتعاون مع الوالي جودت بك، وضمت تلك القوة ضباطا من البوليس والجنود الذين كانوا لا يزالوا في "واسطان"، بالإضافة إلى عدد من تلاميذه. واستطاعت تلك القوة أن تقاتل بضراوة مما مكنها من التصدي للتقدم الروسي، وكان هدفهم الأول هو محاولة كسب مزيد من الوقت لكي يتمكن السكان المسلمون من النزوح إلى مناطق

---

(٢٦) Sabis, *Harp Hatıralarım*, 2:435.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٤٣٧.

(٢٨) Shaw and Shaw, *History*, 2:316.

آمنة؛ وإلا فإنهم سوف يتعرضون لمذبحة. وقد استطاع النورسي ورجاله تسلق التل ليلا فوق معسكر القوات الروسية، وقاموا بدحرجة أحجار ضخمة عليهم، مما دفع القوات الروسية إلى الاعتقاد خطأ بحصول الأتراك على قدر كبير من التعزيزات،[٢٩] كما تمكنت تلك القوة أن تمنع الروس من الزحف حتى نجح كل السكان من مغادرة المنطقة بعدما تجشموا قدرا صغيرا من الخسائر.[٣٠]

وقد قُتل العديد من تلاميذ النورسي والمتطوعين في تلك الفترة، وكان من بين القتلى كاتب النورسي "الملا حبيب" الذي عاد بعد أن أنهى بنجاح مهمة تسليم رسالة لخليل باشا،[٣١] وأغلب الظن أن الأخير كان موجودا في جنوبي "باش قلعة" في ذلك الوقت. ومن المحتمل أن التلغراف الذي استخدمه الوالي من قبل لم يكن مستخدما في ذلك الوقت. هذه المعلومة التي وردت في سيرة حياة النورسي الرسمية تقدم دليلا واضحا على تضامنه الوثيق مع قوات أنور باشا الخاصة.

ووفقا لرواية الجنرال "سابيس"، لم يتراجع جودت بك وقواته إلى "واسطان" كما تقول السيرة، ولكنهم تراجعوا إلى الجنوب الشرقي ناحية "باش قلعة" والحدود الإيرانية حيث وحّد النورسي قواته مع الحملة العسكرية التي كان يقودها خليل باشا.[٣٢] وقد قام خليل باشا بعمل طريق فرعي ملتوي على الجبال الوعرة لتفادي القوات الروسية، حيث وصل إلى "بتليس" في يونيو من عام ١٩١٥ بعد أن فقد أعدادا كبيرة من قواته. وعلى الرغم من ذلك، تذكر جميع روايات تلاميذ النورسي أن جودت بك والنورسي كانا معا في كل من "واسطان" وأخيرا في "بتليس" ولكن ربما يكون هناك لبس في تسلسل الأحداث.

وعند هذه النقطة تورد السيرة الذاتية أكثر من مثال على جهوده الإنسانية أثناء فوضى الحرب لإنقاذ السكان المُهَجَّرين من المذبحة، وكان ضمن هؤلاء

---

(٢٩) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 101.

(٣٠) Erdem, *Davam,* 194-95.

(٣١) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 104؛ وعبدالرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ص ٣٦.

(٣٢) Sabis, *Harp Hatıralarım,* 2:437.

السكان سيدات وأطفال من الأرمن. وقد بدأت بالفعل عملية ترحيل الأرمن المثيرة للجدل من الولايات الشرقية إلى شمالي سوريا.(٣٣)

وبعد فرارهم من القوات الروسية، اتجهت تلك الجماعات المشرذمة التي أنهكها السير غربا نحو "بتليس" على طول الشاطئ الجنوبي لبحيرة "وان". وقد سافر النورسي كذلك إلى "بتليس" مع "جودت بك"، وهنا قبل مسئولية ما يزيد على خمسمائة يتيم نتيجة الحرب، حيث تولى رعايتهم وتوفير الطعام والمأوى لهم.

وعندما أوقفت كل من قوات الجيش المتحدة والقوات المتطوعة الزحفَ الروسي حول كل من شمال بحيرة "وان" وجنوبها، تواصلت الهجرة من المناطق المحتلة جنوبا نحو "سعرد" وما ورائها. ومن المهام الأخرى التي تولى النورسي القيام بها بالاشتراك مع القوات المتطوعة الأخرى هي حماية الحدود خلف الجيش أثناء هجرة السكان.(٣٤)

وقد تلقى النورسي أخبارا مفادها أن جماعات من الأرمن هاجمت قرية "اسباريت" القريبة من قريته نورس مسقط رأسه، الأمر الذي جعله يقود قوة عبر الجبال متوجها نحو قريته، واستمر لمدة ثلاثة أشهر بجوار خيزان منهمكا في قتال ضار مع العصابات الغازية محاولا درء هجماتهم والدفاع عن سكان القرية. وقد نجحت حملته في النهاية في قمعهم ومنعت مجزرة كانت ستقع بحق السكان المسلمين.(٣٥) ومع ذلك، فقد قام بطريقة مثالية بجمع النساء والأطفال الأرمن كافة من المنطقة المجاورة لحمايتهم من الأعمال الانتقامية، التي قال إنها مخالفة للشريعة، وسلمهم إلى القوات الأرمينية. وجدير بالذكر أن الأرمن قد تأثروا كثيرا بهذا السلوك الإسلامي الرقيق لدرجة أنهم قد أحجموا

---

(٣٣) مُرر قانون إعادة إحلال الأرمن في السابع والعشرين من مايو ١٩١٥، إلا إن ترحيلهم قد بدأ بالفعل بعد اندلاع ثورة الأرمن في وان. Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi,* 4:428 الرابع والعشرين من أبريل، Shaw and Shaw, *History,* 2:315-16

(٣٤) خلوصي البتليسي نقلا عن Badıllı, *Nursi,* 1 :382-83.

(٣٥) Erdem, *Davam,* 195

فيما بعد عن القيام بإعدام المدنيين الأبرياء بشكل وحشي.[٣٦] وكان الشتاء يقترب عندما رجع النورسي إلى "بتليس"؛ حيث بدأ في إصلاح قواته المتطوعة.

وقد تم الاستشهاد بأعمال النورسي الإنسانية الرائعة أيضا في مصادر غير تركية أحدها باللغة الفرنسية بعنوان *Documents sur les atrocités armenorussés* (وثائق حول المظالم الأرمنية). وفيما يلي ترجمة لصفحة واحدة فقط مما تضمنته:

قال كل من يوسف وعبد الرحمن ابنا أحمد بعد أن أقسما على قول الحق:

نحن من أهالي قرى "نورس" و "فافينك"، و"آند"، و "مزراع آند" وهي المراعي الصيفية لإقليم "اسباريت" في منطقة "خيزان". بعد احتلال الروس لمقاطعة "جاطاك"، جاء الأرمن من القرى المجاورة مثل "ليفار"، " كوتيس الاعلى"، "كوتيس الاسفل" و "جاجوان" و "سيكوار" و" آدر الاعلى" إلى قرية " كوتيس الاعلى " تحت قيادة كل من "لاتو" - والذي يطلق عليه أيضا اسم "ميهران" - و"كازار ديلو". تسلل كل منهما من روسيا إلى الأناضول وقاموا بتقديم ثلاثة مقترحات كتابية إلى أعيان المقاطعة. وكان من بين هؤلاء الأعيان الملا سعيد الذي كان يطلق عليه بديع الزمان. هل سجن الملا سعيد أم قتل، أنا لا أعرف. وهذه هي المقترحات: إما الاستسلام وإما مغادرة البلدة وإما القتال.

وبعد مرور تسع ساعات من وصول الأعداء إلى المنطقة قامت قوة من ستمائة فرد بمهاجمة القرية. بينما كان جنود العدو يرتدون ملابس القتال ويعتمرون القبعات. ولم نستطع اكتشاف ما إذا كان بين هؤلاء المقاتلين أي جنود روس أم لا. كما بدا العديد من جنود العدو معدمين. ولم تكن تعرف هويتهم أكانوا من الروس أم أنهم أرمن قدموا من روسيا.

وقام الأعداء بأخذ أهل القرية كافة إلى "مزراعي أند". وكان عبد الرحمن، ابن خورشيد بك، أحد الأعيان حاضرا أيضا مع ابنه وزوجته. وفي اليوم التالي، رحل ثلاثة وثلاثون رجلا وولدا وحوالي ثمانون امرأة وفتاة صغيرة إلى "موكس" في قوافل منفصلة. وقد تركت قافلة النساء في "جاجوان" بينما أعدم الرجال جميعا بالليل. أما أنا فقد نجوت من المذبحة لأنهم قد أوكلوا إليّ مهمة معينة. وعندما أوكلوها إليّ ، قالوا لي ما يلي: "نعدك بأن نعطيك مالا. اذهب إلى الملا سعيد

---

(٣٦) عبد الرحمن، تاريخ حياة، ص ٣٦، ووفقا لرواية عبد الرحمن فقد عاد النورسي إلى وان مع بعض من طلابه، ونجح في دخول المدينة رغم احتلال الروس والأرمن لها، وعسكروا في القلعة ولم يغادروها إلا عندما أمرهم جودت بك بذلك. المرجع السابق، ص ٣٦، ٣٧.

وأخبره أن يسلمنا ما تبقى من الأرمن هناك، وأخبره بأنه لا توجد مصلحة في قتلهم دون حاجة إلى ذلك، وأن البلد على وشك الاحتلال بأكملها، وأن القوات الروسية وصلت إلى حلب، وأن أرمينيا قد تأسست. أحضر لنا معلومات عن أعداد الجيش التركي الموجود هناك وحجم قوتهم."

وكان "ديلو" هو الذي قال لي ذلك، ومن ثم بدأت في رحلتي على الفور. وعندما وصلت إلى "جاجوان"، رأيت قواتنا التي تألفت من الشرطة والأكراد قد وصلت هناك مع والي منطقتنا والملا سعيد. ونجحت قواتنا تحت قيادة بديع الزمان سعيد أفندي في حماية قافلة النساء بعد خمس ساعات من القتال العنيف. وكانت حالة النساء يرثى لها في تلك الأثناء، فلم يكن لديهن القوة على السير. كما كان الأطفال يداسون تحت الأقدام، وكنا ثلاثة وثلاثين رجلا ولم ينج منا سوى اثنين فقط.[٣٧]

وهناك رواية أخرى تتحدث عن النورسي عندما كان على "سبحان داغي" – وهو جبل مرتفع شمال شرقي بحيرة "وان"، في شهر أغسطس، وتقول:

كانت أول مرة رأيت فيها النورسي في أغسطس من عام ١٣٣١ (١٩١٥م) على جبل "سبحان"، حيث كان ممتطيا فرسا أبيض، وكان يعدو به هنا وهناك من أجل رفع معنويات الجنود. وكان النورسي في ذلك الوقت قائدا لقوة من المتطوعين، كما كان يرتدي عمامة فوق رأسه وكتافة على كتفيه. وكان دائما ما يجول ويتنقل على ظهر حصانه بين المتطوعين لتشجيعهم، حيث عينه أنور باشا قائدا على قوات المتطوعين، فهما صديقان منذ أمد بعيد .....

وتشتمل هذه الرواية على وصف القوة بعد بداية فصل الشتاء، كما يمكن أن تشير إلى تلك القوة وهي على جبهة "وان"، التي كان النورسي – وفقا للمصدر المذكور آنفا – يحارب عليها عندما سقطت مدينة "ارضروم" في فبراير من عام ١٩١٦. ربما كان ذلك أيضا قبل سقوط "بتليس".

والجدير بالذكر أن القوات المتطوعة [تحت قيادة النورسي] لم تحصل على الأسلحة أو الإمدادات منا، ولكنها وفرت كل شيء لنفسها. ودائما ما كانت

---

(٣٧) *Documents sur les atrocités arméno-russes*, 22-23؛ نقلا عن Şahiner, *Bilinmeyen.*, 167-169 وبين الوثائق المكتشفة حديثا بين سجل محفوظات وزارة الداخلية العثمانية، إدارة الأمن العام، وثيقة مؤرخة في الثامن عشر من حزيران ١٣٣٣، الأول من يوليو ١٩١٦، وهي بوضوح أصل ما نقلناه هنا من المجموعة الفرنسية، بمعنى أن جامعي العمل الفرنسي قد استخدموا بشكل أو بآخر هذه البيانات المأخوذة من السلطات العثمانية.

تذهب تلك القوات في مقدمة الجيش وتحارب في الصفوف الأمامية. وكان يطلق عليهم "معتمري القلنسوات اللبادية". وكانت القوات الروسية لا تعرف إلى أين تفر عندما تسمع أن: "أصحاب القلنسوات اللبادية قادمون!"؛ فلم يعلموا ما ألم بهم. وفي تلك الأثناء كانت السيوف تستخدم فقط من أجل التحفيز، ولكنهم كانوا يستخدمونها وهم على ظهر الخيول وكانوا يضربون بها أي شيء يرغبون ضربه. بينما اعتادت تلك القوات ارتداء قلنسوات بيضاء (في الشتاء) لكي تختلط هيئتهم بهيئة الأرض المغطاة بالثلج ومن ثم يصعب على العدو التعرف عليهم. وكانوا دائما ما يضعون لجام الفرس على أحد أذرعهم أو ربطه حول رقبة الجياد وتركها حرة تماما، ثم السير بأقصى سرعة مع إطلاق النار من أسلحتهم بشكل متواصل، كما كانوا رماة مَهَرة. وعندما تحدث الضباط مع المتطوعين بهدف حثهم على القتال، لم يستطع هؤلاء المتطوعون البقاء في أماكنهم جالسين على الأرض عندما صدرت لهم الأوامر بالتحرك، فهبوا مسرعين وامتطوا ظهور الخيل وأسرعوا السير لمقابلة الأعداء.(٣٨)

وفي منتصف سبتمبر، تلقت الدولة العثمانية معلومات استخباراتية تفيد بأن الدوق نيكولاس الكبير، عم القيصر، عُيّن قائدا عاما للجبهة القوقازية، وتوقع أن الروس يخططون لشن هجوم واسع، وبدأ الهجوم الشامل بالفعل في ١٠ يناير عام ١٩١٦. وكانت القوات الروسية ثلاثة أضعاف القوات العثمانية التي لم تكن مجهزة بالشكل المناسب. واضطرت القوات العثمانية إلى التراجع للخلف في مواجهة القوات الروسية، واستولت القوات الروسية على مدينة "ارضروم" في ١٦ فبراير بعد قتال مرير، بينما تحركت القوة الروسية الثانية ناحية الجنوب ثم اتجهت صوب جنوب بحيرة "وان" نحو "بتليس" و "موش". وفي تلك الأثناء كان النورسي عائدا إلى "بتليس". وهناك العديد من الروايات التي تتحدث عن الدور الرائع الذي قام به النورسي في الحرب لحماية هذا المركز الاستراتيجي الذي تقلد عليه وساما فيما بعد.

---

(٣٨) Şahiner, *Bilinmeyen* 163.

سقوط "بتليس" وإلقاء القبض على النورسي

استعد الروس للهجوم بثلاث فرق عسكرية، واقترب كل من ممدوح بك الذي أصبح واليا على "بتليس"، وگل علي أحد القادة،[٣٩] (أصبح گل علي قائدا بدلا من يعقوب جميل الذي أُرسل خلف خليل باشا في بغداد،[٤٠] وكان الثلاثة أعضاء في مجموعة الضباط الفدائيين في التشكيلات المخصوصة)،[٤١] من النورسي وأخبراه أنه ليسا أمامهما سوى الانسحاب، وهم لا يُشكلون سوى كتيبة واحدة وحوالي ٢٠٠٠ من المتطوعين، فرد عليهم النورسي قائلا إنهم إن فعلوا ذلك؛ فإن جميع من فروا بعائلاتهم وكل ما يمتلكون من المنطقة ومن "بتليس" سيقعون في أيدي الأعداء، لذا فعليهم مقاومة الغزو لعدة أيام حتى يتسنى لهؤلاء الناس الفرار، فأخبراه أن موش[٤٢] قد هُوجمَت وأن جنودها كانوا يحاولون استخلاص ٣٠ مدفعا ثقيلا من أيديهم، فإذا استطاع النورسي ومن معه من المتطوعين إطلاق سراح هؤلاء الجنود وإعادتهم لبتليس، فمن الممكن الدفاع عن المدينة لعدة أيام، فقال لهم النورسي: "إما أن أحضرهم أو أموت دونهم!"، فانطلق في المساء مع حوالي ٣ ألاف من رجاله في اتجاه "نورشين"، وعندما اقتربوا من "موش"، سرّب معلومة خاطئة عن طريق جاسوس له لكتيبة الفرسان الروس (القازاق)، الذين كانوا يسعون للاستيلاء على المدافع، تقول: إن هناك قوة كبيرة يقودها قاطع طريق في طريقها للإمساك بهم، وصدق الروس هذه الأكذوبة، وأنهوا سعيهم.[٤٣] ويواصل علي جاووش - أصغر تلاميذ النورسي والذي صحبه في تلك المهمة - روايته قائلا: وفي المساء عندما كانوا في طريقهم لاستخلاص المدافع، كانوا يقابلون المدنيين والجنود على الطريق، فأخبروهم بأن الروس قد احتلوا موش، فقسم النورسي قواته إلى سرايا، تضم

---

(٣٩) لمزيد من التفصيل عن گل علي، الذي عرف لاحقا باسم علي جتينقايا، ورأس إحدى محاكم الاستقلال المقيتة عام ١٩٢٥ Zürcher, *Unionist Factor,* 81, 146

(٤٠) Sabis, *Harp Hatıralarım,* 3:77-79

(٤١) Stoddard, *Teşkilat-ı Mahsusa,* 143-45

(٤٢) يقول السيد عبد المجيد شقيق النورسي في *Hatıra Defteri* : أن الأحد عشر مدفعا قد تُركت في قرية ليز عندما فر الجنود، راجع : عبد المجيد، *Hatıra Defteri* ، ص ١٦، عن Badıllı, *Nursi,* 2:402

(٤٣) انظر: النورسى، سيرة ذاتية، ص ١٢٦.

كل منها ١٤ شخصا، وأمرهم أن تتولى كل سرية أخذ أحد المدافع الثقيلة،(٤٤) وجعل فرقة مكونة من ٦ رجال تحمل الذخيرة وتسحبها جميعها على الثلج مسافة ٦٠ كيلو مترا على الأقل؛ حتى سلموها لكتيبة مخندقة في الطريق بين "بتليس" و "تاتوان".

شن الروس هجومهم من ثلاث جهات، ولكن حُرموا من الميزة التي كانت لديهم لبعض الوقت بسبب المقاومة العنيفة التي واجهتهم من الأتراك، وقوات المقاومة عند خط الدفاع في جبل "ديدبان". وحُوصر النورسي ورجاله في ممر ضيق قبل "بتليس"، ولكنهم تمكنوا من الفرار، واستمر القتال لسبعة أيام وسبع ليال، وكعادته في إلهاب حماس رجاله للحفاظ على روحهم المعنوية، لم يختبئ النورسي في الخندق، بل امتطى جواده عبر الصفوف الأمامية؛ حتى إنه لم يتراجع وقد أُصيب بأربعة أعيرة نارية؛ وفي عناية عجيبة، أصابت إحدى الطلقات قبضة خنجره، وأصابت الثانية علبة التبغ، أما الثالثة فقد أصابت مبسم السيجارة، ولامست الرابعة كتفه اليسرى؛ فلم يُصب فعليا،(٤٥) ولاحظ گل علي أن الطلقات لم يكن لها أي تأثير عليه، فقال له النورسي: من يحفظه الله لن تقتله ولا حتى شظية مدفع، فما بالك بطلقة!"(٤٦)

وبعد أسبوع من الاشتباكات العنيفة، لم يستطع الروس اختراق صفوف العثمانيين، وكانوا على وشك الانسحاب حتى قادهم بعض الأرمن إلى جنوب "بتليس"، وقطعوا طريق بتليس- سعرد وسيطروا على جسر العرب، كما فتحوا لهم الطريق باحتلال جبل ديدبان، ونصبوا الأسلحة الآلية عند نقاط حيوية وأطلقوا النار فقتلوا كثيرا من الناس، واستطاعوا في النهاية دخول المدينة، وكان الوالي وگل علي، والجزء الأكبر من الجيش والناس قد فروا بالفعل في هذا الوقت. وفي هذه الظروف الرهيبة شرقي الأناضول، وفي شهر فبراير حيث يصل ارتفاع الثلج من ثلاثة إلى أربعة أمتار، انسحب النساء والأطفال والمرضى والضعفاء والمسئولون الحكوميون والجيش أمام جيوش الأعداء الزاحفة.(٤٧)

---

(٤٤) هناك أربعة عشر مدفعا ثقيلا كما ورد في هذه الرواية.

(٤٥) عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ص ٣٧.

(٤٦) Badıllı, *Nursi*, 1:388، النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٢٨.

(٤٧) Şahiner, *Bilinmeyen* 169-170.

لم تبقَ سوى سرية صغيرة أصرت على أن تقاتل حتى النهاية، كما روى هذا أحد تلامذته الأربعة الذين ظلوا على قيد الحياة مع النورسي ضمن خمسة وعشرين متطوعا، ويواصل تلميذ النورسي، علي جاووش سرد ما حدث، ويقدم وصفا حيا للنورسي والجنود الذين اقتادوه أسيرا كما يأتي:

في هذه الليلة (٣ مارس ١٩١٦) وبعد منتصف الليل، بدءوا الهجوم على "بتليس"، كنا نشتبك مع الروس في الشوارع، وكان هناك قتال عنيف، وقُتل جميع زملائنا فيما عدانا نحن الأربعة، وقتل بجواري عُبيد[٤٨] ابن أخت الأستاذ النورسي، والذي كان يحبه حبا شديدا، وكانت نيران بنادق الروس تنهال علينا. قال لي عندما سقط: خذ الذهب من حزامي ومن ملابسي حتى لا يقع في أيديهم.

طوقنا الروس وأخذوا يطاردون الأستاذ، وواصلنا تجهيز البنادق بالذخيرة ومناولتها له فكان يطلق عليهم النيران، كان سريعا في استخدامها، فبدت وكأنها أسلحه آلية، وأعطيناه مرة البندقية دون تثبيت سقاطة الأمان، فاستشاط غضبا عندما فشلت في إطلاق النار، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي رأيته يحدثنا فيها بهذه الطريقة؛ "لماذا تعطونني بندقية لا تعمل؟" وقذف بها على الحجر فتهشمت، ناولناه واحدة أخرى على الفور، وحينها اندفع وسط الخطوط الأربعة للجنود المحيطين بنا، وكنا نريد العبور إلى جانب قزل مسجد من المدينة. وجدنا أنفسنا مواجهين بحائط بدا كالأنبوب، فقفزنا من أعلاه، ويقع تحت مبنى ضخم مجاور لما يُطلق عليه الآن مدرسة كاظم باشا الابتدائية، وحيث كانت الثلوج تغطي المياه تماما، وكان الوقت ليلا، فلم نستطع تحديد الأرض. واصطدمت قدم الأستاذ بصخرة فانكسرت، وقال وهو يشير إلى أسفل الأنبوب: "أدخلوني ثم اذهبوا، أنا أعطيكم الإذن، وبمشيئة الله ستنجحون في الهرب. "أدخلناه وأجلسناه. ووضعنا قدميه على بندقيتين من بنادقنا ليستريح.. أصر على أن نرحل.. ولكن عندما قلنا له: إننا نرغب في البقاء ونيل الشهادة إلى جواره، تأثر وقال: "قَدَرُنا أن نقع في الأسر"، فقلنا له: إننا أيضا قد سلمنا للقدر.

وتجدر الإشارة إلى تصريحات أدلى بها اثنان من الأتراك الذين ظلوا على قيد الحياة، في مايو عام ١٩١٧، ممن شوهدوا وهم محاصرون تماما من قبل العدو، وتوضح كيف أن النورسي وتلامذته كانوا محاصرين من قطّاع الطريق

---

(٤٨) كان عبيد ابن درية، الأخت الكبرى للنورسي.

الأرمن، الذين أمطروهم بالطلقات النارية وطعنوهم بالحراب، حتى إنهم ظنوا أنهم قد قتلوهم جميعا.[٤٩]

وقد طلب منهم النورسي ذات مرة وهم مختبئون تحت المجرى المائي أن يذهبوا ويخبروا الروس بأنهم هنا، ولكن الطلاب الأربعة كانوا خائفين من أن يقتلوا النورسي، وحاولوا التفكير في حلولٍ أخرى، وظلوا في الطين المتجمد جوعى ومرهقين حوالي ٣٣ ساعة،[٥٠] ثم أرسلوا عبد الوهاب ـ أحدهم وكان يعرف قليلا من الروسية ـ لإخبار الروس بوجودهم، وتستطرد الرواية، وهي في الواقع جزء من روايتين منفصلتين لعلي جاووش:

احتل الروس المبنى الذي يعلو القناة، كانت أصواتهم مسموعة من أسفل، ومرت ساعة ثم سمعنا صوت طلقات الرصاص، وظننا أن عبد الوهاب قد أُطلقت عليه النيران، ثم بعد ذلك سمعنا وقع خطوات أقدام، فرفعنا بنادقنا وانتظرنا فشاهدنا عبد الوهاب قادما، ومعه فرقة من خمسين جندي روسي، فأخرجونا وأرسلوا في إحضار نقالة للأستاذ، ثم أخذونا لمبنى كان فندقا يتمركز فيه الجيش الثاني الروسي، ونحن في طريقنا، علم الأرمن أننا قد عُثر علينا فبدءوا في التجمهر حولنا، وكادوا يفتكون بنا لولا الجنود الروس.

قابلنا قائد الفوج العسكري، ووضعونا في غرفة، وأعطونا بعض كسرات من الخبز كانوا قد وجدوها، وكنا لم نذق طعاما منذ ثلاثة أيام، فكان في نظرنا أشهى من البقلاوة، ثم وضعوا الأستاذ في غرفة أخرى، وأحضروا له دجاجة مشوية. بدأ اثنان من القادة في استجوابه، وكان من الواضح أنهم يتحدثون عن الحرب. كان يحدثهم الأستاذ وهو واقف على قدمٍ واحدةٍ. وبدا الأستاذ وكأنه هو القائد وهم الأسرى، فلم ينحنِ لهم قط، فأدركوا أن قدمه مكسورة، فأمروا له بممرض وضعها له في الجبس. وبعد ساعتين ونصف أخذتنا سرية من الجنود للمباني الحكومية. وأخذنا ضابط تتري إلى الداخل - عَرَفنا فيما بعد أنه مسلم فأشفق علينا - ووضعنا في غرفة القائد.

ولأول مرة منذ قدومنا من أسبوع، وإقامتنا في مبنى الحكومة، يصل ضابط مساعد للقائد. سأل عن الأستاذ، وقال: إن القائد قد أرسل في طلبه، فأخذ الأستاذ على النقالة للمقر الذي كان يقيم فيه القائد في محلة باشي، ودخل الأستاذ، وسأله القائد عدة أسئلة، وتركز الكلام حول شخص معروف يدعى عبد المجيد ذهب إلى

---

(٤٩) Badıllı, *Nursi,* 1:394.

(٥٠) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٢٨.

إيران وكان يخطط للذهاب إلى القوقاز من هناك لينظم صفوف المسلمين لمحاربة الروس.[٥١] وكانوا يرغبون في معرفة معلومات عنه من الأستاذ، وأجاب الأستاذ على الأسئلة كما كان مطلوبا منه، واستمر استجواب القائد والذهاب والمجيء لمدة أسبوعين. كنا نجلس خارج الغرفة ونستمع لحديثهم، فكنا نسمع ردود الأستاذ المختصرة والإجابات الحادة، ومن حين لآخر نسمع صوت قبضة يد تضرب على الطاولة. كنا نخاف ونرتعد من فكرة أننا سنقف صفا ويُطلق علينا الرصاص..

وفي اليوم السابع والعشرين من إقامتنا في مبنى الحكومة، أخذونا إلى مركز قوات الدرك في ذلك الوقت، والذي أصبح الآن دار القضاء، وكان هناك حوالي خمسة وعشرين ضابطا ومسئولا حكوميا مقبوضا عليهم، وكان معظمهم من ذوي الرتب العالية، وظهر مساعد القائد، وقال للأستاذ: "تستطيع أن تأخذ معك واحدا أو اثنين من خدمك، فسوف نأخذك الآن."فقال له الأستاذ: "هم ليسوا بخدمي، هم إخوتي"، فأخذ واحدا منا يُدعى سعيد، ولم نكن نريد فراقه، وحتى يخفف عنا قال لعرفان بك رئيس الشرطة، والذي كان سجينا أيضا: "أوصيك بتلاميذي. ففرقوا بيننا وبين الأستاذ وأرسلونا إلى روسيا.[٥٢]

وأصبحت البطولة التي قام بها النورسي والمتطوعون الذين معه في الدفاع عن الشرق ضد الروس والأرمن أسطورة تناقلها الناس في المنطقة، وكان يخبر بعضهم بعضا كيف حاول الروس قتل النورسي عندما كانوا يحاصرونه، وكيف أن هذه الرغبة قد تحولت بسبب شجاعته إلى حلم صعب المنال؛ حيث إن النورسي لم تبدو عليه شدة الألم حين أمسكوا بقدمه المكسورة،[٥٣] وتحدث أحد تلامذته الذين حاربوا إلى جواره كيف أن النورسي قد غضب حين علم أن المترجم الأرميني الذين كان يترجم له ما كان يقال له عندما كان يستجوبه الروس، كان يخطئ في ترجمة ما كانوا يقولون، فأحضر له الروس مترجما تتريا، كما وصف تلميذ النورسي رفض أستاذه لعروض شيخ من قبيلة كردية ممن انضم للروس، عندما عرضوا عليه أن يعطوه حريته مقابل أن يكتب لجميع القبائل ويدعوهم لإلقاء أسلحتهم.[٥٤]

---

(٥١) واضح أنه كان أحد أفراد التشكيلات المخصوصة، وقد يكون الاسم اسما للتمويه.

(٥٢) علي جاوش، نقلا عن Şahiner, *Bilinmeyen* 174-178 .

(٥٣) صديق ألب في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:152.

(٥٤) ملا منور في Şahiner, *Son Şahitler* 1:151-152.، Badıllı, *Nursi,* 1:393.

سقطت "بتليس" في أيدي الروس في الثالث من مارس عام ١٩١٦. وهناك إحدى الوثائق التي عُثر عليها مؤخرا تصف الرحلة حيث أسروا بالقرب من الحدود الروسية، والوثيقة عبارة عن جريدة لضابط متقاعد يدعى محمد فياض، من ذرية العالم الصوفي الشهير إبراهيم حقي الارضرومي، وقدم في هذه الوثيقة تفاصيل مذهلة عن الرحلة؛ حيث كان مع النورسي.

احتجز الروس النورسي في "بتليس" لمدة أسبوعين،(٥٥) حيث شاهده محمد فياض لأول مرة في "باشان"، وهي مكان بين "بتليس" و "تاتوان" عند بحيرة "وان" في ١٨ مارس. وكتب يقول:

> قيدوا أسماءنا جميعا في "بتليس" في ١٨ مارس، وفي الظهيرة جعلونا نركب الجمال. وكان سائق الجمال فارسيا وكان يعاني بشدة من الطغيان الروسي. ولاعتقادهم أن الأتراك وحدهم هم المسئولون عن ذلك، فقد عذبونا وأساءوا معاملتنا كنوعٍ من الانتقام. وصلنا "باشان" في المساء، وشاهدنا حوالي ٤٠ جثة لقتلى أتراك مكومين فوق بعضهم بعضا خارج الخان، وخلفهم رأينا مجموعة من الجنود الروس مجتمعين يتناقشون في شيءٍ ما، فترجلنا واقتربنا منهم وعلمت أن القازاق كانوا يتجادلون مع حراسنا يريدون أن يسلموهم سعيد الكردي ليقتلوه. وكان النورسي يشاهد هذه المشاجرة وهو هادئ، ولم أتعرف عليه من الوهلة الأولى.
>
> ووضعونا في إسطبل قذر، ومكثنا فيه عدة أيام، ثم رحلنا في ٢٠ مارس ومررنا "بتطوان" محاذين شاطئ البحيرة حتى وصلنا إلى مدينة مدمرة وقضينا ليلتنا هناك. أشفق أحد الجنود الروس على الأسرى الذين كانوا يتضورون جوعا، وكان هذا الجندي مسلما من "قازان"، فذبح لهم ثورا. وفي هذا اليوم أكل الجميع حتى شبعوا وحملوا أمتعتهم بما تبقى من اللحم.
>
> ورحلنا في صباح يوم الحادي والعشرين من مارس، وكان الجو باردا والمطر ينزل من السماء متجمدا كالثلج، وتشبعت ملابسنا بالماء، قضينا تلك الليلة في مدينة أخرى خربة، ثم أشعلنا النيران لنجفف أنفسنا. وفي اليوم التالي (٢٢ مارس) تحركنا على الطريق الموازي لشاطئ البحيرة. كانت المنطقة كلها مستنقعات، فعانينا من صعوبات كثيرة في المرور من بعض الممرات، وقضينا هذه الليلة في كنيسة مُهدمة. وقاسمنا الجنود الروس بعضا من خبزهم.

---

(٥٥) يبدو ذلك صحيحا ما ذكر أنه ظل مدة سبعة وعشرين يوما والتي ذكرت في التقرير السابق، مع أنه يمكن أن يكون مرد الفرق في التاريخين وهو ثلاثة عشر يوما إلى الفرق بين التاريخ الرومي والجريجوري.

تحرك الركب في ٢٣ مارس عندما سطعت الشمس. كان يوما صافيا وأضفت الشمس على نفوسنا البهجة. وفي هذه الليلة توقفنا بجوار البحيرة في إحدى القرى الأرمينية التي كانت تتكون من بعض المنازل القليلة، وأعطانا أهلها بعضا من اللحم والخبز والسكر. وكانت هناك وحدة روسية متمركزة.

وفي يوم ٢٤ مارس، استكملنا رحلتنا على البغال، ووصلنا إلى "وسطان" في الظهيرة فنزلنا في بعض الأكواخ البسيطة التي صنعها الروس، وأعطونا بعض الطعام والشاي والسكر. وكانت المواقد في حالة جيدة جدا، وكان هناك أيضا بعض المنازل الخشبية، ثم فصلونا عن الآخرين لأننا كنا ضباطا.

وفي ٢٥ مارس، رحلنا مرة أخرى على ظهور البغال حتى وصلنا إلى مدينة "وان" بعد الظهيرة، ووضعونا أنا والملا سعيد وخادمه معا في غرفةٍ واحدة. ومكثنا هنا لمدة أربعة أيام، وكان يأتي القائد إلينا كل يوم ليتفقد أحوالنا.

في ٢٩ مارس، نقلونا في شاحنة إلى "أرجك" التي كان يسكنها الأرمن. كانوا يعرفون الملا سعيد. وقد عُرضنا أمام الناس الذين احتشدوا حولنا وأخذوا يلعنوننا ويسبوننا، وكان واضحا أنهم سيحاولون قتلنا هذه الليلة. وساعد أحد الجنود المسلمين ويدعى سيف الله في إنقاذنا من القتل، وقضينا ليلة عصيبة للغاية. وأتى القائد في الصباح بصحبة زوجته لزيارتنا وكان معهم طفلٌ مسلمٌ في الثانية عشرة من عمره. كان هذا القائد كريما ومضيافا جدا، وكانت زوجته روسية تكره الأرمن. في الواقع، (كان الأرمن قد قتلوا عائلة الطفل في "وان" فأخذه القائد وزوجته تحت جناحيهما).

أزعجنا ما رواه الطفل لنا إزعاجا شديدا، حتى إننا ظللنا نفكر في الأمر بعد أن أنهى الطفل حديثه، وفي النهاية تحدث معه الملا سعيد، ثم قالوا لنا إن شاحنتنا في الانتظار، وأتى القائد وزوجته معنا إلى الشاحنة كي يودعوننا. كان هذا يوم ٣٠ مارس عام ١٩١٦. وفي هذه الليلة وصلنا "الملا حسن"، وتأكد القائد الروسي من أننا نشعر بالراحة.

في يوم ٣١ مارس، وصلنا إلى "سراي" ثم "كاظم باشا"، وفي ١ أبريل وصلنا "كوتور"، وفي ٢ أبريل وصلنا "كروان سراي"، ووصلنا إلى "خوي" (في إيران) في ٤ إبريل. ونزلنا في محطة الحجر الصحي التي تبعد عن المدينة نصف ساعة، وكانت تتكون من ٨ أو ١٠ أكواخ طويلة و٣ خيام ودورة مياه ومستشفى، مكثنا فيها ٢١ يوما. كنا نستطيع إشعال النيران وأخذ حمامٍ وقتما نريد. وكان يأتينا كل صباح طبيب جورجي من المستشفى، وكانت الممرضة الحنونة الرحيمة تحضر لنا أنا

والملا سعيد ثلاث بيضات وقطعتين من البسكويت وتتحدث معنا بلطف. كان الطعام الذي يأتينا مرة أو مرتين من المدينة في اليوم لذيذا جدا.

بعد واحد وعشرين يوما وبالتحديد في ٢٥ إبريل، اتجهنا إلى "جُلفا" في شاحنات، وفي المساء نزلنا من الشاحنة في المنطقة السكنية. في ٢٦ إبريل، عبرنا الحدود الروسية عند "جُلفا". وبعد ٤٨ ساعة أخذونا بالقطار مباشرة إلى "قصتورما" عن طريق داغستان."[٥٦]

وهنا توقفت الحكايات اليومية للرحلة، كما أنه ليس هناك أي ذكر للنورسي بعد ذلك، وبقي في "تفليس" عاصمة جورجيا، ولم يستكمل الرحلة مع مجموعة السجناء.

وفي الواقع، توضح الوثائق التي عُثر عليها في أرشيف مكتب الصدر الأعظم في استانبول، أنه على الأرجح كان النورسي لا يزال في "تفليس" في سبتمبر عام ١٩١٦ لعلاج قدمه. كانت الوثيقة الأولى بتاريخ ٩ أغسطس عام ١٣٣٢ رومي الموافق (٢٢ أغسطس عام ١٩١٦) من ممدوح، نائب والي "بتليس"، لوزير الشئون الداخلية في استانبول. وأقرت الوثيقة أن الضباط الذين ألقي القبض عليهم في الحرب في "تفليس" طالبوا بأن ترسل مرتباتهم إليهم. وكان بديع الزمان سعيد الكردي في حاجة للأموال، وهو الذي أنقذ ٨ مدافع كبيرة في موش عندما سقطت "بتليس"، وكان لديه جُندٌ متطوعون. وكانت الوثيقة الثانية بتاريخ أيلول عام ١٣٣٢ (٢٠ سبتمبر عام ١٩١٦) من طلعت بك وزير الداخلية لرئيس جمعية الهلال الأحمر العثمانية، باسم عمر باشا، يطلب منه إرسال ٦٠ ليرة للنورسي في "تفليس" مع رسولٍ خاص. وكانت الوثيقة الثالثة عبارة عن رد باسم عمر باشا، بعد الرسالة الأولى بثلاثة أيام، يُخبر فيها طلعت باشا أن الستين ليرة تم استبدالها بـ ١٢٥٤ مارك وأُرسلت كما طلب.[٥٧]

معسكرات أسرى الحرب

تم ترحيل النورسي إلى مقاطعة "قصتورما" الواقعة شمال شرقي روسيا، ثم إلى مدينة "كيلوجريف" حيث تم نقله منها، بعد أن قضى فترة في معسكر

---

(٥٦) Badıllı, *Nursi, 1:395-99*.

(٥٧) Şahiner, *Son Şahitler* 1:65-68

كبير يمتد على الصحاري الشمالية كما ذكرت أحد المصادر، إلى أحد المعسكرات الموجودة في مدينة "قصتورما" الواقعة على نهر "فولجا". وهناك قضى معظم ما تبقى له من فترة أسره، حيث ورد عنه وعن أنشطته داخل المعسكر العديد من الروايات التي رواها عدد ممن كانوا معه في الأسر. ولأنه كان أحد قادة الوحدات العسكرية فقد كانت له مكانة سلطوية بين زملائه في المعسكر؛ ولذا فقد كان كثيرا ما يؤكد على حرية الأسرى في ممارسة شعائر دينهم. واستطاع أن يمكنهم من أداء الصلوات الخمس حيث كان يؤمهم فيها، كما وفر لهم مقرا اتخذوه مسجدا. وقام كذلك، بصفته أحد قادة الوحدات العسكرية بتقاضي راتب أنفقه كله تقريبا على عمارة المسجد بالإضافة إلى بعض المصالح الأخرى التي عادت بالنفع على غيره من الأسرى. وكان النورسي ضمن مجموعة تضم نحوا من تسعين ضابطا أو يزيد ممن كان يلقى عليهم دروسه الدينية. لقد كانت الظروف قاسية بين جدران المعسكر حيث كان الشتاء طويلا شديد الظلمة قارس البرد. وبهذه الطريقة جاهد النورسي في سبيل رفع الروح المعنوية لدى الأسرى.

وكان مما أثار دهشة مصطفى يالجين، وهو الذي سبقت الإشارة إلى حديثه عن النورسي أثناء خدمته في جبهة "باسلنر" حيث كان بين هؤلاء الأسرى، أن رأى النورسي وقد جئ به إلى ذلك المكان. وكان من ذكرياته عن هذه الفترة قوله:

> قالوا عند قدومنا ذلك المعسكر، لقد وصل بعض الأسرى من الجبهة الشرقية، فتجمعنا خارج مجمع الأسر. وكان هناك العديد من الأسرى، غير أنه كان هناك أسيران جيء بهما من ناحية أخرى حيث كانا يُوضعان تحت حراسة مشددة. فنظرت إليهما فإذ بهما الملا سعيد وأحد تلامذته يدعى ازنكلي عثمان. وكان يحمل بين يديه صندوقا يحوي كتب الأستاذ، ولم يسمح النورسي لأحد أن يكون برفقته سوى عثمان هذا. فكان عثمان يقوم على خدمته وكان مصابا بجرح في قدمه، فقاموا بعلاجه هناك في المعسكر إذ وضعوه في مبنى خاص بالجرحى.
>
> وكان الجو قارسا لا تكاد تميز فيه بين الليل والنهار إذ لم تكن الشمس تشرق في فصل الصيف. وفي معسكر الأسرى لم يكن الملا سعيد ليقضي الليل في

سكون بل دأب على التسلل إلى المعسكرات الأخرى ليقرأ لهم ويعلمهم على الرغم من أن ذلك كان محظورا. وكان دائما ما يؤمنا في الصلاة أثناء النهار، فتدخلت السلطات لمنعنا من أداء الصلاة في بداية الأمر فتحدث إليهم الأستاذ وأقنعهم بمنحنا مزيدا من الحرية؛ فهم لا يريدون أن يجتمع العديد منا في وقت واحد، هذا وقد اعتدنا أن نطلق على النورسي لقب "رئيس الشئون الدينية"، فكان دائما ما يشرح أمور الدين حتى للحراس الروس الذين كانوا يلقون من الضباط التوبيخ إذا ما استمعوا إليه.

وكان الملا سعيد السبب وراء رفع روحنا المعنوية دائما، فكانت عبارة "لا تقلق" هي كلمته الدائمة، "سوف نخرج من هذا المأزق." وما رأته عيناي نائما قط أثناء الليل، إذ كان دائم القراءة وكتابة الملاحظات. وكان يقول لنا: "سوف يتحول هؤلاء الناس إلى الإسلام في المستقبل ولكنهم لا يعرفون عنه شيئا حتى الآن." ولم يعرف الخوف طريقا لقلوبنا ولم يصبنا اليأس ما كان هذا الرجل فينا.

ومضى مصطفى يالجين يصف كيف أنه هرب ليلا من المعسكر برفقة سبعة عشر من زملائه، بينما رفض النورسي أن يلحق بهم، وكان من بين هذه المجموعة التي بادرت بالهرب رائدا كان قد تلقى تدريبه على يد النورسي، فكان يقوم بدور الدليل لهم يتحسس الطريق "واستعان على ذلك بكل السبل، بداية من النجوم حتى الطحالب التي تنمو على جذوع الأشجار." ومضى يقول:

كان الملا سعيد لا يهاب شيئا البتة، فكان يجاهد في سبيل نشر الدعوة ليل نهار. وكان دائم القول: "لا يجب سوى الإيمان بالله، فالإيمان بالله أصل لكل شيء."[٥٨]

ويذكر الدكتور آصاف دشجي، أحد زملائه في معسكر الأسرى، أن أول مرة رأى فيها النورسي كان في مدينة "كولجريف" حيث قضيا فيها سويا ستة أشهر، بعدها تم ترحيل النورسي إلى معسكر أسرى حرب كبير يقع في قلب المدينة، فاحتجزوهم في إحدى دور السينما في "كولجريف"، ففصل النورسي جزءا من هذه السينما وجعله مسجدا. و يمضي الدكتور عساف في قوله:

وبصفته قائد وحدة عسكرية، فقد كان الأسرى يبدون له وافر الاحترام إلا أنه كان دائما ما يقول: "لست إلا عالم (معلم)." ...وعاش عيشة الكفاف، حيث كان

(٥٨) مصطفى يالجين في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:82-84

بإمكانه أن يظل يومه لا يتناول فيه سوى بيضتين وكسرة خبز....وكان وقته دائما مليئا بالمشاغل؛ حيث كان يراجع ما صنفه في تفسير القرآن ويعلمه غيره من الأسرى، ولذا فقد كان الضباط وغيرهم يراعون شعوره وينظرون له نظرة احترام.[٥٩]

وصرح مصطفى بولاي الذي قضى معه ستة أشهر في معسكر "قصتورما" بأن الروس رغبوا في قتل النورسي وأن ذلك كان أمرا من القيادة العليا التي كانت قد حددت له ذلك المعسكر. ويؤكد هذا القول عبد الرحمن، ابن أخي النورسي، الذي صنف سيرة مختصرة لحياة عمه، إذ كتب يقول: "لقد عمدوا إلى ترحيل عمي إلى "قصتورما" عن طريق "وان" و"جُلفا" و "تيفليس" و"كولجريف". وتأخذني الرغبة في أن أفصل القول فيما واجهه عمي من مخاطر في ذلك الحين حيث رغب الضباط الروس في قتله في مناسبات عدة بعدها يُدّعى بأنه انتحر إلا أن الفرصة لم تواتهم للقيام بهذا العمل؛ لذا فقد اكتفيت بالإشارة إلى ذلك بإيجاز."[٦٠]

ويؤكد كلٌ من مصطفى بولاي ومصطفى يالجين على وقوع حادثة في معسكر الأسرى ضمت النورسي وأسهمت بكل تأكيد في كسب النورسي مزيدا من المهابة التي كان يكنها له الآسرون والأسرى على حد سواء.

وجاء في أحدى المناسبات أن نيقولا نيقولافيتج - عم القيصر وقائد القوات الروسية في القوقاز - كان في زيارة تفقدية للمعسكر، وأثناء تجوله مر بالنورسي الذي كان جالسا ساعتها، فلم يلق له النورسي بالا ولم يحرك ساكنا. وقد انتبه لذلك الجنرال فعاد ليمر به ثانية حتى يجد لذلك ما يفسره، إلا أن النورسي لم يعره اهتماما، فما كان منه إلا أن مر به ثالثة ثم توقف أمامه، وقال له على لسان مترجم:

"ألا تدري من أكون.؟"

فأجابه النورسي "نعم أعلم."

فسأله القائد "إذا لمَ أهنتني.؟"

---

(٥٩) م. أساف ديشجي في *Şahiner, Son Şahitler, 1:189-190*.

(٦٠) عبد الرحمن تاريخ حياة، ص ٣٨.

"معذرة ولكني لم أقصد إهانتك فأنا لم أفعل غير ما تأمرني به عقيدتي." فسأله، "وما الذي تأمرك به عقيدتك؟"

فأجاب النورسي، "إنني عالم من علماء المسلمين وقلبي يملأه الإيمان، ومن ثم فالمؤمن أفضل من الكافر، ولو وقفت لك لكان في ذلك إهانة لمعتقداتي، ولذلك لم أقم. فقال له "على أي أساس تدعي أنني لا دين لي وأنت تسخر مني ومن جيشي الذي أنتمي إليه وأمتي وكذلك القيصر. سوف أعقد على الفور محكمة عسكرية وسيتم استجوابك فيها."

وتم على الفور تشكيل محكمة عسكرية بناء على أمر قائد القوات الروسية. وتوافد الضباط الأتراك والألمان والنمساويون على مقر النورسي، كلٌ يحاول إقناعه بالاعتذار إلى القائد، ولكنه أجابهم قائلا:

إنني أهيم شوقا للآخرة، وأن أحظى بحضرة رسول الله ص ومن ثم لا بد لي من جواز سفر، ولا أجرؤ على أن يكون سلوكي مخالفا لمعتقداتي."

ولما عجزوا عن الرد عليه ما كان منهم إلا أن وقفوا يترقبون الحكم الذي ستصدره المحكمة، وانتهى الاستجواب، وصدر الحكم بإعدام النورسي لإهانته للقيصر وللجيش الروسي.

وعندما وصلت وحدة تنفيذ الأحكام، طلب النورسي أن يمهلوه خمس عشرة دقيقة "يؤدي فيهن ما فرض عليه." وكان ذلك ليتوضأ ويصلي ركعتين. ووصل الجنرال الروسي إلى مسرح الأحداث ليرى النورسي وهو يؤدي صلاته، وفجأة شعر بالجرم الذي ارتكبه في حق النورسي فقال له عندما فرغ من صلاته: "سامحني! لقد ظننت أنك فعلت ذلك بقصد إهانتي ولذا فعلت ما فعلت. أما الآن فقد عرفت أنك تفعل ما يأمرك به دينك، لقد ألغيت الحكم الصادر ضدك، لا بد وأن نثني عليك ثباتك على الدين. وأعتذر عما بدر مني للمرة الثانية."[٦١] يذكر النورسي هذه الحادثة في مصنفاته حيث كانت تعبيرا عن شجاعة النورسي الفائقة واحترامه الشديد للإسلام في خطاب بعث به إلى أحد

(٦١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٣١؛ والشعاعات، ص ٥٧١.

تلامذته حيث كان قد كتبه أثناء اعتقاله في سجن "أفيون" عام ١٩٤٩. هذا وقد نشرت هذه القصة على صفحات الجرائد." فهو يقول: "إن الحادثة التي وقعت عندما كنت أسير حرب حادثة حقيقية ولكني لم أستطرد في الحديث عنها إذ لم يكن معي شهود عليها." وعلى أي حال فأنا لم أكن على وعي بقدوم فرقة تنفيذ الأحكام التي أتت لإعدامي ولكنني علمت ذلك مؤخرا، كما أنني لم أعرف أن القائد الروسي قد اعتذر عما بدر منه ببعض الكلمات الروسية؛ ذلك أن القائد المسلم الذي شهد هذه الواقعة والذي أخبر الصحف عن هذه الحادثة قد فهم من كلام القائد الروسي تكراره لعبارة: "سامحني! "سامحني!"[٦٢]

وفي ربيع ١٩١٨ تمكن النورسي من الهرب في خضم الفوضى التي أحدثتها الثورة البلشفية، وأورد في سنوات متأخرة في كتاباته وصفا مثيرا لـ"يقظة روحية" حيث أشار فيه إلى ظلمة أيام الشتاء التي سبقت هربه وكيف تسنى له الهرب من ذلك المعتقل بهذه السهولة البالغة. يجدر بنا قبل أن نسهب في الحديث عن هذه القصة أن نشير إلى أنه حتى عام ٢٠٠٢ كانت هناك سيدة تترية تبلغ من العمر سبعة وتسعين عاما في مدينة "قصتورما" والتي اعتادت - حينما كانت في الثامنة من عمرها - أن تراقب النورسي من شرفة المسجد الواقع في مدينة "فولجا"، وكانت هذه السيدة، وتدعى "عائشة أبا" ابنة ماميتيوا، تعيش بجوار المسجد وكانت دائما تراقب "الكولونيل" وهو يؤدي صلاته فيه. وكان يرتدى في المسجد زيا مخالفا لما يرتديه في سائر يومه؛ إذ كان يرتدي عمامة وعباءة وقلنسوة من الفراء.[٦٣] وجاء وصف النورسي على النحو التالي:

> كنت أسيرا أثناء الحرب العالمية الأولى، في مدينة قصية، في شمال شرقي روسيا تدعى "قوصتورما ". كان هناك جامع صغير للتتار على حافة نهر فولغا المشهور... كنت ضجرا من بين زملائى الضباط الاسرى، فاثرت العزلة، الا انه لم يكن يسمح لي بالتجول في الخارج دون اذن ورخصة، ثم سمح لي بان اظل في ذلك الجامع بضمانة اهل حي التتار وكفالتهم فكنت انام فيه وحيدا ، وقد اقترب

(٦٢) النورسي، الشعاعات، ص ٥٧٠.

(٦٣) Şahiner, *nur macmuasi, nisan*, 2002

الربيع، وكانت الليالي طويلة جدا في تلك البقعة النائية.. كان الارق يصيبني كثيرا في تلك الليالي الحالكة السواد ، المتسربلة باحزان الغربة القاتمة ، حيث لا يسمع الا الخرير لنهر فولغا ، والاصوات الرقيقة لقطرات الامطار في صفير الرياح .. كل ذلك ايقظني – مؤقتا – من نوم الغفلة العميق

ورغم انني لم اكن اعد نفسي شيخا بعد ، ولكن من يرى الحرب يشيخ، حيث ايامها يشيب من هولها الولدان ، وكان سرا من اسرار الاية الكريمة ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ (المزمل ١٧) قد سرى فيها. ومع انني كنت قريبا من الاربعين الا انني وجدت نفسي كانني في الثمانين من عمري ..

في تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة ومن واقعي المؤلم الاليم ، جثم على صدري ياس ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلما التفت الى عجزي وانفرادي انقطع رجائي واملي . ولكن جاءني المدد من القران الكريم.. فردد لساني: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران ١٧٣). وقال قلبي باكيا: "أنا غريب.. انا وحيد .. انا ضعيف.. انا عاجز .. انشد الامان .. اطلب العفو.. اخطب العون ..في بابك يا الهي.

أما روحي التي تذكرت أحبابي القدامى في بلدي، وتخيلت موتي في هذه الغربة، فقد تمثلت بابيات نيازي المصري، وهي التي تبحث عن صديق:

مررت بأحزان الدنيا، وأطلقت جناحي

للحرمان

طائرا في شوق، صائحا في كل لحظة:

صديق! ... صديق...!

على أي حال.. فقد أصبح "عجزي" و"ضعفي" في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقة والغربة وسيلتين للتقرب إلى عتبة الرحمة الإلهية، وشفيعين لدى الحضرة الالهية ، حتى أنني لا أزال مندهشا كيف استطعت الفرار بعد أيام قليلة وأقطع بصورة غير متوقعة مسافة لا يمكن قطعها مشيا على الأقدام إلا في عام كامل، ولم أكن مُلمّا باللغة الروسية. فلقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيّرة، بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناء على عجزي وضعفي، ووصلت استانبول مارا بـ"وارشو" و "فيينا " وهكذا نجوت من ذلك الأسر بسهولة تدعو إلى الدهشة؛ حيث أكملت سياحة الفرار الطويلة بسهولة ويسر كبيرين، بحيث لم يكن لينجزها أشجع الأشخاص وأذكاهم وأمكرهم ممن يلمّون باللغة الروسية.

ولكن حالتي في تلك الليلة التي قضيتها في الجامع على ضفاف" فولغا" قد الهمتني هذا القرار :

"ساقضي بقية عمري في الكهوف والمغارات معتزلا الناس .. كفاني تدخلا في امورهم .ولما كانت نهاية المطاف دخول القبر منفردا وحيدا ،فعلي ان اختار الانفراد والعزلة من الان ،لاعود نفسي عليها .."

نعم هكذا قررت ..ولكن –و يا للاسف- فان احبابي الكثيرين المخلصين في استانبول ،والحياة الاجتماعية البهيجة البراقة فيها ولا سيما ما لا طائل فيه من اقبال الناس والشهرة والصيت .. كل ذلك انساني قراري ذلك لفترة قصيرة . فكانت ليلة الغربة تلك هي السواد المنور البصير لعين حياتي ، ، وكان النهار البهيج لحياة استانبول هي البياض غير البصيرلعين حياتي.فلم تتمكن تلك العين من رؤية البعيد ،بل غطت ثانية في نوم عميق ،حتى فتحها الشيخ الكيلاني بكتابه "فتوح الغيب" بعد سنتين.[٦٤]

---

(٦٤) النورسي، اللمعات، ٣٦١؛ وانظر الفصل الثامن، هامش ٢٥ لمزيد عن كتاب فتوح الغيب.

الفصل السابع

سنوات الهدنة (١): التعيين بدار الحكمة الإسلامية ومعارضة الإنجليز

رحلة الهروب والعودة

لا توجد رواية تفصيلية عن رحلة هرب النورسي وعودته إلى استانبول، ولم يَسْمح لابن أخيه عبد الرحمن بالإفصاح عن شيء يخص هذه الرحلة سوى بعض الحقائق المختصرة، وهي أنه "قد نجح في الوصول إلى مدينة "بطرسبورج" عقب هربه من قوصتورما، وبعدها إلى مدينة "وارسو"، وأخيرا إلى مدينة "استانبول" عن طريق "فيينا"، وهكذا نجا من الأسر.[١] ومع ذلك لم تكن الرحلة مباشرة أو خاطفة؛ حيث يُظهر وصفه لليالي الطويلة في المسجد قرب نهر الفولجا وقد أوشك الربيع على الرحيل، أن تاريخ هربه الذي وقع "عقب ذلك بأيام"، لا يتأخر عن شهري مارس وأبريل، وأنه لم يعد إلى استانبول إلا بعد ٢٠ يونيو ١٩١٨. علاوة على ذلك، أوردت إحدى المصادر أنه قد قام بزيارة لمدينة برلين،[٢] بينما تنقل سيرته الذاتية "الرسمية"[٣]، وكذلك أخوه "عبد المجيد"[٤] أنه عاد "عن طريق ألمانيا"،[٥] وحيث إن النورسي قد تمكن من

---

(١) عبد الرحمن، تاريخجه حياة، ص ٣٨.

(٢) *Nursi, Risale-i Nur Külliyatı*.2:2136

(٣) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٣٣.

(٤) *Hatıra Defteri,17*، نقلا عن Badıllı, *Nursi,* 1:419

(٥) يزعم جمال قوطاي أنه أقام في برلين ونزل بفندق Adlon لمدة شهرين، بعد أن لجأ إلى الألمان على الحدود البولندية، Kutay, *Çağımızda* 84 إلا أن قوطاي أهمل ذكر مصادره في ذلك.

الهرب والقيام برحلته في سهولة بالغة على حد قوله، فلا بد وأنه قد قضى بعض الوقت في مكان ما على الطريق، إلا أنه لا توجد أي إشارة لذلك في أيٍ من أعماله،[٦] وعلى كلٍ ففي يونيو ١٩١٨ عاد النورسي إلى استانبول مرورا بمدينتي "فيينا" و "صوفيا"، مستخدما القطار في المرحلة الأخيرة من رحلته. وفي صوفيا قام الملحق العسكري بإعطائه جواز سفر، تاريخه ١٧ يونيو ١٩١٨م، ونجد في صفحته الأولى هذه البيانات عن النورسي:

الاسم: سعيد مرزا أفندي
(ضابط برتبة مقدم)
السرية: فرقة سلاح الفرسان الكردية المتطوعة
الجنسية: عثماني
مكان المغادرة: صوفيا
الوجهة: استانبول
سبب الرحلة: العودة من الأسر
التاريخ: ١٧ يونيو ١٩١٨.

---

(٦) هناك دليل عرضي يوضح أن النورسي قد عمل لصالح المخابرات بجهاز التشكيلات المخصوصة أثناء أسره، حتى ولو كان دليلا ضعيفا؛ إذ يستشهد جمال قوطاي بما كتبه طلعت باشا تحت عنوان مذكرات طلعت باشا في المنفى، والتي أعدها هو نفسه للنشر، فيزعم قوطاي أنه بينما كان النورسي رهين الأسر، وكان حينئذٍ عضوا في التشكيلات المخصوصة، فقد أرسل معلومات إلى الحكومة العثمانية تتعلق بظروف روسيا، ويتنبأ بالثورة الروسية، *Zaman Gazetesi* [Istanbul] Ocak 29-1992، نقلا عن *The Author of the Risale-i Nur, Bediuzzaman Said Nursi,134-135* . وحتى لو لم تكن هذه الادعاءات ثابتة، فعندما نأخذ في الاعتبار الحقائق المستخلصة من المصادر المتاحة حتى الآن، يبدو من الممكن بالتأكيد أنه قد أمد الحكومة العثمانية أو أنور باشا على أي حال بالمعلومات الأصلية التي استطاع تحصيلها، وكان الأعضاء القياديون في كل من جمعية الاتحاد والترقي والتشكيلات المخصوصة يزورون برلين باستمرار أثناء الحرب، وكان منهم محمد عاكف، وعبد العزيز جاويش، علاوة على ذلك، فقد كانت التشكيلات المخصوصة تعمل بنشاط كبير بين مسلمي القوقاز وجورجيا منذ بداية الحرب، راجع: *Teşkilat-ı Mahsusa'dan Cumhuriyete,157-164*، وفي أعقاب الثورة الروسية توسعت التشكيلات المخصوصة في أنشطتها حتى شملت كل أنحاء روسيا، ومثل تلك العمليات السرية للغاية كانت تنظمها السفارة العثمانية في استوكهلم، بالتعاون مع القوات السرية الألمانية، وبُعث بالكاتب والناشط الإسلامي الروسي الشهير عبد الرشيد إبراهيم إلى استوكهلم كمدير للعمل. راجع: *Teşkilat-ı Mahsusa'dan Cumhuriyete,166-168* ، ولمزيد من التفصيل عن نشاطاته، راجع: *TDVİA*، S. V. ، "عبد الرشيد إبراهيم."

ويحمل الغلاف الخلفي للجواز صورة للنورسي أخذتها له السلطات الألمانية، ويشير لتحمل الجيش أجرة القطار.(٧)

أعلنت العديد من الصحف نبأ وصول النورسي لاستانبول، وحملت جريدة طنين الصادرة في ٢٥ يونيو ١٩١٨ هذا النبأ الموجز: وصل مؤخرا إلى مدينتنا بديع الزمان سعيد أفندي الكردي، أحد العلماء الأكراد الذي قاتل مع طلابه على جبهة القوقاز، ووقع أسيرا في أيدي الروس."(٨)

استانبول

استقبلت استانبول النورسي استقبال الأبطال، فقدمه أنور باشا للقيادات العسكرية العليا في وزارة الحربية بقوله: أترون هذا الشيخ؟ هذا هو الشخص الذي قاوم القوزاقيين الروس في الشرق! وتلقى دعوات الاستضافة من أبرز الباشاوات وعلية القوم، وقام بزيارته بعض منهم، وعُرض عليه العديد من المناصب والامتيازات، ومنح وسام الحرب. ويتذكر الملا سليمان، أحدُ تلاميذ النورسي، الحوار الآتي بين أنور باشا والنورسي، فيقول:

> قرأت في جريدة طنين عن عودة النورسي، وعليه فقد قمت بزيارته في مسجد السلطان أحمد وقبلت يده، وبعد ذلك قام أنور باشا، وزير الحربية، بدعوته إلى مبنى وزارة الحربية، وقال له: كيف حالك؟ ماذا تفعل هذه الأيام يا شيخ؟ فأجابه النورسي: إن كنت تنوي تقديم منصب دنيوي ثانية، فلا يمكنني قبول ذلك، أما إن كان ما يتصل بالمعرفة والتعلم، فالأمر يختلف حينئذ، على أن ما يعوزني الآن هو الراحة، فلقد تعرضت لمعاملة قاسية خلال الأسر، وقاسيت محنة عظيمة.(٩)

انضم إلى النورسي عبد الرحمن ابن أخيه الأكبر عبد الله، ويرجح أنه أحضر معه نسخة جيدة من إشارات الإعجاز من الشرق، والذي كتبه النورسي أثناء الحرب؛(١٠) حيث شرع في العمل على نشره بمجرد عودته. وفي محاولةٍ

(٧) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 108-109

(٨) Şahiner *Bilinmeyen.*189-190,

(٩) المرجع السابق، ص ١٩٠-١٩٤.

(١٠) في ذات الوقت الذي وقع فيه النورسي أسيرا اثناء سقوط بتليس في مارس ١٩١٣، كان أخوه عبد المجيد يكتب نسخة جيدة في منزل جودت بك حاكم "وان"، بمنطقة ديار بكر. راجع: النورسي، إشارات الإعجاز، ص ١٧٨و ٢٨٩.

لإظهار مدى تقديره لكتابه بالإضافة إلى جهوده وجهاده في الحرب، عرض أنور باشا القيام بنشر ذلك الكتاب، فرفض النورسي العرض، واقترح أن يقوم بتوفير الورق اللازم لذلك، فلم يكن من اليسير العثور على ورق في تركيا وقت الحرب، وعلى ذلك قام أنور باشا بتوفير الورق اللازم لنشر إشارات الإعجاز وقام النورسي بنشره.(١١) وقد ظهرت إعلانات الجزء الأول منه في صحيفة اعتصام مجموعه سي، أعداد ٥ و ٦ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩١٨، وصحيفة "جن"، في عددها الصادر في ١٦ يناير ١٩١٩. وقام مكتب شيخ الإسلام بتوزيعه على كل المفتين في مختلف المناطق،(١٢) واحتفي به احتفاء كبيرا.

وتشير النسخة الأصلية من كتاب النورسي التي كتبها بخط يده أنه كان يقوم خلال الأسابيع الأولى عقب عودته بالتجول يوميا وقت الأصيل حول متنزه على مقربة من مسجد السلطان أحمد في قلب استانبول القديمة، وشوهد عليه الاستغراق في فكر جدير بالتبجيل. وفي هذه الفترة، وقبل تحوله إلى سعيد الجديد، كان لا يزال يرتدي زيه التقليدي الذي يرتديه أهل شرقي الأناضول، فعليه عمامة من نسيج رائع، ملفوفة حول قبعة سوداء، يتدلى طرفها على إحدى كتفيه، حيث بدا مهيبا للغاية.(١٣) وقد أقام أولا في منطقة أيوب، ثم في الفاتح، ووزنه جلر، ثم أخيرا في جامليجا، وهو تل شهير على الجانب الأسيوي من مضيق البوسفور، كان النورسي يفضل دائما الأماكن المرتفعة الواسعة التي تشرف على مناظر خلابة، وهنا أقام النورسي في منزل قديم يُدعى قصر يوسف عز الدين باشا، ومن الراجح أن أنور باشا هو الذي خصصه له، ولكن لم تتح للنورسي فرصة للراحة واستعادة قواه، ففي ١٢ أغسطس عام ١٩١٨ تم تشييد دار الحكمة الإسلامية، حيث أقيمت بمشاركة مكتب شيخ الإسلام، وتم تعيين النورسي مرشحا للجيش دون علمه. وقبل مواصلة حديثنا نقدم هنا مجملا للأحداث الرئيسة في هذه السنوات المريرة حتى نفهم بصورة

---

(١١) النورسي، الشعاعات، ص ٤٧٤.

(١٢) Badıllı, *Nursi,* 1:443-444

(١٣) Tepedelenlioğlu."76 Yıl Evvelki Bir Hatıra " 243-249

أفضل المشاكل التي واجهتها تلك المؤسسة، وموقف النورسي منها، وكذلك كل أفكاره وأنشطته في ذلك الوقت.

مجمل الأحداث من ١٩١٨ حتى ١٩٢٢

لقد ضمن قادة لجنة الاتحاد والترقي زوال الإمبراطورية العثمانية نهائيا بإقحامها في لجة الحرب متحالفة مع دول المحور،[١٤] ففي حالة هزيمتها ستتمكن القوى المنتصرة، وخاصة بريطانيا، من تحقيق ما سعت إليه طويلا من تقسيم الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي هزيمة خصمها القديم: الأتراك. فعند سماع شروط هدنة موندرس، التي تم توقيعها بين تركيا وبريطانيا في ٣٠ أكتوبر من عام ١٩١٨، سُمع السلطان وهو يتمتم بقوله: "هذه ليست هدنة؛ إنها استسلام غير مشروط."[١٥] وفي اليوم التالي للتوقيع، هرب كبار الأعضاء بلجنة الاتحاد والترقي إلى برلين، وفي ١٣ نوفمبر وصل إلى ميناء استانبول أسطول تابع للقوى المنتصرة، وكان يضم ٥٥ سفينة بينها ٤ سفن يونانية، وهو الأمر الذي كان يخالف الاتفاقية، وفي ٨ ديسمبر تم إقامة إدارة عسكرية، وبينما لم يكن أشد إيلاما على الترك المسلمين من رؤية قوات الحلفاء تدخل مدينة استانبول منتصرة، فإن اليونان العثمانيين، واليهود، والأرمن من ساكني المدينة رحبوا بهم بحفاوة حتى إن اللواء الفرنسي، فرانشيه ديسبيريه، امتطى جوادا أبيض عبر شوارع استانبول إلى أن وصل إلى مبنى السفارة الفرنسية، كما لو كان أحد الملوك أو الأباطرة الفاتحين.[١٦]

هذا، وقد تم توقيع عدد من الاتفاقات السرية أثناء الحرب بين قوات الحلفاء بشأن تقسيم الإمبراطورية العثمانية،[١٧] وعندما تخلت روسيا عن مطالبها إثر اندلاع الثورة البلشفية عام ١٩١٧، حلت إيطاليا محلها، وعندما قام فنزيلوز رئيس الوزراء اليوناني بتحرك مناسب بإشراك بلده في الحرب في العام نفسه، كان ذلك

---

(١٤) انظر: الفصل الأول من *A Peace to End all Peace*. D. Fromkin

(١٥) Bahadiroğlu .*Osmanlı Padişahlar Ansiklopedisi,* 3:783

(١٦) İnal *Son Sadrıazamlar* 4:1717-18,

(١٧) Shaw and Shaw ,*History,* 2:320

مقابل وعد بحصوله على إزمير وعلى جزء من الأراضي التركية على بحر أيجة، وكان الإيطاليون قد تلقوا وعدا بالحصول على المنطقة نفسها.

ولذلك فإنه بتوقيع الهدنة، احتل الفرنسيون أجزاء من جنوب وجنوب شرقي تركيا، ودخلت جيوشهم استانبول في فبراير عام ١٩١٩ كما ذُكر آنفا، وفي ٢٩ أبريل وصلت القوات الإيطالية إلى أنطاليا. أما البريطانيون فأحكموا سيطرتهم على مضيق الدردنيل، وعلى أماكن أخرى ذات أهمية استراتيجية، وتم وضع الخطط لإقامة دولة كردية في شرقي الأناضول، وتأهب الأرمن لإقامة دولة أرمينية في شمال شرقي تركيا، أما اليونانيون بمنطقة البحر الأسود فكانوا يهدفون إلى إحياء دولة بونتس اليونانية، والواقع أن الهدف الحقيقي لفنزيلوز والكثير من اليونانيين كان يتمثل في تأسيس إمبراطورية بيزنطية أعظم في مدينة استانبول، وهي العاصمة القديمة: القسطنطينية، وعندما نزل الجيش اليوناني بإزمير في ١٥ مايو عام ١٩١٩ بمساعدة السفن الحربية الفرنسية والإنجليزية والأمريكية، كان ذلك هو الشعلة التي أوقدت نار المقاومة ضد الغزاة بين مسلمي الأناضول،[١٨] وبعد أكثر من ثلاث سنوات من الكفاح والحرب، تخلصت بلادهم من كل المعتدين.

ولكن لم تكن هناك جبهة موحدة في مواجهة الاحتلال، وبينما تمركزت مختلف المجموعات في الأناضول مشَكّلة القوات الوطنية المقاتلة هناك، والتي كان لها الكثير من الأنصار في استانبول من بينهم النورسي، كان بعض نواب البرلمان، والسلطان، والعديد من رجال الحكم والعلماء البارزين يعارضونهم، معتقدين أن أفضل الطرق لخدمة مصالح الدولة العثمانية تكمن في التعاون والتنسيق مع القوى المحتلة. وعندما أصبح لأنصار القوات الوطنية قوة في استانبول، ولوحظ تواجدهم في البرلمان الجديد الذي افتتح في يناير عام ١٩٢٠، أدى ذلك إلى إعادة احتلال القوات البريطانية للمدينة في مارس،

---

(١٨) *Lewis ,Emergence of Modern Turkey,241-242* ؛ 145, 154، Zürcher *Turkey*؛ ، *Unionist Factor 105* Zürcher ، ويقرر Zürcher أن الغزو اليوناني كان له أثر كبير في تعبئة الرأي العام اليوناني في غرب الأناضول.

والقيام بحملات اعتقال وترحيل واسعة النطاق،[١٩] وفي الشهر التالي قام السلطان بحل البرلمان تحت ضغط البريطانيين الكبير عليه، وتم استصدار فتوى من شيخ الإسلام عُين خصيصا لذلك، تفيد بأن الوطنيين متمردون ومن الواجب قتلهم،[٢٠] وإثر ذلك تم تشكيل جيش لمحاربتهم.

أعقب ذلك تشكيل مجلس تمثيل نيابي جديد في أنقرة التي أصبحت مركزا للحركة القومية، وافتتحت الجمعية الوطنية التركية العليا رسميا في ٢٣ أبريل عام ١٩٢٠، إلا أن القضية الوطنية لم تحظ بتأييد الشعب التركي بالإجماع إلا عندما وافقت حكومة استانبول على التوقيع على معاهدة سيفر في أغسطس عام ١٩٢٠،[٢١] جراء سخطهم على توقيع تلك الوثيقة البغيضة التي كان محتواها يضفي الشرعية على تقسيم تركيا بين القوى المنتصرة، وإخضاع وحدتها وسيادتها السياسية،[٢٢] ولذا عزموا على تحرير بلادهم من الغزاة الأجانب.[٢٣] ومع أن وصف حرب الاستقلال لا يقع في مجال هذا الكتاب، إلا أنه يمكن الإشارة إلى أن الأتراك قد خاضوا العديد من الحروب منذ عام ١٩٠٩، وفي عام ١٩٢٠ بلغ منهم التعب والفقر مبلغا عظيما، وهلك قطاع كبير من الذكور. ومن الراجح أن الجيش العثماني تم حله ونزع أسلحته من قبل القوى المنتصرة في أعقاب الهزيمة،[٢٤] وعلى خلاف كل التوقعات فقد حقق الأتراك نصرا جد عظيم مستلهمين بإيمانهم بالله وعقيدة الإسلام، والواقع أن الدين ورجال الدين قد لعبوا دورا عظيم الأهمية في الحرب، التي أعلنوها جهادا، وكان أحد الأهداف الرئيسة التي كان الجميع يهدفون إلى تحقيقها بما فيهم حكومة أنقرة، هو إنقاذ الخليفة والسلطان من أيدي الأعداء،[٢٥] واعترف بانتصارهم في هدنة مودانيا، الموقعة

---

(١٩) Hale. *Turkish Foreign Policy,47* ؛ Macfie,. *The End of the Ottoman Empire,194*

(٢٠) .*Zürcher ,Turkey 158* ؛ Mısıroğlu; ،*Kurtuluş Savaşında Sarıklı Mücahitler, 297-298*

(٢١) انظر: *Atatürk*. P. Kinross

(٢٢) Jung and Piccoli ،*Turkey at the Crossroads 63*

(٢٣) Bahadıroğlu ،*Osmanlı Padişahlar Ansiklopedisi 3:778*

(٢٤) في الحقيقة كانت هناك مقاومة لحل الجيش وإعاقة لاستسلام القوات والذخيرة قادها صغار الضباط الأتراك في الجيش، انظر: *Unionist Factor110,110 ; Zürcher،Turkey155*

(٢٥) *Turkey at the* ؛ *Lewis* ،*Emergence of Modern Turkey 251,402* ؛Berkes,*Türkiye'de Çağdaşlaşma 46* Jung and Piccoli ،*Crossroads,69*

بين بريطانيا وتركيا في ١١ أكتوبر عام ١٩٢٢، كما تم الاعتراف بها دوليا في معاهدة "لوزان"، الموقعة في ٢٤ يوليو ١٩٢٣.

لم يكن الانتصار التركي في حرب الاستقلال ليحبط المخططات الإمبريالية لعدد من القوى الأوروبية ببساطة، فكما عرضنا سابقا يجب النظر للأمر من منظور أوسع: لقد ظل الأتراك حماة للعالم الإسلامي ضد الغرب المسيحي مدة ألف عام، وكانت كلمة "تركي" ترادف كلمة "إسلام". وعندما كانوا منتصرين على الغرب، كان ذلك باسم الإسلام، وعندما تكبدوا الهزيمة، كان ذلك عى حساب الإسلام الذي كانوا يمثلونه، والذي كانت توجه له الضربات في الكثير من الأوقات. وعندما فشل العثمانيون في مواكبة التقدم المادي للغرب، وأصبحوا خاضعين له بصورة متزايدة، تم تفسير ذلك من قبل أوروبا المسيحية كبرهان على تفوق المدنية الغربية، كما اتخذ نوعا من التبرير لطمعهم، حيث إنهم تنافسوا فيما بينهم على تدمير مملكة "رجل أوروبا المريض".

لقد وصف أحد الكتاب الفرنسيين المعاصرين البريطانيين بأنهم "ألد أعداء الهلال"،[٢٦] وأن الإسلام كان يشكل أكبر عقبة للإمبريالية البريطانية، وقد نجحت إلى حد ما سياسة الخليفة العثماني وحركة الوحدة الإسلامية في مقاومة الجهود الرامية إلى غزو العالم الإسلامي وإخضاعه وتقسيمه، وكانت ثورة العرب ضد العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من إقامة دول عربية منفصلة، إحدى نتائج حملات الدعاية والتجسس القوية والمكثفة التي قامت بها بريطانيا ضد العثمانيين،[٢٧] ومن ثم فقد نظرت القوى المنتصرة إلى هزيمة العثمانيين عام ١٩١٨ باعتبارها الانتصار النهائي للغرب على الإسلام، وانتصار المدنية الغربية على المدنية الإسلامية، وانتصار الصليب على الهلال. وينبغي أن ننظر إلى احتلال مدينة استانبول في ضوء ذلك،[٢٨] كما

---

(٢٦) *Istanbul under Allied Occupation14*، Criss نقلا عن *New York Times*، عدد ٢٢ أبريل، ١٩٢٠، ص ١، ط. ٣.

(٢٧) *"Said Nursi and Britain's Psychological Warfare,30-43* Öke

(٢٨) *History, 2:329*، Shaw and Shaw

يجب أن يتذكر المرء الشروط القاسية للغاية لمعاهدات السلام، والتي كانت أشد قسوة من التي تم فرضها على باقي الأمم المهزومة،[٢٩] إلا أن رغبة البريطانيين والفرنسيين على وجه خاص في الانتقام لأنفسهم من عدوهم القديم لم تتوقف عند هذا الحد، فقاموا بتعيين مسئولين لرقابة الوزارات المختلفة، ولم تكن الحكومة سوى مجرد دمية؛ وحيث ظلوا لسنوات عديدة يحثون الأقليات المسيحية على التمرد ضد الدولة العثمانية، فإنهم الآن مضوا في تشجيعهم على احتلال مناصب السلطة في الحكومة المحلية ومسئولي الدولة، ووصل هذا التمييز ضد الأتراك المسلمين في بلدهم إلى الحد الذي أصبح فيه الالتحاق بالمدارس الحكومية قاصرا على أولاد المسيحيين، وقام الأرمن واليونانيون بذبح الآلاف من المسلمين، وكانت القوات المحتلة تغض الطرف عنهم.[٣٠]

هناك الكثير من المشاكل التي تتعلق باحتلال الجيوش الأجنبية، لكننا نرى أن الموقف في هذه الحالة قد تفاقم جراء رغبة القوى المنتصرة في ترسيخ بقائها، فلم تكن مجرد مرارة الهزيمة وتجاوزات القوات المحتلة، التي كانت تسترخي في "أماكن اللهو بالقسطنطينية"، هي كل ما يجب احتماله؛ فقد كانت هناك سياسة التنصير الماكرة من خلال محاولات تكذيب الإسلام، واستنزاف النسيج الخلقي للأتراك من خلال تشجيعهم المتعمد على ممارسة الفاحشة، وشرب المسكرات، و"مفاسد المدنية" الأخرى، وكما أخبر النورسي فيما بعد نواب الجمعية الوطنية العليا: "على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي منذ مدة مديدة فانه لم يتغلب عليه دينياً مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية وفلسفته وعلمه ومبشّريه.."[٣١] بيد أن الفرصة تبدو سانحة الآن لمواصلة السعي نحو تحقيق هذا الهدف المشئوم.

---

(٢٩) Tunaya ،*Türkiye'de Siyasal Partiler,2:27*

(٣٠) Shaw and Shaw ،*History, 2:329*

(٣١) النورسي، المثنوي العربي النوري،ص ٢٠٢ .

النورسي ودار الحكمة الإسلامية

يمكن أن ندرك من الوصف السابق كم كانت الحاجة ملحة لوجود هيئة علمية لها صلاحيات دار الحكمة الإسلامية، وقد تم تقديم مشروع قانون إنشائها للبرلمان في مطلع العام،[٣٢] وكان من المنتظر أن تؤدي دار الحكمة الإسلامية وظائف مختلفة؛ حيث تم إنشاؤها لإيجاد حلول للمشكلات التي تواجه العالم الإسلامي، لذا كان عليها الرد بطريقة علمية على الهجمات التي يتعرض لها، ومواجهة محاولات التشكيك في الإسلام، وكان من صلاحياتها إحالة الازدراء العلني للأخلاق الإسلامية إلى السلطات المختصة. علاوة على ذلك، كان عليها خدمة مسلمي تركيا بالرد على أسئلتهم، وإعلامهم بالمخاطر الداخلية والخارجية، وتلبية احتياجاتهم الدينية من خلال الإصدارات المختلفة؛ ولإدراك هذه الغاية اُفتتحت فروع للدار في كل الأقاليم والمدن الرئيسة. كانت دار الحكمة تتكون من تسعة أعضاء؛ ورئيس، ومسئولين متعددين، وعُين محمد عاكف أول سكرتير (باش كاتب) وقُسم الأعضاء - وهم جميعا من العلماء البارزين - إلى ثلاث لجان: لجنة الفقه، ولجنة الأخلاق، ولجنة علم الكلام،[٣٣] وظل النورسي عضوا بدار الحكمة الإسلامية مدة الأربع سنوات التي تشكل عمرها القصير؛ فقد أغلقت الدار في نوفمبر ١٩٢٢ عند إلغاء السلطنة على يد حكومة أنقره، ورغم الحاجة لدار الحكمة الإسلامية وجهود أعضائها، إلا أن الموقف حال دون أن تنجز كل أهدافها كما سنرى.

لا يزال هناك عدد من وثائق دار الحكمة الإسلامية التي تذكر النورسي. وفيما يلي نص مذكرة شيخ الإسلام المتعلقة بتعيينه *مخرجا*،[٣٤] ومرسوم

---

(٣٢) كانت دار الحكمة جزءا من سلسلة إجراءات إصلاحية شرع في تنفيذها عام ١٩١٦، وكان ضياء كوك الب أول من بدأها، وقد نظمت بهدف حصر دور المؤسسات الدينية في أمر الدين، وعزل شيخ الإسلام عن السياسة، والمحاكم الشرعية، والأوقاف، والتعليم. *Development of Secularism, 415-416*، Berkes ، وللمزيد عن فكر كوك الب، انظر: *Turkish Nationalism and Western Civilization*؛ Gökalp *Principles of Turkism*. Gökalp

(٣٣) *Son Devrin İslam Akademisi, 7-9*، Albayrak

(٣٤) كانت درجة المخرج *Mahrec* واحدة من درجات العلماء أو المؤسسة الدينية، وعرفت أيضا

الخليفة بالتصديق على هذا التعيين:

أولا: طلب وزارة الحربية تعيينه، والذي وقعه أنور باشا، وأحاله في مذكرة لشيخ الإسلام:

تقديرا لجهوده الوطنية في تعبئة القبائل للقتال، وخدماته العامة المتميزة والمشهود لها، نرجو التكرم بالموافقة على تعيين بديع الزمان سعيد أفندي بالمؤسسة الدينية في منصب يتوافق مع سمو علمه؛ حيث شارك في القتال ضد الروس في بتليس وسقط أسيرا.

١٠ أغسطس ١٣٣٤هـ (١٠ أغسطس ١٩١٨)

نائب القائد العام ووزير الحربية

أنور[٣٥]

مكتب شيخ الإسلام/212

السيد الموقر/

لقد أحيطت وزارة الحربية الموقرة علما بأن بديع الزمان النورسي، الذي شارك في المعركة ضد الروس في بتليس، وسقط أسيرا وأُعيد مؤخرا، تم تكريمه بتبوّء مكانة في المؤسسة الدينية تقديرا لجهوده الوطنية في تعبئة القبائل للقتال وخدماته العامة المتميزة والمشهود لها من أجل الوطن. وقد شرع في طلب صدور المرسوم السلطاني بالتصديق على تشريف المذكور المعين مؤخرا بدار الحكمة الإسلامية بتبوء منصب مخرج وتم تقديم الطلب، وعلى كلٍ فإن مرسوم الخليفة السلطاني مهتم بهذا الشأن، ومن الجلي لمعاليكم أن الأمر سيجري تنفيذه بسرعة.

١٧ ذو القعدة ١٣٣٦هـ / ٢٤ أغسطس ١٣٣٤ (٢٤ أغسطس ١٩١٨)

شيخ الإسلام

موسى كاظم

بمخرج مولوياتي *mahrec mevleviyeti*، وكانت تعلو درجة كبير المدرسين *kibar-ı müderrisin* ، وتعلوها درجة خمس مولويات البلاد *bilad-ı hamse mevlevieyeti*، وكانت درجة مخرج تعدل درجة بين الدرجات المدنية، وكذلك تعدل رتبة مقدم بين الرتب العسكرية. Şahiner ،*Bilinmeyen,199.*

(٣٥) Albayrak ،*Yürüyenler ve Sürünenler, 148-149*

مكتب شيخ الإسلام
محمدوحد الدين
يُمنح بديع الزمان سعيد أفندي – عضو دار الحكمة الإسلامية - منصب المخرج، وعلى مكتب شيخ الإسلام تنفيذ ما جاء بالمرسوم السلطاني.
١٨ ذو القعدة ١٣٣٦هـ/ ٢٥ أغسطس ١٣٣٤
شيخ الإسلام
موسى كاظم(٣٦)

سبق أن ذكرنا أنه كان في رفقة النورسي عند عودته إلى استانبول ابن أخيه عبد الرحمن (١٩٠٣-١٩٢٨)، ورغم صغر سنه آنذاك - فلم يكن يتجاوز الخامسة عشرة من عمره- إلا أنه كان صبيا ذكيا وماهرا، وقد وصفه النورسي بأنه تلميذ ومعين وصديق وكاتب وابن روحي. لازم عمه سنوات عديدة كتب خلالها سيرته، وتقع في خمس وأربعين صفحة، وتشكل المصدر الأساسي لحياة النورسي المبكرة، وقد نشرت في استانبول عام ١٩١٩،(٣٧) وفيما يلي قطعة من ملحق لها يصف تعيين النورسي في دار الحكمة الإسلامية مع شيء عن موقفه من ذلك وأنشطته على أثر ذلك:

لقد وصفت بإيجاز حياة عمي سعيد الكردي مؤلف "*مجموعة اللمعات*" في عمل مستقل؛ حيث عهدوا إليه في العامين والنصف السابقين بمهمة القيام بدار الحكمة الإسلامية، وقد اعتاد أن يقول: "كنت سأدع هذا الأمر، إلا أنني أريد أن أسطر سيرة للأمة"، وأنا الآن أكتب كلمات معدودات عن الطريقة التي سطر عمي بها سيرته خلال أدائه لمهامه بدار الحكمة الإسلامية:

حدث منذ عامين في عام ١٣٣٤ (١٩١٨) أن عُين عمي عضوا في دار الحكمة الإسلامية دون موافقته، ولكن جراء ما قاساه في الأسر، فقد نال إذنا بعدم القيام بمهام وظيفته،(٣٨) وحقيقة فقد حاول الاستقالة مرارا، إلا أن أصدقاءه لم يدعوه؛ لذا استمر في عمله، ومضى عليه الآن في وظيفته عامان ونصف العام.

---

(٣٦) Albayrak, *Son Devrin İslam Akademisi* ملحق غير مرقّم *Bilinmeyen,199-206*، Şahiner
(٣٧) عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي.
(٣٨) في الحقيقة، لقد حضر النورسي اجتماعات دار الحكمة منذ بدء عملها في شهورها الأولى، حيث إن هناك الكثير من المضابط التي تحمل توقيعه في الملحق غير المرقّم في كتاب صادق البيرق، ويعود معظم هذه المضابط لعام ١٩١٨، وأُرخ آخرها في التاسع والعشرين من أبريل، ١٩١٩. Albayrak, *Son Devrin İslam Akademisi, 119*

لاحظت من البداية أنه لا ينفق على نفسه أكثر مما تستدعيه الضرورة، وفي جوابه على من سألوه: "لماذا تعيش حياة التقشف هذه؟" يقول: "أردت أن أعيش كمعظم المسلمين ممن لا يستطيعون أكثر من هذا. لا أريد أن أحيا كالقلة المترفة".[٣٩] كان يدخر أقل القليل من راتبه من دار الحكمة، ويمنحني الباقي ويوصيني بقوله: "اعتن بهذا"، ونظرا لحنانه عليّ، وازدرائه لمتاع الدنيا، فقد أنفقت ما عهد إليّ به من مال طوال عام دون أن أخبره، فكان أن قال لي: "ما كان لنا أن ننفق هذا المال، فهو مال الأمة، لماذا أنفقته؟[٤٠] ولكن طالما الأمر كذلك، فقد عزلتك من منصب نائب الإنفاق، وعينت نفسي!" وبعدها، جعل لي عشرين ليرة شهريا، ولنفسه خمس عشرة ليرة، وكانت ليراته الخمسة عشرة تتضمن نفقات أخرى، أي أن ما يتبقى له كان عشر أو اثنتا عشرة ليرة شهريا، وكان يدخر كل ما زاد عن ذلك.

مر بعض الوقت، وكان يفكر في طباعة اثني عشر عملا من أعماله في سبيل الدين، فاستخدم المال الذي ادخره، وهو حوالي ١٠٠ ليرة لتغطية نفقات الطباعة، ووزعها جميعا مجانا فيما عدا نسخة أو نسختين، فسألته عن سبب عدم بيعه لهما، فقال لي: "يجوز لي أخذ ما يكفي معاشي من راتبي، وما زاد على ذلك فهو ملك الأمة، وبهذا أوفي بما للأمة عليّ من دين."

مضت خدمته في دار الحكمة الإسلامية كلها في شكل جهود شخصية على هذا المنوال؛ حيث واجه عوائق معينة في العمل الجماعي هناك، أما من عرفوه فكانوا على وعي بأنه مضى حاملا كفنه ومخاطرا بحياته، وربما كان هذا هو سبب إصراره وثباته كالطود في دار الحكمة الإسلامية، فلم يكن النورسي ليسمح بأن تكون دار الحكمة أداة في أيدي الغرباء، فقاوم الفتاوى الخاطئة وعارضها، ومتى ما ظهر تيار يستهدف ضرر الإسلام، كان ديدن النورسي نشر عمل لدحضه وتقويضه.[٤١]

---

(٣٩) لمطالعة تقرير مؤسف عن الأسعار الفاحشة إبان الحرب، والمجاعة الشاملة لقطاع كبير من سكان استانبول، مع ترف وبذخ شرذمة قليلة من القادة الاتحاديين، وأذنابهم، انظر: *İki Komite İki Kital* ،Refik Altınay،*69*، ولمزيد عن الأزمة الاقتصادية التي أعقبت الحرب، انظر: *Istanbul under Allied Occupation,23.29*،Criss

(٤٠) نقل أحد تلاميذ النورسي في سنواته الأخيرة، قول النورسي بهذا الشأن: "بينما كنت في دار الحكمة تعودت الذهاب غدوا ورواحا إلى مكان كنا نقيم فيه قرب معبر إلى جانب أُسكدار ثم أصعد إلى جملجة، على بعد حوالي ستة كيلو مترات، ولكن اعتاد عبد الرحمن ودون علم مني أن يكري مركبة جياد، وكان ذلك سبب منعي له من القيام بعهدة الإنفاق المالي. Badıllı, *Nursi,1/440.*

(٤١) عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ص ٢٧.

جدير بالذكر وإتماما للفائدة، نذكر أن الشغل الشاغل لقوى الحلفاء عقب توقيع الهدنة (٣٠ أكتوبر ١٩١٨) واحتلال استانبول كان هو الإشراف على تنفيذ بنود الهدنة بما في ذلك تسريح الجيش العثماني، واستسلام القوات المسلحة، وتعليق توقيع اتفاقية السلام لإجبار السلطان والحكومة العثمانية بهذه الطريقة على الرضوخ لهيمنتهم ومخططاتهم المستمرة لتقسيم تركيا.[٤٢] ورغم فرار قادة لجنة الاتحاد والترقي، إلا أن مؤيديها وأعضاءها ظلت لهم اليد العليا في الجيش والبرلمان والمؤسسات الحكومية الأخرى، واشترط القادة السابقون قبل فرارهم شرطا لمقاومة الاحتلال في كل من استانبول والأناضول.[٤٣] خلف السلطانَ رشادَ (المتوفى في يوليو ١٩١٨) وحيدُ الدين الذي كان يعارض لجنة الاتحاد والترقي والكفاح الوطني بشدة، كما كان يؤيد جهارا حزب الحرية والوفاق الذي كان يرأسه صهره داماد فريد باشا.[٤٤]

شكل داماد فريد باشا خمس وزارات بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٢، ومع هذا كان حزب الحرية والوفاق دون تمثيل في البرلمان، وظل مفتقرا لأساس يستمد منه القوة والسلطة، وكان سبب بقائه الوحيد هو موقفه المعادي للاتحاديين ومعارضته للقوميين.[٤٥] وقد تشكلت هذه الوزارات "بمعونة القصر ومندوبي قوات الاحتلال"،[٤٦] وعملت على الأقل تحت ضغط قوى الاحتلال إن لم يكن بتوجيه منها،[٤٧] كما كان حزب الحرية والوفاق على تحالف وثيق مع أصدقاء الرابطة البريطانية التي تأسست بأموال بريطانية لدعم المصالح البريطانية، وكان من المشاركين تأسيسها رئيس مكتب المخابرات البريطانية في استانبول (د. فرو)، وقد حاولت الرابطة الحصول على دعم لانتداب بريطاني على تركيا، وحاولت بشتى الوسائل إحباط جهود القوميين.[٤٨]

---

(٤٢) Criss; *Istanbul under Allied Occupation1-2*

(٤٣) Zürcher; *Turkey, 140141*

(٤٤) Criss; *Istanbul under Allied Occupation43-44*

(٤٥) المرجع السابق، ص ٥-٦.

(٤٦) Tunaya; *Türkiye'de Siyasal Partiter, 2:280*

(٤٧) المرجع السابق، ٢/٢٧٩.

(٤٨) المرجع السابق، ٢/٤٧٢، ٤٧٣، و Criss; *Istanbul under Allied Occupation109-110*

كان الدور الرئيسي للنورسي في دار الحكمة إبان هذه الظروف، والذي يُعد بالفعل أكبر أنشطته خلال تلك الفترة، هو مناهضة ما سببته قوى الاحتلال ومعاونوها من فُرقة وانحلال، ومن الواضح أنها لم تتمكن من القيام بدورها كما ينبغي، بمعنى أنه في الوقت الذي سعى فيه البريطانيون باستغلال كل الوسائل للانتفاع بكل مواطن النفوذ والقوة في استانبول وتطويعها لمصالحهم، كان النورسي يسعى لإبطال تأثيرهم بقدر ما كان لدار الحكمة الإسلامية من قوة، حتى ولو أدى ذلك للحد من فاعلية هذه المؤسسة نفسها.

كان أحد نماذج الضغط التي تعرضت لها وتم رفضها، طلب نشر كتيبات تدين القوى الوطنية في الأناضول،[٤٩] ونموذج آخر تمثل في الفتوى الشهيرة التي تدين القوى الوطنية، ونشر النورسي ردا عليها، فبعد معاودة احتلال استانبول في مارس ١٩٢٠، أجبر البريطانيون بمعونة القصر شيخَ الإسلام درّي زاده عبد الله أفندي على إصدار فتوى يعلن فيها أن الجماعات الوطنية المتعددة في الأناضول هم من البغاة وأن قتلهم واجب على المسلمين (١٠ أبريل ١٩٢٠)، وكان قد تبوأ المنصب بعد أن استقال *سلفه حيدر زاده إبراهيم أفندي* الذي فضل الاستقالة على أن يوقع عليها،[٥٠] وفي أعقاب ذلك صدرت فتوى مضادة في الأناضول وقعها أربعة وثمانون مفتيا، وثمانية وستون عالما كان بينهم أحد عشر نائبا في مجلس أنقرة، وقررت الفتوى أن أي فتوى تصدر تحت إكراه الأعداء فهي باطلة لا يُعمل بها، وأعلنت أن الكفاح الوطني جهاد.[٥١]

وكتب النورسي:

> إن الفتوى التي أصدرتها الحكومة ومكتب شيخ الإسلام في بلد محتل من العدو، وبأمر من البريطانيين وتحت وطأة إكراههم، هي فتوى باطلة لا يُكترث لها، فليس هؤلاء المناضلون ضد غزو العدو بمتمردين، فيجب إبطال تلك الفتوى.[٥٢]

---

(٤٩) Edip; *Mehmet Âkif 125* ، ويشير هذا في الواقع إلى محمد عاكف إلا أنه من الأكيد أن النورسي قد سانده.

(٥٠) المرجع السابق، ص ١٣٩–١٤٠.

(٥١) Mısıroğlu; *Sarıklı Mücahitler 297-307*

(٥٢) Edip; *Risale-i Nur Muarızları* I نقله ، *Bilinmeyen 238*،Şahiner.

واحتج بأنه طالما أن الفتوى تشمل حكما شرعيا، لذا يجب أن يُنظر إلى مطالب كلا الطرفين بعين الاعتبار قبل أن يُمرر الحكم. وكتب يقول:

> إنها ليست فتوى فحسب حتى يمكن تسويغها، إنها فتوى تشمل حكما قانونيا؛ إذ أن الفرق بين الفتوى والحكم القانوني هو عموم موضوع الفتوى لا خصوصيته، وعدم الإلزام فيها، أما الحكم القانوني فهو خاص ومُلْزِم. أما هذه الفتوى فهي خاصة؛ فمن ينظر فيها يدرك مرماها، وملزمة إذ أن غايتها دفع عامة المسلمين ضدهم (القوى الوطنية).
>
> هذه الفتوى تشمل حكما قانونيا، وإن كان لازما في الحكم القانوني أن يستمع الطرفان إليه، فيجب أن يُسمح للأناضول أيضا بالتعبير عن نفسها، وكان من الممكن إصدار الفتوى بعد أن يُمرر الحكم القانوني بناء على أدلة الإثبات والدعاوى المضادة التي يمكن أن تقوم بها لجنة من رجال السياسة والعلماء مع أخذ مصالح الإسلام في الاعتبار. والواقع، إن الكثير من الأمور تجري على الخلاف هذه الأيام، فالمخالفات تتخذ لنفسها أسماء جديدة، وتتبادل الأماكن مع بعضها البعض؛ فالاستبداد أصبح عدالة، والجهاد تمردا، والأسر حرية.[٥٣]

أما دار الحكمة، فذكر النورسي أنها قد عفا عليها الدهر، فهي تفتقر إلى سلطة حقيقية مما عاق أداء دورها كما يجب. فمثلا؛ لا تستطيع القضاء على كبائر المنكرات؛ كالفاحشة، وشرب المسكرات، والقمار، في الوقت الذي أوقفت فيه حكومة الأناضول هذه المنكرات بأمر واحد.[٥٤]

كذلك ذكر النورسي سببا آخر لعجز دار الحكمة عن القيام بدورها؛ وهو الافتقار إلى التوافق بين أعضائها، فقد حالت صفاتهم الشخصية دون ظهور "روح جماعية"؛ فلم تتحول "النزعة الفردية" مطلقا إلى "روح الجماعة"،[٥٥] ولا ننسى ذكر الاختلافات السياسية الكبيرة.[٥٦] لقد مال النورسي طويلا إلى إنشاء

---

(٥٣) النورسي، طلوعات، آثار بديعية ص ١٠٥-١٠٦.

(٥٤) المرجع السابق، ص ١٠٥، أصدرت الجمعية الوطنية الكبرى بأنقرة قانون الحظر في ١٩٢٠. Berkes. *The Development of Secularism in Turkey448*

(٥٥) النورسي، طلوعات، آثار بديعية ص ١١٠.

(٥٦) وعلى سبيل المثال، فبينما كان هناك مناصرون للوطنيين أمثال النورسي ومحمد عاكف، وكان مصطفى صبري، أحد الأعضاء الأصليين ، *Son Devrin İslam178-179*، *Akademisi*، Albayrak والذي احتل منصب شيخ الإسلام مرتين الأولى عام ١٩١٩، والثانية عام ١٩٢٠، وأحد المؤسسين لحزب

هيئة علمية كدار الحكمة الإسلامية، والتي تألفت من متخصصين في مجالات مختلفة، وقامت على مبدأ الشورى حتى تعالج المشكلات التي تواجه الإمبراطورية العثمانية، ليس هذا فحسب بل والعالم الإسلامي برمته. لقد ناقش النورسي ذلك في كتابه "*سنوحات*" -الذي نُشر في ١٩١٩-١٩٢٠، وناقش علاقته بالخلافة، الأمر الذي كان مثار جدل عنيف في ذلك الحين، وعقب ذلك، ذكر النورسي بشيء من الإيجاز أن السلطنة والخلافة كانتا جزءا واحدا غير قابل للانفصام، وأن مكتب الصدر الأعظم كان يمثل السلطنة بينما كان مكتب شيخ الإسلام يمثل الخلافة، وبدأ يشير إلى أن منصب شيخ الإسلام لا يمكن لفرد أن يتجشم القيام بأعبائه بشكل فاعلٍ في ظل ظروف المجتمع المعاصر بتعقيداته، وفي وجه وابل المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي، ودعت الحاجة لهذه القوة والمرجعية إلى وجود مجلس علمي كالموصوف آنفا، واقترح إضافة المزيد من العلماء من العثمانيين، ومن الأنحاء الأخرى للعالم الإسلامي لتأسيس دار راقية للحكمة الإسلامية.[٥٧]

جمعية الهلال الأخضر وجمعية المدرسين

كان للنورسي في ذلك الوقت نشاط مع منظمات وهيئات أخرى، كانت إحداها جمعية الهلال الأخضر التي تأسست في ٥ مارس عام ١٩٢٠. كان عضوا مؤسسا في هذه الجمعية غير السياسية التي تأسست لمواجهة انتشار المسكرات، وإدمان المواد الضارة الأخرى، والتي أضحت إحدى المشكلات الكبيرة في المجتمع. كان من أعضاء الجمعية أيضا شيخ الإسلام، حيدر زاده إبراهيم أفندي، والدكتور توفيق رشدي أراس، وأشرف اديب، وفخر الدين كريم كوك آي[٥٨] الذي استَشهَدَ في معرض إجابته على الأسئلة التي وجهت له حول النورسي عام ١٩٧٥ ببعض محاضر أحد اجتماعات جمعية الهلال الأخضر؛ حيث عرض سعيد أفندي إعطاء الأولوية للكتابة والتوزيع الحر للمقالات

الحرية والوفاق ، Tunaya; *Türkiye'de Siyasal Partiler 2:264* وأحد القياديين البارزين المناهضين للقوميين، والمناصرين لحزب الحرية والوفاق ، المرجع السابق 2:383.

(٥٧) انظر: النورسى: صيقل الإسلام السانحات ص ٣٥١ و ٣٥٢.

(٥٨) Şahiner; *Bilinmeyen*. 229-231

والكتيبات.[٥٩] هذا وهناك جمعية أخرى اشترك فيها النورسي، هي جمعية المدرسين والتي تأسست في ١٥ فبراير عام ١٩١٩، وكانت أهدافها الرئيسة بدء مشروعات من الممكن أن تساعد في رفع مستوى مهنة التدريس لأعلى المستويات بمنهج يتماشى مع الأمة الإسلامية (الملية) والحضارة... وذلك لخلق جيل من الطلبة يمتهنون مهنة العلماء، ويصبحون على علم حقيقي بالعلوم الإسلامية ولديهم المعرفة بالعلوم الحديثة المواكبة لحاجة العصر الذي يعيشونه... ولنغرس حقائق الدين والسلوك الإسلامي الرفيع في نفوس المسلمين، ولنقوي روابط الأخوة ونشجع التجارب الشخصية، ونحمي حقوق المعلمين في المدارس." تحولت هذه الجمعية فيما بعد إلى جمعية تعالي الإسلام في ٢٤ نوفمبر عام ١٩١٩، ويظهر أن النورسي لم يكن على علاقة بها خلافا لكثير من الأعضاء الأوائل.[٦٠] كان هناك عدد من العلماء البارزين آنذاك ينتمون لجمعية المدرسين، منهم مصطفى صفوت أفندي، ومصطفى صبري أفندي (كلاهما من شيوخ الإسلام)، ومحمد عاطف أفندي، وقد تجشم الأخيران مع النورسي مهمة الرد على المقالات الصحفية التي تهاجم الإسلام، وضمّن النورسي أعمالَه التالية بعضَ ردودِه على قضايا مثل تعدد الزوجات والرق ومكانة ووضع المرأة وتمثيل الإنسان،[٦١] ويمثل الرد الوجيز التالي نموذجا لحجاجه المقنع حول تعدد الزوجات والرق:

> تنقسم أحكام الإسلام إلى قسمين: يتألف الأول مما تقوم عليه الشريعة، وهذا النوع غاية الحسن، أما الآخر فهو شريعة تحقيق المناط، والتي تعالج مسائل مريرة وقاسية، آخذة بأخف الضررين، مع إصلاحه وجعله أكثر يسرا ومواءمة للطبيعة الإنسانية، مع إمكانية جعله حسنا تماما، واضعة له في شكلٍ يواكب الزمان والمكان، حيث إن منع ما اعتاده الإنسان بغتة يجري على خلاف الطبيعة الإنسانية،

---

(٥٩) لمزيد عن الأستاذ فخر الدين كريم كوك آي، راجع ، Şahiner; *Aydınlar Konuşuyor 158-159*

(٦٠) كما أشير في الهامش رقم ٥٦ طورت جمعية تعالي الإسلام علاقات مع حزب الوفاق والحرية، وقد ذكر "كرس" أن الملا سعيد مؤسس جمعية أصدقاء إنجلترا هو مؤسس هذه الجمعية المذكورة، ولكن لم يرد شيء عن هذا عند Tunaya; *Türkiye'de Siyasal Partiler 2:382-385*

(٦١) Şahiner; *Bilinmeyen*. 246-252

وهكذا فإن الشريعة لم تفرض الرق، ولكنها أصلحته لتنهي شكله الهمجي، وهيئته للوصول للحرية الكاملة، لقد هذبته وأصلحته، كما أن الشريعة لم ترفع عدد الزوجات من واحدة إلى أربع، رغم توافق التعدد مع الطبيعة والعقل والحكمة، وإنما قللت العدد إلى أربع بدلا من ثمان أو تسع، وفيما يتعلق بتعدد الزوجات، وضعت الشريعة شروطا لا تجعل هناك أي أذى حال وقوعه؛ حتى وإن كان فيه بعض السوء، فإنه أخف الضررين، وأخف الضررين أقرب للعدل، فللأسف، لا يمكن لشيء في هذا الكون أن يكون خيرا محضا![٦٢]

مرض النورسي

سبق وصف ابن أخيه في السيرة الذاتية الموجزة التي كتبها عنه أنه قبِل على مضض منصبه في دار الحكمة؛ فقد أثرت الحرب فيه بشدة، ولكن لشعوره بالمسئولية تجاه الأمة، تجشم المهام التي كلف بها خدمة للأمة، ويروي عبد الرحمن أنه سأل عمه عن سبب تأثره على تلك الصورة، فأجابه النورسي:

"يمكنني تحمل أحزاني، لكن أحزان الإسلام وفجائعه تحطمني، فكل ضربة تصيب العالم الإسلامي أشعر أنها تصيب قلبي قبل أن تصل إليه، ولذا تألمت بشدة، لكنّ أرى نورا سيُنسي كل هذه الأحزان، إن شاء الله."[٦٣]

يوجد بين الوثائق الموجودة بدار الحكمة طلبان من النورسي للحصول على إجازة مرضية، ونثبتهما هنا مع ورق تحقيق شخصية المؤرخ في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٢١، وردود النورسي على استجواب رسمي بتاريخ ١٧ أكتوبر عام ١٩٢١.[٦٤]

فضيلة شيخ الإسلام/

التماس:

إن الوهن العصبي الذي أصابني جراء المشاق القاسية التي تحملتها ليلا ونهارا لمدة عامين على الجبهة القوقازية في الحرب الحالية دفاعا عن الدين والوطن، والمآسي التي لا تحتمل التي قاسيتها مدة عامين ونصف في الأسر، والأوضاع المؤسفة التي نشهدها، قد أصابني بالضعف العصبي، وفي ضوء التقرير

---

(٦٢) النورسي، آثار بديعية، طلوعات، ص ١٠٩

(٦٣) عبد الرحمن، بديع الزمانك تاريخجة حياتي، ملحق غير مرقّم.

(٦٤) Albayrak *Son Devrin İslam Akademisi* ملحق غير مرقم.

المرفق الذي يُقدم نتائج الفحص الطبي، ويقرر أنه من الواجب الحصول على ٥ أو ٦ أشهر للاستشفاء، أرجو من فضيلة شيخ الإسلام التكرم بالموافقة على منحي إجازة استشفاء لمدة ستة أشهر، والقرار لسيادتكم....

١٩ نيسان عام ١٣٣٥ (١٩ إبريل عام ١٩١٩)

بديع الزمان سعيد

عضو دار الحكمة

تمت الموافقة على طلب العضو سعيد أفندي المرفق به تقرير الطبيب، بالسماح له بإجازة مرضية لمدة ٥ أشهر للاستشفاء مما يعانيه من ضعف عصبي، حيث لا مانع من تركه وظيفته هذه المدة، وتم التأشير على التماسه بذلك.

١٧ رجب عام ١٣٣٧\ ١٩ نيسان عام ١٣٣٥ (١٩ إبريل عام ١٩١٩)

السيد صاحب الفضيلة والمعالي شيخ الإسلام/

يوضح التقرير المرفق أن المرض الذي كنت أعاني منه مؤخرا قد عاودني، وأنني أمر بفترة علاج حالية على يد طبيب مختص بحي صاري ير، ولذا أطلب منحي إجازة للعلاج والاستشفاء لمدة ثلاثة أشهر كما ينص التقرير.

١٣ أيلول عام ١٣٣٧ (١٣ سبتمبر عام ١٩٢١)

سعيد

عضو دار الحكمة الإسلامية

وثيقة السيرة الذاتية لمسئولي وموظفي ومستخدمي الدولة العثمانية

السعر: ١٠ قروش

(١) اسمي سعيد، وأعرف ببديع الزمان، واسم والدي ميرزا، لا أنتسب إلى سلالة معروفة - شافعي المذهب - أحد مواطني الدولة العلية العثمانية.

(٢) تاريخ ميلادي ١٢٩٣ (١٨٧٧)، ومحل ميلادي قرية نورس بمقاطعة اسابريت من قضاء خيزان بولاية بتليس.

(٣) تلقيت تعليمي الأساسي على يد أخي لمدة عامين في مقاطعة اسبرطة آنفة الذكر، ثم أكملت المستوى المتوسط من الدراسة في الحلقة الدراسية للشيخ محمد جلالي بمدينة دوغو بايزيد في إقليم أرضروم. بعد ذلك بدأت الدراسة في وان، وعكفت مدة خمسة عشر عاما على دراسة العلوم المختلفة، واشتركت في الحرب الأخيرة عند إعلانها كمتطوع وقائد كتيبة.

وقعت في أسر الروس في بتليس، وهربت من الأسر وعدت لاستانبول، وصرت عضوا بدار الحكمة الإسلامية منذ إنشائها. فقدت شهادة الإجازة التي حصلت عليها من محمد جلالي أفندي عندما كنت في الأسر. قمت بتأليف ١٧ عملا، منها باللغة العربية تفسير للقرآن يسمى إشارات الإعجاز، مباحث في المنطق تسمى تعليقات وقزل إيجاز، والخطبة الشامية. قمت بكتابة أعمال باللغة التركية منها: نقطة، وشعاعات، وسنوحات، ومناظرات، ومحاكمات، وطلوعات، ولمعات، ورموز، واشارات، وخطوات ست، ايكي مكتب شهادتنامه سي [المحكمة العسكرية العرفية] حقيقت چكردكلري [نوى الحقائق].كتبت معظم أعمالي في شكل مواعظ لإرشاد المسلمين وإيقاظ الغافلين، وكما أتحدث التركية والكردية، فأنا أجيد العربية والفارسية قراءة وكتابة، وقد نفدت نسخ الرموز والإشارات والخطوات الست، ايكي مكتب شهادتنامه سي [المحكمة العسكرية العرفية] والخطبة الشامية، ومناظرات ومحاكمات، وتعليقات. لم أحصل على أي شهادة أو إجازة في العلوم أو التخصصات الأخرى.

(٤) التحقت بالجيش عند إعلان الحرب العظمى للحصول على شرف الانضمام كمتطوع في البداية ثم كمفتي كتيبة ثم كقائد كتيبة، وأثناء قيامي بهذه المهمة، وقعت في أسر الروس في بتليس. وقد قمت بكل هذه المهام متطوعا، إلا ما كان عند عودتي إلى استانبول من الأسر، حيث منحني وزير الحربية ٥٠ ليرة شهريا مكافأة لي مدة ٣ شهور ليصبح الإجمالي ١٥٠ ليرة، وحصلت على وسام الحرب، وليس لدي أي درجة أخرى أو وسام، كما لم أحصل على أي أوسمة أجنبية أو نياشين. عينت بدار الحكمة الإسلامية بمرتب ٥ آلاف قرش بموجب المرسوم السلطاني المؤرخ في ٢٦ شوال عام ١٣٣٦، وكرمني بتعييني في منصب مخرج بموجب المرسوم السلطاني بتاريخ ١٨ ذو القعدة عام ١٣٣٦.

١٧ تشرين الأول عام ١٣٣٧ (١٧ أكتوبر عام ١٩٢١)

بديع الزمان سعيد النورسي

عضو دار الحكمة الإسلامية[٦٥]

---

(٦٥) انظر كذلك: Şahiner; *Bilinmeyen* 203-206.

مذكرة عن الدولة العثمانية

الاسم: بديع الزمان سعيد أفندي
اسم الوالد ومحل الإقامة: المرحوم ميرزا أفندي.
اسم الوالدة: المرحومة نورية هانم.
تاريخ ومحل الميلاد: ١٢٩٥ هجرية/ ١٢٩٣ رومي (١٨٧٧- ١٨٧٨)، قرية نورس من قضاء خيزان.
الديانة: مسلم
المهنة واللقب وأهلية الانتخاب: عضو في دار الحكمة الإسلامية.
الحالة الاجتماعية: أعزب

الصفات ومحل القيد

الطول: متوسط
لون العين: عسلي
لون البشرة: أسمر
علامات مميزة: لا توجد
ولاية: استانبول
مقاطعة: بك أوغلو، البسفور الأوروبي
حي: صاري ير
شارع: فستيقلي باغلر
رقم محل الإقامة: ١٨/ ١١
نوع الإقامة: أجنبي (لا محلي)، مسجل في الأصل بولاية بتليس، قضاء خيزان، قرية نورس.

بديع الزمان سعيد أفندي، المذكور اسمه وحالته ووصفه أعلاه، أحد مواطني الإمبراطورية العثمانية، وهذه الوثيقة تشير إلى إنه مُسجل في سجل المواليد قيد الاستلام.

٢٦ أيلول عام ١٣٣٧ (٢٦ سبتمبر عام ١٩٢١)
وزارة الشئون الداخلية

اعتراض النورسي على قيام دولة كردية مستقلة

انتقد النورسي البريطانيين علانية في الصحافة، وكان الأهم من ذلك هو تحذيره من مكائدهم السياسية، ومساعيهم في بذر الفرقة بين العلماء، وقبل أن نتطرق لهذا الأمر عن قرب، يجب ذكر أحد الموضوعات الأخرى الهامة المتعلقة بالبريطانيين، والذي كان محلا لاهتمام النورسي، وهو المسألة الكردية. يذكر أنه عندما قُسمت غنائم الإمبراطورية العثمانية، كان لكلٍ من بريطانيا وفرنسا مزاعم حول المنطقة الجغرافية لكردستان وحقول البترول في بلاد الرافدَين،(٦٦) وتضمنت الخطط البريطانية في المنطقة إنشاء دولة كردية مستقلة خدمة لمصالحها، وتم إدراج بند بهذا الشأن في معاهدة سيفر.(٦٧) وبعد الحرب، رفع البريطانيون شعار الاستقلال عن طريق عملاء مثل الملا سعيد من أصدقاء الجمعية البريطانية،(٦٨) ودامادا فريد باشا،(٦٩) كوسيلة لتحريض سكان المنطقة على التمرد ضد السلطة العثمانية كذلك ليعوقوا القوات الوطنية بشكلٍ مفاجئ، وتأسست في الوقت نفسه مجموعة من الجمعيات السياسية كان لها الهدف نفسه، كانت إحداها جمعية تعالي كردستان،(٧٠) والتي كان الملا سعيد مشتركا بها أيضا،(٧١) وكان لها تعاون قوي مع البريطانيين، ومرة ثانية حاولوا التقرب من النورسي أملا في كسب تأييده ونيل تأثيره الكبير، ولكنه كما كان دائما رفض ذلك على الإطلاق، وأدان كل محاولة لصدع الوحدة مع تركيا. كان أحد هؤلاء الذين تقربوا إليه سيد عبد القادر، رئيس الجمعية آنفة الذكر، ويروى أن النورسي قد أجابه بقوله:

"يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: (... فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...) (المائدة: ٥٤). لقد تأملت هذا النص الإلهي وفهمت منه أنه يشير للأمة التركية، والتي ظلّت لآلاف السنين حاملة لراية العالم الإسلامي، ولا يمكنني اتباع

---

(٦٦) لدراسة ذلك، انظر: Öke .*Musul-Kürdistan Sorunu*

(٦٧) Fromkin; *Peace to End All Peace405* ; Zürcher; *Turkey153*

(٦٨) Criss ،*Istanbul under Allied Occupation 110*

(٦٩) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٧٠) Tunaya; *Türkiye'de Siyasal Partiler* 2:186-229

(٧١) Öke. *Binbaşı E. W. C. Noel 18*

ثلة من العنصريين ممن لا عقل لهم، وعليّ أن أخدم هذه الأمة الشجاعة، وإخواني الأربعمائة وخمسين مليون مسلم."[٧٢]

يتبين أكثر هذا الأمر من قصة أخرى جاءت من المصدر نفسه، فقد روى قونسولتجي عساف بك، الكاتب المعروف:

ذات يوم عندما كنت جالسا في المطبعة، دخل رجل يرتدي رداء غريبا ويضع شيئا يشبه العمامة الطويلة على رأسه، وبمجرد أن شاهده مولانا زاده،[٧٣] قام له وأشار إليّ قائلا:

"هذا هو كاتبنا الرائد قونسولتجي عساف، ثم خاطبني قائلا: "هذا بديع الزمان سعيد أفندي، أحد علمائنا الكبار،" ومن ذلك الحين اعتدت على مقابلة النورسي من وقتٍ لآخر، وللحق فقد استفدت كثيرا من محاوراته المليئة بالمعرفة. كان من المعتاد أن يأتينا في صحيفتنا كثيرا ونتحدث معا، بل كنا في بعض الأحيان نخرج معا ونتجول بالمدينة، ولا أعرف كم مر من الوقت بعد ذلك قبل أن يغادر سعيد النورسي استانبول، ولا أتذكر الآن إن كان قد ذهب إلى موطنه أو أي مكانٍ آخر،[٧٤] وعلى أية حال فقد لاقت ألمانيا وحلفاءها هزيمة مريرة، وانقسمت الدولة وبدءوا في تأسيس دويلات جديدة في كل ركن منها، وكانت أرمينيا واحدة منها، وفي يوم، قال لي مولانا زاده رفعت بك: "إنهم يؤسسون دولة أرمينية، وبما أن الإمبراطورية تنهار، علينا أن نقيم دولة كردية." وعندما نظرت إليه في دهشة، قال لي:"أنا لست خائنا، ولست أنا من يُحطم الإمبراطورية العثمانية العزيزة. وليلعن الله من فعلوا ذلك، وفروا جميعا كما اللصوص. هناك بالتأكيد قوات وطنية، ولكنها لا تعطي كثيرا من الأمل، نحن لا نعيش في عصر المعجزات. سأكتب لبديع الزمان

---

(٧٢) Şahiner *Bilinmeyen*. 233-234

(٧٣) كان مولانا زاده صحفيا وكان يمتلك صحيفة *Sermet*، والتي يرجح أن يكون هذا اللقاء قد جرى فيها، كما امتلك وأدار صحيفة *Serbesti* عقب إعلان المشروطية عام ١٩٠٨، وكان معارضا عنيفا لجمعية الاتحاد والترقي، وفي عام ١٩١٨ أسس حزب الشعب الراديكالي ، *Türkiye'de Siyasal Partiler* Tunaya، 2:85-88

(٧٤) كتب علي جاووش، أحد تلاميذ النورسي من منطقة جوراوانيس قرب وان، في مذكراته أن النورسي زار وان عندما كان عضوا بدار الحكمة، "وأعددنا له نزلا في القرية". انظر: Erdem *Davam* 201 ، ولا يظهر في أي عام وقع ذلك، كما لا يتضح على الإطلاق من وصف النورسي طريق عودته إلى مدينة "وان" المدمرة. (انظر: النورسي، اللمعات، ص٣١٤). إذا كان حدوث ذلك قد تم أثناء عودته في أبريل ١٩٢٣ أم حدث أثناء زيارة سابقة، يرجح حاليا أخذ ذلك كإشارة للأمر السابق.

حول الأمر، لأنه صاحب تأثير قوي، وأسأله الانضمام إلينا." وكتب مولانا زاده الخطاب وبعث به.

مرت حوالي عشرة أيام أو أسبوعين، وكنا نجلس في المطبعة مع بعض الضيوف، كان هناك جاقالي حمدي باشا، وزير البحرية آنذاك، وكان موجودا أيضا رئيس المحكمة العسكرية، كنا نتحدث عن هذا الأمر عندما جاء ساعي البريد وترك الرسالة، تغير لون وجه رفعت بك عندما قرأ الرسالة، كان من الواضح أنه غضب، وبعد أن قرأها، قذف بها إليّ، وقال: "اقرأ هذه وانظر لما فيها! بديع الزمان يرفض طلبي، ويقول: إنه لا يساند أفكاري.

"لم يكن من اللائق أن اقرأ الخطاب وحدي، فقرأته بصوتٍ عال، واستمع إليّ جاقالي حمدي بك ومصطفى باشا رئيس المحكمة العسكرية، ورغم أنني لا أذكر تماما سياق الخطاب، إلا أن النورسي قد رفض طلب مولانا زاده بتأسيس دولة كردية مستقلة، قائلا: "رفعت بك، دعونا نحيي الإمبراطورية العثمانية، لا أن نؤسس دولة كردية. إذا قبلت هذا، فأنا على استعداد لأن أضحي حتى بحياتي."

استدار مصطفى باشا بعد سماع الخطاب لمولانا زاده، وقال: "أنت مخطئ يا رفعت بك، والنورسي على حق، ليست الدولة الكردية هي التي يجب قيامها، وإنما الإمبراطورية العثمانية هي التي يجب إعادة بنائها وتجديدها."[٧٥]

ربما تكون هذه الواقعة قد حدثت في الوقت الذي قام فيه شريف باشا، وهو أحد الأرستقراطيين الأكراد من عائلة بابان، ويمتلك فيلا فخمة في جنوب فرنسا، يتوصل إلى اتفاق في باريس مع بوغوس نوبار باشا، ممثل الأرمن في مؤتمر السلام، حول تأسيس دولة مستقلة في الأقاليم الشرقية مما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، وتصبح تحت الانتداب البريطاني أو الحماية، وقدموا بذلك مذكرة مشتركة للمؤتمر،[٧٦] كما قام سيّد عبد القادر، مؤسس جمعية تقدم كردستان، بتقديم مذكرة خاصة باستقلال كردستان،[٧٧] وساند تحركات شريف باشا في باريس، وعندما انتشرت أخبار الاتفاقية، خرجت ردود الأفعال الغاضبة في كلٍ من استانبول والأقاليم الشرقية، وانهالت التلغرافات على البرلمان العثماني، وتسبب هذا الأمر في حدوث بلبلة، وأدان النواب كلا من شريف

---

(٧٥) *Nurculuk Hakkinda Mülâkat 35-37*

(٧٦) Öke; *Binbaşı E. W. C. Noel* 74ff. 118-20

(٧٧) المرجع السابق، ص ١١٧، ١١٨.

باشا وسيّد عبد القادر، وبدأت حركة للمطالبة بطرده من الباب العالي، والذي كان عضوا فيه.(٧٨) شارك سعيد النورسي في الحركة المناهضة للاتفاقية، وقام بنشر اثنتين من مقالاته القليلة التي كتبها في هذه الفترة. ظهرت المقالة الأولى في جريدة *إقدام* اليومية في ٢٢ فبراير عام ١٩٢٠، تحت عنوان "الأكراد والانتماء للدولة العثمانية: استياء الأكراد وغضبهم." أكدت على التاريخ الطويل الذي قضاه الأكراد يخدمون فيه الإسلام بإخلاص، وأشارت إلى أنهم لا يستطيعون أن يؤذوه بأن يعقدوا اتفاقات مع أعدائه مما سيكون مخالفا "لضميرهم الوطني". فعليهم قبل أي شيء "الحفاظ على وحدتهم الدينية والوطنية".(٧٩)

ظهر المقال الثاني في مجلة *سبيل الرشاد*، عدد ٤٦١ بتاريخ ٤ مارس عام ١٩٢٠، والتي لا تزال تنشر في استانبول، كان النورسي على علاقة حميمة مع كلٍ من صاحبها، الكاتب أشرف أديب، ورئيس تحريرها، الشاعر الوطني محمد عاكف، ودامت العلاقة حتى ترك عاكف استانبول قبل صدور الفتوى السابق ذكرها بوقتٍ قليل، وتركها أشرف أديب بعد صدورها. وقدمت المطبوعة مقال النورسي "الأكراد والإسلام" بالشكل التالي:

> بديع الزمان سعيد الكردي، عضو دار الحكمة الإسلامية، وممثل الأكراد في الثبات والدين والنبل الأصيل والشجاعة الإسلامية، له الحق أكثر من أي شخصٍ آخر في التحدث عن هذا الأمر، يقول:
>
> "إن أبلغ رد وأفحمه للاتفاقية التي وقعها بوغوس نوبار وشريف باشا، جاء تلغرافيا، حيث بعث به قادة القبائل الكردية في الأقاليم الشرقية، فالأكراد لن يتركوا المجتمع الإسلامي، ومن يقول غير ذلك، هم شرذمة قليلون ممن يتبعون أهدافهم الخاصة، وليس لديهم أي سلطة للتحدث بالنيابة عن الأكراد.
>
> لقد ضحى الأكراد مؤخرا بخمسمائة ألف منهم عزة للإسلام، ليثبتوا مرة أخرى ولاءهم للخلافة، ولنأت للمذكرة المشينة: لقد أدرك الأرمن أنهم لا يمثلون سوى أقلية صغيرة للغاية في الأقاليم الشرقية، ولذلك لا يستطيعون بحالٍ أن يزعموا

---

(٧٨) Tunaya. *Türkiye'de Siyasal Partiler* 2:193-94

(٧٩) Badıllı. *Nursi* 1:517-519

أن لهم حقا (هناك)... فرأوا أنه من السهل والمفيد استخدام شريف باشا ليؤيد أفكارهم، بزعمه أنه يمثل الأكراد، وبهذه الطريقة تنتهي القضية الكردية والقضية الأرمينية وتتحقق آمال الانفصال، ولتحقيق هذا الهدف، تم توقيع المذكرة بشكلٍ مشترك وتقديمها لمؤتمر السلام، ونية الأرمن خداع الأكراد ليس إلا؛ لأنهم حتى في المستقبل لن يستطيعوا إنكار الأغلبية الكردية العددية، وسيكونون أتباعا لهم؛ حيث إنهم الأدنى معرفة وتعليما. لا يمكن لكردي عاقل مساندة هذا، وعلى أي حال، فقد أثبت الأكراد، فعلا لا قولا، أنهم ضد هذه المذكرة.

إن القضية الكردية لا معنى لها؛ لأن الأكراد مسلمون قبل أي شيء، ومع نصرتهم القوية للإسلام، والتي تصل إلى التعصب، فهم مسلمون بحق، ولذلك فلن ينشغلوا ولو للحظة واحدة بحقيقة ما إذا كانوا ينتمون لنفس عرق الأرمن.

إن الإسلام يناهض فكرة العنصرية، لأنها مضادة لفكرة الإخاء في الإسلام، وهناك حديث حول منح الأكراد الاستقلال! وحري بالأكراد الموت على الاستقلال تحت حماية أجنبية. إن كانت هناك حاجة للتفكير في حريتهم التنموية، فستقوم الدولة العثمانية العظمى بذلك، وليس بوغوس نوبار وشريف باشا، واختصارا للأمر، إن الأكراد ليسوا في حاجة لوساطة أحد أو تدخله في هذا الأمر...[٨٠]"

خدم النورسي كذلك مساعي الوحدة من خلال الجهود المتجددة في مجال التعليم، كان واحدًا من ١٥ من الأعضاء المؤسسين لجمعية نشر المعارف الكردية التي تأسست عام ١٩١٩، وكانت جمعية غير سياسية ومستقلة وانصب اهتمامها على التعليم. كانت تهدف في البداية لإنشاء مدرسة ابتدائية لأطفال الأكراد في استانبول، والذين كانوا "الأكثر حرمانا من فرص التعليم بين كل أبناء الوطن"، وكذلك بناء مدارس بمناطق أخرى يشكل الأكراد غالبية سكانها حيث سُمح بعد ذلك بتمويل هذه المشروعات،[٨١] كما نجح النورسي في ضمان التمويل من حكومة أنقرة لإنشاء مدرسة الزهراء، ويمكن القول لإحياء مشروعه الخاص بالمدارس الجامعية في الشرق، كما سنرى فيما بعد.

---

(٨٠) المرجع السابق، ٥١٧/١، ٥١٨.

(٨١) Tunaya. *Türkiye'de Siyasal Partiler 2:188.214-215*

النورسي يقاوم البريطانيين

طرحت الكنيسة الإنجليزية على مقر شيخ الإسلام استفتاء حول الدين الإسلامي خلال هذه الفترة، وطُلب من النورسي بصفته عضوا في دار الحكمة أن يقوم بإعداد أجوبة على تلك الأسئلة؛ ومضى النورسي مستشعرا الإهانة التي لا تغفر من جانب البريطانيين، فسطر بعض الكلمات البليغة التي كانت إهانات أكثر منها أجوبة، مستهدفا الدفاع عن بيضة الإسلام، ووصف الأمر فيما بعد بقوله:

> وحينما احتل الإنكليز استانبول ودمروا المدافع في المضيق "في استانبول" سأل في تلك الأيام رئيس أساقفة الكنيسة الإنكليكية من المشيخة الإسلامية ستة أسئلة ، وكنت حينئذ عضوا في دار الحكمة الإسلامية فقالوا لي: "أجب عن أسئلتهم بستمائة كلمة كما يريدون، قلت: "إن جواب هذه الأسئلة ليس ستمائة كلمة ولا ست كلمات، ولا كلمة واحدة، بل بصقة واحدة.
>
> لأنه عندما داست تلك الدولة بأقدامها مضايقنا وأخذت بخناقنا كما ترون ينبغي البصاق في وجه رئيس أساقفتهم إزاء أسئلته التي سألها بكل غرور ، ولهذا قلت :ابصقوا في وجوه الظلمة التافهة ."[٨٢]

كذلك ضمن النورسي كتابَه *الرموز*، الذي نشر في هذه الفترة، جزءا تحت عنوان "الرد على الكاهن الماكر الذي رغب في احتقارنا":

> ألقاك امرؤ ما في الوحل وحاول قتلك، ورغم ضغطه بقدمه على رقبتك، فإنه يسألك باستهزاء إلى أي المذاهب تنتمي، والإجابة الدامغة لهذا السؤال هي أن تستاء و تصمت، وتبصق في وجهه، فليس هو بموضع خطابي وإنما جوابي لمن يلقي السمع وينشد الحق:
>
> ١- ما دين محمد؟
>
> الإجابة: القرآن.
>
> ٢- ماذا قدم للحياة والفكر؟
>
> الإجابة: الوحدانية في الفكر والوسطية.
>
> ٣- ما هو العلاج لمشكلات الإنسان؟
>
> الإجابة: تحريم الربا وفرض الزكاة.

---

(٨٢) النورسي، المكتوبات، ص ٥٣٩.

٤- كيف ينظر الدين للاضطرابات البشرية؟

الإجابة: السعي هو الأساس، وألاّ تتكدس ثروة الإنسان بيد الظالمين، ولا يكنزوها. وشاهدي قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤).[٨٣]

كانت أكثر أعمال النورسي تأثيرا في هذه الفترة كتيب بعنوان الخطوات الست، الذي بين فيه النورسي الطرق الست التي زرع بها البريطانيون واليونانيون الخلاف والشقاق في المجتمع المسلم؛ حيث افتتحه بقوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ (البقرة: ١٦٨) وقد وصف النورسي خطواته تلك بأنها هي التي حولت آراء علماء استانبول ضد البريطانيين وجعلتهم يساندون الحركة الوطنية،[٨٤] كما أفسدت الخطة المخيفة التي حبكها قائد القوات البريطانية التي احتلت استانبول؛ حيث كانت هذه الخطة تستهدف "الإعداد لهزيمة القوات الوطنية وانتصار اليونانيين عن طريق زرع الخلاف بين المسلمين وخداع شيخ الإسلام وبعض العلماء والإيقاع بينهم، وكذلك بكسب مؤيدين من الحزبين السياسيين الرئيسين اللذين ينافسان بعضهما البعض (أي مؤيدي الاتحاديين وحزب الحرية والائتلاف)."[٨٥]

جدير بالذكر أن حزب الحرية والوفاق، والسلطان، وبعض العلماء كانوا يعارضون الحركة القومية في الأناضول تماما معتبرين أن كل من يشارك فيها إما أن يكون عضوا في حركة الاتحاد والترقي وإما أن يكون من أمثالهم، أو بمعنى آخر اللصوص الذين يعتبرونهم مسئولين عن إقحام تركيا في الحرب وهزيمتها التي أدت إلى فناء الإمبراطورية تماما، لذلك فقد كانوا ينظرون للحركة الوطنية باعتبارها العدو الرئيسي أكثر من عداوتهم للأعداء الأجانب.[٨٦]

---

(٨٣) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyye,Rumuz,82*

(٨٤) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٥٠٤.

(٨٥) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٤٤

(٨٦) Tunaya .*Türkiye'de Siyasal Partiler 2:29-30. 34-35*

وإضافة لهؤلاء عارض الوطنيين كذلك بعضُ المفكرين والكتاب المتغربين، كان أبرزهم عبد الله جودت،[٨٧] ومن ناحية أخرى كان تهليلهم المبالغ فيه لكل ما هو غربي ممتزجا بالدعاية لبريطانيا بهدف توسيع رقعة الانقسامات سببا مهما لبلبلة الشعب، وذبذبة عقيدتهم، وتثبيط عزمهم في مواجهة القوات المحتلة.

لفت النورسي في كتاباته النظر إلى التحريفات، وخاصة في "الخطوات الست"؛ حيث أوضح بصراحته المعهودة كيف كان يعمل البريطانيون على نشر بذور الخلاف، وأجابهم على أسئلتهم الماكرة باختصار شديد فأفاد القارئ وشد من عزمه. أدان النورسي بشدة هؤلاء الذين يستخفون بوطنهم، ويقبلون الحماية البريطانية معتقدين أن "منافع وطموح البريطانيين تتفق مع منافع وجلال الإسلام." ذلك لأن البريطانيين نصبوا أنفسهم "حماة" للإسلام، فهم الذين أنقذوا تركيا من جمعية الاتحاد والترقي الماسونية الملحدة، وحاول حزب الحرية والوفاق استغلال ذلك.[٨٨] وعندما سُئل عن الجمعية أو الجماعة التي ينتمي لها، ولماذا يوجه انتقادات لاذعة للمعارضين؟ أي: حزب الحرية والوفاق، أجابهم:

أنتمي لجمعية الشهداء، فمن الكريه أن تنكر أو تستخف بولي واحد، لذلك فليس أشد مقتا من إنكار ٢ مليون شهيد من الأولياء، واعتبار أن دماءهم قد سفكت عبثا؛ لأن المعارضين يقولون: إننا أخطأنا عندما دخلنا الحرب العالمية (الحرب العالمية الأولى) وأن أعداءنا كانوا على صواب في أن ذلك لم يكن جهادا؛ وهذا الحكم يتنكر لشهادة ٢ مليون شهيد، وأرى أن الدعاء الذي يجب أن نردده كثيرا هو: اللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا !

هناك حقيقة ينحني أمامها أشد الناس وحشية وهمجية خضوعا واحتراما، وهي أنه عند مواجهة عدو خارجي، تدع العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة خلافاتها جانبا بطريقة فطرية، لذلك فمن المدهش أن نرى هؤلاء الذين يدعون أنهم متحضرون وتنويريون أقل شأنا من هؤلاء الهمجيين؛ حيث يظهرون خلافاتهم

---

(٨٧) Hanioğlu , *Abdullah Cevdet*.295-296

(٨٨) Criss.*Istanbul under Allied Occupation45*

الداخلية عند مواجهة أي عدو خارجي، فإذا كانت هذه الحضارة والعلم، فسعادة الإنسان في الهمجية والجهل إذا.[٨٩]

طبعت "خطوات ست" بجهود أشرف أديب حينما احتل البريطانيون استانبول مرة أخرى في مارس ١٩٢٠،[٩٠] وقرر البريطانيون التخلص من النورسي؛ لأنهم أدركوا أثره الفاعل في مواجهتهم، وروى أحد تلاميذ النورسي، الملا سليمان حادثا يبين ذلك فقال:

اتجهنا نحو "ديوان يولو" وجدنا سعيد الملا المصري هناك، وكان الرئيس الثاني لجمعية أصدقاء الرابطة البريطانية، ولا أعرف أكان ماسونيا أو غير ذلك؛ حيث لم يكن له دين، وقد اعتاد هذا الرجل أن يشي بالأستاذ لدى البريطانيين؛ فكان يخبرهم عن مظهره وصفاته وملبسه ومحل إقامته؛ لأن الأستاذ كان يشن حملات مروعة ضدهم على صفحات الجرائد...

وذات يوم كان جنود الاحتلال ينتظرون الأستاذ في ميدان آيا صوفيا للقبض عليه، وكنت خائفا فقال لي: "اتبعني ولا تتخلف عني"، ثم تلا قوله تعالى من سورة يس: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ (يس: ٩) وبالفعل لم يتمكنوا من رؤيتنا، ومررنا من بين أيديهم ووصلنا إلى المنزل، طرقت الباب ولما تأخر فتح الباب قلت لصديقي بالداخل: "أسْرِع بفتح الباب، فإن معي بديع الزمان! ففتحه بسرعة، ودخلنا فجلس الأستاذ على الأريكة، وساعدته في خلع حذائه، عند ذلك سألني:

"ماذا فهمت من كل ذلك؟"

فأجبته "لا أعرف"، فقال لي:

"لقد تلقوا أوامر بقتلي، ولكني فعلت ما فعلت لأنقذك، فأشفقت عليك لأنك كنت أعزل، وإلا كنت سأجمع عشرة منهم وأحصل منهم على ما أريد، كنت سأقتل عشرة منهم على الأقل قبل أن يقتلوني."[٩١]

---

(٨٩) Nursi, *Asar-ı Bedi'iyy, Işarat 94*

(٩٠) النورسي، الشعاعات، ص ٥٠٤، يصف أشرف أديب : كيف قامت مجلة سبيل الرشاد بطبع وتوزيع "أعمال تساند الأناضول، وتهاجم البريطانيين، بنشر أعمال الكاتب الشيخ مشير حسين." وكان يتم ذلك ليلا في أعلى درجات السرية. وكذلك كان عمل النورسي بلا شك. وفي هذا الصدد، يثني أديب على"دار نجم استقبال" للطباعة Edip, E ; *Mehmet Âkif 130-131* ، وهي المطبعة التي تم فيها طبع السيرة التي كتبها عبد الرحمن.

(٩١) Şahiner .*Bilinmeyen*. 238-240

هناك حكاية أخرى عن النورسي في هذا الوقت ينقلها توفيق ديميرأوغلو الذي عمل بعد ذلك واليا على "وان" عدة سنوات، فقد ذكر عدة تفاصيل عن حياة النورسي، وركز خاصة على مغامراته مع عبد الرحمن عند عملية توزيع "الخطوات الست" سرا على مسمع من البريطانيين؛ حيث ذكر أن النورسي كان على علاقة وطيدة بأشرف أديب ومحمد عاكف ومجلة "سبيل الرشاد"،[٩٢] وأنهم كانوا يجتمعون في محادثات طويلة في قصر يوسف عز الدين باشا في جملجة التي كان يقيم بها النورسي، وأشار أيضا إلى مغامراته عندما كان يسرق أعقاب البنادق من مستودع الأسلحة لكي يفسد أسلحة البريطانيين الثقيلة، بينما كان يقوم الآخرون بأخذ البنادق والأسلحة الأخرى.[٩٣]

كان الاستيلاء على الأسلحة والذخيرة والمعدات المختلفة من أهم وأنجح وسائل مقاومة الاحتلال الأجنبي لاستانبول، وكانوا يهربون البضائع من استانبول إلى أنقرة، وإلى القوات الوطنية في الأناضول التي وقع جزء منها في يد الاحتلال. يتبين من وصف توفيق ديمير أوغلو أنه كان مكلفا بمهام معينة، وكان عضوا في جماعة منظمة ينتمي لها الكثيرون؛ حيث نشط الكثير منهم في المقاومة قبل إعادة الاحتلال في مارس من عام ١٩٢٠، وبعد اعتقال وترحيل الكثير من العناصر البارزة من الاتحاديين في استانبول، وكانت المجموعة امتدادا طبيعيا للمنظمات القائمة مثل التشكيلات المخصوصة، وجمعية الهلال الأحمر،[٩٤] وكانت أكثر المنظمات نشاطا وفعالية هي منظمة قاراقول، ومنذ عام ١٩٢٠ ظهرت منظمات جديدة كان يتم توجيهها من أنقرة، وكانت رأس هذه المنظمات مجموعة ميم ميم (الدفاع الوطني)،[٩٥] وقامت هذه المجموعة وحدها بتهريب حوالي ٣٨٠٠٠ طن من الأسلحة والذخيرة إلى أنقرة،[٩٦] مما

---

(٩٢) غادر أشرف أديب استانبول في وقت ما خلال شهر أبريل ١٩٢٠ أو بعده، مصطحبا مجلته سبيل الرشاد، وقابل محمد عاكف في قسطموني، ونتيجة لجهودهم المتكاتفة أصبحت سبيل الرشاد أكثر الإصدارات الصحفية فاعلية إعلاما وارتباطا بشعب الأناضول أثناء الكفاح من أجل الاستقلال.

(٩٣) توفيق ديمير أوغلو، في Şahiner .*Son Şahitler*. 1:216-219

(٩٤) Criss .*Istanbul under Allied Occupation 94*

(٩٥) المرجع السابق، ص ١١٥

(٩٦) المرجع السابق ص ١٢٢.

يعطي فكرة عن حجم عمليات هذه المنظمة السرية، وكانت هناك أيضا مجموعات أصغر،[٩٧] مثل مجموعة ديمير أوغلو وأصدقاؤه، ومع أنه ذكر مجموعة ميم ميم باهتمام إلا إنه لقب أعضاءها بلقب "الملاعين"، وقال: إن هذه المجموعة كانت تعمل دون معرفة منهم،[٩٨] وليس من المعروف إلى أي مدى إن كان النورسي قد اشترك في مثل هذه الأنشطة أم لا؛ حيث لا توجد إشارة لذلك في أعماله أو حتى في أعمال الكتاب الذين عاصروه. وعلى أية حال فمن المستبعد أن تشارك مثل هذه الشخصية البارزة في حمل ونقل الأسلحة، وإذا زعم أحد ذلك، نقول له:

لم تكن صحة النورسي ولا معنوياته في هذه الفترة جيدة، وكان الأمل في حل مشكلاته هو ميلاد سعيد الجديد الذي بدأ يظهر في النصف الثاني من عام ١٩٢٠، وكما ذكر هو أنه رجع إلى العزلة خلال هذه المرحلة المؤلمة، وكما ذكر عبد الرحمن، كان النورسي قبل هذه المرحلة منهمكا في كتابة ونشر عدد من الأعمال؛ حيث نشر اثني عشر عملا قبل عام ١٩٢١، بعضها في حجم الكتيبات مثل: إشارات الإعجاز (١٩١٨) حقيقت جكردكلري ١ (١٩١٩-١٩٢٠)، والنقطة (١٩١٨-١٩١٩)، وخطوات ست (١٩٢٠)، وقزل إيجاز (١٩٢٠-١٩٢١)، وشعاعات (١٩٢٠-١٩٢١) ورموز (١٩٢٠-١٩٢١)، واشارات، (١٩٢٠-١٩٢١)، وطلوعات (١٩٢٠-١٩٢١)، وسنوحات (١٩١٩-١٩٢٠)، ولمعات (١٩٢١)، حقيقت جكردكلري ٢ (١٩٢٠-١٩٢١). وما نشره بعد هذه المرحلة صنفه بأعمال سعيد الجديد.

كان النورسي دائما ما يذكر في أعماله أن الخطوات الست هي التي جعلت مصطفى كمال والقادة القوميين الآخرين في أنقرة يستدعونه هناك بإلحاح؛[٩٩] لأنهم كانوا يعلمون جيدا أنه قدم بها خدمات مساوية لما قدمه الجانب العسكري،[١٠٠] لذلك لم يمض سوى عامين ونصف حتى وافق على

---

(٩٧) Aydın .*Millî Mücâdele 260-265*
(٩٨) توفيق ديمير أوغلو، في Şahiner .*Son Şahitler*. 1:218
(٩٩) على سبيل المثال، النورسي، الشعاعات، ص ٤١٩.
(١٠٠) المرجع السابق، ص ٤٨٧.

الذهاب؛ لأنه فضل أن يظل دائما في أخطر المواطن، ولذلك فإنه لو كان قد ترك الكفاح لهذه المدة الطويلة، ما استمروا في الإلحاح عليه حتى يذهب إليهم، وإن سأل سائل، كيف تعرف مصطفى كمال على النورسي؟ فمن الممكن أن تكون الإجابة أن ذلك ربما حدث في استانبول قبل أن يتركها متجها إلى الأناضول في مايو عام ١٩١٩ عندما كان النورسي معتادا أن يذهب إلى أكثر الأماكن بهجة في استانبول،[١٠١] أو ربما يكون قد التقيا في سالونيك في الأيام الأولى للثورة الدستورية، ومن الممكن أن يكون قد سمع بالنورسي فاستدعاه في وقت كان يحشد فيه تأييد كل القادة الدينيين في الأناضول،[١٠٢] ودليل آخر غير الخطوات الست على أن النورسي كان مشتركا بشكل أو آخر في المقاومة، يقدمه لنا أشرف أديب، ففي مطلع ١٩٦٠ قال أديب لأحد تلاميذ النورسي الصغار إن النورسي اعتاد خلال فترة الهدنة أن يعطينا الدروس في التنظيم السري أسبوعيا في منزل في زيرك (بمنطقة الفاتح). وربما أراد من خلال هذه الدروس أن يجمع المعلومات والتدابير والأنشطة الأخرى المماثلة، رغم استخدامه لفظ "الجمعية السرية" بشكل ودود،[١٠٣] وربما يوضح لنا هذا سبب عزم البريطانيين على اعتقاله أو التخلص منه نظرا لإصراره على البقاء في استانبول؛ لأنه كان دائما يفضل البقاء في موطن الخطر، وكذلك نظرا لذيوع صيته بين قادة الحركة القومية في أنقرة؛ لأنه دعي للذهاب إلى أنقرة في مواطن عديدة، حيث دعاه مرتين "سرا" مصطفى كمال الذي انتخب في هذه الفترة ليكون رئيسا للمجلس النيابي (٢٤ أبريل ١٩٢٠)، وكذلك دعاه آخرون مثل المشير فوزي جقماق، وكان فوزي جقماق وزير الحربية في حكومة استانبول حتى ١٧ أبريل من عام ١٩٢٠عندما غادر استانبول سرا إلى أنقرة[١٠٤] حيث أصبح رئيس الأركان، ولذلك كان هو المسئول عن تنظيمات المقاومة في استانبول، والموجه لعملياتها التي كانت حيوية في حرب الاستقلال.

---

(١٠١) Şahiner .*Bilinmeyen* 274.

(١٠٢) انظر: Zürcher.*Turkey 159*

(١٠٣) محمد فرنجي، مقابلة مع المؤلفة، ٢٥ نوفمبر، ٢٠٠٢.

(١٠٤) Aydın. *Millî Mücâdele 145-148*

يعود بنا هذا إلى أمر آخر لا يمكن إغفاله، وهو توافق النورسي وأنور باشا، كما أن هناك أيضا تطور غير متوقع سجله تلميذه سليمان، ففي يوم ما في عام ١٩٢١، ربما وهم في طريقهم إلى أسكدار على ظهر أحد القوارب التي تعبر البوسفور، توقف هو والنورسي عند برج ليندر الذي يرتفع على صخرة تبعد حوالي مائة ياردة عن رصيف الميناء، حيث جلس كل منهما وتابعا أحداث العالم، واستغرق النورسي في التفكير، وفجأة أخرج خطابا من حقيبته كان قد تلقاه من أنور باشا في تركستان؛ حيث كان مصرا على أن مصطفى كمال لا ينبغي أن يُنتخب رئيسا، ولا يتضح المراد بهذا، وربما كانت رواية سليمان غامضة؛ لأن أنور باشا كان قد سافر إلى بخارى من باطوم في أكتوبر من عام ١٩٢١ حيث مات خلال قتاله البلشفيين في ٤ أغسطس من عام ١٩٢٢، ولم تكن السلطنة أو الخلافة قد ألغيت حتى هذا التاريخ.

هذا على أنه حتى إذا كانت تفاصيل الحكاية السابقة غير دقيقة، فمن المؤكد أن خطاب أنور باشا إلى النورسي كان ممكنا، فقد رأينا سابقا كيف رحب بعودة النورسي وعينه بنفسه في دار الحكمة، وكان من الممكن دون شك أن يعينه في مناصب أخرى لولا أن النورسي أوضح بأنه يريد أن يقدم خدماته من خلال علمه، ولم تكن هزيمة الإمبراطورية العثمانية لتثني أنور باشا عن مخططه الكبير لتوحيد المسلمين في شتى أنحاء الأرض، وتحريضهم على الثورة ضد قوى الاستعمار، ورغم عزله رسميا فقد دبر لاستمرار عمل التشكيلات المخصوصة قبل مغادرته تركيا في أداء مهامها تحت اسم التشكيلات الثورية العامة للعالم الإسلامي، وقد لعبت دورا هاما في استانبول كجزء من حركة مقاومة قاراقول. رأى أنور أن الحرب لم تنته بعد، لذلك عزم على قلب الهزيمة العثمانية بقوى "جيش الإسلام" التي أعاد حشدها في القوقاز تحت قيادة عمه خليل باشا وأخيه نوري باشا.[١٠٥]

ظل أنور باشا هو المنافس البارز الذي كان يتمتع بتأييد مستمر من الجنود وجماعات الاتحاديين بين الوطنيين إلى أن نصب مصطفى كمال نفسه قائدا

(١٠٥) Zürcher; *Unionist Factor 83-84 94*

للحركة الوطنية بعد النصر التركي في سقاريا في سبتمبر عام١٩٢١،[١٠٦] وقد باءت جهوده للحصول على الدعم البلشفي والتأييد المادي لتشكيل جيش في القوقاز ليذهب به إلى الأناضول بالفشل في نهاية الأمر عندما عقد البلشفيون معاهدة صداقة مع حكومة أنقرة في موسكو في ١٦ مارس من عام ١٩٢١،[١٠٧] ورغم ذلك ظل أنور باشا يتحين الفرص، وأخيرا ترك موسكو ورحل إلى باطوم على الحدود التركية؛ حيث كان معتمدا على التأييد الداخلي، ولعب خليل باشا دورا محوريا في "التدابير" التي اكتنفت عودة أنور باشا إلى الأناضول،[١٠٨] مع أن الأحداث لم تجر لصالحه بل لصالح مصطفى كمال، وقبيل نهاية سبتمبر من عام ١٩٢١ ترك باطوم متجها إلى وسط آسيا مع حاجي سامي شقيق أشرف كوشجي باشي، دون أن تطأ قدمه أرض تركيا.[١٠٩]

ربما يكون أنور باشا قد كتب إلى النورسي عندما كان يضع خطته للعودة، وعلى أية حال فبينما كان يجلس على صخرة في وسط البوسفور، أخرج النورسي ورقة وقلما من حقيبته، وشرع في كتابة الرد الذي بدأه بقوله: "يا بطل الحرية"،[١١٠] ولم ينقل محتوى هذا الخطاب.

---

(١٠٦) Zürcher; *Turkey 165*

(١٠٧) Hale; *Turkish Foreign Policy 51*

(١٠٨) Zürcher; *Unionist Factor 123*

(١٠٩) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(١١٠) انظر أنور باشا في *Son Şahitler1:201-205.* Şahiner

الفصل الثامن

سنوات الهدنة (٢):
مولد سعيد الجديد والرحيل إلى أنقرة

رأى النورسي "رؤيا صادقة" في سبتمبر ١٩١٩، وتحدث عنها فيما بعد؛ إذ ضمنها في "السنوحات"،[١] وقد أخبرنا بأنه كان في ضيق شديد آنذاك من مجريات الأحداث، وكان "يبحث عن بصيص من نور في ذلك الظلام الحالك"، فرأى في منامه أنه طُلب مثوله أمام "جمع كبير" من كبار القادة الممثلين للإسلام من كل قرن، وطلب منه التحدث عن وضع الإسلام الحالي، وخلافا لما كان متوقعا فقد أشار النورسي في رده إلى بعض المظاهر الإيجابية التي جاءت بها الهزيمة؛ مثل تقوية أواصر الأخوة الإسلامية،[٢] والنأي بالعثمانيين عن "التيار الطاغي" للرأسمالية. عقد النورسي مقارنة بين المبادئ التي قامت عليها كل من الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية من أجل توضيح الأسباب التي جعلت الإسلام يتنكر للحضارة الغربية المعاصرة التي تتلخص

---

(١) النورسى: صيقل الإسلام، السانحات ص ٣٥٥.

(٢) لم تكن تلك مجرد أمنيات، فقد علق أحد المراقبين الغربيين المعاصرين وهو لوثرب ستودارت قائلا، إنه رغم الهيمنة الغربية، فإن كل الدلالات توضح أن الاتحاد والتعاون آخذ في الزيادة بين أمم الشرق الأدنى، وتدليلا على ذلك استشهد بالاجتماع الإسلامي الذي عقد في سيوا عام ١٩٢١، ورأسه الشيخ أحمد السنوسي، واشترك فيه ممثلون من أنحاء العالم الإسلامي.(انظر: Lothrop Stoddard, *ı. Cihan Harbi Sonrasznda İslam Ālemi,* 231 وكذلك Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 404) وذكر أحد المصادر أن النورسي قد اشترك في تنظيم ذلك الاجتماع، وكذلك السيد أشرف أديب ومحمد عاكف. Eşref Edip" S. V. *TDVİA,*" وكذلك: Albayrak, *Siyasi Boyutlarıyla Türkiye'de İslamcılığın Doğuşu,* 359, 361 وفي الحادي عشر من مارس ١٩٢١ قررت حكومة أنقرة عقد اجتماع إسلامي كبير. Eğilmez, *Türkiye Cumhuriyeti Tarihine Giriş,* 54 وراجع كذلك مجلة سبيل الرشاد أعداد ٤٧٢ ٢١ مارس ١٩٢١، ٤٧٤ ٣١ مارس ١٩٢١ إلا أن ذلك لم يتم إنجازه جراء احتلال اليونان لمدينة اسكي شهر.

في رأسمالية قبيحة تقوم على الاستغلال، وإمبريالية عدوانية تسود العصر، وقد لاقى هذا الإيضاح الأصيل والممتع استحسان الجمع في الرؤيا، وأعلن أحدهم: "أجل، لك البشرى! فلسوف تكون كلمة الإسلام هي العليا في التغيّرات والثورات القادمة".

تظهر المقارنة ذاتها بين الحضارتين الغربية والإسلامية في سياقات عديدة في أعمال النورسي التي جاءت في تلك الفترة، ويمكننا أن نرى من هذه المقارنة، ومن خلال مراجع أخرى حول الموضوع ذاته قدرا أكبر من التفاصيل عن رؤية النورسي في هذا الأمر، وأسباب التفاؤل والأمل في المستقبل التي تبعث عليه الرؤيا. تتضح مناقشات النورسي إذا وضعناها في السياق الأوسع للجدل الراهن الذي يتركز على المثاليات المتعارضة "للشرق" و"الغرب"،[٣] وبإيجاز، فقد أعقب الثورة الروسية تغيرٌ في معاني هذه المفاهيم، وبدأ الغرب يمثل "الإمبريالية" فيما كان الشرق هو "الجزء المناهض للإمبريالية من العالم".[٤] كان كلا من الأتراك ودعاة الفكر الإسلامي على النموذج الشرقي، وكما يرى "ماركس" أصبح مقبولا على نطاق كبير أن الغرب "سيتجرع الهزيمة على يدي شعوب الشرق المقهورة." رأت حكومة استانبول وحزب الحرية والائتلاف أخذ طريق "الغرب"، أما أنقرة فقد اختارت "الشرق" (في ١٩٢١).[٥]

أما تحليل النورسي للموقف، فتذكر إشارته المتكررة أنه كما لم تكن الحضارة المعاصرة نتاجا للمسيحية أو قصرا عليها، كذلك لم يكن الانحطاط والتخلف نتاجا للإسلام: إن قصر الحضارة على المسيحية أمر لا يمت للحقيقة بصلة كما أن القول بوجود صلة بين الانحطاط - عدو الإسلام — والدين الإسلامي لا يختلف كثيرا عن القول بأن الفلك (المقدرات) يدور في اتجاه عكسي."[٦] فالإسلام كما رأينا يدعو إلى التقدم، ويشتمل على كل ضروريات الحضارة: "أعلن وأنا في كامل قواي أن لا شيء من فضائل الحضارة ذاتها أو

---

(٣) Berkes *The Development of Secularism in Turkey*,437

(٤) المرجع السابق، ص٤٣٨.

(٥) Tunaya, *Türkiye'de Siyasal Partiler*, 2:288.

(٦) انظر: النورسي: صيقل الإسلام، السانحات، الهامش ص ٣٦٩.

ما هو أفضل منه إلا وقد كفله الإسلام تصريحا أو تلميحا".[٧] وكتب في عمل آخر يقول: "إن ما يعرف بفضائل الحضارة ليست سوى أمور مأخوذة عن الشريعة"،[٨] كما أشار النورسي الى أن الإسلام قد لعب دورا أساسيا ومحوريا في تطور الحضارة الأوروبية:

"فمما لا ينبغي أن ننكر أن في المدنية محاسن كثيرة، إلاّ أنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها، وحث الشرائع السماوية -ولا سيما الشريعة المحمدية- وحاجة الفطرة البشرية. فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام. لذا لا يتملكها أحدٌ من الناس."[٩]

ويعبر في عمل آخر عن تلك المفاهيم بمصطلحات أقوى، فيقول:

" أما ما يُرى في مدنية الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالي الروحية، فمن ترشحات مدنية الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته، ومن بقايا لمعات الأديان السماوية."[١٠]

بيد أن مفاسد الحضارة الغربية قد فاقت كل ما فيها من مظاهر نافعة، وأرجع النورسي ذلك لسببين:

"الأول: فسح المجال للسفاهة، وتلبية شهوات النفس، بعدم جعل الدين والفضيلة دستوراً للمدنية.

الثاني: التباين الاجتماعي الرهيب في الحياة المعاشية، الناشئ من فقدان التراحم الناجم من حب الشهوات ومجافاة الدين. نعم! إن هذا الإلحاد ومجافاة الدين قد سبب فوضئ في المدنية الأوروبية، وقلبها رأساً على عقب، بحيث ولّد كثيراً من المنظمات الفوضوية وهيئات الإفساد والإضلال. فلو لم يُلجأ الى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يُتحصن بذلك الحبل المتين ولم يوضع سدٌّ تجاه هذه المنظمات الفوضوية كسد ذي القرنين، فستدمّر تلك المنظمات عالم مدنيتهم وتقضي عليها، كما يهددونها حالياً.".[١١]

---

(٧) Nursi, "Bediuzzaman-ı Kürdi'nin Fihriste-i Maksadı," *Volkan,* no. 83, Düzdağ, *Volken Gazetesi,* 402

(٨) النورسي: صيقل الإسلام، المحاكمات ص ٥٢.

(٩) النورسي، الكلمات ص ٧٦١.

(١٠) النورسي، المثنوى العربي النورى، حباب، ١٨١.

(١١) النورسي: صيقل الإسلام، المحاكمات ص ٥٦.

تنبأ النورسي أنه طالما نأت الحضارة الغربية عن المسيحية الصحيحة، وأُسّس بنيانها على غير هدي الشرع السماوي بل على أسس الفلسفة الرومانية أصالة؛ فلسوف "تتبدد" و"تزول هويتها"، مفسحة الطريق لظهور الحضارة الإسلامية. كانت مقارنته بين المبادئ "الإيجابية" وآثار الوحي من جهة، والمبادئ "السلبية" وعواقب الفلسفة من جهة أخرى، أو بين الهدى الإلهي و"الدهاء". لقد وصف الحضارة الغربية فقال:

نقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة. هدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية. دستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة. رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد. ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك. وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.

أما المبادئ التي تأسست عليها الحضارة الإسلامية فهي نقيض ذلك تماما:

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء. وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة. دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات. وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم. رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة واخوة الإيمان. وشأن هذه الرابطة: اخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية..[١٢]

يجدر بنا ذكر مظهرين من مظاهر الحضارة المتنوعة التي عقد النورسي لها مقارنات أكثر تفصيلا، أول هذه المظاهر هو الأدب. عقد النورسي في جزء من

(١٢) النورسي: صيقل الإسلام السانحات ص ٣٥٩؛ النورسي، الكلمات، ص ٨٥٦-٨٥٨

كتاب اللمعات – وهو مجموعة من الكتابات ألفت بنظام الشعر الحر حول موضوعات متنوعة، ونُشر في استانبول عام ١٩٢١- مقارنة بين القرآن باعتباره أدبا وبين الأدب الأوروبي. تمثل هذا الأدب في فن الرواية، والتي راجت بقوة بين العثمانيين المتغربين منذ عهد عبد الحميد، ويذكر النورسي أن هناك ثلاثة مجالات للأدب، تهتم بالحب والجمال، والبطولة والشجاعة، ووصف الواقع.

يرى النورسي أن الأدب الأوروبي لا صلة له بالمجال الأول؛ إذ لم يعرف معنى الحب الصادق، ولا يلقي بالا إلا للشهوات الجسدية، رغم مغزاه من سمو عقلي وإدانة لتلك الأمور التي لا تناسب الإنسان، أما فيما يتعلق بالمجال الثاني؛ فالأدب الغربي لا يميل للحق والعدل، بل يقدس مفهوم القوة.

أما في وصف الواقع، فيصف النورسي الرؤية الغربية بمزيد من التفصيل، ويشير النورسي أنه طالما لا ينظر الأدب الأوروبي إلى الكون كفنٍ إلهي، بل من وجهة نظر الطبيعة، فهو يستثير المادية وعبادة الطبيعة. أما الرواية، فسواء أكانت في الكتب أم المسرح أم السينما، فهي الدواء الوحيد القادر على استكشاف ضائقة الروح النابعة من الضلال. ويواصل النورسي حديثه قائلا: إن كلاهما يتسبب في شعور بالحزن، ولكن إذا كان الحزن الذي يسببه القرآن ذا طبيعة سامية ونبيلة، فإن ذلك الحزن المنبعث من الأدب الأوروبي لا يترك بصيصا من أمل، وهذا نابع من رؤية الوجود التي يعبر عنها، فالعالم مكان وحشي لا رب له، وما يوحي بالحزن ما هو إلا "الطبيعة الصماء" و "القوة العمياء"، إنها تأوهات حزينة ليتيم مستوحش جرّاء افتقاره للأخلاء بل لا خِل له، وإذا كان كلاهما يمنح السعادة ويثير العواطف؛ فالقرآن يثير الروح ويحرك أرقى المشاعر وأسماها، أما الأدب الأوروبي فيثير الشهوات الحيوانية للإنسان ويشبع طبيعته البهيمية فحسب.(١٣)

أما المظهر الثاني الجديد بالاعتبار هنا فهو ذو طبيعة اجتماعية اقتصادية، ويتعلق بالاضطهاد المتأصل في الحضارة الغربية، وعلاج عواقبه الوخيمة التي جاء بها الإسلام، ويوجز النورسي السبب الأصيل للاضطراب الاجتماعي الذي

(١٣) انظر: النورسي، الكلمات، ص ٨٥٥-٨٥٨.

قاسته البشرية، خاصة في القرن العشرين في مرحلتين؛ إحداهما: مرحلة "ما دمت شبعانا فما يهمني إذا مات الآخرون جوعا؟"، والأخرى: "أنت تكد وتعمل حتى أعيش في راحة ويسر". ويؤكد النورسي أنه إذا كان لهذه المساوئ أن تنتهي، فسوف يكون هذا من خلال أحكام القرآن من وجوب الزكاة وحرمة الربا، وجاءت حجة النورسي على النحو التالي:

كانت المرحلة الأولى سببا في هذه الفتنة والصراع مما جعلها على وشك إضرام نار الاضطراب في الإنسانية بتشجيع طبقات الأغنياء على التعامل مع الفقراء بقسوة في استبداد وعجرفة. أما المرحلة الثانية فبإيغار صدور الفقراء كراهية وحقدا على الأغنياء خلال قرون عديدة قوضت النظام والأمن العام، وقد تسبب هذا القرن في تفشي الكارثة والاضطراب على نحو أوسع نظرا للصراع بين رأس المال والعمل، أما دور الزكاة وتحريم الربا في إصلاح هذا الموقف فهو:

إن أهم جوانب الحفاظ على نظام المجتمع ككل ليس السماح باتساع الفجوة بين الطبقات المتعددة، فيلزم ألا تنفصم الطبقات العليا والأغنياء عن الطبقات الدنيا والفقراء لدرجة تؤدي لتفكك عرى الوصل بينها كما حدث في الحضارة الأوروبية، فرغم وقف جمعياتها على أعمال البر، ومؤسساتها على تعليم الأخلاق، ورغم كل ضوابطها ولوائحها الصارمة"، إلا أنها لم توفق بين هاتين الطبقتين، ولم تبرئ جراح البشرية النابعة من هاتين المرحلتين.

أما الإسلام فيحرص على دعم العلاقات بين الفقراء والأغنياء بفرض الزكاة وتحريم الربا، كما يعقد روابط الاحترام والتعاطف بين كلتا الطبقتين، فيحفظ نظام المجتمع واستقراره بعدم السماح باتساع الفجوة بين الطبقات، و"يستأصل" المرحلتين ويداوي الجراح التي أحدثاها للإنسانية،[١٤] فكيف يُهزم الإسلام ماديا على يد الحضارة الغربية وهو يضم بين جنباته حضارة حقيقية؟ سُئل النورسي في رؤياه عن ذلك، كما سأله أحد الممثلين في الجمع: "بأي من أعمالكم وقع عليكم القضاء الإلهي وحلت بكم تلك الكارثة؟" فأجاب

(١٤) انظر: النورسي، إشارات الإعجاز، ص٥٣-٥٥. والكلمات، ٤٧٣،٤٧٤،٨٥١.

النورسي بأن إهمالهم لثلاثة من "أركان الإسلام" هي إقام الصلاة، وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة هو الذي جلبها عليهم،[١٥] ثم أضاف ملحوظة ذكر فيها إهمالهم لفريضة الحج.

هيمنة القرآن الكريم

تناولنا بإسهاب من أسباب تدهور العالم الإسلامي والعثمانيين بوجه خاص أثناء وصف فكر النورسي وأعماله، ويمكن بوجه عام تقسيم هذه الأسباب إلى قسمين رئيسيين. الأول: الاستبداد، والآخر: الدين، وبالأحرى الإخفاق في الالتزام بمبادئه في أشياء كثيرة، والسببان مترابطان. لقد تم بشيء من التفصيل مناقشة مسألة الاستبداد، وما لها من عواقب وخيمة عديدة وبالغة، وكذلك سبل حلها عن طريق المشروطية، والحرية، والمفاهيم ذات الصلة التي تحددها الشريعة، والحلول التي سعى إليها النورسي خلال عمله الدءوب، أما عن الدين، فهناك الكثير من وجوه الانحطاط تندرج تحت هذا المسمى، وقد تم وصف هذه الوجوه إضافة للحلول الخاصة بها في كثير من المواضع، وتضم هذه الموضوعات مشكلة التدهور في التربية والتعليم، والحلول التي قدمها النورسي لذلك، والتي يمكنها رأب الصدع العميق بين العلماء والصوفية من جهة ومن لهم خلفية دراسية علمانية غربية من جهة أخرى، كما تناولنا إهمال "أركان الإسلام" وفقا لما هو مشار إليه في الرؤيا آنفة الذكر، "وعلل" الحياة الاجتماعية المختلفة عند المسلمين، كما تحدث النورسي عن "الأخلاق و علاجها" في خطبته الشامية. وبدلا من محاولة القيام بتحليل شامل لكل الأسباب التي حددها النورسي لتدهور وتخلف العالم الإسلامي بشكل ملحوظ، سنكتفي بذكر النقاط التالية:

يُرجع النورسي في كتابه "محاكمات" الذي كتبه لوضع مبادئ تفسير القرآن، هذا التدهور إلى حقيقة الابتعاد عن جوهر أو حقيقة التعاليم الإسلامية اكتفاء بالمظهر الخارجي، فكتب يقول:

---

(١٥) انظر: النورسي: صيقل الإسلام، السانحات ص٣٦٠.

"لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشره وظاهره. وأسأنا الفهم، فأسأنا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقّه حق الإيفاء وما يستحقه من الاحترام، حتى رغِبَ عنّا، ونَفَر منّا، وتستر بسحائب الأوهام والخيالات. والحق معه، إذ: نزّلنا الإسرائيليات منزلة أصوله، وأدخلنا الحكايات في عقائده، ومزجنا مجازاته بحقائقه. فبخسنا حقه، فجازانا بالإذلال والسفالة في الدنيا.. ولا خلاص لنا إلاّ باللواذ برحمته.".[١٦]

يواصل النورسي الحديث في الكتاب نفسه عن الموضوع موضحا كيف مزجت بعض الإسرائيليات وقدر من الفلسفة اليونانية بالدين الإسلامي، "مرتدية عباءة الدين" ملقية بالعقول في بحر الضلال. وعند بيانه كيفية وقوع ذلك، قرر النورسي أنه عند تفسير القرآن قام بعض "الدخلاء" على العلماء بشرح بعض آياته بتوفيقها مع الإسرائيليات، فكتب يقول: " إن الذي يفسر القرآن ليس إلاّ القرآن والحديث الصحيح، وإلاّ فلا يفسر القرآن بالإنجيل والتوراة المنسوخة أحكامهما والمحرفة قصصهما.."

أما الفلسفة اليونانية، فقد انبثقت من الأساطير والخرافات، كما أحدثت تخبطا كثيرا، ومهدت الطريق لظهور التقليد بدلا من الدراسات البحثية الناقدة، فلقد زعم المفسرون الدخلاء وجود أوجه تشابه واتفاق بين الفلسفة وقضايا القرآن مما يقتضي إعمال العقل، ففسروا تلك الآيات مستعينين بالفلسفة، وواءموا بينها وبين الفلسفة. ثم قال النورسي: حاشا لله!... فمعيار الكتاب المعجز يكمن في إعجازه؛ حيث يفسر بعضه بعضا، فمعناه مبين فيه، وأصدافه من لؤلؤ لا من طين".[١٧]

ولنعد إلى كتاب "السنوحات" الذي نشر عام ١٩١٩- ١٩٢٠، ونتناول مقطعا منه يتناول القرآن وانحطاط الإسلام، ويصف تحت عنوان "هيمنة القرآن الكريم" ما اعتبره النورسي: "أهم أسباب إهمال المجتمع الإسلامي وعدم اكتراثه لأحكام الدين."

---

(١٦) النورسي: صيقل الإسلام المحاكمات ص ٢٢.
(١٧) المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

وتتلخص حجة النورسي في أنه رغم أن قدسية القرآن هي التي تدفع ملايين المؤمنين للالتزام بأحكام الدين، وليس العقل؛ فإن الطريقة التي تطورت بها تفاسير القرآن والمصنفات الفقهية عبر العصور أضحت بمثابة حجاب على هذه القدسية.

يحاول النورسي أن يدلل أنه رغم أن أصول الدين وأركان الإسلام التي يحتويها القرآن وسنة النبي ﷺ المبينة له "دون غيرهما" تشكل ٩٠ ٪ من الدين، وأن الأمور المثيرة للجدل التي تقبل الاجتهاد تشكل ١٠ ٪ فقط، إلا انه تم "الاحتفاء بهذه الأمور عبر العصور" فمزجت مع القرآن والسنة، وأصبحت تابعة لهما.

ورغم أن "مؤلفات المجتهدين من الفقهاء يناط بها بيان معنى القرآن وتوضيح مراميه؛ إلا أنه ليس لها أن تغطي القرآن أو تكون لها حجية دونه، وعلى هذه المؤلفات تَرَكز انتباه الجمهرة العظمى من المسلمين، ففكروا في القرآن بشكل غامض، وقرءوا هذه الكتب لا ليعرفوا معاني القرآن، بل ليعرفوا ما يذكره مؤلفوها، ولذلك اعتاد عامة المسلمين عدم المبالاة، وأصبحوا غير مكترثين كالموتى، ويستطرد النورسي قائلا: "لو تم بيان القرآن في أصول الدين مباشرة لأدركت العقول قدسيته بشكل طبيعي، وهو ما يحث على الالتزام [بأحكام الدين]، ويستثير الوعي، وتلك خاصية [للقرآن]، ولأمكن للقلوب أن تستشعر الحب له، ولما صُمت عن مواعظ العقيدة".

أعقب ذلك تقرير النورسي عن وجود ثلاث سبل لتوجيه انتباه عامة المؤمنين للقرآن، ويصف النورسي أولها بأنها خطيرة، والثانية بحاجتها لزمن طويل، أما الثالثة فتزيل الحجب التي تُلقي على القرآن نوعا من الغموض، ويبينه لعامة المؤمنين مباشرة؛ وهنا يجب على المؤمن ابتغاء "فرائد القرآن الخالصة" في القرآن نفسه، أما أحكامه الفرعية فمن شروحه الثانوية. ويمكن القول: إن الأصول واللباب والتي تشكل ٩٠ ٪ يجب الرجوع فيها إلى القرآن نفسه والسنّة، أما الفروع القابلة للاجتهاد والتي تشكل ١٠ ٪ فيلزم الرجوع فيها إلى مصنفات أهل العلم من المفسرين؛ إذ الضرورة ظاهرة لهذه التفاسير الوفيرة

بحقٍ وللمصنفات الفقهية، والتفريق بينهما ينصرف للقرآن الكريم ذاته في الواقع، وإذا كان الأمر كذلك، فالضرورة أعظم لشدة الحاجة، وبهذه الطريقة كان يمكن للقرآن أن يسود المجتمع الإسلامي ويؤثر عليه، وقد رأى النورسي رؤيا لها مغزاها عقب كتابته هذا النص بفترة وجيزة، وذيّله بها كما يلي:

"بعد أن كتبت هذه المسألة بفترة قصيرة، تشرفت برؤيا الرسول الكريم ﷺفي المنام. كنت في حظوة مجلسه الجليل في مدرسة دينية، سيعلمني من القرآن درسا. فعندما أتوا بالمصحف الشريف قام الرسول الكريم ﷺاحتراماً للقرآن، فخطر لي آنئذ أن هذا إرشاد للأمة لتوقير القرآن الكريم وإجلاله. ثم حكيت الرؤيا لأحد الصالحين فعبَّره هكذا: إن هذه إشارة واضحة وبشرى عظيمة إلى أن القرآن الكريم سيحوز ما يليق به من مقام رفيع في العالم أجمع.".[١٨]

مولد سعيد الجديد

مر النورسي بعد نحو عامين من عودته إلى استانبول من معسكر الأسرى بروسيا بتغيير داخلي جذري أي بـ "ثورة روحية غريبة"، وتمخض عن هذا الاضطراب الداخلي مولد سعيد الجديد. والواقع أنه يتضح من السيرة التي كتبها عبد الرحمن عنه ومن طلبه الحصول على إجازة من دار الحكمة أن النورسي منذ عودته كان يعاني من مشاكل صحية، ويبدو أن آلام الحرب وظروف أسره العصيبة قد أخذت بنصيبها منه، بينما كانت الأهوال والمعاناة التي مر بها، وموت كثير من تلاميذه، وما أعقب ذلك من هزيمة العثمانيين والاحتلال الأجنبي مصادر محن وآلام عظيمة. ومع ذلك، فكما رأينا في نهاية القطعة التي تصف "صحوته" في المسجد الصغير بجوار نهر الفولجا، اعتبر النورسي أول سنتين بعد عودته فترة همود وغفلة - رغم كل أنشطته فيها - والتي كان الثناء الذي حظي به خلالها سببا في تجاهله لقراره باعتزال الحياة الاجتماعية إلى حين والتركيز على الحياة الروحية. لقد وصف النورسي بشيء من التفصيل نقطة التحول الرئيسة التي حدثت آنذاك في العديد من أعماله، وفي ضوء هذه الأعمال سنتعقب تطورها. وبعد أن بلغ النورسي النصف الثاني

(١٨) النورسي: صيقل الإسلام، السانحات ص ٣٥٠.

من عام ١٩٢٠، اكتملت عملية التحول العقلي والروحي بحلول نهاية عام ١٩٢١، ويبدو كما لو أن ومضات الإدراك قد أعادت بدء عملية الصحوة الروحية ثانية، جرى ذلك في مواقع عالية تشرف على مدينة استانبول، في شكل إدراك للحقائق المجردة حول الموت والفراق والهرم وزوال الأشياء. يقول النورسي أنه حاول حينئذ - وقبل كل شيء — أن يجد سلوى وشعاعا من نور في علمه، وفي الأشياء التي عكف على تعلمها سنوات عديدة، إلا إنه بدلا من ذلك وجد أن تلك الأشياء قد أوبقت روحه وأصبحت عقبة في سبيل رقيه الروحي.[١٩]

كان النورسي حتى ذلك الحين قد "أغرق عقله في علوم الفلسفة إلى جانب العلوم الإسلامية"؛ لاعتقاده أن "العلوم الفلسفية وسائل للرقي والمعرفة الروحية"، إضافة إلى أنه رأى أن العلوم والفلسفة الأوروبية يمكن استخدامها في "مؤازرة" الإسلام "وتقويته"، ووصف ذلك كما يلي:

إن سعيداً القديم والمفكرين، قد ارتضَوا بقسم من دساتير الفلسفة البشرية، أي يقبلون شيئاً منها، ويبارزونهم بأسلحتهم، ويعدّون قسماً من دساتيرها كأنها العلوم الحديثة فيسلّمون بها. ولهذا لا يتمكنون من إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام على تلك الصورة من العمل. إذ يطعّمون شجرةَ الإسلام بأغصان الحكمة التي يظنونها عميقةَ الجذور. وكأنهم بهذا يقوون الإسلام. ولكن لما كان الظهور على الأعداء بهذا النمط من العمل قليل، ولأن فيه شيئاً من التهوين لشأن الإسلام. فقد تركتُ ذلك المسلك. وأظهرتُ فعلاً: أن أسس الإسلام عريقةٌ وغائرة إلى درجة لا تبلغها أبداً أعمقُ أسس الفلسفة، بل تظل سطحية تجاهها..[٢٠]

أما الآن وقد غمرته المعرفة التي ورثها عن سني عمره (لم يبلغ بعد خمسة وأربعين عاما)، وغلبته طبيعته الملولة لكل ما يلاقيه من الأشياء ؛ فإن علم النورسي لم يغن عنه فتيلا في بيان دربه، وذلك:

"لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكاً ومدخلاً للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلاً في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة. وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدَها - كأكثر أهل الطريقة - بل جهد كلَّ الجهد أولاً

---

(١٩) النورسي، اللمعات، ص ٣٦٦-٣٦٩ .

(٢٠) النورسي، المكتوبات، ص ٥٦٩.

لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثَتها إيّاه مداومةُ النظر في كتب الفلاسفة. ثم أراد - بعد أن تخلّص من هذه الأسقام - أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكلٍّ من أولئك العظماء خاصيّةً جاذبة خاصة به، فحار في ترجيح بعضهم على بعض."[٢١]

دفعت أزمة النورسي الروحية به للانسحاب من المجتمع، واللجوء إلى العزلة والانزواء بمنأى عن الحياة في استانبول، انعزل النورسي إلى تل مرتفع يسمى بتل يوشع[٢٢] على الجانب الآسيوي من البوسفور قرب نقطة التقائه بالبحر الأسود، وهنا يخبرنا أنه لن يدع عبد الرحمن ليعتني بحاجاته الأساسية.[٢٣] عقب ذلك أخذ منزلا في ساريير الواقعة على الجانب الأوربي من البوسفور؛ حيث ظل هناك بمنزل خشبي قديم ما زال شاهدا على أن النورسي قد وجد حل أزمته وأصاب بغيته.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان أول من أعان النورسي في أزمته؛ فمن "حسن طالعه" أنه وقع على نسخة من كتاب فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني، وعندما فتح بعض صفحاته وقعت عينيه على هذه

---

(٢١) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٢٩.

(٢٢) هناك قصة جديرة بالذكر، سجلها السيد إبراهيم فاقازلي، أحد تلاميذ النورسي في سنواته الأخيرة، نقلا عن سيد شفيق، أحد تلاميذ النورسي في وان، والذي صحب النورسي في استانبول بينما كان في طريق عودته من الأسر في روسيا، فقد أخبر سيد شفيق، والذي كان يعمل إماما لمسجد السلطان أحمد في استانبول، إبراهيم فاقازلي أن سعيد حليم باشا كان قد قرر تسليم النورسي عقارا له يقع على البوسفور يحتوي على أيكة من الأشجار، وعدد من الأبنية بغرض إنشاء جامعة إسلامية، وذلك في الفترة التي أعقبت استقالته من منصب الصدر الأعظم سنة ١٩١٧، وقبل سفره للخارج، حيث لم يكن له من وارث، إلا إن النورسي اختفى عندئذ مدة شهر، وعند العلم بوجوده في تل يوشع أُرسل إليه إشعار بالحضور لمكتب تسجيل العقارات، لإتمام الصفقة، وطلب النورسي أربعا وعشرين ساعة يستخير الله فيها بهذا الشأن، وهنالك كتب قصيدته "اللوحتان"، والتي تبدأ بقوله: لا تدعني إلى الدنيا..

ومن ثَمَّ فقد رفض العرض، أي أن النورسي قد عقد العزم على نبذ الدنيا، ولم يتراجع عن قراره بناء على قوة القطعتين، هذا وقد ضمنهما فيما بعد في رسائل النور في الكلمة السابعة عشر. (الكلمات، ص٢٣١-٢٣٢). وهذه الحادثة تبين ما كان للنورسي من مكانة عند كبار رجال المؤسسة العثمانية، وتجعل من المحتمل أن تكون عملية التحول إلى سعيد الجديد قد بدأت في مرحلة مبكرة. ولما كان سعيد حليم أحد أعضاء حكومة الاتحاد والترقي التي أدخلت تركيا في الحرب العالمية، فقد ألقي القبض عليه في أوائل مارس ١٩١٩. İnal, *Son Sadrıazamlar*, 4:1909-12.

(٢٣) النورسي، السيرة ص ١٣٤.

السطور: "أنت في دار الحكمة، فاطلب طبيبا يداوي قلبك"،[٢٤] أو كما فسرها النورسي:

يا للعجب!. لقد كنتُ يومئذ عضواً في "دار الحكمة الإسلامية" [٢٥] وكأنما جئت إليها لأداوي جروحَ الأمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشدّ مرضاً وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يداويَ نفسَه قبل أن يداوي الآخرين. نعم، هكذا خاطبني الشيخ: أنت مريض.. ابحث عن طبيب يداويك!..قلت: كن أنت طبيبي أيها الشيخ! وبدأتُ أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديدَ اللّهجة يحطّم غروري، فأجرى عملياتٍ جراحية عميقة في نفسي.. فلم أتحملْ، ولم أطقْ تحمله.. لأني كنت اعتبر كلامه موجهاً إليّ. نعم، هكذا قرأتُه إلى ما يقارب نصفه.. لم استطع إتمامه.. وضعت الكتاب في مكانه، ثم أحسستُ بعد ذلك بفترة بأن آلام الجراح قد ولّت وخلّفت مكانَها لذائذَ روحيةً عجيبة.. عُدتُ إليه، وأتممت قراءةَ كتاب "أستاذي الأول". واستفدت منه فوائدَ جليلة، وأمضيتُ معه ساعات طويلة أُصغي إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة..[٢٦]

أما العمل الثاني الذي لعب دورا محوريا في تحول سعيد القديم إلى سعيد الجديد فهو كتاب "مكتوبات" للشيخ أحمد السرهندي، المعروف بالإمام الرباني،[٢٧] فبعد فترة من علاجه بكتاب الشيخ الجيلاني، فتح النورسي مكتوبات الشيخ السرهندي للاطلاع على ما فيها، فكتب يقول:

فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة "ميرزا بديع الزمان" فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي "ميرزا" وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان. فقلت: يا سبحان الله.. إنَّ هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأن لقب "سعيد القديم" كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد

---

(٢٤) أصل ذلك موجود في المجلس الخامس والعشرين، ص٢٤٥، من كتاب الشيخ الجيلاني، المسمى بالفتح الرباني، من النسخة المطبوعة دون ذكر لتاريخ الطبع، ومعها أيضا فتوح الغيب تحت عنوانها، وللرجوع للترجمة الإنجليزية *The Sublime Revelations Al-Fath ar-Rabbani* tr. Muhtar Holland Ál-Baz Pub., 1993.

(٢٥) وهي أعلى مجلس علمي تابع للمشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية. (المترجم).

(٢٦) Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî*, 116-17، والنورسي، المكتوبات، ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٢٧) لمزيد من الكتابات عنه، فريدمان، الشيخ أحمد السرهندي، أحمد ، أفكار الشيخ أحمد السرهندي السياسية والدينية، ص٢٥٩-٢٧٠ Friedmann, *Shaykh Ahmad Sirhindī;* Ahmad, "Religious and Political Ideas of Shaikh Ahmad Sirhindi," 259-270.

اشتهر بهذا اللقب غير "الهمذاني" الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلابد أن يكون هناك أحدٌ غيره قد عاصر الإمام الرباني السرهندي وخوطب بهذا اللقب، ولابد أن حالتَه شبيهةٌ بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين.. والإمام الرباني يوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين وفي رسائل أخرى أن: "وحّد القبلة" أي: اتبع إماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره! لم توافق هذه الوصية آنذاك استعدادي وأحوالي الروحية.. وأخذتُ أفكّر ملياً: أيهما اتبّع!. أ أسيرُ وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، إذ في كل منهما خواصٌ وجاذبية، لذا لم أستطع أن أكتفي بواحد منهما. وحينما كنت أتقلبُ في هذه الحيرة الشديدة.. إذا بخاطر رحماني من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي: إن بدايةَ هذه الطرق جميعها.. ومنبعَ هذه الجداول كلِّها.. وشمسَ هذه الكواكب السيارة.. إنما هو "القرآن الكريم" فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلاّ في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلتُ على القرآن واعتصمت به واستمددت منه.. .(٢٨)

لقد صرح النورسي أن هذه النصيحة الهامة بدت غير مناسبة لحالته العقلية، حيث كان في حيرة من أمره؛ فأي الأشخاص يتوجب عليه اتباعه، وقد شرح ذلك بمزيد من التفصيل في مقدمة كتاب المثنوي العربي النوري، الذي تُرجم في الخمسينات، فقال:

" كان سعيد القديم - قبل حوالي خمسين سنة - لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكاً ومدخلاً للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلاً في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة. وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها - كأكثر أهل الطريقة - بل جهد كل الجهد أولاً لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إيّاه مداومة النظر في كتب الفلاسفة. ثم أراد - بعد أن تخلّص من هذه الأسقام - أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكلٍ من أولئك العظماء خاصيّة جاذبة خاصة به،فحار في ترجيح بعضهم على بعض. فخطر على قلب ذلك السعيد القديم الممخض بالجروح - ما في مكتوبات الإمام الرباني من أمره له غيباً: "وحِّد القبلة" أي أن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلاّ، وان توحيد القبلة إنما يكون بأستاذية القرآن فقط، فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه وقلبه

(٢٨) النورسي، المكتوبات، ص٤٥٩.

على أغرب وجه، واضطرته نفسه الأمارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية. وخلال سلوكه ذلك المسلك ومعاناته في دفع الشكوك، قطع المقامات، وطالع ما فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها - أي في المقامات - ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحةً من غير غضٍ ولا غمض.

وبينما هو على تلك الحالة، خطر بقلب سعيد القديم المثخن بالجراح أن الأستاذ الحقيقي الأوحد هو القرآن الكريم، وألهمته الرحمة الإلهية:" أن رأس هذه الطرق ومنبع هذه الفيوضات وشمس هذه الكواكب هو القرآن الحكيم؛ حيث يجب ابتغاء القبلة الوحيدة الصادقة، فهو المرشد الأسمى والأستاذ الأعظم في كل حال، فقبضت عليه بكلتا يدي، وتشبثت به".[٢٩]

لذلك يمكننا القول إن معرفة النورسي حدثت خلال ثلاث مراحل، فأدرك في المرحلة الأولى عجز "الفلسفة الإنسانية" التي درسها وكيف أنها كانت عقبة في طريقه للمعرفة والترقي، وفي المرحلة الثانية كما صرح بنفسه خلال "الدواء المر" فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني: "وقفت على عيوبي، وأدركت جراحي، فقوضت من كبريائي"،[٣٠] وإتماما لعملية تحوله إلى سعيد الجديد، أدرك النورسي من خلال مكتوبات الشيخ أحمد السرهندي أن عليه اتخاذ القرآن أستاذه الأوحد، فكان الأمر بالوحدانية الذي تلقاه من القرآن في قوله: "لا إله إلا الله" بمثابة "نور شديد التألق" بدد الظلمات التي غمرته، وأتاح له التقاط أنفاسه، ويصف النورسي كيف لم يستطع الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء تحمل ذلك، وهجما على عقله وقلبه بما اكتسباه من معرفة الفلاسفة، وأهل الضلالة، إلا ان "انتصار القلب" في النهاية جاء نتيجة للجدل الذي نشأ عن ذلك.[٣١]

يرى النورسي أنه يترقى الآن "بتعاقد العقل والقلب" أي: أنه توصل بهدي القرآن إلى طريق لجوهر الحقيقة من خلال استخدام القلب والعقل معا، ومنذ

---

(٢٩) النورسي، المكتوبات، ص ٤٥٩..
(٣٠) Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî,* 117.
(٣١) النورسي، اللمعات، ص ٣٦٨..

حكّم العقل والقلب معا وجد أن ذلك قد داوى أولا مرض روحه وقلبه كما أخرس الشيطان وروحه الأمارة بالسوء، وخلصه من الشبهات والشكوك. وكان هذا منهج النورسي الجديد، كما كان منهجه في رسائل النور. كان أول عمل كتبه النورسي الجديد في الحقيقة عبارة عن مجموعة من حوالي إحدى عشرة رسالة بالعربية، والتي جمعها بعد ذلك تحت عنوان المثنوي العربي النوري، ووصفها بـ" نواة رسائل النور"؛ كانت هي النواة ورسائل النور "روضتها". (٣٢)

لذا، فعند بلوغه سن الثالثة والأربعين أو الرابعة والأربعين، وبعد مروره بذلك القلق الروحي والعقلي الغامر، عثر النورسي على ضالته، ووصف ذلك البحث قرب نهاية حياته في حضور تلميذه مصطفى صونغور فقال:

> منذ ستين عاما، كنت مشغولا بالبحث عن طريق للحقيقة المناسبة للعصر الحالي، لقد كنت أبحث عن طريق قصير للإيمان الراسخ، والفهم الكامل للإسلام الذي لا تزعزعه هجمات التيارات المدمرة الكثيرة. لجأت في بادئ الأمر إلى منهج الفلاسفة؛ حيث أردت الوصول للحقيقة عن طريق العقل وحده، لكنني تمكنت من الوصول إليها مرتين فقط بصعوبة بالغة، بعد ذلك نظرت فرأيت أن أعظم العبقريات الإنسانية لم تقطع سوى نصف الطريق، ولم يصل أحد منها إلى الحقيقة عن طريق العقل وحده سوى واحد أو اثنين، فقلت لنفسي: إن الطريق الذي لم يستطيعوا حتى سلوكه لا يمكن أن يكون للجميع، فأقلعت عنه تماما، ثم لجأت بعد ذلك إلى منهج الصوفية ودرسته، فرأيت أنه منير متلألئ، لكنه يحتاج أن تحتاط أشد الحيطة، ولا يستطيعه إلا صفوة الصفوة، لذا قلت بعدم تيسره لكل أحد في ذلك الوقت أيضا، فالتمست العون من القرآن، والحمد لله الذي أنعم علي برسائل النور، ذلك الطريق الآمن القصير الذي ألهمنيه القرآن للمؤمنين في هذا العصر.(٣٣)

أنقـرة

تلقى النورسي دعوات متكررة من أنقرة، فأرسل ثلاثة من طلابه؛ توفيق ديمير أوغلو، والملا سليمان، ورفيق بك البتليسي، وكان رائدا بالجيش إلى أنقرة لتقديم الدعم والعون للحكومة الوطنية، وقد ساند هذه الدعوات المتكررة "إمام الدفاع القومي" والمفتي العسكري عثمان نوري أفندي الذي استشاره

---

(٣٢) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص ٣١-٣٢.

(٣٣) انظر مصطفى صونغور في Şahiner, *Aydınlar Konuşuyor,* 399.

النورسي في استانبول حول قبول الذهاب إلى استانبول من عدمه، فنصحه بأن الذهاب إلى أنقرة والالتقاء بالنواب هناك له نفع عظيم،[٣٤] وأخيرا ذهب النورسي إلى هناك بناء على دعوة من صديقه القديم تحسين بك والي "وان" وأرضروم السابق، والذي كان في هذا الوقت نائبا في الجمعية الوطنية الكبرى.[٣٥]

كان النصر قد تم في حرب الاستقلال، وبدأ في الثاني والعشرين من أغسطس ما يُعرف بالهجوم الكبير، والذي أدى في ٢٩ سبتمبر إلى انتصار الأتراك وتحرير الأناضول، وفي أكتوبر وُقعت هدنة مُدانيا،[٣٦] وشهدت تلك الفترة الأيام الأخيرة للإمبراطورية العثمانية، فقد وُقعت الهدنة مع حكومة أنقرة، وإن استمرت حكومة السلطان تحكم اسميا في استانبول، ولحل المشكلة، صوتت الجمعية الوطنية الكبرى في ١ نوفمبر ١٩٢٢ بإيعاز من مصطفى كمال على إسقاط السلطنة والإبقاء على الخلافة فحسب، على أن يظل اختيار الخليفة حقا للجمعية، وغادر السلطان المعزول وحيد الدين البلاد على متن سفينة حربية بريطانية في السادس عشر من نوفمبر، وقامت الجمعية بتنصيب عبد المجيد ابن عمه خليفة له،[٣٧] ثم أُلغيت الخلافة نهائيا في الثالث من مارس ١٩٢٤ بعد أن ظلت في الأسرة العثمانية مدة ٤٠٧ عاما.[٣٨]

وفي زخم هذه الأحداث الجِسام، لاقى النورسي "ترحيبا" رسميا في الجمعية الوطنية في التاسع من نوفمبر ١٩٢٢، وقد دون هذا الاحتفال بمحاضر جلسات ذلك اليوم كما يأتي:

مرحبا بحضرة العالم الديني بديع الزمان سعيد أفندي.

المتحدث: "إن عارف بك نائب بتليس وأصدقاءه لديهم اقتراح:

[عارف بك:] "نقترح على الرئاسة الموقرة الترحيب بحضرة بديع الزمان الملا

---

(٣٤) Badıllı, *Nursi,* 1:535,536، ومحمد تيمور أوغلو "Muhterem Said Nursi'run Doldurduğu Boşluk"، و *Hilal Dergisi* عدد ١٣، شباط ١٩٦٩، نقلا عن *Şahiner, Bilinmeyen,257-258*.

(٣٥) النورسى، سيرة ذاتية، ص ١٨١.

(٣٦) Shaw and Shaw, *History,* 2:362-64.

(٣٧) Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 259.

(٣٨) Danişmend, *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi, 4:470*.

سعيد أفندي، أحد أشهر علماء الأقاليم الشرقية، والذي حضر إلى هنا من استانبول لزيارة مجاهدي الأناضول، وهذا المجلس الموقر، وهو الآن في صالة الزوار. "

بتليس	بتليس	موش	موش	سعرد	بتليس	أركاني
–	–	–	–	–	–	–
عارف	درويش	قاسم	(إلياس سامي)	صالح	رسول	حقي

(تصفيق)

راسخ أفندي (من أنطاليا) نحن نرجوه أن يشرف المنصة بدعواته."[٣٩]

اعتلى النورسي المنصة، وهنأ رجال حرب الاستقلال وتلا الدعوات، ورغم حفاوة استقباله وفرحة انتصار الإسلام والأتراك على أعدائهم، إلا أن النورسي كان يشعر بالخوف لملاحظته التقصير وعدم الاكتراث بالإسلام والشعائر الدينية بين كثير من أعضاء الجمعية. نعرف من سيرته "الرسمية" أن نيته في الذهاب إلى أنقرة كانت حث من بيدهم السلطة على تكوين حكومة تقوم على القرآن والشريعة، فقد هزم الأتراك بعون إلهي هؤلاء الذين أرادوا الفتك بالإسلام. كانت تلك بداية لحقبة جديدة، وآن الأوان كي يحشد الأتراك قواهم ليجعلوا من الجمهورية الجديدة وسيلة لنهضة الإسلام والحضارة الإسلامية، وجعلها مركزا ومصدرا لدعم العالم الإسلامي.[٤٠] علاوة على ذلك، وجد النورسي أن الأفكار الإلحادية آخذة في الانتشار، ووصف ذلك كما يلي:

"دعيتُ لزيارة أنقرة سنة (١٩٢٢م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، إلاّ أنني أبصرتُ - خلال موجة الفرح هذه - زندقةً رهيبة تدبّ بخبثٍ ومكرٍ، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها."[٤١]

يمكن القول: إنه بمجرد إحراز النصر، تطفو الاختلافات القديمة على السطح من جديد، فحتى نيل النصر النهائي، كان من الخيانة أن يقوم أي نائب في الجمعية بالظهور في أي وضع مخالف للإسلام، وما إن تحقق النصر حتى

---

(٣٩) محاضر جلسات الجمعية الوطنية الكبرى، الجلسة الأولى، جـ٢٤، الاجتماع ١٣٥، الثلاثاء، ٩ تشرين الثاني نوفمبر ١٣٣٨١٩٢٢، ٤٥٧، نقلا عن Şahiner, *Bilinmeyen*, 259.

(٤٠) النورسى، سيرة ذاتية، ص ١٨١–١٨٨.

(٤١) النورسي، اللمعات، ص ٢٦٧.

كشف أولئك المتغربين عن أنفسهم، فمنذ افتتاح الجمعية الوطنية الكبرى كان هناك جماعات معارضة عديدة، ففي صيف ١٩٢٢ تشكلت جماعة معارضة لاستبداد مصطفى كمال،[٤٢] إلا أن تحقيق النصر جعله يزيد من سلطاته المستبدة، ولفرض سيطرته على الجمعية، أخذ يعمل على إضعاف المجموعة المحافظة الثانية شيئا فشيئا حتى جاءت انتخابات يونيه ١٩٢٣، والتي غادر النورسي قبلها أنقرة، فتمكن مصطفى كمال من انتخاب مجلس منقاد لا يشكل أي معارضة له.

وفي مواجهة التهاون "وتيار الإلحاد" الذي وجده، كتب النورسي عملا باللغة العربية بعنوان "ذيل الذيل" يدحض فيه الإلحاد، وعمل آخر هو "حباب"، ويشير النورسي لذلك بقوله: "يا للأسف! إن من يعرفون اللغة العربية قليل، أما من يأخذونها مأخذ الجد فهم ندرة" كما أن حجتها غاية في الإيجاز والاختصار، ولذا لم تحدث الرسالة الأثر المنتظر، وأسفا تضخم تيار الإلحاد وازداد قوة."[٤٣] كان الشغل الشاغل للنورسي في أنقرة هو حث النواب على التمسك بالإسلام وأداء شعائر الإسلام في هذا الوقت الحرج، وفي هذا الصدد قام النورسي بنشر بيان من عشر نقاط ثم قام بتوزيعه على كل النواب، وقرأ البيان على مصطفى كمال كاظم قرة بكير باشا.[٤٤]

يؤكد المنشور[٤٥] المطول الصادر بتاريخ ١٩ يناير ١٩٢٣ بشكل خاص على ضرورة إقامة الصلوات المفروضة، وسنذكر هنا ترجمة للجزء الأخير منه، حيث يشير النورسي في البداية إلى الضرر الذي سيلحق بالأمة إذا لم يؤد قادتها ونوابها شعائر الإسلام الواجبة عليهم، ويذهب للقول بعدم أهلية هؤلاء للحكم:

> فيا ترى أي مسوّغ وأيّ مبرر يمكن ابتداعه في ترك الفرائض الذي يصيب ضرره الدين والدنيا معاً؟ وكيف تسمح حمية الفرد ونخوته بذلك التهاون؟ إن

---

(٤٢) Lewis, *Emergence of Modern Turkey*, 381.

(٤٣) انظر: النورسي، اللمعات، ص ٢٦٧.

(٤٤) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٨٢.

(٤٥) المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٤، والنورسي، المثنوى العربى النورى، حباب، ص ٢٠٠.

تصرفات هذه القافلة المجاهدة من أعضاء هذا المجلس العالي بالغة الأهمية، إذ إنها سوف تُقلّد.. فالأمة إما أنها تقلّد أخطاءهم أو تنتقدها، وكلاهما مليئ بالأضرار والأخطار. أي أن تمسكهم بحقوق الله وتوجههم لأداء الفرائض يتضمن حقوق العباد أيضاً. إن عملاً جاداً لا ينجز مع أولئك الذين يرضون بأوهام براقة نابعة من سفسطة النفس ووسوسة الشيطان ويصمّون آذانهم عن البلاغ المبين والبراهين الساطعة بالتواتر والإجماع.. ألا إن الحجر الأساس لهذا الانقلاب العظيم يجب أن يكون متيناً صلداً.

لقد أكد النورسي أن الجمعية تمثل السلطنة حاليا؛ حيث إن السلطة المخولة إليها جاءت من جانب الأمة، كما أن عليها تمثيل الخلافة، ولكن للاضطلاع بذلك فعلى أعضائها أداء الشعائر الدينية ومراقبة أداء الرعية لها، بل والوفاء بحاجات الأمة الدينية، وإذا لم تقم بذلك، فستجبرها الأمة من منطلق الحاجة أن "تفسر معنى اسم" الخلافة التي قامت واقعيا بالاضطلاع بمهامها كما ذكر، كذلك تخول الأمةُ الجمعيةَ سلطةَ القيام بمهام الخلافة ووظائفها. ويؤكد النورسي أنه إذا عجزت الجمعية عن القيام بذلك الدور بسبب إهمال أعضائه أو تهاونهم في أداء الشعائر الدينية؛ فإن ذلك سيفتح الطريق أمام الخلاف والفرقة، الأمر الذي يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً﴾ (آل عمران: ١٠٣).

واصل النورسي حديثه حول تلك النقطة التي تمثل أصلا ومنطلقا لأفكاره والتي ذُكرت في مواطن عديدة من هذا العمل حتى الآن، وهي أن العصر الحديث هو عصر "الجماهير" أو عصر المجتمع أو الجماعة الاجتماعية؛ فالمجتمعات هي السبب في نشأة "الشخصيات" أو "الهيئات" الجماعية، وهي لا تستطيع في حالة الحكومة والسلطة في هذا العصر الحديث المعقد إلا أن تقوم بدورها على النحو اللازم من خلال "شخصيات جماعية" من هذا النوع، ويذكر النورسي ذلك فيما يتعلق بالخلافة:

إن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية - التي هي روح الجماعة - اثبت وامتن من شخصية الفرد. وهي اكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية. فشخصية الخليفة تتمكن من القيام بوظائفها استناداً إلى هذه الروح المعنوية. إن الشخصية المعنوية تعكس روح العامة فان كانت مستقيمة فان إشراقها وتألقها يكون

أسطع وألمع من شخصية الفرد، أما إن كانت فاسدة فان فسادها يستشري وفق ذلك. فالشر والخير محددان في الفرد، بينما لا يحدهما حدود في الجماعة. فإياكم أن تمحقوا المحاسن التي نلتموها تجاه الخارج بإبدالها شروراً في الداخل. انتم اعلم بأن أعداءكم الدائميين وخصومكم يحاولون تدمير شعائر الإسلام، مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها. وإلاّ فستُعينون – بغير شعورٍ منكم – العدو المتحفز للانقضاض عليكم. إن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يُغرى العدو فيكم ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حدّه.

كان لهذه الوصية التي تبين أن النورسي قد قَبِل بمبدأ سيادة الأمة ولم يعارض إلغاء السلطنة شريطة أن يتم الحكم في الهيئة التمثيلية؛ وفقا للمفاهيم الإسلامية، التي يجب أن يكون لها بعض صلاحيات الخلافة[٤٦] (حيث آمن النورسي أنهما أمران لا ينفصلان) – أثر كبير؛ فقد بدأ حوالي ستين نائبا في أداء الصلاة بانتظام مما استدعى استبدال الحجرة التي كانت تستخدم للصلاة بحجرة أوسع، إلا إن ذلك الأمر لم يلق استحسان مصطفى كمال باشا رئيس الجمعية الوطنية، فصرخ ذات يوم في الأستاذ النورسي في حضور عدد كبير من الأعضاء، وقال له مغضبا: "لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من أرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كانت أول جهودك هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس، فأجابه (النورسي) مشيرا إليه بإصبعه في حدة:

باشا.. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود." [٤٧]

كان هناك كثير ممن شهد هذا الموقف،[٤٨] وكانوا يخشون عليه، فمن المؤكد أنه سيلقي بعض المتاعب جرّاء قوله، إلا إن مصطفى كمال كظم غيظه

---

(٤٦) وعلى هذا فقد كانت أفكاره مختلفة عن أفكار رجال الدين والمحافظين الذين وصفهم بيركيه كمعارضين للنظام الجمهوري وإلغاء الخلافة والسلطنة. بيركيه، تطور العلمانية، ص٤٤٩ من المطبوعة.

(٤٧) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٨٦.

(٤٨) على سبيل المثال نائب سيوريك، عبد المجيد الأنصاري، Badıllı, *Nursi,* 1:572.

واعتذر له، وبعد يومين عقد لقاء مع النورسي في مكتبه استمر لساعتين، وكديدنه لم ينحنِ النورسي لمصطفى كمال كما لم يفعل مع الباشاوات في المحكمة العسكرية أو مع الدوق الأكبر نيكولا في قوصترما، فقد انتهز الفرصة ليعاتبه على الضرر الكبير الذي ألحقه بالأمة، والوطن، والعالم الإسلامي بمهاجمة الإسلام ومحاولة استئصال شعائره على أمل نيل رضا أعدائهم، فإذا كان للثورة أن تقوم، فإن ذلك يجب أن يكون بجعل القرآن أساسا لهذه الثورة. ركز النورسي حديثه حول الخطأ الفادح في محاولة استمالة أعداء الإسلام والأتراك بالهجوم على الإسلام، ومن الواضح أن مصطفى كمال لم يجد نقيصة واحدة في كلام النورسي الذي "جرح أحاسيسه ومبادءه"،(٤٩) بل إنه على النقيض من ذلك حاول تهدئته وكسب وده كي يستغل تأثيره، فعرض على النورسي منصب الشيخ السنوسي كـ "واعظ عام" للأقاليم الشرقية براتب يصل إلى ٣٠٠ ليرة، إضافة لعضوية الجمعية الوطنية، ومنصب مماثل لمنصبه في دار الحكمة الإسلامية، بجانب بعض المميزات الأخرى كالمسكن،(٥٠) إلا إن النورسي لم يقبل عرضه، وقبل مناقشة أسباب ذلك، نذكر أن مصطفى كمال كان واحدا من ١٦٧ نائبا وقعوا على بناء مدرسة الزهراء التي اقترح النورسي إنشائها.(٥١)

لقد سعى النورسي خلال الفترة التي قضاها في أنقرة لتأسيس هذه الجامعة في الشرق، وكانت هناك ثلاث نقاط محل تأثير للنورسي على النواب، فكثير منهم كان يرى أن الوقت قد حان للاستغناء عن العلوم الدينية، وصبغ التعليم بالصبغة الغربية، والتركيز على العلوم الحديثة. أول هذه النقاط الثلاث هي الموقع الجغرافي للأقاليم الشرقية؛ حيث تمثل تلك الأقاليم مركزا للعالم الإسلامي الشرقي، فصار تدريس العلوم الدينية بجانب العلوم الحديثة أمرا أساسيا. وثانيها: حقيقة أن الشرق مهد لمعظم الأنبياء، وقد أوضح معظم الفلاسفة العظام في الغرب أن الشرق كيان لا يحركه سوى الدين، وأن التقدم

(٤٩) انظر: النورسي، الملاحق ملحق اميرداغ ـ ١ ص ٣٠٥.
(٥٠) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٨٧، والشعاعات، ص ٣٤٣،٤١٩..
(٥١) انظر: النورسي، الملاحق ملحق اميرداغ -٢ ص ٤١٧.

يقوم أساسا على الدين، وثالثها: وهي النقطة الأهم، أن الدين هو السبيل الوحيد للحفاظ على الوحدة، وإذا لم يؤخذ الدين كأساس، "فلن يشعر" المسلمون غير الأتراك في المنطقة "بروح الأخوة الصادقة مع الأتراك"، وظروف هذا الوقت في أشد الحاجة إلى التعاون والتضامن.[٥٢]

وفي الثاني من فبراير عام ١٩٢٣ وقع ١٦٧ نائبا مشروع قانون يقترح إنشاء مدرسة في وان تُعرف بمدرسة الزهراء وقدم إلى رئيس الجمعية الوطنية، وفي السابع عشر من فبراير أُرسل مشروع القانون إلى اللجنة المختصة، وقد اقترح مشروع القانون تخصيص ١٥٠.٠٠٠ ليرة لهذا المشروع من ميزانية ذلك العام، وفي ١٢ سبتمبر ١٩٢٣، أُرسل المشروع بعد مروره بالإجراءات اللازمة للعرض على لجان التعليم والشريعة، وظل هناك، وحالت الأحداث ثانية دون بناء مدرسة الزهراء، وأخيرا بعد عامين وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٢٥، رفضت اللجنة المشروع وأحالته مرة ثانية للجمعية، وعرض المشروع للتصويت وتم رفضه،[٥٣] وفي هذا الوقت كان قانون توحيد التعليم وإغلاق المدارس الدينية قد مُرر في (مارس ١٩٢٤)، ونُفي النورسي إلى غربي الأناضول.

كان أحد الأسباب التي ذكرها النورسي لرفضه المناصب العديدة التي عرضها عليه مصطفى كمال هو التغير الذي طرأ عليه، فكتب يقول: "إن سلوكهم وطريقة تصرفهم لم تتوافق مع مشاعر شيخوختي"، واستشهد بمقولته لهم: "إن سعيد الجديد يريد أن يعمل للحياة الآخرة، ولا يستطيع العمل معكم كما لن يتدخل في أمركم كذلك."[٥٤] مع أن السبب الرئيسي كان إدراك النورسي بم ستؤول إليه الأمور، وفهم أنه لن يستطيع العمل في وفاق مع القادة الجدد، وقد أثبتت الأيام صدق رؤيته في هذا الشأن، وكتب يقول في عمل لاحق: "لذا وجدت نفسي مضطرا للتخلي عن أهم تلك المناصب، وما إن قلت أنه ليس هناك ما يمكن أن يجنبه الفرد من العمل مع هؤلاء الأفراد أو الانصياع

---

(٥٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٥٠١.
(٥٣) Badıllı, *Nursi,* 1:563-571.
(٥٤) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٤،٢٠٥..

لهم، حتى عزفت عن الدنيا والسياسة والحياة الاجتماعية، وأوقفت عمري كله لإنقاذ العقيدة".[٥٥]

أدرك النورسي كذلك أن أتباع القرآن هم من سيقاتلون هؤلاء ويهزمونهم، ولكن ليس في السياسة بل "بسيف معنوي" من إعجاز القرآن؛ لذلك رفض النورسي العمل مع القادة الجدد، وغادر أنقرة إلى وان؛ حيث آوى إلى حياة العزلة والانفراد.[٥٦] رافقه إلى المحطة لدى رحيله عدد من النواب والأصدقاء، وكان مصطفى كمال باشا، الذي كان يسكن بجوار المحطة أحد من رافقوه، ونُقل أن حوارا طويلا قد دار بينهما حول التماثيل، وعندما سأله الباشا عن رأيه فيها، أجاب سعيد بحدة: "لقد نبذ القرآن التماثيل والأصنام بشدة، وتماثيل المسلمين هي آثارهم كالمستشفيات والمدارس والملاجئ والمساجد والطرق."[٥٧] وقد شهد لهذه القصة تلميذ النورسي توفيق ديمير أوغلو الذي كان لا يزال برفقته، ثم ظل بأنقرة،[٥٨] ويُظهر التاريخ المدون على التذكرة - تلك التذكرة التي أخذت بالنورسي من حياة سعيد القديم إلى حياة سعيد الجديد - إنها صدرت في ١٩٣٩/٤/١٧، أي: ١٧ أبريل ١٩٢٣ الموافق غرة رمضان لعام ١٣٤١ هـ.

---

(٥٥) انظر: النورسي، الشعاعات، ٣٤٣.

(٥٦) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٩٩.

(٥٧) أكتورك، دفاع في محكمة الاستئناف، ص٤٤٧، Aktürk, *"Defense Speech in Appeals* Court," 447

(٥٨) انظر توفيق ديمير أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:219.

الجزء الثاني

سعيد الجديد



الفصل التاسع

النورسي في مدينة وان

نزل النورسي عقب وصوله إلى "وان" في بيت أخيه الأصغر عبد المجيد، وهو مدرس اللغة العربية في منطقة "طوبراق قلعة" من المدينة، لكننا علمنا من زوجة عبد المجيد السيدة "رابعة" أن أحباءه وزواره كانوا كثيرين حتى إنه اضطر إلى الانتقال إلى مسجد نورس، الذي أصبح قاعدة انطلاق للنورسي في مدينة "وان" بدلا من مدرسته المسماة "بخورخور"، التي كانت من بين الأشياء التي تم تخريبها بسبب الدمار الشامل الذي حل بالمدينة على يد الأرمن، والقوات الروسية المحتلة أثناء الحرب.[١] أصبح مسجد نورس مركزا لنشر العلم إضافة إلى قدوم أعدادٍ غفيرة من علماء الدين والمشايخ لزيارة النورسي وإظهار تبجيلهم له والتعلم على يديه. اجتذب النورسي الكثير من الطلاب وبدأ في التدريس من جديد، هذا بالإضافة إلى أحاديثه التي كانت تقع بينه وبين كل من يأتي لزيارته. ظل النورسي في مدينة "وان" إلى نهاية العام، إلا أن حياة النورسي التي اكتظت بالأعمال قد أثقلت كاهله بل وعدَت على حياته الروحية، ولذا فما كاد الجو يميل إلى الدفء حتى غادر النورسي مدينة "وان" مع عدد قليل من طلابه متجها إلى جبل "أرك"، وهو جبل يقع بين قمم جبلية ملتفة إلى الشرق من المدينة؛ حيث استطاع هناك أن يفرغ نفسه تماما للعبادة والتدبر. لقد غدا النورسي على عتبة سعيد الجديد، وقد تغير سعيد وظهر ذلك للناس أجمعين في "وان"، وقد ذكر معظم الذين أرّخوا له في تلك الفترة بعض مظاهر هذا التغير الذي حدث له، لعل أبرز هذه المظاهر هي هجره للِّباس الملون الذي اعتادوه في المنطقة وارتداؤه ملابس أكثر هدوءا واتزانا،[٢] والواقع أنه عندما

(١) انظر: النورسي، اللمعات، ص ٣٧٩، وما يليها.

(٢) عبد الله اكنجي، في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:110; Badıllı, *Nursi,* 1:637.

رأى مدرسته وقد دمرت ورأى مدينة "وان" وقد احترقت ونهبها الأعداء لأول وهلة؛ وجد أنه من الواجب عليه أن يعمل لإزالة تلك الآثار التي خلفتها الحرب. وقد شكل وفاة الكثير من طلابه عاملا محوريّا في خلق سعيد الجديد. رأى أهل مدينة "وان"، أن سعيد النورسي قد طلّق السياسةَ والدنيا، وبدأ الذين ذهبوا ليتعلموا منه يسلكون هذا الدرب الجديد الذي سلكه سعيد الجديد؛ ألا وهو ترسيخ إيمانهم وتقويته، وهو الأمر الذي سيشكل أساس التجديد وإعادة البناء.

أقام النورسي على هذا الجبل طوال أشهر الصيف والخريف من عام ١٩٢٤، وكان يسكن ديرا خربا كان للأرمن ثم قطن كهفا على مقربة من منابع نهر "زرنباد"، ولم يعد إلى "وان" إلا عندما دخلت شهور الشتاء قارسة البرد، وكان من عادته النزول يوم الجمعة لإلقاء الخطبة في مسجد نورس. ويتبين من الخطب التي سُجلت له أثناء هذه الفترة وكذلك ما كان يدرِّسه لطلابه أن ذلك كان متوافقا مع رؤية سعيد الجديد، وبعبارة أخرى فقد عكف النورسي على شرح وتدريس أصول الدين ومبادئ العقيدة الأساسية؛ كالوحدانية والحشر والحياة الأخروية. كانت تُطرح عليه أسئلة عديدة حول هذه الأمور، لأنها لم تُطرق من قبل ولم يكن جمهوره معتادا على سماع مثل هذه الأمور، وقد قال لأحد تلامذته: "إن ما أهدف إليه هو إرساء أصول العقيدة؛ فإذا كانت الأصول صحيحة فلا يمكن للعقيدة أن تزعزعها القلاقل".(٣)

ينقل لنا التلميذ نفسه، وهو "الملا حميد" قول النورسي في هذا الصدد:

> "أيها السادة، لقد مات سعيدٌ القديم ولكنكم ما زلتم تفكرون فيَّ على أنني هو! إن ما ترونه أمامكم هو سعيد الجديد، ولقد منحني الله نعما لا تحصى؛ إن عشرة أشهر من تعليم سعيد الجديد لتعدل عشر سنوات مما كان يعلمه سعيد القديم، وكفى بذلك نعمة."(٤)

بلغت نظرة سعيد الجديد ذروتها بظهور رسائل النور، ويمكن اعتبار السنوات الثلاث حتى عام ١٩٢٦ التي كتبت فيها أول أجزاء رسائل النور

---

(٣) حميد اكنجي، في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:116.
(٤) المرجع السابق ص١١٤.

مرحلة إعداد وبحث عن الهداية الإلهية، وقد جمعت في هذه الفترة أيضا أولى كتابات سعيد الجديد في "المثنوي العربي" التي كانت نواة لرسائل النور، كذلك ضمنت بعض الدروس التي ألقاها وعلمها في "وان" في رسائل النور.

ينقل لنا تلميذ آخر هو "إسماعيل برهان أوغلو" شاهِدَين على ذلك، فيقول:

"ذهبت في يوم آخر أنا والملا رسول، و الملا يوسف من كوبانيس، مع الأستاذ إلى مدينة زيوة، وهي مدينة قد أبيد أهلها عن بكرة أبيهم في المذابح الأرمنية، ووقف الأستاذ وقال: "هذا مستراح الشهداء، هنا يرقد أخي الملا أحمدي جانو كذلك." ولم يستطع منع دموعه، فأجهش بالبكاء محزونا." كان الملا أحمدي جانو قد صاحب الأستاذ أثناء دراسته. علمنا الأستاذ بعد ذلك مراتب الحياة، كما وصف في المكتوب الأول،[٥] الذي كتبناه بعد ذلك ونسخناه".[٦]

وفي موقف آخر صعدوا إلى أعلى قلعة "وان" وتسلق النورسي كعادته إلى أعلى نقطة ثم بسط سجادة الصلاة، ولما وقع بصره على أطلال مدرسته هناك أسفل القلعة تحدث إليهم عن علامات الساعة ونهاية العالم، ولما توجه ببصره نحو بحيرة "وان" تحدث إليهم عن قصة يونس عليه السلام والحوت، وعقد مقارنة بين يونس وإنسان العصر الحديث، وكيف تشبه حالته الأخلاقية والروحية حالة يونس في بطن الحوت. هذا، وقد ضمن النورسي هذا الحديث في رسائل النور بعد ذلك تحت عنوان "اللمعة الأولى".[٧]

لقد علق كثيرون على استغراق النورسي في العبادة،[٨] وقالت زوجة أخيه "رابعة" إنه لم يكن ينام الليل في الفترة التي أقام فيها عندهم؛ فقد كانت دائما تنبعث من حجرته أصوات الصلوات والدعاء.[٩] ويشير "إسماعيل برهان أوغلو" كيف كان يفضل النورسي أداء عبادته في الأماكن العالية والمناطق

---

(٥) راجع: النورسي، المكتوبات، ص ٥- ٦.

(٦) إسماعيل بريهان أوغلو، Şahiner, *Son Şahitler,* 1:127.

(٧) راجع: النورسي، اللمعات، ص ٦- ٩، و Perihanoğlu, in Şahiner, *Son Şahitler,* 1:127.

(٨) Lucinda Mosher, "The Marrow of Worship and the Moral Vision"; in Abu-Rabi', *Islam at the Crossroads,* 181-197

(٩) رابعة أونلوقول في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:153.

المرتفعة؛ حيث كان التأمل هو أهم عناصر عبادته، كما يصف موقفا آخر وجد فيه النورسي مستغرقا في تفكره على سطح المسجد،[١٠] يؤكد "الملا حميد" الذي ظل مع النورسي أغلب الأوقات التي قضاها على جبل "أرك" أن النورسي ما أضاع أبدا لحظة سدى؛ فقد كان منهمكا في الصلاة والعبادة، وكان يقضي الساعات راكعا حتى تقرحت أطرافه، وعندما عرض أحد طلابه أن يجلس بأحد الأماكن الأكثر راحة كما يجلسون، رد عليه الأستاذ:

"علينا الفوز بالحياة الأبدية في تلك الحياة القصيرة العابرة، واجتماع الراحة والجنة ضرب من المحال. ولست من الشجاعة بمكان حتى أجلس مستريحا".[١١]

اتخذ النورسي وطلابه من الدير المتهدم بأعلى الجبل مسجدا، ومهدوا موضعا على الأغصان الملتفة بين أجمة من الأشجار قرب منابع نهر "زرنباد"؛ حيث رآه مواتيا للتدريس والصلاة والتفكر. تميَّز سعيد الجديد بالجلوس في بيوت من الأشجار. وبعد نفيه غربي الأناضول، اتخذ سعيد عددا من هذه البيوت في أماكن مختارة؛ كي يمكنه "القراءة في كتاب الكون المنظور". ويروي "الملا حميد" عددا من الطرائف التي تبين رحمة الأستاذ النورسي بالحيوان واحترامه له كمخلوق وألفته له وقدرته عليه، ويوضح المثال الأتي الجزء الأخير؛ وهو كرامة للنورسي وبيان لقواه الروحية:

أتى عدد من الناس ذات يوم لزيارة النورسي على الجبل، ولما علم أنهم سيقضون الليل معه أرسل "الملا حميدا" لقرية مجاورة حتى يأتي ببعض الفراش، وكان "الملا حميد" مذعورا خشية مقابلته للذئاب أو الكلاب أو أي حيوان بري آخر من الحيوانات التي يكثر وجودها هناك، فقطع عصا ليحمي بها نفسه إلا أن النورسي لم يسمح له بذلك، وقال له: "لن تؤذيك الكلاب." انطلق الملا حميد وقرب القرية لقي قطيعا من الأغنام والماعز تحرسه الكلاب، ورأى كلبا ضخما يجلس بقارعة الطريق، ولكنه تذكر كلمات النورسي فمضى نحوه، فهب الكلب واقفا وأخلى الطريق، ولدى وصوله القرية أعرب أهلها عن

(١٠) بريهان أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:127.
(١١) حميد اكنجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:124.

دهشتهم قائلين: إنهم لا يستطيعون الاقتراب من القطيع حتى ولو كانوا في جماعة ومعهم عصيهم؛ لأن الكلاب تتغذى بلبن الأغنام حتى يكونوا أقوياء بما يكفي لصد الذئاب. عندئذ أخبرهم "الملا حميد" أن الذي أرسله هو النورسي، وعندها صدق أهل القرية حديثه "نعم، الآن يمكننا تصديقك!". أخذ الملا حميد الفراش ورجع، فقابله النورسي عند إيابه وسأله عما إذا كانت الكلاب قد هاجمته في الطريق، ولما عرف أن ذلك لم يحدث، قال له: "كن شجاعا ولا تُرع." لقد كان درسا في الشجاعة تعلمه "الملا حميد"،[١٢] ويذكر "الملا حميد" ذلك الدرس أيضا؛ عندما تحدث الشيخ في معرض جوابه على سؤال طرحه على نفسه حول المحرمات؛ فجثا النورسي على ركبتيه مغضبا وقال:

> "لست براضٍ عن سعيد القديم، ولا أحب منه سوى ثلاث خصال؛ ففي أوان بهجة الشباب وأنا في استانبول تعودت أن أغير ملابسي مرة كل أسبوع، يا لها من ملابس بهية! واعتدت أن أذهب إلى أروع أماكن في استانبول، ثم إن أصدقائي قد نصبوا أحدهم ليتتبع خطاي، وليعرف أين أذهب، وبعد ثلاثة أيام قالوا لي: سعيد، إن ما تفعله صحيح، إنك تتجه نحو الطريق الصحيح، ولسوف تفلح في مسعاك." وعندما سألتهم ماذا يعنون بذلك، قالوا: "لقد تتبعناك ثلاثة أيام حتى نرى إن كنت تأتي شيئا مـمَّ يحرمه الإسلام، ورأينا أنك لا تهتم بشيء سوى شأنك أنت؛ ولذا فإنك ستدرك ما تصبو إليه؛ فكما تقضي شرارة صغيرة على غابة بأكملها مع الوقت؛ فإن المؤمن الذي يتّضع بنظره للمحرمات سيمحو حسناته شيئا فشيئا. يؤسفني أن أقول إن مثل هؤلاء ربما تسوء خاتمتهم. لقد ظل سعيد القديم في شبابه عشر سنوات باستانبول لم ينظر فيها إلى امرأة قط.[١٣]

ثورة الشيخ سعيد

رغم معرفة الجميع أن النورسي قد هجر شئون السياسة جميعها واعتزلها، إلا أن شيوخ العشائر والزعماء الآخرين كانوا لا يزالون يطمعون في الاستفادة من التأثير القوي الذي يتمتع به النورسي في الولايات الشرقية؛ ولذا كان بين زواره رؤساء وشيوخ العشائر جنبا إلى جنب مع هؤلاء الذين أتوا إليه كعالم

---

(١٢) حميد اكنجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:121-122.

(١٣) Şahiner, *Bilinmeyen*, 274.

دين ليس إلا. وحيث إن مشاكل المنطقة لم تجد لها حلا، وكان بين الأكراد كثيرون ممن يفضلون الاستقلال أو الحكم الذاتي خصوصا بعد إنهاء السلطنة والخلافة، وتأسس ما رآه الكثير منهم انها جمهورية لا دينية؛[١٤] حيث صدرت في مارس وأبريل من عام ١٩٢٤ بعض القوانين التي أتت على ما تبقى من الهيكل الديني السامي، وأدت إلى علمنة الدولة برمتها.

لقد أفضى تأسيس دولة الأمة التركية إلى التأكيد على القومية التركية، واستبعاد القوميات الأخرى.[١٥] وفي مستهل عام ١٩٢٥، بدأ الاضطراب ينتشر وحاول شيوخ العشائر كسب تأييد النورسي لثورة واسعة النطاق ضد الحكومة. وكعادته، حاول النورسي بكل ما في وسعه إقناعهم بالانثناء عن ذلك التحرك، واستجاب البعض لنداءاته، ولذا أنقذت أرواح آلاف كثيرة عندما اندلع في نهاية الأمر ما عرف بعدُ بثورة الشيخ سعيد (بيران)[١٦] في الثالث عشر من فبراير عام ١٩٢٥، وسميت باسم زعيمها الشيخ "النقشبندي" الشيخ "بيران"، الذي حاول أيضا كسب تأييد النورسي من خلال رسالة (سجلنا رد النورسي عليها أدناه).

إن هذه الثورة التي قمعت بعد شهرين فقط من اندلاعها قد تركت آثارا وخيمة على النورسي - الذي نُفي ظلما وجورا مع مئات آخرين - وعلى المنطقة، بل وعلى مستقبل الدولة بأكملها. لقد مهدت السبيل للنظام الجديد؛ فقد استخدمت حكومة أنقرة الثورة ذريعة للدفع بقانون إقرار السكون الذي صدق عليه في الرابع من مارس ١٩٢٥، والذي مكنهم من إقامة محاكم

---

(١٤) Lewis, *Emergence of Modern Turkey*, 266.

(١٥) انظر: Zürcher, *Turkey*, 178.

(١٦) هناك خلاف بين المحللين حول دوافع وطبيعة هذه الثورة (انظر: Öke, *Musul-Kürdistan Sorunu*, 279-80) فيرى Shaw أن هذه الثورة قد اندلعت بإيعاز من الشيوعيين الروس، (Shaw and Shaw, *History*, 2:381)، بينما يؤكد Bruinessen على طبيعتها القومية، ويشير إلى العوامل الدينية، (Bruinessen, *Agha, Shaikh and State*, 265-305)، ويقدم باديلي تحليلا مسهبا عنها (Badıllı, *Nursi*, I:652-97) أقامه بناء على الحوارات الشخصية والإشارات التي وردت عن الثورة في أعمال النورسي، ويزعم أنها كانت "محض رد فعل لإدخال القوانين الجديدة المعادية للدين، استجابة للحمية الدينية (ص٦٥٥)، ويفضل لويس "الوصف الذي استخدمته الحكومة للتعبير عن هذه الثورة بأنها رد فعل ديني للإصلاحات العلمانية." (Lewis, *Emergence of Modern Turkey*, 409-10)، بينما يفرق Zürcher بين "قيادة الثورة" التي كانت ترغب في تأسيس دولة كردية مستقلة لها حكمها الذاتي، وبين جماهير الشعب وفئاته المشتركة في الثورة Zürcher, *Turkey*, 178-79.

الاستقلال الشنيعة، وخولهم سلطات استبدادية لتنفيذ سياساتهم دون معارضة.(١٧)

كان يبدو أن السيد "حسين باشا" الذي كان يأتي مع شيوخ العشائر لزيارة النورسي في مناسبات عديدة، زعيم قويّ، وهو شيخ عشيرة "حيدران" وقائد إحدى الفصائل العشائرية التي حلت محل القوات الحميدية. وقد صحبه في إحدى زياراته "عبد الباقي" ابن مفتي "وان"، الشيخ "معصوم"، الذي كان صديقا حميما للنورسي، ولقد روى عبد الباقي تفاصيل هذه الزيارة، مخبرا عن حياة الزهد التي عاشها النورسي على جبل "أرك"، كما ذكر أن النورسي قد تنبأ بالقلاقل التي سوف يواجهونها أثناء تلك الزيارة إلا أنه أخبرهم ألاّ يأبهوا لذلك كثيرا؛ فإن الله سيرسل من يحفظ دين الإسلام ويجدده،(١٨) وإنه لمن الممتع أن نرى رواية أخرى تسجل تنبؤه بتلك القلاقل المستقبلية؛ وفي هذه المناسبة أخبر طلابه "باللجوء إلى الله سبحانه... فالأهوال قادمة" وذلك عندما سألوه عن تفسير ذلك، لم يُزِد على قوله إنه غير مسموح لي أن أخبركم بشيء أكثر من ذلك الآن.(١٩)

حاول "حسين باشا" أن يعطي النورسي بعض المال في الزيارة نفسها، وهو الأمر الذي لم يقبل به النورسي أبدا. ويصف لنا "الملا حميد" موقفا مشابها مشيرا إلى غضب النورسي من هذا العرض ورفضه له.

واصل "حسين باشا" حديثه مع النورسي قائلا: "أريد مشورتك، الجنود والجياد، والسلاح والذخيرة مجهزة كلها، وننتظر أمرك فقط".

النورسي: ماذا تعني؟ ومن ستقاتل؟

الباشا: مصطفى كمال.

النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟

الباشا: لا أعرف.... جنود.

---

(١٧) Akşin, *Türkiye Tarihi,* 4:101-2; Zürcher, *Turkey,* 179.

(١٨) عبد الباقي الارواسي، في Şahiner, *Son Şahitle.,* 1 :59.

(١٩) إسماعيل بريهان أوغلو، في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:129.

النورسي: "هؤلاء الجنود هم أبناء هذه الأرض، هم أهلي وأهلك وعشيرتي وعشيرتك، من ستقتله؟ ومن سيقتلونه؟ فكّر! حَكِّم عقلك! هل ستجعل أحمد يقتل محمدا، والحسن يقتل الحسين؟"[٢٠]

جاء "حسين باشا" إلى النورسي مرة أخرى، وكان اللقاء هذه المرة في المسجد بعد صلاة الجمعة، وصحبه في هذه الزيارة العديد من شيوخ العشائر وعلية القوم. يصف لنا "علي جاوش" كيف حاول "حسين باشا" بمساعدة ممثل عن جالدران، وحسن بك، وثلاثة زعماء آخرين أن يكسبوا تأييد النورسي، كان خبر الزيارة قد تسرب إلى حاكم "وان"، فحضر الصلاة في المسجد بذريعة حضوره الجنازة هناك، بيْد أن الأمر لم تكن له ضرورة؛ فما أن أعلن الزعماء عن نواياهم بالانضمام للثورة؛ حتى أخبرهم النورسي:

"إني لأعجب من أين صدرت فكرة خدمة هذه القضية؟ دعوني أسألكم، هل تريدون الشريعة؟ ولكن هذا الأمر مخالف للشريعة تماما، وهنا شبه قوي لاستغلالها من قبل الأجانب وادعاءاتهم، لا يمكن للشريعة أن تعارض باستغلالها والصياح من أجلها، إن مفتاح الشريعة معي، فعودوا الآن إلى دوركم وأوطانكم."

ما إن ختم النورسي حديثه حتى نهض قائما وعاد إلى جبل "أرك"، أما "حسين باشا" وشيوخ العشائر معه فقد عقَلوا تحذير الشيخ ولم ينضموا للثورة، وهو ما يعني أن "وان" وأهلها لم يكونوا مجبرين على الانضمام إليها، وهو ما أنقذ أرواح الآلاف،[٢١] وشهد بهذه الحقيقة الكثير من الناس.[٢٢]

كتب الشيخ سعيد - كما ذكرنا - آنفا إلى النورسي بصفة شخصية يطلب منه الانضمام للحركة، قائلا: إنه لو فعل ذلك فسيكون النجاح حليفا لهما، وجاء رد النورسي عليه على الوجه التالي:

"إن الصراع الذي تضرمه سيجعل الأخ يقتل أخاه ويذهب سدى؛ فالأتراك والأكراد إخوة، ولقد حملت الأمة التركية لواء الإسلام قرونا، وأثمرت ملايين

---

(٢٠) Şahiner, *Bilinmeyen*, 275-276.

(٢١) المرجع السابق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢٢) وعلى سبيل المثال، ما قاله السيد كينياس قارتال، نائب "وان" لمرة واحدة ورئيس الجمعية الوطنية الكبرى. Şahiner, *Son Şahitler*, 1:139.

الأولياء، وقدمت ملايين الشهداء؛ لذا ما كان للسيف أن يُشهر على أحفاد أبطال الإسلام، وما كان لي أن أسل سيفي عليهم!"(٢٣)

رحلة المنفى

بدأت السلطات حملة اعتقالات لكل المشايخ وزعماء العشائر أصحاب النفوذ في ولاية "وان" ومنطقة شرقي الأناضول في نهاية الثورة، رغم أنهم لم يكن لهم أي دور في الثورة، ونفوهم إلى منطقة غربي الأناضول. بدأت الأكاذيب تتناقل أن النورسي سيُنفى أيضا، وكانت هناك محاولات لإقناعه بمغادرة المنطقة إلى إيران أو الجزيرة العربية، إلا أنه رفض ذلك قائلا: إنه سيذهب إلى الأناضول بمحض إرادته. قبض على النورسي في كهفه على جبل "أرك"، ووضع تحت الوصاية، وتم التحفظ عليه مع المعتقلين الآخرين في مدرسة ثانوية في مدينة "وان"، وكان بينهم الشيخ "معصوم" مفتي "وان"، و"حسين باشا" مفتي "كيواش"، و"حسن أفندي"، و"الشيخ عبد الباقي كوفه جي زاده"، و"عبد الله أفندي ابن الشيخ سامي باشا"، ومئات آخرين، بينهم الشيوخ والنساء والأطفال، وكما كانت عودة النورسي إلى "وان" في رمضان منذ عامين، كان بدء رحيلهم الطويل في شهر رمضان.

بدأ مسيرهم في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٢٥، وكان الجو ما زال قارس البرودة والأرض يغطيها الثلج، وانطلقوا من "وان"، وكان هناك ما بين سبعين وثمانين مركبة تجرها الثيران والجياد، وكثيرون يسيرون رجالا أو رُكبانا، كانت القافلة تمتد لما يقرب من كيلومتر، واقتيد النورسي في الأغلال، وضم إلى الشيخ "معصوم" في قيد واحد، ويروي "حيدر صوفانداغ" ابن "حسين باشا" أن النورسي رحل في سكينة تامة رابط الجأش في معترك هذه الأحداث بخلاف كل المنفيين الآخرين؛ فقد غادروا منازلهم وموطنهم باكين واجفين كجيش منسحب، وقال: إن القافلة توقفت من ثلاث إلى أربع ساعات في "باتنوس"، وليلة في "آغري"، وأسبوعا في "أرضروم"، ثم استقلوا منها عربات تجرها الجياد، ولما وصلوا "طرابزون" أقاموا بها عشرين يوما ثم أبحروا

(٢٣) انظر: Badıllı, *Nursi*, I :660، نقلا عن صلاح الدين شلبي، تعليقات تاريخية ١٩٤٦.

على ظهر إحدى السفن في رحلة استغرقت أسبوعا متجهين إلى استانبول. مكث النورسي باستانبول بين عشرين إلى خمسة وعشرين يوما قبل أن يغادرها مع المنفيين الآخرين إلى "إزمير" و"أنطاليا" على نفس المركب، ومن هناك بعث به إلى "بوردور" جنوب غربي الأناضول، حيث وجهته.(٢٤)

يذكر "كنياس قارتال" الذي كان شابًا في الخامسة والعشرين من عمره، وكان ممن تم نفيهم مع المجموعة نفسها،(٢٥) أنهم عند مغادرتهم "وان" جاء الناس من النواحي المجاورة، وقد جمعوا مبلغا من المال والذهب وحاولوا إعطاءه للنورسي إلا أنه ما رفع إليهم طرفه؛ فلم يكن ليقبل هدايا أو صدقات أو مالا من أحد،(٢٦) وينقل "قارتال" كيف أن "سعيدا" لم ينم ليلا في أول مكان توقفوا فيه أثناء مسيرهم وقضى الليل في الصلاة، وبعد ذلك طلب أن تكون له حجرة خاصة حتى لا يزعج الآخرين،(٢٧) ومما يثبت أن النورسي قد تلقى معاملة خاصة أثناء الرحلة ما نقله الجندي المعين لحراسته "مصطفى آغريلي"؛ فقد أعطى وصفا مفصلا للنورسي والقافلة وبعض القرى التي نزلوا بها:

"رغم أن المركبات الأخرى كانت مكتظة بالناس والأمتعة فلم يكن هناك شيء من ذلك للنورسي إطلاقا، فقد كان وحده، وتمتع بمعاملة خاصة، عمامته طويلة بيضاء من قماش الموصلين تلتف على رأسه، له شارب كثيف أسود، ولا لحية له".

يصف "مصطفى آغريلي" كذلك الحفاوة التي تلقوها من القرى الكردية في المحالّ التي نزلوا بها ليلا، وأشار أن النورسي قد رفض كل ما قدم إليه من طعام في أول منزل نزلوه، معتذرا بالإعياء، ثم بعد أن قضى الليل في الصلاة وأدى صلاة الصبح مع "آغريلي" أخرج آنية من المكتل الصغير الذي يحوي متاعه ثم قام فسلق لنفسه بيضة على الموقد، وكان هذا أول طعام تناوله منذ مغادرته "وان"!(٢٨)

---

(٢٤) حيدر سبحانداغلي في Şahiner, *Son Şahitle.*, 1:142-143.

(٢٥) وفقا لما قاله عبد الباقي الأرواسي، كانت هذه أول قافلة، راجع: Uslu, *Bediüzzaman'ın Kardeşi,* 30.

(٢٦) عبد الله اكينجي في Şahiner, *Son Şahitler.*, 1:112

(٢٧) كنياس قارتال في Şahiner, *Son Şahitler,* 1: 140

(٢٨) مصطفى آغريلي في Şahiner, *Son Şahitler,* 1 :134-137

يروي "منير باكان" أنه عندما حطت القافلة رحالها ثلاثة أو أربعة أيام في قريته "كوروجوك" قرب "أرضروم" كان هناك مسئولون معينون لتدوين ما يقوله النورسي، وكما أخبر منير الكاتبَ نجمَ الدين شاهين أر: "من الطبيعي أنهم لم يكونوا يدونون ذلك لوجه الله بل لإدانة الشيخ."، وكان مما قاله النورسي "لمنير باكان":

"لا تخف أخي؛ فإن ما حل بنا من مصائب ليس سوى شيء عابر، ولكن هناك شيء واحد يجب أن تنتبه إليه وتصرف همتك له؛ علِّم أولادك، وإلا سيضيع هذا الدين للأبد."(٢٩)

كان الربيع قد قرُب وبدأ مناخ دافئ في غربي البلاد عندما أبحرت السفينة بالمنفيين إلى استانبول من طرابزون، وينقل لنا شاهدان منفصلان شهادتين تبينان كيف أصر النورسي أن يظل على سطح السفينة متحديًا القبطان الذي حاول إجباره على النزول مع المنفيين الآخرين إلى بطن السفينة.(٣٠)

نزل النورسي في استانبول بمسجد أرباجيلر (باعة الشعير) بمنطقة "سركجي"، وفي مسجد الهداية، وعند تلميذه "توفيق ديمير أوغلو", وتبيّن صدق مخاوفه من نوايا مصطفى كمال؛ حيث كانت محاولات استئصال الإسلام ومحو ماضي تركيا وهويتها الإسلامية قد بدأت فعلا، ورأى هنا بعض آثار ذلك، وصف أحدها كما يلي:

عندما جاءوا بي إلى استانبول في طريقي للمنفى سألت ماذا حدث لمقر شيخ الإسلام؟ حيث كنت مرتبطا به، كما عملت وخدمت القرآن في دار الحكمة الإسلامية التي كانت ملحقة به. وآسفاه! لقد تلقيت هذا الجواب الذي زلزل عقلي وفؤادي وروحي وأبكاهم؛ فقد قال الرجل الذي سألته: "إن المقر الذي ظل قرونا يشع بنور الشريعة قد أصبح اليوم إعدادية بنات ومحلا للعب." انتابتني حالة حزن كما لو أن العالم قد تحطم على رأسي، لا حول لي ولا قوة، ما هي إلا زفرات ألم ويأس خالصين، توجهت إلى محكمة السماء، وانضمت إلى زفراتي التأوهات الحارة لهؤلاء الكثيرين الذين تتحرق أفئدتهم كقلبي، لا أذكر إذا ما كنت استعنت

---

(٢٩) منير باقان في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:130-131

(٣٠) احمد آلب اسلان في Şahiner, *Son Şahitler* ,1:144؛ وسعيد شامل في Şamil, in Şahiner, *Nurs Yolu,* 133-35

بأوراد الشيخ "الجيلاني" وكرامات الولاية لإجابة دعائنا أم لا، لا أعرف، ولكن على أية حال فقد كانت أوراده وكرامته هي التي أوقدت تأوهات أولئك الذين كانوا على شاكلتي حتى ننقذ موضعا ظل منارة للعلم أعواما كثيرة، فقد احترق جزء من مقر شيخ الإسلام في تلك الليلة، وقال الجميع: يا للأسف! إلا أنني وهؤلاء الذين كانت تحترق قلوبهم مثلي قالوا: "الحمد لله حمدا كثيرا."[٣١]

يقول "تحسين تاندوغان" الذي كان رئيسا لشرطة مرافق استانبول عام ١٩٢٥ إن النورسي أقام في "السليمانية" قرب المقر القديم لشيخ الإسلام، وتعطي ذكرياته دليلا آخر على براءة النورسي كما تعرض تفاصيل ممتعة عن إقامته في استانبول. لقد قبض "تحسين بك" بنفسه على زعماء ثورة الشيخ سعيد الذين كانوا في استانبول، وأخذ إفاداتهم، ونذكر منهم "بلال سعدي"، و"سيد عبد القادر"، و"ابنه محمد"، و"نظيف بك"، كما صدرت إليه الأوامر من قبل رئيسه "ضياء بك" بالذهاب إلى "السليمانية"، حيث مقر شيخ الإسلام[٣٢] وإحضار النورسي إلى مقر الشرطة وأخذ إفادته؛ قال رئيس الشرطة لرئيس شرطة المرافق "تحسين بك":

"إنه سعيد الكردي الشهير إلا أنه لا يد له في الثورة، ولم نعثر على صلة له بها بتاتا." يضيف "تحسين بك":

"لقد أحضروا النورسي في الآونة الأخيرة من الشرق وهو يقيم في "السليمانية"، ومعه أحد طلابه ويدعى " حقي الكردي من بتليس"، والذي يحضر لخدمته. ذهبت بنفسي لإحضاره إلى القسم الخاص وكنت مسئولا عن ملفه، وكنت الذي أخذ ملفه لرئيس الشرطة وحاكم استانبول للتوقيع عليه. أخذت إفادته بنفسي، قال سعيد النورسي:

---

(٣١) النورسي، *Sikke-i Tasdik-i Gaybî,130*، ولا يوجد خبر عن هذا الحريق في صحف استانبول لعام ١٩٢٥، والحريق المذكور هنا لا بد أنه حريق ٢٩ أبريل ١٩٢٦، الذي دمر جزءا كبيرا من مجمع المباني التي كانت تشكل في الأصل مقر مشيخة الإسلام والفتوى، وهناك تحقيقات صحفية نشرت في صحف Cumhuriyyet وSon Saat في الأول من مايو ١٩٢٦ بهذا الخصوص. Şahiner, *Nurs Yolu* 2, 109-117 وقد يكون الاختلاف في التاريخ راجعا إلى تاريخ إجازة النشر.

(٣٢) تشير حقيقة أن النورسي كان يقيم بجوار مقر مشيخة الإسلام أنها لم تكن أحرقت بعد، وقد رافق تحسين بك بنفسه الأربعة الآخرين المذكورين في ديار بكر، وقد حكم على عبد القادر بالإعدام في ٢٧ مايو ١٩٢٥ Mango, *Atatürk*, 425

"ليس لي أدنى صلة بهذه الثورة؛ ولم يكن بوسعي فعل شيء في وجه حركة مدمرة مثل هذه، ولا أعرف عنها شيئا. ما كنت لأحمل دم أخٍ لي على عاتقي، فمثل هذه الحركات تفضي بالإخوة إلى سفك دماء بعضهم البعض."

واصل "تحسين بك" حديثه ليصف كيف أخذ الأربعة الآخرين إلى "ديار بكر" إلى محكمة الاستقلال، حيث حكم على ثلاثة منهم بالإعدام، ونفذ الحكم فيهم، وبُرِأت ساحة الرابع وهو "نظيف بك"، ثم قال: إن التحقيقات قد استمرت خمسة عشر يوما بعدها خُلِّي سبيل النورسي، فقد شهد كل من "سيد عبد القادر" و"بلال سعدي" أن النورسي لا صلة له بهم إطلاقا. يذكر "تحسين بك" انطباعه عن النورسي في قوله:

"كان النورسي متقد الذكاء؛ فما رأيت نظيرا له، ولقد مر تحت يدي آلاف المجرمين، فكنت أدرك كنههم من وجوههم؛ أية عيون هذه! لا تستقر، تلمع وتتجول هنا وهناك، ما رأيت في حياتي مثل هذه العيون. أرسلوا به إلى "إسبارطة" كإجراء احتياطي، وأمر بالمكث هناك؛ وأرى أنه ليس بالرجل الذي يمكن أن يتورط في ثورات يسيرة مثل هذه؛ فقد كان شخصا بالغ الذكاء".[٣٣]

مرت ثلاثة أسابيع أو نحوها وانقضى الجزء الأكبر من الثورة مما ساعد الشرطة في التحقيق، وحُمل النورسي على ظهر السفينة ثانية مبحرا إلى "أنطاليا" وتم إيقاف السفينة في "إزمير" لإنزال عدد من المنفيين الآخرين، وهناك احتشد عدد من الأصدقاء والمحبين على جسر "غلطا" لتوديعه والإعراب عن أساهم لرحيله عنهم، ومن إسبارطة تم نقله برّا إلى مدينة صغيرة تسمى "بوردور".

النفي إلى بوردور

تبدأ هنا خمسة وعشرون عاما من النفي للنورسي ظلما. لقد كان مقدرا للظلم أن يستمر؛ فبدلا من فرض الإقامة الجبرية؛ تم وضع النورسي في حالة مهينة، تحت المراقبة الدائمة، ودائما ما خضع لمعاملة قمعية غير شرعية من قبل المسئولين. وصل إلى "بوردور" في يونيو حيث فصل التوت، وأقام في

---

(٣٣) تحسين تاندوغان في Şahiner, *Aydınlar Konuşuyor*, 165-167

البداية مع اثنين من الأربعمائة منفي الآخرين الذين بعث بهم إلى "بوردور"[٣٤] في ثكنة عسكرية قديمة،[٣٥] ثم على السطح العلوي لأحد المنازل التي تمتلكها بعض الأسر المتوطنة هناك وهي أسرة "سيحان"، وأخيرا أقام في مسجد "دلي بابا" الحاج عبد الله في ناحية "ديغرمنلر" من المدينة، ويخبرنا جار آخر أنه اعتاد أن يعقد درسا يوميّا في المسجد بعد صلاة العصر حيث يلتف حوله الكثير من الناس،[٣٦] ومن المحتمل أن تكون مادة هذه الدروس هي ما جمعه لاحقا تحت عنوان "*Nur'un ilk Kapısı*" (المدخل إلى رسائل النور)، ويتكون من مجموعة تضم ثلاثين جزءا قصيرا تسمى الدروس، وهي التي كتبها في "بوردور"، وجمعت فيما بعد في كتب، ثم تناسخها يدويّا من شَعَر من الناس بحاجته لمعرفة الأصول الأساسية للعقيدة، وقد وصفها النورسي بأنها: "فهرس وقائمة ونواة لرسائل النور، وبأنها درس القرآن الأول لسعيد الجديد".[٣٧]

كان "أ. حمدي قصاب أوغلو" أحد أعضاء المجلس الاستشاري بإدارة الشئون الدينية واحدا من هؤلاء الذين أتوا لزيارة النورسي في "بوردور"، وقد كتب في مذكراته يقول: "ذهبت في أحد الأيام لزيارة النورسي في بوردور، وأخذت معي صفحة كتبت باللغة العربية متسائلا إذا ما كان يعرف العربية، وأثناء الزيارة سألته أن يقرأ الصفحة وأعطيتها له، فأخذها وألقى عليها نظرة ثم ردها إليّ ثانية، قائلا: دعنا نرى الآن إذا ما كنت أستطيع تذكرها، ثم قرأ الصفحة كاملة عن ظهر قلب".[٣٨] وأثناء إقامة النورسي في "بوردور" قدم إليها رئيس أركان الجيش الفريق "فوزي جقماق"، وكان على معرفة قديمة بالنورسي، وعندما شكا له الوالي من أن النورسي وبعض طلابه لا يحضرون إلى مركز الشرطة كل مساء كما هو مفروض عليهم، وأنه يلقي الدروس الدينية، قال له فوزي باشا: " احترموه! لا تتعرضوا له!."[٣٩]

---

(٣٤) فقد تم ترحيل أكثر من عشرين ألف كردي إلى الأناضول الغربية، Zürcher, *Turkey,* 179

(٣٥) Badıllı, *Nursi,* 1:735

(٣٦) ناصح زاده الشيخ محمد بالكير، في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:257-259

(٣٧) Nursi, *Nur'un İlk Kapısı*, 6-7

(٣٨) Şahiner, *Bilinmeyen* ,2:15

(٣٩) النورسي، اللمعات ص ٦٨.

النفي إلى إسبارطة

كل الأنشطة التي قام بها النورسي كانت تخالف مُراد الحكومة من نفي الزعماء الدينيين من شرقي الأناضول إلى غربيها، وسرى القلق منها بين السلطات، لذا تم نقل النورسي من "بوردور" إلى مركز "إسبارطة" عام ١٩٢٦؛ حيث أقام هناك في مدرسة المفتي "تحسين أفندي"، ومرة ثانية شرع في إلقاء دروسه، واجتذب الكثير من الطلاب، وارتاع والي المدينة جراء ذلك. يقول شاهد عيان زار المدرسة: "لقد كانت مكتظة بالطلاب"، حتى إنه "لم يجد مكانا ليجلس به سوى على أعتابها".(٤٠)

قررت السلطات ثانية إرسال سعيد إلى إحدى المناطق الصغيرة النائية حيث لا يمكنه جذب أحد إليه، وبحرمانه من الصحبة وأسباب الحضارة سيتلاشى ويُنسى، ووقع اختيارهم على قرية "بارلا"، وهي قرية صغيرة تقع في منطقة جبلية قرب الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة إغيردير، وبعد ما يقرب من عشرين يوما قضاها في إسبارطة، أُخذ النورسي هناك إلى بارلا.

لقد دأب النورسي على نقد نفسه بشدة، وتفسير الأحداث وفق مغزاها الروحي الصحيح، ولذا فهو يفسر علة نفيه إلى هذه الأماكن الثلاثة التي ذكرناها كما يلي:

"فمثلاً هذا السعيد الفقير إلى الله تعالى.. فعندما كنت منشغلاً بإلقاء دروسٍ في حقائق القرآن على طلابي في مدينة «وان» كانت حوادث «الشيخ سعيد» تقلق بال المسؤولين في الدولة. وعلى الرغم من ارتيابهم من كل شخص، لم يمسّوني بسوء، ولم يجدوا عليَّ حجةً مادمتُ مستمراً في خدمة القرآن. ولكن ما أن قلتُ في نفسي: ما لي وللآخرين! وفكرتُ في نفسي فحسب، وانسحبتُ إلى جبل «أرك» لأنزوي في مغاراته الخربة، وأنجو بنفسي في الآخرة، إذا بهم يأخذونني من تلك المغارة وينفوني من ولاية شرقية إلى أخرى غربية، إلى «بوردور».

كان المسؤولون في هذه المدينة يراقبون المنفيين مراقبةً شديدة، وكان على المنفيين إثباتُ وجودِهم بحضورهم مساءَ كلِّ يوم لدى الشرطة إلاّ أنني وطلابي المخلصين استُثنينا من هذا الأمر ما دمتُ قائماً بخدمة القرآن، فلم أذهب لإثبات

(٤٠) محمد سوزر في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:211-2

الحضور ولم أعرف أحداً من المسؤولين هناك. حتى إن الوالي شكا من عملنا هذا لدى «فوزي باشا» عند قدومه إلى المدينة، فأوصاه: «احترموه! لا تتعرضوا له! ». إن الذي أنطقه بهذا الكلام هو كرامةُ العمل القرآني ليس إلاّ، إذ حينما استولت عليَّ الرغبةُ في إنقاذ نفسي وإصلاح آخرتي، وفترتُ عن العمل للقرآن - مؤقتاً - جاءتني العقوبةُ بخلاف ما كنتُ أقصده وأتوقعه، أي نُفيتُ من «بوردور» إلى منفى آخر.. إلى «إسبارطة».

توليتُ هناك العملَ للقرآن العظيم كذلك.. ولكن بعد مرور عشرين يوماً على الخدمة القرآنية كثُرت عليَّ التنبيهات من بعض المتخوفين، حيث قالوا: ربما لا يُحبذُ مسؤولو هذه البلدة عملكَ هذا! فهلاً أخذتَ الأمر بالتأنّي والتريث؟!.. سيطر عليَّ الاهتمامُ بخاصة نفسي وبمصيري فحسب، فأوصيتُ الأصدقاء بترك مقابلتي وانسحبتُ من ميدان العمل.. وجاء النفيُ مرة أخرى.. فنفيت إلى منفىً ثالث.. إلى «بارلا».

"وكنتُ فيها كلما أصابني الفتورُ في العمل للقرآن واستولى عليَّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي، كان أحدُ ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليَّ، وأحدُ المنافقين يتعرض لي. وأنا على استعداد الآن أن أسرد على مسامعكم ثمانين حادثة من هذا النوع خلال ثماني سنوات قضيتُها في «بارلا» ولكنْ خشيةَ الملل أقتصر على ما ذكرت.."[٤١]

لقد كان النورسي يشعر أنه مكلف بأداء رسالة، ولم يكن له خيار غير أن يكرس حياته للعبادة ويغوص في بحر النسيان، الأمر الذي كان يلائم شخصيته دون ريب، فقد كان رغما عنه مكلفا بخدمة القرآن، ولذا فبعد إقامة قصيرة في منفاه الثاني بإسبارطة أرسل إلى قرية "بارلا". كانت أيسر وسيلة للسفر عبر تلك المنطقة الجبلية في ذلك الحين هي السفر عبر بحيرة "إغيردير".

" يقص "شوكت دميرآي" وهو الجندي المكلّف بنقل الأستاذ النورسي إلى ناحية "بارلا" ذكرياته فيقول:

"كُنتُ في مدينة "اغريدير" عندما استدعوني إلى مركز البلدية صباح أحد الأيام.. فذهبت إليه وكان هناك القائمقام وآمر الجندرمة مع أعضاء هيئة البلدية وشخص معمم في العقد الرابع من عمره[٤٢] يلبس جبّة وله هيئة وقورة.

---

(٤١) النورسي، اللمعات، ص ٦٨-٦٩

(٤٢) في الواقع كان النورسي قد بلغ الخمسين تقريبا.

خاطبني آمر الجندرمة قائلاً:

- اسمع يا بني، عليك أن تأخذ شيخنا هذا المعروف ببديع الزمان إلى بارلا. إن وظيفتك هذه مهمة جداً، وعندما تسلّمه إلى المخفر هناك دعهم يوقعوا على الأوراق الرسمية ثم اخبرنا بذلك. قلت له :حسناً يا سيدي.

خرجت مع الشيخ وفي الطريق قلت له:

- يا شيخنا أنت بمثابة والدي وان هذه وظيفة كلّفتُ بها فأرجو أن لا تستاء منّي.

ثم يستمر في وصف الرحلة بالقارب فيقول:

"كان الجو بارداً، فالفصل شتاء ومياه البحيرة متجمدة هنا وهناك وأحد جذافي القارب يكسر الثلوج بعصاً طويلة في يده ويفتح بذلك طريقاً للقارب.

بدأ الشيخ بديع الزمان بتوزيع بعض الزبيب وبعض الحلوى علينا، كنت أتفحصه بدقة فوجدته هادئاً كل الهدوء إذ كان يتأمل في البحيرة والجبال المحيطة بنا..

ولكون النهار قصيراً فقد أزف وقت صلاة العصر بسرعة . أراد أن يصلي واقفاً فوجّهنا القارب باتجاه القبلة . سمعت صوتاً يقول:

- الله أكبر!.. لم أكُن قد سمعت في حياتي كلّها تكبيرة بهذه الرهبة والخشوع، شعرت بان الشعرَ في أجسادنا قد وقف. لم تكن حركاته وأطواره تشبه أطوار الشيوخ الذين عرفناهم..

كُنا نحاول جهدنا أن نبقي على القارب باتجاه القبلة وعندما أنهى الشيخ صلاته، التفتَ إلينا قائلاً:

- شكراً لكم يا اخوتي، لقد أتعبتكم!

كان شخصاً متواضعاً ودمث الأخلاق. وصلنا إلى شاطئ "بارلا" بعد رحلة استغرقت ساعتين، كان "برهان" حارس الغابة يتجول ذهابا وإيابا، ناديت عليه، فأتى مسرعا، وأخذ حقيبة الشيخ ومفرشه المصنوع من جلد الأغنام، ووضعها على الحمار. عندئذ أخذ محمد النوتي بندقية الحارس ليصيد بها طيور الحجل، إلا أن بديع الزمان منعه قائلا:

"إن الربيع على الأبواب، وهذا موسم التزاوج عند هذه الطيور، وإن هذا لمشين لك، فعليك أن تقلع عن هذه الفكرة.

وبهذا جعله يتوقف عن اصطيادها، جاءت طيور الحجل بعدئذٍ، وجعلت تحلق في الهواء فوق رءوسنا، وبدأت تتبعنا. علقت البندقية على كتفي الأيسر، وتأبطت الذراع الأيسر للشيخ سعيد أفندي. تسلقنا التل ببطء، وبعد مسير نحو ساعة

كنا قد وصلنا إلى "بارلا". ظلت طيور الحجل فوقنا حتى "بارلا"، وكانت تحلق فوقنا وحولنا، وعندما قرب المساء، توقفنا عند مركز الشرطة بجوار مسجد إيه كيه في "بارلا". كان كبير مسئولي "بارلا"، والسيد "بحري بابا"، ورئيس مركز الشرطة هناك. سلمت بديع الزمان أفندي لهم، وأخذت توقيعهم على الأوراق وقضيت الليل هناك ثم عدت إلى إغيردير صباح اليوم التالي.[٤٣]

(٤٣) Şahiner, *Bilinmeyen* ,287-289

الفصل العاشر

بارلا

العزلة في بارلا

بارلا- لقد وجدت حكومة أنقرة بقعة نائية يصعب اتصالها بالعالم الخارجي، فهذه القرية بمنازلها المتواضعة، ذات الأسقف الحمراء المقامة على جانبي التل بين الجبال التي تنتشر فيها الخضرة تقع إلى الغرب من بحيرة "إغيردير"، ولا يمكن الوصول إلى هذه القرية الصغيرة إلا سعيا على الأقدام أو على ظهور الجياد والحمير؛ فلم يكن هناك طريق ممهد للسيارات، ولم يُشق الطريق إلى "بارلا" كما لم يصلها الهاتف والكهرباء إلا فيما تلا ذلك من سنوات. هذا، ولم يخطر ببال السلطات في أنقرة أن نفيهم للنورسي ظلما إلى تلك البقعة النائية إنما يخدم لب القضية التي كانوا ينوون تدميرها، وأن ظلمهم له بنفيه بل وفرض العزلة عليه "سيصير رحمة إلهية". لم يسمحوا لأحد بزيارته إلا لماما، ولما شاعت حوله الأراجيف والافتراءات في منطقة "بارلا"، أرهبوا المواطنين هناك، وحاولوا منعهم من الاقتراب منه، ووضعوه تحت المراقبة، وتتبعوه وأزعجوه باستمرار، ولما منحت الحكومة عفوا عاما عن المنفيين عام ١٩٢٨ رفضوا منحه هذا العفو، إلا أن هذه الإجراءات القمعية كانت -على حد قول النورسي- محض محققات لمقاصد الحكمة الإلهية؛ حيث إن هذه الظروف عزلته عن كل الشواغل، ومنحت عقله الصفاء؛ لذا كان بوسعه "تلقي نور القرآن"، والانشغال بدرجة أكبر بخدمته.[١] وكان على النورسي الانتظار ما

---

(١) انظر: النورسي، المكتوبات ص ٥٧.

يقرب من ثماني سنوات ونصف بين حدائق "بارلا" وجبالها. وفي هذه الفترة كتب الجزء الأكبر من المائة والثلاثين جزءا من رسائل النور. لقد أصبحت "بارلا" مركزا يُشرق "بأنوار الإيمان" في حين كانوا يظنونها على وشك الأفول.

محاولة استئصال الإسلام

كان المسار المخطط لتركيا الخاص بالتوجه نحو الغرب قد تم الانتهاء منه مع حلول ربيع ١٩٢٦؛ حيث رأى مصطفى كمال الذي كان في ذلك الحين قد ضاعف من سلطاته أنه لا يمكن إعادة بناء تركيا لتأخذ مكانها بين العالم "المتحضر" إلا من خلال التحديث السريع لها، ويُقصد بالتحديث صبغ الدولة بالصبغة الغربية،[٢] وهذا بدوره يعني العلمنة الكاملة. لقد رأى أتاتورك ومعه النخبة المتغربة التي أفرزتها "التنظيمات" أن الإسلام مرادف للتخلف، وأنه مسئول عن انهيار العثمانيين وهزيمتهم الحتمية، ومن ثَمّ كان الهدف الأول هو إزالة الإسلام وعزله عن الوجود من الحياة العامة، وإحلال الحضارة الغربية محله بكافة أشكالها وألوانها، إلا أن هذا لم يشكل التحول الجذري الذي تم العمل على تشكيله؛ حيث بدأت علمنة الدولة مع التنظيمات، واستمرت في الفترة الثانية للمشروطية، رغم أن صوت المتغرِّبين ظل ضعيفا نسبيا مقارنة بصوت الإسلاميين، الذين رأوا أخذ العلم والتقنية فقط من الغرب.

بدأت سلسلة من إجراءات العلمنة التي طرحها المفكر الطوراني "ضياء كوك آلب" تأخذ مكانها بعد أن أحكمت جمعية الاتحاد والترقي قبضتها على الحكم عام ١٩١٣، فقللت من سلطة شيخ الإسلام، واستولت على صلاحياته التربوية والقضائية والمالية والإدارية في الإدارات الحكومية المختصة،[٣] ولذا بحلول عام ١٩٢٣ كانت صلاحيات الفقه الإسلامي قد تم حصرها في قانون الأسرة، وهذا يناقض السلطة الفعلية التي ظل الإسلام يتمتع بها كأساس وقوة مُلزمة للمجتمع، وما كانت لتتم عملية استبداله واستئصاله من قِبَل الأنظمة العلمانية إلا بتبنيها لأشد الإجراءات وحشية، وقبل عرض هذه التغييرات كانت

---

(٢) Berkes, *Development of Secularism*, 463-64 وانظر كذلك: Alp, *Kemalisme*.

(٣) Berkes, *Development of Secularism*, 415، و Mardin, *Religion and Secularism in Turkey*, 362

تتم عملية تقييم رد فعل الشعب عليها كما يشير الواقع المنظور، مع فهم لرد النورسي عليها، وكذلك رد طلابه الذين اجتذبهم في "بارلا"، واستحضار أن تنفيذ مثل هذه الإجراءات أثناء فترة التنظيمات، وكذلك في الفترات التالية لم يكن له سوى أثر طفيف على عامة الناس ونهج حياتهم الذي كان مرتبطا بالإسلام بشكل لا ينفصم، فما زالت هويتهم هي الإسلام، علاوة على أن الشعب التركي قد خرج ظافرا من حرب الاستقلال على خلاف كل التوقعات، ورأى فيها الأتراك -باعتبارهم مسلمين- تهديدا من قبل القوى المسيحية. وبإيجاز، كان المراد من التحول الجذري، والذي لم يكن بأقل من ثورة ثقافية، استئصال الهوية الإسلامية القديمة، وخلق هوية أخرى تقوم على المفهوم الغربي للقومية.(٤)

جرت عملية التحول فعلا،(٥) فتم إلغاء أركان الدولة الإسلامية، فألغيت السلطنة والخلافة كما أُلغي مقر مشيخة الإسلام والمعاقل الأخيرة للعلماء، والمحاكم والمدارس الشرعية باعتبارها من أنقاض الماضي، وصدر قانون لتوحيد التعليم تحت الإدارة الحكومية. حدث هذا كله قبل أن يزور النورسي استانبول في طريق منفاه، وفي عام ١٩٢٦ تم تطبيق القانون المدني السويسري كما اتبع النموذج الإيطالي في القانون الجنائي.

بعد ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥ ومع السلطات الدكتاتورية التي منحها قانون إقرار السكون - آنف الذكر - للحكومة، تم تمرير قانون يتم بمقتضاه إغلاق كل التكايا والزوايا، وأماكن اجتماعات الصوفية، وحل الطرق الصوفية، وإغلاق أضرحة الأولياء،(٦) وفي نهاية العام نفسه أصدر مصطفى كمال قراره بأن يرتدي أهل الأناضول الزي "المتحضر"، وهو الزي الغربي، وتم منع الزي التقليدي "الطربوش الشهير"، وأوجب قانون القبعة ١٩٢٥ على كل الرجال ارتداء القبعات على النمط الأوربي، ويعد مجرِما ارتداء أي غطاء آخر للرأس.

---

(٤) Brockett, Collective Action, 58 وأيضا Ahmad, F, *Making of Modern Turkey* 77

(٥) لبيان قائمة تواريخ الإصلاحات، راجع: Toprak, *Religious Right*, 630-31.

(٦) Lewis, *Emergence of Modern Turkey*, 266

لقد أثارت هذه القوانين ردود أفعال غاضبة،[٧] ولم يتم فرضها إلا بقيام محاكم الاستقلال، وإعدام عدد غير قليل من الناس،[٨] وتم اعتقال المئات في سبيل تنفيذ القانون، وكان رجال الدين المستهدفين والضحايا، وكان من الطبيعي رفض النورسي نبذ عمامته وزيه بشكل قاطع، مقاوما محاولات إرغامه على فعل ذلك حتى آخر أيامه، بل إنه كان يرتديهما عند ذهابه للمحكمة، فقد قال لـ "نوزت تاندوغان" محافظ أنقرة عام ١٩٤٣ بعد حوار حاد بينهما: "تخلع هذه العمامة مع هذا الرأس"، وعلى هذا أخذ من مكتب المحافظ إلى سجن في دنيزلي.[٩]

كان الدور في التغيير على أنظمة التوقيت والتقويم السنوي، فتم اتباع التقويم الغربي، واعتماد نظام الساعة الزوالية، وعمل بذلك بدءا من الأول من يناير ١٩٢٦، كما عمل بالنظام المتري في عام ١٩٣١.

لم تمض هذه التغييرات دون أن يكون لها خصوم، وبلغت تلك الخصومة ذروتها، حتى لقد اكتشفت مؤامرة لاغتيال مصطفى كمال في يونيو ١٩٢٦، الأمر الذي اتخذ منه ذريعة للتخلص من كثير من خصومه. بدأ على أثر ذلك العمل بمحاكم الاستقلال، وحكم على ستة عشر رجلا بالإعدام، بغض النظر عن كونهم متورطين أم أبرياء.[١٠] وفي عام ١٩٢٨، ألغيت المادة الثانية من دستور ١٩٢٤، والتي تُقرر أن الإسلام هو دين الدولة، وعندئذ استشعر مصطفى كمال الأمان الكافي، فبدأ العمل بالأعداد الغربية، ثم بالأبجدية اللاتينية، وعمل بالحروف "التركية" الجديدة رسميا بموجب قانون تم تمريره في الثالث من نوفمبر ١٩٢٨، واعتبر العمل بالحروف العربية محظورا بنهاية هذا العام، فلم يبق من سبيل أشد من ذلك ضراوة في قطع الأمة عن دينها وأصولها وماضيها،

---

(٧) Brockett, *Collective Action,* 49-50

(٨) Akşin, *Türkiye Tarihi,* 4: 111 ونعلم مما أورده Zürcher أنه بموجب قانون حفظ النظام تم اعتقال ما يقرب من ٧٥٠٠ من الشعب وإعدام ٦٦٠ آخرين.Zürcher, *Turkey,* 181 ولم ينقل كم من هؤلاء أعدم بسبب اللباس.

(٩) Şahiner, *Bilinmeyen* 6th ed., 323-24

(١٠) .Zürcher, *Turkey,* 182

وقد لعبت رسائل النور دورا هاما في حفظ الرسم القرآني حيا في تركيا.

كان منطقيا أن تكون الخطوة التالية لتتريك الأبجدية أن تبدأ عملية تتريك الإسلام، فتم التخلص من الحروف العربية، وتم إحلال التركية محل اللغة العربية؛ إذ اعتبر الإبقاء على اللغة العربية مخالفا لمبدأ القومية، وهو أحد المبادئ الكمالية الست،[١١] ومن ثمّ فمنذ عام ١٩٢٦ تم منع رفع الأذان للصلاة بالكلمات العربية المجيدة، وهو رمز الإسلام وسمة من سماته العظيمة، وحلت مكانها صيغة تركية، وكان هذا كما يرى أحد المؤرخين مما "أثار استياء شعبيا واسعا أكثر من أي إجراءٍ علماني آخر"،[١٢] وظل معمولا به إلى أن أبطلت الحكومة الديمقراطية العمل به في يونيو ١٩٥٠ كواحد من أولى خطواتها التشريعية.[١٣]

كان أحد الإجراءات الأخرى هو التنقية المزعومة للغة التركية بمحو الكلمات المستعارة من العربية والفارسية من خلال تقديم واشتقاق كلمات تركية جديدة، وفي عام ١٩٣٤ بدأ العمل بالألقاب، وتلا ذلك تغيير يوم الإجازة من الجمعة إلى الأحد عام ١٩٣٥، ماحيا سمة عظيمة من وشائج العالم الإسلامي.

اندمج حزب الشعب الجمهوري، وهو الحزب الذي أسسه مصطفى كمال مع الدولة عام ١٩٣١، ومن ثم أصبحت له سلطة مطلقة عليها، وأعلن في تركيا العمل بنظام الحزب الواحد، وتم إسكات كل الجبهات المعارِضة كيفما كان، وفي عام ١٩٣٧ تم التنصيص على المبادئ الكمالية الست لحزب الشعب الجمهوري في الدستور، وبعد أن انفرد حزب الشعب الجمهوري بالحكم، شرع في تنفيذ برنامج للتعليم العام وفقا للمبادئ الكمالية، ففتحت آلاف من الأبنية والقاعات العامة، ثم المعاهد القروية في كل ركن من الدولة؛ حيث غرست المبادئ الست من خلالها خصوصا العلمانية والقومية والثقافة

---

(١١) كانت المبادئ الكمالية الست هي العلمانية، والقومية، والجمهورية، والوطنية، والشعبية، والثورية. المرجع السابق، ص١٨٩- ١٩٠.

(١٢) Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 416.

(١٣) Akşin, *Türkiye Tarihi,* 4:178

الغربية[١٤] بصفة أساسية في عقول عامة الشعب.

لقد كان النظام القهري، بل والاستبدادي لحزب الشعب الجمهوري الذي رآه الكماليون "آلية أساسية لحكم المجتمع من أعلى"[١٥] محل امتعاض بالغ لدى الشعب، ومثار سخط واستياء واسعين،[١٦] ولعبت العلمانية والقومية، من بين المبادئ الكمالية الستة، دورا أساسيا في التحول الثقافي المنشود تحقيقه منها. ويعود فهم مصطفى كمال للعلمانية إلى النموذج الفرنسي كغيره من الشباب التركي قبله، إلا أن هناك اختلافات جوهرية خاصة بين الإسلام والكنيسة الكاثوليكية أبانت أنه لا يمكن، إلى حد كبير، تطبيق العلمانية في الحالة التركية، وأصبح هذا محل جدال لا يحسم عن طبيعة العلمانية في تركيا.

لقد شكلت الفلسفة الوضعية رؤية مصطفى كمال ونظرته للعالم، ووفقا لهذه الفلسفة فإن العلم هو مصدر الحقيقة، بينما يشكل الدين حجر عثرة في طريق التقدم؛ ولذا فعلى درك التهافت نحو الحضارة توجّب إخضاع الإسلام أو إزالته، وجعله تحت سلطان الدولة، ولقد تم قمع الإسلام بشدة إبان الثلاثينيات والأربعينيات،[١٧] إلا أن الأربعينيات قد تأثرت بتأسيس إدارة الشئون الدينية والأوقاف عام ١٩٢٤،[١٨] وإلغاء ما تبقى من النظام السابق. لم تفض العلمانية التركية إلى فصل صحيح للدين عن الدولة، ولا إلى معاملة عادلة من قِبَل الدولة لأتباع كل الطوائف والعقائد، دينية كانت أم غير دينية، والتي كان من واجب الدولة حماية حقوقهم وحرياتهم، ولسوف تبرز تلك الإشكالية في فصول تالية؛ حيث كان الانتهاك المزعوم لهذا المبدأ ذريعة القبض على النورسي وسجنه في عدة مناسبات.

---

(١٤) Karaömerlioğlu, *People's Houses*, 79-80

(١٥) Jung and Piccoli, *Turkey at the Crossroads*, 72

(١٦) انظر: Zürcher, *Turkey*, 184--89

(١٧) انظر: المرجع السابق، ص١٨٩، ٢٤٤.

(١٨) انظر: Berkes, *Development of Secularism*, 484-85

رسائل النور

لم يَخْلد النورسي إلى عالم العبادة والصلاة في "بارلا"؛ فالحقيقة أنه نجح – رغم الرقابة الشديدة للدولة – في كتابة ونشر أدبيات مثلت في نهاية الأمر مصدر الإلهام لحركة إحياء الدين، ويمثل النورسي نموذجا فريدا بين كل دعاة الإسلام في الحقبة الماضية لِما قام به من دفع للجدل الهائل بين الإسلام والتغريب إبان الحقبة الجمهورية، وعرضه للإسلام والقرآن بطريقة اجتذبت إليها بحماس أعدادا غفيرة من الناس. لم يكن ذلك الصراع سياسيا بل كان صراعا فكريا وعقديا لرؤى متصارعة عن الوجود والعالم، وكان ما شرع النورسي في القيام به هو إثباته تفوق القرآن وحضارته، وأنه لا يمكن للبشر، أفرادا أو جماعات، تحقيق ما يصبون إليه من رضا وسعادة إلا من خلال القرآن، وفي الوقت ذاته جابه دعاة الفلسفة الوضعية، وأبان أن الفلسفة المادية في الأساس مخالفة لقوانين العقل ولا يمكن تحقيقها، كما أنها مدعاة لهلاك البشرية والمجتمع، وبحلول خمسينيات القرن العشرين أدّى ما قام به الحزب الديمقراطي من تخفيف للقيود إلى قيام أتباع النورسي وطلاب النور إلى إقامة تآلف بينهم تمثل في حركة أصبحت قوة لها وزنها في تركيا.[١٩]

يذكر أن النورسي قد أدرك مغزى عصر العلم إبّان شبابه المبكر على الحدود الشرقية المترامية للإمبراطورية العثمانية، مع فهمه للمخاطر التي يطرحها تدفق الأفكار الأوربية، كما رأى ضرورة تحديث العلوم الإسلامية وخاصة علم تفسير القرآن؛ ففي كتاب "المحاكمات" أول أعماله الكبرى (١٩١١) يخصص النورسي جزءا (لم يكتمل آنذاك) لمقاصد القرآن الأساسية، وهي الحقائق الرئيسة التي يعلّمها، والتي تشكل أساس الدين الإسلامي. ورغم ما أحاط هذا المنحى من غموض إبّان حياته المبكرة فقد أصبحت رغبة النورسي في إيجاد "طريق للحقيقة" قوية للغاية حتى أضحت أداة ساهمت مع عوامل أخرى في التحول إلى سعيد الجديد.

ما إن أدرك النورسي النوايا المبيّتة لقادة تركيا الجدد، وتيقن أن دفع القضية

---

(١٩) Toprak, *Religious Right*, 637-38.

الإسلامية من خلال المعترك السياسي ستكون نتيجته عكسية، حتى نذر نفسه قلبا وقالبا لإيجاد طرق جديدة لخدمة الإسلام، وأفضى به هذا أن خلص إلى أنه يجب عليه من الآن فصاعدا توجيه كل جهوده إلى قضية العقيدة أو الإيمان كما يعلمه القرآن، بالعمل على إحيائها وتقويتها من خلال طرق جديدة، وعندما وصل إلى "بارلا" كان قد طور منهجا لذلك؛ بإعمال "المسلك الروحي" الذي انكشف له أثناء ميلاد سعيد الجديد، واتخذه منهجا عاما للبرهنة على التعاليم القرآنية وتفسيرها على أساس "أصول العقيدة". وذلك المنهج الجديد[٢٠] مستخلص من القرآن، ويجمع حقائقه إلى الحقائق العلمية مع دحضه مثل تلك الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الوضعية؛ كالطبيعة والعلة بشكل مقنع. إنها طريقة التفكر في الكون المنظور وملاحظته، حيث تُرى الكائنات فيه لا من خلال أنفسها بل من خلال ما ترمز إليه من معانٍ، وقد أكثر من ضرب المقارنات المجازية، والتي تشبه التلسكوب في تقريب الحقائق البعيدة للإدراك بسهولة كما أغرق في استخدام المنطق والحِجَاج العقلي.

لقد أسهمت تلك السمات وغيرها في تهيئة كتابات النورسي للوصول لكل فئات الشعب، بغض النظر عن مستوى فهمهم، وهذه النقطة الأخيرة هامة؛ فهي تفسر "شعبية" رسائل النور، ومن ثم يمكن القول: إنه كما جاهد سعيد القديم لإيصال رسالته للعامة، وعمل على إشراكهم في الحركات العظمى آنذاك، فقد قام سعيد الجديد كذلك في صراعه الجديد بمخاطبة العامة، وعمل على تجديد إيمانهم ورفع وعيهم الديني في وجه جهود مناهضة تعمل على اقتلاعهم من دينهم وثقافتهم وتحويلهم إلى قوالب ممسوخة للغربيين. وسوف نقوم في فصول لاحقة بمناقشة نقاط أخرى حول رسائل النور والحركة التي شكلت رسائل النور مصدرَ إلهام لها.

البعث والدار الآخرة

(٢٠) للرجوع إلى تناول مفصل عن التحول الداخلي للنورسي، والمنهج الجديد الذي طوره، والذي يشكل أصلا لرسائل النور،

Toward an Intellectual Biography of Said Nursi, Abu-Rabi', *Islam at the Crossroads*, 1-32.

كان أول ما كتب النورسي فور وصوله إلى "بارلا" هو ما عنونه بعد ذلك بـ "الكلمة العاشرة" حول بعث الموتى والحياة الآخرة، وعندما زار "بارلا" ثانية عام ١٩٥٤ مع بعض طلابه وصف كيف كتب ذلك. لقد كانوا يتجولون في الحقول والحدائق على المنحدرات الواقعة شرق "بارلا" هابطين نحو بحيرة "إغيردير" عندما حدثهم النورسي قائلا:

"وحيث تتفتح أزاهير أشجار اللوز، كنت أتجول هنا (مشيرا إلى الأشجار والبساتين) وإذا بالآية الكريمة: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ترد إلى خاطري وفتح الله عليّ هذه الآية في ذلك اليوم فكنت أسير وأتجول وأتلوها بصوت عال حتى قرأتها أربعين مرة، وفي المساء ألفت رسالة الحشر "الكلمة العاشرة" مع الحافظ توفيق الشامي، أي أمليت عليه الرسالة وكتبها."[٢١]

وخلافا لمعظم أجزاء رسائل النور التالية، فقد تمكن النورسي من طبع الكلمة العاشرة عند كتابتها أول مرة، ويحتمل أن تكون الطبعة الأولى قد صدرت في استانبول سنة ١٩٢٦،[٢٢] وطُبع منها الطبعة الثانية بمعونة أحد طلاب النورسي القدامى من الشرق وهو " حمزة المكسي"، وتم إصدار طبعة ثانية عام ١٩٢٨، هذه المرة أخذ تاجر محلي يدعى "بكر ديكمن" المخطوطة معه إلى استانبول، وأعاد الكتاب مطبوعا في نسخ تتكون كل منها من ثلاث وستين صفحة، فصحح النورسي كل نسخة منها ووزعها،[٢٣] وأرسل عددا من هذه النسخ لأنقرة حتى توزع بين مسئولي الحكومة ونواب الجمعية الوطنية الكبرى، وصاحب هذا الكتاب كما يروي النورسي صدور قرارٍ رسمي من مجلس التعليم ببث الأفكار المنكرة للبعث الجسماني،[٢٤] وبعد لقاء نوقش فيه هذا الأمر واجه أحد أعضاء المجلس واحدا من النواب الذين معهم نسخة من بحث النورسي، فأمسك بالكتاب وفحصه وأخبر النائب: "سعيد النورسي يتلقى معلومات عن عملنا، ويكتب أعمالا مناهضة له." نقل هذا إلى النورسي "كاظم

---

(٢١) مصطفى صونغور في Şahiner, *Aydmlar Konuşuyor,* 395

(٢٢) Badıllı, *Nursi,* 2:931

(٢٣) Şahiner, *Bilinmeyen* ,298-299

(٢٤) انظر: النورسي، ملحق بارلا، ١٧٢.

قره بكر باشا"، فأوضح النورسي: "لم أتلق أي معلومات عن قرار المجلس، ولكن الله العزيز قد ألهمني هذا البحث عن الحشر بسبب قرارهم، فلم أكتبه عن أمري بل كتب للحاجة إليه."(٢٥)

لم يرِد كيف نقل "كاظم قره بكر" هذه الكلمة للنورسي، إلا أنه من المعلوم أن السياسة التعليمية للجمهورية الجديدة كانت قد تأهبت لتحقيق الهدف الرئيس للثورة الكمالية، وهو رفع تركيا إلى مستوى الحضارة (الغربية) الحديثة، الأمر الذي كان يقوم على مبادئ علمانية وضعية،(٢٦) ولم يقتصر التعليم على المدارس، فقد استخدمت مختلف الوسائل الإعلامية التي كانت متاحة في ذلك العصر لمهاجمة الأفكار والمؤسسات الدينية، وجعلها مثارا للسخرية، فمثلا في عدد أبريل ١٩٢٧ قامت مجلة "Resımlı Ay" الشهرية بإجراء مقابلات مع عدد من الشخصيات الشهيرة، كان بينها السيد "عبد الحق حامد" و"عبد الله جودت" مناصر المادية الحيوية الشهير، والذي كان لأفكاره التغريبية أثر فاعل إبان عهد الجمهورية المبكر، وكانوا يجيبون على سؤال عنوانه: "هل تؤمن بالدار الآخرة؟" وكان طبيعيا أن يكون الأمر مثيرا في دولة ما زالت الأغلبية العظمى من سكانها من المسلمين المخلصين، وبينما اجتنب معظم الذين شاركوا في الاستفتاء الجواب بشكل مباشر، فقد أنكر عبد الله جودت صراحة الحياة الآخرة، معلنا رأيه أن الإيمان بوجود إله لا يمثل سوى عقيدة السذج "وهو شيء على خلاف المنطق إطلاقا."(٢٧)

علق النورسي أهمية عظمى على بحثه حول الحشر الذي كما قال عنه: "يشرح لعامة الناس بل وللأطفال" أصول العقيدة التي وقف أمامها عباقرة الفلسفة كابن سينا عاجزين، "فقد صرح ابن سينا أنه: "الحشر ليس على مقاييس عقلية "،(٢٨) وفي رسالة له عن هذه الدراسة كتب النورسي في صدر الثلاثينيات يقول: (إنها) "لم تقدر حق قدرها، فقد طالعتها بنفسي ما يقرب من خمسين

---

(٢٥) أحمد كوموش في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:158

(٢٦) Akşin, *Türkiye Tarihi*, 4:473-74; Mango, *Atatürk*, 412, 535

(٢٧) Şahiner, *Haşir Risalesi Nasıl Yaztıdı?*, 31-32

(٢٨) النورسي، الكلمات، ص ١٠١.

مرة، وفي كل مرة أجد لذة جديدة وأشعر بحاجة إلى قراءة أخرى".[٢٩] ولكن أي شكل اتخذته هذه الدراسة حتى تمكنت من التدليل على هذه الأمور العسيرة في شكل مبسط وواضح؟ يعطي شرح النورسي مثالا لواحد من أنماط التفكر التي أعملها في رسائل النور:

" إن كل حقيقة من الحقائق تثبت أموراً ثلاثة في آن واحد: وجود واجب الوجود، وأسمائه وصفاته، ثم تبني الحشر على تلك الأمور وتثبته. فيستطيع كل شخص من أعتى المنكرين إلى اخلص المؤمنين أن يأخذ حظه من كل حقيقة، لأنها تلفت الأنظار إلى الموجودات والآثار، وتقول: في هذه الموجودات أفعال منتظمة، والفعل المنتظم لا يكون بلا فاعل، لذا فلها فاعل. ولما كان الفاعل يفعل فعله بالانتظام والنظام يلزم أن يكون حكيماً عادلاً، وحيث إنه حكيم، فلا يفعل عبثاً، وحيث إنه يفعل بالعدالة فلا يضيّع الحقوق، فلا بد إذن من محشر أكبر ومحكمة كبرى.

وعلى هذا المنوال تسير الحقائق، وتلبس هذا الطراز من التسلسل، وتثبت الدعاوى الثلاث دفعة واحدة. ولأنها مجملة فالنظر السطحي يعجز عن التمييز. علماً أن كل حقيقة منها قد فصلت بإيضاح تام في رسائل أُخر".[٣٠]

لقد تعاظم التركيز على هذا الأمر في نهاية خاتمة الكلمة العاشرة نفسها، فقد بين النورسي أن أدلة البعث تقوم على التصرفات الإلهية في الكون، والتي تتفتق عن تجليات الاسم الأعظم، ومقدار عظمة تجليات الأسماء الأخرى، وهي عظيمة وهائلة، فكتب يقول:

" إن أحد أسرار عدم الوصول إلى مسألة الحشر عقلاً هو أن الحشر الأعظم من تجلي "الاسم الأعظم"، لذا فإن رؤيةَ وإراءةَ الأفعال العظيمة الصادرة من تجلي الاسم الأعظم، ومن تجلي المرتبة العظمى لكل اسم من الأسماء الحسنى هي التي تجعل إثبات الحشر الأعظم سهلاً هيناً وقاطعاً كإثبات الربيع وثبوته، والذي يؤدي إلى الإذعان القطعي والإيمان الحقيقي."[٣١]

ويبين النورسي أن تلك الرحابة العظمى والغور المكين جعلا من البعث أمرا يصعب استيعابه عقلا، ولكنه يضيف أن الشكر يجب إسداؤه؛ لأن سبيل

---

(٢٩) النورسي، الملاحق ملحق بارلا، ص ٧٧.
(٣٠) المرجع السابق، ص ٧٣.
(٣١) النورسي، الكلمات، ص ١٠١.

البعث قد بينه القرآن في حين ظل عقل الإنسان عاجزا.

الحياة في بارلا

عاش النورسي حياة الناسك في "بارلا" مستغرقا في التفكير والكتابة، نزل الأسبوع الأول ضيفا على أحد القرويين ويدعى "المهاجر حافظ أحمد"، الذي أسدى بعد ذلك هو وأسرته خدمات جليلة للنورسي ورسائل النور،[٣٢] إلا أن النورسي احتاج إلى مكان أكثر هدوءا وأقل طَرْقا من الناس؛ فتم تيسير بيت صغير من حجرتين كان في السابق محلا لاجتماع أهل القرية، وأصبح هذا المنزل المتواضع بيتا للنورسي مدة الثماني سنوات التالية، وعلى حد تعبير النورسي فقد أصبح "مدرسة النور الأولى" أي: "مدرسة رسائل النور". كان هناك نبع يجري أسفل منه صيفا وشتاء، تقف في مواجهته شجرة دلباء كبيرة للغاية، مهّد النورسي مكانا أو غرفة شجريا صغيرا بين أغصانها العظيمة، وجعلها محلا للتفكر والصلاة ربيعا وصيفا، واعتاد طلابه وأهل "بارلا" القول بأنه يقيم في ذلك المكان الليل كله ولا ينام، وعند الفجر ترفرف الطيور حول الشجرة كما لو كانت مدفوعة بصوت مناجاته، ضامّة تغريداتها إلى صلواته.[٣٣]

تُعد "بارلا" آية من آيات الجمال؛ إذ ترتفع الجبال من ورائها، وتنبسط الأرض من أمامها نحو بحيرة "إغيردير"، وتنتشر الحدائق والبساتين حول منعرج واديها، قضى النورسي كثيرا من وقته متجولا عبر هذا المكان الريفي، وهناك على ضفاف البحيرة، وعلى بعد ما يقرب من أربع ساعات إلى الشمال من "بارلا" وعلى مستوى يقع فوق سطح البحيرة بكثير يقع جبل جام داغي (جبل الصنوبر)، حيث أمضى النورسي هنا وقتا كبيرا خصوصا بعد عام ١٩٣٠، قاضيا أسابيع على قمته في عزلة تامة، وهنا أيضا أقيمت له بيوت الشجر، اثنان منهما يقع أحدهما في شجرة صنوبر والآخر في شجرة أرز، حيث كتب وصحح النسخ المكتوبة يدويا للكلمات، وللأجزاء الأخرى من رسائل النور التي كان عددها قد كثُر في هذا الوقت؛ لاشتهار كتابته وسعة انتشارها.

---

(٣٢) المهاجر حافظ أحمد في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:284-285

(٣٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٦٥.

كانت الطريقة التي كتبت وانتشرت بها رسائل النور واحدة من ملامحها الفريدة، فلقد كان النورسي نفسه مع علمه وقدراته الخارقة ضعيفا في الكتابة اليدوية للغاية؛ حتى لقد وصف نَفسَه بأنه "شبه أمي"، وفسر ذلك بأنه نعمة إلهية، ومع ذلك فلقد قيض الله عز وجل له طلابا كانوا "فرسانا في صنعة الكتابة"(٣٤) لتلبية هذه الحاجة، فكان يملي على هؤلاء الكتبة بسرعة، فيكتبون ما يمليه عليهم بنفس السرعة، فكانت الكتابة تتم في سرعة كبيرة، ولذا فإن أجزاء من رسائل النور كُتبت في وقت قصير يصعب التصديق بإمكانية كتابتها فيه، لنقل مثلا ساعة أو ساعتين، وسنناقش هذا الأمر بمزيد من التفصيل لاحقا.

كان النورسي يقوم بكتابة بعض الأجزاء بنفسه لمدة ساعة أو ساعتين يوميا، وأُعدت النسخ من الأصول يدويا وتم توزيعها، ثم نُسخت النُّسخ بعد ذلك، ووزعت على آخرين يقومون أيضا بإعداد نسخ أخرى، وبهذه الطريقة انتقلت الكلمات من قرية إلى أخرى، وبمرور الوقت من مدينة إلى أخرى، حتى عمت تركيا كما سنرى.

اشتهرت "بارلا" بأمطار الربيع والصيف؛ إذ تكفهر السماء الساطعة بالسحب فجأة، ويدوّي الرعد، وتبرق السماء، وينهمر المطر، ثم يصير الهواء مفعما بشذى الأرض الرابية، ذات مرة في أوائل صيفه الأول في "بارلا"، كان النورسي يتجول وحده في الجبل المحيط حينما اكفهرت السماء وبدأ سقوط المطر، وحيث لم يجد ملجأ يأوي إليه في الجبال، عاد إلى "بارلا" وقد بلّله المطر، وقطع الطرقات الضيقة ببطء متجها نحو الصنبور العام ممسكا بحذائه المطاطي الأسود الذي كان قد تمزق عندئذ، بينما نقعت جواربه الصوفية البيضاء في الوحل، وكان هناك ثلة من القرويين يمضون النهار؛ إذ رأى أحدهم الشيخ في تلك الحالة الكئيبة المؤسفة، فترك من معه وأتى إلى الشيخ من الخلف، ولما شعر النورسي أن أحدا خلفه استدار إليه فرأى سليمان كما كانوا يدعونه، فأومأ إليه، فأخذ سليمان الحذاء الممزق الذي غطاه الطين، وغسله في مورد الماء ثم صعدا سويا إلى الغرفة حيث بيت النورسي، وقام سليمان بقضاء

---

(٣٤) النورسي، الملاحق، ملحق بارلا ص ٨١.

حاجات النورسي مدة الثمانية أعوام التالية، وكان النورسي يدعوه سليمان الصديق، هذا وقد كتب النورسي الكلمة الثامنة والعشرين عن الجنة في بستانه، الذي ما زال يعرف إلى اليوم ببستان الجنة.[٣٥]

ظل النورسي يعاني حالة صحية سيئة مدة مقامه في "بارلا"، وكان ديدنه ألا يأكل سوى ما يقيم به أوده، كانت هذه عادته دائما، ولاحظ الذين يعرفونه ذلك مرارا؛ كانت وجبته طبقا صغيرا من المرق، وقطعة من الخبز، وفي السنوات الأربع الأولى له في "بارلا" كان مرقه يأتيه من بيت "مهاجر حافظ أحمد"، حيث يرسله مع أطفاله ممن هم في السابعة أو الثامنة من أعمارهم، وكانوا من حفظة القرآن كأبيهم، وكان النورسي يدفع لهم ثمن المرق دائما، وهو عشرة قروش في ذلك الحين، وفي الأربع سنوات التي تلت ذلك كان يأتيه المرق من بيت قروي آخر هو عبد الله جاويش.[٣٦]

أمضى النورسي سنواته الأولى في "بارلا" على وجه الخصوص وحيدا في معظم الأحيان، ووصف هذه العزلة في رسائل عديدة، نص إحداها مذكور أدناه، ومع ذلك فقد حاول الاستمتاع بالمنطقة، وفي بعض المناسبات كان يزوره الأهالي هناك من مختلف الطبقات، كان بين هؤلاء مسئول محلي بالمنطقة يدعى "إحسان أستونداغ"، الذي زار النورسي مع طبيب المنطقة ومسئول المالية، وأحد الكيميائيين بين عامي ١٩٢٦ و١٩٣٠، وكتب عن ذلك يقول:

> "بينما كنا على ظهر القارب في الطريق إلى "بارلا"، دار حوار عن الدين، وكان الكيميائي ضعيف الإيمان، فقال: تقول بوجود إله!! فلماذا يخلق الشر؟" ولم نجد إلى إقناعه سبيلا، فأخبرناه عن النورسي، وقلنا: "لا تقل أي شيء آخر، وإلا قذفنا بك في البحيرة! نحن ذاهبون إلى "بارلا"، ويمكنك سؤال الشيخ هناك، وسيعطيك جوابا مقنعا." وعند وصولنا توجهنا مباشرة إلى بيت زعيم المنطقة، وحتى قبل أن نشرب قهوتنا أرسلنا أننا نود زيارة النورسي، الذي استقبلنا في سعادة وحيّانا قائما، وقال: "لقد كان الواجب عليّ أن آتي لزيارتكم، إلا أنكم سبقتم

---

(٣٥) Şahiner, *Bilinmeyen* ,303-305

(٣٦) المرجع السابق، ص٣٠٧-٣٠٩.

بالمجيء." وقبل أن نسأله عن شيء، شرع في الحديث عن الخير والشر، وواصل حديثه قائلا: "والآن سأبين لكم كيف يمكن للشر أن يتحول إلى خير. "تلهفنا في دهشة، وأعطى هو مثالا على ذلك: "بتر ذراع مصابٍ بالغنغرينا ليس شرا بل هو خير؛ حيث إنه لو لم يقطع سيصاب الجسد كله، وهذا يعني أن الله أوجد هذا الشر لحفظ الخير"، ثم توجه إلى الكيميائي والطبيب قائلا: "أنتما كيميائي وطبيب، وتعرفان ذلك أفضل من معرفتي له، امتقع وجه الكيميائي كلون الجير، وأُسقط في يده فلم يدر مقالا، (فإنهما لم يذكرا شيئا عن عملهما)، وأعطى الشيخ مثالا آخر: "إذا وضعت بعض البيض تحت إحدى طيور الرومي ففقس بعضها ولم يفقس البعض، هل يمكنك القول بأن هذا شر؟ فكل كتكوت خرج من الفقس يساوي خمسمائة بيضة." وفي النهاية وصف القلب وصفا تفصيليا، وبعد سبعة أيام أخبرني الدكتور كمال بك أنه لم يسمع أبدا مثل هذا العرض العلمي الرائع عن القلب من قبل، حتى من أساتذة القلب المختصين![٣٧]

وفيما يلي مقتطف من إحدى رسائل النورسي التي يصف فيها عزلته، وتبدأ كل رسائله بقوله: "باسمه سبحانه" ثم يعقبها بآية: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) (سورة الإسراء: ٤٤)[٣٨]، إنه من رسالة الغربة، ولا يوجد لهذه الكلمة مرادف في الإنجليزية،[٣٩] إنها تشير إلى فكرة الاغتراب بعيدا عن الوطن، فكرة المنفى، والغربة، والتي كثيرا ما احتفى بها الأدب في الشرق. كتب النورسي بعد مقدمته المعتادة يقول:

إخواني المكافحون، وأصدقائي المتحمسون، ومبعث سلواني في أرض الغربة المسماة بالعالم، بقيت منذ شهرين أو ثلاثة وحيدا فريدا، وربما يأتيني ضيف كل عشرين يوما أو ما يقرب من ذلك، فأظل وحيدا في سائر الأوقات، ومنذ ما يقرب

---

(٣٧) إحسان أستونداغ في Şahiner, *Son Şahitler*, 1:281-282

(٣٨) يوضح النورسي سبب تصديره هذه الرسائل بهذه الآية فيقول: لقد كانت هي الباب الأول الذي انفتح لي من الكنوز المقدسة للقرآن الحكيم، وكانت تلك هي الحقيقة الإلهية الأولى التي اتضحت لي من بين حقائق القرآن، إنها تلك الحقيقة التي تتجلى في معظم أجزاء رسائل النور، وهناك سبب آخر هو أن الأساتذة الذين أثق بهم اعتادوا أن يصدروا بها رسائلهم. النورسي، الملاحق: ملحق بارلا ص٧١ ؛ Şahiner, *Bilinmeyen* 311

(٣٩) لمزيد من البيان، Yvonne Haddad, *Ghurbah as Paradigm for Muslim Life*, 237-53

من عشرين يوما ليس حولي أحد من أهل الجبل، فلقد تفرقوا، ففي هذه الجبال الموحية بالغربة، وعندما يرخي الليل سدوله، فلا صوت ولا صدى، إلاّ حفيف الأشجار الحزين.. رأيتني وقد غمرتني خمسة ألوان من الغربة:

أولها: أني بقيت وحيدا غريبا عن جميع أقراني وأحبابي وأقاربي، وقد أخذت الشيخوخة مني كل مأخذ، فشعرت بغربة حزينة جراء تركهم لي ورحيلهم إلى عالم البرزخ.

ومن هذه الغربة انفتحت دائرة غربة أخرى، وهي أنني شعرت بغربة مشوبة بألم الفراق؛ حيث تركتني أكثر الموجودات التي أتعلق بها كالربيع الماضي.

ومن خلال هذه الغربة انفتحت دائرة غربة أخرى، وهي الغربة عن موطني وأقاربي، فشعرت بغربة مفعمة بألم الفراق؛ إذ بقيت وحيدا بعيدا عنهم.

ومن خلال هذه الغربة ألقت عليّ أوضاع الليل البهيم والجبال الشاخصة أمامي، غربة فيها من الحزن المشوب بالعطف ما أشعرني أن ميدان غربة أخرى انفتحت أمام روحي المشرفة على الرحيل عن هذا المضيف الفاني متوجهة نحو أبد الآباد، فضمتني غربة غير معتادة، وأخذني التفكير، فقلت فجأة: سبحان الله! وفكرت كيف يمكن أن تقاوم كل هذه الظلمات المتراكبة وأنواع الغربة المتداخلة! فاستغاث قلبي قائلا: يا رب! أنا غريب وحيد، ضعيف غير قادر، عليل عاجز، شيخ لا خيار لي. فأقول: الغوث الغوث. أرجو العفو، واستمد القوة من بابك يا إلهي!. وإذا بنور الإيمان وفيض القرآن ولطف الرحمن يمدّني من القوة ما يحول تلك الأنواع الخمسة من الغربة المظلمة، إلى خمس دوائر نورانية من دوائر الأُنس والسرور.[٤٠]

وكتب النورسي في خطابٍ آخر يقول:

" لقد تيقنتُ أن هذه الدنيا دارُ ضيافة، تتبدل بسرعة وتتغير على الدوام، فهي ليست دارَ قرار ولا موطناً حقيقياً، لذا فإن نواحيها كافة على حدّ سواء. فما دمت لا أظل في موطني، ولا قرار لي فيه، فإن محاولة الرجوع إليه عبثٌ لا طائل وراءه، ولا يعني شيئاً الذهاب إليه. وما دام كل ناحية من نواحي الدنيا دارَ ضيافة. فإن كلَّ إنسان صديقٌ وكل مكان نافعٌ ومفيد إن كانت رحمةُ صاحب الدار ورحمةُ رب البيت رفيقةً لك، وإلاّ فكل إنسان عدو وكل مكان حملٌ ثقيل وضيق شديد.."[٤١]

---

(٤٠) النورسي، المكتوبات، ص٣٠.

(٤١) المرجع السابق، ص ٩٢.

طلاب النورسي ووفاة عبدالرحمن

كتب النورسي هذه الخطابات لـ "خلوصي يحيى كيل"،[٤٢] "الذي كان أول طلاب رسائل النور، وعمل بعدئذ كقائد في الجيش الذي كان معسكرا في "إغيردير"، وقام بزيارة النورسي لأول مرة في صيف عام ١٩٢٩، كان من مدينة ألازيغ في شرقي تركيا، وكان عليه القيام بخدمات جليلة لرسائل النور عندما عاد إلى هناك بعد ١٨ شهرا، أقام علاقة قوية مع النورسي، "وكانت حماسته وجديته أهم أسباب كتابة الجزء الأخير من الكلمات، ومعظم المكتوبات، وبعضا من اللمعات."[٤٣] والأكثر من ذلك أن النورسي قد اعتبره خليفة لابن أخيه عبد الرحمن،[٤٤] أجل، فلقد تلقى النورسي ضربة قاسية إضافة لكل المشاق التي كان يقاسيها، وهي موت ابنه الروحي ورفيقه ومساعده، عبد الرحمن، ولنقرأ ما سطره النورسي بنفسه عن هذا الأمر:

"بينما كنت وحيدا بلا معين في "بارلا" تلك الناحية التابعة لمحافظة إسبارطة أعاني الأسر المعذّب المسمى بالنفي، ممنوعا من مخالطة الناس، بل حتى من مراسلة أيِّ شخص، علاوة على ما كنت فيه من المرض والشيخوخة والغربة... فبينما كنت أضطرب من هذه الحالة وأقاسي الحزن المرير إذا بنور مُسَلٍّ يشعّ من الأسرار اللطيفة للقرآن الكريم ومن نكاته الدقيقة، يتفضل الحق سبحانه به عليَّ برحمته الكاملة الواسعة، فكنت أعمل جاهدا بذلك النور لتناسي ما أنا فيه من الحالة المؤلمة المحزنة، حتى استطعت نسيان بلدتي وأحبتي وأقاربي... ولكن - يا حسرتاه - لم أتمكن من نسيان واحد منهم أبدا وهو ابن أخي، بل ابني الروحي، وتلميذي المخلص، وصديقي الشجاع "عبد الرحمن" تغمده الله برحمته الذي فارقني قبل حوالي سبع سنوات... وذات يوم وفجأة سلمني أحدهم رسالة، ما إن فتحتها حتى تبيّن لي أنها رسالة تظهر شخصية عبد الرحمن تماما... لقد أبكتني

---

(٤٢) حاجي خلوصي يحيى كيل في Şahiner, *Son Şahitler* ,1:318-360

(٤٣) النورسي، الملاحق ملحق بارلا ص ١٣.

(٤٤) ظل عبد الرحمن في أنقرة عندما غادرها النورسي إلى وان عام ١٩٢٣، وعمل بوظيفة كاتب بالجمعية الوطنية الكبرى، وقد تزوج وأنجب ابنا اسمه وحدت، وتوفي عام ١٩٢٨، ودفن فيما كان يعرف في ذلك الحين بقرية ذو الفصل قرب أنقرة. Şahiner, *Bilinmeyen* 8th ed, 202; 6th ed, 190n. 1

تلك الرسالة كثيرا ولا تزال تبكيني، حيث يبيّن فيها عبد الرحمن بكل صدق وجدّ أنه قد عزف عزوفا تاما عن الأذواق الدنيوية وعن لذائذها، وأن أقصى ما يتمناه هو الوصول إلي ليقوم برعايتي في شيخوختي هذه مثلما كنت أرعاه في صغره، وأن يساعدني بقلمه السيّال في وظيفتي ومهمّتي الحقيقية في الدنيا، وهي نشر أسرار القرآن الكريم، حتى إنه كان يقول في رسالته: ابعث إليّ عشرين أو ثلاثين رسالة كي أكتب وأستكتب من كل منها عشرين أو ثلاثين نسخة..... وكأن عبد الرحمن قد كتب تلك الرسالة بإيمان في منتهى القوة وفي غاية اللمعان وهو ينتظر أجله، إذ استطاع أن يحصل على نسخة مطبوعة من الكلمة العاشرة التي كنت قد طبعتها، وهي تبحث عن الإيمان بالآخرة، فكانت تلك الرسالة بلسما شافيا له حيث ضمّدت جميع جراحاته المعنوية التي عاناها عبر سبع سنوات خلت.

وبعد مضي حوالي شهرين وأنا أعيش في ذلك الأمل لنعيش معا حياة دنيوية سعيدة.. إذا بي أفاجأ بنبأ وفاته، فوا أسفاه.. ويا حسرتاه.. لقد هزّني هذا الخبر هزا عنيفا، حتى إنني لا أزال تحت تأثيره منذ خمس سنوات... لقد انقضى نصف دنياي الخاصة بوفاة أمّي، بيد أنني رأيت أن النصف الآخر قد توفي أيضا بوفاة عبد الرحمن، فلم تبق لي ثَمّ علاقة مع الدنيا..."[٤٥]

ووجد النورسي مرة أخرى السلوان في القرآن، هذه المرة من خلال الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (القصص: ٨٨)، وعبارة، "يا باقي أنت الباقي"، وأكمل النورسي هذا الجزء المأخوذ من رسالة الشيوخ بقوله: إن الله عز وجل أعطاني ثلاثين عبد الرحمن عوضا عن الذي أخذه.

كان أهم هؤلاء الطلاب الجدد "خلوصي يحيى كيل"، الذي زار النورسي لأول مرة بعد عامٍ من موت عبد الرحمن، وتلميذ آخر هو "قوله اونلو مصطفى"، الذي وجده النورسي في انتظاره عندما عاد لبيته في "بارلا" بعد سماعه الأنباء،[٤٦] وكان هناك مع "خلوصي بك" ضباط آخرون في الجيش، "أحدهم رفعت بك"،[٤٧] وهو قائد متقاعد، والبكباشي "عاصم بك"،[٤٨] الذي

---

(٤٥) النورسي، اللمعات، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٤٧) رفعت بك في Şahiner, *Nurs Yolu*, 89-97

توفي أثناء التحقيق معه في إسبارطة عام ١٩٣٥ عندما تم إلقاء القبض على النورسي وأكثر من ١٠٠ من طلابه، كان هناك أيضا سانترال صبري،[٤٩] حارس الميناء في قرية بدرة الواقعة على بحيرة "إغيردير"، والذي لعب دورا محوريا في توزيع أجزاء رسائل النور على القرى المحيطة، وكان إمام مسجد القرية وتعاهد مع النورسي على "عقد أخوة" لا ينفصم، وكان من طلاب النورسي أيضا "خسرو الإسبارطي"،[٥٠] الذي كان يتمتع بخط جميل، ووهب نفسه لنسخ رسائل النور وخدمتها. لم تكن علاقة النورسي بطلابه تشبه بحال تلك العلاقة الجافية المعتادة بين المعلم وطلابه أو بين الشيخ وأتباعه، فقد اعتبر النورسي نفسه تلميذا لرسائل النور مثله مثل طلابه في ذلك، إضافة لعلاقته الشخصية القوية بهم. وانطلاقا من صدق إيمانه بالشورى، كان يشاورهم بشأن كتابة رسائل النور وتوزيعها، وكما كان شديد التأثير غير القابل للمساومة في مواجهته الإلحاد وأعداء الدين، كان بالغ العطف والرحمة مع من يخدمون الحق، كما كان رقيقا ولطيفا مع طلابه، لا يقبل رفعة عليهم أو مدحا أو إطراء شخصيا، واعتاد أن يقول: "أنا لا أعجب بنفسي كما لا أعجب بمن يعجب بي!" فكان لا يقبل من المدح إلا ما تعلق برسائل النور أو القرآن، وظل النورسي على اتصال دائم بطلابه واستمروا في تبادل الرسائل دون توقف فيما بينهم، وجمعت هذه الآلاف من الرسائل، وشكلت جزءا رئيسا من رسائل النور، وفيما يلي جزءٌ من أحد الخطابات التي كتبها النورسي في ملحق "بارلا":

" إخوتي خسرو، لطفي، رشدي!سأبين لكم وجهة نظري - بما يفيدكم - حول العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وزملاء الدرس، وهي: انتم يا إخوتي، طلابي - بما هو فوق حدّي - من جهة، وزملائي في الدرس من جهة أخرى، ومساعديّ وأصحاب الشورى من جهة أخرى.

اخوتي الأعزاء! إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ، بل من الخطأ الاعتقاد انه لا يخطئ. ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان، ووجود نقد مزوّر

---

(٤٨) أحمد عاصم اونردم في Şahiner, *Son Şahitler,* 1,260-262

(٤٩) صبري أرسيون في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:299

(٥٠) خسرو ألتن باشاق في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:398-399

في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة. ولما كانت السيئة تعدّ واحدة بينما الحسنة بعشر أمثالها، فالإنصاف يقتضي: عدم الاعتراض وتعكير صفو القلب تجاه الحسنات، إذا ما شوهدت سيئة واحدة وخطأ واحد. وحيث إن المسائل التي تخص الحقائق، والمسائل الكلية والتفصيلات هي من قبيل السانحات الإلهامية بصورة عامة، فلا غبار عليها قطعاً وهي يقينية. أما مراجعتي لكم فيما يخص تلك المسائل واستشارتي لكم حولها، فهي في نمط تلقيكم لها، وليست لكونها حقيقة وحقاً أم لا؟ فلا تردد لي قطعاً من كونها حقيقة. إلاّ أن الإشارات التي تعود إلى المناسبات التوافقية ترد بصورة مطلقة ومجملة وكلية إذ هي سانحات إلهامية. ولكن أحياناً يختلط ذهني القاصر، فيخطئ فتظل التفاصيل والتفرعات ناقصة. فخطأي في هذه التفرعات لا يورث ضرراً للأصل وما هو بحكم المطلق.وحيث إني لا أجيد الكتابة، ولا يتيسر وجود الكاتب لدي دائماً، تظل التعابير مجملة وعلى صورة ملاحظات ليس إلا، فيستشكل على الفهم.

اعلموا يا اخوتي ويا رفقائي في الدرس! إنني أسرّ إن نبهتموني بكل صراحة لأي خطأ ترونه عندي. بل أقول: ليرضَ الله عنكم إذا قلتموه لي بشدة. إذ لا ينظر إلى أمور أخرى بجانب الحق. إنني مستعد لقبول أية حقيقة كانت يفرضها الحق، وان كنت أجهلها ولا اعرفها فأقبلها وأضعها على العين والرأس ولا أناقشها وان كانت مخالفة لأنانية النفس الأمارة.

اعلموا! أن هذه الوظيفة الإيمانية وفي هذا الوقت جليلة ومهمة. فلا ينبغي لكم أن تضعوا هذا الحمل الثقيل على كاهل شخص ضعيف مثلي، وقد تشتت فكره. بل عليكم معاونته قدر المستطاع.

نعم، إن الحقائق المجملة والمطلقة، تنطلق ونكون نحن وسائل ظاهرية لها، أما تنظيمها وتنسيقها وتصويرها فهي تعود إلى اخوتي الأكفاء، وأحياناً أتدخل في التفاصيل والتنظيم بدلاً عنهم فتظل ناقصة...

اخوتي! نحن في أشد الحاجة في هذا الزمان إلى القوة المعنوية تجاه الضلالة والغفلة. فأنا مع الأسف باعتباري الشخصي ضعيف ومفلس. فليست لي كرامة خارقة كي اثبت بها هذه الحقائق، وليست لي همة قدسية كي اجلب بها القلوب. وليس لي دهاء علوي كي اسخّر به العقول، بل أنا بمثابة خادم متسول أمام ديوان القرآن الكريم".[٥١]

من المهم أن تضعوا في اعتباركم عند قراءة هذه الصفحات الظروف

(٥١) النورسي، الملاحق، ملحق بارلا ص ٦٣.

العصبية التي كان يعمل في ظلها النورسي وطلابه، والتي نتجت عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية، فقد كانت الحياة في الريف قاسية وسني الحرب طويلة، وكان هناك الخراب الذي حدث أثناء حرب الاستقلال ورحيل عدد ضخم من اليونانيين. كان اليونانيون مقاولين رئيسيين بالمنطقة، وكانوا يتحكمون في التجارة، كل هذه العوامل ساهمت في تدهور ظروف المعيشة بهذه المنطقة المعزولة مع غناها بالثروة الزراعية، كما كانت هناك نكسات أخرى عانوا منها، عندما أثّر الكساد العالمي عليهم في أوائل ١٩٣٠،[٥٢] ولا ريب أن الإجراءات العلمانية قوبلت بنوع من الاستياء؛ حيث إن ولاية إسبارطة كانت مشهورة بمدارسها الدينية وعلمائها.[٥٣] ورغم انخفاض معدلات المتعلمين بين العامة، كانت نسبة المتعلمين أقل من ٩٪ عام ١٩٢٧.[٥٤] ويتضح فيما بعد مدى الخدمات التي ستقدمها الحركة النورية في تحسين هذا الوضع المؤسف عندما أغلقت المدارس الدينية، والتكايا الصوفية، ومنعت الأبجدية العربية، وحظرت كل أنواع التعليم الديني، ونتيجة لذلك، كان من يُقبض عليه وهو يدرس أو يقرأ كتبا بالأبجدية العربية، يعامل معاملة المجرمين ويعاني من السجن أو النفي أو حتى الموت. ولم يتغير الأمر بالنسبة للقرآن، فكان تدريسه وتعليمه يتم سرا، وكان الحبس والتعذيب من نصيب المعلمين المضطهدين، الذين يُقبض عليهم وهم يدرسونه، لقد كان كابوسا يجثم على صدر شعب الأناضول المتمسك بدين آبائه، وازداد الإرهاب والاضطهاد الرسمي بشدة خلال الثلاثينيات والأربعينيات.

وكان واضحا من خطابات الذين قرءوا رسائل النور في هذا الوقت كيف كانت استفادتهم منها عظيمة، وأصبح إيمانهم ثابتا عندما قرءوا أبحاثها واكتسبوا قوة وشجاعة كبيرة، ومثّل النورسي بشجاعته الفذة وإصراره الصامد نموذجا يحتذى لهم، فتحملوا جميع الصعاب، ولم يكترثوا للاضطهاد ووهبوا أنفسهم بالكامل كما فعل النورسي لكتابة نُسخ من أبحاث رسائل النور

(٥٢) لمسح اقتصادي عام لسنوات ١٩٢٣-١٩٥٣، Ahmad, *Making of Modern Turkey*, 72-101

(٥٣) Tapper and Tapper, Religion, Education, and Continuity, 59; Mardin, *Religion and Social Change*, 151-53

(٥٤) Ahmad, *Making of Modern Turkey*, 81

وتوزيعها على الآخرين. وفيما يلي نموذجان من رسائل طلاب النورسي التي بعثوا بها له، الأول من "خسرو" صاحب "القلم السيّال"، الذي كتب لعدة سنوات عددا لا يحصى من نسخ رسائل النور.

أستاذي العزيز المحترم..

كل "كلمة" من "الكلمات"، من رسائلك، تمثل علاجا فعالا، فقد تباركت كثيرا بكلماتك؛ حتى إنني كلما قرأتها زادت رغبتي في قراءتها مرة أخرى، ولا أستطيع وصف سعادتي البالغة في كل مرة أقرأها فيها، وأنا على يقين أن أي شخص يقرأ ولو واحدة من رسائل "الكلمات" لن يملك سوى التسليم بالحقيقة، وإذا كان منكرا فسيجد نفسه مضطرا لهجر الطريق الذي كان يسلكه، وإن كان عاصيا فلن يملك سوى التوبة.[٥٥]

النموذج الثاني من رسالة "قوله اونلو مصطفى" الذي قام - كما سبق أن ذكرنا - بزيارة النورسي عندما سمع بأنباء وفاة عبد الرحمن، وكان أحد النماذج المبشرة من طلاب النورسي الكثيرين المجتهدين، ممن وهبوا أنفسهم لرسائل النور عِوضا عن عبد الرحمن.

ونقدم هنا مقاطع من رسالته الطويلة، والتي تكمن أهميتها في أنها تصف كيف وجد هو نفسه الهداية في رسائل النور، وكيف أن آخرين مثله كان لها عليهم نفس التأثير ووجدوا فيها "شفاء لجراحهم"، وكيف أن الشيوخ المعروفين بعدم استعدادهم لقبول أي شيء جديد، قد اكتشفوا قيمتها الفريدة، وأشار المكتوب أيضا لمسألة مهمة، وهي أن الناس في تلك الآونة قد حرموا فرصة تعلم العربية، اللغة التي نزلت بها جميع تعاليم الدين. لقد حلت رسائل النور محل المدارس الدينية، فدرّست أصول العقيدة والقرآن باللغة التركية وبطريقة تلائم احتياجاتهم:

أستاذي الجليل..

كنت أبحث عن هادٍ كامل، عندما أدركت أنني أبحث عنه بعيدا جدا، رغم أنه كان بجواري بديع الزمان، فتقربت من الأستاذ الجليل، وطلب مني أن أكتب

---

(٥٥) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 193

الرسائل، فكتبت نحو خمس عشرة من "الكلمات"، وأنا أقرأها حاليا... وشرعت في الإفادة منها بشكلٍ كبير... وفي آخر الأمر تجمع حولي الشباب...

أستاذي العظيم.. أبرأت كتاباتك جراح المئات من أصدقائي، وذات مرة أتى رجل أخذت به الحيرة كل مأخذ وكان في بحر شكوكه، وما إن أعطاه تلميذك العاجز جزءا ليقرأه من رسائل النور، حتى تبددت شكوكه واختفت تماما...

لم يدرس تلميذك العاجز العربية في حياته قط، ولم تطأ قدماه أرض مدرسة دينية، واعتاد منذ أمدٍ طويل أن يقرأ الكتب باللغة التركية، ولم أجد أي علاج لجراحي المادية والروحية... ولكن لأن الله عز وجل يخلق حلولاً تلائم كل عصر، ويمنح دواء يناسب كل جرح، ففي عصرنا هذا؛ حيث عدمنا المدارس الدينية، يسر لأستاذنا العظيم كتابة رسائل النور بالتركية لمداواة الجرحى من أمثالنا... فالحمد لله حمدا لا منتهى له! ووفّق الله شيخنا العظيم لخدمة القرآن، ورفعه في الدنيا والآخرة، آمين!

ورغم أنني لم أتلق أي تعليم باللغة العربية ولم أدرس عشرة أو خمسة عشر عاما في المدارس الدينية، وكنت فقط أكتب وأدرس رسائل النور بجد، إلا أنني شعرت أنني درست في المدارس عشرين عاما. ويرجع ذلك إلى أن كثيرا من معلمي اللغة العربية يأتون تلميذك العاجز الضعيف ويندهشون مما درس، كما أتاني أناس تعلموا على يد أعلام عظام، فأُخذوا بما سمعوا من كلماتي، وقَدِم كثير من الشيوخ في تواضع كامل يرغبون في قراءة رسائل النور، فلو كان صوتي قويا لصرخت بكل قواي في شباب العالم أجمع، وصحت قائلا: "إن كتابة رسائل النور ودراستها بجد واجتهاد، لأفضل من دراسة عشرين عاما بالمدارس وأجدى منها!"[٥٦]

انتشار رسائل النور

انتشرت رسائل النور تدريجيا؛ حيث اتسع نطاق كتابتها، خاصة في منطقة إسبارطة؛ حيث انتهى الأمر بوجود آلاف من طلاب رسائل النور رجالا ونساء، شبابا وشيوخا، ممن وهبوا أنفسهم لكتابة نسخ منها، ومنهم من لم يخرج من منزله مدة سبع أو ثماني سنوات؛ حتى إنه في قرية "ساو"، التي أصبحت تعرف بمدرسة النور، تضاعفت رسائل النور بإعمال ألف قلم - بالمعنى الحرفي

(٥٦) Nursi, *Barla Lahikası*, 211-214

للكلمة - في كتابتها، واستمر هذا الوضع عدة سنوات. وتم استخدام أول آلة ناسخة لنسخ الرسائل باستمرار في "أينبولو" عام ١٩٤٦ أو ١٩٤٧، وظلت رسائل النور دون طبعة كاملة حتى عام ١٩٥٦ حيث صدرت مطبوعة في مجموعة كاملة في ثوبها الجديد باستخدام وسائل الطباعة الحديثة.[٥٧] ويبلغ العدد المقدر للنسخ اليدوي لأجزاء رسائل النور المختلفة ٦٠٠ ألف نسخة.

تحلى طلاب النور بأخلاق النورسي نفسه من الشجاعة والأمل اللذين واجها حالة الانهزام واليأس الناتجة عن الضغط والدعاية والإرهاب الموجه ضد الإسلام وأتباعه، وانتقلت هذه الروح فأثمرت حركة إيجابية في سائر أنحاء الدولة في نهاية الأمر. ولذا، وقف هؤلاء الطلاب أجمعهم شجعانا غير خوّارين في وجه إرهاب الحكومة وجهودها لمنعهم، فقد تجرعوا كافة ألوان الاضطهاد، وعاشوا تحت تهديدٍ مستمر باقتحام منازلهم بحثا عن رسائل النور، وأُخذ الكثير منهم من منازلهم لأقسام الشرطة مرارا، حيث قاسوا السجن والتعذيب والضرب على الأقدام، ولعبت النساء دورا بطوليا وحيويا في هذه الحركة غير العادية، فقام بعضهن بأعمال أزواجهن ليتمكن أزواجهن من كتابة رسائل النور أو خدمتها، وقامت بعضهن بمساعدة أزواجهن في الكتابة، وكتب العديد منهن نسخا بتتبع رسم الحروف لا غير، وتعلمت الكثيرات منهن القراءة والكتابة لأول مرة وقمن بنسخ الرسائل بأنفسهن، بينما قامت أخريات بقراءة الرسائل بأنفسهن ثم قراءتها للنساء الأخريات المجاورات لهن، غير مباليات بالتهديدات، مثلهن في ذلك مثل أزواجهن، فقد وجدن قوتهن في الإيمان الثابت الذي اكتسبنه من قراءتهن واستماعهن "لدروس" رسائل النور، كما لعب الأطفال دورا مهما في كتابة الرسائل.[٥٨]

ويمكننا ملاحظة كيف ساهمت رسائل النور في الحفاظ على النص القرآني في تركيا عندما جرت محاولة القضاء عليه كليّة، والأكثر من ذلك، أنها وقفت في وجه ما سمي بالإصلاحات اللغوية التي أعقبت ذلك إبان الثلاثينيات، بهدف

(٥٧) Şahiner, *Bilinmeyen* ,424-426

(٥٨) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٤٦.

إزالة جميع الكلمات العربية والفارسية الأصل من اللغة التركية، فلعبت دورا مهما في الحفاظ على الثقافة الإسلامية التقليدية بل وإحيائها، حتى إنه ليمكننا القول إن حركة النور قد أسهمت بشكلٍ مؤثر في إنقاص معدل الأمية، ورفع المستوى الثقافي لآلاف الناس، ناهيك عن دورها في الحفاظ على العقيدة الإسلامية وتجديدها، وكتب النورسي في هذا الصدد يقول:

" فإن إحدى مهمات رسائل النور هي الحفاظ على الحروف والخط القرآني فضلاً عن حفاظها على الحقائق الإيمانية تجاه الزندقة.."(٥٩)

ما هو السر الذي جذب الناس إلى رسائل النور بهذا الشكل، فجعلهم يخاطرون ويتحملون المشاق ويتركون شؤونهم الخاصة جانبا ليهبوا أنفسهم لخدمة الرسائل؟ وما هو مصدر سلطانها الذي قوّى إيمانهم بهذه الطريقة؟ هل كان النورسي هو نفسه من جذبهم وألهمهم هذا الحماس؟ أم أن الرسائل نفسها تمتلك بعض القوى الخلابة التي تملكتهم وأخذت بعقولهم؟ يمكننا القول بداية: إن النورسي كان دائما ما ينأى بالاهتمام عن شخصه، موليا جل اهتمامه لرسائل النور، متجنبا أي مداهنة قد تُفسد إخلاصه المجرد الذي اعتبره ضرورة لإتمام المهمة التي كان يشعر أنه مكلف بها، كما أنه منح كيانه أجمعه لرسائل النور، وكما ذكرنا سابقا، فهو لم يعتبر نفسه مصدر رسائل النور، وإنما مجرد مفسر لها، ووسيلة كُتبت من خلالها، فقال عن نفسه:

" فكما يبلّغ الجندي الاعتيادي أوامرَ مقام المشير، فأنا كذلك أبلّغُ أوامرَ مشيرية معنوية رفيعة. وكما يقوم شخص مفلس لا يملك شيئاً بدور الدلاّل لدكان مجوهرات غالية جداً، فأنا كذلك دلالٌ أمام دكان مقدس وهو القرآن الكريم.(٦٠)"

كما كتب يقول:

"إنني لا أقول هذا الكلام الذي يخص "الكلمات" تواضعا، بل بيانا للحقيقة، وهي: أن الحقائق والمزايا الموجودة في "الكلمات" ليست من بنات أفكاري، ولا تعود إليّ أبدا، وإنما للقرآن وحده."(٦١)

---

(٥٩) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني ص ١٢٨.

(٦٠) النورسي، المكتوبات، ص ٤٥٦.

(٦١) المرجع السابق، ص ٤٧٦.

وهكذا يمكن القول: إن النورسي وطلابه كانوا يرون أن أنوار القرآن المشرقة من خلال رسائل النور، هي التي اجتذبت الناس، وأنارت حياة عدد يزداد باطرادٍ منهم.

"كرامات" كتابة رسائل النور

خصص النورسي جزءا كبيرا من إحدى رسائله لوصف عدد من الكرامات التي صاحبت كتابة رسائل النور، تعضيدا لهذا المسعى، وذلك كنوع من الثناء على طلابه، وكذلك لتشجيعهم في عملهم الذي يقومون به في ظل الظروف العصيبة إبّان هذا الوقت، فقد أخبرهم أنه: دون علم منهم أو إرادة، هناك من استخدمهم للقيام بهذه الأمور المهمة، وكان دليله على ذلك كراماتهم، وحقيقة تيسير الأمور لهم، ثم عدَّد بعضا منها، وأطلق عليها "الإشارات".(٦٢)

وكانت الإشارة الأولى هي مسالة التوافقات، والتي ظهرت لأول مرة بوضوح فيما يتعلق بالكلمة العاشرة، وضرب النورسي مثلا بالمكتوب التاسع عشر، والذي عرض في بعضٍ نسخ مكتوبة باليد بعض الأمثلة الحقيقية الخارقة لهذه "التوافقات" كما استخدمه كمثال لنقاطٍ أخرى مثل السهولة الكبيرة وكذلك السرعة التي كُتبت بها معظم رسائل النور، خاصة في الفترة التي كان النورسي يعاني فيها من المرض والتضييق. وبطريقة موجزة يصف المكتوب التاسع عشر، المسمى: "المعجزات الأحمدية"، أكثر من ثلاثمائة معجزة من المعجزات النبوية، وغالبا ما يذكر سند الأحاديث في المقدمة، ورغم زيادته على المائة صفحة، إلا أنه مكتوب بالكامل من الذاكرة دون اللجوء لأي مراجع، وكُتب في الريف خارج القرية، بالعمل لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات خلال ثلاثة أو أربعة أيام فقط، ومن ثَمّ لم تستغرق كتابته سوى اثنتي عشرة ساعة تقريبا.

عندما تمت النسخة الأولى، كان ذلك قبل أن يعرفوا هذه "التوافقات"، وكانت هذه النسخ قد أعدها ثمانية كتاب مختلفين ومبتدئين، ومن أماكن

---

(٦٢) المرجع السابق، ص ٤٨٨-٤٩١.

مختلفة، دون أن يكون بينهم أي نوع من الاتصال، وكانت طريقة كتابة ووضع عبارة "أشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام"، واضحة للغاية، ومنظمة بإحكام؛ حتى إنه ليستحيل القول أن ذلك محض مصادفة، وكأن يدا خفية قد وضعتها، فقد كان نظم العبارة في حد ذاته نوعا من الكرامات أو عجائب "المعجزات الأحمدية".(٦٣)

أما الإشارة الثانية، فكانت "الإخوان، الذين كانت أقلامهم كسيوف ماسية"، والذين حبا الله عز وجل النورسي بهم ليساعدوه، فكانوا أنفسهم نوعا من "التوافقات"، فما وهنت حقيقة هبتهم أنفسهم في سبيل القرآن من خلال رسائل النور، واستمروا بحماس كامل وجسارة تامة، حينما تغيرت الحروف الأبجدية، ولم تكن هناك أيّة مطابع، وكان الجميع في حاجة إلى نور الإيمان، رغم وجود كثير من المثبطات، كان ذلك معجزة من معجزات القرآن في حد ذاته وكرامة من الكرامات.

وثَمّ إشارة أخرى، وهي أن رسائل النور قد أثبتت أهم حقائق العقيدة والقرآن في أبين صورة، واستشهد النورسي بعددٍ منها على سبيل المثال، فمن ذلك أن الكلمة العاشرة عن بعث الموتى والآخرة، وهي القضية التي وقف أمامها ابن سينا عاجزا من قبل كما رأينا، بينما حلت الكلمة السادسة والعشرون مشكلة القدر، المسمى أحيانا بالقضاء أو القدر والإرادة البشرية بطريقة نستطيع جميعا استيعابها، وكذلك قدمت الكلمة التاسعة والعشرون أدلة مقنعة حول الملائكة، وخلود الروح البشرية، وبعث الموتى، وتتحدث الكلمة الثلاثون عن "الأنا" أو "ماهية الأنا"، وحركة الذرة ووظائفها، فيكشفان سويا ويشرحان طلاسم النشاط الكوني المذهل، ولغز الخلق أو العالم، ونهايته، وسر الحكمة في حركة الذرة."

أما الإشارة الرابعة لهذه الكرامات التي صاحبت كتابة رسائل النور، والتي سطرها النورسي بكل تواضع، فهي أن الأجزاء المختلفة منها تشرح عن طريق

---

(٦٣) المرجع السابق، ص١١١.

المقارنات، أكثر الحقائق الإيمانية عمقا وبُعدا، حتى لعامة الناس، بطريقة تفوق قدراته وتتخطى نطاق الاحتمالات المعتادة للظروف الحالية، وهذه المقارنات، التي كانت ملمحا مهما من ملامح رسائل النور، وهي عبارة عن تدبرات وأمثلة شبيهة للمقارنات في القرآن، "تقرب أبعد الحقائق، وتعلمها لأبسط العوام."، وكذلك فرغم انتشار رسائل النور، إلا أن مباحثها لم تتعرض للنقد من أي شخص، وأفاد منها الجميع، بدءا من علماء الدين وأتباع الطرق الصوفية، وحتى الفلاسفة المتشربون بالفكر الإلحادي، وكذلك عامة الناس، كلٌ أفاد منها حسب درجته، فقد خاطبت كل فردٍ حسب مستواه.

أما الإشارة السادسة، فهي مهمة للغاية، وسنُعرّج عليها مرة أخرى فيما بعد، وهي أن حياة النورسي كلها كانت نوعا من الإعداد لرسائل النور، فلقد كتب يقول:

لقد تحقق لديّ يقينا أن أكثر أحداث حياتي، قد جرت خارجة عن طوق اقتداري وشعوري وتدبيري؛ إذ خُطّ لها سيرٌ معينٌ، ووُجّهت وجهة غريبة لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن الحكيم، بل كأن حياتي العلمية جميعها كانت بمثابة مقدمات تمهيدية لبيان إعجاز القرآن بالكلمات، فقد مرت حياتي بهذه الطريقة حتى تكون ثمرتها عرض إعجاز القرآن من خلال "الكلمات" (رسائل النور).

وأتاحت له عزلته في "بارلا"، وما لاقاه من اضطهاد على يد السلطات، حتى إنهم لم يسمحوا بدراسة كتبه، أن يعكف على القرآن وكتابة رسائل النور. علاوة على ذلك، "فقد كانت كل رسائل النور تقريبا وليدة لحظتها، إذ تنقدح جراء حاجة النورسي لها دون سببٍ خارجي". وبعد أن قرأها الآخرون، عرف النورسي منهم أنها قد لبت احتياجات هذا العصر، وكانت بمثابة علاج لأدوائهم.

أما الإشارة الأخيرة للكرامات التي حلت عليهم، فهي اليسر والمساعدة، اللتان وجدوهما في كل الأمور المتصلة بكتابة رسائل النور ونسخها ونشرها. وقد وصف النورسي هذا الأمر بأنه: "خارق"، وقال بأنه لا يرتاب في أن مصدر ذلك هو القرآن، كما أنهم قد وجدوا سهولة ورغدا في معيشتهم، نتيجة

خدمتهم لرسائل النور.

السلطات تصعّد من ضغوطها على النورسي

كان لرواج رسائل النور على نطاق واسع، والتي أضحت مصدر قلق للسلطات التي أخفقت في وقف مساعي النورسي في سبيل الإسلام، أن كثفت السلطات من ضغوطها على النورسي، وكان الهدف من إزعاجه باستمرار على تلك الصفة غير القانونية، أن يقوم برد فعل يُقدم لهم ذريعة للحد من حريته بصورةٍ كبيرة. ولتحقيق هذا الهدف، تم إرسال اثنين من المسئولين إلى "بارلا" عام ١٩٣١، كان أحدهم قائدا عاما جديدا للمنطقة، والآخر مدرسا، ورغم أنهما كانا باستمرار بمثابة شوك في جسد النورسي، إلا أنهما قد أخفقا في مساعيهما الرامية لاستفزازه، حتى عندما خططا لمداهمة مسجده الصغير، وهو يتعبد بداخله مع بضعة من رفقائه، ظل النورسي كابحا لغضبه لله، وكانوا قد منعوه من قبل من دخول المسجد غير مرة، في إطار مساعيهم لعزله تماما، كما منعوه من عقد درسه أو قراءته مع واحدٍ أو اثنين من طلابه حتى في غرفته.[٦٤] عند مقدم النورسي إلى "بارلا"، قام بإصلاح مسجد صغير مهجور، بعد ذلك قام بإمامة جماعة من المصلين تبلغ ثلاثة أو أربعة أفراد، اعتمادا على شهادته التي حصل عليها قبل نفيه، فداهَمَ المسئولان المسجد تحت ذريعة أن القانون الجديد يفرض الأذان بالتركية للصلاة.

وحسبما نقل "جمال جان" قائد المنطقة، فعندما رفض النورسي الأذان للصلاة أو إقامتها في مسجده بغير العربية، توالت الأوامر من أنقرة إلى "جمال خان" بخصوص هذا الأمر، وأخيرا أعد لمداهمته.[٦٥] وفي ١٨ يوليو عام ١٩٣٢، تخفى الجنود في عديد من الزوايا والجوانب المظلمة في المسجد، وما إن سمعوا الأذان يُرفع بالعربية، حتى تبدوا للعيان بأسلحتهم، وطوقوا النورسي،

---

(٦٤) تمت مداهمة المسجد ثلاث مرات في ١٩٢٩، ١٩٣٢، ١٩٣٤. Badıllı. *Nursi,2:813*

(٦٥) جمال جان في Şahiner, *Son Şahitler* ,1:268-271

والجماعة الصغيرة التي ترافقه من القرويين الأبرياء، وأُلقي القبض على أربعة من هؤلاء وبعث بهم إلى "إغيردير"، إلا أنه أُطلق سراحهم فيما بعد عقب استجوابهم.

ويقول السيد "توفيق تغلي" - وهو أحد المعلمين-: لقد بذل "جمال خان" كل ما بوسعه لترحيل النورسي عن "بارلا"، ولذلك فقد أخذ على عاتقه مهمة إزعاج النورسي ومضايقته، والواقع أنه ومن معه قد غلبت عليهم الخسة والرغبة التسلطية التي تسود صغار المسئولين، فعملوا على توحيد جهودهم لتلك الغاية، بيد أنه وكما حدث مرارا مع من مكروا السوء لإيذاء النورسي، فقد تلقى قائد المنطقة ضربة موجعة، فأُلقي القبض عليه بغتة جراء أشياء مختلفة تماما، وتم إيداعه السجن لمدة سنتين ونصف.[٦٦]

أما تغيير الأذان للصلاة، فقد احتج النورسي لمعارضته الشديدة لتتريك شعائر الإسلام، بالعديد من الأدلة المنطقية، وخاصة فيما يتعلق بالقرآن عندما أعلنت السلطات عن نيتها لترجمته أوائل الثلاثينيات، فكتب العديد من الرسائل والمباحث مدللا على استحالة ترجمته، ومشيرا لفساد طوية هؤلاء الساعين لذلك؛ فمثلا، قال البعض:

لمّا كانت الألفاظ القرآنية، والأذكار المأثورة، والتسبيحات الواردة تنير شتى جوانب اللطائف المعنوية للإنسان وتغذيه روحيا، ألا يكون من الأفضل أن يصوغ كل قوم تلك الألفاظ وفق لسانهم الخاص حتى تفهم معانيها؟ إذ الألفاظ وحدها لا تفي بالغرض المطلوب؛ إذ هي في حقيقتها ألبسة وقوالب للمعاني؟

فأجاب النورسي على ذلك بقوله:

"إن ألفاظ الكلمات القرآنية، والتسبيحات النبوية، ليست لباسا جامدا يقبل التبديل والتغيير، وإنما مثله مثل الجلد الحي للجسد، بل إنها أصبحت فعلا جلدا حيا بمرور الزمن، ولا جدال في أن تبديل الجلد وتغييره يضر بالجسم... ثم إن تلك الكلمات المباركة في الصلاة، والذكر، والأذان، أصبحت اسما

(٦٦) النورسي، المكتوبات، ص٤٣٤-٤٣٦.

وعَلَما لمعانيها العرفية والشرعية ولا يمكن تبديل الاسم والعَلَم."

واستطرد النورسي موضحا أن المواظبة والتكرار المستمر لهذه الكلمات يجعلان كل حاسة من الحواس اللطيفة الروحية للإنسان تأخذ حظها من هذه الكلمات، أما التعبير بأي لغة كانت غير اللغة العربية.. فإنه يُبقي اللطائف الدائمة محرومة من نصيبها فتظل في ظلمة روحية وغفلة عن الحضور القلبي.. كما احتج النورسي بأن تغيير "شعائر الإسلام" أمرٌ مخالفٌ للشريعة.[٦٧] ويشير في خطاب آخر أنه "كما هو الحال مع كل المساوئ" كانت تقليدا أعمى لأوروبا التي تُعد مصدر هذه المحاولات الرامية لتغيير شعائر الإسلام، كما يؤكد على أهمية وجود بيئة تذكر المسلمين دائما بمعاني هذه الكلمات المقدسة، وتغرسها فيهم،[٦٨] هذه الكلمات التي تشكل كل منها نواة من أركان العقيدة."[٦٩]

وأوضح النورسي أن اقتراح ترجمة القرآن لأول مرة كان جزءا من المؤامرة عليه، وكان هدفها بوضوح التشكيك فيه، وكتب يقول: "إن الحجج الدامغة التي حوتها رسائل النور قد أثبتت أنه من غير الممكن إعداد ترجمة صحيحة للقرآن؛ فلا يمكن لأي لغة أخرى غير العربية الفصحى أن تحافظ على النقاط الدقيقة، والخصائص الفريدة للقرآن الكريم، ولا يمكن أن تحل ترجمات البشر المبتذلة والجزئية محل التعبيرات الإعجازية والشاملة لكلمات القرآن، والتي يحوي كل حرف فيها ما بين عشر إلى ألف ميزة؛ (تلك الترجمات) لا يجوز قراءتها في المساجد.[٧٠]

ورغم تناول رسائل النور لهذه المسألة في العديد من المواضع، إلا أن الكلمة الخامسة والعشرين تحديدا، والتي يطلق عيها إعجاز القرآن، هي التي برهنت على هذه المسألة، وذلك في توضيح أربعين وجه من أوجه إعجاز

---

(٦٧) انظر: النورسى، المكتوبات، ٥١٠-٥١١، ٥٥٨-٥٦٠.

(٦٨) انظر: المرجع السابق، ص٥٥٨-٥٦٠.

(٦٩) انظر: المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٧٠) انظر: النورسي، الكلمات، ص٥٢٧-٥٢٨.

القرآن الكريم وتفرده، وهذا البحث الرائع الذي يدل على معرفة النورسي الواسعة بالقرآن، يُظهر إعجاز القرآن من حيث بلاغة وفصاحة ترتيب كلماته ومعانيه وأساليبه وطرق إيضاحه؛ وشمولية كلماته ومعانيه وموضوعاته وأساليبه ودقته؛ وإخباره بالغيب، والحفاظ على تجدده وشبابه، ومخاطبته لكافة فئات البشر ومستوياتهم؛ وتناوله للعديد من الموضوعات الأخرى.

كانوا كلما يكثفون ضغوطهم على النورسي، يعزز هذا من مساعيه. وعندما انتشرت رسائل النور على نطاقٍ أوسع، أدى ذلك إلى نفيه من قبل السلطات في أنقرة وعزله غير القانوني، ومنعه من الاختلاط بالناس إلى خدمة قضية الإسلام دون أن تعي السلطات ذلك، وحينما كان في "بارلا" لم يكن اضطهادهم له إلا دافعا لجعل نور القرآن أكثر إشراقا." وينطبق ذلك على العشرين عاما التالية؛ فقد كان انتشار رسائل النور ونجاحها يسيران في تناسب مباشر مع زيادة الوحشية في المعاملة التي كان يتلقاها النورسي وطلابه، وكتب النورسي يقول:

> "ولله الحمد مائة ألف مرة، أقول ما يأتي تحدثاً بالنعمة: إن جميع مضايقاتهم واستبداداتهم تصبح كالحطب لإشعال نار الهمة والغيرة، لتُزيد أنوارَ القرآن سطوعاً. فتلك الأنوار القرآنية التي عوملت بالمضايقات انبسطت بحرارة الغيرة والهمة، حتى جعلت جميعَ الولاية بل أكثر المدن في حكم مدرسة، ولم تنحصر في "بارلا" وحدها. وحسبوا أنهم قد حبسوني في قرية، إلاّ أن تلك القرية "بارلا" وأنف الزندقة راغم قد أصبحت كرسيَّ الدرس بفضل الله وبخلاف مأمولهم، بل أصبح كثيرٌ من الأماكن "كاسبارطة" في عداد المدارس".[٧١]

علاقات النورسي بالعالم وما فيه

اعتزل سعيد الجديد الدنيا والسياسة، وكانت حكومة أنقرة قد سعت لعزله عن كل صلة بالعالم خارج قرية "بارلا" بل وداخلها، إلا ان هذا كان محض ما يبتغيه سعيد الجديد، وعلى كلٍ، فقد أُخذ بداية من كهف في جبل "أرك" الواقع قرب وان، ولكن السلطات لم تكن لتتركه ليعيش في سلام، فلم يدَعوه في عزلته، ولم يستطيعوا إثبات شيءٍ عليه، فهو لم يخالف أيّا من قوانينهم، رغم أن

(٧١) النورسي، المكتوبات، ٤٦٨.

الأبحاث الدينية التي كان يكتبها والتي كانت تتضاعف في المئات من دور إسبارطة. والأكثر من ذلك أنها كتبت في فترة كان من المحظور فيها بتاتا إنتاج كتب أو كتابات عن الإسلام، وكان النورسي ورسائل النور يشكلان مصدر استفزاز كبير للسلطات، فكانوا لا يفسرون كتاباته إلا على محملٍ سياسي، ولذا أطلق عليهم النورسي اسم أهل الدنيا، بسبب الطريقة التي كانوا يفكرون بها، ورؤيتهم المقصورة على الحياة الدنيا فقط، وهي أن رسائل النور قد كُتبت كوسيلة لغايات سياسية. ولهذا السبب كان الاضطهاد والمضايقات المستمرة له ولطلابه، فلو كشفوا عن نزعةٍ سياسيةٍ له، لتمكنوا من إظهاره مخالفا لأيٍ من القوانين الجديدة.[٧٢] وقد أجاب النورسي على هذه الاتهامات في رسائلَ عديدة، مقررا بوضوح أنه كان مجبرا على توضيح الأمر لهم "بلسان سعيد القديم لا بلسان سعيد الجديد"، لا ليخلص نفسه ولكن ليخلص أصدقاءه ورسائل النور من الشكوك الدنيوية التي لا أساس لها من الصحة، وليخلصهم كذلك من التعذيب."[٧٣] ويوضح النورسي في المكتوب السادس عشر، موقفه من السياسة قائلا:

يتجنب سعيد الجديد السياسة تجنبا شديدا لئلا يُضَحّي بسعيه وفوزِه لأكثر من مليارات من السنين لحياة خالدة، من جراء تدخل فضولي لا يستغرق سنة أو سنتين من حياة دنيوية مشكوكٍ فيها. ثم إنه يفرّ فراراً شديداً من السياسة، خدمةً للقرآن والإيمان والتي هي أَجلُّ خدمةٍ وأَلزمُها وأَخلصُها وأَحقُّها. لأنه يقول:

إنني أتقدم في الشيب، ولا علم لي كم سأعيش بعد هذا العمر. لذا فالأَولى لي العمل لحياةٍ أبدية. وهذا هو الألزم. وحيث إن الإيمان وسيلةُ الفوز بالحياة الأبدية ومفتاحُ السعادة الخالدة، فينبغي إذن السعي لأجله. بيد أني عالمٌ ديني، مكلّف شرعاً بإفادة الناس، لذا أُريد أن أَخدمَهم من هذه الناحية أيضاً. إلاّ أن هذه الخدمة تعود بالنفع إلى الحياة الاجتماعية والدنيوية، وهذه ما لا أقدر عليها، فضلاً عن أنه يتعذر القيام بعمل سليم صحيح في زمن عاصف. لذا تخليت عن هذه الجهة وفضّلت عليها

---

(٧٢) لمزيد من التفصيل عن القانون الذي يفرض العلمانية ويضع القيود على الأنشطة الدينية، انظر: Berkes, *Development of Secularism,* 466, 498-99; Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 412; Zürcher, *Turkey,* 195

(٧٣) النورسي، المكتوبات، ص٧٦.

العملَ في خدمة الإيمان التي هي أهمُ خدمة وألزمُها وأسلمُها...

أما إن قلتَ: كيف تمنعك خدمةُ القرآن والإيمان عن السياسة؟ فأقول: إن الحقائق الإيمانية والقرآنية ثمينةٌ غالية كغلاء جواهر الألماس، فلو انشغلتُ بالسياسة، لخطر بفكر العوام: أيريدُ هذا أن يجعلنا منحازين إلى جهة سياسية؟ أليس الذي يدعو إليه دعايةً سياسية لجلب الاتباع؟ بمعنى أنهم ينظرون إلى تلك الجواهر النفيسة أنها قطعٌ زجاجية تافهة، وحينها أكون قد ظلمتُ تلك الحقائق النفيسة، وبخَستُ قيمتَها الثمينة، بتدخلي في السياسة.[٧٤]

وهناك فقرة في المكتوب الثالث عشر[٧٥] تستفيض في هذه المسألة، فتشير إلى أن السياسة ليست الطريق لإظهار هذي القرآن لغالبية الناس في هذا الوقت، فالحقيقة أنها عقبة دون ذلك، وتُظهر هذه الفقرة وعي النورسي النافذ بحالة المجتمع التركي وحاجاته، فمعظم الناس لا يعارضون الحقيقة، إلا انهم في حيرة وارتياب، فكانوا بحاجة لأن يوجهوا للحقيقة من خلال نور القرآن، في حين كانت السياسة ترهبهم ، وكان الاهتمام منصبا على الأقلية التي آمنت "بالضلال"، بينما ظلت "الغالبية الحائرة" محرومة من الهداية التي كانوا في حاجة إليها. وكان اهتمام النورسي بهذه الغالبية، كما أشار إلى أن هناك أنصارا للحق في كل التيارات السياسية، فعلى من يتصدى لبيان حقائق القرآن أن ينأى بنفسه عن كل التحزبات حتى لا يكون القرآن غرضا للهجوم عليه من خصومه السياسيين، ويأتي مزيد بيان لهذا الأمر في الفصول الاتية.

إسبارطة

في صيف عام ١٩٣٤، كتب النورسي لأحد طلابه في إسبارطة، وهو يدعى تنيكجي محمد، يخبره بأن الأوضاع أصبحت لا تحتمل في "بارلا"، فكتب يقول:

"أخي، إن اضطهاد المدرس وقائد المنطقة هنا، جعلت الحياة لا تحتمل، فهم يضايقونني بشكلٍ لا يمكن تصوره؛ حتى إنني لا أستطيع الخروج للريف، فأقبع في غرفتي الخانقة، وكأنني أحيا في قبر...."

---

(٧٤) المرجع السابق، ص٧٨،

(٧٥) المرجع السابق، ص٥٩-٦١.

فأخذ التلميذ الخطاب، وذهب به فورا للحاكم "محمد فوزي دلدل"، وفي اليوم التالي ٢٥ يوليو، أُخذ النورسي لإسبارطة، وكان من المفروض أن يظل هناك حتى أبريل التالي، وأقام في البداية بالمدرسة التي كان يسكن فيها قبل إرساله إلى "بارلا"، ثم انتقل لمنزلٍ من طابقين، يقع بين الحدائق؛ حيث كان يسكن تلميذه "رفعت بارودجو"، وبعد ذلك قام بتأجير منزل خشبي كان مملوكا لتلميذٍ آخر يدعى "شكري إيج خان".(٧٦)

كان النورسي موضوعا تحت مراقبة صارمة خلال هذه الشهور التي قضاها في إسبارطة، وكان أفراد الشرطة لا يبرحون بابه أو على مقربة منه دوما، وكان هناك ضابط مقيت اسمه دوندار قد خط لنفسه قبرا في التاريخ؛ باختلاقه ما استطاع من قلاقل ممكنة للنورسي وطلابه؛ حتى إن النورسي قد أطلق عليه اسم " القذر الأحمق"، ولم يكن باستطاعة طلاب النورسي الاقتراب منه، وهو تحت هذه الرقابة اللصيقة، وسُمح لمحمد كول ايرماق بالبقاء معه ليقضي له احتياجاته مرة واحدة فقط ، كما عمل كحلقة وصل بين طلاب النور؛ حيث يقوم بجمع أو توزيع رسائل النور حسب الحاجة.

وفي إسبارطة كتب النورسي العديد من أجزاء اللمعات، وهي المجموعة الثالثة من رسائل النور، وعندما اكتملت، أصبحت اللمعات ثلاثين رسالة من مجموع رسائل النور البالغ عددها مائة وثلاثين رسالة. لقد أحب النورسي إقليم إسبارطة؛ لأنه كان المركز الذي شعت منه رسائل النور عن طريق طلابه الكثيرين، وقد شرح هذا الأمر فيما بعد لبعضٍ منهم:

> " فأنا أُحب لأجلكم "إسبارطة" وحواليها بترابها وحجرها، حتى إنني أقول، وسأقوله في المحافل الرسمية: لو عاقبني مسؤولو الدولة في «إسبارطة» وبرّأتني ولايةٌ أخرى لفضّلت هذه المدينة أيضاً.."(٧٧)

كان في إسبارطة بعضا من طلاب النورسي المقربين، مثل خسرو ورفعت بك، فقد ظلوا معه قدر استطاعتهم، والآن وقد انتقل هناك كان دورهم الأساسي في العمل على نسخ رسائل النور، ونجد بين مذكرات رفعت بك عن

(٧٦) Şahiner, *Son Şahitler* ,2:56

(٧٧) النورسي، الشعاعات، ص٣٥٠.

هذه الأيام قوله:

كنت أنا وخسرو نكتب نسخا من الرسائل، وكان الأستاذ في الغرفة العلوية، وفجأة فُتح الباب، فإذا بالأستاذ يدخل وفي يده صينية عليها قدحان من الشاي. كنا في ذهول، فنهضنا قياما لنحمل عنه الصينية، فرفع يده قائلا: "لا.. لا.. أنا من يجب أن يكون في خدمتكم." يا إلهي، وأضاف عبارة "يجب.." أيّ تواضعٌ هذا! وأي دماثة تلك! لم أر في حياتي تواضعا ودماثة كهذه...

كنا ندرس حقائق القرآن ونكتبها فنفيد منها كثيرا، وحتى نخبره بذلك، قلنا له ذات يوم: "ماذا كنا لنفعل يا أستاذ لو لم نقابلك؟" ومرة ثانية، أجاب بتواضعه الجم: "ماذا كنت لأفعل أنا لو لم أُقابلكم؟" فإذا كنتم سعداء مرة لأنكم قابلتموني، فأنا أسعد ألف مرة لأنني قابلتكم."[٧٨]

وكان بين أجزاء رسائل النور الثلاثة التي كُتبت هنا، الجزء التاسع عشر والخامس والعشرون والسادس والعشرون من اللمعات، وعناوينها بالترتيب، "رسالة الاقتصاد" و"رسالة المرضى" و"رسالة الشيوخ"، ويتذكر رفعت بك ما يلي عن كتابة رسالة الشيوخ، التي لم يكتب منها سوى ثلاثة عشر "رجاء" عند قبض السلطات على النورسي وطلابه:

في يومٍ نادى علينا الأستاذ، وقال لنا:

"كتبت اللمعة السادسة والعشرين عن الشيوخ، وتتكون من ستة وعشرين رجاء، الرجاء الأول... وشرع في الإملاء، فأملى خمس أو ست رجاءات، وتوقف عند هذا الحد، ومر بعض الوقت، وكُتبت أجزاء من الأبحاث الأخرى على فترات متقطعة، ثم نادى علينا يوما، ودون أن يسأل أو يتفوه بشيءٍ، قال: "أين توقفنا؟ اقرءوا لي جزءا صغيرا"، ثم شرع يكمل من حيث انتهى.

اعتدت أن أذهب مبكرا لمساعدته، وفي يوم تأخرت عليه قليلا، فقال لي عند وصولي: "أخي! هلا بَكّرت قليلا، فما حدثت به هذا الرجل (مشيرا للقاضي زينل أفندي بجواره)، يمكن أن يكون إضافة رائعة لرسالة القدر." لقد أجاب على أسئلة القاضي عن القضاء، وفقّهه في موضوع القضاء والقدر، ونخلص من كل هذا إلى أن أعماله كانت نورا تولّد في قلبه بإلهام إلهي، وما كان ليكتب إلا في تلك اللحظات فقط.[٧٩]

(٧٨) رفعت بك في Şahiner, *Nurs Yolu*, 93

(٧٩) المرجع السابق، ص ٩٥-٩٦.

الفصل الحادي عشر

أسكي شهر

بداية الاعتقالات

تم إلقاء القبض على عدد من طلاب النور في ٢٥ أبريل ١٩٣٥ من بيوتهم وأعمالهم، وزُجَّ بهم في السجن، وبعد ذلك بيومين، أُلقي القبض على النورسي نفسه ومجموعة أخرى من طلابه، وكانت تلك بداية لواقعة، كثيرا ما تميل إلى السخف والتفاهة على الرغم مما يعنيه الأمر من جدية، كما كانت مثالا آخر لفترة طويلة من الوقت عملت خلالها الحكومة على الحد من النفوذ القوي الذي تحظى به بعض الرموز الدينية بهدف إخافة الرعية، والنأي بهم بعيدا عن الدين.

وقد بدأ الأمر – حسب ما رواه "سليمان رشدي" – عندما ذهب النورسي لحضور صلاة الجمعة، فما كان إلا أن تجمهر الآلاف من الناس في الشوارع لرؤيته، وقد أضرم ذلك نيران الخوف في صدر والي المدينة وولي أمرها، وحينما وُجدت نسخة من "الكلمة العاشرة" التي تتناول دراسة النورسي حول البعث والآخرة - على منضدة الوالي، تملكهم الخوف وأرسلوا برقيات إلى أنقرة يقولون فيها "إن النورسي وطلابه قد تملكوا الشوارع، إنهم يعصفون بمبنى الحكومة".[1] وقد كان ذلك في واقع الأمر جزءا من "خطة" السلطات بغرض إثارة "حادثة"، كما سنرى فيما بعد، كما تم تفتيش منازل كل من كانت له صلة بالنورسي، ومن ثَمّ بدأت الاعتقالات.

---

(١) انظر: سليمان رشدي جاكر في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:24 .

ويخبرنا "تنكه جي محمد" كيف أرسل له أحد الأشخاص خبرا بما يجري، وأخذه لكل أجزاء رسائل النور التي كانت في بيته مع الكتب الأخرى المتعلقة بالإسلام أو الدين وإحراقها في حديقة المنزل، وفي هذه اللحظة، حضر ثمانية عشر شرطيّا وأخذوا يفتشون المنزل، ورغم دقة التفتيش الذي قاموا به، إلا أنهم لم يعثروا على شيء، وبالتالي فقد كان هو أحد القلة ممن لم يتم إلقاء القبض عليهم،[٢] وبجانب القبض على المشتبه فيهم في إسبارطة، تم القبض على المشتبه فيهم في كل من "ميلاس"، و"أنطاليه"، و"بولوادين"، و"أيدين"، و"وان"، ومناطق أخرى. وتم إبلاغ السلطات عن هؤلاء على أنهم "رجعيين"، وتمت إدانتهم وفقا للمادة ١٦٣ من القانون الجنائي[٣] الذي منع القيام بعدة أمور من بينها استغلال الدين أو الأفكار الدينية بأي شكل يلحق الضرر بأمن الدولة، وتشكيل المنظمات السياسية القائمة على أساس الدين.

تم التحقيق في الأمر وأُخذت الأقوال عنه، وفي أثناء ذلك مات البكباشي "عاصم بك"، كان عليه أن يختار بين التفوه بكلام يمكن أن يلحق الضرر بالنورسي، أو يكذب، وهو الأمر الذي لا يسمح به ما لهذا الرجل من كرامة وشرف، لذا فقد دعا الله: "اللهم اقبضني إليك!" وبالفعل استجاب الله له، وقبضت روحه، لينال مكانة سماها النورسي "شهيد الكمال".[٤]

وفي غضون ذلك، بدأت نيران الاضطراب تشتعل في الصحافة، لتخيف البلاد بقصص "شبكة الثوريين" التي لم يتم الكشف عنها، ومن أجل القضاء على حالة الاضطراب التي هددت دعائم البلاد، قام وزير الداخلية "شكري قيا" والقائد العام "كاظم أورباي" بالسفر سويّا إلى إسبارطة على رأس فرقة من الدرك، وقد وُضعت "إسبارطة" والمدن المحيطة بها تحت تحكم الوحدات

---

(٢) انظر: محمد سوزر في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:16-17.

(٣) لمزيد من التفصيل عن القانون الذي يفرض العلمانية ويضع القيود على الأنشطة الدينية، انظر: Berkes, *Development of Secularism,* 466, 498-99; Lewis, *Emergence of Modern Turkey,* 412; Zürcher, *Turkey,* 195

(٤) نشر خبر موته في صحيفة Tan الصادرة بإستانبول في ٨ مايو ١٩٣٥، والتي حملت هذا العنوان التشهيري على صفحتها الأولى موت أحد الرجعيين أثناء ادلاء افادته وهناك صورة ضوئية في Badıllı, *Nursi,*2:975

العسكرية، كما تم نشر الفرسان على الطريق من "إسبارطة" حتى "أفيون"، وانتشرت الشائعات في كل أرجاء المنطقة حول النية لإعدام النورسي وطلابه، ومن ثم نشأت حالة من التوتر الشديد في المنطقة، وفي نفس الوقت، ومن أجل التصدي مبكرا لأي نوع من الثورة قد يتسبب فيه اعتقال النورسي، قام "إينونو" رئيس الحكومة بجولة إلى الأقاليم الشرقية.(٥)

وفي ١٢ مايو، كان النورسي وواحد وثلاثون رجلا من طلابه مكبلين، كل اثنين منهم في القيود، وزجوا في الشاحنات، أما ما خفي عنهم فهو أنهم سيؤخذون إلى السجن في أسكي شهر، التي تبعد ٣٣٠ كم شمالا، وقد تجمعت أعداد غفيرة من الناس عند رحيلهم، بما فيهم أسر المقبوض عليهم، وكان الحزن يعتصر صدور الجميع لما رأوا ما عليه النورسي من حالة يُرثى لها،(٦) ووصف ذلك واحد ممن أُرسلوا من أنقرة لحراستهم، كما وصف الرحلة، راويا في البداية كيفية تزويدهم بالمعدات الجديدة، وكيف وصف الناس النورسي بأصعب المصطلحات الوخيمة المبالغ في أمرها، و"شكري قيا" الذي وصفه بـ "الشيخ الكردي" قاصدا الحط من شأنه.(٧)

كان الأمر يتمثل في إيداع النورسي وطلابه في مكان منعزل على الطريق حتى يتم إطلاق الرصاص عليهم، إلا أن الضابط المسئول – روحي بك -كان متعاطفا، ولم ينفذ الأمر الصادر، بل إنه أيضا أمر بفك أغلالهم في الوقت المناسب، حتى يتسنى لهم أداء الصلاة، وزعم أحد الطلاب أن الضابط قد طُرد من الجيش نتيجة لفعلته، (٨)وقد سافروا إلى "أفيون" في العربات حيث لم يُسمح لهم بالتحدث أو حتى بفتح نافذة يتنسمون منها بعض الهواء، وعلى ما هم فيه من قيود وأغلال. وقد ضم كل اثنين منهم في قيد واحد، تم نقلهم بالقطار تحت وطأة رماح الدرك، حيث وصلوا إلى اسكي شهر صباح اليوم التالي.(٩)

---

(٥) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٥١.

(٦) انظر: خليل إبراهيم كول أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:368.

(٧) انظر: إسماعيل كرمان في Şahiner, *Son Şahitler,* (1981) 2:86-87.

(٨) انظر: محمد كول ارماق في Şahiner, *Son Şahitler* ,2:20.

(٩) انظر: خليل إبراهيم كول أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:371.

سجن اسكي شهر

كانت أوضاع السجن تثير الرعب، فقد وُضع النورسي في حبس انفرادي، أما الآخرون فقد وضعوا تحت الحراسة، وقد تضاعف عددهم من اثنين وثلاثين إلى مائة وعشرين، حيث انضم إليهم المزيد من طلاب النور الذين أُلقي القبض عليهم، وبمجرد دخولهم السجن لم يُسمح لهم بدخول دورات المياه، وخلال ساعات جاء عدد من السجانين وقاموا بالحفر بالقرب من الباب وقاموا بتركيب ماسورة، هذا ما يجب عليهم استخدامه، فلن يُسمح لهم بالخروج أبعد من ذلك، ومع القذارة والبق والصراصير أصبح النوم بالليل أمرا مستحيلا، وقد تُركوا دون طعام مدة اثني عشر يوما، والواقع يؤكد أنهم أُعتبروا مسجونين مدانين حُكم عليهم بالشنق،[١٠] إلا أن النورسي لم يقم لهذه الظروف اعتبارا، فاستمر في الكتابة ليكمل خمسة من الأبحاث في الشهور التي قضاها بالحبس، فكانت ثمرة تلك الفترة اللمعات الثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرين، والثلاثين، واللمعات الأولى والثانية، وقد كتبها وهو يحمل في ذهنه طلابه الذين كانوا يذوقون مرارة هذا السجن الظالم للمرة الأولى، وقد أطلق النورسي على السجن اسم (المدرسة اليوسفية) نسبة إلى النبي يوسف عليه السلام، سيد السجناء.

كان بين من أُلقي القبض عليهم أولئك الذين كانت تربطهم علاقة ضعيفة بالنورسي، وكان ذلك مثالا آخر على مدى تجاوزات الحكومة في هذا الأمر، فقد كانوا من أعضاء "شبكة الثوريين" التي كانت خطرا يحدق بالبلاد، وقد روى رجل أعمال من "بولوادين" يُدعى "شكري شاهينلر" قصته هو وقصة اثنين من الآخرين:

> لقد تعرفت على "خليل إبراهيم جوللو أوغلو" في بعض الأعمال، فكتب لي خطابا وطلب مني الرد عليه، وكان الرد الذي أرسلته برهانا كافيا للزج بي في سجن "اسكي شهر"، ووضعي مع طلاب رسائل النور، ولكنني بهذه الطريقة تمكنت من رؤية النورسي وزيارته في "اسكي شهر".
>
> وقد كان هناك في "أيدين" طبيب عيون اسمه "شوكت كوزآجان "، ولأنه قام

(١٠) انظر: محمد كول ارماق في Şahiner, *Son Şahitler* ,2:20-21; Şahiner, *Bilinrneyen*,325.

بعلاج عين أحد طلاب النورسي، فقد كتب له النورسي خطابا من ثلاثة أو أربعة أسطر يشكر له جميل صنعه، فكان ذلك سببا للزج بـ "شوكت بك" في سجن "اسكي شهر".

كما كتب أحد طلاب النورسي واسمه "أحمد فيضي قول" خطابا له في "بارلا" ووقعه، على سبيل الفكاهة، "مفتي أيدين": وكلمة "أيدين" تعني "المثقف"، بالإضافة إلى كونها اسم مكان، وعندما صدر الأمر، أُرسل مفتي أيدين الحقيقي إلى "اسكي شهر"، رغم عدم وجود أية صلة بينه وبين النورسي على الإطلاق، وظل المفتي مصطفى أفندي في السجن معي شهورا، وكانت "اسكي شهر" موضعا خصبا للاضطرابات الجنونية من هذا النوع.(١١)

وربما تكون أكثرها جنونا تلك التي تضمنت دراسة النورسي حول الحكمة في صيام شهر رمضان، فقد وقعت هذه الدراسة والمسماة باللغة التركية "حول رمضان" في أيدي رجال الشرطة عندما كانوا يفتشون في بيت النورسي وطلابه على نسخ من رسائل النور. وبالإضافة لكونها تعني اسم شهر الصوم الكريم، إلا أنها تعني بالتركية أيضا اسم رجل. لذا أخذ رجال الشرطة يفتشون في قرى إسبارطة عن أي شخص يحمل هذا الاسم، وأثناء عملية التفتيش، نمى إلى مسامع الشرطة أن جار أحد البيوت التي تم تفتيشها في إحدى القرى النائية كان يُدعى "رمضان". لذا فقد جاءوا وقيدوا القروي البائس الذي لم يكن يجيد القراءة أو الكتابة، وأرسلوه إلى سجن "اسكي شهر" رغم اعتراضات هذا البريء الحائر من أجل براءته. وقد لبث في السجن لمدة شهرين حتى أقرت السلطات بخطئها وأطلقت سراح الرجل.(١٢)

السجن يتحول إلى مسجد

لم تتوان سلطات السجن في زرع عميل لها داخل السجن؛ حيث طلاب النور، وكان "كامل ساعي البريد" – كما كانوا يدعونه – يؤدي خدمته العسكرية كدركي في سجن "اسكي شهر" عندما عُهد له بهذه المهمة. وذات يوم أرسل النورسي رسالة قصيرة ملصقة بقاع إبريق الشاي إلى طلابه يحذرهم فيها من

(١١) انظر: شكري شاهينلر في Şahiner, *Son Şahitler* ,2:73
(١٢) انظر: Şahiner, *Bilinrneyen* 326-327

التحدث ضد الحكومة؛ حيث يوجد معهم مخبر للحكومة. وقد تأثر "كامل ساعي البريد" من جراء هذه الواقعة بالنورسي، وهؤلاء الأبرياء الذين معه تأثرا كبيرا لدرجة أنه بدأ يؤدي الصلوات المفروضة، بل وكتب في تقريره عن براءة هؤلاء الأفراد، وقد روى عن هذه الأيام عام ١٩٨٥ قائلا:

"لقد كنت أخدم بالسجن حينما جاءت بعض الأخبار التي نزلت عليَّ كالصاعقة: فسيفِد على السجن بعض المسجونين المدانين، وهم من علماء الدين، وبعد عدة أيام وصل الشيخ (النورسي) ، وفي عقبه باقي الشيوخ من طلابه."

وقد صدرت التعليمات لكامل كي يكون جاسوسا على هؤلاء الوافدين الجدد، وقد لازمهم كامل، والذي كان في الظاهر يؤدي عقوبة ارتكابه جريمة من الجرائم، ومضى يقول:

مضى الجميع على أفضل حال مع بعضهم البعض في سجن "اسكي شهر"، ودأبوا على أداء الصلوات المفروضة معا، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة. أخلوا سجن الأحداث من أجل النورسي، وألقوه بداخله، ووُضع طلابه في مكان آخر. كان سجن الأحداث كبيرا، وظل فيه النورسي بمفرده، وقد اعتادت السلطات التحدث بشكل مشين عن النورسي أمامنا، ولذا لم يكن أمامي من مفر سوى التأثر بما قالوه عن الرجل، وذات يوم، ذهبت إلى النورسي وقبلت يديه. كان الرجل شيخا يظهر عليه الورع والوهن، شعره طويل، ولحيته كبيرة إلى حد ما؛ فلم يقم بحلقها منذ فترة. وجدته يعانقني عند إحساسي بالإخلاص يملأ قلبي، وقد أثر فيَّ ذلك كثيرا وأخذت في النحيب. بدأ يروي لي عن حياته، فكان يقول: "إنني لا أبغي سوى رسائل النور، فلن أتخلى عن عملي هذا." وقد حركتني كلماته المؤثرة ووقعت منِّي بمكان، فأسفت لما ألم بالرجل من ظلم، وما حل بهذه الشخصية العظيمة من بلاء، وأخذت أسأل نفسي: "لماذا يضايقون الرجل إلى هذا الحد؟" دأبت على زيارته دون أن أخبر أحدا بذلك، وفي إحدى المرات أشار الشيخ بإصبعيه إلى جبيني وقال لي: "تب إلى الله واطلب العفو منه، أطعم ستين رجلا، وادفع الدية." وقد كان ذلك خارقا للعادة، إنني لم أقل أبدا أنني قتلت أحدا قط، إلا أنه عرف ما فعلت لما له من قوة ورع وتقوى، فقد كان شيخا عظيما.

وقد لبثت في الحبس مع طلاب الشيخ، ولذا فقد كنت على علاقة وثيقة بهم، فلم يكن من الممكن التفكير في أمر آخر في ظل هذه الظروف الضيقة، فهم يعقدون أحاديث شيقة، ويؤدون الصلاة، ويتلون القرآن. لقد تلألأت زنزانة السجن الحالك

بأنوار القرآن، فكان الجميع يحرصون على الاستيقاظ مبكرا لأداء الصلاة وقراءة وردهم اليومي، ثم تبدأ تلاوة القرآن، وبعد صلاة الصبح، كانوا يرددون دعاء ختم القرآن الكريم، ومن حين لآخر، كان أحد المشايخ من ذوي الصوت الجميل (مثل محمد كول آرماق) ينشدهم إحدى القصائد، وقد اعتاد الرجل أن ينشدنا في نشوة، ثم يبدءون في تلاوة القرآن مرة ثانية، فقد دأبوا على قراءة القرآن كاملا عدة مرات في اليوم الواحد، إن ما ينقذ حياة هؤلاء الأبرياء هو قراءتهم للقرآن وأداؤهم للصلاة.

كانت تلك الأيام أياما مباركة، فقد أضحى السجن كما لو كان مسجدا، وكانت تحدثني نفسي عما إذا كنت مثلهم. كان هناك شيء آخر لاحظته في سجن "اسكي شهر"، وظل عالقا بذاكرتي على مدى خمسين عاما، فدائما ما أذكر روح الشيخ النورسي بالدعاء، كان لدي الكثير لأطعم منه، بينما يكتفي هو من الدنيا ببعض الشاي، وبعض حبات الزيتون لليوم الواحد، فرحمة الله عليه لما كان له من عظمة لم أعلم قدرها.(١٣)

محكمة اسكي شهر

يتضح من رد الفعل المفرط لوزير الداخلية "شكري قايا" والحكومة، وحالة الاضطراب التي شهدتها الصحافة والشائعات التي تفشت في إسبارطة واسكي شهر أن العزم كان معقودا على التخلص من النورسي بشكل نهائي.(١٤) وبعد كل ذلك، سقط عدد لا حصر له من الأفراد المتهمين في "جرائم" أقل جسامة - وخاصة رجال الدين – فريسة للإصلاحات العلمانية. تعددت التهم الموجهة لهؤلاء الأفراد، كان منها خرق مبدأ العلمانية، وخرق المادة ١٦٣ من القانون الجنائي من خلال عدة أمور من بينها؛ استغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية "بفكرة رد الفعل السياسي" وتنظيم جماعة قد يكون من شأنها بلبلة النظام العام.(١٥)

وقد تعرضت المحكمة لضغوط عديدة من وزير الداخلية حتى تتم إدانة النورسي، فقد كان الأمر بالنسبة له ولطلابه مسألة حياة أو موت، إلا أنه لم

---

(١٣) بوسطاجي كامل في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:69-72.

(١٤) لقد أكد النورسي نفسه أن هذا كان هو الحال، انظر: لمعه لر بالعثمانية ص ٦٤٠-٦٤٧.

(١٥) لم يكن ممكنا فحص تسجيلات المحكمة، لذا فإن التهم لم تعرف بدقة، ويمكن فقط استخلاصها من خلال المرافعات.

يقف أمام المحكمة ليدافع عن نفسه، بل انصب الجزء الأكبر من دفاعه على الدفاع عن رسائل النور. كانت كلمات دفاعه رائعة فلقد قوضت عقلانيته المباشرة المألوفة كل شكوك الحكومة الواهنة حوله وأسقطت التهم المختلقة من جانب المحكمة، والواقع يؤكد أن النورسي قد نجح لما له من نفاذ بصيرة وبعد نظر في مواجهة ما لحق بالعقيدة الإسلامية عند الأتراك من اعوجاج. والأهم من ذلك أنه بدأ بكتاباته حركة إيجابية من التجديد دون الإخلال بالقوانين الجديدة بشكل واضح، وتمكن من إثبات ذلك أمام المحكمة، ورغم كم الضغوط التي تعرضت لها المحكمة، إلا أنها أخلت سبيله من كل الاتهامات الموجهة إليه، فيما عدا تهمة واحدة تتعلق بدراسة قصيرة كان النورسي قد أعدها حول تفسير بعض الآيات القرآنية حول الزي الإسلامي،[١٦] وبعض الأمور الخاصة بميراث المرأة.

لقد اتخذت المحكمة من ذلك ذريعة، وحكمت على النورسي اعتباطا بالحبس لمدة أحد عشر شهرا، وعلى خمسة عشر طالبا من طلابه بالحبس لمدة ستة أشهر.[١٧] أما الطلاب الباقون وعددهم مائة واثنان، فقد حكم ببراءتهم، كما تم الإفراج عن ثلاثة منهم. اعترض النورسي على ذلك؛ حيث كان الإعدام في انتظاره والسجن مع الأشغال الشاقة في انتظار طلابه إذا أُدين هؤلاء الطلاب في الاتهامات التي وُجهت إليهم، ووصف النورسي ذلك الحكم (على سبيل السخرية) بأنه "كعقوبة سارق الحصان أو خاطف الفتيات"، وطلب منهم أن يحكموا عليه وفق القانون بأن جرمه يستلزم إما إعدامه أو سجنه لمدة مائة وواحد عام، وإما منحه هو وأصدقاءه وكتاباته الحرية التامة، وتعويضهم عن الخسائر التي تعرضوا لها من قبل هؤلاء الذين تسببوا فيها.[١٨] وبعيدا عن

---

(١٦) إن الرسالة التي ضمنها النورسي بين رسائل النور تحت عنوان اللمعة الرابعة والعشرين كانت عن حكمة اللباس الإسلامي للمرأة، ولم يكن هناك أي تشريع يمنع الحجاب، إلا أن النساء كن يشجعن على اتباع الغربيات في المظهر والسلوك، وتم منحهن حقوقا سياسية متساوية مع الرجال عام ١٩٣٤ عندما منحن حق التصويت. انظر: lung and Piccolo, *Turkey at the Crossroads,* 60-61; Ahmad, *Making of Modern Turkey,* 86-90

(١٧) انظر: النورسي، سيرة ذاتية ص٢٥٢.

(١٨) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٢.

الاتهامات المختلقة والحكم التعسفي، حرم النورسي من كل حقوقه الأساسية فيما يتصل بالمرافعة التي كتبها وقدمها بنفسه. وفي الوقت الذي استمرت فيه المحكمة لثلاثة أو أربعة أشهر من أجل إعداد القضية، فإنهم لم يمهلوا النورسي إلا أياما قليلة لإعداد المرافعة كاملة، بل إن إعداد بعض الأجزاء لم يستغرق سوى ساعات قليلة.[١٩] ورغم أن النورسي كان يجد الكتابة بيده أمرا شاقّا، إلا أنه حُرم من الكتابة الجيدة، ولم يُسمح له بالتحدث مع أحد لشهرين،[٢٠] ومع هذا، فلم يعرف الخوف لقلب النورسي سبيلا جرّاء هذا الكم الهائل من الظلم والاضطهاد، فقد كان الرجل متأهبا للقيام بذلك حتى تنتشر رسائل النور، وترتفع راية العدل.

أقر النورسي بالقانون وسلطته، وكان من أشد المعارضين لأي نشاط من شأنه الإخلال بهما أو بالنظام العام أو انتهاك حقوق الأغلبية، وإضافة لرده على الاتهامات الموجهة له وفق القوانين السارية، أخبر النورسي المحكمة أن هناك نسخا من المرافعة كانت سترسل إلى وزير الداخلية والهيئة التي تحكم الجمعية الوطنية الكبرى،[٢١] ورغم التأكيد التام على أن المادة (١٦٣) من القانون لا تنطبق عليه أو على أنشطته، إلا أنه طالب بإحالة القضية إلى محكمة الاستئناف[٢٢] عند إدانته في أحد الاتهامات الموجهة إليه من المحكمة، وكان مستعدا لو حدث وصدقت محكمة الاستئناف على قرار المحكمة بشأنه – لرفع التماس لمستوى حكومي أعلى، أي: مجلس الوزراء.[٢٣]

دفاع النورسي

أخذ النورسي يرد على الاتهامات التي وُجهت إليه واحدة تلو الأخرى، ودعَّم ردوده بالدليل، وأخبر المحكمة أنه طالما أن الحيلة لا تُرد إلا بالحيلة، فإنه قد اتخذ من الحقيقة والأمانة أساسا لدفاعه، فاعترف صراحة بخضوعه لخدمة

---

(١٩) انظر: النورسي، اللمعات ص ٣١٥.
(٢٠) انظر: النورسى، سيرة ذاتية، ٢٤٧ و٢٧٩ و ٤٠٨ .
(٢١) انظر: لمعه لر (بالعثمانية ث٥٤٢).
(٢٢) انظر: النورسى، اللمعات، ص ٣٩٦.
(٢٣) انظر: النورسى ، سيرة ذاتية، ص ٢٧٥-٣٤٢،٢٧٧-٤٤٥.

العقيدة والقرآن، وهما أمران يرى عدم صلتهما بالسياسة، كما أن ذلك لا يتنافى مع القانون، وأن ما تنظره المحكمة ليس سوى مؤامرة حيكت ضده بسبب اهتمامه بخدمة الدين. وقد كان توريط النظام القضائي في هذه المؤامرة ومحاولة تحقيق أغراضها باسم القانون خطأ كبيرا، بل لقد جلب العار للقانون والنظام القضائي، ومع ذلك فإن إعدامه، والذي كان هدفا واضحا تسعى المحكمة لتحقيقه لم يبث في قلبه أي شعور بالخوف، فهو بعد كل ذلك بديع الزمان الذي واجه المحكمة العسكرية التي أُنشئت بعد حادث الحادي والثلاثين من مارس عام ١٩٠٩، ونجح في الحصول على براءته، وهو أيضا الواعظ المحنك والخطيب البارع الذي خطب في الآلاف من الناس في "آيا صوفيا" في العام ذاته، كما خطب في الآلاف في المسجد الأموي بدمشق عام ١٩١١، ومن هنا بدأ النورسي دفاعه بحركة ماهرة قلبت الأمور رأسا على عقب أمام هؤلاء الذين يحاكمونه. فقد رد على الاتهام الرئيسي الخاص "باستخدام الدين كوسيلة لأغراض سياسية بهدف القيام بعمل من شأنه الإخلال بالنظام العام":

"حاش لله ألف مرة! إن العلوم الإيمانية التي هي شغلنا الشاغل تأبى أن تُستغل لشيء سوى رضا الله. نعم، لن يكون الإيمان الذي هو المفتاح النوراني والقدسي للحياة الأبدية وشمس الحياة الأخروية، آلة بيد الحياة الاجتماعية السياسية الدنيوية، مثلما لا يمكن أن تتبع الشمس آثار القمر!. نعم، فلا توجد مسألة كونية تزيد أهميتها على مسألة سر الإيمان الذي هو اعظم مسألة في هذا الكون واكبر سر في خلقة العالم، حتى تستغل هذه المسألة ،سر الإيمان، آلة من اجلها! حاش لله!

أيتها الهيئة الحاكمة! صدقوني إذ أقول لو كان توقيفي المعذّب هذا يتعلق بحياتي الدنيوية وبشخصي فقط، لأدمت سكوتي كما أنا ساكت منذ عشر سنين، لكن لتعلق توقيفي بالسعادة الأبدية لكثير من الناس وبـ"رسائل النور" التي تفسر وتكشف طلسم الكائنات العظيم، فلن أتخلى عن هذا السر العظيم، حتى لو كان لي مائة رأس ويقطع منها كل يوم رأس. فلئن نجوت منكم، فلا منجى من قبضة الأجل. أنا رجل عجوز على حافة القبر. انظروا إلى مسألة سر الإيمان المتعلق بالأجل والقبر الذي لا ينجو منهما أحد، وهي مسألة من مئات المسائل العائدة لهذا الطلسم الذي تفسره "رسائل النور" تلك الرسائل التي تفسر –كرأي العين – الكشف المعظم للقرآن الحكيم الذي هو كشاف طلسم الكائنات.

فيا عجبي! هل تكبر في عين رجل آمن بالأجل والموت كل مسائل الدنيا السياسية العظيمة أكثر منهما، حتى يجعل منهما آلة استغلال لبلوغ مآربه؟.. علماً أن الأجل الذي يقطع الرقاب في كل لحظة وقته غير معلوم.. فإما أنه إعدام أبدي، أو تسريح وتذكرة لرحلة إلى عالم أجمل. والقبر الذي لا يُغلق أبداً، إما باب حفرة للعدم والظلمات الأبدية، أو باب لدنيا أنور وأبقى وخيراً مكثاً. فإن "رسائل النور" تبدي للعيان بفيض القرآن بدرجة قطعية - مثلما حاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعا - أن هناك حلاً يقينياً وقطعياً، لتحويل الأجل من الإعدام الأبدي إلى وثيقة ترخيص، ولتحويل القبر من حفرة للعدم لا قرار لها إلى بابٍ للجنان. ألا إنني أُفدي بلا إحجام سلطنة الدنيا كلها لو ملّكوني إياها، لبلوغ هذا الحل. نعم، هذا ما يفعله كل ذي عقل.

فيا أيها السادة! أي إنصاف يسمح بأن ينظر إلى "رسائل النور" التي تكشف وتوضح مئات المسائل الإيمانية كهذه المسألة، على أنها كتب مُغرضة تُستغل للتيارات السياسية، وكأنها نشريات فاسدة مضرة، حاشاها مائة ألف مرة عن ذلك؟ وأي عقل يرضاه؟ وأي قانون يستلزمه؟

ألا يسأل الجيلُ الآتي مستقبلاً وأهلُ الآخرة التي هي المستقبل الحقيقي وحاكم الآخرة ذو الجلال والإكرام هذا السؤال من هؤلاء المسببين؟ نعم يلزم لحكام هذه الأمة المتدينة فطرة في هذا الوطن المبارك أن ينحازوا إلى جانب الدين ويشجعوا التدين من جهة وظيفة الحكم. ثم انهم إن حافظوا على حيادهم إزاء اللادينيين باسم الجمهورية العلمانية ومبادئها ولم يمسوهم بسوء، فلا ينبغي بداهة أن يتذرعوا بذرائع ليمسوا المتدينين بسوء". [٢٤]

ومن ثم، فقد أكد النورسي أن ما ينوي الدفاع عنه هو قضية العقيدة الإسلامية ورسائل النور، ثم أخذ يفند الاتهامات المتعلقة باستغلاله الدين لتحقيق أهداف سياسية. وفيما يلي مناقشة دارت حول القضايا الهامة الخاصة بالموقف السياسي والعلمانية.

وبعد أن أشار إلى رفضه لعروض مصطفى كمال للعمل معه في ظل النظام الجديد عام ١٩٢٣ نظرا لاعتزاله الدنيا والسياسة، أخذ النورسي يصف للمحكمة خمسة "مؤشرات" توضح أنه لم "يتدخل في أمر الدولة."

(٢٤) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

أولا: ظل النورسي طوال ثلاثين عاما دون أن يفتح صحيفة، والصحف هي "لسان السياسة" كما يمكن أن يؤكد الآخرون من دونه، كما لم يرد خلال العشرة أعوام التي قضاها في إقليم إسبارطة أية إشارة ولو يسيرة لأي محاولة منه "للعمل في السياسة" رغم الاضطرابات السياسية التي شهدتها تلك الفترة؛ فقد أغار رجال الشرطة على داره وفتشوها بدقة، وأخذوا كل أوراقه وكتبه الخاصة، وقد درست كل من الشرطة ومكتب المحافظ هذه الكتب والأوراق، غير أنهم لم يجدوا بها أي مضمون سياسي. ولم يجدوا في هذه الأعمال شيئا يعترضون عليه سوى نقاط قليلة، بيد أنها كانت إيضاحات دراسية لبعض الآيات القرآنية التي تتناول ثياب المرأة وميراثها، ومع هذا، فقد أخبر النورسي المحكمة أنه كان قد كتب هذه الكتابات القصيرة قبل عدة سنوات حينما كان عضوا بدار الحكمة الإسلامية، كما كان قد أبقى عليها طي الكتمان حينما صدرت القوانين الجديدة؛ خشية أن تكون معارضة لها، ولكن أُرسلت نسخة واحدة بعد ذلك إلى أحد الأشخاص عن طريق الخطأ.

علاوة على ذلك، فقد برهن اختيار النورسي البقاء لتسع سنوات في قرية نائية على رغبته في تجنب المشاركة في الأمور الاجتماعية والسياسية، وقد قال بأن فشله في أن يطلب من سلطات "إسبارطة" الإفراج عنه أو ترحيله إلى مكان آخر هو ما "مس كرامتهم"، مما جعلهم يثيرون الأمر بتنبيه أنقرة، فقد أخبر المحكمة قائلا:

> " يعلم جميع أخلائي الذين يعرفونني عن كثب، بأن الخوض في السياسة، أو التعلق بها، بل حتى التفكير فيها يخالف مقصدي الأساس وأحوالي النفسية وخدمتي القدسية الإيمانية. لقد مُنحتُ نوراً لا صولجان سياسة."[٢٥]

كما لا يوجد هناك أي دليل على الإطلاق يثبت الاتهام الموجه للنورسي بمحاولة الإخلال بالنظام العام عن طريق إثارة المشاعر الدينية، بل على النقيض، نجد أن رسائل النور – كما أشار النورسي – تحاول الحفاظ على استقرار النظام:

---

(٢٥) النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٥٤.

" إن أجزاء "رسائل النور" التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخُلُق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمنه. أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خُلُقه وسجيته".[٢٦]

بالإضافة إلى ذلك، لم يُتهم أي من طلاب النورسي أو ممن اطلعوا على رسائل النور في أي من الاضطرابات التي كانت ذات صبغة دينية، والتي وقعت منذ أن تمت الإصلاحات للمرة الأولى.[٢٧] وقد قال النورسي في جزء آخر من دفاعه: "إن الأفراد الذين يتلقون التعليمات من رسائل النور لم يشاركوا في أي عمل من أعمال الاضطرابات العامة التي كانت سببا في إراقة دماء الأبرياء وإضاعة حقوقهم".[٢٨] علاوة على ذلك، فقد أشار النورسي إلى أنه إذا كانت المادة ١٦٣ تنطبق عليهم، فإنها في الوقت ذاته تنطبق على وزارة الشئون الدينية، وعلى الأئمة والوعاظ الذين توظفهم الوزارة؛ حيث يشجعون هذه المشاعر الدينية بنفس الطريقة.[٢٩]

ومن الاتهامات الأخرى التي كانت كثيرا ما توجه إلى النورسي أنه كان يعلم طلابه مبادئ الصوفية، والصوفية – كما سبق أن أشرنا – كانت تعد خروجا على القانون في ١٩٢٥، وحلت طرقها وأُغلقت التكايا الصوفية، وقد كان ذلك اتهاما آخر لا أساس له، كما يمكن أن نرى من رسائل النور، فقد انصب اهتمام النورسي على حقائق العقيدة، فقد أخبر المحكمة قائلا: "كما كتبت في دراسات عديدة، إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان؛ فكثير من الناس يدخلون الجنة دون اتباع الطريقة الصوفية، ولكن أحدا لا يدخل الجنة دون عقيدة، لذا فقد آن الأوان للعمل من أجل العقيدة." ولم يكن هناك من يتقدم إلى المحكمة ليدعي أن النورسي قد لقنه الصوفية، إن ما علمه النورسي لعدد بسيط من خاصة طلابه هو "ليس تعليم طريقة صوفية،

---

(٢٦) النورسى، سيرة ذاتية، ص ٢٥٨-٢٦٧.

(٢٧) للرجوع لتحليل عن هذا، انظر: Brockett, "*Collective Action*," 44-66.

(٢٨) النورسى، سيرة ذاتية، ص ٢٥٣.

(٢٩) انظر: النورسى، سيرة ذاتية، ص ٢٥٩.

بل تدريس حقيقة"[٣٠]، وفي هذا الصدد، أرادت المحكمة أن تعرف كيف كان يعيش النورسي، ومع هذا، فقد كان تدبير النورسي أمرا معروفا يسهل التحقق منه كأمر دأب عليه طوال حياته من عدم قبول الهدايا أو الصدقة بأي شكل كان.

ومن الاتهامات الرئيسية الملفقة في واقع الأمر، والتي وُجهت للنورسي، اتهامهم له بأنه قد أسس منظمة ذات أغراض سياسية، وقد استجوبت المحكمة النورسي مرات عديدة حول ذلك، وأخذت تسأله عن مصدر تمويل تلك المنظمة، فكان رد النورسي في أربعة أجزاء، بدأها بما يلي:

"أولا:وأنا اسأل هؤلاء السائلين: هل توجد وثيقة أو أمارة على تأسيسنا لجمعية سياسية، وهل وجدوا دليلاً أو حجة على تشكيلنا لتنظيم بالمال، حتى يصرون على السؤال إلى هذا الحد؟ أنا موجود في ولاية "اسپارطة" منذ عشر سنوات تحت الرقابة الشديدة. ولست وحدي الذي يقابل بالمقت افتراء الذين يتهمون رجلاً لا يقابل أحداً إلا خادماً أو خادمين أو ضيفاً أو ضيفين في عشرة أيام، غريباً، وحيداً، ضجراً من الدنيا، كارهاً السياسة اشد الكره، ومشاهداً بصورة متكررة الضرر والعقم الذي جنته الجمعيات السياسية المعارضة القوية بنتيجة ردود الأفعال، ورافضاً الجمعيات والتحركات السياسية في أهم فرصة سانحة وسط قومه والآلاف من أحبائه بعدم الاشتراك فيها، ومُوَليّاً عن السياسة كالهارب من الشيطان لعدّه الإيمان التحقيقي خدمةً قدسيةً للغاية لا يجوز أن تُفسد بأي ثلمة وأن إضعافها بالغرض السياسي جناية، ومتخذاً لنفسه (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) دستوراً منذ عشر سنوات، وواجداً الحيلة في ترك الحيلة، وعصبي المزاج يفشي أسراره بغير تحسّب، واستطاع أن يخفي جمعية مثل هذه عشر سنوات عن موظفي ولاية "اسپارطة" الحساسين والجساسين! إن الذي يقول لمثل هذا الرجل: "توجد جمعية مثل هذه، وأنت تدير دولاب كيد سياسي"! لا يقابل إلا بالمقت، بل يشاركني في المقت أهل ولاية "اسپارطة" ومن يعرفني جميعاً، وربما كل ذي عقل ووجدان، قائلين : إنكم تتهمونه زوراً وبهتاناً.

ثانياً: إن قضيتنا الإيمان، ولنا إخاء مع تسع وتسعين بالمائة من أهل هذه البلاد وأهل "اسپارطة" بالاخوة الإيمانية. بينما الجمعية، اتفاق الأقلية من بين الأكثرية. فلا ينتظم في جمعية تسعة وتسعون رجلاً مقابل رجل واحد".[٣١]

---

(٣٠) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٩.

(٣١) النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٦١.

وقد اختتم رده على الاتهام بالإشارة إلى عدم المنطقية في التساؤل حول كيف لرجل عاش عشر سنوات بمائة ليرة مرتديا نفس العباءة المرقعة سبع سنوات أن يحصل على مال لمنظمة يُفترض أنه قام بتأسيسها.

والنقطة الرئيسية التي قام عليها الاتهام هي قضية العلمانية التي أثارت جدلا واسعا، والتي كانت سببا في حدوث كل التغيرات الراديكالية منذ قيام الجمهورية، وإنما كانت معارضة النورسي للحكومة وبرنامجها من أجل إرساء العلمانية هو الأساس الذي قامت عليه الاتهامات الموجهة إليه. وفي الوقت الذي أنكر فيه النورسي من جانبه معارضته للحكومة مؤكدا أن "الجمهورية العلمانية تعني انفصال الدين عن (شئون) الدنيا"،[٣٢] و"حيث إن الجمهورية العلمانية – من وجهة نظر مبدأ (العلمانية) – لا بد أن تكون محايدة، ولا تتدخل في شئون هؤلاء ممن لا دين لهم؛ لذا فعليها بالطبع ألا تتدخل في شئون المتدينين تحت أي ذريعة."[٣٣] بمعنى أن العلمانية يجب أن تكفل حرية الإرادة والتعبير والحريات الأخرى، ويظل النزاع القائم حول تفسيرات كلمة العلمانية وكيفية تطبيقها أمرا لا حل له حتى يومنا هذا، ومن ثم، يحاول النورسي أن يؤكد أن رسائل النور كانت رسائل علمية أخرست المذهبين المادي والطبيعي وفلاسفة أوروبا وهجماتهم على القرآن، لذا فلا ينبغي أن تتعرض لأي قيد من قيود الجمهورية العلمانية، ولما يزيد على ثلاثين عاما صرف النورسي اهتمامه للرد على هذه الهجمات.

كان النورسي يرى أن المشكلات الداخلية التي تواجه الدولة هي محصلة للتأثيرات الفاسد لهذه الفلسفات،[٣٤] وقد وجهت رسائل النور "صفعات قوية" لهم وللملحدين الذين يدعمون مصالحهم ومؤامراتهم في البلاد[٣٥] تحت ستار العلمانية، لقد كان هؤلاء "المتآمرون" و"لجانهم الماجنة" محل معارضة النورسي، لا الحكومة، ففرق النورسي بين الحكومة وهذه اللجان أو الجمعيات

---

(٣٢) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٦٥.
(٣٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص٢٥٤.
(٣٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٨.
(٣٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢١.

السرية التي تعمل من أجل الإلحاد، كما حذر من تسرب هذه الجمعيات داخل الحكومة وخداعها للحكومة، إن هؤلاء هم الذين تسببوا في ارتفاع صيحات "الرجعية السياسية" و"استغلال الدين لأغراض سياسية."(٣٦)

وهذه الاتهامات التي وُجِّهت إلى من يدافعون عن الدين ليست جديدة؛ فقد استخدم الكثير منها بعد الثورة الدستورية عام ١٩٠٨عندما احتدم الجدال بين هؤلاء ممن يساندون العلمنة والتغريب وخصومهم كما سبق وأوضحنا في فصل سابق. وفي هذا الوقت، أخبر النورسي المحكمة العسكرية التي أُنشئت إبان حادث الحادي والثلاثين من مارس بـ: " إن بعضاً ممن جعلوا السياسة أداة للإلحاد، يتهمون الآخرين بالرجعية أو باستغلال الدين لأجل السياسة ليستروا على سيئاتهم وجرائمهم." (٣٧)

وقد استُخدمت الشعارات ذاتها في ظل الجمهورية للأهداف نفسها: لتشويه سمعة المسلمين والتقليل من شأنهم في أعين الناس من خلال ترهيب الناس وإبعادهم عن مظلة الإسلام من أجل تمهيد الطريق لنشر الأفكار المضادة للإسلام، وكان حادث "منمن" مثالا قديما لذلك، وكان من بين الاتهامات الموجهة للنورسي محاولته "تقليد" هذه الثورة.

لقد كان الحادث أمرا ثانويّا يحدث نتيجة للتحريض، ولكنه أُخمد وسط هذه العواصف العاتية التي تجتاح الصحافة بشكل وحشي كـ "حركة ثورية"، فقد أُعدم ثلاثة وثلاثون شخصا في أعقاب هذا الحادث، كما اتخذت السلطات إجراءات تعسفية ضد المواطنين المعروفين بالعمل من أجل قضية الدين في مناطق عديدة، وانتقمت من النورسي الذي لم يكن له بالأمر أية صلة.(٣٨) وشرح النورسي للمحكمة كيف حاولت السلطات التي تمثل نفس المصالح إثارة حادث مثيل في "إسبارطة"، وهي الآن تحاول خداع القضاء نظرا للفشل الذي منيت به محاولتها، كما أكد النورسي أن الأمر يجب أن يتم النظر إليه في ضوء الصراع الأبدي بين الإيمان والكفر، والتدين والإلحاد، " إنني مقتنع تماماً

(٣٦) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٧٣.
(٣٧) النورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤١.
(٣٨) انظر: النورسي، المكتوبات، ص ٨١.

بأن الهجمات التي تُشن علينا ليس مبعثها الزعم القائل بأننا "نستغل الشعور الديني للإخلال بالأمن الداخلي".. كلا، ولكن ذلك الهجوم - الذي يتم تحت ذلك الغطاء الزائف - يتم في سبيل الكفر والزندقة ".(٣٩)

ومن ثم، فقد طالب النورسي بمحاكمة عادلة من جانب المحكمة، فقال: "إن المحكمة فرع من الحكومة، ويتحمل القضاء أكثر من أي جهة أخرى مهمة الحفاظ على استقلاله والبقاء بمنأى عن أي نفوذ خارجي، مع النظر في الأمور بحيادية وموضوعية كاملة بعيدا عن أي اعتبار للمشاعر"، ورغم ذلك حدثت انحرافات، فعلى سبيل المثال، أُشير إلى سعيد النورسي أثناء استجوابه بـ "سعيد الكردي"، واسم "الكردي" يتسبب دون أدنى شك في خلق آراء متعصبة،(٤٠) وبالفعل، فقد كانت النية تتجه نحو الربط بين النورسي وبين المعارضة المستمرة للحكومة والمتمردين في شرقي تركيا كما سبق وأوضحنا من خلال الحملات التشهيرية التي دُبرت ضده في الصحافة في الوقت ذاته، ومع هذا، ورغم تفنيده لكل الاتهامات الموجهة إليه، كانت تواريخ الأعمال متداخلة عن قصد مع التواريخ التي نُسخت فيها، بل وعرضت السلطات الأعمال التي كتبها على مدار عشرين عاما وكأنها وليدة عام واحد.(٤١)

وقد كان "دفاع النورسي العلمي" عن بضع آيات قرآنية تتناول زي المرأة وميراثها – والتي كان قد كتبها بعد قيام الجمهورية وتبني القانون المدني الجديد"، والتي جاءت مناهضة لاعتراضات الفلاسفة الأوروبيين وهجماتهم"(٤٢) -الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى أن أدانت المحكمة النورسي، وحكمت عليه بمنتهى التعسف بالسجن لمدة عام واحد، يتبعه عام من الإقامة الجبرية في منزله في "قسطموني"، كما حُكم على خمسة عشر طالبا من طلابه – كما ذكرنا – بالحبس لمدة ستة أشهر، ومُرر الحكم في ١٩ أغسطس ١٩٣٥، القرار رقم ١٢١، وصدقت عليه المحكمة العليا في ١٢

---

(٣٩) النورسى، سيرة ذاتية، ص ٣٤٠.

(٤٠) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٤١) انظر: النورسى، سيرة ذاتية، ص ٤٠٤ .

(٤٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٦- ٢٨٨.

أكتوبر ١٩٣٥ بقرارها رقم ٢-١١١، وقد قضى النورسي أحد عشر شهرا منها، وربما يكون قد مُنح إعفاء في الشهر المتبقي، وأُطلق سراحه في مارس من العام الذي تلاه.[٤٣]

(٤٣) انظر: Badıllı, *Nursi*, 2:1037.

الفصل الثاني عشر

"قسطموني"

الحياة في "قسطموني"

بعد أن أفرج عن النورسي من سجن "اسكي شهر" في مارس عام ١٩٣٦ أرسل إلى "قسطموني" الواقعة في جبال "إلجاز" جنوب البحر الأسود، وكان آنذاك يبلغ من العمر تسعة وخمسين عاما، وكان من المقرر أن تستغرق إقامته الجبرية في هذه المدينة الواقعة بمنطقة "قسطموني" سبعة أعوام ونصف العام. ونظرا للمراقبة الصارمة المفروضة عليه، فقد قيدت تحركاته أكثر مما كان عليه الحال في "بارلا"، كما استمرت المضايقات والاضطهادات، وفي هذه الفترة أضاف النورسي بعض الكتابات إلى رسائل النور، كان منها "الآية الكبرى" التي كانت دليلا على بلوغ هذه الرسائل ذروتها، كما كانت أسلوبا من أساليب بيانها، وجذب النورسي إليه في "قسطموني" طلابا جدا حتى أضحت هذه المنطقة، وخاصة مدينة "اينبولي" الواقعة على البحر الأسود تعرف باسم "إسبارطة الثانية"؛ لأنها كانت مركزا انبثقت منه رسائل النور.

حافظ النورسي على الاتصال المتبادل بينه وبين طلابه في "إسبارطة" وفي كل مكان، وكانت رسائله تجمع حتى تكوّن منها ما يسمى "ملحق قسطموني"؛ حيث تتحدث هذه الرسائل عن الأمور التي كان يهتم بها النورسي في هذه الفترة، وسوف نتعرض للموضوعات التي ناقشتها هذه الرسائل في هذا الفصل.

لقد كانت هذه الرسائل مصدرا من مصادر التنوير والإرشاد والتشجيع لطلاب النورسي الذين فارقهم، حيث كان يتم نقل هذه الرسائل سرّا من مدينة لأخرى، ومن قرية لأخرى عن طريق "سعاة بريد النور"؛ لأنه كان من الخطر أن تنقل هذه الرسائل عن طريق البريد العادي.

لقد قضى النورسي أول ثلاثة أشهر له في "قسطموني" كضيف في مركز الشرطة، ووصف أثر هذه المحنة عليه كشخصٍ يفضل العزلة ولا يستطيع حتى أن يبدل زيه الذي اعتاد عليه، ولا ريب أن رفض النورسي التخلي عن زيه الإسلامي؛ الجُبَّة والعمامة،[1] كان ذريعة للمضايقات التي تعرض لها. استأجر النورسي بعد ذلك البيت المقابل لمركز الشرطة مباشرة، وكان بيتا خشبيّا تقليديّا مؤلفا من طابقين، يتكون الطابق الأرضي من مخزن للوقود وسلم خارجي يقود إلى غرفتين في الطابق الثاني، أقام النورسي في هذا البيت السبعة أعوام التي قضاها في "قسطموني".

وخلال أسابيعه الأولى في "قسطموني"، جذب النورسي إليه أول طلابه المقربين هناك "جايجي أمين" الذي كان منفيّا إليها مثل النورسي، وكان "جايجي أمين" من أشراف العشائر في شرقي الأناضول، وقد نفي إلى "قسطموني" قبل النورسي بعشرة أعوام، وكان يقتات من زاوية صغيرة لعمل الشاي للناس في صحن مسجد "نصر الله"، حيث رأى النورسي لأول مرة، وظفر النورسي بقلبه عندما حذره من مغبة الاقتراب منه، إلا أن "جايجي أمين" لم يكن بالشخص الذي يخشى أذى المسئولين، فبذل كل ما في وسعه منذ ذلك الحين لكي يساعد النورسي.[2] كذلك كان "محمد فيضي" بين الطلاب المقربين للنورسي في "قسطموني"،[3] وكان يتمتع بقسط من التعليم، فكان هذان الطالبان يلازمان النورسي ويلبيان له كل احتياجاته، وكان "محمد فيضي" يساعده في كتابة رسائل النور.

لزم النورسي البيت في هذه الفترة، فلم يكن يخرج إلا مرة أو مرتين أسبوعيّا؛ حيث كان يتجول في الجبال المحيطة بالبيت أو يصعد إلى القلعة التي تعلو المدينة. كان يقضي الوقت إما في كتابة رسائل جديدة من رسائل النور أو في تصحيح طبعات من الأجزاء الموجودة منها أو في العبادة سواء كانت صلاة

---

(١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٠٣.

(٢) جايجي أمين بك في Şahiner, *Nurs Yolu,* 100-103; Şahiner, *Son Şahitler* 2:95-102

(٣) محمد فيضي باموقجو في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:126-132

أم دعاء أم تفكرا، بينما كان يقضي الليل في الصلاة، وكان النورسي أيضا يشغل نفسه بهذه الأشياء عندما يخرج من البيت للمنطقة الجبلية، وأثناء سيره في الطرقات؛ حيث لم يدع أية لحظة تذهب هباء. وقد روى "محمد فيضي" كيف كان النورسي يقوم بتصحيح نسخ رسائل النور، وهو على ظهر فرسه، أو يستمع لنفسه وهو يقرأها أو حتى يعلمها له هو و"جايجي أمين" ومن يحضر من طلابه الآخرين، ورغم قيام النورسي بتصحيح نسخ رسائل النور بعناية فائقة إلا أنه لم يرجع إلى الأصل؛ لأنه كان يحفظه.

ونظرا لأن "قسطموني" منطقة مرتفعة، فإن الشتاء فيها يكون قارس البرودة. ذكر النورسي في كثير من رسائله ما عاناه من الأمراض والبرد القارس؛ حيث أصابه الروماتيزم والآلام المزمنة في ظهره، كما تعرض للسم أكثر من مرة. كتب النورسي يقول: " إنني أحمد خالقي الكريم حمداً لا يتناهى، إذ أسعفني بالإيمان الذي هو دواء مقدس لكل داء وأغاثني بدواء الرضا بالقضاء النابع من الإيمان بالقدر. مما دفعني إلى الشكر ضمن الصبر."[٤]

تبرز قدرة النورسي الفائقة على التحمل أيضا من خلال الحكاية التالية التي يرويها "جايجي أمين":

> اعتدت أن أذهب إلى منزل النورسي مبكرا حتى أوقد له المدفئة، وفي يوم شديد البرودة ذهبت إليه، ودون أن أشعر، وقبل الأذان بساعتين؛ حيث كان منهمكا في العبادة على سجادة الصلاة تحت ضوء شمعة في سَحَرٍ قارس البرودة، يدعو الله بصوت حزين مؤثر ويناشده ويتضرع إليه. انتظرته واقفا على قدمي لمدة ساعة ونصف الساعة، حيث كنت أنظر إلى هذا المشهد الرائع وأنا أشعر بالرعشة والقلق، وبعد ذلك سمعت أذان الفجر من بعيدٍ مع أنه لم يحن وقته بعد، ثم اتجه النورسي نحوي، وقال لي: "لقد ارتكبت خطأً كبيرا يا أمين، فقد أقسمت أنني لن أستقبل أحدا في بعض الأوقات ولو كان من الملائكة."[٥]

اعتذر له "جايجي أمين " محتجّا بأن ضوء القمر البراق قد خدعه، وأنه لن يأتي قبل أذان الفجر بعد ذلك. هذا، وقد كان النورسي دائما ما يتعرض

---

(٤) النورسي، الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٠٨.

(٥) انظر: جايجي أمين جاير في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:98-99

للمضايقات؛ حيث كانت "أنقرة" تولي على هذه المنطقة من تعلم أنهم سيستمرون في الضغط على النورسي، وكانت هذه هي أشد الأيام تعسفا لحكم الحزب الشعب الجمهوري عندما كان يقوم بمواصلة تطبيق برامج التغريب بكل فروعها. تولى "عوني دوغان" زمام الأمور في "قسطموني" في سبتمبر من العام الذي أرسل فيه النورسي إلى هناك، وكان "عوني دوغان" يمثل عصارة الجيل الجديد من رجال الدولة ممن جاء نتيجة لحكم حزب الشعب الجمهوري. قام "عوني" بكل ما في وسعه لكي يوقع العذاب على النورسي وطلابه؛ لأنه كان علمانيا متعصبا. استمر "عوني" في منصبه لمدة أربعة أعوام ثم خلفه "مدحت آلتي اوق" عام ١٩٤٠، والذي كانت معاملته للنورسي أكثر استرضاء من سابقه، ورغم ذلك فقد تحمل النورسي كل ما وقع عليه من هؤلاء الولاة؛ حتى إنه في بعض الأوقات قد منع الأذى عن "عوني دوغان" مما جعله يكتسب تلميذا جديدا في المعركة:

وبإيجاز، فقد كان نتيجة لتدمير المساجد وتكايا الصوفية ومقابر الأولياء الذي وقع بعنف وضراوة شديدة في "قسطموني" بعد أن تولى "عوني دوغان" زمام الأمور، أن نذر "حلمي بك" أحد شيوخ المدينة وكان يدعى الشيخ الصغير قتل الوالي في محاولة لوقف هذا التدمير، وحمل البندقية وقاد الحملة، ولكن بعد أن استعد الجميع وأثناء سير الشيخ حلمي وهو منهمك في التفكير أمام منزل النورسي، رأى فتحة في النافذة؛ فإذا بالنورسي يشير إليه، فتساءل ما عساه يريد مني الشيخ الكبير، فصعد إلى منزل النورسي؛ حيث أعطاه النورسي دعاء يسمى "التحميدية" وطلب منه أن يكتب منه نسخا عديدة. وافق "حلمي بك" وجلس أثناء العودة إلى بيته وبدأ يكتب فيه حتى ساعة متأخرة من الليل، وعندما فرغ من الكتابة، تغير رأيه تماما، وأقلع عن كل أفكاره الإجرامية، وأصبح منذ ذلك الحين تلميذا وفتيا للنورسي، كرس نفسه لكتابة رسائل النور وخدمة مؤلفها.[٦]

أثار ذلك "عوني دوغان"، فقام رجال الشرطة فورا بتفتيش منزل النورسي للبحث عن نسخ من رسائل النور واضطر طلاب النورسي لإخفائها في أماكن

(٦) حلمي سما في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:121-122

لا يستطيعون الوصول إليها، ومع ذلك فقد أصيب بعض ضباط الشرطة بالأمراض عقابا لهم على ذلك، فقد أصيب أحد الضباط وهو يدعى "حافظ نوري" بمرض غريب مات على أثره، وكان هذا الضابط يأتي كل بضعة أيام ويتجول في منزل النورسي ويفحصه بعناية شديدة، كما كانت نهاية ضابط آخر يدعى "صفوت" مزرية، لم يتمنَّ النورسي لهم المرض كما أخبر بذلك عائلة "حافظ نوري" عندما جاءوا إليه يرجونه لأجله، فقد وقعت عليهم هذه الضربات من القرآن.(٧)

كذلك كان بين طلاب النورسي "صادق بك الطشكبرولي" من أحد كبار زعماء الإقليم،(٨) فهو حفيد "صادق باشا" أحد أبطال معركة"بلونة"، وقد تلقى تعليمه في الأكاديمية العسكرية في استانبول، لكنه طرح مكانته ووضعه الاجتماعي جانبا ووهب نفسه لخدمة النورسي ورسائل النور، بينما كانت قريته "طشكبرولي" مركزا لتدوين رسائل النور مثلما كانت مدينة "اينبولي". دخلت رسائل النور إلى "اينبولي" على يد طالبين بارزين من طلاب النورسي، هما "السيد نظيف" وابنه "صلاح الدين شلبي". وقد وصف صلاح الدين زيارته الأولى للنورسي كما يلي، وكان قد أخذ نسخة من الشعاع الرابع الذي كتبه أبوه بعد أن تم تصحيحه:

صعدت الجبل ... كان هناك شخص يرتدي ملابس بيضاء يصلي تحت شجرة، قلت لنفسي: "لا بد أنه هو" وبعد أداء الصلاة أومأ إليّ برأسه لأجلس، فجثوت على ركبتي، وقلت "آمين" خلف دعائه، حيث كان يدعو الله عز وجل بصوت مؤثر أن يعم السلام وتنتشر السعادة في هذا العالم أجمع والعالم الإسلامي خاصة، فلما أعطيته الكتاب الذي أحضرته معي، قال لي: "مرحبا بك يا أخي"، "دعنا نصححها.." استغرق الأمر نصف الساعة. تفحصت الشيخ بعناية، حيث كنت أراه لأول مرة. كان النورسي يصححها بعناية فائقة؛ حتى إنه كان يصحح النقاط والحروف غير الصحيحة، فقد سألني: "هل تعلم هذه الكتابة العثمانية؟" وجعلني أكتب جملة، فلما كتبتها قال "ما شاء الله! أنت تكتب جيدا، هل تستطيع أن تكتب

---

(٧) جايجي أمين في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:97 ومحمد منيب يلاز في *Son Şahitler*, 2:134

(٨) انظر: صادق ديميرل في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:207-222

رسالة إن أعطيتك واحدة؟" وعندما قلت له سأفعل ذلك بكل سرور، أعطاني حوالي تسعا من الكلمات الصغيرة، وأعطاني الكلمات الحادية عشرة والثانية عشرة لأعطيها لوالدي، وقال لي "لا بد من كتابتها بطريقة جيدة"، ثم استأذنت وانصرفت، وبهذه الطريقة تم إدخال رسائل النور إلى "اينبولي".

بدأ بعد ذلك كثير من الناس في تدوين رسائل النور لمدة خمسة أعوام حتى إن أقلامهم كانت تشبه أجهزة الطباعة، وكان سعاة رسائل النور يقومون بالتنسيق بين "قسطموني" و "اينبولي"، وتم إرسال أجزاء رسائل النور إلى الأناضول بحرا من ميناء "اينبولي"، واستمر هذا العمل بلا انقطاع حتى رأيت ماكينة للنسخ في أحد محال استانبول، وعندما علمت أنها تقوم بنسخ حوالي مائة صفحة في الدقيقة اشتريتها فورا ثم أخذتها معي إلى "اينبولي"، وفي البداية نسخت "الشعاع السابع" و"الآية الكبرى" التي كانت تتكون من "مشاهدات سائح يستنطق الكون حول خالقه"، وعندما أعطيت الأستاذ أول نسخة منها كان في غاية السعادة، وفي نهاية العمل أعرب عن شعوره قائلا: "اللهم امنح السعادة في الجنة لعبدك "نظيف شلبي"، ومن ساعدوه الذين كتبوا خمسة آلاف نسخة بقلم واحد."(٩)

أما في مدينة "إسبارطة"، فكانت رسائل النور تكتب يدويًا باستمرار، حيث كرس المئات من أهالي القرى أنفسهم بالكامل لكتابة رسائل النور، مثل قرى "بدرة" و"علاما" و"قوله اوني" و"إسلام كوي" و"ساو" و"اتابي". وفي إطار "التبادل النوري" أخذ صبري حارس ميناء قرية "بدر" أجزاء من رسائل النور وخطابات النورسي، ونسخ منها العديد من النسخ على الفور وأرسل بها عن طريق سعاة رسائل النور إلى "إغيردير"، ومنها كانت ترسل إلى "الحافظ علي" في "إسلام كوي."

كان الجميع يدركون أهمية هذه المهمة؛ ففي قرية "ساو" وفي أماكن أخرى كانت النساء يكرسن أنفسهن باهتمام بالغ لكتابة الرسائل، بينما كان رعاة الغنم يحملون الأجزاء في أغراضهم وينقلونها من مكان إلى آخر لكي تكتب،(١٠) ونعلم من إحدى رسائل النورسي أن تلميذه "خسرو"، أحد أبطال رسائل النور،

---

(٩) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler* 2:108

(١٠) انظر: النورسي، الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٣٨-١٣٩ .

حيث كتب بيده حوالي أربعة آلاف نسخة من أجزاء رسائل النور المختلفة في مدة تتراوح بين تسع وعشر سنوات، إضافة لكتابة ثلاث نسخ من القرآن الكريم تشتمل على أمثلة واضحة لتوافقات لفظ الجلالة.[١١]

كانت رسائل النور التي وجهها النورسي لطلابه مفعمة بالحماس والوضوح الذي شغل بال كل من طالعها؛ حيث كان الاهتمام والغرض من رسائل النور منصبّا على معرفة طريقها، والمكانة التي ينبغي أن يحتلها طلاب النور في مواجهة الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط بهم. أكدت هذه الرسائل لطلاب النور أنه يجب عليهم أن يتحلوا بالحذر في مواجهة أعدائهم المتعددين، وشددت على أهمية الإخلاص والإيثار في مهمتهم لخدمة القرآن الكريم حتى يقوموا بتكوين رابطة أخوة تجمعهم بزملائهم، ويطوروا "الشخصية الجماعية" اللازمة لمقاومة الهجمات الموحدة التي يقوم بها أعداء الإسلام. وركز كثير من هذه الرسائل على أهمية الدور الذي يجب أن تلعبه رسائل النور وطلاب النور وكذلك البركات والمنافع المرتبطة بها. لقد عبر النورسي عن امتنانه لكل الطلاب الذين استمالتهم رسائل النور، والتضحية التي قاموا بها من أجل هذه الرسائل؛ حيث كان ذلك مصدرا كبيرا من مصادر مواساته في أحلك الظروف التي كان يجب أن يعيش ويعمل فيها. وقبل تحليل بعض الرسائل التي كتبت حول رسائل النور، نعرض هنا لمثال أو مثالين لتوضيح ذلك الأمر:

> إخوتي الأعزاء الأوفياء الميامين ويا رفقائي الأقوياء المخلصين في خدمة القرآن والإيمان! أحمد الله العظيم حمدا لا مبلغ لمنتهاه وأشكره أن حقق بكم أملي في رسالة الشيوخ، وادعائي في رسالة "الدفاعات".
>
> "نعم، لله الحمد والمنة بعدد الذرات من الأزل إلى الأبد، بما أنعم بكم على رسائل النور بثلاثين من أمثال عبد الرحمن، بل مائة وثلاثين، بل ألفا ومائة وثلاثين من أمثاله، كل منهم يقابل ألفا".[١٢]

---

(١١) انظر: المرجع السابق ص ٣٣٢.

(١٢) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ٩٩ .

ومثال آخر:

إخوتي الأعزاء الأوفياء حق الوفاء!

"لأنتم مدار سلواني وسروري في هذه الدنيا. فلولاكم لما تحملت العذاب طوال أربع سنوات. فثباتكم وصمودكم منحني صبراً قوياً وجلداً أمام العذاب".(١٣)

ومرة أخرى:

إخوتي الأعزاء الأوفياء الخالصين!

"إنني احمد ربي الرحيم حمداً لا نهاية له، إذ خلق من أمثالكم ناشرين لرسائل النور ومحافظين عليها ومالكين لها. وخفف العبء الثقيل الذي أرهق كاهل شخص ضعيف عاجز مثلي".(١٤)

منهج رسائل النور ووظيفتها

كتب النورسي إلى طلابه يخبرهم بأن وظيفة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان وتقويته في مواجهة الهجمات المدبرة التي كانت تحاك ضده،(١٥) فلم تكن هذه الهجمات جديدة على حد قول النورسي، وكان سبب الإخفاق في مواجهتها هو الفساد المستمر الذي كان نتيجة لتسرب كثير من الأفكار الأجنبية، والتي كانت غالبا تشير إلى التيارات الفلسفية الأوروبية، لذلك ارتقى الإيمان من المستوى التقليدي إلى المستوى الراسخ في الاعتقاد،(١٦) وقد وصف النورسي مهمة رسائل النور بقوله:

"إن رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة - صخورها كالجبال - تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضاً - وبيدها إعجاز القرآن - لمداواة القلب العام المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولا سيما عوام المؤمنين. نعم

(١٣) المرجع السابق ص ١٠٦.

(١٤) المرجع السابق ص١٠٨.

(١٥) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٠٤، ٢٠٢،١٣٣ .

(١٦) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١١٠.

إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة وأعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق (مضاد للسموم) ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حدّ لها.

فرسائل النور النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، تؤدي هذه المهمة وفي هذا الوقت أتم أداء، وتحظى في الوقت نفسه بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية".(١٧)

ولذا نجد أنه بمرور الوقت، فقد الإيمان بأصول الإسلام حيويته عند جمهور المسلمين، ومنحت سياسة التغريب زخما لهذه العملية في تلك الآونة، إلا أن رسائل النور قد أثبتت من خلال تركيزها على تقوية الإيمان، وتحويله من مجرد تقليد إلى يقين متحقق، وإيمان حي قادر على رد هذا التراجع والمساعدة في إعادة بناء الإسلام. وأثناء إقامته في "قسطموني"، كتب النورسي "الآية الكبرى" التي جذب إليها كثيرا من الاهتمام كجزء من أجزاء رسائل النور التي أثرت بشدة في تقوية هذا النوع من الإيمان أو الاعتقاد، فمن الممكن أن ننظر في عجالة لنعلم ما كان يعنيه النورسي بهذا النوع من الإيمان، والمنهج الجديد الذي قام بتطويره للحصول على هذا النوع من الإيمان.

الآية الكبرى

تعتبر "الآية الكبرى" مدخلا لفهم رؤية النورسي للوجود ومنهجه في العبادة؛ لأنه قال إنه كتبها لنفسه وفقا لفهمه الخاص.(١٨) تجمع الرسالة "مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه" كما تصف رحلة داخل العقل من خلال العالم الذي صنعه مسافر يتوق أن يكون عالما وملمّا بـ "مالك هذه الدنيا ومؤلف هذا الكتاب الكبير وملك هذا العالم العظيم." سأل أولا السماوات بشموسها ونجومها وأجسامها السماوية ثم الغلاف الجوي برعده وبرقه ورياحه وسحبه وأمطاره ثم الأرض وهكذا؛ حيث يدل كل منهم على الوجود الواجب

(١٧) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص١١٨

(١٨) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ١٣٣

لصانعها ووحدته، لقد تشكل من خلال "الدرجات الثلاث والثلاثين للوجود الواجب للصانع ووحدته" التي تعلنها "ثلاث وثلاثون لغة عالمية" تشكل منها ثلاثة وثلاثين درجة للإيمان، أو بمعنى آخر، فأثناء سفر الرحالة عبر العالم والاستفسار عن كل حقائقه ومعرفة شهادتها على الوجود والوحدانية اكتسب إيمانه الشمولية والقوة بكل درجاتها، وانتقل من "الإيمان التقليدي" إلى "الإيمان اليقيني" وأكثر من ذلك.

يعتبر إعمال القلب والعقل ومخاطبتهما إحدى أهم الميزات الرئيسة في هذه الطريقة الجديدة لتقوية وتجديد الإيمان بالله، بما يعني أن كلا من القدرة العقلية والأحاسيس الداخلية الفطرية قد استخدمت للتثبت من الحقيقة، كما تم تنويرهما عمليا بالمعرفة المكتسبة، ولنلقِ نظرة على دور العقل:

يذكر أنه عندما تعرف النورسي على الأخطار الخارجية التي واجهت القرآن والإسلام مطلع هذا القرن، ورأى المحتويات والمناهج التي عفا عليها الزمن للعديد من العلوم الإسلامية، تعهد بدراسة العلوم الحديثة حين أدرك أن ذلك عنصر هام من عناصر تحديث العلوم الإسلامية، وإذا كان من الضروري أن ندافع عن القرآن والإسلام، فلا بد من إعادة صياغة العلوم الإسلامية بما فيها التفسير على ضوء المعرفة الحديثة، لذلك برع النورسي في علوم الطبيعة حتى أصبحت بالنسبة له "الخطوات التي فهم بها القرآن وأثبت حقائقه."[١٩]

كان هذا المنهج مخالفا للمناهج التي انتهجها من عاصره من " الأتراك الشباب" الذين مثلت المادية العلمية لهم طريق التقدم، وكانوا من المعادين للدين،[٢٠] وحرص سعيد القديم أثناء معاناته من هذه المشكلات على توجيه طاقته لإنشاء مدرسة الزهراء لتدريس العلم والدين معا، ومع ذلك لم يتحقق أمله بالمزج بين الاثنين إلا بعد أن قام سعيد الجديد بكتابة رسائل النور.

لقد تسبب انغماس النورسي أيام شبابه في العلم أن تكونت لديه نظرة عامة للعالم، كأنه آلة أو مصنع يؤدي وظيفته بشكل تام، ويتكون من عناصر

---

(١٩) Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî*, 76

(٢٠) انظر: Hanioğlu, *Young Turks in Opposition*, 21

متراكبة، تعمل بصورة ميكانيكية، مما انعكس بدوره على بعض المجازات التي استخدمها. ورغم تصوره الموافق لهذه الرؤية، فإن تبريراته للعالم المادي كانت قرآنية، كما تم إيضاح ذلك في فصل سابق. كان الإنجاز الذي حققه النورسي خلال تحوله إلى سعيد الجديد هو اكتشافه ثم تطويره للرؤية القرآنية أو أسلوب الربط بين الأشياء والكائنات وبين المعاني التي تعبر عنها. حيث اعتبر النورسي العالم معاني حرفية لاتدل على نفسها بل على غيرها، وهذه النظرة متناقضة تماما مع الرؤية الفلسفية والعلمية؛ حيث تعتبر الكائنات معاني اسمية تشير إلى ذواتها؛ لهذا فإن تصوير النورسي للعالم كان عصريّا وعلميّا من ناحية، وكان الغرض من كتاباته يكمن في الحصول عليها وتقديرها وبسطها باستخدام المنهج القرآني أي: حقائق الإيمان التي يعلمها القرآن. لقد جعل هذا المنهج الأصلي كتاباته متعلقة ومفيدة للأشخاص الذين ينتمون إلى خلفيات وعقليات مختلفة، وسيوضح الجزء القصير التالي من الآية الكبرى هذا الأمر:

"ثم يرجع (السائح) بنظره إلى«الغيث» فيرى أنه مثقل بمنافع بعدد شآبيبه ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته، ويظهر حِكماً بقدر رشحاته، ويرى أن تلك القطرات العذبة اللطيفة المباركة تُخلق في غاية الانتظام وفي منتهى الجمال والبهاء وبخاصة البَرَد الذي يرسل – وينزل حتى صيفاً – بانتظام وميزان، بحيث إن العواصف والرياح العاتية – التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة – لا تخل في موازنة ذلك البَرَد ولا انتظامه، ولا تجعله كُتلاً مضرة جمعاً بين حبّاته!. فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لا يملك شعوراً، يُستخدم في أمثال هذه الأعمال الحكيمة، وبخاصة استخدامه في الأحياء والتروية، وهو المركب من مادتين بسيطتين جامدتين خاليتين من الشعور؛ هما مولد الماء ومولد الحموضة – الهيدروجين والأوكسجين – إلاّ أنه يُستخدم في مئات الآلاف من الخدمات والصنائع المختلفة المشحونة بالحكمة والشعور. فهذا الغيث إذن ما هو إلاّ رحمةٌ متجسمة بعينها، ولا يتمّ صنعه إلاّ في خزينة الغيب لرحمة «الرحمن الرحيم»، وهو بنزوله وانصبابه على الأرض يفسّر عملياً وبوضوح الآية الكريمة: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) (الشورى:٢٨)".[٢١]

(٢١) النورسي، الشعاعات، ص ١٤٤

يبدو واضحا مما سبق أن أحد عناصر رسائل النور يتعلق بالعقل، وهو التفكر؛ فقد كتب النورسي في إحدى رسائله إلى طلابه أنه حاول البحث عن المعنى الحقيقي لحديث "تفكر ساعة خير من عبادة مائة عام"،[٢٢] بسبب انتهاجه منهج التفكر في المرحلة التي تحول فيها سعيد القديم إلى سعيد الجديد، ثم وجد تفسيره بعد عشرين عاما عندما تم إخراج الشكل النهائي من أجزاء "الآية الكبرى" باللغة العربية التي تتضمن "الجوشن الكبير" ومختصر "الآية الكبرى" والذي يسمى "خلاصة الخلاصة."[٢٣] يستلزم هذا التفكر أن يتأمل الإنسان كل كائنات هذا الكون كما يفعل المسافر في "الآية الكبرى"، وقراءة ما يجري على ألسنتهم التي تعبر عن وحدة الخالق وتشير إلى أسماء الله وصفاته، وقد وصف النورسي كيف ينير هذا التفكر الكون كله، وذلك بإظهار عدم منطقية هذه الاعتقادات التي تقوم على الطبيعة والتي بنيت عليها الفلسفة المادية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن هذا التفكر يثمر نوعا من الإيمان يفضي إلى حالة من الوعي التام بالحضور الكامل لله في أرجاء الكون ويؤدي إلى العبادة الشاملة.

"يتضمن الحزب النوري معنى "تفكر ساعة"، ومعنى العبادة الشاملة؛ حيث إنني قرأت يوماً "الجوشن الكبير" و "الحزب النوري" فرأيت الجوشن الكبير ورسائل النور والحزب النوري تضيء الكائنات بأسرها، مفرقة الظلمات، ممزقة الغفلات مهتكة الحجب التي يتستر بها أهل الغفلة وأرباب الضلال. ومحلّجة الكائنات بأنواعها كالقطن وممشطة إياها تمشيطاً.. وشاهدت أنها تظهر أنوار التوحيد وراء آخر واسمك ستائر الكائنات التي يتخفى وراءها أرباب الضلالة، ويغرقون في خضم ظلامها، وتظهر كذلك آخر وأوسع نقاط استناد ومدار غفلة أرباب العلوم (الطبيعية) كعلماء قوزموغرافيا مثلاً. وهناك أيضاً تتعقب أعداءها، تدك ابعد قلاعها وتدل على طريق الحضور في كل مكان. ولو فرّ أحد الأعداء إلى الشمس لقالت له: إنها موقد، إنها سراج. من الذي يعطيها الحطب والزيت؟ وتضرب على رأسه قائلة: اعلم وتنبّه!

(٢٢) النورسي، اللمعات، ص ٤٥٦، العجلوني، كشف الخفاء، ١٤٣/١، والغزالي، إحياء علوم الدين، ٤٠٩/٤، والهيثمي، مجمع الزوائد، ٧٨/١.
(٢٣) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ٢٨٤

كما تظهر – أي هذه الثلاثة – أن الكائنات كالمرايا من أولها إلى آخرها مظاهر لتجليات الأسماء. حتى لا يبقى مجال للغفلة. ولا يكون هناك أي مانع في سبيل الحضور. ولقد رأيتها – لا كما يفعله أهل الطريقة والحقيقة من نفيهم للكائنات أو نسيانها وعدم التفكر فيها لمجرد الحصول على الحضور الدائمي – وإنما رأيتها تكسب مرتبة حضور واطمئنان في وسع الكون، ودائرة عبودية واسعة وكلية في وسع الكائنات.. فاقتنعت بصورة قطعية بأن حقيقة (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) تمكّن في الحزب النوري".[٢٤]

كان النورسي في كثير من الأحيان يقارن بين رسائل النور والصوفية عندما يتحدث عن طريقة الرسائل كما رأينا في الفقرة السابقة، يذكر أن الاتهام بمحاولة تأسيس طريقة جديدة قد وجه للنورسي في محكمة "اسكي شهر"، كما كانت هذه هي الطريقة التي اعتادها كثير من طلابه، وتوضح مقارنة النورسي الفارق بينهما، حيث تعتمد رسائل النور على الملاحظة والتفكر في كائنات العالم المنظور، ولذلك فطريق معرفة الله الخالق تكمن حينئذ في "قراءة كتاب الكون"، وكما يرى النورسي، فإن الطرق الصوفية الكبرى إما تنكرت للكون الملموس أو أهملته تماما، بمعنى آخر "أنها ألقت به في عالم النسيان"؛ ذلك لأن الترقي أو المعراج الصوفي إلى الله هو رحلة داخلية عبر إحياء وكشف الملكات الشخصية الداخلية وخاصة القلب،[٢٥] وهذا النوع من المعرفة بديهي ونيّر.

أما رسائل النور فتخاطب العقل والقلب معا؛ حيث تُعمل المنطق والحجة العقلية والبراهين مع استخدامها الحقائق العلمية، والعالم المادي كما سبق، ولا تتجاهل مخاطبة العقلية الحديثة، وما يعتريها من شكوك، مقنعة إياها بضرورة الحقائق القرآنية، ورغم ذلك فكما كتب النورسي:

" إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر

(٢٤) مقدمة رسالة التفكر الإيماني الرفيع، دار سوزلر، القاهرة.
(٢٥) انظر: النورسي، المكتوبات، ص ٥٧١ وما يليها.

الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة...[٢٦]

لقد رأى النورسي أن "الآية الكبرى" بأجزائها الثلاث والثلاثين تثبت الوجود والوحدانية، بينما ينير الحزب النوري القلب وكل الملكات الداخلية؛ حيث كتب النورسي أنه كلما قرأها: "انبسطت وتوسعت وسطعت براهين التوحيد فيها - كما في الآية الكبرى - وزادت معانيها وأورثت انشراحاً عظيماً لروحي وقلبي وفكري، بحيث كلما قرأت ذلك "الحزب الأكبر" متفكراً ومتأملاً - أثناء التعب والسأم - شعرت بذوق لطيف وشوق عظيم".[٢٧]

مجدد الدين

كان لنجاح النورسي ورسائل النور في إحياء العقيدة وتجديدها في القرن العشرين إبّان فترةٍ كان من الظاهر فيها أن الإيمان قد فقد صلته بالحياة، وتعرض لاعتداءات غير مسبوقة - أن اعترف كثيرون بما تمتع به النورسي ورسائل النور من استيفاء لشروط مجدد الدين،[٢٨] التي أنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها)[٢٩] وليس هذا اللقب بمقصور على طلاب النورسي، فإن العلماء الراسخين وفقهاء الدين لم يترددوا في الجهر بالدفاع عن النورسي والثناء على رسائل النور، وجدير بالذكر أن ننوه بثلاثة منهم، الأول منهم عالم شهير من علماء استانبول، كان يشغل منصب رئيس لجنة الفتوى وهو السيد أمين الفتوى علي رضا أفندي، فلقد اشتهر عنه قوله عقب قراءته الآية الكبرى والكلمة الخامسة والعشرين عن إعجاز القرآن والأجزاء الأخرى من رسائل النور:

"لقد خدم بديع الزمان الدين الإسلامي اعظم خدمة في هذا الزمان، وان مؤلفاته صائبة جداً، ولم يتيسر لأحد إخراج أثر كهذا في مثل هذا الزمان الجدب،

---

(٢٦) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٠٥ .

(٢٧) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني ص ١٠٤ .

(٢٨) أكد هذا Algar في مقاله The Centennial Renewer, 291-311

(٢٩) أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، والبيهقي في شعب الإيمان.

إذ ترك الدنيا ونبذها. وهو قمين بالتهنئة والتبريك بكل الوجوه. وان رسائل النور مجددة للدين. نسأله تعالى أن يوفقه للخير. آمين".(٣٠)

ومن هؤلاء أيضا السيد "حسن صاري قايا" الذي كان يعرف بالحافظ ذي الصوت الذهبي؛ حيث كان يؤم السلطان عبد الحميد الثاني في صلاة الفجر بقصر "يلدز" قبل خلع السلطان، وعرف النورسي في تلك الآونة، وفي أعقاب قيام الجمهورية وإغلاق المدارس الدينية، أصر على تدريس علوم الدين والقرآن، فتتلمذ على يديه المئات من الطلاب، وقال لابنه: "بديع الزمان هو الإمام مجدد الدين في هذا القرن وليس مجرد عالم فحسب، فلكل قرن مجدد، وهو مجدد هذا القرن."(٣١)

أما ثالث هؤلاء فهو مفتي "قهرمان مرعش" الحافظ علي أفندي". يقول "مصطفى رمضان أوغلو"، أحد طلاب النورسي في الخمسينات: "لم يظهر عمل كهذا في القرنين الأخيرين، ولا يبدو أن عملا مثيلا له سيظهر في المستقبل ثانية، ولا ريب عندي أنه مجدد القرن"،(٣٢) ونقل أن رسالة النورسي كمجدد قد كان لها نبوءات في عام مولده، ولم تأت تلك النبوءات من أحد العوام من مواطنيه الشرقيين بل من الشيخ "بشقالي زاده عثمان خالدي"،(٣٣) أحد كبار مشايخ الطريقة النقشبندية بمنطقة "إسبارطة"، فلقد أخبر الشيخ عام موته، ١٢٩٣ (الموافق ١٨٧٦ أو ١٨٧٧) وربما كان هذا في العام السابق على موته قائلا: "سيخرج المجدد الذي يُحْيي الإيمان بالله، ولقد ولد هذا العام." وأضاف أن أحد أولاده الأربعة سيحظى بشرف رؤيته، والواقع أنه بعد ما يقرب من خمسين عاما نُفي النورسي إلى ولاية "إسبارطة"، فكان أن التقى أصغر أولاده أحمد أفندي بالنورسي، وهناك كتب النورسي الجزء الأكبر من رسائل النور ومن هناك انتشرت رسائل النور.(٣٤)

---

(٣٠) النورسي، الملاحق، ملحق قسطموني ص ١٩٨.

(٣١) حاجي حسن صاري قايا في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:189-190

(٣٢) مصطفى رمضان أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:189-190

(٣٣) Algar, H, *The Centennial Renewer*,303

(٣٤) .Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî,* 63-64

جبة مولانا خالد البغدادي

أحضرت السيدة "آسيا هانم" زوجة مأمور سجن "قسطموني" جُبَّة عمرها مائة عام لتعطيها للنورسي، وكان هذا في سنة ١٩٤٠ تقريبا، ولما كانت على علم بأنه لن يقبلها على سبيل الهدية فقد استشارت "محمد فيضي"، وقررا أن يعطياها له على سبيل "الأمانة"، ومع ذلك فقد قبلها النورسي كما يتقبل خالص ملكه. كانت السيدة "آسيا هانم" قد ورثت هذه الجبة من أبيها الذي ورثها بدوره من أبيه الشيخ "محمد بن عبد الله الخالدي"، المعروف باسم "كوجوك عاشق"، وكان من "أفيون قارا حصار" ثم رحل إلى بغداد في مقتبل عمره لطلب العلم على يد مؤسس الطريقة النقشبندية مولانا "خالد البغدادي".[٣٥]

عندما أتم الدراسة أرسله أستاذه إلى الأناضول وأعطاه الجبة علامة على استخلافه له، ثم رحل "كوجوك عاشق" إلى مصر حيث توفي عام ١٨٨٤، واحتفظت أسرته بالجبة حتى إنهم عندما أرغموا على مغادرة موطنهم في "أفيون" هربا من الغزو اليوناني أثناء حرب الاستقلال، كانت الجبة أول ما احتملوه معهم، ثم تزوجت "آسيا هانم" مسئولا يدعى "طاهر بك"، وفي أعقاب إرساله إلى "قسطموني" كمأمور للسجن، تعرفت "آسيا هانم" على النورسي وأدركت أن الجبة التي طالما احتفظوا بها وأحاطوها جل عنايتهم طوال هذه السنين قد آن لها أن تعرف صاحبها الحقيقي فأعطتها للنورسي.[٣٦] ويذكر النورسي في رسالةٍ له أنه عندما أنهى دراسته كان صغيرا للغاية حتى إنه لم يرتدي جبة العلماء وعمامتهم، والآن بعد مرور ست وخمسين عاما أرسل إليه مولانا خالد بجبته عبر مائة عام من الزمان.[٣٧]

لقد كان مولانا خالد، أشهر علماء الطريقة النقشبندية الصوفية المؤثرين بعد الشيخ "أحمد السرهندي" المعروف بالإمام الرباني، وقد مر ذكر الصلة الروحية التي جمعت النورسي به في عدة مواطن، وحيث كان مولودا بعد

---

(٣٥) انظر لمولانا خالد: Hourani, *Shaikh Khalid and the Naqshbandi Order89-103*؛ Algar, H. The Centennial Renewer302-304

(٣٦) انظر: Şahiner, *Son Şahitler*, 1:17-21; 3:79-80; Şahiner, *Nurs Yolu,* 111-13

(٣٧) انظر: النورسي، الملاحق، ملحق قسطموني ص١٤٠.

"السرهندي"، المعروف بمجدد الألف الثاني بما يقرب من مائة عام أو نحوها، فقد أقر كثيرون بأن مولانا خالد هو المجدد للقرن الثاني،[٣٨] فقد كانت الحركة التي بدأها واحدة من حركات التجديد وأضحى لها أثر كبير في شرق الإمبراطورية العثمانية كما سبق.[٣٩] وقد أشار " الحافظ الشامي"، أحد طلاب النورسي، إلى بعض الموافقات والفروق بين النورسي ومولانا خالد، والتي تظهر أن الجبة قد وجدت صاحبها الحقيقي، وأهمها كما يلي (والتواريخ المذكورة طبقا للتاريخ الرومي).

ولد مولانا خالد عام ١١٩٣، وفي ١٢٢٤ سافر إلى عاصمة الهند "جيهان أباد" حيث التحق بالطريقة النقشبندية وجناحها التجديدي على وجه الخصوص. وفي عام ١٢٣٨، "لفت انتباه السياسيين" فكان عليه المغادرة إلى دمشق، وهو من سلالة عثمان، الخليفة الثالث رضي الله عنه، وكان ألمعيا فقبل بلوغه العشرين أصبح عالم عصره. تتوافق هذه النقاط مع تواريخ حياة النورسي بحيث لا يمكن عزو ذلك للصدفة؛ فلقد ولد النورسي عام ١٢٩٣،[٤٠] وفي ١٣٢٤ سافر إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية، حيث هيأ نفسه للجهاد في سبيل الإسلام، وفي ١٣٣٨ ذهب إلى "أنقرة" وأدرك أنه لن يستطيع العمل مع القادة الجدد فاعتزل إلى "وان". ونتيجة لاشتباهات رجال السياسة التي لا أساس لها أرسل به إلى المنفى، كما أنه أتم دراسته في سن مبكرة؛ حيث كان في الرابعة عشر من عمره وجلس للتعليم. وعندما جاء دور ذكر الفروق، كان

---

(٣٨) هناك تعريف للمجدد وضعه بعض طلاب النورسي، وهو أن أئمة الدين الخادمين له الوارد في الحديث ذكر مجيئهم مع بداية كل قرن ليسوا بأصحاب بدعة، بل أتباع سنة، أي أنهم لا يبتدعون أي شيء من تلقاء أنفسهم، ولا يبتدعون أي فروض جديدة، بل يقومون ويجددون الدين باتباع الأصول وفرائض الدين وسنة النبي محمد ﷺ، فهم يدعون لحقيقة الدين الحق الصحيح، ويمحون ويبطلون ما لا أصل له من الأمور التي اختلطت به، ويدحضون ويقوضون اعتداءات المعتدين عليه، ويقيمون فرائض الله، ويغرسون ويعلنون جلال أوامره وعظمتها، دون إبطال للأصل المكين أو تحريف للروح الأصيل، ويقومون بواجبهم بطرق جديدة للإقناع تلائم أفهام العصر بمناهج وتفاصيل جديدة. انظر: النورسي، الشعاعات، ص٣٩٨، ٤٩٦

(٣٩) انظر: Bruinessen, *Agha, Shaikh and State,* 223.; Mardin, *Religion and Social Change,* 57-59, 149

(٤٠) يذكر حافظ الشامي هذا التاريخ باعتباره تاريخا هجريا، والحقيقة أن مولد النورسي كان في عام ١٢٩٣ هجرية الموافق ١٨٧٧رومي وفقا لأدق الوثائق.

أهمها أن مولانا خالد مثل القطب والهادي بينما "أنكر النورسي ذاته ووجه جل اهتمامه إلى رسائل النور"، وبينما يؤكد كل منهما على لزوم سنة النبي ﷺ، إلا أن الطريق الذي سلكه مولانا خالد كان طريق الصوفية (علم الطريقة)، بينما كان طريق النورسي والذي أملته ظروف عصره المهولة هو طريق العلم (علم الحقيقة)، طريق حقائق الإيمان ونظر للصوفية على أنها في المقام الثالث من حيث الأهمية.(٤١)

مزيد بيان عن دور رسائل النور
ونصيحة النورسي لطلابه في هذا الخصوص

لقد أكد النورسي مرارا أثناء بيانه دور رسائل النور وواجبها في رسائله لطلابه على أن هذه الرسائل معنية بأمر العقيدة وتجديدها وإنقاذها، ونصح طلابه أن يهبوا كل همتهم لقضايا الإيمان في ظل ظروف العصر، وألا ينشغلوا بالسياسة والأمور الاجتماعية والدنيوية، وشمل هذا الحرب العالمية التي كانت سببا في تمزق أوصال الدولة رغم أن تركيا لم تشترك فيها. وكان لهذا المنحى أسباب عديدة ظهرت في ثنايا الرسائل كالولاء المطلق والضرر بخدمة الدين جراء التحزب السياسي، ومثل هذه المواقف ربما أملته الظروف السياسية للعصر واضطهاد النظام لأولئك الذين يعملون جهرا في سبيل قضية الإسلام، مع أنه عند ذكر بعض هذه النقاط ظهر سبب رئيسي آخر كان وراء إصرار النورسي وتأكيده على طلابه أن يظلوا بمنأى عن السياسة، وأن يعملوا لخدمة العقيدة فحسب، هذا فيما يتعلق بدور رسائل النور كمجددة للدين كما رأى النورسي ذلك بعين المستقبل.

يمكننا أن ندرك من رسائل النور أن النورسي كان مشغولا في هذه السنوات بقضية آخر الزمان، ولذا فقد ربط بين الحرب والأحداث المهولة التي شهدها القرن وبين علامات الساعة التي نبأ بها النبي ﷺ، فوضع رسائل النور ومهمتها وفقا لهذا المنظور، يتضح هذا خصوصا من ردوده على الأسئلة

---

(٤١) Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî*, 14-16

الموجهة إليه بشأن المهدي والذي يشيع في المعتقد الشعبي أنه سيظهر في ذلك الحين، والرسالة التالية تضفي مزيدا من الإيضاح عن هذا، فقد كتبها عدد من طلاب النور إلى أحد المعلمين ممن كتبوا إلى النورسي يسألونه عن هذا الشأن:

"يقول أستاذنا: نعم! إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية.

ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث. لذا تبقى دوائر «الشريعة» و"الحياة الاجتماعية والسياسية" في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان.

هذا وان الأهمية البالغة التي وردت في الحديث الشريف حول تجديد الدين، إنما هي باعتبار التجديد في الحقائق الإيمانية، ولكن نظراً لان أفكار عامة الناس، والذين حصروا همهم في الحياة الدنيا تتوجه أول ما تتوجه إلى الحياة الاجتماعية الإسلامية والسياسة الدينية التي تبدو اكثر أهمية من غيرها وأوسع واعظم مدى، لما لها من جاذبية وهيبة في السلطة والحكم، فترى أن هؤلاء ينظرون بتلك العدسة ومن تلك الزاوية إلى الأمور ويفسرونها في ضوئها.

ثم انه يبدو بعيداً جداً، بل يكاد يكون غير ممكن اجتماع هذه الوظائف الثلاث كلها في شخص واحد، أو في جماعة واحدة، في هذا العصر، وعلى الوجه الأكمل، ومن دون أن تعيق إحداها الأخرى. بل قد لا تجتمع أصلا تلك الوظائف إلا في "السيد المهدي" الذي يمثل الجماعة النوارنية لآل البيت النبوي في آخر الزمان، وفي الشخص المعنوي لجماعته. فللّه الحمد بما لا يتناهى من الحمد؛ إن دفع الشخص المعنوي لطلاب رسائل النور وحقيقتها - في هذا العصر - لأداء وظيفة التجديد من حيث المحافظة على الحقائق الإيمانية".[٤٢]

وفي معرض تأكيده على الأهمية البالغة للعقيدة وتقويتها، كتب النورسي في خطاب آخر يقول بأنه لا يمكن الشروع في تغيير كل هذه الأمور في وقتنا الحالي على الفور، ولذا فحتى لو قُدر للمهدي أن يخرج في هذا العصر فسوف تنصب همته على قضية العقيدة:

---

(٤٢) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٩٦،١٤٩.

"في هذا العصر تيارات قوية ومسيطرة إلى درجة تستحوذ على كل شيء، وتستولي عليه، و تمتلكه لنفسها، وتسخره لأجلها، فلو أتى ذلك الذي يُنتظر مجيئه حقا في هذا العصر، فإنني أرى انه يغيّر هدفه، ويجرّد نفسه من الأجواء والأحوال الدائرة في عالم السياسة، حفاظاً على أعماله من أن تغتصبها تلك التيارات". (٤٣)

عمل النورسي وفقا لهذا المنظور، فقام بتأسيس الدور الأساسي لرسائل النور في تجديد العقيدة وتقويتها، وسار واضعا هذا نُصب عينه ليرشد طلابه لخدمة هذا الواجب، وإتماما لهذا نذكر نماذج من الرسائل التي توضح بعض النقاط الرئيسة التي أبانها النورسي في نصيحته لطلابه بشأن هذه الخدمة، ثم نأتي بنماذج أخرى لتحذير النورسي لطلابه حتى يحتاطوا ويتوخوا الحذر في مواجهة المكائد والمؤامرات المدبرة ضدهم من أعدائهم الكثيرين، وأخيرا هناك نماذج لرسائل أخرى تأخذ بيدهم إلى الإخلاص الكامل في أداء عملهم وضرب نموذجٍ للإيثار أمام زملائهم من طلاب رسائل النور؛ حتى يمكن ظهور "الشخصية الجماعية" اللازمة لأداء رسائل النور لمهامها الفريدة، وهذا الوعي بالشخصية المشتركة والمتحدة يمثل واحدة من العلامات المميزة لرسائل النور وطلابها، بل إن النورسي نفسه قد ضرب أروع الأمثلة في إخلاصه وإيثاره الكاملين، ودائما ما كان يضع هذه الشخصية الجماعية نصب عينيه.

هجر الحياة السياسية

لقد رأى النورسي العالم المعاصر وقد استأثر بروح الإنسان وانحط بها في دركات الحياة الدنيوية، فأشار إلى أن سبيل النجاة من هذا يكمن في اتباع تعاليم رسائل النور، وأحد مظاهر هذا هو الحياة والعيش فيها، وكتب النورسي أن الحاجات الكمالية والإسراف والطمع قد اجتذبت واستأثرت بحياة "الضالين"، ولذا فإن أي منفعة دنيوية ضئيلة لها الأولوية عندهم على أعظم أمور الدين.

لعبت رسائل النور دور "موزع لأدوية القرآن الشافية"، "فكانت قادرة على صد هذا الداء الغريب في هذا العصر الغريب" و"تمتع طلابها المخلَصون

---

(٤٣) المرجع السابق ص١٣٥-١٣٦.

الراسخون الثابتون الأوفياء المتفانون الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل هذا الأمر بالقدرة على المقاومة"، كما أن العالم المعاصر قد ابتلى الناس بعدوى الفضول الجامد في "لعبة شطرنج" السياسة والدبلوماسية، وكان من أسوأ نتائجها وأشدها ضررا تمزيق المجتمع تبعا للتوجهات السياسية.

"بينما ينبغي أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبقه في هذا الزمان وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور اجلّ وظيفة وموضع اهتمام ولهفة ومقصودة بالذات، إلاّ أن أحوال العالم الحاضرة ولاسيما الحياة الدنيوية ولاسيما الحياة الاجتماعية والحياة السياسية خاصة وأخبار الحرب العالمية بالأخص - التي هي تجل من تجليات غضب الله النازل عقاباً لضلالة المدنية الحاضرة وسفاهتها - والتي تستميل الناس إلى جانبها وتهيج الأعصاب والعروق حتى تدخل إلى باطن القلب، بل حتى مكّنت فيه الرغبات الفاسدة المضرة بدلاً من الحقائق الإيمانية الرفيعة النافعة". (٤٤)

واستطرد النورسي بقوله إن العصر الحالي قد زرع هذه الرذائل حتى أضحت مصدرا للاختلاف والفُرقة حتى بين المتدينين، فعلى سبيل المثال يصرف بعض علماء الدين قليلا من الأهمية لأمور العقيدة وتأتي عندهم في درجة ثانية أو ثانوية بسبب الأمور السياسية والاجتماعية، بل ويوالون أعداء الدين ممن يشاركونهم الرؤية ذاتها بينما يعادون أتباع الطرق الصوفية ممن يعارضون وجهتهم. ومن ثم فقد رفض النورسي الأحداث الجارية برمتها "في وجه هذا الخطر المخيف للعصر الحاضر"، وحث طلابه ألا يسمحوا للعبة الطغاة أن تجتذبهم من واجبهم المقدس، وألا يسمحوا لهم بإفساد عقولهم".(٤٥)

كانت السمة السائدة في كثير من هذه الرسائل هي الحث والتحفيز، وأشار النورسي مرارا إلى المنافع العظمى التي تتمتع بها رسائل النور في تقديمها للطريقة الجديدة والمباشرة التي فتحتها لتحصيل عقيدة معينة واستحث طلابه أن يثبتوا ويصمدوا في خدمتهم لهذا الواجب، حيث إن حركة النور ما زالت في

(٤٤) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٤٩

(٤٥) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٤٩ .

دور التأسيس ويواجه طلابها معارضة كبيرة من المعلمين وعلماء الدين والصوفية وأتباع الطرق ممن ينظرون إلى الحركة على أنها منافسة لهم، كما يواجه طلاب النور أعداء الدين، وعلى ضوء هذا جاءت إشارة النورسي المتكررة لما رآه النورسي مواقف خاصة من الكرامات الإلهية المرتبطة برسائل النور. وكان العداء لهذا النوع مما يشيع غالبا، ويتم استغلاله من أعداء الدين، ولذلك فقد أوصى النورسي طلابه بأن يكونوا معتدلين ومتسامحين مع أتباع الطرق الأخرى، وأن يردوا على أي نقد أو اعتداء منهم بالحسنى، والأهم ألا يسمحوا للاختلافات السياسية أن تفضي بهم للفرقة ومن ثم يعينون الإلحاد، إذ يجب أداء الواجبات الدينية من وجهة الاتحاد:

" حذار.. حذار.. أيها الاخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية ولاسيما السياسية منها ولاسيما التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة، إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة... فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: "الحب في السياسة والبغض في السياسة" بدلاً من الدستور الرحماني (الحب في الله والبغض في الله) إذ عندها تعادون أخاً لكم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمناً. فحذار حذار من هذا!."[٤٦]

لقد أكد النورسي مرارا على وجوب هجر السياسة؛ إذ يمكن لأصول العقيدة ومبادئ القرآن أن تصير حينئذ أداة للهراء:

" إن الإيمان والشريعة والحياة ثلاث مسائل عظيمة في العالم الإسلامي والإنساني. واعظم هذه الثلاثة هي الحقائق الإيمانية. ولأجل ألاّ تكون هذه الحقائق الإيمانية القرآنية أداة لتيارات أخرى ولقوىً أخرى، وللحيلولة دون التهوين من شأن الحقائق القرآنية التي هي بقيمة الألماس إلى قيمة قطع زجاجية متكسرة، ولأجل الإيفاء بالخدمة المقدسة التي هي إنقاذ الإيمان إيفاءً تاماً ينفر طلاب رسائل النور الخواص الصادقون نفوراً شديداً من السياسة".[٤٧]

(٤٦) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٥٢

(٤٧) المرجع السابق ص ١٦٤.

كتب النورسي عن الحرب العالمية الثانية؛ فأوضح دورها في إثارة النعرة الحزبية، ولذا فعلى طلابه ألا يشغلوا أنفسهم بها؛إذ " كما أن الرضا بالكفر كفر كذلك الرضا بالظلم ظلم. فلاشك أن في هذا الصراع القائم على الكرة الأرضية مظالم ودماراً تبكي من هوله السماوات، إذ تضيع وتفنى حقوق كثير من الأبرياء والمظلومين"، ولا يَجْمُل بأهل القرآن العاكفين على حقائقه شغل أنفسهم بهذه الأحداث دون داع لذلك كما لو كانوا يستحسنون الدمار الذي ينشره الطغاة.(٤٨)

شهدت سنوات الحرب أحوالا اقتصادية بالغة السوء في تركيا، وكانت شديدة الوطأة إبان الثلاثينيات، وكان هناك عجز في كثير من المواد الأساسية،(٤٩) بل كان هناك تراجعا أخلاقيا أثناء سنوات قيام الجمهورية حيث عمل النظام على فرط عقد المجتمع الإسلامي المعقود. انعكست هذه الأحداث المؤلمة في عديد من رسائل النورسي، لقد حاولت السلطات استغلال وطأة الظروف الاقتصادية لصرف الفقراء من الناس أمثال أغلبية طلاب النورسي عن الدين وإبعادهم عنه، وذلك في غمار كفاحهم لتأمين معاشهم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حاولت السلطات زرع بذور الفرقة بين الطلاب لتمزق تضامنهم، ولذلك فقد حذرهم النورسي مرارا بأن يحتاطوا لما يراد بهم، فلا يتزعزعوا في مجابهة هذه الشدة العصبية الغالبة، ولا تتناثر وحدتهم، وحثهم أن يلوذوا "بالاقتصاد والقناعة."(٥٠)

أما فيما يتعلق بالانحطاط الأخلاقي، فقد حث النورسي طلابه أن يتبعوا المفهوم القرآني للتقوى؛ كأساس لجهودهم في مواجهة فساد العصر وتدهوره، وفي رسالة له أشعرها بأنها "مهمة للغاية"، عرف النورسي التقوى بأنها "اتقاء الذنوب والمحرمات" وقرر بأن "الطيبات" هي الأعمال التي توافق أحكام الدين، وهي فعل الصالحات"، وأنه في خضم أزمنة البلاء هذه يتضاعف القليل

(٤٨) انظر: المرجع السابق ص١٧٣.
(٤٩) انظر: Zürcher, *Turkey*, 207-8.
(٥٠) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٤٣.

من الصالحات – على حد قوله - فمن أدى من الناس ما وجب عليه، وتجنب الكبائر فهو ناجٍ إن شاء الله.

قامت رسائل النور بدور المصلح الذي يقاوم الفساد، "فعندما اضطربت حصون القرآن... وبدأت تشيع الفوضى المظلمة بشكل مهول وينتشر عدم التدين، ويفسدان الأخلاق والحياة بصورة شنيعة، في تلك الآونة أضحى للعمل الصالح لطلاب النور نتائج إيجابية كبيرة وإن كان العمل صغيرا، وأنهى النورسي رسالته المشار إليها بإخبار طلابه أن أعظم قواهم تكمن في تقوية بعضهم البعض في مضمار التقوى: "إن أعظم قوانا - بعد الإخلاص - في هذا العصر لمواجهة هذه الأحداث الجسام هو العمل وفق مبدأ المشاركة في أعمال الآخرة، فعلينا أن نسطر بأقلامنا عملا صالحا في كتاب حسنات الآخرين، وأن نقوي حصون التقوى عندهم وندعمها بكلماتنا."[٥١]

إخلاص طلاب النور وشخصيتهم الجماعية

ذكرنا آنفا أن النورسي كان يرى أن أعظم قواهم يكمن في الإخلاص، وفي رسالة أخرى يصف النورسي طريق رسائل النور باعتبارها قائمة على "سر الإخلاص"،[٥٢] فبينما كان في "بارلا" و"إسبارطة" أوضح النورسي هذا الأصل تفصيلا في رسالتين له هما اللمعة العشرين واللمعة الواحدة والعشرين، ثم أشار إليها في رسائل "قسطموني" على سبيل التذكير، فكما أنه من الضروري حصول الإخلاص لتكوين الشخصية الجماعية، فهو أيضا ضروري لمنع الخصوم من استغلال الخلافات بين أتباع الطرق والمذاهب المختلفة.

> "لما كان مسلكنا يستند إلى الإخلاص، ومبنياً على الحقائق الإيمانية فإننا مضطرون - وفق مسلكنا - إلى عدم التدخل في أمور الحياة الاجتماعية والحياة الدنيوية، مالم نضطر إليها. وعلينا التجرد والابتعاد عن تلك الحالات التي تؤدي إلى التنافس والتحيز والتنازع. فأسفاً، وألف أسف، لأهل العلم ولأهل التقوى الضعفاء الذين يتعرضون - في الوقت الحاضر - إلى هجوم ثعابين مرعبة، ثم

---

(٥١) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص١٤٠ و١٧١

(٥٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٣٠

يتحججون بهفوات جزئية شبيهة بلسع البعوض، فيعاونون بانتقاد بعضهم البعض تلك الثعابين الماردة، ويمدّون المنافقين الزنادقة بأسباب لتدميرهم وتحطيمهم، بل يساعدونهم في هلاك أنفسهم بأيدي أولئك الخبثاء."[٥٣]

إن سر نجاح رسائل النور في حربها للإلحاد إنما يكمن في هذا الإخلاص:

يرجع الصمود الظافر لرسائل النور في مجابهة كثير من المكذبين المعاندين المخيفين إلى سر الإخلاص؛ حيث لم تتخذ أداة لنفع بل تتجه إلى السعادة الأبدية، ولم تتبع أي مقصد بعيدا عن خدمة العقيدة، ولم يهتم طلاب النور إطلاقا بالتألق الشخصي وعمل الأعاجيب مما يهتم له أتباع الطرق، إنما يعملون وفقا لسر ميراث النبوة، فيعملون على نشر أنوار العقيدة وإنقاذ إيمان أهل الإسلام كما كان صحابة النبي ﷺ الذين كانت لهم الولاية العظمى... ولا يتدخلون في شيء خارج عن واجباتهم كأن ينجحوا في مسعاهم وهو شأن إلهي أو يجعلوا الناس يقبلون أو يطالبون بخدمتهم أو يعملون على سيادتها أو للشهرة والتألق أو الكرامات التي كانوا جديرين بها، إنما كانوا يعملون بإخلاص كامل لا شائبة فيه، قائلين: "علينا أن نؤدي واجبنا وهذا كافٍ."[٥٤]

كان طلاب رسائل النور المخلصين يرون خدمة العقيدة فوق كل شيء، حتى إنهم لو منحوا درجة القطب الروحي لفضلوا خدمة العقيدة عليها بسبب إخلاصهم.[٥٥]

ومن أجل إنماء "الشخصية الجماعية" التي تعد سمة العصر الحديث كان على طلاب رسائل النور أن ينبذوا كل رغبات النفس، فكان عليهم أن يتحولوا من "الأنا" إلى "نحن"، أي ينبذوا الأنانية ويعملوا تحت لواء "الشخصية الجماعية" لرسائل النور.[٥٦]

"إن العصر الحاضر ليس بعصر الأنانية وليس بدرب أولئك الذين يتبعون منهج أهل الحقيقة، بل هو عصر الجماعة، فالشخصية الجماعية الناشئة من المجتمع تحكم ويمكنها البقاء، فإذا كان هناك بركة كبيرة، فإن قوالب ثلج

---

(٥٣) انظر: المرجع السابق ص ٢١٤.
(٥٤) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص٢٢٠.
(٥٥) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٣٣.
(٥٦) انظر: المرجع السابق ص ١٦٣ و ١٩٤ .

الأنانية والشخصية يجب أن تلقى في البركة وتنحل،[٥٧] فإذا كان في العصر الماضي، وهو عصر الفردية، أشخاص عظماء كعبد القادر الجيلاني والإمام الغزالي والشيخ أحمد السرهندي قد بعثوا لهداية المجتمع المسلم وفقا للحكمة الإلهية، فإن الظروف والمشاق التي لم يسبق لها مثيل في عصرنا تستوجب أن تتجشم الشخصية الجماعية هذه الواجبات.[٥٨]

مزيد من الأضواء على حياة النورسي في "قسطموني"

رغم ما ابتلي به النورسي من مضايقات وإزعاج على يد المسئولين ورغم خضوعه للمراقبة الصارمة، فقد كان محل احترام كبيرٍ من جماهير أهل المدينة، واعتاد نفر منهم أن يزوره كلما سُمح لهم بذلك، ويخبرنا أحد طلابه، ويدعى "تحسين آيدن"، أنه كان بين هؤلاء الزائرين رئيس مجلس المدينة كما يخبرنا عن موقف رفض فيه النورسي قبول المال من أجل طلابه، حتى ولو كان مرسله أحد أبطال حرب الاستقلال،[٥٩] فلم يخالف النورسي مبدأ حياته الأصيل؛ وهو عدم قبول المال تحت أي ظرف، رغم أن وضعه في "قسطموني" كان عصيبا في تلك الفترة لدرجة اضطر معها لبيع فراشه حتى يدفع الإيجار،[٦٠] إضافة إلى أن النورسي كان مهتما لمشاكل الآخرين، وكان هناك كثير من الناس ومن السكارى ممن سقطوا في مخالفات قانونية فاستنقذهم، فعلى سبيل المثال كانت هناك أسرة قد تم نفيها من شرقي الأناضول في أعقاب أحد أعمال العصيان، وكان أحد أفرادها صبيا في الثالثة عشر من عمره، وقد اعتاد أن يقضي بعض حاجات النورسي، ولأنه كان طفلا، فكان بإمكانه الدخول والخروج على النورسي دون استجواب، وقد حكى عن هذه الأيام وكيف كان يقوم إلى جانب وظيفته الحيوية في توصيل رسائل النورسي "بتهيئة الظروف" لمن يرغبون في زيارة النورسي بتمريرهم من طرق جانبية لتجنب ملاحظتهم من مركز الشرطة

---

(٥٧) انظر: المرجع السابق ص ١٦٣ و ١٩٤.
(٥٨) انظر: المرجع السابق ص ١٦٣ و ١٩٤.
(٥٩) تحسين أيدن في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:149-51
(٦٠) انظر:النورسي، سيرة ذاتية، ص٣٠٤.استانبول.

المواجه لبيت النورسي، كما يذكر أنه عملا بنصيحة النورسي، استطاعت أسرته الانتقال لبيتٍ كان النورسي في الأصل يخطط للعيش فيه إلا أنه عد غير مناسب لوقوعه بمنطقة منعزلة وساكنة، كان البيت لا يزال خاويا وعاشوا به تسع سنوات دون أن يدفعوا إيجارا له.

لقد ساعد النورسي هذه الأسرة بطرق عديدة؛ ففي إحدى المرات قام أحد جيرانهم بتقديم بلاغ كاذب ضدهم، وكان أمينا متقاعدا بالشرطة يدعى "سليمان"، ولما كانوا غرباء تماما عن المدينة فقد أزعجهم ذلك للغاية، وهرع الصبي إلى النورسي ليوضح له فقام النورسي بإنهاء الأمر على الفور. هذا يوضح ما تمتع به النورسي من سلطان رغم موضعه، كما يبين اهتمامه بالمستضعفين، فنذكر هنا بضعة سطور كما جاءت:

> عندما ذهبت هناك، قابلني الأستاذ على الباب، وعندما أوضحت له الموقف قال لي: "أتفهم أنك منزعج، اذهب وأخبر رئيس الحي "جاريكجي إحسان أفندي" أن يأتيني هنا، فذهبت وأخبرته، فقال إنه سيذهب على الفور بكل سرور، وذهب في الحال فأخبره الأستاذ "اذهب وأخبر سليمان ألا يزعج هؤلاء الناس!" فذهب إحسان أفندي إلى سليمان وقال له ذلك، ومن هناك أتى إلينا وخفف عنا بقوله: "لتهدءوا، فلن يزعجكم أحد، وإذا قام أحد بإزعاجكم، فأنا هنا!" وبتلك الطريقة حلت المشكلة."(٦١)

وكان من الشهير في "قسطموني" قصة إنقاذ النورسي لـ "أراجلي دلي مؤمن"، ولم يكن "دلي مؤمن" قد سمي بما يلائم مسماه، إذ كان أحد الأفظاظ الحمقى من أهل المنطقة ممن اشتهروا بسوء السمعة لقطعه الطريق، وكان يقضي حياته في معاقرة الخمر ولعب القمار، ووصل به الأمر أن قتل بعض الناس، وفي أحد الأيام خرج "جايجي أمين" في الظلمة قبيل الفجر قاصدا بيت النورسي لإشعال موقده، وما إن فتح الباب حتى تبين جسما ينزل على درج الباب فاقترب منه وتفحصه بعينيه فإذا هو "أراجلي دلي مؤمن"، فقال له: "ماذا تبغي هنا؟" أمخمور ثانية، أتدرى على أعتاب من تقف؟ ولكن "دلي مؤمن" كان يعرف أين هو، فبدأ الدفاع عن نفسه، "لقد تبت! فادع لي! واقبلني بين طلابك!

---

(٦١) انظر: نادر بايسل في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:154

صعد "جايجي أمين" وأخبر النورسي، فلم يرده النورسي بل قال: "أجل، يا أخي واستقبل السكير قاطع الطريق إلا أنه من تلك اللحظة انقطع "دلي مؤمن" عن الخمر وتاب من قطع الطريق واقتراف الجرائم، وعاش لاسمه فكان مؤمنا حقا، وهذا نموذج واحد فقط من نماذج كثيرة. "(٦٢)

التمكين لرسائل النور

وفي أثناء هذه السنوات أصبحت رسائل النور متأصلة في المجتمع التركي، وكتب النورسي يقول بأنه على يقين من استمرارها في المستقبل، وكان يشعر باليقين تجاه هذا؛ فالنساء والأطفال قد ردوا بحماس على رسائل النور في منطقتي "إسبارطة" و"قسطموني"، بل وكان هناك من يقرأ رسائل النور من بين طلاب المدارس في "قسطموني"، وقد أشار إلى هذا في عددٍ من رسائله، معبرا عن بالغ سعادته لكتابة أعداد كثيرة لأجزاء رسائل النور على يد الأطفال والنساء والشيوخ، ففي إحدى رسائله كتب يقول:

الإخوة الأعزاء الأوفياء!

أرسلت إلينا نسخ كتبها ما بين خمسين إلى ستين من طلاب رسائل النور الصغار الأبرياء، وقد جمعناها في ثلاثة مجلدات، وننوه بأسماء بعضهم: عمر وله خمسة عشر عاما، بكر وله تسعة أعوام، حسين وله أحد عشر عاما، وتوضح جهودهم الجليلة في هذا الوقت أن رسائل النور تتمتع بجاذبية وشغف وإمتاع تفوق ألوان التسلية والحوافز المختلفة التي يحاولون إغراء الأطفال بها للحضور في المدارس الحديثة، وإن شاء الله، لن يستطيع شيء أن يمحو ذلك، ولسوف تستمر عبر الأجيال.

وكتب في الرسالة نفسها أنهم قد جمعوا أربعين أو خمسين قطعة مما كتبه الشيوخ الأميون الذين تعلموا الكتابة بعد بلوغهم الخمسين، وعلى هذا المنوال كان "عمال الحصاد، والفلاحون، والرعاة، والبدو" فقد خلى جميعهم شأنه الخاص جانبا وعمل لرسائل النور، واستطرد بأن صعوبات التصحيح لكل هذه النسخ تعوضها حقيقة أنه مضطر لقراءتها بتؤدة وحرص كما تعوضها

(٦٢) انظر: دلي مومن اراجلي Şahiner, *Son Şahitler*, 2: 138-139

المتعـة التـي يتلقاهـا عنـدما يـسمع دروس رسـائل النـور مـن "ألـسنتهم البريئـة المخلصة".[٦٣]

وفي رسائل أخرى تحث طلاب النور بلطف وحذق بالغين، يذكر النورسي أنهم قد أعدوا سبعة مجلدات من هذه القطع، وأحد هذه المجلدات يتضمن قطعا كتبها الأطفال، والتي تشرح نماذج لتوافقات الرسائل، كما أن النساء لهن صلة وثيقة برسائل النور، فقد كان يتوقع منذ أمد أن يتعاطفن معها، فقد كتب يقول:

" من المعلوم أن أهم أساس في مسلك رسائل النور هو الشفقة ، وحيث ان السيدات هن معدن الشفقة ومنبعها فقد كنت انتظر منذ مدة أن تفهم ماهية رسائل النور في عالم النساء ، والحمد لله فان السيدات هنا وحوالينا يعملن عملا جادا وبشوق وفعالية اكثر من الرجال ، فاظهرن أنهن حقا أخوات مباركات في قرية ساو. فهذان الأمران الظاهران فال حسن في أن رسائل النور ستسطع وتنور وتفتح قلوب أولئك السيدات معادن الشفقة."[٦٤]

ورغم أن النورسي كتب رسالته حول حكمة اللباس الإسلامي للنساء وهو فـي دار الحكمـة الإسـلامية، وهـي الرسـالة التـي أعـاد تـسميتها باللمعـة الرابعـة والعشرين بينما كان لا يزال في "بارلا"، إلا أنه لم يوافق على استقبال النساء لتعليمهن رسائل النور من حين لآخر إلا خلال هذه السنوات، كما كتب في تلك الفترة بعض أجزاء جمعت بعد ذلك تحت عنوان "مرشد أخوات الآخرة"، ومن المرجح أن تكون هذه الأجزاء قد كونت أساس دروسه للزائرات.[٦٥]

كـان النورسـي أيـضا مهتمـا بالـشباب؛ حيـث إنهـم أكثـر الفئـات عرضـة للأيدلوجيات المادية حيث تتم الدعاية إليها بجنون بينهم، ففي عام ١٩٤٠ أو ١٩٤١، بـدأ بعـض طـلاب المـدارس العليـا يـزورون النورسـي وكـان أحـدهم "عبدالله يكين" الذي أصبح من ذلك الوقت طالبا مخلصا من طلاب النورسي ورسائل النور، وفي السنوات التالية أضحى واحدا من أنشط طلاب النورسي.

---

(٦٣) انظر: النورسي، سيرة ذاتية ص ٢٤٥.

(٦٤) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٣٩

(٦٥) عبد الله يكين في Şahiner, *Son Şahitler* 2:158-160

لقد أصبحت بعض إجابات النورسي على الأسئلة التي وجهها هؤلاء الشباب إليه أساسا لأجزاء مختلفة من رسائل النور، وبفضل هؤلاء الشباب جمع النورسي الأجزاء التي نشرت لاحقا تحت عنوان: مرشد الشباب، ويرجع إليهم الفضل في موافقة النورسي لأول مرة أن تنقل رسائل النور لتكتب بالأبجدية اللاتينية، فأصبحت منذئذ متاحة لجيل الشباب، وكان انطباع بعض شباب المدارس عن النورسي كما يلي:

"في عام ١٩٤٠/١٩٤١ كنت في الصف الثاني من المرحلة الوسطى لمدرسة "قسطموني" العليا، وعندما سمعت الثناء على الأستاذ من صاحب العقار الذي يسكن فيه ومن آخرين ممن زارونا، أثار ذلك الرغبة في أن أذهب إليه وأراه، وكان ما سمعته عنه أنه رجل مهم، لا يقبل الهدايا ولا يستقبل كل قادم، وفي أحد الأيام أثناء فاصل الراحة بالمدرسة ناقشت الموضوع مع قرين لي في الدراسة يسمى رفعت، وعندما أخبرته أن هناك معلما شهيرا هنا جدير بالزيارة، أجابني بقوله: أجل، أعرفه، فبيته مواجه لبيتنا، وهو رجل غاية في الصلاح، فلنذهب سويا، فأنا أزوره بين الحين والحين. ذهبنا معا في وقت مناسب، وطرقنا الباب ففتح، ثم صعدنا الدرج ودخلنا حجرته من الباب الأيمن، فقبل رفعت يديه أولا ثم قبلتهما أنا أيضا، وجلسنا. كان يجلس على منصة عالية كالسرير، وقد التحف بلحاف ينسدل على ركبتيه، ويستند على مؤخرته، ويمسك بكتاب في يده، وقد تدلى شعره على أذنيه، فنظر إلينا من أعلى نظارته وقال محييا: "مرحبا". سأل صديقي عني، فقدمني له على أني زميل دراسة له، فسأل عن اسمي في لطف بالغ، وتحدث إلينا عن الإسلام، وجمال الإيمان بالله، كما تحدث عن الموت والدار الآخرة، وجلسنا ساعة ثم انصرفنا؛ وفي أحد الأيام ذهبت لزيارته، فأدهشني تواضع الأستاذ ودماثته، وكان هذا التواضع مدعاة لتساؤلي عما إذا كان الأستاذ يعلم أي شيء؛ لأنه كان دائما ما ينزل لمستوانا ويتحدث عما نعرف؛ حتى لقد سألت "محمد فيضي أفندي" ذات يوم إذا كان الأستاذ يعرف العربية، فما كان من "فيضي أفندي" إلا أن ضحك.

كانت سمات الأستاذ من التواضع والرحمة والحنو والاهتمام بنا هي ما ربطنا به، ومن وقت لآخر اعتدت أن أصطحب بعض الأصدقاء إليه، ودائما ما كان يعطي إجابات رائعة للأسئلة التي نوجهها إليه، ولم أتخلص من الأفكار السلبية عن الدين والتي أخذتها عن بعض المدرسين في المدرسة إلا عندما زرت الأستاذ، وفي مرة أخرى زرته وقلت: "إن مدرسينا لا يتحدثون إلينا عن الله، فأخبرنا عن الخالق سبحانه وتعالى، فاستفاض الأستاذ في الحديث عن هذا الموضوع ولا أستطيع تذكر

متى دُونت الإجابة عن سؤالنا، واعتاد "محمد فيضي " عند زيارتنا للأستاذ أن يقرأ الآية الكبرى أو الكلمات الصغيرة، وندونها في دفاترنا في الرسائل الجديدة، وفي أحد الأيام ونحن بالمدرسة في حصة الجغرافيا سأل المدرس الفصل: "من ذهب إلى هذا الشيخ الرجعي المدعو بديع الزمان؟ فرفع ستة من الطلاب أيديهم، فسأل لماذا ذهبنا اليه، وقال بأن الأستاذ أحد أعداء الإصلاح ولا يحب "أتاتورك"، وأرسلنا لمجلس التأديب، فسألونا أسئلة متعددة، ونتيجة لذلك فُصلت مع أحد أصدقائنا ويدعى "سعاد" من المدرسة لمدة ستة أيام، بينما تم إنذار الآخرين.

لقد قلنا في أقوالنا التي أدلينا بها أننا ذهبنا إليه لرغبتنا في معرفة ديننا، ولم يقل أحد أي شيء ضد أي فرد، وأننا متدينون ونحب أداء العبادة، وبعد ذلك ببضعة أيام داهمت الشرطة المنزل الذي كنت أسكن فيه وفتشوه بعناية شديدة، وأخذت الشرطة أقوالي، فوصفت ما حدث لي، فقال وكيل النيابة: "هناك مفتي وكثير من الشيوخ"، فلماذا لا تذهبون إليهم؟ فقلت بأنني لا أعرف المفتي. لقد كان سبب زيارتي الأول للأستاذ هو عدم قبوله للهدايا من أحد، ورأيت كيف يعيش، وحقا وصدقا قد كان فقيرا، فكان في إحدى حجرتيه بساط منسوج وبضع سجادات قماشية للصلاة وكانت الأخرى خاوية، وإذا ما أحضر إليه أحد أثرياء المدينة أي شيء كان يرفضه بدماثة ولطف بالِغيْن، فلم يكن يرغب في الإساءة إلى أحد، ولم يكن يأخذ شيئا أو يأكل شيئا دون إعطاء شيء ما يقابله، فلقد عاش كما كان يكتب وكان الشيء الأوحد الذي تحدث عنه هو رسائل النور، وكانت طريقة حياته تمثيلا حيا لما يعلمه".[٦٦]

كذلك لاحظ "عبد الله يكين" جانبا آخر من شخصية النورسي، وهو رفضه المساومة على عقيدته بأي شكل في مجابهة الخطر والطغيان، الأمر الذي كان مصدرا عظيما لإلهام الآخرين وقوتهم في تلك الأيام المظلمة:

"كانت أخلاق الأستاذ فريدة ككلامه، وكان الجميع ينظرون إليه في دهشة من لباسه، وأخلاقه، وتصرفاته التي ما كانت لتماثل أحدا سواه... وإن نسيت لا أنسى خطوات الأستاذ في أيام التعسف حيث كان رجال الشرطة والحرس واجفين، وهو يمشي رابط الجأش واثق الخطى إلى مكتب الوالي مرتديا زيه الذي يلبسه دائما، وقد أحاط به خفر الشرطة، ولا أنسى كيف كان الناظرون يرمقونه بأعينهم في عجب، وقد خيمت الرجفة على الجميع".[٦٧]

---

(٦٦) عبد الله يكين في Şahiner, *Son Şahitler* 2:167

(٦٧) عبد الله يكين في Şahiner, *Son Şahitler* 2:167

أجزاء رسائل النور التي كتبت في "قسطموني"

كتب النورسي منذ حط رحاله بمدينة "قسطموني" في مارس ١٩٣٦ وحتى حوالي عام ١٩٤٠ من الشعاع الثالث إلى التاسع بالكامل،(٦٨) ومن هذه الشعاعات: الشعاع السابع، أي الآية الكبرى التي كتبت في رمضان عام ١٩٣٨ أو ١٩٣٩، وأعقبها مباشرة الشعاع الثامن، وملخص اللمعة التاسعة والعشرين التي كتبت بالعربية؛ الحزب الأكبر النوري(٦٩)، وكان النورسي في هذه الفترة كثير المراسله مع طلابه في "إسبارطة"، كما أنه أعد المسودات النهائية للشعاعين الأول والثاني، وكان قد أعدهما وهو في سجن "اسكي شهر". كما كتب في هذا الوقت بعض طلابه في "إسبارطة" الجزء الثاني من الفهرس، والذي يضم أجزاء اللمعات التالية للمعة الخامسة عشرة.(فاللمعة الخامسة عشرة هي فهارس كليات رسائل النور؛ الكلمات، المكتوبات، واللمعات - إلى اللمعة الرابعة عشرة)(٧٠)، وأعقب ذلك فترة توقف بعد عام ١٩٤٠.

كان الاهتمام في هذه الأثناء منصبا على كتابة أعمال جديدة، حيث انتشرت رسائل النور ومُكِّن لها، فقد جمع النورسي بعض أجزائها معا في شكل مجموعات، وتم نسخ بعض هذه المجموعات بالحروف الجديدة. حدث هذا عام ١٩٤٢ و ١٩٤٣، وكانت إحدى هذه المجموعات من أربعة أجزاء لطلاب المدارس، وكما ذكر "عبد الله يكين" أعلاه أنهم كتبوا أجزاء بالأبجدية اللاتينية الجديدة،(٧١) وهناك مجموعات أخرى ذكر لها عناوين متعددة، وكان بينها ما نشر لاحقا تحت عنوان مرشد الشباب، وهناك مجموعة أخرى تسمى "سكة التصديق الغيبي"، كما ضم النورسي أجزاء أخرى عن البعث بعد الموت لتكون ذيلا للكلمة العاشرة،(٧٢) وفي عام ١٩٤٣ نشر

---

(٦٨) النورسي، سيرة ذاتية ص ٣٢٠.
(٦٩) النورسي، الملاحق ملحق اميرداغ ٢، ص ٢٨٥ .
(٧٠) اللمعات، ص١٥٦.
(٧١) انظر: النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٦٨ .
(٧٢) انظر: Nursi, *Sikke-i Tasdik-i Gaybî*, 292-293

"طاهري موتلو" وهو من قرية "أتابي" الواقعة قرب "إسبارطة"، الآية الكبرى في استانبول، رغم أنه لم يعلم عن رسائل النور إلا عند إقامة النورسي في "قسطموني".

كان من المقدر أن يصبح طاهري واحدا من رواد طلاب النور، ونتيجة لجهوده تم طبع صور ضوئية للنسخ المكتوبة يدويا من حزب القرآن والحزب النوري في تلك الفترة، كما بدأ السعي في عام ١٩٤٣ لطباعة الشعاع الخامس حول الأحاديث التي تنبئ بعلامات الساعة والبعث والمسيح الدجال مما سيظهر قرب الساعة، وتمت المسودة النهائية لهذه الرسالة في عام ١٩٣٨ من مسودة ابتدائية مكونة من عدة أجزاء كتبها النورسي عندما كان عضوا بدار الحكمة، وكتب بعضها عام ١٩٠٨، فكان هذا الشعاع الخامس السبب الرئيسي لاعتقال النورسي وعدد من طلابه في أغسطس ١٩٤٣، والزج بهم ثانية في السجن.

تزايد المضايقات والاعتقالات

تم وضع النورسي وطلابه في "قسطموني"، أما طلاب النور الآخرين فقد تم وضعهم في "إسبارطة" وأماكن أخرى تحت الضغط القوي من السلطات، وتزايدت الضغوط بمرور الوقت، وبلغت ذروتها عند حدوث الاعتقالات واسعة النطاق ومحاكمات "دينزلي" والسجن عام ١٩٤٣-١٩٤٤. وفي مناسبات عديدة سابقة على هذا، تمت مصادرة نسخ من رسائل النور في أعقاب وقوع أعمال التفتيش، كما تم اعتقال الطلاب ثم برئت ساحتهم بعد ذلك، وأعيدت رسائل النور. وقد كان الشعاع الخامس هو ما يُبحث عنه تحديدا، وفي عام ١٩٤٠ ألقي القبض على ما بين ثلاثين إلى خمسين ثم أفرج عنهم، وبنهاية عام ١٩٤١ كانت هناك حادثة أخرى في "إسبارطة" كان المتهم فيها أحد طلاب النور ويدعى "محمد زهدي"، وأعقب ذلك حادثة ثالثة،[٧٣] كما تزايدت الرقابة الصارمة المفروضة على النورسي وتصاعدت الضغوط عليه، وقد انعكست هذه

---

(٧٣) جايجي أمين في Şahiner, *Son Şahitler* , 2:95-102

الأحداث في خطابات النورسي وصاحب ذلك تحذيرات متكررة لطلابه بأن يلزموا أعلى درجات الحيطة والحذر لحماية أنفسهم من المكائد والمؤامرات التي كانت تحاك ضدهم، وقد مر ذكر ذلك، وغرضهم بهذا المبدأ هو كسر تضامن طلاب النور بإبراز الصراع فيما بينهم، وصرف انتباههم وإغرائهم وترويعهم عن أداء خدمتهم لرسائل النور، لقد كان الأمر خطيرا، وكانت خطة مدبرة لإيقاف انتشار رسائل النور.

حدثت سلسلة من الاعتقالات في "إسبارطة" ولم يوضع النورسي نفسه تحت الحراسة، ومع ذلك فإن السلطات قد حاولت حل مشكلتهم بوسائل أكثر غرابة، فحاولوا سمه مرارا، ويقرر "جايجي أمين" أنه من آن لآخر كان النورسي يعاني من فترات إعياء قصيرة نتيجة لمحاولة سمه،[٧٤] كما يصف إحدى المرات أنه زرقت السم في فواكه قد اشتراها النورسي في طريقه إلى الجبال وحده. ويصف محمد فيضي ذلك أيضا، لأنه هو الذي تلقى كلمة من مصدر مجهول وصعد إلى الجبال ووجد النورسي في حالة شبه غيبوبة، وعرف النورسي صاحب المتجر الذي اشترى منه الفاكهة حيث كان يشتري منه بعض الأشياء في أغلب مرات سيره على هذا الطريق. لقد تم إقناع الشقي من قبل بعض العناصر التي كانت تتبع النورسي حيثما ذهب فأعطوه قطعا قد حقنوها بالسم، وشق الجواد الذي كان يمتطيه النورسي طريقه عائدا إلى المدينة عندما تغلب مفعول السم على النورسي، فركب فيضي الجواد وصعد به إلى الجبل وأحضر النورسي على ظهره ثانية، واعتل النورسي لبعض الوقت في أعقاب ذلك.

في مطلع ١٩٤٣، تم اعتقال أحد طلاب النور النشطين في منطقة "دينزلي" مع عددٍ من الطلاب الآخرين، وكان قد تم الإبلاغ عنه من قبل المفتي المحلي، ونتيجة لذلك وقعت عمليات تفتيش مكثفة في المنطقة وصودرت نسخ رسائل النور المكتوبة بخط اليد[٧٥]، وكما حدث من قبل في "اسكي شهر" فقد تلقفت

---

(٧٤) جايجي أمين في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:100

(٧٥) انظر: اللمعات، ص ٤٠٤.

"أنقرة" الأمر وأحدثت ضجة كبيرة تفوق كل حد له، حتى لقد اهتم لهذا الأمر بشكل مباشر الرئيس "عصمت أينونو" ورئيس الوزراء "شكري سراج أوغلو" ووزير التعليم "حسن علي يوجل"، وصدرت التعليمات إلى "إسبارطة" و"قسطموني" على وجه الخصوص، وتم البحث عن جياد طلاب كثيرين من طلاب النور، ثم بدأت الاعتقالات في "إسبارطة".

اعتقال النورسي

تم تفتيش بيت النورسي في "قسطموني" ثلاث مرات متتالية، إلا أن الشرطة عجزت عن العثور على ما يبحثون عنه، وهو الشعاع الخامس، وعملوا على التخلص من النورسي، ونجحوا في وضع السم له مرة أخرى، وتحقق من ذلك أحد الأطباء. وفي الوقت الذي ساءت فيه حالة مرضه من جراء آثار السم، وزادت درجة حرارته على الأربعين، تم تفتيش بيته مرة ثانية، ووافق ذلك غرة رمضان الموافق الثاني من سبتمبر عام ١٩٤٣، بعدها قاموا بتفتيش منزله للمرة الثالثة وكانت أشدها ضراوة، وكان يقود تلك العملية عدد من كبار رجال الشرطة والمسئولين،[٧٦] وفي هذه المرة وجدوا أجزاء من رسائل النور مخفية في صندوق تحت أكوام من الحطب والفحم، وكان بينها الشعاع الخامس والمجموعة المسماة "سكة التصديق الغيبي"،[٧٧] ورسالة عن الزي الإسلامي للمرأة، والتي كانت ذريعة لإدانة النورسي في محكمة "اسكي شهر"، ورسالة أخرى تسمى "الهجمات الست،[٧٨] وتم اعتقال النورسي واحتجازه بمركز شرطة "قسطموني" لأسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وفي ربيع هذه السنة، كانت المخاوف تساور النورسي أنه لن يظل كثيرا في "قسطموني"، وقد أخبر بهذا التلميذ "عبد الله يكين" أحد طلاب المدارس قبل أن يبدأ في إجازة الصيف الطويلة، وعندما عاد "عبد الله يكين" رأى أن النورسي قد رحلته الشرطة، ووصف ذلك كما يلي:

---

(٧٦) انظر: النورسي، ملحق قسطموني، ص ٢٠٣ و ٢٠٤

(٧٧) انظر: النورسي، اللمعات، ص٤٠٤.

(٧٨) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 6th ed., 335-36 :انظر *Risale-i Nur Külliyatl Müellifi,* 358

كنا في ربيع ١٩٤٣، وكانت إجازة الصيف المدرسية على الأبواب، وذهبنا لزيارته، ولن أنسى أبدا ما قاله لنا بعد أن تحدث إلينا طويلا عن قضايا العقيدة والأخلاق: "إخواني، منذ أمد بعيد، لم أُقم أكثر من ثماني سنوات بمكان واحد، وقد مر الآن ثماني سنوات منذ أن أتيت إلى هنا، ولذا ففي هذه السنة سأموت أو أنتقل إلى مكان آخر. قد لا نتقابل ثانية، سيأتي يوم يكون فيه لرسائل النور طلاب في كل مكان، فلا يتفرق أحدكم عن الآخر ولا تتركوا رسائل النور."

"كنت في قلق شديد من كلامه بهذه الطريقة، وعندما لاحظ ذلك قال: "دع عنك القلق، فسوف نلتقي ثانية إن شاء الله." مرت ثلاثة أشهر، وانقضت الأجازة، وعدنا من أراج إلى "قسطموني"، وأردت أن أذهب وأزوره، إلا أنه حذر "جايجي أمين" قائلا: "إنهم يتتبعونني؛ فلا تدع أحدا يأتني"، ولذا لم نستطع زيارته، وفي أحد الأيام كنا في ملعب المدرسة العليا بـ "قسطموني" أثناء فاصل الاستراحة، وكانوا يقلونه على عربة خفيفة عبر الشارع، وكان معه سلة وإبريق للشاي، وجرة، وبضعة أمتعة أخرى، ثم توقفت العربة وخرجوا منها، وكان يرافقه حارس برتبة رقيب، وقليل من رجال الشرطة، وتجمع الناس حوله، وكان يرتدي عمامته السوداء وجبة طويلة، وكانت سوداء أيضا، وكان من المحال الخروج بهذه الملابس في هذا الوقت، ناهيك عن كون ذلك في صحبة الشرطة.

رآني الآخرون وأنا أرمقه فنادوني "صاحب بديع الزمان" ثم دق الجرس وذهبنا للفصل، ولا أدري كم مر من الأيام بعد ذلك، حتى كانت إحدى الليالي وقد أوشك الليل أن ينتصف، وعندئذ اهتز بيتنا وبدا زلزال، واستمرت الهزات لما يقرب من أسبوعين، وقال الناس: "إن الشيخ رجل صالح، لقد أساءوا معاملته وبهتوه، لذلك حدثت الزلازل".[٧٩]

ويصف "نادر بايسال" الذي سبق ذكر بعض مذكراته سابقا حالة الخوف التي خيمت على المدينة بعد اعتقال النورسي، ويقول بأن النورسي لم يحتجز في السجن ولكن حجز في بيته:

"في رمضان ١٩٤٣، كنت في طريقي إلى بيت الأستاذ عندما رأيتهم في سوق صناع الأحذية، وقد أخذوا الأستاذ في عربة إلى المحكمة، وما زالت عمامته على رأسه، وتم اعتقال "جايجي أمين" و"محمد فيضي" واثنين وعشرين آخرين معهم لما يقرب من أسبوعين في السجن، ولم يمكث الأستاذ هناك، ولكن أرسل ثانية إلى

(٧٩) Şahiner, *Bilinmeyen* 343-345

منزله تحت رقابة الشرطة، وبعد مرور أسبوعين نقلوا الجميع إلى "دنزلي"، وخيمت حالة من الرعب على المدينة وكان الأمر كما لو أن كل من فعل شيئا للأستاذ قد ارتكب جريمة ما، لم يجرءوا على مغادرة منازلهم".(٨٠)

قسطموني - أنقرة - إسبارطة

في ليلة القدر، وهي ليلة ٢٥-٢٦ من رمضان، وكانت توافق ٢٧ سبتمبر تقريبا، أخذ النورسي من مركز الشرطة المواجه لبيته في "قسطموني"، ووضع في الحافلة متجها إلى "أنقرة"، على بعد ٢٧١ كيلومتر إلى الجنوب، ونقل عنه قوله للشرطة هناك: "أخبروا مدحت (والي "قسطموني") أن يرسل مرافعاتي بالابجديات القديمة والجديدة في أعقابي!(٨١) وهذا كما نقل "صلاح الدين شلبي" يشير إلى دفاع النورسي في محكمة "اسكي شهر" والذي أعطاه للمسئولين والشرطة عندما كانوا يفتشون بيته. وكان في الحافلة أحد المسئولين من "أنيبولي" ويدعى "ضياء ديلك"، وقد ألقي عليه القبض هو الآخر بعد ذلك وأرسل إلى سجن "دينزلي"، وكانت روايته للرحلة كما يلي:

صعدت الحافلة ذاهبا إلى عملي في "إلجاز"، إلا إن الشرطة والحراس أوقفوني في منطقة "ألوكباشي" (حيث مركز الشرطة) وكان هناك موضع يتسع لثلاثة نفر في المؤخرة، فوضعوا الشيخ بديع الزمان أفندي هناك، وعندما انطلقت الحافلة شعر بعدم الارتياح، كان في السبعين من عمره وكان عليلا، وقال: "منذ عدوني سجينا سياسيا، كان من الواجب أن أرسل بسيارة خاصة" فنهض الجندي الجالس بجواري وعرض عليه مقعده، وتبادلا الأماكن. كنت مرعوبا ولم أستطع فعل أي شيء لمساعدته، وعندما جلس إلى جواري، سألني عن اسمي، وعندما أخبرته أن اسمي "ضياء ديلك"، قال لي: "هل أنت ضياؤنا؟ هل أتيت لتودعني نيابة عن أهل "قسطموني"؟" ثم التفت إلى صفوت، الشرطي الذي يجلس خلفي، وهو الذي أحضره، وقال: "صفوت، أين كنت أتلو من القرآن الكريم عند مداهمتكم لبيتي؟" وطلب قطعة من الورق، وكتبت له الآية: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور: ٤٨)، ثم قال: ألم أكن أتلو تلك الآية؟ فأبانها

(٨٠) نادر بايسل في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:155-156.

(٨١) Şahiner, *Bilinmeyen* 346.

لصفوت والآخرين، وقال لي: "ضياء، أخبر أصدقاءك ألا يقلقوا، فلن تثبت علينا أي إدانة، وسوف يقومون بعمل هدنة أو يتم الصلح. لقد كان يرسل التحيات والبشائر للأصدقاء الذين ألقي القبض عليهم بواسطتي! إلا أنني لم أذهب هناك ولم يلق القبض عليّ! وقال لي لاحقا: "هلا تكرمت بإخبار قائد الحافلة أن يتوقف؟ لا إكراه في الدين إلا أن لدي بضع كلمات أنصح بها هؤلاء الركاب."فأوقف القائد الحافلة وبدأ الشيخ يخطب في الركاب على الفور:

"يرجح أن تكون الليلة هي ليلة القدر، وتعلمون أنكم عندما تقرءون القرآن في الأيام الأخرى؛ فإن كل حرف منه يكون بعشر حسنات، وفي شهر رمضان كل حرف بألف حسنة وفي ليلة القدر كل حرف بثلاثين ألف حسنة، ما ترى لو أخبرتم أنكم ستأخذون خمسة ليرات ذهبية مقابل فعل شيء، ألن تفعلونه؟" فرد الركاب بالإيجاب، فواصل الشيخ: "أنتم تبذلون قوتكم وجهدكم لكسب خمسة ليرات لأجل هذه الحياة العابرة، أفلا ترغبون في تهيئة بعض الحسنات زادا لكم في الحياة الآخرة؟" ورد الركاب ثانية، بالإيجاب، فقال: "إذا كان الأمر كذلك، إذا تلا المسلم سورة الإخلاص ثلاث مرات، وسورة الفاتحة مرة واحدة، وآية الكرسي مرة واحدة، يكون قد هيأ بعض الزاد لرحلته في الحياة الآخرة."

عندئذ شكر قائد الحافلة "ريزلي لطفي" والركاب النورسي، وكان موعد الإفطار قد حل، فأوقف الحافلة عند نبع بين غابات الصنوبر في جبال إلجاز لتناول الإفطار، وأعطاني الشيخ نصيبه من الطعام الذي أعطاه له مجلس المدينة وأعطيته طعامي، وتناولنا الإفطار بتلك الطريقة، وصلينا صلاة المغرب جماعة، وتركت خلفي في إلجاز "الاستاذ" وذهبت للعمل، إلا أنهم ألقوا القبض عليّ بعد فترة قليلة، وأرسلوا بي إلى "دنزلي"، ولم يكونوا قد أحضروا الشيخ هناك عندما وصلت، وعندما سألني أصدقاء السجن في قلق عما إذا كنت قد رأيت الأستاذ، عندها تذكرت الآية التي كتبتها للأستاذ في الحافلة في الطريق إلى "دنزلي"، فأخرجتها وقرأتها على مسامعهم، وحكيت ما حدث أثناء الرحلة، وكان ذلك مصدر سلوان عظيم لهم، وكانوا في غاية السرور لذلك.[٨٢]

كان الشخص المعين لصحبة النورسي من "قسطموني" إلى "إسبارطة" ضابط صف يدعى "إسماعيل تونج دوغان"، وقد ذكر أنه عقب وصولهم "أنقرة"، نزل هو والنورسي بأحد الفنادق بمنطقة "سامان بازاري"، وفور

(٨٢) Şahiner, *Bilinmeyen* 346-348

وصولهم وعلى غير المتوقع في الأحوال العادية، فقد استدعاه والي "أنقرة"، "نوزت تاندوغان". بعد ذلك وقعت حادثة، لو لم تكن تعبر عن الإهانة التي أظهروها تجاه النورسي، لكانت ضربا من الحمق، فهذا الرجل التعيس الذي كان واحدا من مشاهير حزب الشعب الجمهوري، والذي ظل واليا على "أنقرة" مدة سبعة عشر عاما، قد استدعى النورسي ليجبره على خلع عمامته وارتداء القبعة "الرسمية"، وإنه لمن نافلة القول أن نصرح أنه لم يوفق في ذلك، فقد قال له النورسي: "إن هذه العمامة ستخلع عندما ينزع هذا الرأس!"[٨٣]

هذا وإضافة لشهادة الضابط الحارس الذي لاحظ خادم مكتب الوالي خارجا من مكتب الوالي وهو يحمل قبعة، فقد شاهد الحادثة أحد طلاب النورسي من "أينبولي"، وهو صلاح الدين شلبي الذي قبض عليه في "أنقرة" قبل ذلك بأيام قليلة، وأُخذ بعد النورسي لمكاتب الحكومة، ووصف ذلك كما يلي:

> "كان اليوم يوما حارا وقد أوشك رمضان أن ينقضي، وكنت على باب مكتب "نوزت بك"، وأحضر المسئولون النورسي، وذهبوا إلى المكتب سويا، ثم خرجوا ثانية وأغلق الباب، وارتفعت أصوات غاضبة من الداخل، ثم دق الجرس، ودخل أحد الخدم ثم خرج ثانية، وعندئذ قال النورسي لـ "تاندوغان" وهو مغضب: "أنا أمثل آباءكم، وأعيش في عزلة، ولا يمكن لقوانين اللباس أن تفرض على الذين يعيشون في عزلة، وأنا لم أخرج عن عزلتي بل أنت أخرجتني، وآمل أن تدفع ثمن هذا!" عاد الخادم ثانية وهو يحمل قبعة بخمسة وعشرين قرشا، ودخل إلى مكتب الوالي".[٨٤]

تنقل إحدى الروايات أن الوالي قد وضع القبعة بنفسه على رأس النورسي، وتنقل رواية أخرى أنه حاول فعل ذلك إلا أنه لم يتمكن منه،[٨٥] فأخذ النورسي إلى مركز الشرطة، وحمل في القطار المتجه إلى "إسبارطة"، ولكن الوالي "تاندوغان" لم يقلع عما نوى أن يفعله في تلك المرحلة وذهب كذلك إلى

---

(٨٣) إسماعيل تونج دوغان في Şahiner, *Son Şahitler, 2:103*

(٨٤) Şahiner, *Bilinmeyen* 348-349

(٨٥) أشار بعض من كتبوا سيرة النورسي أن نوزت تاندوغان قد انتحر بعد ثلاث سنوات فرمى نفسه بالرصاص ٩يوليو ١٩٤٦ انظر: Şahiner, *Bilinmeyen 348-349*, Badıllı, *Nursi,* 2:766

المركز بصحبة أفراد من الشرطة بغرض القبض على النورسي متلبسا، إلا أنه لحظة وصولهم للقبض عليه كان النورسي قد خلع عمامته واستقل القطار، فوقفوا في دهشة، كيف عرف بوجودهم وما ينوون فعله؟ وقد قال النورسي بعد ذلك إن الذي هزمهم هو البرغوث، فعندما كان يستعد لركوب القطار، كانت هناك برغوثة تجري على رأسه، فخلع عمامته لحكها! فلم يستطيعوا عندئذ فعل أي شيء، وقال بأنه لم يفعل ذلك عن أمره، ولكنها كرامة لرسائل النور.[٨٦]

يروي الحارس "إسماعيل تونج دوغان" أن جمهرة كبيرة قد تجمعت لتحية النورسي في "إسبارطة"، كما كان في القطار أحد طلاب النورسي الذين تتلمذوا على يديه في "بارلا"، هو "جابرازاده عبد الله"، وقد أتى للنورسي وتحدث معه أثناء الرحلة، ونتيجة لذلك قبض عليه وتم التحقيق معه لمدة يومين في "إسبارطة" فور وصوله،[٨٧] وأخذ النورسي من مركز الشرطة إلى السجن، حيث كان طلاب النور قد أحضروا إلى هناك من مناطق عديدة، وكما حدث في كل فترات سجنه، وضع النورسي في مكان انفرادي، وخضع هو والطلاب الآخرون للتحقيق والاستجواب المكثف، وكان عليهم أن يظلوا ما لا يقل عن شهر في "إسبارطة" قبل نقلهم إلى سجن "دينزلي" للمحاكمة، وقد عينت وزارة العدل في "أنقرة" "دنيزلي" تحديدا، حيث تمت هناك أول عمليات إلقاء القبض.

---

(٨٦) بايرم يوكسل في Şahiner, *Son Şahitler* 3:97

(٨٧) انظر: عبد الله جابرازاده في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:295; Şahiner, *Bilinmeyen* , 349

الفصل الثالث عشر

دنيزلي

كان النورسي لا يزال متعبا وضعيفا من آثار السم، وقد قارب شهر رمضان على الانتهاء، والنورسي في حالة من الأسى البالغ جراء الضربة التي تلقتها رسائل النور ولما حل به وبطلابه؛ إذ ألقي القبض عليه وعلى قادة طلاب النور، فقد تمت مداهمتهم والقبض عليهم من منازلهم وقراهم في ولاية "إسبارطة" والمناطق الأخرى، وبقيت أسرهم دون عون أو حماية، ولم يكن أحد ليعلم ما ستسفر عنه الأمور، فإذا كانت الظروف سيئة في سجن "اسكي شهر"، فقد كانت أسوأ في "دنيزلي"، حتى لقد قال النورسي إن معاناة يوم واحد في "دنيزلي" لتعدل معاناة شهر في "اسكي شهر"، إلا أن مآله أيضا كان إلى "نصر"، فرغم أن الأمر بدا في أوله بمثابة ضربة قاصمة لرسائل النور وانتشارها، إلا أن محاكمات "دنيزلي"، والسجن في "اسكي شهر" وبعد ذلك في "أفيون"، قد أسدت خدمة لرسائل النور لم يكن يتوقعها أحد. في البداية ورد التقرير الإيجابي من لجنة الخبراء في "أنقرة" والذي أعلن براءته، مما حدا بكثيرٍ من المسئولين أن يقرءوا الآية الكبرى وأجزاء أخرى من رسائل النور، وكان لذلك نتائج إيجابية، فقد ساعد نظر القضية في المحكمة، وما صاحب ذلك من سجن على ترويج رسائل النور شعبيّا، وإثارة كثير من التعاطف مع النورسي وطلابه، كما تزايد الاهتمام برسائل النور بالتوازي مع الحملة الدعائية المضادة لها بتدبير من أعضاء الحكومة. وكان التغير الخارق الذي حدث للعديد من السجناء الآخرين من أثر النورسي وطلابه عليهم، عاملا ساهم في تبرئتهم، ويصدق الأمر نفسه تقريبا على ما حدث في "اسكي شهر"، إلا أن أكثر السجناء إجراما في سجن "دنيزلي" تعلموا كيف يؤدون الصلاة، ويتلون القرآن، وساعد بعضهم طلاب النورسي في كتابة نسخ من رسائل النور.

وضع النورسي في سجن انفرادي بزنزانة مظلمة مقرورة بالغة الضيق، وتعرض ثانية للسم في مرات عديدة، ولا ريب أن الهدف كان التخلص منه ومن بعض طلابه البارزين، وقد توفي بالفعل اثنان منهم خلال التسعة أشهر التي حبسوا فيها؛ أحدهما "الحافظ علي"، من قرية إسلام كوي الواقعة قرب "إسبارطة"، وشاع أنه قد مات مسموما، ورغم ذلك، فقد واصل النورسي نضاله بلا هوادة.

قامت السلطات بمنع طلاب النورسي من زيارته أو التحدث إليه، فكتب لهم ملاحظات ورسائل عديدة يشجعهم ويواسيهم ويرشدهم ويدبر عملية كتابة هذه الإرشادات ونسخها هي ورسائل النور، ثم كتب الشعاع الحادي عشر رسالة الثمرة كما كتب التماساته ومدافعاته؛ وحيث كان هو وطلابه متهمين بنفس "الجرائم" التي اتهموا بها في "اسكي شهر"، فقد قدم نفس المرافعة في محكمة "أفيون" بعد أربع سنوات عام ١٩٤٨-١٩٤٩، وسنعرج على وصف محاكمته بإيجاز في هذا الفصل.

الحياة في سجن "دنيزلي"

تم نقل طلاب النورسي ممن تم جمعهم في "إسبارطة" إلى "دنيزلي" بالقطار، وقد نقلوا في أغلالهم، وتم ضم كل اثنين منهم مع بعضهما البعض على ظهر مركبة خفيفة باردة مغلقة لا نافذة لها، ووضع النورسي في الأغلال مع قروي عجوز يبلغ من العمر ٩٠ عاما، ويدعى "حسن داي" من قرية "ساو" قرب "إسبارطة"، وكان ضعيفا للغاية حتى إن النورسي كان عليه أن يحمله،[١] لم ترفع عنهم الأغلال أثناء الرحلة. لقد سجن ثلاثة وسبعون من بين طلاب النور الذين أخذوا من كافة أنحاء تركيا إلى سجن "دنيزلي"،[٢] وعددهم مائة وستة وعشرون، وتم الإفراج عن الباقي،[٣] ثم أحضر الطلاب من "قسطموني"

(١) عثمان يلدرم كايا في Şahiner, *Son Şahitler,* 1:301.

(٢) Şahiner, *Bilinmeyen* ,349

(٣) صادق ديميرل في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:215

و"أنيبولي" و"استانبول" بعد ذلك بشهرين، وتم وضعهم مع السجناء المدنيين ممن حكم عليهم بفترات طويلة.

كان السجن جديدا وكان موقعه خارج المدينة، ورغم ذلك فقد كان أضيق وأشد ضررا من الأبنية القديمة، كان بناء مسلحا ورطبا وسيئ التهوية، نوافذه صغيرة وعالية وموصدة بشدة، فكانت الزنزانات وصالونات السجن مظلمة دائما، وكانت الكهرباء ضعيفة للغاية، وتعمل بضع ساعات فقط في اليوم، وكان يعج بالقمل والبعوض، حتى إن البق والبعوض كان يتساقط على السجناء ليلا "كالمطر الدقيق" من سقف الزنزانة، وُضع النورسي في زنزانة صغيرة للغاية لا تتسع لوضع سرير واحد إلا بمشقة، ونقل "صلاح الدين شلبي" الذي أرسله مأمور السجن في إحدى المرات ليكتب للنورسي مرافعته، فقد وصفها بأنها لا منفذ لهواء فيها، تصيبك بالرعب والوحشة كأنها مغارة، بالغة البرودة حتى ليشق أن يتحملها جسد الإنسان، كان عليهم أن يعملوا على ضوء شمعة، وما أن انقضت ساعة واحدة من تدوينه ما كان يمليه النورسي حتى أخذ منه الإرهاق كل مأخذ.(٤) كان للزنزانة نافذة صغيرة واحدة تشرف على فناء تمرين السجناء المحكوم عليهم بفترات طويلة، وحيث كان النورسي يخضع لعزلة كاملة، وحظر على طلابه وكافة السجناء التحدث إليه أو الاتصال به وإلا تعرضوا للضرب، فقد كان النورسي يرمي بملاحظاته ورسائله والقصاصات التي كان يكتبها إلى طلابه من خلال هذه النافذة، وغالبا ما كانت تُكتب على قطع ورقية ملفوفة داخل علب الكبريت، وعندما اكتشفت سلطات السجن الأمر، أغلقوا النافذة بالخشب لفترة، كما كان النورسي يراسلهم من خلال وسيط يدعى "آدم أغا"، وما أن يتلقى الطلاب هذه الرسائل حتى يبدءوا في كتابة نسخ منها، كانت الزنزانة تلي عنبر الأحداث، فشجعت سلطات السجن المجرمين على مضايقة النورسي. كان النورسي حساسا للغاية تجاه الضوضاء، فشجعوهم على إحداث الجلبة خاصة حينما يصلي ويتعبد، وعندما وصل "صلاح الدين شلبي" و"محمد فيضي" وطلاب آخرون من "قسطموني"، سجنوا مع المجرمين المحكوم عليهم

---

(٤) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler* 2:116

بفترة طويلة، وكان بينهم "سليمان خونكار" كبير السجناء والمتحدث باسمهم، وكان يتمتع بقوة وتأثير كبيرين في الشئون اليومية بالسجن.

تغير حال "سليمان أفه" - كما كان معروفا بينهم – إلى الصلاح، وأقلع عن عادات ماضيه البغيضة، وأصبح واحدا من طلاب النورسي المخلصين، وعقد صداقة حميمة مع صادق بك "الطاش كبرولي"، كان صادق بك يعيش حياة اللهو كسيد مترف حتى قدم النورسي "قسطموني" فأصبح تلميذا له، ورغم أن جميع طلاب النورسي وبعض السجناء كانوا يعملون بدأب في ظل هذه الظروف الرهيبة في سبيل الدين ورسائل النور، إلا أن توجيه ذلك ما كان ليتأتى للنورسي حقيقة إلا من خلال هذين الرجلين.

وصف "إبراهيم فقازلي الأنيبولي" كيف بدأ السجناء في التوبة وأداء الصلوات فقال: عندما ذهب النورسي للوضوء، احتشد السجناء عند إحدى النوافذ يريدونه أن يتحدث إليهم. حدث هذا الأمر ثلاث مرات والنورسي يتجاهلهم، وفي المرة الثالثة قال لهم: "اذهبوا واغتسلوا!" فجمع "سليمان أفه" ما يقرب من ٧٠ إلى ٨٠ سجينا بعد أن سألهم: "أيكم غير طاهر؟"، وخطب فيهم وأمرهم بالاغتسال، ومرة ثانية طلب السجناء من النورسي أن يتحدث إليهم، فطلب منهم هذه المرة أن يقوموا بتأدية الصلاة، وعندما قالوا له إنهم لا يعرفون كيف يصلون، أخبرهم بأنه سيرسل إليهم بطلابه ليعلموهم،[٥] وبهذه الطريقة بدأت طائفة كبيرة من السجناء في التخلي عن أخلاقهم السابقة، وبدءوا في أداء الصلوات الخمس يوميّا، قام طلاب النورسي بتعليمهم قواعد الدين الأساسية وكيفية قراءة وتلاوة القرآن، وكان بين سجناء "قسطموني" نفر من الشيوخ المعروفين من "استانبول"، منهم "كوننلي محمد أفندي"، أحد أشهر معلمي القرآن في تركيا، فقام بتعليم القرآن للسجناء كذلك، وتمكن أحدهم ويدعى محمد، وكان قد قتل أربعة أشخاص، من قراءة القرآن كاملا، وحفظ الاثنتين وعشرين سورة الأخيرة، ومن ثم أصبح له الحق في إمامة الآخرين في

---

(٥) إبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:114-115.

الصلاة،[٦] وكان هناك آخرون أخذوا ليشنقوا وهم يتلون القرآن ويقيمون الصلاة، وقد تحرروا من كافة الرذائل والخبائث، يا له من درس للمصلحين والنفسانيين العلمانيين!

وما إن وصل طلاب النورسي من "قسطموني" و"أنيبولي" إلى السجن، حتى عقد "صادق بك" علاقات حميمة مع السجناء الآخرين، ممن كان يعتبرهم "سليمان أفه" جميعا رجاله، ونال احترامهم لشجاعته وكرمه، وسريعا ما كون مجموعة لتقوم بالمهام اللازمة لاستمرار عمل رسائل النور، وأضحى من الممكن لكتابات النورسي أن تنتشر داخل السجن وتهرب داخله وخارجه من خلال هؤلاء، كما استطاع "سليمان أفه" توفير آلة كاتبة، واعتاد صادق بك ومجموعته أن يكتبوا مرافعات النورسي، وأعماله الأخرى في الرسائل بالحروف الجديدة، وعمل نسخا منها لترسل إلى إدارات الحكومة المختلفة في "أنقرة" وإلى أي مكان يريده النورسي، فحاز إعجاب النورسي وامتنانه لخدمته الباهرة التي انعكست على ملاحظاته ورسائله التي كتبها له،[٧] وفي قبوله للحساء الذي كان يرسله "صادق بك"، فالنورسي الذي ما كان ليقبل شيئا من أحد دون مقابل، كان سعيدا بالعيش على الحساء الذي يعده له صادق بك،[٨] كما نقل أن رسائل النور كانت تُهرب داخل السجن وخارجه عن طريق أحد أفراد الشرطة المقيمين هناك، وكان من قرية "قوله اوني" الواقعة قرب "إسبارطة"، كان يأخذ الأجزاء المنسوخة في قرية "ساو" للنورسي ليقوم بتصحيحها، ويعطيه كذلك الهدايا التي يرسلها إليه طلابه، مثل رحيق الزهرة الذي تشتهر به المنطقة.[٩]

هذا، وبالإضافة لكتابة رسائل النورسي ومرافعاته، وكذلك مرافعات الطلاب أنفسهم، والتي كان عليهم جمعها وكتابتها، كانت رسالة "الثمرة" هي

---

(٦) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler* ,2:115

(٧) انظر: Şahiner, *Bedüizzaman Said Nursi'den Hapishane Mektupları*

(٨) سليمان خونكار في Şahiner, *Son Şahitler* ,2:268-273، وصادق ديميرل في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:207-222.

(٩) مصطفى كول في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:281

التي نسخت خارج السجن، وهي الشعاع الحادي عشر الذي وصفه النورسي بأنه "ثمرة وتذكرة سجن "دنيزلي"، ومحصلة جُمعتين"، وتتكون من أحد عشر جزءا أو موضوعا كُتب آخر جزأين منها في "أميرداغ" بعد إطلاق سراح النورسي.

خاطب النورسي برسالته هذه السجناء على وجه الخصوص، فكان كل موضوع يوضح مسألة من مسائل العقيدة كمعرفة الله والبعث، والآخرة، وخاصة ما يتصل بقضية الموت، كما أنها تشكل ملخصا للحقائق التي تعرضها رسائل النور، وقد كُتب الجزء الأخير من الموضوع الثامن أثناء عيد الأضحى،[١٠] الموافق للثامن من ديسمبر عام ١٩٤٣، فكتب طلاب النورسي والسجناء الآخرون في "دنيزلي" العديد من النسخ لهذا الجزء الهام من رسائل النور، وكان لذلك أكبر الأثر في الإصلاح الباهر الذي حدث للسجناء، وقد كتبت في بادئ الأمر بالخارج وتم تهريبها في محيط السجن في سرية تامة، ولكن لاحظت سلطات السجن تحسن سلوك السجناء، وسمحوا بكتابة بعض من النسخ دون قيد، كما تم إرسالها لمحكمة الاستئناف والإدارات المختصة في "أنقرة" كدفاع عن رسائل النور، وكان لها دور محوري في إثبات براءتهم.[١١]

محكمة "دنيزلي"

وُجهت للنورسي وطلابه في محكمة "دنيزلي" نفس التهم التي وجهت لهم من قبل في "اسكي شهر"، وكان بينها: إنشاء طريقة صوفية جديدة، وتأسيس جمعية سياسية، ومعارضة الإصلاحات، واستغلال المشاعر الدينية بطريقة تخرق الأمن العام، وكان الدليل الذي استند إليه ممثل الادعاء لإثبات استغلال الدين هو الشعاع الخامس حول أشراط الساعة، والرسالة التي تسببت في الاعتقالات؛ ولذا فعندما نقل النورسي وطلابه من "إسبارطة" إلى "دنيزلي"، تم استجوابهم ثانية، وشكل ممثل الادعاء في "دنيزلي" لجنة لدراسة رسائل النور وإصدار تقرير بشأنها للمحكمة.

---

(١٠) النورسي، الشعاعات، ص ٢٩١.

(١١) *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 397

في ظرف بضعة أيام، صدر التقرير عن طريق اللجنة المكونة من اثنين من المدرسين المحليين غير المؤهلين بالمرة لهذه المهمة، كما كان يرغب المدعي العام ثم رُفعت القضية لمحكمة الجنايات. كان التقرير سطحيًا إلى حد ما، وتضمن تحريفات مخزية للغاية. اعترض النورسي بشدة على التقرير وأشار للأخطاء الواردة فيه، وقام بتصحيحها، وقدمها للمحكمة مع طلب بتشكيل لجنة من العلماء المؤهلين لمراجعة رسائل النور، مرت بضعة أيام ثم قبل طلبه، وفي التاسع من مارس ١٩٤٤ أُرسلت مادة القضية لمحكمة الجنايات العليا بـ "أنقرة"، وتشكلت لجنة من ثلاثة علماء كبار برئاسة رئيس القضاة "أمين بوكه"، وشرعت في دراسة رسائل النور وكافة رسائل النورسي وطلابه بالتفصيل، وفي غضون ذلك استمرت محكمة "دنيزلي" في سماع الشهود.

قدم النورسي دفاعه ورد على جميع الاتهامات، كما قدم طلابه دفاعاتهم، وقد أشار محمد فيضي إلى أن النورسي أرسل التماسا للمحكمة يطلب الإذن بعدم الحضور للمرض، ولكن عندما شاهد السلوك الإيجابي لرئيس القضاة "علي رضا بالابان" الذي هيأ قاعة المحكمة وأعدها على شكل مدرج، قام بسحب الالتماس، وأثبت القاضي عدالته سواء في الحكم الأخير في القضية أو في سماحه للنورسي بالجلوس أثناء انعقاد الجلسة، رغم اعتراضات ممثل الادعاء.[١٢]

خرجوا من السجن إلى المحكمة في صف يتألف من ٧٠ فردا، وقد ضم كل اثنين معا في الأغلال، وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي أمكن أن يتقابل فيها طلاب النور من أماكن مختلفة في السجن مع بعضهم البعض، كان النورسي يقيد كل مرة مع شخصٍ مختلف، وكان يصحبهم أكثر من ثلاثين من حرس الشرطة وقد تسلحوا بالحراب، بينما وقف أهل "دنيزلي" على طريقهم، معبرين عن حزنهم البالغ وتعاطفهم معهم.[١٣]

---

(١٢) محمد فيض باموقجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:131

(١٣) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:112-117

مقاطع من دفاع النورسي

"أيها السادة!

إنني أؤكد لكم أن الذوات الموجودين هنا إما لا تربطهم رابطة مع رسائل النور أو هناك مجرد رابطة بسيطة معها، مع أن لي العديد من الأخوة الحقيقيين بكل معاني الأخوة التي تستطيعون تصورها، ولي على درب الحقيقة العديد من الأصدقاء الواصلين للحقيقة، إننا أيها السادة على يقين تام لا يتزعزع بأن الموت بالنسبة لنا – بسر القرآن الكريم – ليس إعداما أبديّا بل تذكرة تسريح بينما يعد هذا الموت بالنسبة لمعارضينا وبالنسبة للسائرين في درب الضلالة موتا أكيدا وإعداما أبديّا (إن لم يكن يؤمن بالآخرة إيمانا لا شبهة فيه). أو أن هذا الموت يعد بالنسبة إليه سجنا انفراديّا أبديّا ومظلما (إن كان يؤمن بالآخرة، ولكنه منغمس في حياة السفاهة والضلالة) إنني أسألكم: أتوجد في هذه الدنيا مسألة أكبر من مسألة الموت؟ أهناك مسألة إنسانية أهم وأكبر من هذه المسألة؟ فكيف إذن يمكن أن تستغل هذه المسالة من اجل شيء آخر؟.. إنني أسألكم، ومادام من المستحيل أن يكون هناك شيء آخر أهم من هذه المسألة، إذن فلِمَ أنتم منشغلون بنا هكذا؟ إننا لا نظر إلى أشد عقوبتكم وأقصاها إلا أنها تسريح وتذكرة سفر إلى عالم النور؛ لذا فإننا ننتظرها بثبات كامل، ولكننا نعلم علم اليقين أن الذين وقفوا ضدنا وأصدروا الأحكام ضدنا سيلقون عن قريب عقابهم بالإعدام الأبدي وبالسجن الانفرادي، ذلك العقاب المرعب. إننا موقنون من ذلك وكأننا نشاهدهم في عذابهم هذا كما نشاهدكم أنتم في هذا المجلس.

إننا نشاهدهم هكذا ونتألم كثيرا من الناحية الإنسانية من أجلهم، وأنا على أتم استعداد لإثبات هذه الحقيقة المهمة والبرهنة عليها وإفحام أكبر المنكرين لها وإلزام أشد المتمردين عليها. وأنا على أتم استعداد لقبول أي عقاب كان إن لم أقم بهذا الإثبات أوضح من الشمس في رابعة النهار وأمام أكبر علمائكم وفلاسفتكم، وليس فقط أمام المختصين من هذه اللجنة الذين لا يملكون أي نصيب من العلم والاختصاص، انهم مشبعون بالحقد ولا علم لهم بالمعنويات ولا يهتمون بها.

وكمثال على هذا نذكر أننا قمنا في ظرف أسبوعين بتأليف رسالة الثمرة للمسجونين ، وهي رسالة تلخص أهداف رسائل النور وتبين أسسها وغاياتها فهي بمثابة دفاع عن رسائل النور، لذا فإني أقدمها وأبرزها لكم ولكي تقدم هذه الرسالة

إلى المراجع الرسمية في "أنقرة"، فإننا نبذل في السر جهودا مضنية لكتابتها بالحروف الجديدة (أي الحروف اللاتينية التي استخدمت في كتابة اللغة التركية بدلا من الحروف العربية)، وأنا أدعوكم لقراءة هذه الرسالة! فإن لم تصدقني قلوبكم بعد قراءتها – ولا أقول نفوسكم – فإنني سأرضى بكل أنواع التعذيب والإهانة في سجني الانفرادي الموجود أنا فيه حاليّا. ولن انبس ببنت شفة او باي شكوى.

والخلاصة أن أمامكم طريقان: إما أن تطلقوا الحرية الكاملة لرسائل النور أو تحاولوا – إن استطعتم – أن تغلبوا الحقائق الواردة فيها وتقضوا عليها! إنني لم اكن حتى الآن أفكر فيكم ولا في دنياكم، وما كان في نيتي أن أفكر فيهما في المستقبل، ولكنكم اضطررتموني إلى هذا، وربما كان هذا ضروريّا لتنبيهكم وإيقاظكم.ولعل القدر الإلهي هو الذي ساقنا إلى هذا، أما نحن فإن مرشدنا هو الدستور القائل "من آمن بالقدر أمن من الكدر" لذا فقد عقدنا العزم على تحمل جميع صنوف مضايقاتكم بكل صبر.

الموقوف

سعيد النورسي"[١٤]

" أيها السادة!

إنني مقتنع تماما نتيجة شواهد ودلائل عديدة، بأن الهجمات التي تُشن علينا ليس مبعثها الزعم القائل بأننا نستغل الشعور الديني للإخلال بالأمن الداخلي، كلا، ولكن ذلك الهجوم الذي يتم تحت ذلك الغطاء الزائف، يتم في سبيل الكفر والزندقة ويستهدف إيماننا وإنهاء مساعينا وخدماتنا في سبيل هذا الإيمان ومن أجل إقرار الهدوء. ونحن نملك أدلة وبراهين عديدة على هذا ولنقدم هنا برهانا واحدا فقط على ذلك، لقد قرأ عشرون ألف فرد عشرين ألف نسخة من رسائل النور في ظرف عشرين سنة، ورضوا بها وتقبلوها، ومع ذلك لم تقع حادثة واحدة مخلة بالأمن من قبل طلاب رسائل النور، ولم تسجل المراجع الرسمية أية حادثة من هذا القبيل، كما لم تستطع المحكمة السابقة ولا المحكمة الحالية العثور على مثل هذه الحادثة، علما بأن نتائج مثل هذه الدعاية القوية والمنتشرة بكثرة كان لا بد لها من الظهور في ظرف عشرين يوما بشكل حوادث ووقائع.

إذن فإن القانون رقم (١٦٣) ليس إلا غطاء كاذبا وزائفا يشهر ضد حرية الضمير وحرية الوجدان والعقيدة، وقانونا مطاطا يراد منه ان يشمل كل المتدينين

---

(١٤) النورسي، الشعاعات ص٣٣٠-٣٣١.

وكل الناصحين والدعاة ،ولا يريد أهل الإلحاد والزندقة إلا القيام باستغفال بعض المسئولين الحكوميين لضربنا وتحطيمنا، وما دامت هذه هي الحقيقة فإننا نصرخ بكل قوتنا: أيها البائسون الذين سقطوا في درك الكفر المطلق. يا من بعتم دينكم بدنياكم! اعملوا كل ما تستطيعون عمله! ولتكن دنياكم وبالا عليكم.. وستكون! أما نحن فقد وضعنا رؤوسنا فداء للحقيقة القدسية التي تفتديها مئات الملايين من الأبطال برؤوسهم. فنحن متهيئون وجاهزون لاستقبال كل أنواع عقوباتكم. بل حتى إعدامكم. إن وضعنا وحالنا خارج السجن — تحت هذه الظروف — أسوأ مائة مرة من حالنا داخله، ولا يبقى بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه إلينا أي نوع من أنواع الحرية، لا الحرية العلمية ولا الحرية الوجدانية، ولا الحرية الدينية.. أي لا يبقى أمام أهل الشهامة وأهل الديانة وأمام ناصري الحرية ومحبيها من سبيل إلا الموت أو الدخول إلى السجن. أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، ونعتصم بربنا ونلوذ به!

الموقوف
سعيد النورسي"(١٥)

أيها السادة!

لكوني لا أستطيع أن أعرف شيئا عن الحياة الاجتماعية، ونظرا للاتجاه الذي يسير فيه مقام الادعاء العام وإصراركم على إصدار قرار بالحكم عليَّ تحت ذريعة اتهامي بتشكيل جمعية مع أنني قد أجبت على هذه التهمة ونفيتها بإجابات قاطعة وبراهين دامغة، كما أن اللجنة الاستشارية التي تشكلت في "أنقرة" من أهل العلم والاختصاص نفت ذلك أيضا بالإجماع، وإذ أنا في حيرة حول إصراركم على هذه المسألة خطر على قلبي هذا المعنى: ما دامت الصداقة والميل إلى التجمع الأخوي، والجمعية الأخروية هي من أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضرورات الفطرة الإنسانية، ومن أهم الروابط وأكثرها ضرورة بدءا من حياة العائلة والقبيلة ووصولا إلى حياة الأمة وإلى الحياة الإسلامية والإنسانية، ونقطة استناد وأنس لكل إنسان تجاه ما يلاقيه في الكون من مصاعب لا يستطيع مواجهتها وحده، وللتغلب على جميع العوائق والموانع المادية والمعنوية التي تحاول إعاقته عن القيام بإيفاء واجباته الإسلامية والإنسانية. ومع أن الصداقة والأخوة التي يجتمع عليها طلاب النور تخلو من أي جانب سياسي، بل هي أخوة صادقة وخالصة

---

(١٥) النورسي، الشعاعات، ص٣٣١-٣٣٢

ووسيلة إلى خير الدنيا والسعادة في الآخرة؛ لأنهم يجتمعون في دروس الإيمان والقرآن في ظل صداقة خالصة وزمالة مخلصة في طريق الحق، وهم متساندون ضد ما يضر بالأمة وبالوطن. لذا فقد كان من الواجب ان يكونوا محط تقدير وإعجاب وهم يجتمعون هذه الاجتماعات.وأما من يعطي انطباعا ومعنى جمعية سياسية لهذه الاجتماعات فهو إما مخدوع خداعا كبيرا، أو هو فوضوي غدار يخاصم الإنسانية خصاما وحشيّا ويعادي الإسلام معاداة نمرودية ويخاصم الحياة الاجتماعية بأسوأ أسلوب من الأساليب الفوضوية، أي يحارب الوطن والأمة والنفوذ الإسلامي والمقدسات الدينية محاربة المرتدين والمتمردين اللدودين، أو هو زنديق خناس يعمل لحساب الأجنبي ويحاول قص شريان حياة هذه الأمة أو إفسادها فيستغفل الحكومة ويضلل المراجع العدلية لكي ينجح في تحويل أسلحتنا المعنوية التي استعملناها حتى الآن ضد الفراعنة وضد الفوضويين نحو وطننا أو إلى كسر وتحطيم هذه الأسلحة.

الموقوف

سعيد النورسي"[١٦]

الشعاع الخامس

لعب الشعاع الخامس دورا بارزا في محاكمات "أفيون" عامي ١٩٤٨-١٩٤٩، ولذا فسنذكر هنا نقطة أو نقطتين عنه، ولن ندخل في دراسة مفصلة عنه. فكما أشرنا آنفا، وكما أخبر النورسي المحكمة، أن أصل هذه الرسالة التي استخدمت فيها الأحاديث الشريفة والتي تثبت أن "مصطفى كمال" هو السفياني أو المسيح الدجال المرتقب ظهوره قرب الساعة،[١٧] قد كتبها النورسي أول مجيئه إلى "استانبول" عام ١٩٠٧ قبل أن يبزغ نجم "مصطفى كمال" بمدة كبيرة، كما أن مسودتها الأولية قد كتبت قبل ذلك بنحو خمسة وعشرين عاما، عندما كان النورسي عضوا بدار الحكمة الإسلامية، وذلك لكي "يحفظ الأحاديث التي وردت على سبيل المجاز من التكذيب والإنكار، وكذلك لتقوية إيمان أهل

---

(١٦) النورسي، الشعاعات، ص٣٤١ -٣٤٢

(١٧) للمزيد عن الدجال في التراث الإسلامي، انظر: Zeki Saritoprak, "The Legend of al-Dajjāl Antichrist.

الإيمان الضعيف"،[١٨] كما أن النورسي لم ينشر هذه الرسالة، وخلال ثمان سنوات قضاها في "قسطموني" لم يقع في يده سوى نسختين منها، وقام بالتخلص منهما.

كانت المسألة قد بدأت عندما قام بعض "المناوئين" وهو المفتي والواعظ بإبلاغ "عاطف أكَمن" في ولاية "دنيزلي" في يوليو ١٩٤٣ عن هذه الرسالة عندما وصلت إليه نسخة منها، وفي الوقت نفسه ورغما عن النورسي طبعت "الآية الكبرى" في "استانبول"، وخلطت السلطات عندما بلغها الأمر رسالة الشعاع الخامس بالشعاع السابع، وخرج الأمر عندئذٍ عن حدود المعقول على يد خصوم النورسي، وكان من أثر ذلك وقوع الاعتقالات الجماعية ومحاكمات "دنيزلي"،[١٩] وعلى أية حال فقد برأت محكمة "دنيزلي" رسالة الشعاع الخامس مما نسب إليها كما برأت باقي رسائل النور، وعندما تشكلت لجنة من العلماء في "أنقرة" أثارت بعض الاعتراضات عليها، وأشار النورسي إلى سبب خطئهم،[٢٠] والحقيقة أن النورسي كان يرغب في طبع مجموعة مفتاح الإيمان لا الآية الكبرى،[٢١] إلا أنه كتب في إحدى رسائله أنه يرتقب من "الرحمة الإلهية" أن تلحظ بعنايتها الآية الكبرى لتنال ما تستحقه من الفتوحات.[٢٢]

حقيقة القضية

كانت هذه الشهور التي قضاها في محكمة "دنيزلي" اختبارا حقيقيّا للنورسي وطلابه، فبالإضافة إلى الألم الجسدي والمشاق التي تعرضوا لها، كان من الجلي أن هناك قوى داخل الحكومة تعمل على إعدام النورسي ونفر من قادة طلابه، وكانوا في حيرة من أمرهم، وإلى جانب النقد اللاذع للجنة المشكلة لبحث رسائل النور، أشار النورسي إلى الاعتداءات الموجهة إليه وإلى أتباعه

(١٨) انظر: Nursi, *Müdâfaalar*, 97
(١٩) المرجع السابق، ص٩٧.
(٢٠) المرجع السابق، ص١٣٠.
(٢١) النورسي، الشعاعات، ص٣٥١.
(٢٢) المرجع السابق، ص ٣٥١

من قبل وزير التربية حسن علي يوجل وبيانه الصادر ضدهم،[٢٣] كما اهتم رئيس الوزراء "شكري سراج أوغلو" بالقضية بشكل مباشر، ولمّا كانت المحاكمة أساسا لرسائل النور، فقد كان دفاع النورسي وطلابه دفاعا عن رسائل النور؛ ولذا بينما اتسمت نبرة حديث النورسي أثناء دفاعه بالرقة والعقلانية، فإنه عندما تعرض لفضح المكائد المدبرة ضد رسائل النور، وهو ما كان سببا للقضية، فقد كانت كلماته بعيدة كل البعد عن الرقة رغم خطورة موقفه.

لقد كان هذا الضغط الخارجي الذي تعرضت له القضية، وحقيقة استخدام القانون كغطاء وأداة لقمع الدين، وهو ما أفضى بالنورسي أن يخبر طلابه في إحدى رسائله أن "الدافع الحقيقي لما يتعرضون له من هجوم واسع وعدوان كبيرين" ليس هو الشعاع الخامس بل مفتاح الإيمان، والحجة الزهراء والحزب النوري، فهذه الأعمال بأدلتها الدامغة على حقائق الإيمان قد دحضت الكفر، وحيث عجز الزنادقة عن الدفاع عن كفرهم المطلق أمام ضربات هذين السيفين الماسيين، فقد جعلوا من الشعاع الخامس ذريعة شكلية وخدعوا الحكومة بتحريضها على التحرك ضد هذه الأعمال".[٢٤]

أظهر رد النورسي على هذه الحركات الخفية لتضليل العدالة، أي عقل حكيم وتدبير قويم كان يتمتع به النورسي، كما ظهر ذلك أيضا من حسن استغلاله للموقف، رغم بقائه في عزلة تامة بالسجن لأشهر عديدة، فأرسل نسخا مكتوبة بالحروف الجديدة من رسالة الثمرة ودفاعاته أمام المحكمة إلى سبع إدارات حكومية، كما أرسل نسخة كاملة لكافة أجزاء رسائل النور إلى وزارة العدل.[٢٥] وعندما شن وزير التربية هجوما ضاريا عليه، شعر النورسي بأن هجومه هذا يرجع إلى خوفه فأرسل بأربعة طرود بريدية تحتوي على مختلف رسائل النور إلى هذه الوزارة.[٢٦] وفي رسالة أخرى يحث طلابه على التحلي بالصبر أثناء هذه المرافعات الطويلة المضنية، ويشير إلى أن رسائل النور سيقرؤها أولئك الذين يساندون النظام بكل ما أوتوا من قوة وحماس،

---

(٢٣) النورسي، اللمعات، ص٤٠٥

(٢٤) النورسي، الشعاعات، ص-٣٧٣

(٢٥) النورسي، اللمعات، ص٤٠٥.

(٢٦) النورسي، الشعاعات، ص ٣٩٦ و ٣٩٨

فعلى الأقل ستهدئ رسائل النور من صورة كفرهم المطلق وتقلل من هجومهم عليها.[(٢٧)]

البراءة

عندما بدا موقف النورسي وطلابه عصيبا للغاية، وكانوا ينتظرون أن تتخذ "أنقرة" إجراءات قاسية ضدهم، نجح تحرك النورسي، واتخذت السلطات موقفا رقيقا نسبيّا وأقرب للمصالحة معهم.[(٢٨)] وفي الثاني والعشرين من أبريل عام ١٩٤٤ قدمت اللجنة المشكلة لدراسة رسائل النور تقريرها الذي صدر بالإجماع إلى محكمة الجنايات العليا بـ "أنقرة"، وكانت النتائج التي توصلوا إليها إيجابية إلى حد يفوق كل التوقعات، وأرسل بهذه النتائج إلى محكمة "دنيزلي" كما بُعث للنورسي بنسخة منها، فقد أكد التقرير أن ٩٠٪ من رسائل النور يتكون من تفسيرات علمية لحقائق الإيمان، وأن هذه الأجزاء "لا تنفصل إطلاقا عن المنهج العلمي ومبادئ الدين"، ولا يوجد بها شيء يشير إلى استغلال الدين أو تأسيس جمعية سياسية ولا وجود لأي شيء من شأنه أن يضر بالسلام الاجتماعي،[(٢٩)] وكتب النورسي في رسالة إلى طلابه: "إن هذا بيان للكرامة الإلهية ومثال للعون والحفظ الإلهي، وكما ورد إلى أسماعي فإن لجنة العلماء المشكلة في "أنقرة" قد وقفت واجمة أمام حقائق رسائل النور، وفي الوقت الذي تتوفر فيه أسباب عديدة لتقديمهم انتقادات واعتراضات لاذعة، فقد قاموا بإصدار قرارهم بالبراءة.[(٣٠)]

وفي محاولة من اللجنة لاسترضاء السلطات العليا المعارضة لرسائل النور، فقد قررت اللجنة بشأن الرسائل السرية الخاصة التي عبر عنها بأنها غير علمية "إنه ينجذب أحيانا جذبات روحية ويراوده هياج الشعور واضطراب الروح فلا ينبغي أن يكون مسئولا بسبب هذه المؤلفات"، كما كتبوا مراعاة

---

(٢٧) النورسي، الشعاعات، ص ٣٦٤ و ٣٩٥
(٢٨) المرجع السابق، ص٣٩٩.
(٢٩) انظر: Nursi, *Müdâfaalar*, 151
(٣٠) النورسي، الشعاعات، ص٣٩٨-٣٩٩

لأهل الفلسفة المادية "أنه ربما ينجذب روحيّا، وله خلل بالدماغ. وربما هو مصاب باختلال عقلي يريه الخيال واقعا". وكما أشار النورسي في إحدى رسائله لطلابه، فإن باقي رسائل النور كفيلة بدحض مثل هذه الادعاءات، وعرضت اللجنة على سبيل الإثبات لدعواهم على الجذبة والانجذاب عبارة "الكلمة الثالثة والثلاثون" والمكتوب "الثالث والثلاثون" بثلاث وثلاثين نافذة" وأمثالها من التعبيرات. وكذا "أنه يسمع بتسبيحات القطط بـ: "يا رحيم يا رحيم"، وأنه يعد نفسه شاهد قبر.[٣١]

قدمت اللجنة بالإضافة لذلك خمسة عشر اعتراضا تقوم على أساس علمي، وهذه الاعتراضات أجاب عليها النورسي وأظهر أخطاء اللجنة فيها،[٣٢] وكانت أطول الردود والتصحيحات وآخرها هو ما عرضه يوم الحادي والثلاثين من مايو ١٩٤٤؛ حيث قدم ممثل الادعاء آخر ملاحظاته وأطروحاته، ومطالبته بإصدار الأحكام.

وفي السادس عشر من يونيو ١٩٤٤، توصلت المحكمة إلى قرارها رقم ١٩٩-١٣٦، واعتمد على تقرير اللجنة، وأصدرت المحكمة قرارها ببراءة كل المسجونين والإفراج عنهم على الفور، إلا أن ممثل الادعاء أصر على الأحكام التي كان يطالب بها، فحولت القضية إلى محكمة الاستئناف بـ "أنقرة"، وفي الثلاثين من ديسمبر ١٩٤٤ أكدت محكمة الاستئناف حكم محكمة "دنيزلي"، وتم رفض الطلب.[٣٣]

فندق شهر

عندما خرج النورسي وطلابه من المحكمة، حياهم أهل "دنيزلي" بالهتافات وارتفعت صيحاتهم قائلين: "لتحيا العدالة" ورافقوهم إلى السجن؛ حيث قاموا بجمع أمتعتهم، وكانت المنطقة المحيطة بالسجن أشبه ما تكون بالاحتفال، وجاءت مجموعة من العربات تجرها الخيول من المدينة لتجمعهم،

(٣١) النورسي، الشعاعات، ص٤٠٠.
(٣٢) انظر: Nursi, *Müdâlaalar,* 123-32
(٣٣) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 363

لقد كانوا ضيوف "دنيزلي"، أخذهم الناس إلى بيوتهم في مجموعات صغيرة وقدموا لهم أطيب ما يمتلكونه، واختار الناس أحد التجار، وهو الحافظ "مصطفى قوجاياقا" فأخذ مبلغا كبيرا من المال ليوزعه بين طلاب النورسي إلا أنهم لم يقبلوا شيئا من هذا القبيل، وعندما ذهبوا إلى المحطة، قدم الحاج "مصطفى" وكثير من أعيان المدينة لمؤازرة النورسي وطلابه وتوديعهم إلى قطاراتهم، لقد فتح النورسي ورسائل النور قلوب أهل المدينة.[٣٤]

بعد أن غادر النورسي السجن، انتقل إلى غرفة مطلة على منظر جميل في الطابق العلوي من "فندق شهر" حيث قضى هناك شهرا ونصف الشهر، وفي ظرف يومين تفرق كافة طلاب النورسي، وعادوا إلى مدنهم وقراهم، وما أن استقر به المقام حتى وفدت إليه أعداد غفيرة من الناس لزيارته، فكان يفد إليه كل يوم نحو خمسمائة شخص في بداية إقامته، واستمر بعض منهم في زياراته للنورسي، وكان منهم الكاتب والاستاذ "نور الدين طوبجي"،[٣٥] وكانت بعض كتاباته قد جلبت عليه سخط وزير التربية "حسن علي يوجل"، فأرسل به إلى "دنيزلي" على سبيل العقاب له، وله كتابات ممتعة عن زياراته للنورسي في فندق شهر، ومنها هذا الجزء الممتع:

> كان اسمه يتردد في كل مكان بالمدينة، والناس جميعا يتحدثون عنه. وبعد تبرئة ساحته أقام بحجرة في الدور العلوي من فندق شهر، وكان يخضع لرقابة صارمة، وتعقبت السلطات كل من قام بزيارته على المنوال نفسه، وأخذت أسماؤهم جميعا ولم يكن باستطاعتهم إلا أن يزوروه غبّا ثم يغادروه سريعا.

اعتاد "نور الدين طوبجي" أن يزور النورسي مساء وقت العشاء حيث يكون خاليا من الزائرين، وكان يمكث لديه نصف الساعة ونحو ذلك، كما تعرف على اثنين من العلماء الذين أوكل إليهم كتابة أول تقرير من قبل "خبراء" لمحكمة "دنيزلي"، ومن الجلي أنهم كانوا من الشخصيات غير المرغوب فيها

---

(٣٤) انظر: صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler* 2:116، وإبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler* 2:180.

(٣٥) انظر: Kara, *Türkiye'de İslamcılık Düşüncesi,* 3:113-239

على الإطلاق، إلا أنه قد تأثر بموقف النورسي منهم إذ عفا عنهم بل وعرض دعوتهم للدين.

كان النورسي شخصا عظيما، فقد قال إنه عفا عنهم، وإنها لفضيلة عظمى أن تعفو عمن أساءوا إليك بطريقة كان من الممكن أن تفضي إلى إعدامك. لقد كان يتسم بالحركية والنشاط والعمل الدءوب، وكان ديدنه التحدث للناس كافة، شارحا قضيته، لم تنقصه الثقة ولا الإقدام.

أحضروا له وجبة عشاء شهية عامرة بما لذ وطاب، فردها إلى النادل الذي أحضرها، وطلب منه أن يعطيها للفقراء، وكان معه بعض الزيتون فأكله مع بعض الخبز، وأخبرني أن رغيفا واحدا يكفيه أسبوعين، كان معه إبريق يستخدمه لعمل الشاي، وكان يقدم لي بعضا منه، كان وقتها قد تم إطلاق سراحه من السجن للتو، ولم يكن بحجرته شيءٌ من الأمتعة سوى أعماله التي كتبت إما بخط اليد أو في شكل نسخ مصححة، وكانت الآلاف من هذه الكتب المنسوخة بخط اليد يتم تمريرها من يد لأخرى، وكانت تكتب في كل مكان بالقرى والمدن، ففي كل موضعٍ كانت تتم كتابة رسائل النور، كان وقتا مواتيا كأنه ساعة شروق الشمس، وفي تلك الساعة ذهبت إلى قرية "جويشلي" قرب "دنيزلي"، وكانت أعماله تكتب في كل بيت، وفي كل القرى المجاورة، تنسخ آلاف الصفحات بكل همة وحماسة.

لقد تحلى النورسي بالرجولة والشجاعة الكاملة، فكان عظيم الشجاعة والفضيلة، كما كانت خطرات عقله الألمعي باهرة، فواجه المصائب بصبر وثبات، وفوض أمره لله، فالحقيقة أن أعماله جاءت ثمرة لكل هذه العوامل، لقد ملأ أهل "دنيزلي" همة وحماسا، فاجتمع على الإعجاب به الصديق والعدو، وتحول ليل "دنيزلي" إلى نهار، وظلمتها إلى ضياء، وفتحها النورسي برسائله.[٣٦]

ورغم ذلك فقد استشعر النورسي مر فراقه لطلابه وإخوانه، وزاد النورسي أسى على أساه موت تلميذه "الحافظ علي" في السجن، وكان أول ما قام به فور إطلاق سراحه هو زيارة قبره، وكان "صلاح الدين شلبي" حاضرا، ويذكر كيف قام النورسي عقب تلاوة القرآن وأدائه صلاة حزينة فرفع يديه، وقال: "هذا الشهيد نجم" وعندئذٍ رفع جميع الحاضرين أيديهم رغما عنهم، بينما كان هناك نجم يسطع في السماء.[٣٧]

(٣٦) انظر: Şahiner, *Nurs Yolu,* 123-27

(٣٧) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler* 2:117

لقد وصف النورسي حالته الذهنية في المسألة العاشرة من رسالة الثمرة فقال:

"كنت جالسا ذات يوم في الطابق العلوي من فندق "شهر" عقب إطلاق سراحنا من سجن "دنيزلي" أتأمل فيما حولي من أشجار الحوَر "الصفصاف" الكثيرة في الحدائق الغناء والبساتين الجميلة، رأيتها جذلانة بحركاتها الراقصة الجذابة، تتمايل بجذوعها وأغصانها، وتهتز أوراقها بأدنى لمسة من نسيم فبدت أمامي بأبهى صورة وأحلاها، وكأنها تسبح في حلقات ذكر وتهليل، مست هذه الحركات اللطيفة أوتار قلبي المحزون من فراق إخواني وأنا مغموم لانفرادي وبقائي وحيدا، فخطر على البال فجأة موسما الخريف والشتاء وانتابتني غفلة؛ إذ ستتناثر الأوراق وسيذهب الرواء والجمال. وبدأت أتألم على تلك الحور الجميلة، وأتحسر على سائر الأحياء التي تتجلى فيها تلك النشوة الفائقة تألما شديدا حتى اغرورقت عيناي، واحتشدت على رأسي أحزان تدفقت من الزوال والفراق تملأ هذا الستار المزركش البهيج للكائنات. وبينما أنا في هذه الحالة المحزنة إذا بالنور الذي أتت به الحقيقة المحمدية (عليه الصلاة والسلام) يغيثني -مثلما يغيث كل مؤمن ويسعفه- فبدل تلك الأحزان والغموم التي لا حدود لها مسرات وأفراحا لا حد لها... فبينما كنت أقاسي هذا الوضع المؤلم إذا بالنور الذي أنار به محمد صلى الله عليه وسلم البشرية جمعاء يرفع الغطاء ويزيل الغشاوة ويبرز حِكَما ومعاني ووظائف ومهمات غزيرة جدا تبلغ عدد أوراق الحوَر، وأن نتائجها ليست إلى العدم والعبث والإعدام والفناء. وقد أثبتت رسائل النور أن تلك الوظائف والحكم تنقسم إلى ثلاثة أقسام".[٣٨]

(٣٨) النورسي، الشعاعات، ص٣١٦-٣١٧

الفصل الرابع عشر

أميرداغ

أقام النورسي شهرا ونصف الشهر بفندق "شهر" في "دنيزلي" قبل أن يصدر إليه الأمر من أنقرة بوجوب إقامته في منطقة "أفيون" غرب الأناضول شمال شرقي "دنيزلي"، ويشير الخطاب المؤرخ بالحادي والثلاثين من يوليو ١٩٤٤، والذي كتبه "حافظ مصطفى قوجاياقا" أحد رجال أعمال "دنيزلي" إلى "صادق ديميرل" الذي أرسل للنورسي - إلا أن النورسي غادر المكان في ذلك اليوم بصحبة مفتش مباحث، وكان بصحة جيدة وراضيا عن مسار الأمور. أمرت الحكومة بإعطائه بدل سفر سخي يبلغ ٤٠٠ ليرة،[١] وكان النورسي قد أقام في فندق "أنقرة" بمدينة "أفيون" لمدة أسبوعين أو ثلاثة، ثم صدرت الأوامر بأن يستقر في "أميرداغ"، ووصل النورسي إلى تلك المدينة الريفية الواقعة على تلال متدرجة في النصف الثاني من أغسطس من عام ١٩٤٤؛ حيث أصبح هذا مقر إقامته خلال السبع سنوات التالية حتى عام ١٩٥١ باستثناء العشرين شهرا التي قضاها في سجن "أفيون" بدءا من يناير ١٩٤٨ وحتى سبتمبر ١٩٤٩، وحيث وصل النورسي إلى "أميرداغ" في شهر شعبان، فقد كان وصوله قبل يوم ٢١ أغسطس وهو اليوم الذي وافق غرة رمضان من ذلك العام.

مقدمة

شهدت الثلاثة أعوام ونصف الأولى من إقامة النورسي في "أميرداغ" تكثيفا ملحوظا لكفاحه ضد قوى العلمانية والكفر، وحتى ذلك التاريخ كان هؤلاء يظنون أنهم بتركيا في حصن حصين، فقد أذهلتهم براءته في "دنيزلي"

(١) انظر: صادق ديميرل في *Şahiner, Son Şahitler,* 2:213.

أيّما ذهول، وعلى حد قول أحد الكتاب: لقد نزلت عليهم كالصاعقة، ولم يعرفوا شيئا عن مصدرها،[٢] إذ كان ذلك نصرا مؤزرا للدين ورسائل النور، وبشير خير بانتصاراتها في المستقبل؛ حيث بدأت تظهر ثمار عشرين عاما من كفاح النورسي الصامت.

وعلى النقيض مما سعى إليه الذين أثاروا القضية، فإن ما ذاع على نطاق واسعٍ عن محاكمات "دنيزلي" وسجن النورسي وطلاب "رسائل النور" أدى إلى توسعٍ كبير في الأنشطة المرتبطة "برسائل النور"، وحتى ذلك الحين كان النشاط مركزا على منطقتين أو ثلاث، أما الآن فقد أصبح آلاف مؤلفة من الناس في أنحاء تركيا طلابا لرسائل النور، وبدءوا في خدمتها، وكذلك خدمة قضية القرآن بشتى الطرق، وكان الهدف الأساسي لأعداء النورسي أن يحملوا كلاّ من إدارة الحكم المحلي والحكومة في أنقرة على الشعور بالقلق تجاه النورسي وحركة النور بدرجة تدفعهم للعمل ضدهم مرة ثانية، وهو ما أدى إلى تركيز الاهتمام على النورسي نفسه وزيادة القيود المفروضة عليه، ولذا فرغم أن محكمة "دنيزلي" قد برأت النورسي ورسائل النور، فإن الرقابة التي خضع لها كانت أشد من ذي قبل، وتصاعدت معها المضايقات غير القانونية والمعاملة السيئة، إلا أن النورسي كتب إلى طلابه أنه قد قبل ذلك "بكل اعتزاز"، وهو ما يعني أنه شخصيّا كان محل الاهتمام والمضايقة وليس "رسائل النور" أو طلابها الآخرين؛ فقد سمحت لهم بالاستمرار فيما يقدمون من خدمات لها دون مضايقات إلى حد ما.[٣]

وهناك سبب آخر وراء تزايد الضغط على النورسي حتى بلغ ذروته بالقبض عليه وإيداعه سجن "أفيون" يتمثل في الظروف المتغيرة في تركيا، وربما يعود ذلك إلى تزايد النفوذ الأمريكي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، والتحرك نحو مزيد من الديمقراطية والحرية الدينية فأدى ذلك إلى تصاعد غلاة

---

(٢) انظر: Badıllı, *Nursi*, 2:1373

(٣) انظر: Nursi. *Emirdağ Lâhikası, 1:132*

العلمانية في هجماتهم في محاولة يائسة؛ حيث شعروا أن البساط يسحب من تحت أقدامهم، فحتى هذا الوقت كانوا يشعرون بالقوة المكينة.

تابع النورسي ما أحرزه من مكاسب جراء تبرئته في "دنيزلي"، وما ناله من انطباع إيجابي في الدوائر الرسمية نتيجة لما أرسله إليهم من نسخ "رسائل النور" من "دنيزلي"، لقد قام النورسي بذلك من خلال إرساله التماسات للعديد من كبار المسئولين، وأعضاء الحكومة يعلمهم فيها بالطبيعة الحقيقية لكفاحه، والدور الحيوي الذي يجب أن تلعبه "رسائل النور" لحماية البلاد من الفوضى التي تدفعها نحوها قوى الشيوعية وأنصار الإلحاد، كما أخبرهم بالمعاملة غير القانونية التي كان يعاني منها على أيدي بعض المسئولين.

الوصول إلى "أميرداغ"

وصل النورسي إلى "أميرداغ" مساء يوم حار من أغسطس قبيل غروب الشمس، وكانت هناك ثلة صغيرة من الناس قد جلسوا يحتسون الشاي أمام مكاتب الحكومة، إذ وصلت حافلة قادمة من "أفيون" وقد أثارت سُحبا من الغبار. كان بين الجالسين الطبيب الحكومي "طاهر بارجين" وكان مسئول التوطين بالمنطقة أيضا، شاهد الطبيب منظرا غير معتاد لرجل يرتدي عمامة وجبة خفيفة بصحبة اثنين من الحراس، والأغرب من ذلك أن الرجل الكبير الذي كان في السبعينيات من عمره بدأ في البحث عن مكان مناسب، وما أن علم اتجاه القبلة، حتى قام ببسط سجادة الصلاة التي كان يحملها ثم أدى صلاة الظهر، وهو مظهر غريب في ذلك الحين المعروف بالاضطهاد الديني. وكانت تلك لحظة سعيدة في حياة الطبيب الذي كان طالبا بالمدارس الدينية يوم شاهد النورسي في "استنبول" عام ١٩٢٢ في مسجد "الفاتح"، وقد أصبح الآن من التلاميذ المقربين إليه في "أميرداغ"، ولعب دورا أساسيّا في تقديم "رسائل النور" إلى بلدة النورسي الأصلية، وذلك حينما نقل للعمل في بتليس شرقي تركيا لمدة عام في ١٩٤٥ حيث اعتقد كثير من الناس أن النورسي لم يبقَ على قيد الحياة بعد نفيه.[٤]

---

(٤) انظر: طاهر بارجين في *Şahiner Son Şahitler*, 2;433

وكعادته حيثما حل، فقد جذب النورسي الطلاب الذين خدموه بإخلاص وضحوا من أجله وأجل رسائل النور بأنفسهم وأموالهم ومراكزهم دون تردد؛ ففي "أميرداغ" كانت هناك أسرة "جالشقان" التي آلت على نفسها توفير ما يحتاجه النورسي ومساعدته، وكان أحد الإخوة الست في هذه الأسرة ويدعى "حسن" أول من زار النورسي في "أميرداغ"، فأصبح الإخوة وأسرهم يقومون على كافة حاجات النورسي الشخصية، كإرسال الطعام له، وكان دائما ما يدفع تكلفته، بالإضافة إلى فعل أي شيء ضروري لاستمرار عمل "رسائل النور"، وفي عام ١٩٤٥ اتخذ النورسي من "جيلان" ابنا روحيًا له، وكان صبيا ذكيا في الثانية عشرة من عمره، وهو ابن "محمد جالشقان"، واستمر الصبي مع النورسي حتى أصبح في السنوات التالية أحد قادة طلاب "رسائل النور".(٥)

أما البيت الذي تيسر للنورسي الإقامة به فقد كان في وسط المدينة بشارع مزدحم قرب مركز الشرطة ومجمع أبنية البلدية، مع إقامة حراس دائمين على بابه ونوافذه، وأصبح من العسير للغاية زيارته، حتى إنه عندما مُنِع الصبي جيلان من مساعدته، قامت أسرة چالشقان بعمل نقب إلى بيت النورسي عبر حانوت مجاور له لكي يصلوا إليه، وكان أحد أسباب تشديد الإجراءات القمعية ضده هو رفضه عروض الحصول على معاش من الحكومة، وعقب صدور الأحكام ببراءته، قرروا اتباع نهج آخر لإسكاته؛ حيث دبروا لشراء ولائه بدفع معاش منتظم له، وبناء بيت له بالمواصفات التي يراها، بل إنهم أرسلوا إليه أيضا بدل الانتقال المشار إليه آنفا.(٦) وبعد مداولة مستفيضة، كتب النورسي يقول إنه حتى يستطيع التواصل مع طلابه وحتى لا يحيد عما خطه لنفسه طوال عمره، وعملا بأصول الإخلاص فقد قرر رفض هذه العروض، وانزعجت السلطات جراء قراره هذا فصعّدوا من مضايقاتهم له،(٧) حتى أصبحت الحياة من الضيق

---

(٥) انظر: جيلان جاليشقان في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:380-414

(٦) لقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية بشدة في تركيا أثناء الحرب العالمية الثانية وصاحب ذلك فرض إجراءات مشددة من الحكومة، انظر: Zürcher, E. J. *Turkey207-208*، وإنه لمن المدهش حقا أن تحاول الحكومة شراء ولاء النورسي بهذه الطريقة.

(٧) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص٢٣٧-٢٣٨.

والصعوبة عليه، كما يقول، إلى الحد الذي عانى معه في يوم واحد في "أميرداغ" ما عاناه في شهر كامل في سجن "دنيزلي".

وكان جيلان يحضر إليه في بيته كلما استطاع إلى ذلك سبيلا من أجل قضاء بعض حاجاته كأن يصنع له الشاي ويكتب له خطاباته. وكما كان شأنه دائما، أحب النورسي أن يقضي ما أمكن من الوقت في الريف، لا سيما في الربيع والصيف، وكان يخرج يتجول حول ريف "أميرداغ" الفسيح المتهادي مصطحبا معه نسخا من "رسائل النور" ليقوم بتصحيحها، وكان دائما ما يتبعه ويراقبه عدد من أفراد الحرس، وفيما بعد عندما أصبح عبء العمل كبيرا للغاية، فقد قدمت أسرة "چالشقان" له عربة جياد خفيفة، فكان يتنقل عليها مصطحبا معه طالبا واحدا يقودها له، حتى أصبح ذلك المشهد مألوفا في المنطقة، ورغم انشغاله وما بُذل من جهود لعزله، كان النورسي دائم الاهتمام بمن يلاقيهم من الناس، فكان الأطفال في "أميرداغ" والقرى المجاورة لها يلتفون حوله ويجرون خلف عربة الجياد الخفيفة حيثما رأوها، مرددين: "جاء الشيخ!"،[٨] وكان النورسي في غاية الحنو عليهم، قائلا: إنهم طلاب "رسائل النور" في المستقبل، وكما جذب الأطفال إليه، فقد جذب إليه الناس من كل الفئات عندما كان يتنقل بالعربة حول الريف، وكان يخاطب الرعاة والعمال والفلاحين وكل من يلاقيهم: "هذا العمل الذي تؤدونه خدمة للآخرين؛ فطالما تؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم، فسيصبح كل ما تقومون به من عمل عبادة وسينفعكم في الآخرة."[٩]

كان لإرشاد النورسي هؤلاء الناس واهتمامه البالغ بهم أثره عليهم؛ حيث أصبح عدد كبير من الأطفال من طلاب النور في المستقبل وخدموا في سبيل الدين والقرآن، وعلى نحو مماثل، أصبح الصلاح والأمانة بارزين بين أصحاب المحال والتجار والحرفيين في "أميرداغ"؛ حتى لقد لاحظ ذلك المخبر المتخفي بلباس مدني الذي بعث به ليتجسس على النورسي في عام ١٩٤٧،

(٨) انظر: محمد جالشقان، في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:352-253.

(٩) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 425-426.

فعندما كان يشتري بعض الزبد رأى صاحب المحل يزن الزبد مع ورقة ويضع في الكفة الأخرى ورقة أيضا، وقد اعترف قائلا: "إنه النورسي الذي جعل "أميرداغ" على هذا النحو!"(١٠)

رسائل النور

رغم أن "حافظ مصطفى" قد كتب إلى صادق بك من "دنيزلي" بأن النورسي قد غادرها في صحة جيدة، فقد وصف النورسي نفسه بأن المرض قد تملكه حتى أصبح ضعيفا خائر القوى في حالة بائسة حيث تم توطينه بعد وقت قصير في بيت من بيوت "أميرداغ" في شهر رمضان، ففي رسالته الأولى من "أميرداغ" كتب إلى طلابه في إسبارطة التي أحبها حبّا جمّا يقول: إن دعاءهم هو الذي أنقذه من "المرض الشديد" الذي عانى منه بسبب السم الذي دُس له في الطعام،(١١) ورغم حالته المتداعية، ربما جراء ذلك - حيث كتب النورسي كثيرا من أجزاء "رسائل النور" وهو يعاني آلام المرض أو المحن - فقد كتب المسألة العاشرة من رسالة الثمرة، أما المسائل التسع الأخرى فقد كتبها في سجن دنيزلي، والمسألة العاشرة هي زهرة أميرداغ التي صدرت بعبارة "رد شافٍ ومقنع على اعتراضات ترد حول التكرار في القرآن الكريم"، وقال النورسي إنه يحسب أنه أُلهم كتابتها بسبب "الزنادقة الذين كانوا يحاولون ترجمة القرآن حتى يسلبوه قدسيته،(١٢) وهم كالأطفال الحمقى الذين يحاولون إطفاء شمس القرآن بالنفخ فيها،" كما كتب النورسي في رسالته آنفة الذكر أنه يرسل لطلابه بالمسألة العاشرة من رسالة الثمرة.

كتب النورسي لطلابه في "إسبارطة" في نهاية مارس من العام التالي، يخبرهم أنه أرسل إليهم جزءا آخر من رسالة "الثمرة" وهو جزء خاص بالملائكة، وكان هذا الجزء هو المسألة الحادية عشرة والأخيرة من "الشعاع الحادي عشر" المعنون برسالة الثمرة.(١٣)

---

(١٠) انظر:عبد الرحمن أق كول في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:145

(١١) انظر: النورسي، ملحق أميرداغ، نسخة مكتوبة يدويًا ص٦، نقلا عن Badıllı, *Nursi,* 2:1381

(١٢) انظر: النورسى، الشعاعات، ص٣١٥

(١٣) انظر: النورسي، الشعاعات، ص٢٤١.

كانت "رسائل النور" على وشك الاكتمال في ذلك الوقت، وكانت رسالة الثمرة هي آخر ما كتب من الأجزاء الرئيسية إلا ما كان من رسالة "الحجة الزهراء" التي كتبها النورسي في سجن "أفيون"، وتلا ذلك الانتشار الواسع لـ "رسائل النور" في شكل مجموعات رسائل النور.

كانت قضية الإيمان في هذا الوقت هي القضية الأم التي تناولتها مجموعة "عصا موسى" ومجموعة "ذو الفقار" من رسائل النور، ويتألف الجزء الأول من "عصا موسى" من أحد عشر جزءا من "ثمرات الإيمان"، ويتكون الجزء الثاني من إحدى عشرة قطعة من الأجزاء المختلفة من "رسائل النور"، بما في ذلك المسألة الأولى من "الآية الكبرى" و"رسالة الطبيعة".

تتكون مجموعة "ذو الفقار" من المكتوب التاسع عشر "رسالة المعجزات الأحمدية"، والكلمة الخامسة والعشرين "رسالة المعجزات القرآنية"، وفي عام ١٩٤٧ طبعت مجموعة "مرشد الشباب" في "اسكي شهر"، وهي المجموعة المذكورة في الفصل السابق؛ وتتكون من أجزاء كتبت خصيصا لتلاميذ المدارس الذين أصبحوا طلابا للنورسي في "قسطموني".

رُفِعت قضية النورسي وطلابه في "دنيزلي" إلى محكمة الاستئناف في "أنقرة" بناء على طلب المدَّعي بإلغاء أحكام البراءة، إلا أن محكمة الاستئناف أيدت حكم قضاة "دنيزلي"، وتوصلت إلى قرار (بالإجماع) في الثلاثين من ديسمبر عام ١٩٤٤، وأعلنوا قرارهم في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٤٥، ورغم كل هذه التأجيلات القضائية، لم يستطع محامي النورسي في "دنيزلي" – وهو "ضياء سونمز" – جمع كتب النورسي ونسخ "رسائل النور" حتى التاسع والعشرين من يونيو عام ١٩٤٥ "، حيث أحضرها حافظ مصطفى إلى "أميرداغ" ليسلمها للنورسي.(١٤)

لم يكن هناك مانع حينئذٍ من طبع رسائل النور وتوزيعها بحرية من الناحية القانونية، كما ازداد الطلب عليها ازديادا كبيرا منذ محاكمات "دنيزلي"، وأصبح

(١٤) انظر: ضياء سونمز في Şahiner *Son Şahitler*, 2; 274-276، ولمزيد من التفاصيل حول قرار محكمة الاستئناف وقائمة بأسماء الثمانية وخمسين طالبا الذين صدرت لهم أحكام البراءة، تم تبرئة عشرة منهم مبكرا ومات أحدهم انظر: Badıllı, *Nursi*, 2:1385-89

كافة الشعب التركي في أرجاء تركيا يسعى للحصول على "رسائل النور". وفي عام ١٩٤٦ أو ١٩٤٧ بينما كان طلاب النور في مناطق "إسبارطة" و"قسطموني" و"دنيزلي" وغيرها من الأماكن يقومون بالكتابة اليدوية لنُسَخ من "عصا موسى" و"ذو الفقار" وغيرها من أجزاء "رسائل النور"، اشترت أسرة "شلبي" وغيرهم من طلاب النور في "أنيبولي" واحدة من أوائل ماكينات النسخ التي دخلت تركيا، وعندما أثبتت نجاحها، جاء "طاهري موطلو" من "إسبارطة" ليراها ثم عاد عبر "استنبول" حيث اشترى واحدة أخرى، وهاتان الماكينتان سهلتا كثيرا من نشر رسائل النور، فقد اشتراهما الطلاب وعملوا عليهما، ومولوا العمل بتضحية وتفانٍ من خلال جمع مواردهم ثم بعد ذلك من خلال بيع الكتب المطبوعة، وعملت الماكينتان ما يقرب من عام ونصف إلى عامين حتى حدثت الاعتقالات التي سبقت محاكمات "أفيون"، والسجن الذي بدأ في عام ١٩٤٨. كانت الأجزاء الرئيسية من رسائل النور التي تم نسخها بهاتين الماكينتين هي عصا موسى، و"ذو الفقار"، و السراج المنير، وختم التصديق الغيبي، ومرشد الشباب، والكلمات الصغيرة، وبخلاف هذه المجموعات كانت هناك آلاف النُسَخ من أجزاء رسائل النور، وعديد من رسائل النورسي إلى طلابه في ذلك الوقت لتوجيه أنشطتهم وغير ذلك من الموضوعات،(١٥) وفي الوقت نفسه استمرت الكتابة اليدوية على قدم وساق، وللمرة الأولى طبعت مجموعات مرشد الشباب وعصا موسى بالحروف اللاتينية حتى تكون في متناول الأجيال الشابة، ولكن حيث إنه "من وظائف رسائل النور المهمة" "الحفاظ على طريقة الكتابة العربية، وهي الأبجدية المنتشرة في غالبية العالم الإسلامي".(١٦) لذلك استمرت معظم أجزاء "رسائل النور" تكتب بالأحرف العربية.

كان المقصد من هذا النشاط الواسع هو الوصول إلى أهداف بعيدة المدى؛ حيث أضحى لرسائل النور طلاب من الأجيال الشابة الذين أصبحوا عناصر مهمة في حركة النور في السنوات التالية إذ ثبت أن رسائل النور تلبي حاجات

---

(١٥) انظر: Badıllı, *Nursi,* 2:1408-1409

(١٦) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-٢ ص٣٣٧.

الناس الذين صيغت عقولهم وفقا للفلسفة والأفكار الغربية، ويظهر ذلك من حقيقة أن رسائل النور بدأت في اجتذاب طلاب الجامعات والمدرسين وغيرهم ممن تربوا خلال النظام التعليمي للجمهورية، وكان بين هؤلاء مدرس يدعى "مصطفى صونغور" في معهد قروي، وقد أصبح واحدا من طلاب النورسي المقربين، ومن أكثرهم تأثيرا، وصار "ابنا روحيّا" للنورسي، وكان بينهم كذلك "مصطفى رمضان أوغلو"، أحد طلبة الجامعة، و"زبير كندوزالب"، وكان يعمل في مكتب البريد، وزار النورسي لأول مرة عام ١٩٤٦، ورغم أن النورسي لم يعين خليفة له؛ حيث إنه قال إن الأستاذ الحقيقي لحركة رسائل النور هو شخصيتها الجماعية، فقد ظهر "زبير كندوزالب" كواحد من قادتها بعد عام ١٩٦٠.

في ذلك الوقت كانت رسائل النور قد بدأت في الانتشار ببطء في العالم الإسلامي، وساعد على ذلك عندما اصطحبها في موسم الحج بعد عام ١٩٤٧، وقد أرسلت نسخ منها إلى الأزهر في مصر، وإلى دمشق والمدينة المنورة،[١٧] وأعطى بعض أجزائها لعالم من علماء كشمير وافق على حملها إلى علماء الهند.[١٨]

هذا، وقد قام صلاح الدين شلبي، والذي سماه النورسي "عبد الرحمن صلاح الدين" بإقامة علاقات مع مبشرين أمريكيين في "أنيبولي"، وبعد بضعة شهور قرأ عليهم مجموعتي عصا موسى، و"ذو الفقار"، وأعطاهم نسخا من المجموعتين،[١٩] وفي مواجهة الخطر الشيوعي المتعاظم، وعملا بأحد الأحاديث فقد نادى النورسي بالتعاون مع رجال الدين المسيحي المخلصين في مواجهة هذا التهديد،[٢٠] وسوف نقوم بمناقشة هذا في فصل لاحق.

---

(١٧) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,1:304*

(١٨) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,1:349*

(١٩) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,1:207,209,237,238*

(٢٠) انظر: في هامش اللمعة العشرين عن الإخلاص، وقد كتبت عام ١٩٣٤، وتحدث النورسي عن مثل هذا التعاون، فكتب يقول: "لقد ثبت في الحديث الصحيح إن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم المشترك: الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم

الظروف المحيطة

لقد اكتملت كتابة رسائل النور إذا في ظرف بضعة أشهر من قدوم النورسي إلى "أميرداغ"، وكان النورسي يقضي كثيرا من وقته في تصحيح النسخ اليدوية والمنسوخة المرسلة إليه، حتى لقد استغرق هذا العمل في بعض الأحيان أجزاء من أوقاته اليومية المخصصة للعبادة والتدبر، وفي كثير من رسائله كان يوجه أنشطة طلابه، ويشجعهم مع إصراره على أهمية استمرار النسخ اليدوي، ولفت انتباههم إلى أهمية مراعاة الدقة في النسخ حتى يعينوه في هذه المهمة المضنية، والتي تستغرق كثيرا من الوقت، ودائما ما حثهم على أخذ الحيطة والحذر في تصرفاتهم، ونبههم إلى أن أعداءهم يتحينون الفرص لإعاقة عملهم.

لقد كانت الثلاثة سنوات والنصف التي قضاها النورسي في "أميرداغ" مؤلمة وشاقة عليه، ويظهر هذا جليّا من رسائله، وقد شهد أهل "أميرداغ" وطلاب النورسي على المعاملة القاسية غير القانونية على الإطلاق التي تعرض لها، وكان عمره قد قارب السبعين عند وصوله هناك، وكان يعاني من تدهور حالته الصحية بشكل دائم نتيجة للفترات التي قضاها في السجن، وتعرضه مرارا لمحاولات سمّه، وسنوات نفيه وغربته الطويلة.

كان هدف أعدائه جعله محل ريبة واتهام بشكل دائم، حتى يقضوا على نفوذه وتأثيره على الناس، فقد كان هذا هو الهدف من العزلة المفروضة عليه والرقابة الصارمة والغاشمة التي تعرض لها، إضافة إلى الحوادث المختلفة التي كان يراد بها التقليل من شأنه والحط من قدره في أعين العامة، فبعد أن وصل النورسي إلى "أميرداغ" بفترة قليلة بدأ يجتذب الناس إليه كما كان عليه الحال في دنيزلي، وعلى حد تعبيره: "تكرر نفس الموقف هنا كما كان في دنيزلي، فبفضل رسائل النور أظهر الناس من التقدير لي فوق ما أستحق".[٢١]

وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدي." اللمعات، ص ٢٢٩ ، هامش ٨.

(٢١) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,1:62*

وفي أعقاب ذلك، صعّدَ أعداؤه من ضغطهم عليه، واستخدموا نفوذ المسئولين لشن حملة دعائية ضده لإرهاب الناس منه وإبعادهم عنه، ولعب الأدعياء دورا في هذه المكائد والمؤامرات لاختلاق "حادثة" لاتهام النورسي "بإحداث الاضطراب وتكدير السلام"، ومن ثَمّ يمكن للسلطات أن تعاقبه عقابا شديدا تحت تلك الذريعة، وكان هذا هو الغرض وراء ما تعرض له من ضغط دائم واعتداء على شخصه تحت ذريعة انتهاك قانون اللباس، والمداهمات التي تعرض لها منزله، والحقيقة أن هذه الأساليب لم تختلف عما سبق وتعرض له، ولذا باءت جميعها بالفشل إلا أن ما كان مختلفا في "أميرداغ" هو شدة قسوتها ودوامها، ويمكننا أن نتبين من خلال رسائل النورسي أهدافه وراء تركيز جهوده في نشر رسائل النور، وكذلك آثار المحاولات المتصاعدة لإسكاته ووقف انتشار رسائل النور، كما يمكن أن نرى ذلك من النظر في حياته.

بذلت جهود في عام ١٩٤٥ لطباعة أجزاء أخرى من رسائل النور، وقد يكون بذل هذه الجهود قد تم بعد التصديق على تبرئة النورسي وطلابه، وإرجاع النسخ المصادرة من رسائل النور، وقبل الحصول على ماكينات النسخ. وكان بين الرسائل التي طبعت رسالة الآية الكبرى، وكان الجدال الدائر آنذاك حول الأبجدية التي ينبغي استخدامها، القديمة أم الجديدة؟ وخلال مشاورة للنورسي مع طلابه في إسبارطة، قرر النورسي أن يبعث بـ "طاهري موطلو" لطباعة رسالة عصا موسى بالحروف الجديدة، وطباعة رسالة "ذي الفقار" بالحروف القديمة،(٢٢) ومع ذلك فقد انتبه أعداؤهم إلى ذلك فقاموا بتحريض السلطات المختلفة لاتخاذ خطوات ضدهم، ومصادرة نسخ رسائل النور، ولهذا السبب لم تطبع هاتان المجموعتان في هذا الوقت.(٢٣) وقد أبان النورسي في رسالة أخرى عن "سبب آخر" لقرارهم طباعة جزء من رسائل النور بالحروف الجديدة، فكتب يقول بأن الوقت قد حان أو عما قريب سيحين وقت طباعة

(٢٢) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,1:115-116*
(٢٣) انظر: Badıllı, *Nursi,* 2:1409-1410

رسائل النور، أي إنها ستنتشر على نطاق واسع، "حتى توقف حدوث كارثتين مهولتين تهددان الدولة، وستعمل رسائل النور عمل "المنقذ المخلص" منهما.

أما الكارثة الأولى فهي الشيوعية، ففي مجابهة تيارها المناوئ يمكن لرسائل النور "أن تعمل كسد قرآني"، أما الكارثة الثانية فهي "الاعتراضات القاسية" الموجهة للشعب التركي من العالم الإسلامي، والذي تنصلت منه تركيا منذ تأسيس الجمهورية، فقد كانت رسائل النور معجزة قرآنية يمكنها أن تسترجع الحب السالف والأخوة الآيبة.(٢٤)

لقد آمن النورسي بأن الخطر الذي تمثله هاتان الكارثتان على الأمة التركية خطر حقيقي، حتى إنه ليتوجب على "السياسيين الوطنيين" – حسب رأيه – أن يعملوا على نشر رسائل النور بصفة رسمية لمجابهة هذا الخطر بدلا من محاولة قمعها، وخلافا لسياسته التي انتهجها خلال عشرين سنة من النفي والأسر، فقد كتب النورسي رسائل والتماسات لكبار المسئولين واصفا لهم فيها طبيعة هذه الأخطار وخطورتها، وحاثا لهم فيها على مواجهة هذه الأخطار بالعودة للإسلام ونشر الرسائل.

والحقيقة أن هذا كان يعد مواصلة لنفس جهاده الذي بدأه منذ شبابه، ألا وهو إقناع رجال الحكم بقبول الإسلام والقرآن كمصدر للتقدم والحضارة، بدلا من النهج الغربي وفلسفته. لقد تم اتباع النهج الغربي في أعقاب حرب الاستقلال، وكان اتباعه قد بدأ إلى حد ما قبل ما يزيد على قرن من الزمان، وكان الهدف منه هو إعمال النهج الغربي بحذافيره، واقتضى ذلك إقصاء الإسلام وتهميشه كما رأينا ذلك. لقد رأى النورسي فيما نتج عن ذلك معركة بين الإيمان والكفر، وحتى هذا الوقت حيث سنوات نفيه، كان دوره في هذه المعركة دورا دفاعيّا، فلقد كتب عددا من الرسائل يشرح فيها ويثبت أصول العقيدة، والتي كانت تتعرض آنئذ لهجمات شرسة باسم العلم والفلسفة والإلحاد، فسعى للدفاع عن الإسلام والعقيدة ضد هذه الاعتداءات المنظمة

---

(٢٤) انظر: *Nursi, Emirdağ Lâhikası,1:141-142*

التي كانت تُشنّ على جبهات كثيرة من خلال برامج تعليم الكبار، والتعليم في المدارس، وكل أنواع المنشورات، وهلم جرّا.

لقد تنقلت رسائل النور بين عامة الناس من يد إلى أخرى على تؤدة ودون جلبة أو لفت للأنظار، ونسخت يدويًا، وانتشرت درجة فدرجة حتى كان عام ١٩٤٥ حيث أصبح لرسائل النور آلاف من الأتباع في كل أنحاء تركيا، وفي عام ١٩٤٥ رأى النورسي أن الأمة التركية تتعرض لخطر عظيم نتيجة للطريق الذي سارت فيه البلاد، فلقد انقطعت عن مصدر دعمها من العالم الإسلامي، إضافة لانفصامها وتهتك عراها عن جوهرها الإسلامي الأصيل، وسوف تعجز عن الصمود والمجابهة لما رأى أنه مؤامرات قوى الكفر الخادعة، التي يتم تفعيلها شيئا فشيئا، والتي ستقوض الأمة التركية في النهاية، ولن يكون باستطاعة الأمة التركية الصمود لهذه المخططات إلا من خلال قوة القرآن. وعلى ذلك فقد حاول النورسي أخذ موقف الهجوم بطبع رسائل النور بالأبجدية الجديدة ونشرها على نطاق واسع، وفي الوقت نفسه لم يعمل النورسي ضد الحكومة والنظام القائم، بل إنه وعلى النقيض من ذلك كان يهدف إلى حفظ النظام الاجتماعي والاستقرار في مواجهة التيارين الدخيلين أو الكارثتين اللتين تعملان على تدمير النظام العام، ونشر عدم الاستقرار بالبلاد؛ ولذا كتب عددا من الرسائل المفتوحة والالتماسات الصريحة لأعضاء الحكومة وإداراتها ليحذرهم من هذه الأخطار.

وجه النورسي إحدى هذه الرسائل إلى حلمي أُران، الذي كان وزيرا للداخلية حتى أكتوبر عام ١٩٤٦، ثم أصبح الأمين العام لحزب الشعب الجمهوري، ووصف النورسي في رسالته التيارين، وأشار إلى الرباط الذي لا ينفصم بين الإسلام والأمة التركية، والخطأ الجسيم الذي يكمن في استبدال الإسلام "بالتحضر"، بمعنى القضاء على الدين وفرض الفلسفة في شكل القومية والوضعية.

كان الخطر الثاني المداهم هو استمالة العدو لمستعمراته في العالم الإسلامي وربطهم به برباط وثيق، وذلك بزعزعة ثقتهم بمكانة هذه البلاد

ومنزلتها المركزية للعالم الإسلامي، بعد وصمها باللادينية والإلحاد، والذي يفضي إلى انفصام العلاقة المعنوية بينها وبين العالم الإسلامي." جرى ذلك وفق خطة تمزيق العلاقات التركية بالعالم الإسلامية وقلب روح الأخوة التي يحملها العالم الإسلامي لهذه الأمة إلى عداء، فمن خلال ما وصفه النورسي في مواطن أخرى بأنه "لجان الزندقة"، "والمنظمات السرية"، "وقوى الفساد"، حاولت هذه القوى ترسيخ "الكفر المطلق" لخلق العداء ضد الأمة التركية، الأخت البطلة والقائدة المجيدة للعالم الإسلامي"، وقطع العلاقات بينها وبينهم.

أما التيار الآخر وهو الشيوعية فقد شكل خطرا داهما في ذلك الوقت، فبغلبته على كل دول أوروبا الشرقية، وحضوره الزاحف إلى الشمال وموقفه المعادي لتركيا، دفع ذلك تركيا للحاق بالغرب، فمنذ تأسيس الجمهورية في تركيا، عملت موسكو وعملاؤها والمؤيدون لها على نشر الشيوعية، وأخبر النورسي حلمي أران أنه "إن لم تتبنوا حاليّا الحقائق القرآنية والإيمانية، ولم تقوموا بالحث على الحقائق القرآنية والإيمانية بدل قيامكم خطأ في عهد سابق بالدعاية للمدنية الغربية وإضعاف الروح الدينية. فإن العالم الإسلامي سيعرض عن هذه الأمة. وستقهرون أمام الفوضى والإرهاب. وستكون سببا في تشتيت هذه الأمة التركية، وستمهدون لاستيلاء الغول الوحش، والذي يتمثل في الشيوعية على هذه البلاد".

يشير النورسي في الرسالة السابقة أن ذلك لن يتم إيقافه إلا بقوة القرآن والأمة التركية، التي "امتزجت روحها بحقائق الإسلام، وصارت جزءا من كيانها".[٢٥] لقد كان صراع النورسي مع هذه القوى السرية التي كانت تعمل نيابة عن التيار الأول سالف الذكر، و"الجمعيات السرية" و"المنظمات الإلحادية" التي كانت أصولها بالخارج، وبدأ هذا الصراع قبل قيام الجمهورية، بل يعود إلى أيام الثورة الدستورية. ولما رأت هذه القوى في النورسي حجر عثرة أمام انتشار الكفر بتركيا، أعملوا كل حيلة ووسيلة لإخماد صوته وإسكاته،

---

(٢٥) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٥.

وكان من أثر بعض هذه المحاولات ما جرى من المحاكمات والسجن، كما كان من ذلك محاولات أخرى لسمه، أما الآن في أميرداغ فقد شملت مؤامراتهم تعبئة النفوذ الحكومي ضد النورسي من خلال مسئولين معينين.[٢٦]

لقد اكتسبت الشيوعية قوة كبيرة في الدولة منذ تولي "إنيونو" مقاليد الحكم عام ١٩٣٨، وكانت السياسات التي اتبعها تؤيد انتشارها، كما ساد الاعتقاد بأن إقامة "معاهد القرية" لتدريب المدرسين عام ١٩٤٠ سيشكل "مراكز الهدم الشيوعية"،[٢٧] كما كان يُعتقد أنه قام بتعيين أنصار الشيوعية في المناصب العليا، رغم أنه من الصعب إثبات هذه الادعاءات، وعندما أجبره خطر العدوان السوفيتي أن يولي وجهه شطر الغرب، اضطر "إينونو" إلى اتباع النهج الليبرالي الديمقراطي، مما أفضى إلى حرية دينية أكبر، ودفع هذا أيضا بالعاملين في سبيل الشيوعية سرّا إلى زيادة جهودهم لإسكات النورسي لوقف انتشار رسائل النور.

رأى النورسي أخطار المستقبل الحقيقية في هذه المشاكل بالإضافة للتدهور الأخلاقي الذي أحدثه هذان التياران في تركيا، ووصف هذه الأخطار في رسالة بعث بها "لوزير العدل وقضاة المحاكم المعنية برسائل النور" كما حثهم على "حماية رسائل النور وطلابها" بدلا من مجابهتهم لها؛ حيث إن حل هذه المشاكل يكمن فيها، وأشار إلى أن "المتحررين" قد دافعوا منذ ثلاثين عاما مضت عن التحلل من القيود الدينية والأخلاق، وأن نتيجة ذلك قد بدت جلية، وإذا سرنا على الدرب نفسه فإن التطورات الحالية يمكن أن تفضي إلى انحطاط أخلاقي مخيف وتفكك اجتماعي خلال الخمسين سنة القادمة؛ لأن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقته من الدين ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة، فيصبح فوضويّا إرهابيّا، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام"،[٢٨] واستدل النورسي بأن التدمير المعنوي "الروحي والأخلاقي" الذي تحدثه هذه القوى لا يمكن وقفه ومواجهته إلا من خلال حقائق القرآن والعقيدة.

(٢٦) انظر: المرجع السابق، ص٢٣٢
(٢٧) انظر: Mango, *Atatürk*, 530
(٢٨) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص٢٣٤.

ولما كانت رسائل النور نابعة من القرآن، فإن بها "مصلحا تعدل قوته قوة القنبلة الذرية"، وهي "سد قرآني" أمام هذه القوى، ولا يمكن للقانون ومجريات العدالة أن توقف هذه التيارات الخطيرة لاعتماد القانون والقضاء على العقوبات "المادية"،[٢٩] كما لا يتسنى ذلك للسياسة والدبلوماسية. ولذلك أكد النورسي في رسائله لطلابه والإدارات الحكومية على أهمية "إيمان السياسيين والوطنين برسائل النور"، كما أشار مرارا أن هذه القوى التي كانت تحاول نفسها تدمير النظام وخلق الفوضى وكانت بذلك تتآمر على الدولة، قد سعت جاهدة على الدوام لافتعال الحوادث وإلصاقها بالنورسي وطلابه افتراء وجورا، فلقد حفظت رسائل النور وطلاب النور أسس النظام - كما أثبتت ذلك محاكم القانون – كما حافظت على الأمن وحالت دون الفتنة والاضطراب،[٣٠] كذلك كتب النورسي إلى المقر الرئيسي لشرطة "أفيون" يقول لهم: "عما قريب في المستقبل ستكون هذه الدولة وحكومتها في حاجة ماسة لأعمالٍ كرسائل النور."[٣١]

تصاعد المضايقات ومقدمات أفيون

دفع الانتشار السريع لرسائل النور خلال الثلاث سنوات ونصف؛ منذ عام ١٩٤٤ إلى مطلع عام ١٩٤٨، وتكثيف النورسي من جهوده في سبيل دعم قضيته بإرساله نسخ رسائل النور إلى السلطات مباشرة، وحثهم على النظر في خطورة الموقف - دفع ذلك العلمانيين إلى اتخاذ موقف متشدد منه، فصعدوا من ضغوطهم عليه وعلى طلاب النور الآخرين كجزء من مؤامرتهم لإعاقة أنشطتهم، وبلغت هذه الضغوط ذروتها إبان السجن الثالث، والذي جرى على نطاق واسع للنورسي وطلابه. وقرب نهاية عام ١٩٤٧ زار الرئيس "عصمت إينونو" سجن "أفيون" وألقى كلمة تصاعدت في أعقابها الضغوط على

(٢٩) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası,2:443-444,581-584*

(٣٠) انظر: على سبيل المثال النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص٢٦٨.

(٣١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٩.

النورسي،[٣٢] ونقل عنه قوله أثناء زيارته "يُزعم أن الاضطرابات الدينية ستندلع في هذه الولاية." وكتب النورسي في رسالة له أن هذا يشير للمؤامرة الكبرى التي كانت تدبر ضدهم، وكان الهدف مما ألحقوه به من ضرر - كما جرى من قبل - هو "إثارة حادثة واختلاق الاضطراب"،[٣٣] وفي أعقاب ذلك، تحركت الشرطة ضد طلاب النور في ولايات "إسبارطة" و"قسطموني" و"قونيا" وكثير من الأماكن الأخرى، ومن ثم فُتّشت المنازل وبدأت التحقيقات،[٣٤] وفي الوقت نفسه كان النورسي يخضع لسلسلة من المضايقات والاعتداءات والمداهمات.

من الواضح أن افتعال هذه الضجة من لا شيء سيؤدي إلى مزيد من الاعتقالات، وبأمر من وزير الداخلية حضر والي "أفيون" ورئيس الشرطة إلى "أميرداغ" ليلا بهدف تفتيش بيت النورسي، وحيث لم يوقع النائب العام على أمر التفتيش، فقد انتظروا حتى الصباح ثم خصصوا اثنين لكسر قفل الباب والدخول بالقوة.[٣٥] وذهب هذان المسئولان، الوالي ورئيس الشرطة، خمس مرات في غضون عشرة أيام، وعندما فتشوا بيت النورسي لم يعثروا على شيء، إلا أنهم أخذوا نسخته من القرآن وبعض أوراق مكتوبة بالعربية، وصدرت الأوامر لاثنين من الحراس بأخذ النورسي إلى مقر الشرطة، وحيث أخفقوا في إثارة غضبه بتفتيش بيته، فقد حاولوا افتعال حادثة بإحراجه على الملأ بمحاولة إزالة عمامته بالقوة وإلباسه القبعة عند أخذه إلى السجن للإدلاء بإفادته، ولكنهم أخفقوا ثانية، فكتب النورسي يقول:

"الشكر لله شكرا لا منتهى له، فقد أحسن إليّ حالة روحية بحيث أضحي بألوف من كرامتي وشرفي في سبيل راحة الضعفاء ودفعا للبلاء النازل بهم، فقررت أن أحمل جميع إهاناتهم، وحقارتهم وكل ما تنطوي صدورهم عليها من نيات فاسدة، وإني مستعد لتلقي كل ذلك في سبيل استتباب الأمن والنظام في ربوع

---

(٣٢) مصطفى بلال في Şahiner, *Son Şahitler*, 3:125

(٣٣) انظر: النورسي، ملحق أميرداغ، ١٥٦/١، طبعة ١٩٥٩.

(٣٤) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 495

(٣٥) انظر: النورسي، ملحق أميرداغ، ٢٧٠/١، طبعة ١٩٥٩.

البلاد، ولا سيما لراحة الأطفال الأبرياء والشيوخ الموقرين والمرضى الضعفاء و الفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية." (٣٦)

وفي هذا اليوم واليوم التالي له عندما ذهب النورسي في مركبة جياد خفيفة له إلى الريف المحيط بـ "أميرداغ"، تبعته خمس مروحيات،(٣٧) ويمكننا أن نتخيل ما جلبه كل ذلك من رعب لأهل المدينة. وفي مطلع عام ١٩٤٨ كان يتم استدعاء النورسي مرارا من قبل مركز الشرطة والمكاتب الحكومية لأخذ أفادته، وكان ذلك يتم بطريقة تؤدي إلى إهانته وانتقاصه. وفي إحدى المرات، ظل أربع ساعات واقفا وهم يسألونه أسئلة فارغة وتافهة رغم مرضه ومجاوزته عامه السبعين حينئذ، وكما حدث في دنيزلي، ففي تلك الليلة حدثت أربع هزات أرضية قاسية، وكان مركزها مدينة "أميرداغ".(٣٨) وكجزء من خطتهم لوقف انتشار رسائل النور، فقد أرسل بثلاثة من رجال الشرطة يرتدون اللباس المدني إلى "أميرداغ" من "أفيون" لمراقبة النورسي، ومعرفة طلابه، وتعلم أنشطتهم،(٣٩) وقد قام رئيس هذه المجموعة "عبد الرحمن أق كول" بحكاية تجاربه بشيء من التفصيل، وخلاصة ذلك كما يلي:

تم تزويد الثلاثة بالمعلومات بعناية، وإعطائهم هويات زائفة، وكان عليهم إخفاء هويتهم تماما، لدرجة أن أُسرهم لم تكن تعرف شيئا عن مكانهم، أوصى رئيس الشرطة "عبد الرحمن" فحذره ألا يزعج النورسي، لأنه في تلك الحالة سيواجه المتاعب، وصل الثلاثة إلى "أميرداغ" في ١٣ ديسمبر ١٩٤٧، ولم يعلم

---

(٣٦) النورسي، ملحق أميرداغ، ٢٣٩.

(٣٧) انظر: المرجع السابق، ص٢٩-٣٠، و *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 460

(٣٨) انظر النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص٣٨٦-٣٨٧، لقد تبينت هذه الصلة الوثيقة بين رسائل النور والكون والكائنات كنوع من التوافقات، وذكرت في مواطن عديدة في الفصول السابقة، في معرض سياقات إيجابية وأخرى سلبية، وهناك كثير من الأمثلة في أميرداغ لكليهما، ولم تكن الهزات الأرضية المذكورة إلا واحدة من ذلك. أما السياقات الإيجابية فتشمل قدوم أنواع عديدة من الطير مبشرات بالأخبار السارة أو دخولها حجرة بطريقة غير عادية على الإطلاق، أو البقاء فترة من الوقت عند قراءة رسائل النور أو رسائل النور لطلابه. انظر: ملحق أميرداغ، ١/٤٦-٤٧، ٦٧، ٨٦، وغير تلك من الصفحات عبر هذا الملحق، وللرجوع لقائمة بتسع عشر كرامة من هذه. راجع: Badıllı, *Nursi*, 2:1469-71.

(٣٩) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*, 499

بهم أحد من هناك سوى رئيس الحرس والقائم مقام،[٤٠] وبعد أن بينوا لهم موقع بيت النورسي، جلس ثلاثتهم في المقهى المواجه له وبدءوا مراقبته، وبعد برهة بدا النورسي على باب بيته، وخرج بعض من تلاميذه، وأشار عبد الرحمن إلى كونهم من الشباب، ثم أتى الطلاب نحو المقهى، وتحدثوا مع صاحبها، واقتربوا من الثلاثة، وقالوا لهم: "إن الأستاذ يبلغكم بتحياته ويريد أن يلتقي بكم،" وأسقط في يد ثلاثتهم، فحاولوا إخفاء ذلك، وادعوا الجهل بالأمر، وأخيرا أرسل عبد الرحمن بواحد من الاثنين الآخرين معهم، وهو حسن، وعاد بعد ذلك فأخبرهم بما حدث، سأله النورسي أولا عن اسمه، فرد عليه حسن قائلا: أحمد.

فأجاب النورسي على ذلك قائلا: انظر يا أحمد، عدني أن تصدقني، "أعدك،" واصل النورسي كلامه:

"لقد تلقيت أنباء تفيد أن ثلاثة من الشرطة قد أرسلوا لمراقبتي. إن لي الكثير من الطلاب والأصدقاء، فإن كنت من هؤلاء الثلاثة، فأخبرني وسوف أحذرهم حتى لا يضركم شيء"، فاعترض حسن على هذا وأصر أنهم ليسوا من الشرطة، وحدث الشيء نفسه في اليوم التالي، ولم يرسل عبد الرحمن بالاثنين معا إلا في هذه المرة، فتحدث إليهم النورسي عن الإيمان والقرآن، وقدم لهم بعض الحلوى التركية، وأهداهم نسخا مكتوبة يدويا من مرشد الشباب وعصا موسى. ويحكي عبد الرحمن كيف دوّن الشرطي الثالث صالح مذكرة يقرر فيها أن "سعيد النورسي قد أمر أحد طلابه أن يشتري له الخمر من الحانوت إلا أنه لم يجد أحدا يشاركه فيه"،[٤١] وقد تلقى صالح إزاء فعلته جزاء مستحقا، فسكر هو نفسه في تلك الليلة حتى ثمل، وانخرط في شجار وضُرب فيه، ووُجِد ملقيّا

(٤٠) قائم مقام: هو ممثل الدولة الرئيسي، وهو أقل رتبة من حاكم الولاية.

(٤١) يشير النورسي إلى هذا في مواطن عديدة، وكان هذا جزءا من حملة التشهير التي "لا يستطيع أي شيطان خداع أن يتشخص بها" وأظهرت أن جعبتهم باتت خاوية من أي سلاح آخر يمكن أن يستخدموه ضد رسائل النور. انظر: النورسي، ملحق أميرداغ، ٢٥٧/١، طبعة ١٩٥٩، وانظر كذلك: النورسي، اللمعات، ص ٣٩٦.

في إحدى البالوعات وقد فُقد وعيه، وسُرق مسدسه، وكعقوبة لذلك، غرمه رؤساؤه ثلاثة أضعاف ثمن مسدسه وحطوا من رتبته، ونقلوه إلى مكان آخر، وعندما أتى عبد الرحمن لمشهد اعتقال النورسي وطلابه، وصفه بقوله:

"حيثما سار النورسي في "أميرداغ"، اعتاد الناس أن ينتظروه على جانبي طريقه، ويحيوه مبتسمين، وعندما كنا هناك قدم الوالي والمدعي العام لـ "أميرداغ" خمس أو ست مرات وقاموا بعمليات تفتيش، وذات مساء قبضوا على عشرة أشخاص من منازلهم، وعلى خمسة آخرين من أماكن عملهم، وقبضوا على النورسي صباح اليوم التالي، وأخذوا الجميع في حافلة للشرطة إلى "أفيون"، وعدنا إلى "أفيون" في اليوم نفسه، في ١٧ يناير ١٩٤٨. أقاموا هناك ثلاثة أيام بفندق "إمنيات" بـ "أفيون"، وأخذت أقوالهم، واحتشدت أعداد غفيرة في الأماكن المجاورة خلال هذه الأيام الثلاثة، فحاصر كل رجال الشرطة الفندق، وطوقوا الطريق إلى السجن، وقال رئيس الشرطة إنني مكلف بأخذ النورسي من الفندق، فارتديت ملابسي الرسمية، ثم قلت له:

كيف يمكنني فعل ذلك؟ فهو يعرفني، وسيكون من سوء الأدب البالغ أن أفعل ذلك." فرد قائلا: "ليكن، فكل شيء بالخارج على الملأ الآن"، ذهبت إلى الفندق مع نفر من أفراد الشرطة، فدخلوا وانتظرت على الباب، وعندما خرج النورسي، رآني على أعتاب البيت، فتبسم وتعجب: "عبد الرحمن!" ثم ربت على ظهري وقال: مازلت أحبك، لأنك تقوم بواجبك، أخذنا النورسي إلى السجن عبر طريق شوارعه خاوية، وأخذنا تلاميذه من الطريق الذي ينتظر الناس عليه. استمرت جلسات السماع في المحكمة وقتا طويلا، وأدليت أنا أيضا بأقوالي، فقلت بأنني لم أرَ النورسي يقوم بفعل أي شيء من شأنه الإضرار بأحد".[٤٢]

ورغم أن "عبد الرحمن أق كول" قد قرر سابقا أن النورسي وطلابه ظلوا ثلاثة أيام في الفندق، فقد كان اعتقالهم رسميّا وسجنهم في ٢٣ يناير، فيكون الخمسة عشر طالبا أو نحوهم ممن أقاموا هناك قد ظلوا أسبوعا بالفندق، وفي غضون ذلك كان يتم جمع طلاب النور في "إسبارطة"، "دنيزلي"، و"أفيون"، و"قسطموني"، والأماكن الأخرى، وإحضارهم إلى "أفيون"، ووصل مجموع من

---

(٤٢) عبد الرحمن أق كول في Şahiner, *Son Şahitler* 3:147-148

خضعوا للاستجواب المبدئي أربعة وخمسين شخصا، وتزامن هذا مع موجة من الطقس البارد وهو أمر نادر الوقوع في "أفيون"،[٤٣] التي تتميز بمناخها الخاص، بينما تنخفض درجة الحرارة تحت الصفر في أماكن أخرى.

(٤٣) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 374-375

الفصل الخامس عشر

آفيون

سجن أفيون

هكذا دخل النورسي وطلابه الذين تتلمذوا على رسائل النور مدرستهم الثالثة، وهي المدرسة اليوسفية، وكسابق عهدهم، فقد استطاعوا بإصرارهم على نسخ رسائل النور وبكتابة النورسي لرسالته المطولة "الحجة الزهراء"، وتلقين السجناء وتعليمهم أن يجعلوا من هذا السجن مدرسة رغم من عانوه في سجن أفيون من معاناة تفوق بكثير ما عانوه في سجن "اسكي شهر" و"دنيزلي"، وفي تلك الأثناء، كان عهد حزب الشعب الجمهوري يلفظ أنفاسه الأخيرة. وفي عام ١٩٤٦ تأسس الحزب الديمقراطي، وبدا الأمر وكأنهم يوجهون ضربة أخيرة للإسلام، الذي كان عليهم عمل بعض التنازلات له آنذاك؛ فحكموا على النورسي الذي انبرى وحده من بين كبار رجال الدين في تركيا معلنا تحديه لهم بالسجن لمدة عشرين شهرا كانت من أسوأ ما رأت عيناه، لكنه تحمل تلك الظروف المهينة واستطاع أن يظل على قيد الحياة ليرى بأم عينيه رسائل النور وهي تطبع في حرية كاملة في ظل حكم الحزب الديمقراطي واتحاد طلابه في حركة قوية.

ومن الواضح أن إدانة النورسي وطلابه وسجنهم كان أمرا مبيّتا، فبعد أن قضت محكمة "دنيزلي" ببراءة النورسي وطلابه، قرر أعداؤهم إدانتهم بأي شكل كان، رغم ما تضمنه ذلك من "ازدراء لثلاث محاكم كبرى، واستخفاف بنزاهتها وعدالتها بل وامتهان لها"، حيث كانت التهم التي وجهوها إليهم هي نفسها التي وجهت لهم من قبل،[1] وهناك عدد من الدلائل يثبت ذلك منها:

---

(١) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٤٣٩ وكذا٥١٠ .

أولا:لقد قرر "رئيس الوزراء" - كما جاء في وصفٍ للحياة في سجن أفيون - "أثناء مداولات في الجمعية الوطنية الكبرى حول إجراء تغييرات على المادة ١٦٣ "المرنة" من القانون الجنائي لتصبح أكثر شمولية وتضمن عقوبات أكثر ردعا[٢] حتى يتسنى تطبيقها على سعيد النورسي وطلابه مباشرة.[٣]

ثانيا: تبين رواية محمد كاي خان، مدير سجن أفيون، أن القضاء بسجن النورسي كان أمرا مبيّتا؛ حيث يقول: "حيث ثبت لدى الحكومة التركية أن النورسي يقوم بدعاية دينية، فقد أرسلت بواحد من رجال الشرطة يدعى صبري بنزلي وبعض الآخرين إلى "أميرداغ" في ملابس مدنية، وذات يوم أتى صبري بنزلي إلى السجن وقال لي: "عما قريب سنأتيك بشخص يدعى النورسي"، وبعد فترة جاءوا بسعيد النورسي إلى السجن"،[٤] وذلك يفيد أنهم أخبروا مدير السجن أن النورسي سيتم سجنه قبل صدور أي حكم من المحكمة ضده بل قبل القيام بالإجراءات الرسمية التي تسبق ذلك.

بعد أن تم سجن النورسي، قاموا بفرض عزلة كاملة عليه حتى إنهم لم يطبقوا عليه القوانين المفيدة للمسجونين؛ فلم يسمح لأحد بزيارته، كما منع عنه أي عون أو معلومات تتعلق بمرافعات المحكمة، ولإعاقة عملية الدفاع عنه، أخر وكيل النيابة تسليمه تقرير الخبراء بأنقرة نحو ستة أو سبعة أشهر، رغم أن عريضة الاتهام المكونة من ست وأربعين صفحة كانت مبنية عليه،[٥] كما أن المدعي العام قد أساء استخدام سلطاته بطرق مختلفة في محاولة حثيثة لإلصاق التهم بالنورسي وطلابه، وإبطاء إجراءات المحاكمة، فعلى سبيل المثال، فقد ادعي أن النورسي متورط في أحداث الشغب داخل السجن، حيث كان هناك تمرد داخل السجن، إلا أن أحدا من طلاب النورسي لم يتورط فيه،[٦] وكثيرا ما

---

(٢) يشير هذا إلى المادة التي تمنع استخدام الدين لأغراض سياسية، وهي إحدى مواد قانون العقوبات لعام ١٩٤٩. انظر: Zürcher, E. J. *Turkey260*

(٣) انظر: إبراهيم فقازلي، في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:184-185

(٤) انظر: محمد كاي خان في Şahiner, *Son Şahitler* 2:300

(٥) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٤٥٣ .

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢٧.

كان يؤخر المدعي العام إجراءات المحاكمة؛ فمثلا أوقف إرسال الوثائق الخاصة بالقضية إلى محكمة الاستئناف مدة ثلاثة أشهر.

وفي أعقاب الجلسات الابتدائية بدأت جلسات الاستماع بعد نحو أربعة أشهر من القبض عليهم، واستمرت نحو ستة أشهر ونصف، وقد تمت محاكمة ثلاثين من طلاب النورسي دون القبض عليهم، وكان هناك نحوا من تسعة عشر آخرين بينهم النورسي داخل السجن دفعة واحدة. وكان القرار الذي توصلت إليه المحكمة وهو إدانة النورسي ببعض التهم رغم كل الأدلة النافية لذلك دليلا واضحا على غرضها. ورغم أن لجنة الخبراء السابقة قد برأت ساحة رسائل النور من أي انتهاك قانوني، إلا أن اللجنة التي شكلتها إدارة الشئون الدينية، تضمنت عددا من النقاط السلبية، وقد تكون نتيجة للضغط الخارجي، وكان لوكيل نيابة أفيون القدرة على استغلال ما توصلت إليه اللجنة ضد النورسي وطلابه.

الحياة في سجن دنيزلي

ظل النورسي بسجن "أفيون" مدة عشرين شهرا، وتراوحت الفترات التي قضاها طلابه من بضعة أيام إلى ثمانية عشر شهرا، ولكن الغالبية العظمى منهم قضوا ستة أشهر؛ مجموعة منهم قضوا هذه المدة قبل صدور حكم المحكمة، والبعض الآخر بعد صدور الحكم. ورغم أن هذه الفترة كانت فترة صيف إلا أن كثيرا من الروايات قد تحدثت عن البرد الشديد في السجن. وكما كان عليه الحال في أميرداغ، فقد كان التركيز منصبا على شخص النورسي فجعلوه غرضا للهجوم عليه، وكاد أعداء النورسي له ثانية وهم لا يدرون وبال ذلك عليهم. كان للنورسي من الإخلاص وحميد الخلال ما جعله يتحمل أصعب الظروف وأشد المحن وأهولها في سبيل رسائل النور وطلابها، ولم ينج النورسي من هذه المحن فحسب بل تغلب عليها كذلك. ورغم أن عمره كان يربو على السبعين سنة، وقد تجمدت أطرافه من البرد حتى ما عاد يشعر بها، ووهنت قوته من الجوع، وفي مرات عديدة كان على حافة الموت جراء السم الذي دس له، وهو وحيد مهمل في محنته التي يصعب تخيلها، لم ينقطع النورسي عن

الكتابة لهداية طلابه والسجناء الآخرين. كان يقضي ليله في الصلاة والتدبر، فلم يعد دفاعه عن نفسه فحسب بل قاد "حملة عامة" للدفاع عن نفسه وعن طلابه حتى يتمكن من إعلام الناس بحقيقة الأمر، ومن الدفاع عن رسائل النور ضد الهجوم الأخير عليها، تمكن من إيقاع الهزيمة المنكرة بأعدائه بروحه تلك التي لا تقهر.

كان السجن الذي ألقي فيه النورسي مكونا من ستة عنابر أو مهاجع، ولدى وصول النورسي إلى السجن، تم وضعه في حبس انفرادي في عنبر يتسع لسبعين سجينا بالطابق العلوي الذي كان متدهورا للغاية، وكان له أربعون نافذة صغيرة، منها خمس عشرة نافذة فقط زجاجها سليم، وتركوه في وحدة تامة وهو مصاب بالحمى في غرفة فسيحة قارسة البرودة تنخفض درجة حرارتها إلى ما تحت الصفر، ولا يوجد بها أية مواقد أو تدفئة،[٧] ثم أعطوه موقدا بعد ذلك، ونعلم من أحد دفاعاته أنه حتى بعد مرور ثلاثة أشهر ونصف من العزلة التامة لم يكن ممثل الادعاء قد سمح بدخول كتبه إليه.[٨]

وكان ممثل الادعاء ومدير السجن، الذين وصفهما صلاح الدين شلبي بأنهما كزعماء الجستابو،[٩] هم الذين منعوا طلاب النورسي من زيارته،[١٠] بل وعاقبوا الحراس الذين أهملوا معاملة النورسي وطلابه معاملة سيئة، ورغم ذلك وجد طلاب النورسي طرقا لمراوغتهم والوصول للنورسي ومساعدته، ولو تم ضبطهم، لضربوا على أقدامهم بلا رحمة.

بقدر تحمل طلاب النورسي ظروفا رهيبة وقاسية داخل عنابر السجن المزدحمة لخدمة القرآن والإيمان من خلال رسائل النور، بل وتحمل المهانة وسوء المعاملة التي عانوها مرارا برباطة جأش، ودائما ما كان أستاذهم مصدر قوة وسلوى لهم، فقد أخبر البعض أن صلوات النورسي ودعائه طوال الليل

---

(٧) انظر: النورسي، اللمعات، ص٣٢٧.

(٨) انظر: النورسي، الشعاعات، ص٤٠٥.

(٩) منظمة ألمانية تابعة لجهاز الأمن الداخلي أسستها النازية وعرفت بقيامها بأعمال إرهابية ضد من يشتبه في ولائه.

(١٠) صلاح الدين شلبي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:117

كانت بمثابة سلوى له،[١١] كما تحدثوا جميعا عن عطفه وحنوه عليهم في السجن؛ فقد رأوه وهو يرمقهم من زنزانته في الطابق العلوي أثناء تدريبهم في فناء السجن. كان يسقط عليهم وريقات صغيرة يحثهم على أن يبتهجوا ويسألوا أنفسهم أين أخطأنا.[١٢]

وخلال فترة العشرين شهرا التي قضاها النورسي في سجنه، كتب العديد من الرسائل لطلابه في السجن، بالإضافة إلى الملاحظات التي كان يقوم بتدوينها، وكانت حول الأمور المتعلقة بحياتهم في السجن، كرسائله في سجن "دنيزلي"، وأهم من ذلك هو أنه طلابه جعلوا ينظرون إلى الفترة التي قضوها في السجن نظرة إيجابية في ضوء الحكمة الإلهية بابتلائهم واختبارهم، وهو ما أتاح فرصا جديدة لخدمة القرآن من خلال رسائل النور. وعندما امتدت محاكمتهم واحتجزوا لشهور في هذه الظروف، أشار النورسي مرارا لفوائد هذه الفترة؛ حيث "أفسحت المجال أمام رسائل النور"، وألهمتهم الصبر.

تتناول بعض هذه الخطابات أمر المحاكمة وتخصص جزءا منها لمرافعات الدفاع، وأمر إرسال هذه الدفاعات إلى مكاتب الحكومة وإداراتها المختلفة، كما تذكر جوانب أخرى "لخدمة" الطلاب، وهناك رسائل أخرى تحذر الطلاب من الوشاة والجواسيس والمساعي التي تبذل لنشر بذور الخلاف بينهم لتحطيم وحدتهم، كما يشير النورسي في عدد من رسائله لطلابه إلى جانب هام من "خدمتهم" داخل السجن وهو إصلاح السجناء الآخرين، وقد أظهر ذلك أثرهم حيث صلح حال كثير من المسجونين كان بينهم قتلة مجرمون أمثال "طاهر السفاح" الشهير.[١٣]

أما بالنسبة لطلاب النورسي فقد سعوا باستمرار لزيارة النورسي، ودائما ما وجدوا سبلا لتبادل الرسائل معه، وانتشروا في عدد من العنابر، وشكلت كل مجموعة مدرسة خاصة بها كي يقوموا معا بدراسة رسائل النور، وتعليم المسجونين الآخرين الراغبين في ذلك. وكان الطلاب يقومون بكتابة أجزاء

(١١) إبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2: 190-191
(١٢) المرجع السابق2: 196، وانظر كذلك: مصطفى صونغور في Şahiner, *Aydınlar Konuşuyor*, 382
(١٣) حلمي بانجر أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:320-321، Şahiner, *Nurs Yolu*, 54-56.

مختلفة من رسائل النور بشكل دائم، ويعد "مصطفى آجِت" نموذجا حقيقيا لأولئك الذين تعلموا في المدرسة اليوسفية، كان أحد أقارب "عائلة جالشقان" في "أميرداغ"، واعتقل على سبيل الخطأ، حيث اعتقل بدلا من رجل يدعى "مصطفى ترزي"، ولكن خلال فترة الأحد عشر شهرا التي قضاها هذا الشخص البريء في سجن أفيون تعلم من طلاب النور طرق الرسم القرآني مما أهّله للتعيين كخطاط في إدارة الشئون الدينية، ليس هذا فحسب ولكنه تعلم أيضا كيف يتلو القرآن الكريم، مما جعله يعمل لمدة عشر سنوات كإمام مسجد في أميرداغ بعد إطلاق سراحه.[١٤]

كانت أرضية الطابق الأرضي لهذه العنابر من الحجارة، وتبلغ مساحتها من عشرين إلى خمس وعشرين مترا في ثمانية إلى عشرة أمتار، وبها ثلاثة مراحيض تفتح على العنبر، وإذا احتاج أحد المسجونين دخول المرحاض، كان عليه أن يجد وعاء من الماء ويأخذه معه إلى هذه المراحيض. كان في كل عنبر من هذا العنابر من سبعين إلى ثمانين سجينا، وكانت إدارة السجن توزع عليهم بعض الأطعمة، ولكن كانت كلها مدفوعة الثمن. وحيث كانت غالبية المسجونين من البلدة، فكان أقاربهم خارج السجن يبعثون إليهم بالطعام ويغسلون لهم ملابسهم، وحيث كان طلاب النور من مناطق أخرى، ولم يكن معهم سوى القليل من المال، فقد عاشوا على قليل مما يقدم إليهم. ويصف "إبراهيم فقازلي" حساء اللبن المجفف الذي كان يعيش عليه، حيث اعتاد السجناء طهي هذا الحساء على إناء صغير مصنوع من أوعية صفيح قديمة، وكان هذا الحساء يُطهى بزيت رديء غير صالح للاستهلاك الآدمي إن لم يكن عادما بالفعل، فيضاف اللبن المجفف إلى هذا الحساء كما يصف الرائحة النتنة لهذا الزيت العادم إضافة لرائحة المراحيض التي كانت قوية للغاية حتى إنه أُغمي عليه لدى وصوله إلى المعتقل، إلا أنه اعتادها بعد يومين أو ثلاثة،[١٥] أما طعام النورسي، ففي فترة من الوقت كان يعده له طلابه ويبعثون به إليه من

---

(١٤) مصطفى آجت في Şahiner, *Son Şahitler* , 3:138-139

(١٥) إبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:198

العنبر السادس حيث كان كل من "محمد فيضي"، و"خسرو"، "جيلان"، وغيرهم من الطلاب. ولم يكن النورسي يأكل الخبز الذي يقدمه السجن، ورغم ذلك فقد حاولوا دس السم له ثلاث مرات على الأقل، وهناك أوصاف مؤلمة له في تلك الظروف، فيذكر "إبراهيم فقازلي" خلال وصفه الحالة المؤلمة التي مر بها النورسي، ويستطرد بذكر البرودة القارسة، وكيف أن إدارة السجن قد نقلته لفترة مؤقتة إلى معتقل مزدحم، فيقول:

"كنا حين لا نرى الأستاذ على النافذة، نقلق عليه كثيرا، ونفكر عما عساه يكون السبب لعدم ظهوره، ومهما كلفنا الأمر، كنا نبحث عن فرصة لنصعد إليه ونراه، وفي يوم شديد البرودة من أيام الشتاء، تسلقت إليه (خفية) دون أن يلحظني أحد؛ كان الأستاذ مريضا للغاية. مد يده إليَّ وطلب مني أن أمسك بها، فأخذتها وقبلتها. كانت حرارة يده مرتفعة للغاية، لم تتحملها يدي، فقال: "إبراهيم، لقد أوهنني المرض، وأنا على وشك الموت، ولكنني أشعر بالارتياح لوجودك هنا"، وفي تلك اللحظة وصل جيلان، فأعاد الأستاذ الكلام عليه مرة أخرى، بكينا بشدة، وبكى الأستاذ كذلك، ولم نعرف ما يجب علينا فعله، عانقنا الأستاذ وودعنا، ثم دعا لنا كثيرا وطلب منَّا أن نبتعد، وعندما عدنا إلى العنبر شرحنا الموقف لإخواننا، ودعونا الله كثيرا وقرأنا الجوشن،[١٦] وأدركنا بعدها أنهم قاموا بسمّ الأستاذ. كنا حينئذٍ في الشتاء، وكان كل مكان في أفيون متجمدا. كانت الاتصالات مقطوعة عن البلاد المجاورة، والسكك الحديدية مغلقة، ولم يصل للمدينة طعام أو وقود لفترة تتراوح بين خمسة عشر إلى عشرين يوما، كما لم تكن هناك مياه جارية، ولم يكن من الممكن تدفئة عنبر النورسي حيث كانت نوافذه مكسورة وأرضيتها بها فجوات. رأيت الأستاذ في هذا اليوم يرقد تحت بطانيتين مطويتين مرتين وأمامه وعاء زيت فيه قطعة صغيرة من الفحم وغلاي وإبريق للشاي".

وبينما كان النورسي، ذلك البريء المريض الشيخ الكبير يرقد في زنزانته متجمدا لدرجة الموت في عنبر خاوٍ ومفتوح للبرد ونحوه، كان العنبر المواجه لزنزانته في حالة جيدة، وبه موقد من الحديد ومياه ساخنة. كان نزلاؤه ثلاثة أحدهم شاب حكم عليه بالسجن مدى الحياة لاتهامه بالشيوعية، والآخر طبيب

(١٦) الجوشن الكبير: هو مجموعة من الأدعية المشهورة ، تشتمل على أسماء الله تعالى، ويروى لها فضيلة كبيرة.

متهم بالاغتصاب، والثالث سجين سياسي. تمتع هؤلاء النزلاء بكل المميزات؛ بل وكان المتهم بالشيوعية يُسمح له بالخروج إلى المدينة برفقة أحد الحراس.

بعث طلاب النورسي بعدة التماسات إلى إدارة السجن من أجل توفير فحم وموقد مناسب للنورسي، وفي أعقاب ذلك قامت إدارة السجن بنقله إلى العنبر الخامس، عنبر النشالين واللصوص والمتسولين، بدا الأمر وكأنهم قد أشفقوا عليه، ولكن وللأسف كانوا يواصلون أساليبهم المعتادة، فقد كانوا يعلمون أنه لن يستطيع تحمل زحام هذا العنبر وقذارته وضوضائه، وأنه سيكون بمثابة عذاب أشد له، إلا أن المسجونين كانوا أكثر تعاطفا معه؛ فخصصوا جزءا من العنبر وجهزوه بالأغطية، وأقاموا به موقدا، ووضعوا النورسي في هذا الجزء، ولم يقوموا بعمل أية ضوضاء تسمع بالخارج، وأصبح هذا المكان أكثر أماكن السجن دفئا، وهنالك كتب النورسي رسالة "الحجة الزهراء".[١٧]

كتب النورسي، الذي كان يكابد المرض الشديد والضعف البالغ أنه خطر له أنه حيث كان طلاب النور في كل العنابر الأخرى عدا هذا العنبر الخامس فقد حرم المسجونين فيه من دروس رسائل النور، لذلك استفتح النورسي بالبسملة ثم شرع يعلم الشباب على وجه الخصوص، ويشرح لهم أحد عشر دليلا على وجود الله ووحدانيته،[١٨] أما السجناء فقد تنافسوا على مساعدة النورسي، وبدأ كثير منهم يؤدي الصلوات الخمس كل يوم.

كان النورسي يشعر بالحزن بادئ الأمر عند نقله إلى العنبر الخامس، إلا "إن ذلك صار رحمة"، وحذَّر النورسي إدارة السجن بأنهم سيعانون من جراء ما فعلوه به، وأن البرد سوف يشتد، ويصف أحد السجناء الذين فعلوا الكثير لمساعدة النورسي في السجن، وكان بائعا للكتب، كيف أن درجة الحرارة انخفضت كثيرا بعد ذلك حتى تجمدت قطرات المياه، وقال الناس في المدينة: "من المؤكد أننا فعلنا شيئا اصبح حجة للقدر" في ذلك الوقت، قام هذا السجين وسجناء آخرون بعمل موقد للنورسي في زنزانته القديمة وجعلوها صالحة

---

(١٧) انظر: إبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:197

(١٨) انظر: النورسي، الشعاعات، ص٦٢٨.

للإقامة، وعاد النورسي إليها، وبعد ذلك بدأت الرياح الدافئة تهب، وارتفعت درجة الحرارة، وبدأت الثلوج في الذوبان، ومن ثم بدأت مواسير الصرف تنفجر وفاضت المياه القذرة التي خرجت من هذه المواسير على المدينة والسجن، واستغرق الأمر أياما لتنظيف المدينة والتخلص من الرائحة النتنة، وهكذا تحققت نبوءة النورسي.

كتب النورسي بعد ذلك الجزء الثاني من "الحجة الزهراء"، يصف نفس السجين، "كمال بايرقلي"، كيف أنه نقل الأجزاء التي كتبها النورسي من هذه الرسالة بحالها إلى "خسرو"، حيث قام خسرو وطلاب النور الآخرين بكتابة نُسخ منها، وما إن ينتهوا من ذلك، حتى يعطون هذه النسخ لـ"كمال بايرقلي" حيث كانت أدوات مهنته متاحة له في السجن، فيقوم بتجليدها في شكل كتاب.[١٩] وكان كل هذا يتم في سرية تامة، ولذلك فقد استمر العمل في رسائل النور حتى في أحلك الظروف داخل سجن أفيون.

رؤية النورسي خارج السجن

لقد شوهد النورسي خارج السجن في عدد من المساجد بينما كان نزيلا في سجني "اسكي شهر"[٢٠] و"دنيزلي"، كما شوهد عدة مرات عندما كان في سجن "أفيون"، وكما كان ديدنه بشأن قواه الخارقة وكراماته - إن جاز القول، فما أهمل النورسي قط نسبة ذلك إلى شيء غير نفسه مخفيا قدراته الخاصة، فينسب ذلك للقرآن ولرسائل النور، وهناك روايتان عن مشاهدته في مساجد المدينة، يذكر إحداهما حارس من حراس السجن هو "حسن دكيرمنجي"، ويذكر الثانية أحد سكان المدينة. يقول الحارس:

"رغم أن النورسي كان داخل السجن، فقد انطلقت الإشاعات عن مشاهدته في المساجد وفي سوق المدينة، وقد قمت بفعلة حمقاء في ذلك الوقت، فقمت بتنظيف حذائه ومسحه لمعرفة ما إذا كان سيتسخ أم لا؛ فلو اتسخ الحذاء، فإن هذا يعنى أنه خرج بالفعل، يا للحماقة الصبيانية!"[٢١]

---

(١٩) انظر: كمال بايراقلي في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:311-313

(٢٠) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 202-203

(٢١) انظر: حسن دكيرمنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:293

أما "حلمي بانجار أوغلو"، الذي عاش في "أفيون" وزار النورسي عندما أقام في المدينة بعد إطلاق سراحه، فيروي أنه:

"بينما كان النورسي في السجن، طلب إذنا لحضور صلاة الجمعة، ولكن قوبل طلبه بالرفض، بعد ذلك نظر الحراس في زنزانته فلم يروه، وبدأوا يبحثون عنه في المساجد في حالة من الذعر. ذهب رجال الشرطة إلى مساجد مختلفة، ورآه المجموعات المختلفة من رجال الشرطة يؤدي الصلاة في وقت واحد في مسجد الإمارة، ومسجد الأوت بزاري، ومسجد المصيرلي، وما أن ينتهي الجميع ويخرجون من المسجد حتى لا يروا له أثرا، وعندما يعودون للسجن بعد ذلك، يجدون الأستاذ في زنزانته، وعلم غالبية أهل "أفيون" بهذا الحدث.(٢٢)

وفي معرض إجابة النورسي على سؤال بهذا الشأن، أكَّد النورسي أن هذا حدث له بالفعل، إلا أنه كما سبق آنفا كان يقلل من أهمية هذا، ويصرف الانتباه عن شخصه إلى رسائل النور، فكتب يقول:

"لقد شاهد المجاهدون في جبهات متعددة من الحرب عالما جليلا فاضلا، وذكروا له مشاهدتهم، فقال: إن بعض الأولياء قد ظهروا بمظهري، وأدوا بدلا مني في موضعي أنا أعمالا لأجل إكسابي ثوابا، وليستفيد أهل الإيمان من دروسي، ومثل هذا تماما، فقد شاهدوني في جوامع "دنيزلي" وأنا نزيل سجنها، حتى أبلغوا ذلك إلى الجهات المسئولة وإلى المدير والحرّاس، وقال بعضهم في قلق واضطراب.. من يفتح له باب السجن! فالأمر نفسه يحدث هنا تماما، والحال أنه بدلا من إسناد حادثة جزئية خارقة إلى شخصي المقصر جدا فإن رسالة "ختم التصديق الغيبي" تثبت خوارق لرسائل النور وتبينها كاسبة ثقة أهل الإيمان برسائل النور أكثر بكثير من تلك الحادثة بمائة مرة بل بألف مرة، فضلا عن تصديق أبطال النور بأحوالهم الخارقة وكتاباتهم الرائعة لمقبولية رسائل النور."(٢٣)

حادثة العَلَم

في عيد إعلان الجمهورية يوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر، عندما كان النورسي في سجن "أفيون"، قام مدير السجن، في محاولة منه لاستفزاز

---

(٢٢) انظر: حلمي بانجار أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:320

(٢٣) النورسي، الشعاعات، ص ٥٢٩

النورسي بوضع العلم الوطني بالنجمة والهلال الشهيرين، على زنزانة النورسي معتقدا أن النورسي سوف يستاء وينزعج من ذلك، وربما يحاول التخلص منه، للأسف، لم يفهم هؤلاء الضباط شخصية النورسي! فالنورسي، ذلك "الجمهوري المتدين" منذ نعومة أظفاره قضى حياته كلها يجاهد من أجل مصلحة الأمة التركية وسلامة دولتها، جاهد في سبيل ذلك في ميدان القتال كما جاهد بقلمه، ولذلك كتب النورسي خطابا إلى مدير السجن، وكان الخطاب كالتالي:

> "سيدي، أود أن أشكرك على وضعك علَم يوم الاستقلال على عنبري، فقد علمت أنقرة أثناء الحركة الوطنية في استانبول أنني عملت فيما يشبه أن يكون فصيلا عسكريا فقمت آنذاك بتأليف كتابي"الخطوات الست" وتوزيعه، وهاجمت فيه الإنجليز واليونانيين، ولهذا طلب مني مصطفى كمال مرتين، من خلال رسائل مشفرة، أن أذهب إلى أنقرة، حتى لقد قال: "يجب أن نأتي بهذا الشيخ البطل إلى هنا !" وهذا يعني أنه من حقي أن يرفرف علم يوم الاستقلال في هذا اليوم عليّ!".
>
> سعيد النورسي[٢٤]

محكمة أفيون

كان حال النورسي وطلابه في المحاكمة مثل حالهم في السجن من مهانة ومعاملة سيئة غير مشروعة؛ ففي المحكمة كان القضاة ينتهكون القانون ويستغلونه بهدف إدانة النورسي مهما كانت الحقيقة، وحيث كان التيار في سبيله للانقلاب على أعداء النورسي، فقد كانت محاكمة النورسي وطلابه وسجنهم محاولة أخيرة لا جدوى منها لإسكات النورسي، ووقف الاتجاه الجارف نحو القرآن وتعاليم الإسلام من خلال رسائل النور، وكانت هناك عملية إحباط واضحة؛ حيث تم اتهام النورسي وطلابه بنفس التهم التي تم تبرئتهم منها من قبل (ووصفَهم النورسي بأنهم "يجمعون الماء من ألف معين"). وكانت التهم الموجهة إليهم هي: "استغلال المشاعر الدينية بطريقة قد تهدد النظام العام"، و"تأسيس جماعة سرية ذات أهداف سياسية"، و"تأسيس طريقة

---

(٢٤) انظر: Nursi, *Şualar,664*

صوفية جديدة"، و"نقد مصطفى كمال وإصلاحاته"، و"نشر أفكار مناهضة للنظام". تم اتهام النورسي مرة أخرى بأنه "قومي كردي"، وكانت هذه التهمة أبعد ما تكون عن الحقيقة، ولكنها أوضحت ما أعدته السلطات لإفقاد النورسي مصداقيته، كان هناك أمران سلط الادعاء الضوء عليهما يتعلقان "بتحريض الناس بطريقة قد تهدد أمن البلاد" من خلال "الشعاع الخامس"، والذي يفسر عددا من الأحاديث الشريفة تشير إلى السفياني والدجال وأشراط الساعة، والتي فسرتها السلطات على أنها تشير إلى "مصطفى كمال"، ولسوء الحظ وجد الادعاء دعما كبيرا لادعائه من خلال تقرير الخبراء.

كان هناك أمور أخرى تتعلق بقضية ارتداء "القبعة"، كما زعم أن العبارات الوجيزة التي جاءت في الكلمة الخامسة والعشرين حول تفسير الآيات القرآنية الخاصة باللباس وقواعد الميراث عبارات مثيرة للرأي العام، كما سبق مثل ذلك في "اسكي شهر"، إلا أنه إذا كان هناك نوع مؤامرة أججتها السلطات لإثارة العداء ضد النورسي ورسائل النور والدين، فإن الترويج لمحاكمة النورسي وسجنه قد أثار تعاطف الناس بدلا من عداوتهم، والحقيقة أن السخط العام كان منصبا على المعاملة القاسية المهينة غير الشرعية التي خضع لها النورسي وطلابه الأبرياء حتى لقد رأى البعض أنها ساهمت في هزيمة حزب الشعب الجمهوري في الانتخابات التي أجريت عام ١٩٥٠م.[٢٥]

وحيث كانت الاتهامات التي قدمها الادعاء في محكمة "أفيون" هي نفس الادعاءات التي قدمتها كل من محكمتي "دنيزلي"، و"اسكي شهر"، فقد استعان النورسي بجزء من دفاعه السابق في كلتا المحكمتين مع تغيير طفيف لبعض الكلمات، ونفى النورسي من جديد تلك التهم التي وُجهت إليه، وأعلن أنه لم يكن هناك أي انتهاك للقانون من قبل رسائل النور أو من خلال أنشطته أو أنشطة طلابه. وفيما يلي بعض أجزاء من دفاع النورسي، كان الجزء الأول من الدفاع ردا على تكوين جماعة سياسية وإزعاج النظام العام، وقال فيه:

---

(٢٥) انظر: Badıllı, *Nursi*, 3 :1551

"إن رسائل النور البالغ عددها مائة وثلاثين رسالة، موجودة كلها في متناول اليد وأمام الأنظار، وقد اقتنعت محكمة "اسكي شهر" بأنه لا يوجد في رسائل النور أي هدف آخر أو أية غاية دنيوية عدا حقائق الإيمان، لذا لم تتعرض إلا لرسالة واحدة أو لرسالتين، أما محكمة "دنيزلي" فلم تتعرض لأية رسالة، كما أن جهاز الأمن الضخم في "قسطموني" بالرغم من قيامه بالترصد والمراقبة الدائمة طوال ثمانية أعوام لم تجد من تتهمه سوى شخصين كانا يعاونانني في شؤوني وثلاثة أشخاص آخرين بأسباب واهية، وهذا حجة قاطعة بأن طلاب النور لا يشكلون بأي حال من الأحوال جمعية سياسية، أما إن كان مفهوم الجمعية عند الادعاء العام هو جماعة إيمانية تعمل لآخرتها، فإننا نقول جوابا له: لو قمتم بإطلاق تسمية الجمعية على طلاب دار الفنون - الجامعة - وعلى أصحاب كل مهنة من المهن عند ذاك يمكن إطلاق اسم الجمعية - بهذا المفهوم – علينا، أما إن كان المقصود هو جماعة تقوم بالإخلال بالأمن الداخلي ببواعث دينية فإننا نرد على ذلك بأن عدم تورط طلاب النور طوال عشرين سنة بأية حادثة مخلة بالأمن الداخلي في أي مكان، وعدم تسجيل أي شيء ضدهم في هذا الخصوص لا من قبل الحكومة ولا من قبل المحاكم، لدليل ساطع على بطلان هذه التهمة، أما إن كنتم تتوهمون أن تقوية المشاعر الدينية ستؤدي في المستقبل إلى الإخلال بالأمن الداخلي، وأن هذا هو ما تقصدونه من توجيه تهمة الجمعية إلينا فإننا نقول:

أولا: إن جميع الوعاظ (وعلى رأسهم رئاسة الشؤون الدينية) يؤدون الخدمات نفسها.

ثانيا: إن طلبة النور ليسوا بعيدين فقط عن الإضرار بالأمن والإخلال بالاستقرار بل إنهم يعملون بكل قواهم وبكل قناعاتهم لحفظ الأمة من الفوضى والفتن ويحاولون بكل جهدهم تأمين الاستقرار والأمن، والدليل على هذا هو ما جاء في الأساس الأول أعلاه. أجل! نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا إنقاذ أنفسنا أولا ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدي، ومن السجن البرزخي الانفرادي المؤبد ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة والمحافظة على أنفسنا (بالحقائق القوية الفولاذية الواردة في رسائل النور) من الإلحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا وفي الآخرة".[٢٦]

لقد أكد النورسي مرارا أثناء دفاعه أن طبيعة خدمتهم للقرآن تمنعهم من

(٢٦) النورسي، الشعاعات، ص ٤٢٧ و ٤٢٨

المشاركة في الأمور السياسية؛ إلا أن أولئك المعادين للآثار الاجتماعية الإيجابية والبناءة لهذه الخدمة هم الذين يتهموننا دائما بالتورط في أنشطة سياسية:

"نحن طلاب النور آلينا على أنفسنا ألا نجعل من رسائل النور أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله، فضلا عن أن القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الاشتغال بالسياسة. نعم إن مهمة رسائل النور في الأساس هي خدمة القرآن من خلال الإيمان الراسخ والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الأبدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سما زعافا وجحيما لا تطاق، ومنهجها في ذلك هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتزندقة تمردا على التسليم بالإيمان، لذا فليس من حقنا أن نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان وذلك لأسباب:

أولا: كي لا تحول الحقائق القرآنية التي تفوق الماس نفاسة إلى قطع الزجاج المتكسر في نظر أهل الغفلة، حيث يتوهمونها كأنها دعاية سياسية تخدم أغراضا معينة، وكي لا نمتهن تلك المعاني القرآنية القيمة.

ثانيا: إن منهج رسائل النور الذي هو عبارة عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة عن التدخل بالأمور السياسية أو بالسلطة الحاكمة. لأنه إذا كان هناك بعض ممن ابتلوا بالإلحاد واستحقوا بذلك العقاب، فإن وراء كل واحد منهم عددا من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضا سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه. وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة عن التدخل في الشئون الإدارية بما يخل بأمن البلاد ونظامها عن طريق وسائل سياسية.

ثالثا: في زمنٍ عجيبٍ كزماننا هذا، لابد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام وهذه المبادئ هي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة. والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراما جادا محافظة بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاما أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل

أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس. ولعل محافظتي "إسبارطة وقسطموني" خير شاهد وأبرز دليل على صدق ما نقول.

فإذا كانت هذه هي الحقيقة ، فلا شك أن أولئك الذين يتعرضون لاجزاء رسائل النور إنما يخونون الوطن والأمة والسيادة الإسلامية. ويعملون – سواء بعلم أو بدون علم- لحساب الفوضوية والتطرف".[٢٧]

وفي رده على التهم المتكررة بتأسيس طريقة، قال النورسي:

"إن أساس رسائل النور وهدفها هو إظهار الحقيقة القرآنية والعمل من أجل الإيمان التحقيقي؛ لذا فقد حصلت على قرار بالتبرئة عن تهمة تشكيل طريقة صوفية من ثلاث محاكم. ثم إنه ما من شخص ادعى خلال عشرين سنة أن سعيداً أعطاني إذناً بالدخول والانتساب إلى طريقة صوفية. ثم إنه لا يجوز أن يكون انتساب أكثرية أجداد هذه الأمة منذ ألف عام إلى مسلك معين سبباً في اتهامه أو تحميله مسؤولية ما. ثم إن المنافقين المتسترين يلصقون اسم «الطريقة» على حقيقة الإسلام. فلا يُتهم كل من يتصدى للدفاع عن دين هذه الأمة بأنه صاحب طريقة".[٢٨]

أما أشد التهم الملفقة تزييفا وأشدها وضوحا في الكذب، فهو الاتهام بموالاة القومية الكردية؛ فلقد جاهد سعيد القديم للحفاظ على وحدة الدولة العثمانية وتقويتها، كما ضحى سعيد الجديد بنفسه في سنوات منفاه من أجل إنقاذ الأمة التركية، ورغم هذا فقد أدانت المحكمة النورسي على هذه التهمة - "ما زال دم القومية الكردية يغلي في عروقه"، كانت هذه إهانة واضحة للعدالة باسم القانون.

هل يمكن لأي محكمة في العالم أن تدينني بهذه التهمة؟ ... رغم أن سعيد ترك موطنه وأقاربه وضحى بروحه وحياته من أجل الأتراك الأتقياء وهذه الأمة الإسلامية... (هل يمكن أن يقال هذا) عن شخص لم يتزحزح مقدار ذرة عن إخوته المخلصة للأتراك، رغم ما لاقاه من عذاب وهوان على مدار ثمانية وعشرين عاما؛ ولا تستطيع محكمة في العالم أن تتهمه بهذا، وهو الذي ظل على مدار خمسين عاما كان ينادي: "بأن القومية الإسلامية تعدل كل شيء،" لأن العنصرية لا حقيقة لها بل تدمر الاخوة الإسلامية، وهو الذي دعم هذه القومية، وقال: "دعوا العنصرية،

(٢٧) النورسي، الشعاعات، ص ٤٠٥-٤٠٧.
(٢٨) المرجع السابق، ص٤٣٩، الهامش.

وتمسكوا بالقومية، فإنك قد اكتسبت أربعة مليون أخ!"، وهو الذي علم الناس كل هذا؟[٢٩]

هناك أيضا تهمة وجدت المحكمة أن النورسي مدان بها، وتتعلق بتفسير عدد من الأحكام الإسلامية بخصوص النساء، وقد كتب في دفاعه أمام محكمة الاستئناف يقول:

"إن أحد الأسباب التي عاقبوني عليها هو تفسيراتي للآيات القرآنية الصريحة عن الحجاب والميراث وقراءة أسماء الله الحسنى، والتعدد؛ فقد وشى بذلك الذين يعارضون هذه المبادئ القرآنية (باسم) الحضارة...

"إن إدانة من يفسّر أقدس دستور إلهي وهو الحق بعينه، ويحتكم إليه ثلاثمائة وخمسون مليونا من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية، خلال ألف وثلاثمائة وخمسين عاما، هذا المفسر استند في تفسيره إلى ما اتفق عليه وصدق به ثلاثمائة وخمسون ألف تفسير، واقتدى بالعقائد التي دان بها أجدادنا السابقون في ألف وثلاثمائة وخمسين سنة.. أقول: إن إدانة هذا المفسر قرار ظالم لا بد أن ترفضه العدالة، إن كانت هناك عدالة على وجه الأرض، ولا بد أن تردّ هذا الحكم الصادر بحقه وتنقضه". [٣٠]

تقرير الخبراء

أثناء الاستجواب المبدئي الذي أجراه المدعي العام وقاضي التحقيق بعد اعتقال النورسي وطلابه، أرسلت مجموعات من رسائل النور، كمجموعة ذو الفقار، وعصا موسى، وسراج النور، ومرشد الشباب وكذلك خطابات النورسي والوثائق الأخرى إلى إدارة الشئون الدينية بأنقرة لتفحصها لجنة أخرى من الخبراء. ورغم أنها أصدرت تقريرها في وقت قصير، وقدمته إلى محكمة أفيون في ١٦ مارس ١٩٤٨، إلا أن النورسي لم يحصل على نسخة من هذا التقرير قبل مرور عدة أشهر بسبب تدخل المدعي، ولكن في هذه المرة رضخت اللجنة لضغط الحكومة، وضمنت تقريرها نقطتين رئيسيتين كان باستطاعة

---

(٢٩) انظر: *Nursi.Müdâfaalar 464*

(٣٠) الشعاعات، ص ٤٨٤

المدعي أن يستغلهما ضد النورسي،[٣١] رغم أن الخبراء السابقين قد برأوا ساحة رسائل النور قبل ثلاثة أعوام، والأهم من ذلك أنهم رغم نفيهم عنه تهم القيام بتأسيس طريقة وتنظيم جماعة سياسية وتهديد الأمن العام، إلا أن اعتراضاتهم انصبت على الشعاع الخامس،[٣٢] وهو ما وصفه النورسي بأنه "ظلم وبهتان وجور"، أما النقطة الثانية التي أثارها أعداء النورسي والتي كانت محض ظلم وبهتان كذلك هي زعمهم أنه شخص مزهو بنفسه مغرور، يهدف من ذلك لنيل مكانة مهيبة وقوة شخصية مستغلا احترام طلابه وحسن ظنهم به.

وقد جاء رد النورسي على هذه الاعتراضات التي وجهتها اللجنة ضده "بخطاب شكر" بدأه بالإعراب عن امتنانه وعرفانه لهم لتبرئة ساحته من الجرائم الكبرى، ثم أشار في أسلوب علمي ومنطقي إلى الأخطاء التي اعترت اعتراضاتهم على الأحاديث النبوية التي أوردها في رسالة "الشعاع الخامس"، وتأويله لها مؤكدا على أن هذه الأحاديث إضافة للأسطر القليلة الواردة حول قوانين الميراث واللباس في الإسلام كانت جزءا من رسائل النور التي اتخذها أعداؤه ذريعة لمحاكمته بهذه التهمة وغيرها من التهم منذ فسرت السلطات ذلك على أنه مهاجمة لأتاتورك.

وتجدر الإشارة هنا إلى تاريخ كتابة هذه الرسالة غير العادية التي تبين أحد الأسباب التي لقب النورسي لأجلها بلقب "بديع الزمان"، كما كانت سببا لإثارة تنافس وغيرة علماء الدين الآخرين مرارا.

ترجع أصول الشعاع الخامس إلى ما يربو على الأربعين سنة؛ حين جاء النورسي إلى استانبول عام ١٩٠٧ قبل عهد المشروطية، وفي تلك الأثناء وضع "بديع الزمان" لافتة على بابه، كتب عليها "هنا جواب لكل سؤال ولكن لا يسأل احدا"، فوجه إليه علماء استانبول بعض تساؤلاتهم حول بعض الأحاديث التي بها معان مجازية، طرحها عليهم القائد العام الزائر للقوات اليابانية وأشاروا إلى الوقت المضروب للإجابة عليها، وحيث كان النورسي عضوا في دار الحكمة

---

(٣١) انظر: المرجع السابق ص٥١٠.
(٣٢) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٤١٧ .

الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، وكان قد أجاب على أسئلة أخرى تتعلق بنفس الموضوع، فقام بترتيب ردوده وجمعها على شكل رسالة كي لا يراود المؤمنين شك في الأحاديث التي لها مدلولات مجازية، والتي قد يوحي ظاهرها بتضاربها مع العقل،[٣٣] ودعاه بعد ذلك مصطفى كمال إلى أنقرة عام ١٩٢٢. وهناك رأى بعضا مما أنبأت به هذه الأحاديث ينطبق على "أحد الأشخاص هناك"، فوجد نفسه مضطرا لرفض المناصب التي عرضها عليه مصطفى كمال بتولي بعض المناصب المختلفة لينسحب بذلك من معترك الحياة السياسية، ويبعد عن هذا العالم متجها إلى الأناضول الشرقية ليعمل بمفرده على إنقاذ العقيدة. وعندما سئل النورسي ثانية عن هذه الأحاديث المتشابهة التي تحمل نبوءات مستقبلية، كما سئل عن أشراط الساعة وعلاماتها حينما كان في منفاه بقسطموني عام ١٩٣٨ فقام بترتيب هذه الرسالة وإعدادها في شكلها النهائي حيث أدرجها ضمن رسائل النور في رسالة الشعاع الخامس،[٣٤] يعني هذا أن معاني بعض هذه الأحاديث التي تناولها النورسي سنة ١٩٠٧ قد تجلت للناس، وأن نبوءاتها قد تحققت، ومن ذلك أحد هذه الأحاديث: "يصبح شخص رهيب في آخر الزمان وقد كتب على جبينه كافر"، وفي ١٩٠٧ فسر النورسي هذا الحديث قائلا: "سيتولى أمر هذه الأمة شخص عجيب، ويصبح وقد لبس قبعة على رأسه، ويكره الناس على لبسها."[٣٥] "إن ذلك "السفياني" سيلبس قبعة الإفرنج، ويُكره الناس على لبسها، ولكن لأنه يعمم لبسها بالإكراه والقانون، وتلك القبعة ستهتدي بإذن الله - حيث تهوي إلى السجود - لذا لا يكون كافرا من لبسها مكرها عليها غير راغب فيها."[٣٦]

كانت خصوصية الموضوع الذي تناوله هذا التأويل سببا جعل النورسي يحول دون انتشار هذه الرسالة، ولم يسمح بذلك إلا بعد أن أقرت لجنة الخبراء ومحكمة دنيزلي أنه لا ضرر من نسخ رسائل النور كاملة بما فيها رسالة الشعاع الخامس.

---

(٣٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٨.
(٣٤) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٨.
(٣٥) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٤١٨ .
(٣٦) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٨

أما الآن فقد وجهت لجنة الخبراء الحالية انتقاداتها للشعاع الخامس، تلك الانتقادات التي وصفها النورسي بأنها "محض ظلم وبهتان وجور"،[٣٧] وتركزت هذه الانتقادات حول طبيعة الأحاديث التي زعموا أنها إما أحاديث موضوعة أو ضعيفة كما تركزت أيضا حول التفسير الذي أورده لها، وفي "رسالة الشكر" التي وجهها النورسي لهم لم يكن من العسير عليه رد هذه الانتقادات[٣٨] كما قال بأن الباعث عليها إنما هو الغيرة، الأمر الذي يضع أيدينا على دوافع الاعتراض الثاني الذي أوردوه، والذي خطأ كغيره، كما انتقدوا عبارات الإطراء للنورسي ورسائل النور التي كتبها بعض طلاب النورسي له.

أما عبارات الإطراء فيقول النورسي في هذا الصدد:

" لقد دأب أهلُ العلم - منذ القديم - على عادة فيما بينهم، وهي وضعهم تقريظاً وثناءً - وأحياناً مبالَغ فيه - نهاية مؤلَّف جيد جديد... ولنفرض أن هذا الكلام مبالَغ فيه كثيراً أو خطأ، فهو خطأ علمي ليس إلاّ. فكل شخص يستطيع أن يكتب قناعته الشخصية. وأنتم أدرى بالأفكار المتباينة والقناعات المختلفة..". [٣٩]

وبادر النورسي بدماثة خلق بطرح أسئلة ثلاث على خبراء مجلس إدارة الشئون الدينية مفادها أنهم شغلوا أنفسهم بقضايا لا طائل من ورائها في حين أن الدين الإسلامي والقرآن الكريم يتعرضان لهجمات رهيبة في الوقت الحاضر بل إنهم بفعلهم هذا يدعمون هجمات أولئك المعتدين.

ورغم الانتقادات الجائرة التي وردت في التقرير، وما لها من عواقب، فقد نظر النورسي إلى مجلس إدارة الشئون الدينية نظرة إيجابية في "خطاب الشكر" الذي ورد آنفا، والحقيقة أنه إضافة إلى الدوائر الحكومية الأخرى قام بإعداد نسخ من الدفاع لترسل لهذا المجلس،[٤٠] والحقيقة أنه قد بعث ببعض طلابه إليهم قبل الاعتقالات وبعدها طلبا للتعاون معهم.[٤١]

---

(٣٧) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٧.
(٣٨) انظر: المرجع السابق، صفحات ٤٧٦ و ٤٧٧ و٤٧٨
(٣٩) المرجع السابق، ص ٤٧٩
(٤٠) انظر: المرجع السابق، ص ٤٨٠
(٤١) انظر: Nursi, *Emirdağ Lâhikası, 1:301-302,2:367-368,370*

وتستمر المحاكمة

هناك حقيقة أخرى تؤيد القول بأن المحاكمة كانت مؤامرة مدبرة بعدد من المسئولين ضد النورسي وحركة رسائل النور وهي منعه من كافة حقوقه القانونية خلال المحاكمة، إضافة لحرمانه من الوصول إلى الوثائق الهامة كالتقرير المشار إليه آنفا، حتى لقد حرم مرارا من التحدث في المحكمة، وتم عزله تماما خلال الأحد عشر شهرا الأولى من سجنه أثناء محاكمته بهدف الحيلولة دون وصول أي معلومات له أو مساعدة من طلابه، حتى إنه لم يسمح له بالاستعانة بأحد في كتابة صحيفة دفاعه. وبالطبع لم يكن النورسي يجيد الأبجدية اللاتينية، لذا كان يستعين بطلابه أو بآخرين لقراءة كل الوثائق الخاصة بمحاكمته كما كان يستعين بهم أيضا على كتابة أي وثيقة أو خطاب يقدم لهيئة المحكمة أو للسلطات، وبالنسبة لهيئته فقد رفض القيام بأي تنازل في هذا الصدد، وحيث أبطل العمل بالخط العثماني، فقد استخدموا بصمته أو خاتما من المطاط محفور عليه اسم النورسي بالحروف الجديدة عند ضرورة توقيعه على أيٍ من الوثائق الرسمية.

ورغم ذلك، لم يؤد الاضطهاد والظلم الذي عانى منه النورسي وطلابه إلى ترويعهم أو يفت في عضدهم عما قاموا له، ويذكر إبراهيم منجورلي، أحد رجال الشرطة الذين عملوا في محكمتي أميرداغ وأفيون كيف وقف النورسي في إحدى مرات محاكمته خطيبا في المحكمة، واستمر يخطب لساعتين دون توقف، وعندما طلب منه القاضي أن ينهي دفاعه ثارت حفيظته ولوح بيديه راسما دائرة في الهواء، وأشار بإبهامه إلى القاضي قائلا: "من حقي أن أدافع عن نفسي لثمان ساعات، ولذا فسأتكلم ما شئت."[٤٢]

كان يترافع عن النورسي وطلابه في أفيون ثلاثة من المحامين؛ كان أحدهم أحمد حكمت كونن، وهو أحد طلاب النورسي، وقد وصف دفاع طلاب رسائل النور؛ قام ثلاثتهم بالمرافعة عن النورسي وطلابه في المحكمة كما قاموا بكتابة العرائض، وكان بينهم اثنتان جديرتان بالذكر هما عريضتا زبير

---

(٤٢) انظر: إبراهيم منجويرلي في Şahiner, *Son Şahitler*, 3: 422-423

كونـدوزالب وأحمـد فيـضي كـول، واسـتمر دفـاع أحمـد فيـضي ثمـاني سـاعات ونـصف كاملـة ومـن ثـم أكـسبته لقـب محـامي رسـائل النـور الـذي أطلقـه عليـه النورسي.[٤٣]

هذا وقد تمسك النورسي بحقه في أداء الصلاة في أوقاتها حينما كانت المحكمة منعقدة، وقد أورد العديد من شهود العيان هذه الحقيقة في رواياتهم؛ أحدهم المحامي السابق كما أوردها مصطفى آجت من أميرداغ؛ حيث ذكر كيف هاجت حفيظة النورسي عندما فات موعد الصلاة في إحدى جلسات الاستماع، ولم يُسمح له بترك قاعة المحكمة لخمس دقائق حيث قال لممثل الادعاء: "إننا ما تواجدنا هنا إلا للدفاع عن حقوق الصلاة، ولسنا مدانين بأي شيء آخر!" ونهض على الفور وخرج من القاعة، وأسرع الحاجب خلفه ليجده يؤدي الصلاة في مكتب سكرتير الجلسة.[٤٤]

لقد لاقت هذه المحاكمة اهتماما كبيرا في أنحاء البلاد، وأقفل العديد من الناس من كل الأرجاء إلى أفيون،[٤٥] ويذكر أحد طلاب النورسي كيف أن النورسي خرج من المحكمة في إحدى هذه المحاكمات فأقبل جمع غفير من الناس ليقبلوا يديه وأخذوا يقبلونها تباعا، وخرج ساعتها ممثل الادعاء، فلم يطق تحمل هذه الموقف وأخذ يصيح في رجال الشرطة والحرس؛ كيف تسمحون بذلك؟ واستشاط النورسي غضبا من ذلك، وقال بصوت عالٍ؛ "ما هذا؟ ما هذا؟ لسوف ألقى إخواني ما شئت" وزاد غضبه حتى سقطت عمامته من شدة ثورته، فالتقطناها من على الأرض ووضعناها ثانية على رأسه، ففزع ممثل الادعاء وولى الأدبار دون أن يلتفت خلفه، ولكنه ركل قدم أحد الإخوة ليثير حادثة إلا أنه لم يشعر بأي ألم غير أننا تفحصنا قدمه بعدها فوجدناها محمرة ومصابة للغاية."[٤٦]

ما كان النورسي ليطيب نفسا بالظلم الذي وقع عليه وعلى طلابه في هذه

---

(٤٣) انظر: أحمد حكمت في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:323

(٤٤) انظر: مصطفى آجت في Şahiner, *Son Şahitler* 3:138

(٤٥) انظر: إبراهيم منجويرلي في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:423

(٤٦) انظر: مصطفى إزنار في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:27

المحاكمة دون أن يعلم عنه، وكما فعل في محاكمة دنيزلي فقد قام من خلال طلابه بالإعداد لتقديم نسخ من دفاعاته ودفاعات طلابه إضافة لقائمة من تسعة وتسعين خطأ في قرار إدانته مع ردوده عليها إلى دوائر الحكومة في أنقرة حتى يقف الناس على حقيقة قضيته، ولكنه حاول أثناء سجنه في أفيون أن يعد الوثائق التي تحمل ردوده على ما وجه إليه من اتهامات، وينشرها على نطاق أوسع كما أرسل نسخا منها إلى إسبارطة حيث طلابه ليقوموا بنشرها ويعرضوها على المدعي العام كما بعث بنسخ منها إلى دنيزلي واستانبول، وكذلك أعد نسخة في شكل كتاب تم توزيعها على الناس، هذا وقد أمر النورسي طلابه بإرسال نسخ منها إلى إدارة الشئون الدينية في أنقرة.[٤٧]

كان من الواجب أن تتم هذه العملية في سرية وتكتم في ظل تلك الظروف العصيبة التي كان يواجهها النورسي في سجنه، وكانت النسخ التي أراد النورسي صدورها بالحروف الجديدة يجب أن تكون مكتوبة على الآلة الكاتبة غير أن السلطات منعته من ذلك خلافا لما كان عليه الحال في دنيزلي، وأيد محامي الدفاع أحمد بك هذا الأمر؛ وأكد النورسي في رسائله الحرص على الدقة، كما أن أحد الجنود العاملين بـ "أفيون" ويدعى "نهاد بزقورت" كان قد اعتاد زيارة أحد أصدقائه في السجن مرتين أسبوعيا، فكتب لهم المرافعات على الآلة الكاتبة.[٤٨]

أعادت المحكمة في إحدى جلساتها أجزاء من قرار الاتهام "الذي كانوا يعتقدون بأنه يدين النورسي وطلابه"، وردا على حملة التشهير هذه التي كانت تعتبر، دون أدنى شك، إساءة لمرجعية المحكمة وصلاحياتها، والتي كانت تهدف إلى تأليب الرأي العام على النورسي، قام النورسي بنسخ نماذج من قائمة الأخطاء التي وردت في الاتهام، الذي لم يكن سوى فرية، ليتم نشرها كما أعد كذلك نسخا من المرافعات كي يكشف للناس حقيقة الأمر.[٤٩]

---

(٤٧) انظر: النورسي، الشعاعات، ص٤٨٢.

(٤٨) انظر: نهاد بوزقورت في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:307-308

(٤٩) انظر: النورسي، الشعاعات، ص ٤٨٢ و٤٨٣.

قرار المحكمة

مع كل هذه القرارات التي أصدرتها المحكمة بتأجيل الحكم في القضية إلا أنها أصدرت حكمها في النهاية في السادس من ديسمبر عام ١٩٤٨، ورغم كل الأدلة التي أوردها النورسي إلا أن المحكمة جرمت النورسي طبقا للمادة رقم ١٦٣ من قانون الجنايات ونصه "إثارة العواطف الدينية وتحريض الناس على الحكومة،" وكان سماح المحكمة لنفسها أن تتخذ أداة لانتهاك العدل بهذا الشكل السافر طعنا في القانون نفسه، وسبة في جبين تاريخ تركيا القانوني.[٥٠] أصدرت المحكمة حكمها على النورسي بالأشغال الشاقة لمدة عامين، ثم خفف الحكم إلى عشرين شهرا مراعاة لسنه.

أما أحمد فيضي صاحب تلك المرافعة الطويلة، فقد حكم عليه بالسجن لمدة ثمانية عشر شهرا، وحُكم على عشرين آخرين من طلاب النورسي بالسجن لمدة ستة أشهر لكل منهم، وكان بعض هؤلاء المتهمين قد قضي بالفعل أحد عشر شهرا في السجن، وبعضهم أقل من ذلك قبل أن تصدر المحكمة حكمها النهائي، وقد أطلق سراح من قضى مدته بينما قبض على أولئك الذين حكم عليهم بالسجن غيابيا ووضعوا في السجن.

بعد ذلك بدأ نزاع قانوني طويل لم تصل المحكمة إلى قرار بشأنه إلا في عام ١٩٥٦، وبمجرد إصدار المحكمة حكمها أُرسل الحكم إلى محكمة استئناف بأنقرة، إلا أن ممثل الادعاء تعمد تأخير إرسال الوثائق، ولم يبعث بها إلا بعد تدخل المحامين الثلاثة كما ذكرنا آنفا،[٥١] واستمرت حلقة الاضطهاد ضد النورسي داخل السجن بل ربما زادت سوءا عن ذي قبل؛ إذ كان الطقس في تلك الآونة شديد البرودة، وإمعانا في اضطهادهم له نقلوه قهرا إلى زنزانة أخرى،[٥٢] فقام مع طلابه بكتابة مرافعات إضافية واحتجاجات لترسل إلى

---

(٥٠) ويدل على هذا أنه بين سنة ١٩٤٩ و١٩٧١ تمت تبرئة رسائل النور والشعاع الخامس على وجه الخصوص ما يقرب من ٧٠٥ مرة في المحاكم التركية وأعيدت نسخ رسائل النور. انظر: الصفحة الأخيرة من Berk, *Türkiye'de Nurculuk Davas*

(٥١) انظر: النورسي، الشعاعات، ص٥٣٢.

(٥٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٦٩-٥٧٠.و ٥٨٠

محكمة الاستئناف، وترافع المحامون أمام محكمة الاستئناف التي أصدرت حكمها في الرابع من يناير عام ١٩٤٩ حيث كانت محكمة دنيزلي قد برأت ساحة النورسي؛ وأيدت قرارها محكمة الاستئناف، فتم إبطال الحكم الذي أصدرته محكمة أفيون.

ورغم أنه كان يتعين على المحكمة إطلاق سراح النورسي وطلابه في تلك الأثناء إلا أن محكمة "أفيون" طلبت استئناف جلساتها لمناقشة قرار محكمة الاستئناف الذي أحيل إليها فوافقت لها المحكمة على طلبها، وفي ردها على الطلب الذي رفعه إليها ممثلو الدفاع عن النورسي بتنفيذ قرار محكمة الاستئناف، سكتت المحكمة عن الرد لفترة طويلة، ولكنها لم تجد أمامها سبيلا سوى الإذعان لقرار محكمة الاستئناف في نهاية الأمر غير أن هذا القرار أحيل في ٣١ أغسطس ١٩٤٩ لإعادة النظر في القضية، ومن ثم استؤنفت جلسات الاستماع ثانية، وبهذه الطريقة ومع التأجيل والتأخير المستمر للقضية، وفي ظل ذلك المناخ الذي خلى تماما من أي صفة شرعية. قضى النورسي مدة العشرين شهرا التي كانت المحكمة قد أصدرت الحكم بها في بادئ الأمر ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن أتم هذه المدة كما لم يطلقوا سراح تلامذته قبل انقضاء مدتهم، وهكذا ارتكب ممثل الادعاء المستبد المتعنت جريمته ضد أولئك الأبرياء ولم يأل جهدا في سبيل ذلك، وعندما حانت لحظة إطلاق سراح النورسي حالوا دون خروجه من السجن في الوقت الطبيعي بل أخرجوه قبيل الفجر.

لم تنته قصة سجن "أفيون" عند ذلك الحد حيث استمرت جلسات الاستماع مع المتهمين غيابيا حتى صدور العفو العام بعد فوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات العامة عام ١٩٥٠، ومع ذلك لم يكن ممثل الادعاء ليترك الأمر يمر بسلام فأصر أن يكون استجواب النورسي بشأن رسائل النور مستقلا عن الدعاوى الجنائية التي نسبت له كما أصر على استمرار محاكمته، ومن ثم استمرت محاكمته في قضية رسائل النور.

وأخيرا توصلت المحكمة إلى قرارها بمصادرة رسائل النور وأحيلت القضية إلى محكمة الاستئناف التي قضت بإلغاء الحكم الذي أصدرته محكمة "أفيون"، ولم يكن أمام محكمة أفيون خيار سوى الإذعان للحكم الذي أصدرته محكمة الاستئناف وتبرئة ساحة رسائل النور، أما ممثل الادعاء فقد أعلن رفضه لهذا القرار، وبعث بقراره إلى محكمة الاستئناف التي قامت بإلغاء قرار محكمة أفيون الأخير لدواعي فنية، واستمرت القضية، ثم قضت محكمة أفيون بتبرئة رسائل النور ورد النسخ إلى أصحابها، وبناء عليه أحال المدعي العام القضية إلى محكمة الاستئناف للمرة الثانية. وفي هذه المرة قررت محكمة الاستئناف أن تقوم لجنة من الخبراء بإعادة فحص رسائل النور، وكلفت إدارة الشئون الدينية بتشكيل تلك اللجنة فقدمت اللجنة الجديدة تقريرها، وعليه برأت محكمة أفيون ساحة رسائل النور في يناير ١٩٥٦، وقضت برد كل النسخ المصادرة لأصحابها، واعترف ممثل الادعاء بالهزيمة هذه المرة وأصبح القرار نهائيا.[٥٣]

---

(٥٣) انظر: Nursi,*Risale-i Nur Külliyatı,2:2202*.. Badilli, *Nursi,3:1757-1780*

الجزء الثالث

سعيد الثالث



الفصل السادس عشر

انتشار حركة النور
و"الجهاد المعنوي"

نطالع الآن السنوات العشر الأخيرة من حياة النورسي، وهي المرحلة الثالثة والأخيرة التي أطلق عليها النورسي اسم "سعيد الثالث"، ويمكننا أن نتعرف على هذه المرحلة وهذا الاسم في ضوء التغييرات التي قام بها النورسي ورسم بها خطوط حياته على مدى سنوات عديدة، وكذلك في ضوء عمله الكبير من خلال رسائل النور، بالإضافة إلى مشاركته في الأحداث الاجتماعية والسياسية.

وقد تزامن ظهور "سعيد الثالث" مع هزيمة الحزب الواحد، وهو حزب الشعب الجمهوري في الانتخابات العامة التي جرت في مايو عام ١٩٥٠، وتولى الحزب الديمقراطي برئاسة "عدنان مندريس" السلطة في البلاد. وعلى الرغم من أن النورسي كتب أثناء سجنه في "أفيون" أنه كان "يتوقع" مولد "سعيد ثالث"،[1] وهو يشير بذلك إلى تطور داخلي أو تجلي ولد فيه الرغبة في العزوف التام عن الدنيا الفانية ومتاعها الزائل، وترك تصريف أمور رسائل النور لطلابه، ولكنه لم يستطع أن يفعل هذا في تلك الظروف، بل استمر في مباشرة أنشطته فيما يمكن وصفه بضرب رفيع من ضروب التضحية بالذات، ومع نهاية فترة الحكم الاستبدادي لحزب الشعب الجمهوري، طرحت كافة القيود التي كانت مفروضة على النورسي وحركاته، وقضى أغلب هذه السنوات في

---

(١) النورسي، الشعاعات، ص ٥٧٥ .

"أميرداغ"، و"إسبارطة"، مع قيامه بين الحين والحين بزيارات لـ "أنقرة" و"استانبول" وبعض الأماكن الأخرى، إما للمثول أمام المحاكم في هذه البلاد أو لتوسعة الأنشطة المرتبطة برسائل النور.

ورغم تولي الحكومة الجديدة لمقاليد الأمور إلا أن البيروقراطية والهيكل التنظيمي الجديد للدولة ظل إلى حد كبير في يد العديد من أنصار النظام السابق؛ لذا استمرت السلطات في مصادرة كل النسخ التي تصدر من رسائل النور، وعانى النورسي وطلابه من القمع إضافة لاستمرار الدعاوى القضائية التي تُرفع ضدهم.

وقد استمر عدد من طلاب النورسي في مطلع الخمسينات - في العديد من القرى والمدن المنتشرة في شتى أنحاء تركيا – في كتابة نسخ من رسائل النور يدويًا وتوزيعها وقراءتها، أما في "إسبارطة" و"اينبولي" فقد تم طبع المزيد منها بواسطة آلات النسخ وكانت هذه النسخ توزع في شكل مجموعات، وفي عام ١٩٥٦، أصدرت محكمة "أفيون" قرارًا نهائيًا بخلو رسائل النور من كل ما يخالف القانون، فتم رفع كافة القيود التي فُرضت عليها.

ظهر في أعقاب ذلك جيل جديد من طلاب المدرسة النورية الذين شمروا عن سواعدهم وبدءوا في طبع مجموعة رسائل النور كاملة ونشرها في المطابع الجديدة وبالأحرف الجديدة، وجرى ذلك في أربع مدن، ولكنه كان في "استانبول" و"أنقرة" بشكل كبير، وقد أدى ذلك إلى تعاظم عدد القراء والطلاب، حيث بلغ عددهم في تلك الفترة مئات الآلاف.

وفي غضون تلك الأحداث، أصبحت حركة النور متماسكة، واتجهت جهود النورسي إلى تربية الجيل الجديد من الطلاب الذي سيقود هذه الحركة بعد أن ينأى به القدر بعيدًا، ويكون غير قادر على أن يفعل هذا بنفسه، وقد زار عدد من هؤلاء الطلاب النورسي، وشاركوا في إعداد رسائل النور في الأربعينيات، ونتيجة لذلك زُج بهم معه في سجن "أفيون"، وفي أعقاب ذلك قام بعض طلاب هذا الجيل الجديد الذي عمل من أجل خدمة القرآن مثل

"زبير كوندوز الب"، و"مصطفى صونغور"، و"جيلان جلشقان" بتكريس أنفسهم تمامًا لخدمة رسائل النور، حتى غيّر النورسي بعضًا من عاداته بسببهم.

عملت محكمة "أفيون" على خدمة قضية رسائل النور بطرق أخرى كما فعلت ذلك "أسكي شهر" و"دنيزلي" من قبل، فقد كانت وسيلة لتوحيد حركة النور، وكان طلاب النور في كل أنحاء تركيا يتوافدون إلى "أفيون" في أيام جلسات الاستماع بالمحكمة لمتابعة سير الدعاوى القضائية وتوفير الدعم المعنوي لأتباعه الماثلين أمام المحاكمة، وبهذه الطريقة يمكنهم التعرف على بعضهم البعض وإقامة علاقات قوية فيما بينهم، بل والاطلاع على أية معلومات عن النورسي ورسائل النور والطريقة التي تخدم بها المجتمع، ولذا، كانت "أفيون" مرحلة هامة في دعم الحركة.[٢]

وقد كان التغير الرئيسي في شخصية النورسي – والذي كان سببًا في تسمية هذه الفترة من حياته باسم "سعيد الثالث"– هو علاقته بالحياة الاجتماعية والسياسية، وقد ارتبط هذا الجانب الخاص من شخصية "سعيد الثالث" بتولي الحزب الديمقراطي الحكم في عام ١٩٥٠، ومع هذا فقد أخذت مشاركته شكل دعم الديمقراطيين وإرشادهم، وهو ما وصفه النورسي بأنه "أهون الشرين"، ورغم أن النورسي لم يدخل الحياة السياسية ولم يعلن عن أية أنشطة سياسية، إلا أنه ساند الحزب الديمقراطي ليحول دون تقلد حزب الشعب الجمهوري للسلطة، كما لم يسمح النورسي لطلابه بالمشاركة في أي عمل أو نشاط سياسي باسم حركة النور، وعندما كان يريد أحد الطلاب المشاركة في أي نشاط سياسي، كان عليه أن يشارك باسمه بعيدًا عن رسائل النور.

بعد تولي الحزب الديمقراطي للسلطة، أصبحت لدى تركيا حكومة تسعى لاتخاذ موقف صارم ضد الشيوعية، ورغم التزام تلك الحكومة بالمبادئ الكمالية، وخاصة العلمانية،[٣] إلا أنها كانت متعاطفة مع الإسلام والدين، وكانت الحكومة الجديدة تهدف إلى إعلاء إرادة الشعب وإصلاح أخطاء حزب

(٢) انظر: *Risale-i Nur Külliyatl Müellifi 559-560*

(٣) *Zürcher, Turkey 244*

الشعب الجمهوري على مدار خمسة وعشرين عامًا، ولذا انصب اهتمام النورسي على نحو أكبر بالأحداث السياسية، فحاول إرشاد الحكومة الجديدة من خلال الرسائل خاصة، وعن طريق طلابه وبعض العلاقات الشخصية التي ربطت بينه وبين النواب الديمقراطيين مشيرًا لمواضع الخطر، وكيف يمكن للنواب التغلب عليها من خلال تبني سياسات تتوافق مع المبادئ الأخلاقية الإسلامية،[٤] كما حثهم على المضي قدمًا في هذا الاتجاه.

كذلك حرص النورسي على دعمهم أخلاقيًا، بل وحث طلابه على مساندتهم، فأعطاهم صوته في الانتخابات العامة التي جرت عام ١٩٥٧، ولكن لم يكن لتأييد الحركة النورية أهمية كبيرة بالنسبة للديمقراطيين، خاصة وأن شعبيتهم بدأت في التضاؤل، وقد رأى النورسي في الديمقراطيين قوة "تساعد" طلاب حركة النور في كفاحهم ضد الشيوعية والزندقة، وفي تكوين جبهة تقاوم تهديداتهما، وتعمل على إصلاح "الفساد الأخلاقي والروحي" الذي تسببا فيه، كما ستساعد حركة النور في إنقاذ البلاد من الانهيار "الروحي" الذي أحدثته كل من الشيوعية والزندقة.

لذا، عندما حاول النورسي خوض غمار الحياة السياسية جعل ذلك بطريقة تخدم الدين؛ فكتب إلى الرئيس الجديد "جلال بايار":

"إننا سعينا لأجل إسعاد هذه الأمة والبلاد بجعل السياسة أداة للدين وفي وئام معه تجاه أولئك الذين جعلوا السياسة المستبدة آلة للإلحاد وعذبونا."[٥]

ومن أجل إرساء سياسات توالي الإسلام وترفع ألوية الدين مما يكون له أثر كبير في تضميد الجرح الغائر بين تركيا والعالم الإسلامي، نادى النورسي بالوحدة الإسلامية من خلال مطالبة الحكومة بالحاجة إلى بناء العلاقات بين أفراد الشعب من جديد؛ لأن هذا "يحقق رابطة أخوية لثلاثمائة وخمسين مليونا مع إخوانهم في هذه البلاد."[٦]

---

(٤) ناقشنا هذه المبادئ بمزيد من التفصيل في أدناه.
(٥) النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-٢ ص ٣٣٤ .
(٦) المرجع السابق، ص ٣٣٤

كما تغير موقف النورسي من الغرب إبان الحرب العالمية الثانية؛ حيث لم تعُد الدول الغربية أمثال بريطانيا وفرنسا وأمريكا تعارض الوحدة الإسلامية، بل إنها كانت في حاجة لهذه الوحدة للوقوف جبهة واحدة أمام الفوضى التي نتجت عن تفشي الشيوعية والإلحاد،(٧) وخاصة أمريكا في أعقاب الحرب، والتي رأى أنها تعمل حقًا في تلك الفترة من أجل الدين؛ لذا نجده لا يتحدث عنها إلا بألطف الكلمات والمعاني.(٨) ومع استقلال عدد من الدول الإسلامية عن القوى الاستعمارية في أواخر الأربعينات والخمسينات، ونشأة بعض الدول الإسلامية بالإضافة إلى بعض المؤشرات الأخرى، بدأ النورسي ثانية يتحدث عن الهيمنة المتوقعة للقرآن والإسلام، تلك الهيمنة التي كان قد تنبأ بها في مطلع القرن، كما تنبأ بالاتحاد بين الدول الإسلامية، وهو ما أطلق عليه "الدول الإسلامية المتحدة".(٩)

كان النورسي يطلق على الديمقراطيين بين الحين والآخر لقب "الأحرار"، وكان يقصد بهذا اللقب المؤيدين للحرية الشرعية، تلك الحرية القائمة على التقاليد الدينية، والتي عمل على ترسيخها أثناء الفترة الدستورية التي امتدت طوال العقود الأولى من هذا القرن، بل وكانت هي المسار الذي طالما حلم به النورسي، وأراد للديمقراطيين أن ينتهجوه، أي أن النورسي كان حريصًا في كل علاقاته على حث الديمقراطيين على خلق بيئة اجتماعية وسياسية تسمح بتعزيز الدين واحتواء القوى المناهضة له، بل وتؤدي إلى تطور طبيعي وآمن لمجتمع تغلب الصبغة "الإسلامية" على كافة مجالات الحياة فيه؛ لذا فقد ركَّز النورسي جُلَّ اهتمامه في الحفاظ على الأمن والنظام العام.

يشير النورسي أنه رغم الاستفزاز ومحاولات توريط طلاب النور والزج بهم في أحداث الاضطراب من قبل هؤلاء الذين جعلوا شغلهم الشاغل هو إزعاج النظام، فإنه لم ترد أنباء حقيقية عن تورط أي منهم في تلك الأعمال،

---

(٧) انظر المرجع السابق، ص٣٤٨.

(٨) انظر المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٩) النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-٢ ص٣٦٦.

فمسلك رسائل النور وطلاب النورسي هو خدمة الدين والقرآن بسبل آمنة "وعمل إيجابي".

لقد كان نضالهم نضالاً سلميًا "جهادًا أخلاقيًا" أو "جهاد الكلمة" في وجه هذا السيل الجارف من الانحطاط الأخلاقي والروحي للإلحاد والكفر، فهو جهاد لغرس العقيدة في القلوب والعقول،(١٠) وفي الوقت الذي طرأ فيه تغير عنيف في العديد من الدول الإسلامية بسبب تمرد دفع فيه آلاف الأبرياء حياتهم، كانت وسيلة رسائل النور "الخدمة الإيجابية التي يقدمونها للعقيدة والتي تؤدي إلى الحفاظ على النظام والاستقرار العام."

أميرداغ

عند خروج النورسي من سجن "أفيون" في صباح يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٤٩، توجه برفقة ضابطين من الشرطة إلى بيت في مدينة "أميرداغ"، وهو البيت الذي استأجره له بعض طلابه الذي أُطلق سراحهم قبله، وكان بين هؤلاء الطلاب "خسرو"، و"زبير كوندز آلب" ثانية، وبعد مراقبة شديدة من قبل اثنين أو ثلاثة من رجال الشرطة الذين دونوا أسماء كل الزوار الذين وفدوا لزيارته، بقى النورسي حوالي شهرين قبل العودة إلى بيته السابق في "أميرداغ".(١١)

بعدها عاد النورسي مع عدد من طلابه إلى "أميرداغ"، وهو المكان الذي غادره منذ سنتين عندما قبضوا عليه وأرسلوه إلى سجن "أفيون"، وفي أول خطاباته إلى طلابه في "إسبارطة"، طلب من أحدهم الذهاب إلى رئاسة الشئون الدينية في "أنقرة" ليخبر رئيسها "أحمد حمدي" قائلا: "إنكم تفضلتم قبل سنتين بطلب مجموعة كاملة من كليات رسائل النور، وقد أعددتها لكم، وأنا الآن منشغل بتصحيحها، ولكن يبدو أنني لن أتمكن من إتمامها بسرعة لتدهور صحتي من جراء التسمم، وسوف نقدمها لكم حالما تنتهي مهمة التصحيح بإذن الله". وفي مقابل ذلك، طلب النورسي من رئيس الشئون الدينية أن يبذل مساعيه بهمة لرفع القيود عن نشر رسائل النور، وأن يطبع صورة ضوئية من المصحف

---

(١٠) *Islam at the Crossroads*, 93-114 "Said Nursi's Interpretation of *Jihad*."

(١١) حلمي بنجر اوغلو "*Şahitler, Son Şahitler,2:320*".

الشريف الذي قام "خسرو" بكتابته، وبين "التوافقات" بين لفظ الجلالة والأسماء الحسنى الأخرى.[١٢]

من هنا نرى أن النورسي لم يكن مهتمًا بالضرر الذي وقع عليه، وعلى رسائل النور بسبب تقرير لجنة الخبراء الذي أعدته وزارة الشئون الدينية وتم تقديمه إلى محكمة "أفيون"، بل كان أول شيء يفعله بعد إطلاق سراحه هو الاستمرار في إقناع المفتين والعلماء بقيمة رسائل النور كتفسير للقرآن الكريم واستخدام نفوذهم في رفع القيود التي كانت مفروضة على رسائل النور حتى ينشروها رسميًا بأنفسهم، ورغم أن "أحمد حمدي" وافق على نشر رسائل النور مبدئيًا، إلا أن الأمر بدا مستحيلا، ففي عام ١٩٥٦، وبعد تبرئة ساحة رسائل النور من قبل محكمة "أفيون"، تم تقديم طلب لرئيس الشئون الدينية الجديد "أيوب صبري" بناءً على توصية من رئيس الوزراء "عدنان مندريس"، ولكن المحاولة باءت بالفشل.[١٣]

وفي "أميرداغ"، عاش النورسي حياته كما كان يعيشها من قبل، ولكن لاحظ بعض طلابه حدوث عدد من التغييرات؛ فعلى سبيل المثال، لاحظ "محمد جلشقان" كيف أن طلاب النورسي هم الذين كانوا يعدون له الطعام بعد إطلاق سراحه من سجن "أفيون"، بدلاً من أن تعده عائلة "جلشقان"، وذكر أيضًا أنه كان في تلك الأثناء يقرأ للنورسي صحيفتين أو ثلاثة يوميًا، ويصف "محمد جلشقان" كيف أنه كان يجمع الصحف من الباعة ويضعها في جيبه كي يأخذها إلى النورسي يقرأ عليه الأجزاء المناسبة ثم يعود بها إلى بائع الجرائد.[١٤] ومع تولي الحزب الديمقراطي حكم البلاد بعد ستة أشهر من عودة النورسي إلى "أميرداغ"، وما تلا ذلك من إصدار للعفو العام (١٤ يوليو ١٩٥٠)، تم رفع القيود التي فرضت على تحركاته، وفي هذا العام وبجانب مشاركة الدولة في

(١٢) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-٢ ص٣٢٩.

(١٣) انظر: *Şahiner, Bilinmeyen" 424-426*

(١٤) محمد جالشقان في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:357

فرحهم ببشارة إعادة الأذان الشرعي باللغة العربية استطاع النورسي أداء صلاة التراويح جماعةً في مسجد "جارشي" جميع ليالي رمضان.(١٥)

وعقب فوز الحزب الديمقراطي بالانتخابات في ١٤ مايو عام ١٩٥٠، بعث النورسي إلى رئيس الجمهورية "جلال بايار" هذه البرقية قائلاً:

إلى: جلال بايار، رئيس الجمهورية.
نهنئكم وندعو الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الإسلام والوطن والأمة.

عن طلاب النور
سعيد النورسي

وأجاب رئيس الجمهورية بالبرقية الآتية:

إلى: بديع الزمان سعيد النورسي- أميرداغ
أسعدتنا تهانيكم القلبية كثيرًا، أشكركم شكرًا جزيلاً.

جلال بايار(١٦)

منذ أيامه التي قضاها في "قسطموني"، أولى النورسي كل الاهتمام لإرشاد الشباب، وقد تربى على يديه العديد من طلبة النور. وفي مطلع الخمسينات، كانت هناك زيادة كبيرة في أعدادهم ولعبوا دورًا كبيرًا في رسائل النور. حقيقة، كانت هناك نواحٍ عديدة خلال العشر سنوات الأخيرة من حياة النورسي تمثل التوجيه والتدريب لهؤلاء الشباب لإعداد بعضهم لقيادة حركة النور، وربما يبدو الأمر رمزيًا إذا علمنا أن النورسي عندما كتب إلى كبار طلابه في "إسبارطة" يريد أحدهم أن يذهب إلى وزارة الشئون الدينية في "أنقرة"، وقع اختياره على شاب صغير يُدعى "مصطفى صونغور" لينوب عنه في هذا الأمر وفي مناسبات أخرى كما أوضحنا من قبل.

وفي "استانبول" وأنقرة على وجه الخصوص، كرس الشباب المقدام من طلاب النور، والذين كان معظمهم طلاب في الجامعة، أنفسهم للعمل على خدمة رسائل النور وفي سبيل الدين، وفي أنقرة، قاموا بدور فعَّال بين نُوَّاب

(١٥) حافظ نوري جوين في Şahiner, *Son Şahitler*, 3:156
(١٦) النورسي، سيرة ذاتية ص ٤٣٧.

الجمعية الوطنية الكبرى؛ حيث كانوا يكتبون الرسائل والدوريات وينشرون من خلالها آراء النورسي ويفسرونها للنُوَّاب، خاصة المعروفين بتعاطفهم مع الإسلام، كما نبهوهم إلى المؤامرات المختلفة التي كانت تُحاك ضدهم من قبل أنصار حزب الشعب الجمهوري الذين تسرَّبوا داخل الحزب الديمقراطي.

كانت إحدى القضايا تختص بتدمير ١٧٠ نسخة من المجموعات الكبرى، وهي عصا موسى وذو الفقار، التي صادرتها السلطات في "إسبارطة" رغم حكم وزير العدل الذي ينتمي إلى الحزب الديمقراطي ببراءتهم، وكان هذا جزءًا من مخطط لأنصار حزب الشعب الجمهوري لإثارة العداء بين الديمقراطيين وطلاب النور الذين كانوا يشكلون كيانًا مهمًا في تأييد الحزب الديمقراطي.(١٧)

كان تأييد طلاب النور للحزب الديمقراطي، وهو ما أشار إليه النورسي في برقية بعث بها إلى الرئيس الجديد وحذَّر منها في مناسبات أخرى، عاملاً إضافيا في التصعيد من المضايقات التي كان يتعرض لها النورسي وطلاب النور من طائفة من الموظفين، كان هؤلاء الموظفون أنصارًا لحزب الشعب الجمهوري واستمروا في تدبير المؤامرات لنشر الفرقة بين تلك القوى التي تعمل من أجل الدين ومنعها من الاتحاد؛ لذا استمر الاضطهاد ضد النورسي وطلاب النور على مدار هذه السنوات العشر؛ لأن الهيكل الحكومي للدولة كان لا يزال في يد أنصار حزب الشعب الجمهوري، وذلك مثلما حدث في المحاكمات القضائية.

أسكي شهر وإسبارطة

بعد مضي أعوام كثيرة على اعتقاله في المكان الذي نُفي إليه، ومنعه من الصلاة في المسجد وممارسة نشاطه، أصبح النورسي الآن حرًا يتحرك كيفما شاء؛ ففي أكتوبر ١٩٥١، توجه إلى مدينة "أسكي شهر"، حيث أقام في فندق "يلدز"، والتقى هناك بطلابه القدامى والجدد، وخاصة الشباب منهم، كما زاره عدد من رجال القوات المسلحة، غالبيتهم من رجال الطيران، وبعد شهر أو

(١٧) انظر: المرجع السابق ص ٣٩٩.

نحوه، سافر إلى مدينة "إسبارطة"، وبقي فيها شهرين حتى استُدعي للمثول أمام المحكمة باستانبول كي يُحاكم مع واحد من طلابه في جامعة "استانبول"، وهو "محسن علوي" الذي طبع رسالة "مرشد الشباب".

وأثناء مكثه في "إسبارطة" و"استانبول"، قام النورسي بكتابة عدد من الرسائل وجمعها بعد ذلك في كتيب تم نشره بعنوان "مفتاح لعالم النور "،(١٨) وقبل وصف المحاكمة التي حدثت بشأن رسالة "مرشد الشباب" في "استانبول"، جدير بنا أن نعرج على ذكر هذه الرسائل، لأن المجموعة الصغيرة التي تشكلها هذه الرسائل تمثل الجزء الأخير الذي يُضاف إلى رسائل النور، كما توضح خاصية هامة من رسائل النور وهي: أن علمها يتصل بحقائق الإيمان، ولا يتعارض معها بأي حال من الأحوال، وإذا نظرنا لرسائل النور في ضوء العلم القرآني، فإن هذا يزيد الإيمان ويقويه.

لقد أذيع بعض من هذه الرسائل من خلال المذياع، فأذاع الراديو، الذي كان يستمع إليه النورسي من حين لآخر، بعض تفسيراته العلمية الممتعة لعنصر الهواء ومهمته، وهذا يثبت الوحدانية بشكل قاطع وينفي تدخل الطبيعة أو المصادفة في الخلق، وهذا ما يعده النورسي سببًا في الاعتراضات التي وجهت إلى رسالة "مرشد الشباب". والواقع أن النورسي اعتنى بنقل تفسيراته للوحدانية والحقائق الأخرى للإيمان التي تتعلق بالعلم والتقنية إلى الشباب وطلاب النور بهذه الطريقة. إن ذكر هذه الرسائل هنا يجعل الأمر معتدلاً بعض الشيء، ففي الوقت الذي كان فيه النورسي، على مدار السنوات العشر الأخيرة من حياته، يعطي اهتمامًا أكبر للأمور الاجتماعية والسياسية، كان هدفه الأساسي هو خدمة القرآن والإيمان من خلال نشر رسائل النور.

محاكمة رسالة "مرشد الشباب"- عام ١٩٥٢

في يناير من عام ١٩٥٢، توجه النورسي إلى مدينة "استانبول"، وكانت هذه أول زيارة له بعد غيبة دامت سبعة وعشرين عامًا منذ أن مر بها في طريقه إلى

---

(١٨) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 589

المنفى؛ ففي العام السابق، قام عدد من طلاب النور الجامعيين في "استانبول" بطبع (٢٠٠٠) نسخة من "مرشد الشباب" بالحروف الجديدة مما تسبب في قيام الادعاء العام برفع دعوى قضائية ضد النورسي، واستُدعي النورسي للمثول أمام محكمة الجزاء الكبرى في يناير عام ١٩٥٢، وكانت الدعوى بحجة مخالفته للمادة (١٦٣) من الدستور التركي، ووُجهت إلى رسالة "مرشد الشباب" تهمة مخالفة هذه المادة التي تحظر أي نشاط يستهدف إقامة نظام الدولة على أسس دينية.[١٩]

عندما قدم النورسي من "إسبارطة" تحدد يوم ١٩٥٢/١/٢٢ للنظر في هذه الدعوى، وتمت المحاكمة في الطابق العلوي من مبنى المحكمة الذي يشغله الآن مكتب البريد الرئيسي، وقد مكث النورسي في "استانبول" مدة شهرين أو نحو ذلك وأقام خلالها في فندق "آق شهر بالاس" بالقرب من المحكمة، ثم انتقل إلى فندق "رشادية" في منطقة "فاتح"، وأثناء إقامته في الفندق، كان الناس يتوافدون من كل مكان لزيارته، كان من بين الزوار مئات من الطلبة القدامى والمحبين، وطلاب النور، وشخصيات معروفة، وعدد ضخم من الشباب. لقد جذبت جلسات الاستماع الثلاثة - خاصة الثانية والثالثة منها - آلاف الحاضرين بعذوبة منطقها، وهكذا، ساعدت هذه المحاكمة مرة أخرى في نشر الدعايات للنورسي وحركة النور بطريقة لم يكن يحلم بها الداعون لها.

كانت قاعة المحكمة وأروقتها قد امتلأت بجموع الشعب الذين حضروا لمتابعة جلسة الاستماع الأولى، وبدأ الادعاء العام بقراءة عريضة الاتهام وتقرير الخبراء المكلفين بتدقيق رسالة "مرشد الشباب"، ثم استجواب الأستاذ، وبجانب اتهامه باستخدام الدين من أجل تحقيق أهداف سياسية، اتُهِم النورسي "بمساندة تدريس الدين"، و"تشجيع النساء على الاحتشام وارتداء اللباس الإسلامي"، و"محاولة كسب نفوذ شخصي"[٢٠]، وطالب الادعاء العام بعقوبة السجن لمدة خمس سنوات، وقد تولى الدفاع عن النورسي ثلاثة من المحامين

---

(١٩) انظر: المرجع السابق، ص٥٩٠، وE.Edip. *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî*119

(٢٠) انظر: النورسي، *Müdâfaalar. 477-480*

في "استانبول". وبعد الاستماع إلى دفاعه، انتهت الجلسة الأولى للمحكمة على أن تعاود انعقادها في ١٩ فبراير في الساعة الثانية ظهرًا.

بجانب هذه المحاكمة، تم استجواب النورسي أيضًا بشأن الجزء الذي نشر من رسالة "مرشد الشباب" في مجلة "فولكان"، ولكن استنادًا إلى حكم محكمة "دنيزلي" ببراءة النورسي من هذا الاتهام في عام ١٩٤٣، قضت المحكمة بأنه لا يجوز إعادة المحاكمة على نفس القضية.(٢١)

وقد تفشت الأخبار بموعد المحاكمة في ١٩ فبراير، واحتشد المئات من جموع الشعب وطلاب النور منذ ساعة مبكرة في ذلك اليوم وملئوا قاعة المحكمة ليروا النورسي ويتابعوا المحاكمة، وفي الوقت الذي وصل فيه النورسي والمحامون والقضاة، كان الجمهور محتشدًا داخل سراي المحكمة حتى في قاعة المحاكمة نفسها، وشغل الجمهور المسافة أمام منصة القضاة، كما أن الحافلات توقفت عن المسير بسبب الاحتشاد والزحام خارج المحكمة،(٢٢) وعجزت الشرطة عن السيطرة على الحشود المتدافعة، ولم يعر الجمهور أي انتباه لأمر القاضي بإخلاء قاعة المحكمة من الحاضرين، فلم تتراجع جموع الشعب حتى التفت إليهم النورسي إثر طلب القاضي، وأشار إليهم بالرجوع فخرجوا من القاعة وبدأت المحاكمة.(٢٣)

وقد استمعت المحكمة إلى أقوال صاحب المطبعة الذي قام بطبع رسالة "مرشد الشباب" واستمعت إلى شهادة الشرطة، ثم قام النورسي وقدم اعتراضاته على تقرير الخبراء، وقد انتقدت هيئة الدفاع كل ما جاء في هذا التقرير بشدة، وحينما أدركت النورسي صلاة العصر طلب السماح له بتأدية الصلاة نظرًا لضيق الوقت، وأجيب طلبه، وتأجلت المحاكمة إلى ٥ مارس، وغادر النورسي وسط جو من التشجيع والتصفيق الحار وذهبوا به إلى مسجد السلطان أحمد.

---

(٢١) انظر: E.Edip. *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî123*

(٢٢) انظر: م. أمين بيرنجي في Şahiner, *Son Şahitler* 4:385-386

(٢٣) انظر كذلك محي الدين يورتن في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:207-208، وعلاء الدين يلماز ترك في *Son Şahitler,* 4:446.

وفي الجلسة الثالثة التي انعقدت في ٥ مارس، اتخذت الحكومة احتياطات أمنية مشددة، فوزّعت مئات من رجال الشرطة أمام المحكمة وداخلها حيث استطاعت بذلك تنظيم السيطرة على الآلاف من محبي وطلاب الأستاذ بديع الزمان، ورغم ذلك فقد ازدحمت قاعة المحكمة للاستماع أولاً إلى الطالب الجامعي "محسن علوي" الذي قام بطبع هذه الرسالة، ثم شرع المحامون عن بديع الزمان في سرد دفاعاتهم ورد التهم الموجهة إليه.

أشار النورسي من جديد إلى أنه متهم بأنه "عدو السلطة القائمة" كما سبق اتهامه من قبل، ولكنه دافع عن ذلك قائلاً: إذا لم يمس الإنسان الأمن والنظام، لا تكون معارضته جريمة؛ فلكل حكومة معارضون، بل على العكس من ذلك، إن الاعتراض على هضم الحقوق والظلم والاستخفاف بالقوانين لا يعدّ جريمة في أي حكومة من الحكومات، بل المعارضة هذه مشروعة وعنصر صادق في موازنة العدل. ثاني التهم الموجهة إليّ من السلطة، هو الإخلال بالأمن والنظام العام، لم تجد ست محاكم في ست محافظات هي ساحة ظلمنا وتغريبنا حادثة واحدة للإخلال بالأمن والنظام ضدنا – نحن طلبة النور- بعد بحث دقيق وطويل، وقد برأته المحكمة مرة أخرى من تهمة استخدام الدين من أجل تحقيق أهداف سياسية، فاتهام شخص تجاوز سن الثمانين وبلغ "باب القبر"، ولا يملك شيئًا من متاع الدنيا ولم يول اهتمامًا به يعد مجاوزة للحق والإنصاف. واختتم النورسي خطابه بقوله:

> أيها القضاة المحترمون! هكذا أذاقوني وطلابي الأذى والظلم ثمان وعشرين سنة، ولم يدّخر المدّعون في المحاكم وسعًا في إهانتنا وتحقيرنا، وتحمّلنا نحن ذلك وسرنا في طريق خدمة الإيمان والقرآن، وعفونا عن مظالم رجال السلطة السابقة وأذاهم، لأنهم نالوا ما يستحقونه، وتمتعنا نحن بحقنا وحريتنا، ونشكر فضل الله علينا بأن منّ علينا بالكلام في حضور حكام عادلين ومؤمنين... هذا من فضل ربي.[٢٤]

بعد ذلك قدم المحامون الثلاثة مذكرات دفاعهم،[٢٥] ثم دخل القضاة

---

(٢٤) E.Edip. *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî125-130*

(٢٥) E.Edip. *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî130-152*

للتداول، وتم إعلان القرار الذي أجمعوا عليه وهو "البراءة" مرة أخرى، واصطحب إعلان البراءة تصفيق حار من طلاب النورسي وجموع الشعب المحتشدين.[٢٦] وفي سنوات لاحقة، قال القاضي الذي عين للنظر في هذه القضية عن هذا اليوم: "كان شخصًا ذكيًا؛ لقد تنبأ بالحكم في القضية من خلال سريانها، لم يظهر أي نوع من القلق أو الإثارة، وكان رابط الجأش ومطمئن النفس كما لو كان يتحدث إلى أصدقائه في بيته، وكان يتحدث بلهجة شرقية."[٢٧]

فندق آق شهر بالاس وفندق رشادية

هناك روايات عديدة حول إقامة النورسي في فندقي "آق شهر بالاس"، و"رشادية" نقلها أشخاص مختلفون زاروه خلال فترة إقامته القصيرة التي استغرقت شهرين أو ثلاثة، كما توجد حكايات كثيرة لطلابه المقربين الذين ظلوا معه وحضروا كل أحداثه؛ أحدهم يدعى "محسن علوي"، وهو الذي كان رفيقًا للنورسي في المحاكمة، وقد كتب قائلاً: "عندما قدم الأستاذ إلى "استانبول"، تدفق جمهورها كله إلى فندق آق شهر بالاس. كان يزوره كل يوم المئات من الناس، وكان بينهم العديد من الشخصيات المرموقة والمشهورة، ويستطرد "محسن علوي" في وصفه لزيارات الكاتب والشاعر "نجيب فاضل قيسا كورك" الذي كان يصدر مجلة "بيوك دوغو"،[٢٨] وزيارات "عثمان يوكسل سردن كيجتي[٢٩] الذي كان يكتب ويصدر مجلة سردن كيجتي ، ومعناها "الفدائي"، وفي الحقيقة يرجع الفضل في تأسيس طبقات متعلمة من الشباب الذين كتبوا عن النورسي وعن رسائل النور إلى المقالات التي ظهرت في هذه المجلات، وفي المجلات الأخرى التي تناولت الصحافة الإسلامية مثل مقالات "أشرف أديب" في مجلة "سبيل الرشاد"، كما نشط "محسن علوي" في

(٢٦) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 603

(٢٧) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 604

(٢٨) انظر كذلك عوني تكتور في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:333-334

(٢٩) انظر محسن علوي في Şahiner, *Son Şahitler* 4:309، وعثمان يوكسل سردن كيجدي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:450-457

هذا المجال، وكان أهم هذه الروايات لواحد من الشبان الثلاثة، ثم الطلاب في "غلطة سراي ليسيه"، الذين استفادوا من هذه المجلات. وقد استمر الطالب "محمد شوكت إيجي" نفسه في إصدار العديد من الصحف والمجلات خلال أعوام متأخرة، وقرر هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، الذين كانوا يقرءون سرًا نسخًا طبق الأصل من رسائل النور في المدرسة، زيارة النورسي، وتوضح رواية هذا الطالب الظروف المتواضعة التي اختار النورسي أن يعيش فيها، حتى أثناء الإقامة في الفندق، علاوة على الاهتمام الذي أولاه لهؤلاء الأولاد.

"دخلنا الغرفة الصغيرة التي كان يقيم فيها الأستاذ في الطابق العلوي من الفندق، كان سقف الغرفة منخفضا ونوافذها صغيرة، وكان الأستاذ جالسًا على سريره واضعًا إحدى رجليه على الأخرى، وكان يلبس شيئًا كالمنديل ملونًا كالعمامة، كما كان على الجدار رف عليه راديو صغيرة مصنوعة من البلاستك، كان هذا كل شيء بالغرفة، وجلسنا على الأرض.

وكان يتحدث بلهجة شرقية. كان الأستاذ مسرورًا لأننا كنا طلاب في "غلطة سراي". وتحدث إلينا وأعطانا النصائح. وقد حذرنا على وجه الخصوص من مخاطر البلشفية؛ حيث لم تكن الشيوعية منتشرة في تركيا في ذلك الوقت، وكان بُعد نظر من جانب النورسي أن يتوقع أنها سوف تكون مشكلة أمام تركيا في المستقبل".[٣٠]

يصف "محسن علوي"، في روايته، رحلات التجوال التي قام بها النورسي حول مدينة "استانبول" ليزور الأماكن التي تعود على زيارتها في الماضي مثل وزارة الحربية القديمة (والتي حل محلها اليوم جامعة "استانبول") التي واجه فيها الباشاوات الحانقين في المحكمة العسكرية التي أقيمت بعد حادثة الحادي والثلاثين من مارس ١٩٠٩.[٣١] يصف لنا طالب آخر كان يزور النورسي في فندق "رشادية" نشاطه في مشيته، كان يسير برشاقة على الرصيف المواجه للفندق كما لو كان شابًا في العشرين من عمره، كما يصف لنا كيف أنه عندما خرج من مسجد "الفاتح" بعد حضور الصلاة أحاط به جمهور غفير من

---

(٣٠) انظر محمد شوكت إيجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:323

(٣١) انظر محسن علوي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:309-310

المتحمسين، يريدون جميعًا تقبيل يده ولم ينقذه منهم إلا أنه قفز داخل التاكسي.[٣٢]

على الرغم من ذلك، لم يتوانى أعداء النورسي وحاولوا سمه خلال إقامته في فندق "آق شهر بالاس" في "سيركيجي". وقد وصف لنا هذا الحادث "إبراهيم فاقازلي" أحد طلاب النورسي من مدينة "اينوبولو"، والذي تولى حراسة النورسي بدلاً من "محسن" و"زبير" و"ضياء ارون" في هذه الليلة. وقد وضعوا السم في طعام النورسي، الذي وضعه خارج النافذة حتى يبرد. وعندما أدرك النورسي ما حدث، استدعى طاقم الفندق، وعلمنا أنه كان من بين المقيمين في الغرفة المجاورة لغرفة النورسي محارب أرمني، وقد ألقي القبض عليه واعترف للنورسي أنه قد أتى في ذلك اليوم من "ادرنة" بهدف تنفيذ هذه الجريمة الوضيعة، وشهد على هذا "إبراهيم فاقازلي".[٣٣]

أميرداغ

عاد النورسي إلى "أميرداغ" عقب الحكم ببراءته في شهر مارس ١٩٥٢، وكتب في خطاب أنه أراد أن يتقابل مع العديد من أصدقائه الذين يرغبون في زيارته بسبب كبر سنه ومرضه وضعفه بسبب السم، حيث لم يعد لديه المقدرة أن يتحدث كثيرًا. وكتب قائلاً: "ومع ذلك، أود أن أقول لكم إن كل جزء من رسائل النور إنما هو سعيد، أيما طالعت جزءًا منها سوف تستفيد عشرات المرات أكثر من مقابلتي شخصيًا، بل تلتقوني شخصيًا."[٣٤]

مرة أخرى، عندما عاد إلى "أميرداغ"، تعرض النورسي لمضايقات غير قانونية أدت إلى محاكمته بعد ذلك. كانت المضايقات هذه المرة من قبل بعض رجال الشرطة وكان الأمر بخصوص ملبسه؛ ففي أحد أيام رمضان، الذي بدأ

---

(٣٢) انظر مصطفى رمضان أوغلو في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:187-188

(٣٣) انظر إبراهيم فقازلي في Şahiner, *Son Şahitler,* 2:182، كتب النورسي في إحدى رسائله أنه قد جرت محاولة سمه تسعة عشر مرة، وتنقل تقارير أخرى أنه تعرض لعشرين محاولة أو إحدى وعشرين.راجع Badılli, *Nursi,3/1755*

(٣٤) انظر: E.Edip. *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî90*

عام ١٩٥٢ في نهاية شهر مايو، خرج يتجول في الحقول المحيطة بالمدينة. وبينما كان يسير وحده، كان هناك عريف شرطة مع ثلاثة من أفراده يتعقبونه، ولم يستطع أن يتم تجواله، إذ لحقه هؤلاء وعرضوا عليه أن يخلع عمامته ويلبس القبعة وقادوه إلى مركز الشرطة في "أميرداغ".(٣٥)

وأرسل عريضة إلى وزارة العدل وإلى وزارة الداخلية في أنقرة، شجب فيها هذه التصرفات الرعناء، كما أرسل صورة من عريضته إلى أحد طلابه في أنقرة ليتتبع الموضوع عند المراجع الرسمية ويبلغ النواب المهتمين بالحادثة. ومن أنقرة قرر بعض طلابه إرسال نسخة من هذه العريضة إلى جريدة إسلامية تصدر في "صامسون" باسم "بيوك جهاد (الجهاد الأكبر)، وعندما نشرت هذه العريضة في الجريدة، أقام المدعي العام في مدينة "صامسون" دعوى ضد الأستاذ بديع الزمان، وصدر أمر رسمي إلى "أميرداغ" يأمره بالمثول أمام محكمة "صامسون". وقد كتب إليهم النورسي مشيرًا إلى دفاعاته المطولة والصحيحة للقضايا الخمس السابقة، خاصة وأنهم كانوا يلقون إليه نفس التهم القديمة،(٣٦) كما حصل على تقارير طبية تفيد بأن حالة الأستاذ لا تسمح له أبدًا بالسفر. وفي تلك الأثناء، وفي الثاني والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٢، وقعت حادثة "ملاطية" للصحفي المعروف "أحمد أمين يالمان"؛ إذ حاول شاب مسلم أن يغتاله، فأطلق عليه عدة رصاصات لم تنل منه مقتلاً. تم شن حملة صحفية رهيبة حول هذا الحادث، وأخيرًا ذعنت الحكومة للضغوط وأصدرت الأوامر بغلق جميع الجرائد والمجلات الإسلامية، واعتقال جميع الكتّاب والمفكرين المسلمين العاملين فيها. واعتقل في هذه الحملة من الاعتقالات المدير المسئول عن جريدة "الجهاد الأكبر" وأحد طلبة النور وهو السيد "مصطفى صونغور"، الذي كان في مدينة "صامسون" ونشر مقالة في الجريدة. وقد تم احتجاز "مصطفى صونغور" في سجن مدينة "صامسون" وحكم عليه بالسجن

---

(٣٥) انظر: Badıllı, *Nursi,3/1786-1789*

(٣٦) انظر: النورسي، سيرة ذاتية، ص٤٦٠.

لمدة عام ونصف العام، من أجل إغضاب النورسي،[٣٧] ولكن محكمة التمييز بعد ذلك ألغت هذا القرار وأصدرت قرارها بالبراءة.[٣٨]

أصر المدعي العام في مدينة "صامسون" على حضور النورسي إلى المحكمة للرد على التهم الموجهة إليه، وبناءً على هذا الإصرار اضطر النورسي – الذي يبلغ من العمر سبعين عامًا – الذهاب إلى هناك. وصل إلى "استانبول" ولكن مرضه اشتد بعد وصوله إليها، فلم يعد بإمكانه مواصلة السفر فحصل على تقرير طبي من الهيئة الصحية يطالب فيه بأن يتم محاكمته أمام محكمة "استانبول". مرة أخرى، تقضي المحكمة ببراءته، ومع ذلك، قضت بأن يأتي النورسي إلى "استانبول" مرة أخرى، ومكث في هذا الوقت ثلاثة أشهر.

زيارة نائب وزير التعليم الباكستاني

قبل أن نصف إقامة النورسي في "استانبول"، هناك حدث أو حدثان لا يمكن إغفالهما؛ أحدهما كانت الزيارة غير الرسمية لنائب وزير التعليم الباكستاني، "سيد علي أكبر شاه"، والذي كان في زيارة رسمية لتركيا. قام بزيارة النورسي باقتراح من وزير التعليم التركي، "توفيق إليري"، واصطحبه طالب نور جامعي يُدعى"صالح أوزجان". كان هذا في ١٥ يناير عام ١٩٥١.[٣٩]

قال "صالح أوزجان" في وصفه للزيارة إن النورسي طلب منه أن يترجم له لأن لغتهم المشتركة كانت هي العربية. قام بعد ذلك بتفسير رسائل النور وطريقتها في خدمة زائرها، ولكن عندما أصبحت المناقشة أكثر تعقيدًا، وجد "أوزجان" صعوبة في الترجمة. وكتب قائلاً: "وعليه، جلس الأستاذ على ركبتيه (على السرير الذي كان يجلس عليه) وبدأ يتحدث لغة عربية بليغة، لم أسمع مثلها من قبل."

كان نائب الوزير سعيدًا جدًا بهذه الزيارة، وعندما عاد إلى الفندق عبر عن بالغ تقديره واحترامه للنورسي، وأراد أن يزوره مرة ثانية قبل مغادرته البلاد في

(٣٧) انظر محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:360
(٣٨) للحصول على وصف لهذا، انظر: م. أمين برنجي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:384-385
(٣٩) Badılli, *Nursi,3/1856*

صباح اليوم التالي. لم يوافق النورسي على هذه الزيارة الثانية، ومع ذلك عندما كانت الحافلة التي تقل نائب الوزير على وشك مغادرة "أنقرة"، ظهر ليودع الوزير وسافر معه لمسافة سبعة أو ثمانية كيلومترات كان يجلس خلالها بجانب الوزير قبل أن يتركه وينزل، وقد فرح "علي أكبر شاه" بذلك كثيرًا. وفي "أنقرة"، ألقى محاضرة إلى طلاب الجامعة عن النورسي ورسائل النور، وعمل بكل جد على نشرها عندما عاد إلى باكستان. بعد ذلك، دعا النورسي لزيارة باكستان ومنحه كافة السبل والوسائل، ولكن النورسي أجاب أن "الأولوية" لتركيا، لأن المرض الأساسي قد بدأ هنا.(٤٠) وقد تم تعيين "سيد علي أكبر شاه" رئيسًا لجامعة "سند"، واستمر في الاتصال بطلبة النور في تركيا، وبذل كل ما في وسعه لنشر رسائل النور.(٤١)

وخلال الخمسينيات، وجدت رسائل النور لها الكثير من الطلاب والقراء في أجزاء مختلفة من العالم، بما في ذلك باكستان. وقد تم تخصيص الجزء الأخير من السيرة الذاتية "الرسمية" للنورسي، والذي نُشر أول مرة في حياته في عام ١٩٥٨، لهذه التطورات وتضمن أيضًا رسائل طلبة النور من شتى الأقطار مثل فنلندا، واشنطن العاصمة، وعدد من الدول الإسلامية. وقد بدأ ظهور العديد من المقالات في هذه الدول مثل العراق (٤٢)وباكستان،(٤٣) كما سافر بعض طلبة النور خارج البلاد لنشر رسائل النور وإقامة العلاقات؛ فذهبوا على سبيل المثال إلى الحجاز وسوريا وإيران(٤٤). وفي عام ١٩٥٤، أرسل النورسي طالبه "محسن علوي" إلى ألمانيا(٤٥) كي يطبع النسخة التي خطها "خسرو" من القرآن الكريم هناك، حيث لم تفلح المحاولات المتكررة لطبعها في تركيا. بقي "محسن علوي" في برلين كممثل لحركة النور، وكان النورسي قبل ذلك قد

---

(٤٠) انظر: صالح أوزجان في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:239-240

(٤١) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi,* 657.

(٤٢) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:553-556*

(٤٣) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:563-566*

(٤٤) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:435* ، كامل أجار في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:247-248

(٤٥) انظر حقي ياوزتورك في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:433

أرسل "ذو الفقار" بأجزاء أخرى من رسائل النور إلى ألمانيا، وقد لاقت هذه الأجزاء استقبالا حافلا.[٤٦]

استقبل النورسي أيضًا الزوار من العلماء والشخصيات الدينية من جميع أنحاء العالم الإسلامي،[٤٧] وقد أعيدت العلاقات من جديد لأن واحدًا من أهدافه الكبرى قد بدأ في التحقق: وهو تجديد وتعزيز العلاقات بين المسلمين في تركيا وأجزاء أخرى من العالم من خلال رسائل النور. وفي الحقيقة، كان "صلاح الدين شلبي" من "أينوبولو" هو الذي أرسل "ذو الفقار" في عام ١٩٥٠ ليكون إمام مسجد برلين، وذلك بإذن من النورسي. كما بعث النورسي بنسخ من رسائل النور إلى جامعة الأزهر في مصر، والسفير الباكستاني، وإلى البابا في روما، وردًا على النسخة التي أرسلت إلى البابا في روما، تلقى النورسي خطاب شكر من الفاتيكان بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٥١.[٤٨] وكما أشرنا من قبل، بالرغم من جهاد النورسي في استقلال العالم الإسلامي عن الغرب والحفاظ على وحدته الثقافية، إلا أنه تنبأ بالتعاون بين المسلمين والمسيحيين المخلصين في مواجهة الإلحاد الآثم، فكل منهما له وحي سماوي.[٤٩] ويجب أن ننظر إلى زيارة النورسي لبطريرك الأرثوذكس اليوناني في "استانبول"، "أثنيجاروس" في هذا السياق، حيث كانت هذه الزيارة خلال إقامته في "استانبول" في ربيع وصيف عام ١٩٥٣.[٥٠]

---

(٤٦) انظر كامل أجار في Şahiner, *Son Şahitler*, 3:246

(٤٧) انظر على سبيل المثال عمر عادل مخالفجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:232-233

(٤٨) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-٢ ص ٣٤٦ .

(٤٩) ومن الجدير بالذكر أنه بعد عشر سنوات من إرسال ذو الفقار، وهو المجموعة المعنية بإثبات نبوة محمد ﷺ والتدليل على أن القرآن كلام الله على وجه الخصوص، تم الاعتراف بالإسلام في الاجتماع الثاني للفاتيكان كدين منزّل وطريق للنجاة.

(٥٠) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 415-416

استانبول

جاء النورسي من "استانبول" قادمًا من "أميرداغ" تقريبًا بين ٢٠-٢٥ أبريل ١٩٥٣[٥١] في طريقه إلى "صامسون". أقام في البداية في فنق "مارمارا بال" في "بايزيد"، ثم أقام ليلة واحدة في "جامليجا" في الجانب الآسيوي من البسفور، بعدها غادر إلى "أسكدار"، وأقام به ثلاثة ليالي. وفي النهاية، وبدعوة من أحد طلابه في "استانبول" "محمد فرنجي"، انتقل النورسي إلى بيته في مقاطعة "درامان" بالقرب من "فاتح"، وانتقلت العائلة إلى بيت آخر بجانب المخبز الخاص بهم، ولكن لأن النورسي لم يستطع استكمال رحلته، فقد أقام عندهم ثلاثة أشهر في بيتهم المتواضع، ولكنه كان بيتًا خشبيًا جميلا، وهذا ما كان يبحث عنه تمامًا.[٥٢]

رغم حصول النورسي على تقارير طبية[٥٣] ودفاعه عن نفسه أمام محكمة "استانبول"،[٥٤] إلا أنه استقبل كثيرًا من الزوار، بل وقام بجولات حول مدينة "استانبول" بالحافلة. وتعكس أحد أهم الرسائل التي كتبها خلال إقامته، والتي وُصفت بأنها "ثمرة تجواله" في "استانبول"، اتجاهه نحو الحياة العصرية بما فيها من سفه وإفراط وتكاسل. وقبل أن نذكر جزءًا منها، نود الإشارة إلى أهميتها:

كان هدف النورسي من وراء كتابة مثل هذه الرسائل هو تفسير ما أسماه "القانون الأساسي للقرآن العظيم"، أي المبادئ الأساسية الواضحة، التي إذا تم تطبيقها سوف تعالج ما يعتري المجتمع من أمراض سياسية واقتصادية واجتماعية، وكذلك المشاكل التي تنشأ من محاكاة الغرب وتطبيق مبادئ "الفلسفة". وهذه المبادئ تبين منهج النورسي، فهي مبادئ يمكن لأي فرد أن يتبناها ويطبقها في حياته اليومية، كما تعكس اهتمام النورسي بإحداث تغيير اجتماعي وعمل إصلاح من خلال الجهود الشخصية والتدريج، أي من القاع

---

(٥١) انظر محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:350

(٥٢) انظر: المرجع السابق ص٤/٣٥٢-٣٥٤

(٥٣) انظر: ينص أحد التقارير الصادرة بتاريخ الثامن عشر من مايو ١٩٥٣ أنه غير قادر على السفر، انظر: باديللي، النورسي، ١٨٢٨/٣-١٨٣٠، بينما ينص تقرير آخر صدر بتاريخ السابع عشر من يوليو ١٩٥٣، أنه يوصى بتغطية رأسه، بأن يعصبها بعمامة.

(٥٤) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:550-552*

إلى القمة، على عكس الإصلاح الاجتماعي من القمة إلى القاع ومن خلال قوة القانون. ويشير الاسم الذي استخدمه النورسي، أي القانون الأساسي للقرآن العظيم، إلى موافقة هذه المبادئ للقوانين الكامنة في الإنسان والكون وموائمتها له، موضحًا "بداهة" هذه المبادئ والحاجة إليها. وقد أوردنا أدناه مناقشة مفصلة لهذه المبادئ بشأن بعض رسائل النورسي إلى رئيس الوزراء "مندريس" والديمقراطيين، يحثهم على تطبيق هذه المبادئ.

"إن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقًا مناقضًا لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيلُ سيئاتها على حسناتها وثقلت كفةُ أضرارها على فوائدها، فلقد اضطرب أمنُ الناس واطمئنانهم، وأُقلقوا وأَسِنت سعادتُهم الحقيقية فاختل ما هو مطلوب من المدنية ومقصود منها، حيث قد حلّت بسببها نوازع الإسراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستُمرئتْ ميولُ الكسل والدعة وهجرت مرعى السعي والعمل. ولقد ألبست - هذه المدنية - البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب.

واستنادا إلى ما قامت به رسائل النور من إيضاح الدستور الذي يخاطب به القرآن الكريم في ندائه العلوي: ﴿وكلوا واشرَبوا ولا تُسرفوا...﴾، (الأعراف:٣١)"، وقوله ﴿وأن ليسَ للإنسان إلاّ ما سَعى...﴾، (النجم:٣٩) فقد أشارت- تلك الرسائل- مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين – إلى أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكدّ.. وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام." لذا سأتحدث عن مسألتين لطيفتين، نكتتين قصيرتين وهما الآتيتين:

أولاهما: كان البشر في عهد البداوة تعوزهم ثلاثة أو أربعة أشياء، وكان اثنان من كل عشرة أشخاص يعجزان عن تدارك تلك الأشياء الثلاثة أو الأربعة، بينما في الوقت الحاضر تحت سطوة المدنية الغربية المستبدة، المتميزة بإثارة سوء الاستعمال، والدفع إلى الإسراف، وتهييج الشهوات، وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية في حكم المطالب والحاجات الضرورية؛ فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حب التقليد والإدمان مفتقرًا إلى عشرين حاجة بدلا من أربع منها ضرورية، وقد لا يستطيع إلاّ شخصان من كل عشرين شخص أن يلبّوا تلك الحاجات العشرين من مصدر حلال بشكل مباح، ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء . فهذه المدنية الحاضرة إذ تجعل الإنسان فقيرا جدا ومعوزا

دائما،ولقد ساقت البشرية — من جهة تلك الحاجة — إلى مزيد من الكسب الحرام ، والى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن ،وشجعت طبقة العوام المساكين على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص، وذلك بهجرها "القانون الأساس" الذي سنّه القرآن الكريم القاضي بوجوب الزكاة وتحريم الربا، والذي يُحقق بواسطتهما توقير العامة للخاصة، ويوفّر بهما شفقة الخاصة على العامة. فبهجرها ذلك "القانون الأساس" أرغمت البرجوازيين على ظلم الفقراء وهضم حقوقهم، وأجبرت الفقراء على العصيان والتمرد في معاملتهم معهم فدمّرت سعادة البشرية وراحتها وأمنها واطمئنانها وجعلتها أثرًا بعد عين.

النكتة الثانية: إن ما أنجزته هذه المدنية الحاضرة من خوارق - في ساحة العلم - نِعمٌ ربانية تستدعي شكرًا خالصًا من الإنسان على ما أُنعم عليه، وتقتضي منه كذلك استخدامًا ملائمًا لها لفائدة البشرية ومنفعتهم. بيد أننا نرى الآن خلاف ذلك؛ إذ تقود تلك الخوارق قسماً من الناس - الذين لهم أهمية بالغة في الحياة - وتوردهم موارد الكسل والسفاهة...إذ إنها تذكي نار الأهواء النفسانية ،وتثير كوامن النزعات الشهوانية فتُقعِد الإنسان عن الكدّ والسعي وتثنيه عن الشوق إلى العمل،وتسوقه بعدم القناعة وعدم الاقتصاد إلى السفاهة والإسراف والظلم وارتكاب المحرمات .

نورد مثالا على ذلك: "...الراديو نعمة إلهية عظيمة على البشرية، فبينما تقتضي شكرًا معنويًا منّا عليها وذلك باستخدامها لمصلحة البشرية كافة، نرى أربعة أخماس استعمالاتها تُصرف في إثارة الأهواء النفسانية، والى أمور تافهة لا تعني الإنسان في شيء، فتجتث جذور شوق الإنسان إلى السعي والعمل". .

بإيجاز: إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمعَ كليًا إلى الأديان السماوية؛ لذا أوقعت البشرية في فقرٍ مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتمادى في تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة..."[٥٥]

وأثناء إقامة النورسي في "استانبول"، ما بين ١١ مايو إلى ١٧ مايو، أتى المستشرق الشهير "ألفريد جليوم" إلى جامعة "استانبول" ليلقي خمس محاضرات، وقد أثارت القضايا الخلافية التي طرحها ردود فعلية عدائية من

(٥٥) النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ- ٢ ص-٣٧٨و ٣٧٩ و٣٨٠.

العلماء المحليين،[٥٦] وقد حضر كل من "محسن علوي"، الذي كان طالبًا في السنة النهائية في قسم الفلسفة، و"ضياء ارون "المحاضرة الأولى. وقد أنكر هذا المستشرق الآيات القرآنية التي تصف "السماوات السبع" وهي الآيات (٢: ٢٩، ٣: ٦٧، ١٥: ٧١)، قائلاً إن علم الفلك قد تقدم وأثبت أنه لا توجد سبع "طباق" في السماء أو في الفضاء، ولذلك فالآية تناقض العلم. وقد أخبر الطالبان أستاذهم النورسي عن المحاضرة، وأعد رسالة ذكر فيها بعض أجزاء من رسائل النور، وفي اليوم التالي ذهبا إلى الجامعة ووزعا نسخًا من هذه الرسالة قبل المحاضرة، وقُرأت هذه الرسالة على المستشرق، وقالوا إنه أنهى المحاضرة نتيجة لهذا.[٥٧]

كانت هناك احتفالات عارمة بالذكرى الخمسمائة لفتح القسطنطينية، وصلت هذه الاحتفالات ذروتها في ٢٩ مايو بوصول فرق "مهتر" وهي الفرق العسكرية للجيش العثماني، وقد سارت هذه الفرق بثياب تقليدية وعزفت الألحان الموسيقية من "طوب قابي" حتى أبواب منطقة "فاتح". خرج الناس في "استانبول" لمشاهدة هذه الفرق والسير خلفها، وكان الحفل الكبير في الجامع الكبير في منطقة "فاتح" الذي يوجد فيه قبر السلطان "محمد الفاتح". وقد شيدت منصة خارج المسجد وأرصفة حتى تتمكن الجماهير من مشاهدة الاحتفال، وعندما وصل النورسي خُصص له كرسي على المنصة المجاورة لوالي "استانبول"،[٥٨] وقد تابع الحفل بسعادة بالغة وخصوصا بمشاهدة فرق "مهتر".[٥٩]

ورغم أن النورسي كان حرًا يستطيع الذهاب إلى أي مكان يريده، إلا أنه كان مراقبًا من الشرطة باستمرار، ويصف لنا "محمد فرنجي" كيف انزعجت الشرطة عندما غاب عن أعينهم عندما قدم إلى "استانبول"، ولما انتقل النورسي إلى بيت في "درامان"، كان هناك شرطي يقف دائمًا أمام هذا البيت، وأخبروا

---

(٥٦) انظر: *TDVİA,* S. V. "Alfred Guillaume," by İlhan Kutluer

(٥٧) انظر محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:355-357

(٥٨) كان والي استانبول في ذلك الحين هو فخر الدين كوكاي، وهو أحد مؤسسي جمعية الهلال الأخضر مع النورسي في مايو ١٩٢٠.

(٥٩) انظر محسن علوي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:310، ومحمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:360-361

"محمد فرنجي"، الذي تم استجوابه بالتفصيل عن إقامة النورسي في البيت، قائلين: "إننا مسئولون عنه ويجب علينا حمايته."[٦٠] ويحكي لنا أحد زوار النورسي وهو رئيس الفرع المحلي للحزب الملي "حسين جاهد بايزاغا"، عن وجود أحد الضباط الذي كان مكلفًا بمراقبة البيت وتسجيل جميع زواره، وكان هذا الضابط يتتبع النورسي حتى عند الذهاب إلى المسجد أو أثناء تجواله،[٦١] كما يذكر كيف أنه كان هناك في "درامان" بقال يوناني غير مسلم اعتاد النورسي على شراء حاجاته منه، كان هذا البقال يدعى "ديمتروس" وكان يُكِنّ للنورسي بالغ التقدير والاحترام، بل إنه قال لـ "بايزاغا": "إنك لا تعرف قيمة هذا الشخص، لو كان هذا الشخص في اليونان لصنعوا له بيتًا من الذهب."[٦٢] ويروي "محسن علوي" أيضًا أنه ذهب يومًا إلى "باقيركوي" والتي كانت منطقة ريفية آنذاك ليستنشق بعض الهواء العليل، وكان هناك رجل مسيحي من بيروت يُدعى "سليمان" أسرع إلى النورسي، فلم يعرض عنه النورسي، ولكنه تحدث إليه وشرب القهوة التي قدمها إليه.[٦٣]

أهلّ شهر رمضان والنورسي ما زال في "استانبول"، ويذكر "محمد فرنجي" أن النورسي كان قليلاً ما ينام خلال هذا الشهر، حيث كان يقضي ليله في العبادة والصلاة ونهاره في ممارسة نشاطه اليومي؛ حيث كان يقرأ رسائل النور ويعلم طلابه، ويصحح الرسائل، ويستقبل الزائرين، وهكذا. كان الناس في "استانبول" يتجمعون ليلاً لمشاهدة النورسي من البيت المقابل له بينما كان يقضي ليله يتعبد في ضوء مصباح كهربي ساطع حتى الصباح، وكانوا عندما يغلقون النوافذ، يحتج الجالسون قائلين: "لماذا تغلقونها؟ إننا نصلى وندعو معه."[٦٤]

(٦٠) انظر: المرجع السابق، ص٤/٣٥٤.
(٦١) حسين جاهد بايازاغا في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:328-329.
(٦٢) المرجع السابق، ص٣٢٩.
(٦٣) محسن علوي في Şahiner, *Son Şahitler* 4:314
(٦٤) محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:361-362

إسبارطة

عاد النورسي إلى "أميرداغ" في نهاية شهر يوليو، وبعد أسبوع انتقل إلى فندق "يلدز" في "اسكي شهر"، ثم انتقل بعدها إلى "إسبارطة" في نهاية شهر أغسطس، حيث أقام لمدة أسبوع في فندق "نوري بنلي" الذي كان يملكه أحد طلابه، بعدها انتقل إلى منزل مستأجر وأقام فيه، رغم أنه كان يقوم بزيارة كل من "أميرداغ" و"أسكي شهر". وقد أحب النورسي "إسبارطة" أكثر من أي مكان آخر وأراد أن يقضي بها بقية عمره وسط طلابه الكثيرين. وكان للمنزل الذي استأجره حديقة تحيط به، وكان هذا المنزل واسعًا، وبه عدد كبير من الغرف له ولطلابه الذين أصبحوا الآن يقيمون معه بصفة دائمة.

ولقد أحدثت إقامة أربعة أو خمسة من طلاب النورسي المقربين معه تغيرًا جوهريًا في طريقة حياته التي اعتاد عليها منذ سنوات، لكنه لم يغير قاعدة عدم السماح لأحد بالدخول إلى غرفته من بعد غروب الشمس – وهو وقت صلاة المغرب – حتى صباح اليوم التالي، بل إنه كان يغلق باب غرفته من الخارج والداخل، وكان تلاميذه– "زبير كوندوزآلب" و"طاهري موتلو" و"مصطفى صونغور" و"بيرم يوكسل" و"جيلان چلشقان" – هم الذين يقومون على رعاية شئونه الخاصة، ويُسمح لهم بدخول حجرته إذا دعت ضرورة لذلك، لكن ظل النورسي دائم الانشغال، وظلت حجرتهم وأنشطتهم منفصلة عنه، فهم – من ناحية – كانوا يقومون على شئونه الخاصة؛ حيث كان النورسي يقترب من الثمانين من عمره، وكان هو – من ناحية أخرى –يقوم بتدريبهم ليتقلدوا أدوارهم في حركة النور.

بدأ النورسي في ذلك الوقت قراءة ومدارسة رسائل النور كمجموعة، وقد سار طلاب النورسي على هذا النهج في طول البلاد وعرضها وأصبحوا علامةً فارقة وملمحًا بارزًا في حركة النور، وكان النورسي وطلابه يقومون بقراءة هذه الرسائل بعد صلاة الصبح، وغالبًا ما كانوا يستمرون على ذلك مدة خمس أو ست ساعات، وكان كل الحاضرين يتناوبون القراءة بصوت عالٍ من أحد كتب

رسائل النور، وكان النورسي يشرح ويوضح لهم ما يقرأون، وقد كتب "بيرم يوكسل"، الذي قدم لنا أغلب التفاصيل عن تلك السنوات، يقول:

"كان النورسي يتمتع بطاقة وحيوية شاب في العشرين من عمره، فكلما يقرأ كان يزداد شبابًا، بينما افتقد طلابه الصغار هذا الجَلَد في المداومة على القراءة لهذه الفترة الطويلة وبدأ التعب يدب في أوصالهم."(٦٥)

ويذكر "بيرم يوكسل" في روايته(٦٦) كثيرًا من التفاصيل الشخصية عن النورسي وعن طعامه وملبسه ونظافته وطريقته المهيبة التي كان يؤدي بها الصلوات الخمس بمجرد أن يحين وقتها بلا كلل ولا نصب، والأهمية التي كان يوليها لإنجاز أي أمر في متناول يده بكفاءة وقيامه بتصحيح ملزمات الطبعات التجريبية وكذلك المكتوبة بخط اليد لرسائل النور، ويصف حرصه الشديد على الإنفاق وكذلك رحمته بالحيوان. وفي هذا الصدد، يذكر أنهم بينما كانوا في رحلة للريف، أخذ النورسي يدرس "كتاب الكون العظيم" ويحثهم على دراسته، وكانت له عاطفة جياشة بكل المخلوقات، بل إن اهتمامه وعاطفته امتدت لكل المخلوقات التي وجدوها بداية من الكلاب حتى النمل، ويذكر أيضًا كيف اعتادت الفئران في منزله التقليدي الخشبي في "إسبارطة" أن تأكل كل الكتب والأوراق التي وضعوها في المخزن للحفاظ عليها، باستثناء بعض ملزمات من رسائل النور، وقد اعتاد النورسي أن يقول: إن الفئران لن تصيبهم بسوء. وبالفعل لم تفعل الفئران ذلك، ويستمر "بيرم يوكسل" في وصفه، فيقول إنه شاهد كثيرًا من الأشياء التي من هذا القبيل لكنه لم يسجلها لأن النورسي لم يرغب في أن يصرف انتباههم إلى مثل هذه الكرامات.

وفي عام ١٩٥٤، عاد النورسي إلى "بارلا"، وكانت هذه هي زيارته الأولى منذ أن غادرها منذ عشرين عامًا، وأجهش بالبكاء عندما دخل مدرسة النور الأولى التي عاش فيها ثماني سنوات، ورأى شجرته العظيمة التي وقفت سامقة

---

(٦٥) بيرم يوكسل Şahiner, *Son Şahitler*"3:53 "

(٦٦) انظر: المرجع السابق، ص ٣/ ٣١-١١٢

بالخارج، حيث كتب النورسي في هذا المكان وبين حدائق "بارلا" وجبالها الجانب الأعظم من رسائل النور.[٦٧]

ومع تقدم النورسي في العمر شقت هذه الرحلات عليه، لكنه كان يشعر كل يوم بحاجته إلى الخروج إلى الريف ليتنفس الهواء النقي، وأخيرًا تعاون كبار طلابه في "إسبارطة" و "اينوبولو" و "أميرداغ" في عام ١٩٥٥ واشتروا له سيارة جيب، لكن عندما اتضح أنها لا تناسب الطرق الوعرة في ذلك الوقت استبدلوا بها سيارة "شيفروليه" موديل ١٩٥٣، والتي ظل يستخدمها بقية سنوات عمره.[٦٨]

نشر رسائل النور ووظيفتها وأنشطة أخرى

قبيل إصدار الحكم النهائي لمحكمة "أفيون" في عام ١٩٥٦ بإعادة كل النسخ المصادرة من رسائل النور، استمرت طباعة النسخ المكتوبة بخط اليد على ماكينات النسخ في "إسبارطة" و"اينوبولو"، وكانت كلها مكتوبة بالخط العثماني، وقام طلاب النور الصغار في "أنقرة" وغيرها من الأماكن بطباعة نسخ من رسائل النور، وقد كتب بعضها بالحروف الجديدة ولكن في نطاق محدود، وتضمن الأمر الآن القيام بنسخ رسائل النورسي التي أطلق عليها اسم "الملاحق"، وحتى عام ١٩٥٣ قام "خسرو" في "إسبارطة" بنسخها على ورق مشمّع، ثم أخِذت إلى قرية "ساو" حيث تم نسخها هناك ثم تم نشرها في أرجاء البلاد، وقد أرسلت الملزمات الكبيرة التي نُسِخت هناك أيضًا إلى "استانبول" لتجَلد هناك ثم تعاد على هيئة كتاب، لكن عين الشرطة كانت تراقب طلاب النور مراقبة دائمة وبخاصة "خسرو"، فكان عليهم أن يحتاطوا غاية الاحتياط وأن يكونوا دائمًا على يقظة تجاه أية مداهمات أو تحرشات من هذا القبيل.[٦٩]

---

(٦٧) انظر: *Risale-i Nur Külliyatı Müellifi*"614-618 "

(٦٨) انظر: محمد جالشقان، 2:365-366"*Şahiner, Son Şahitler* "

انظر أيضًا: بيرم يوكسل، 3:57"*Şahiner, Son Şahitler* "

(٦٩) انظر المرجع السابق، ص ٦١/٣

وعقب زيارة النورسي "لاستانبول" في عام ١٩٥٣، كوّن صغار طلاب النور جماعة – بمن فيهم "محمد فرنجي"، الذي كان النورسي يقيم في بيته، وقاموا بجهود كبيرة لنشر وتوزيع رسائل النور حسبما سمحت بذلك مواردهم المحدودة، وفي النهاية تمكنوا من استغلال منزل قريب من مسجد السليمانية حيث استطاعوا هناك أن يركبوا ماكينات نسخ في سرية تامة، وأصبح المنزل هو أول مركز لدراسة رسائل النور في "استانبول"، وكوّن هؤلاء الطلاب أيضًا نواة طلاب النور في "استانبول"، وتلوا قراءات من رسائل النور في كثير من أماكن المدينة وبمشاركة جموع من الناس من كل طوائف المجتمع.[٧٠]

علق النورسي أهمية كبرى على هذه الأنشطة، خاصة ما يخص النشر، وقام بنفسه بتصحيح الملزمات والطبعات التجريبية، أما الخطابات الجديدة فكان يقوم بتصحيحها هو وأحد طلابه، وغالبًا ما حدث أثناء وجوده في الريف أن يقرر فجأة أن يرجع ليجد هو وطلابه واحدًا من طلاب "استانبول" أو "أنقرة" في انتظاره ومعهم ملزمات تجريبية ليقوم بتصحيحها، ويقوم النورسي بتصحيحها فورًا ولا يفعل شيئًا آخر حتى ينتهي منها تمامًا، وكان النورسي يشغل نفسه أيضًا بهؤلاء الطلاب الصغار، فمنهم من تلقى تعليمًا جيدًا، فكان يقوم بالقراءة لهم ويعلمهم من رسائل النور ويحثهم على دراستها.

في ذلك الوقت كان النورسي يرى ثمرة عمل ثلاثين عامًا من النفي والسَجْن، لاسيما بعد أن بدأت طبع رسائل النور في مطابع حديثة بالأحرف الجديدة عام ١٩٥٧ في كل من "أنقرة" و "استانبول"، ويصرح النورسي قائلاً: "هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريبا." لقد كان ممتلئًا فرحًا، ولا يمكث في مكان واحد، وأراد القيام برحلات إلى "أميرداغ"، وإلى "بارلا" وبحيرتها وكثير من الأماكن الخلابة حول "إسبارطة" سواء كان راكبًا على حصان أم حمار أم بالسيارة.[٧١]

---

(٧٠) انظر محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:365 ؛ انظر أيضًا: م. أمين بيرنجي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:393-394 ؛ وانظر: حقي ياوزتورك في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:437-438

(٧١) انظر: بيرم يوكسل، Şahiner, *Son Şahitler*"3:54-55 "

أراد النورسي من رئيس الوزراء "مندريس" أن يسمح بطبع رسائل النور بشكل رسمي، وسعى الدكتور "تحسين طولا" أحد نواب "إسبارطة" لدى رئيس الوزراء في هذا الأمر، وأبدى "مندريس" عظيم احترامه للنورسي وقابل الاقتراح باستحسان، وأخبر "طولا" أن يقوم بتنظيم الأمر من خلال إدارة الشئون الدينية، لكن المحاولة لم تتعدَ ذلك، وعند هذه النقطة أصدر النورسي تعليمات لطلابه أن يقوموا بطبعها،[٧٢] وكان "طولا" قادرًا على تأمين الصحيفة من خلال حكومة الحزب الديمقراطي عندما كان هناك نقص في الموارد، ومع كل ذلك، تمكنوا من طباعة "الكلمات" (سوزلر) ومن خلال تمتعه بالحصانة البرلمانية أشرف "تحسين تولا" على إرسالها إلى "استانبول" لتغلف هناك، لكن طلاب النور كانوا مازالوا يعملون تحت خوف دائم من تدخلات الشرطة، وبعد ذلك، تمت طباعة الملازم الرئيسية الأخرى وهي "اللمعات"(لمعه لر) و "المكتوبات" (مكتوبات)[٧٣] وفي نفس الوقت بدأ طلاب "استانبول" في طباعة عشرة آلاف نسخة من "الكلمات الصغيرة"، وأرسلوا مائتين وخمسين منها على الفور إلى عديد من الأماكن في "الأناضول"، كما قاموا أيضًا بطبع خمسة آلاف نسخة من "رسالة إلى النساء".[٧٤]

وفي عام ١٩٥٨، قام بعض طلاب النورسي المقربين، وبالتحديد "مصطفى صونغور" و"زبير"، بإعداد "تاريخ حياة" للنورسي، ولأن النورسي أراد أن يكون الاهتمام مُرَكزًا على رسائل النور فقد قام باجتزاء الأقسام التي تصف تجربته الشخصية في الحياة ومآثره، وكان هناك خلاف حول ما إذا كان من الواجب إدراج صور أم لا، لكن عددًا منهم أيدوا قرار النورسي بإدراجها.[٧٥]

أبدى النورسي اهتمامًا كبيرًا بالترجمة خلال هذه السنوات، سواء من التركية إلى العربية – حتى يتم نشر رسائل النور في العالم الإسلامي – أم من

---

(٧٢) انظر: "Şahiner, *Bilinmeyen 424-425*".

(٧٣) سعيد أزدمير في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:122-123؛ انظر أيضًا: م أمين بيرنجي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:394-395.

(٧٤) محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:369

(٧٥) م أمين بيرنجي في Şahiner, *Son Şahitler* ,4:401-402

العربية إلى التركية، وقام بنفسه بترجمة "الخطبة الشامية" إلى التركية عام ١٩٥١، وقام شقيقه الأصغر عبد المجيد – مفتي "أورغوب" بالقرب من "قيصرية" – بترجمة "عصا موسى" إلى العربية بناء على اقتراح النورسي، وقد أراد النورسي أن يجذب انتباه الكثيرين من العلماء إلى هذا العمل،[٧٦] وبعد ذلك، وفي عام ١٩٥٥، ترجم عبد المجيد "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" التي كتبها النورسي أثناء الحرب، وكذلك "المثنوي العربي النوري" من العربية إلى التركية،[٧٧] وطبعت الترجمة التركية لـ "إشارات الإعجاز" في "أنقرة" بالحروف الجديدة، وهي الحروف اللاتينية.

منهج الخدمة "الإيجابي" لرسائل النور

رغم استمرار تهديد الشرطة، إلا أن السماح الرسمي بطباعة رسائل النور كان نصرًا مؤزرًا للنورسي وطلابه على أولئك الذين بذلوا كل غالٍ ورخيص على مدى ثلاثين عامًا حتى يتخلصوا منهم ويسكتوهم، وأثبتوا صحة منهج الخدمة الذي تمسكوا به. إن رسائل النور و"منهجها الإيجابي"، وهو المجاهدة بصبر وصمت في حفظ وتقوية الإيمان بالله وغيره من حقائق الدين بالطرق السلمية – لا سيما الكلمة المكتوبة وعدم الانخراط في السياسة – كانت لها الغلبة على أولئك الذين كانوا يسعون لاستئصال الإسلام من جذوره وإطفاء جذوة الإيمان. لقد تطلبت وظائف رسائل النور هذا المنهج في تجديد الإيمان وإحياء الإسلام، وهو منهج كان له بعض النظائر والأشباه في العالم الإسلامي حيث كانت هناك محاولات لخدمة الإسلام لكن غلب عليها الطرق المباشرة والعنيفة أو السياسية والتي صنفها النورسي على أنها "مادية".

إن منهج حركة النور ورسائل النور، كما أوضحنا في الفصل الأول، كان هو "الجهاد المعنوي" أو "جهاد الكلمة" ضد الإلحاد الظالم واللادينية؛ فبالإضافة إلى العمل على نشر الإيمان وإرساء دعائمه، ساهمت بشكل كبير في حفظ النظام الداخلي والسلام والاستقرار في المجتمع في مواجهة التدمير

---

(٧٦) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:402*

(٧٧) أحمد كموش في Şahiner, *Son Şahitler* 4:153.

الروحي والأخلاقي على يد القوى اللادينية التي كانت تهدف إلى زعزعة استقرار المجتمع وإثارة الفوضى، وحيث إن الحزب الديمقراطي أيضًا فهم المخاطر التي شكلتها هذه القوى فاتخذ لذلك موقفًا إيجابيًا ضدها، ثم أخذ خطوات بعد ذلك لتقوية الإسلام، فقد وصف النورسي الديمقراطيين بأنهم "يساندون" طلاب النور في جهادهم ويمدون يد العون لهم، بل إنه نصحهم وأرشدهم عن هذه الأمور من وقت لآخر.

لقد انتهج طلاب النور، على عكس الكثير من الجماعات والأفراد الذين يهدفون خطأً إلى الدفاع عن قضية الإسلام بوسائل "سلبية"، هذا النهج "الإيجابي"، وهذا ما دعا حكومة الحزب الديمقراطي إلى التعاطف معهم والسماح لهم بحرية طبع رسائل النور بعد أن برأتها محكمة "أفيون" في عام ١٩٥٦، كما أنهم لم يحاولوا إخماد الحركة. وفي ضوء هذه الحقائق، استمر النورسي في تأييد الديمقراطيين وبخاصة رئيس الوزراء "مندِريس" خلال العشر سنوات التي قضوها في سدة الحكم، وواجه "مندريس" معارضة من كل صوب وحدب بما في ذلك بعض الجماعات الإسلامية،[٧٨] وحث النورسي طلابه أيضًا على تأييد الديمقراطيين. حقًا لقد كان على "مندريس" وحكومته مواجهة الكثير من أشكال المعارضة ممن يريدون الانتقام، وكذلك معارضة قسوة حزب الشعب الجمهوري الذي أقصي عن السلطة لا سيما رئيس الحزب "عصمت إينونو". كان ذلك في نهاية فترة حكم الديمقراطيين، حيث أتى هذا التأييد رغم أن النورسي وطلاب النور كانوا لا يزالون يخضعون لصنوف من الإيذاء على أيدي المسئولين الذين كان أغلبهم من مؤيدي حزب الشعب الجمهوري، حتى تم استدعاؤهم بالقانون، وكذلك رغم أن الديمقراطيين كانوا – وفقا لكلمات النورسي – "أهون الشرين"، وكان من بينهم أفراد ممن لا يعتبرون متعاطفين مع الدين، كان يرى أن "مندريس" قد قام بخدمات جليلة في سبيل دفع قضية الإسلام، وفعل الكثير لرفع ما وقع من ضرر على مدى ربع قرن من حكم حزب الشعب الجمهوري، ورغم الانقلاب الذي قام به الجيش والذي أطاح بـ

(٧٨) "Zürcher, *Turkey*, 244".

"مندريس" بعد وفاة النورسي بشهرين عام ١٩٦٠، وما تلى ذلك من انقلابات؛ فإن الحريات الدينية التي أعادها للشعب التركي لم تنزع منه في أعقاب ذلك، بل هيأت المستقبل لازدهار الإسلام، والذي لعبت فيه رسائل النور دورًا هامًا، وحقيقة فقد أخبر النورسي "غياث الدين عمرو"، نائب "موش" المستقل المنتخب في عام ١٩٥٤، والذي زار النورسي في مناسبات عديدة قائلاً: "إن عدنان مندريس بطل ديني، وقد أدى خدمات جليلة للدين وسيفعل المزيد ولكنه لن يرى ثمرات هذا كما تمناه، كما أنني أسديت خدمات للدين لا يمكنني إخفاؤها، ولكني مثله لن أرى ثمرات ذلك، فثمرات جهودنا ستظهر في المستقبل."[٧٩]

تأييد النورسي لمعاهدة بغداد

في ضوء هذا الموقف "الإيجابي" الذي اتخذه النورسي وحركة رسائل النور من الديمقراطيين، وفي ظل هذه الظروف العصيبة والعدوانية، كان هدفهم دائما هو توجيه الديمقراطيين بالنصح والإرشاد نحو مزيد من الإجراءات المؤيدة للإسلام والدين، ولذا تجدر مطالعة رسالة النورسي بشأن معاهدة بغداد. لقد أدت هذه المنهجية في خدمة القضية إلى تمكين الحركة من البروز كقوة كبيرة في الدولة،[٨٠] رغم أن طلاب النور أنفسهم لم يشتركوا في السياسة، ويظهر من تأييد النورسي للمعاهدة مناصرته لتركيا وبعض الدول الإسلامية التي انضمت للتحالف الغربي في وجه الخطر الشيوعي.

وقعت معاهدة بغداد أولا في فبراير ١٩٥٥ بين تركيا والعراق ثم انضمت إليها باكستان وإيران وبريطانيا،[٨١] وقد كتب النورسي فيما يتعلق بهذه الاتفاقية برقية تهنئة[٨٢] لرئيس الوزراء "عدنان مندريس" ورئيس الجمهورية "جلال

---

(٧٩) غياث أمير في Şahiner, *Son Şahitler*, 3:276.

(٨٠) Toprak, B. *"The Religious Right* 638

(٨١) Hale, W. *Turkish Foreign Policy, 126*

(٨٢) Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:609-614*

بايار"، مباركًا التحرك كخطوة أولى ضرورية لضمان السلام في المنطقة، وباعتباره شخصا قد درس مشاكل المنطقة لما يقرب من خمس وخمسين سنة فقد أشار إلى الحلين اللذين توصل لهما.

أيد النورسي اتفاق تركيا مع العراق والدول الإسلامية الأخرى المشتركة في معاهدة بغداد، ويعود هذا في الأساس إلى أن ذلك سيعيد تحالف تركيا مع العالم الإسلامي، كما أنه خطوة لإعادة العلاقات مع العالم العربي والتي كانت غير موجودة واقعيًا منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، هذا بالرغم من أن العراق كان هو البلد العربي الوحيد المشترك في المعاهدة، وكان يُنظر إليه كخائن للقضية العربية، كما قوبلت عروض "مندريس" على سوريا ولبنان والأردن للانضمام بالرفض.(٨٣) جدير بالذكر أن الحركة الداعية للقومية العربية كانت تحظى بزخم قوي في هذه الوقت، ورغم هذه التطورات فقد أكد النورسي أن الوحدة الإسلامية غير السياسية ستكون مصدر قوة لتركيا، وخاصة في وجه الشيوعية والكفر، وقد حث النورسي رئيس الوزراء "مندريس" والديمقراطيين في عدد من رسائله للعمل في هذا السبيل والاستفادة منها.(٨٤)

أوضح النورسي في رسالته عن المعاهدة أن الخطر الأعظم على المنطقة يكمن في "العنصرية"، فلقد أضرت بالشعوب الإسلامية قديمًا، وفي عصرنا هذا ظهرت بوادر باستغلالها من قبل "الملحدين المستخفين" بهدف تدمير الأخوة الإسلامية ومنع الأمم الإسلامية من الاتحاد، فقد كان يشعر أن القومية الحقة والجنسية الصحيحة التي ينتمي إليها الترك والعرب هي الإسلام، فلقد اصطبغت عربيتهم أو قوميتهم العربية والقومية التركية بالإسلام، وسوف يدفع التحالف الجديد خطر العنصرية، كما ستجني من ورائه الأمة التركية "أخوة أربعمائة مليون مسلم"، "وصداقة ثمانمائة مليونًا من النصارى." وهذا يعني أن النورسي رأى في ذلك خطوة مهمة للسلام العام والمصالحة، وهما أمران يحتاج إليهما الجميع.

---

(٨٣) انظر: Hale, W. *Turkish Foreign Policy, 128*

(٨٤) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:387—389,423-424*

كان الحلان اللذان توصل إليهما النورسي بعد ما علمه عن الأخطار الصريحة التي تهدد القرآن والإسلام والعالم الإسلامي على مدى ما يقرب من ستين عامًا مضت هما رسائل النور والجامعة الشرقية "مدرسة الزهراء" فكلاهما يمثل أداة فاعلة في تأسيس الوحدة الإسلامية، فتعمل رسائل النور على دعم "أخوة العقيدة" كما هي في العالم الإسلامي وغيره، وقد دحضت الفلسفة الإلحادية ووسائل الفساد الأخرى، ولذا هاب النورسي بالرئيس ورئيس الوزراء عمل ما استطاعوه من الوسائل حتى يجعلوا من رسائل النور "هذا البيان للإعجاز القرآني" أكثر شهرةً في العالم الإسلامي.

أما مدرسة الزهراء فقد كان في نية النورسي أن تقوم بلعب دور مركزي وتوحيدي في آسيا كالذي يلعبه الأزهر في أفريقيا، بالإضافة لمحاربة العنصرية والقومية بالعمل كمركز تعليم يجذب إليه الطلاب من الجزيرة العربية و"الهند" و"إيران" و"القوقاز" و"تركستان" و"كردستان"، وبالتالي ستسهم في نمو روح "القومية الإسلامية"، "كما ستقوم هذه الجامعة الإسلامية الكبيرة بالتوفيق بين علوم الفلسفة وعلوم الدين، وتعقد مصالحة بين الحضارة الأوربية وحقائق الإسلام.

لا ريب أن السبب الرئيسي لذكر النورسي لمدرسة الزهراء هو تصريح الرئيس الجديد "جلال بايار" في خطاب له ألقاه في مدينة "وان" في أغسطس ١٩٥١ أن الحكومة الديمقراطية تخطط لبناء جامعة هناك في شرق تركيا، رحب النورسي بهذا التصريح معتبرًا أنه يعادل مدرسة الزهراء، وكتب إلى طلابه رسالة بعنوان "أخبار سارة مهمة لطلاب النور"[٨٥] ليخبرهم فيها بهذا، وقد أثنى النورسي على تحرك الرئيس مرة ثانية في الرسالة الحالية، باعتباره تحركًا مفيدا لتركيًا أجمعها ولشرق الدولة، واعتبر ذلك حجر الأساس لنشر السلام العام في الشرق الأوسط، وأكد النورسي على ضرورة اتخاذ علوم الدين أساسًا لهذه الجامعة حتى تستطيع أداء دورها الحيوي، حيث إن الدمار قد أحدثته قوى

---

(٨٥) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:400-401* ، كانت الرسالة بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٥٢؛ انظر : Badılli, *Nursi, 3/1895*

خارجية، ولم يكن دمارًا ماديًا بل "أخلاقيًا ومعنويًا" ومن ثم فيجب أن يكون السلاح الذي يصد هذا الدمار ويرده على عقبيه سلاحًا أخلاقيًا ومعنويًا، وحيث كان النورسي متخصصًا في هذه القضايا لما يقرب من خمس وخمسين سنة متواصلة، فقد كان له الحق أن يتحدث في هذا الشأن.

جدير بالذكر أنه رغم إنجاز الحكومة للمشروع وافتتاح الجامعة الشرقية في نوفمبر ١٩٥٨، فلقد أنشئت في "أرضروم" وليس في "وان"، وسميت بجامعة "أتاتورك"، فقد شن حزب الشعب الجمهوري مع بعض الصحف منها صحيفتا "ظفر" و"يني ألوس" حملة ضد الحكومة، محتجة بأن الحكومة "تنشئ مدرسة سعيد النورسي".[٨٦]

أما فيما يتعلق بمعاهدة بغداد، فيذكر أن طلاب النورسي الذين كانوا معه وقت حدوث الثورة في العراق في الرابع عشر من يوليو ١٩٥٨ قد نقلوا حزنه الشديد جراء الأحداث الجارية هناك، ولم يكن حزنه راجعًا لأعمال القتل الوحشية فحسب ولكن لأن الثورة "قد أتت على التطورات المبشرة" للمعاهدة والتحرك نحو الوحدة والتعاون بين العالم الإسلامي.[٨٧]

وإذا كان من الممكن إرجاع مسارعة النورسي لتأييد المعاهدة للأهمية التي علقها النورسي على استمرار دعم "مندريس" – الذي "أزعجه بشدة" هذه الصفعة الموجهة للمعاهدة[٨٨] – في المقام الأول؛ فإن هذا البيان الأخير بل المفاجئ يوضح مدى الخطورة التي رآها في تصاعد "الإلحاد العدواني"، فقد كان معيار التحالف السياسي هو الالتزام بالدين ومبادئه.[٨٩]

قضايا أخرى حدث النورسي الديمقراطيين بشأنها

كان أحد الأسباب التي دعت النورسي لكتابة هذه الرسالة والرسائل الأخرى لـ "مندريس" والديمقراطيين هو إشارته لبعض "القوانين الأساسية" في

---

(٨٦) Badılli, *Nursi,3/1891-1896,1965-1966*

(٨٧) مصطفي صونغور في *Nur-The Light,* Vo1. V; No. 57 Sept. 1990,2-4.

(٨٨) Hale, W. *Turkish Foreign Policy, 129*

(٨٩) انظر مقالتي: " "An Outline of Bediuzzaman Said Nursi's Views on Christianity and the West." in *Globalization, Ethics, and Islam* " Markham ve Özdemir, *Globalization, Ethics, and Islam*

القرآن كما كان يطلق عليها، والتي رأى أنها وسيلة فعالة لقيام العدالة الاجتماعية والسلام الاجتماعي، ولم يكن بهذا يدعو للتنفيذ الكلي للقرآن والشريعة، بل كان يقترح أخذ هذه المبادئ كخطوط إرشادية وقواعد أخلاقية أساسية في رسم القوانين والسياسات الجديدة، وتنفيذ الموجود منها بالفعل، واحتج بأنه نظرًا لمصدر هذه الإرشادات والقواعد وهو الوحي الإلهي، فمن الممكن من خلال هذه المبادئ القضاء على الانفصام الاجتماعي والكراهية والإجرام، كما يمكنها تحقيق المصالحة والسلام والتقدم على الوجه الصحيح، ويمكن إعمال هذا على المستوى الدولي سواء بين الشعوب الإسلامية أو بين أتباع الديانات الأخرى كما يتضح في الرسالة السابقة؛ حيث استشهد النورسي في معرض ذكره لهذه المكاسب بين العالم الإسلامي بأحد المبادئ الرئيسية الواردة في القرآن، والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات: ١٠). إن أمثال هذه المبادئ تقدم منهجا بناءً وإيجابيًا لمعالجة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجه حكومة الديمقراطيين، مع أن "القانون الأساسي" الذي دائمًا ما قدمه كان هو الآية القرآنية: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، (الإسراء: ١٥) ومواطن أخرى، والتي فسرها بأنه: "لا يُسأل أحد عن أخطاء غيره ونقائصه."[٩٠] دائمًا ما كان النورسي يدفع بهذا المبدأ في سياقات مختلفة على أنه الحل للأدواء المتعددة في المجتمع، والناشئة عن اتباع المبادئ الغربية.

كتب النورسي في إحدى رسائله أن ما دعاه إلى هجر السياسة برمتها لما يقرب من أربعين عامًا هو أنه خلافًا للمبدأ الأساسي التي تعلنه الآية السابقة، فإن أحد أهم أسس "السياسة البشرية" هو التضحية بالأفراد لصالح الأمة والمجتمع، أي السياسة والدبلوماسية اللذان يقومان على مبادئ مستقاة من بعض الفلسفات، وليست من دين سماوي منزَّل، فكل شيء يمكن التضحية به لأجل الدولة، وقد نشب من سوء استعمال هذا القانون البشري الأساس للحربين العالميتين خلال هذا القرن، فأبادتا نهائيًا ما توصلت إليه البشرية من

(٩٠) انظر: النورسي، ملحق اميرداغ ٢ ص ٣٧٧

رقي منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئًا بجريرة عشرة من الجناة. وتضع الآية قاعدة جليلة وهي أنه لا يؤاخذ أحد بجريرة شخص آخر، ثم إن البريء لا يُضحّى به - حتى من أجل جميع الناس - دون رضاه، هذه القاعدة الجليلة هي التي ترسي العدالة الحقة في البشرية.(٩١)

أما المعرض الرئيس الذي نصح فيه النورسي باتباع هذا القانون الأساسي ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فكان فيما يتعلق بالتحزب البالغ بين أتباع الأحزاب السياسية المختلفة، والتي كانت حينئذ قد "تأصلت" في الحياة التركية. لقد وصف العواقب الاجتماعية الوخيمة لهذا التحزب الذي يدمر الحب والأخوة، وأسس الوحدة والتجمع، علاوة على أن الثلاثة أو الأربعة أحزاب المتعارضة تفقد قوتها من خلال التصادم مع بعضها البعض، ولذا فإن القوة المتبقية تظل غير كافية لضمان خير البلاد وحفظ النظام والأمن داخليًا، وهذا التحزب قد يسمح لنشر بذور الثورة في هذه البلاد، كما يمهد الضعف الناشئ للتدخل الأجنبي، أما المبدأ القرآني: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا يؤاخذ أحد بجريرة شخص آخر، حتى ولو كان المذنب أخاه أو قبيلته أو جماعته أو حزبه، حتى إنه لو ساعد المجرم مساعدة معنوية لسئل عنها يوم القيامة، وليس في دنيانا هذه، أي أن مبدأ القرآن هو التحذير من التحزب المفرط، ويجب أخذ ذلك المبدأ كأساس للسلوك مع المبادئ الأساسية الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

كما تناول النورسي هذه القضية بالإشارة للاتهام بالارتقاء (وهو اتخاذ الدين أداة للسياسة)، والذي اتخذ ذريعة مفضلة لمهاجمة الدين منذ حادثة الحادي والثلاثين من مارس على يد "أولئك الذين يتخذون من السياسة أداة للدين". لقد تم استغلال هذا بشكل مستمر من قبل حزب الشعب الجمهوري و"إينونو" على وجه الخصوص ضد مندريس والديمقراطيين عبر السنوات العشر التي أمسكوا فيها بالسلطة، جدير بنا أن نتذكر صيحة الاحتجاج التي

---

(٩١) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:474-475*

أثارها حزب الشعب الجمهوري ضد النورسي وطلابه عام ١٩٣٤ قبل محاكمات اسكي شهر، وكانت الصحف هي أداتهم المعتادة لهذه الحملات، واتخذ شبح الرجعية السياسية الموهوم ذريعة لإعدام "مندريس" بشكل مخزٍ دون مبرر في عام ١٩٦١، وأشار النورسي فيما يتعلق بالقضية المطروحة أن الحقيقة قد قلبت رأسًا على عقب؛ حيث إن هؤلاء الذين يهاجمون الدين باسم الحضارة ملفقين الاتهامات بالرجعية السياسية، هم في الواقع رجعيون، وسبب ذلك أن المبدأ "البشري" الذي يسمح بالتضحية بالأفراد لصالح المجتمع يسمح كذلك بالأخطاء الصغيرة عندما يكون من شأنها جلب نفع للدولة، بل يسمح بإبادة قرىً بأجمعها بجريرة مذنب واحد؛ ففي الحرب العالمية الأولى قُتل ثلاثون مليونًا من البائسين بجريرة الأخطاء السياسية الإجرامية لثلاثة آلاف، وهؤلاء الذين يساندون مبدأ وحشيًا فيدمرون سعادة البشرية ويهددون أمنها وسلامها يعودون إلى وحشية العصور الأولى، ثم يتقنع هؤلاء بقناع الوطنية، ويتهمون أهل الإسلام والغيارى على الدين الذين يعملون لضمان الوحدة والإخوة من خلال مبادئ القرآن، كالتي أشرنا إليها سابقا، والتي تعد وسائل للعدالة والتقدم الحقيقي بالرجعية.(٩٢)

هناك "مبدأ إسلامي أساسي" آخر استقاه النورسي من الحديث ونصح رئيس الوزراء "مندريس" والديمقراطيين باتباعه، وهو "خادم القوم سيدهم"،(٩٣) وكتب النورسي في ذلك الحين أنه جراء وهن العمل بالإسلام ونظرًا لضعف العبادة، فقد استشرت الأنانية وكثر المستبدون، ويمكن القول إنه في ظل النظام السابق، الذي عمل على استبدال الإسلام بالحضارة الأوربية، كرشوة مقابل شغل أتباعه مناصب الحكومة والإدارة قد توقف عن كونه خدمة للدين، وأصبح أداة للتسلط والاستبداد، فلقد وطئت حقوق الجميع وحطمت العدالة برمتها.(٩٤) لقد حذر النورسي رئيس الوزراء "مندريس" في مطلع ١٩٥٢ أن هؤلاء المسئولين المزدرين، والذين ظل كثير منهم في مناصبهم بعد ١٩٥٠،

---

(٩٢) انظر المرجع السابق، ص ٣٧٤.
(٩٣) انظر: العجلوني، كشف الخفاء، ٢: ٤٦٣.
(٩٤) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:545-546,558*

ولكن الديمقراطيين أجبروهم على خدمة الأمة بدلا من اضطهادها واستغلالها، قد شكلوا تيار معارضة متأهب لمهاجمة الديمقراطيين، وكان التيار المعارض الآخر هو القوميون العنصريون،[٩٥] والحقيقة أن كلاً من التيارين قد لعب دورًا هاما في الإطاحة بالديمقراطيين.

هناك مبادئ أخرى قد تبدو بسيطة إلا أنها في الحقيقة مبادئ "أساسية"، تأخذ بعين الاعتبار تأسيس العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وقد مر ذكر بعض هذه المبادئ عند تناول رسالة النورسي التي كتبها في استانبول عام ١٩٥٣.

مزيد من الانتصارات ويستمر الصراع

احتد الصراع بين هذه القوى المتعددة وأضحى أشد ضراوة وعنفًا، فقد تصاعدت معارضة "إينونو" وحزب الشعب الجمهوري لـ "مندريس" مع تزايد مدة بقاء الحزب الديمقراطي في سدة الحكم، فلقد ألقي عليه بتَبِعة الركود الاقتصادي الذي حدث في أعقاب الازدهار الذي حدث في مطلع الخمسينات، كما اتهموا "مندريس" باستغلال المشاعر الدينية لكسب تأييد الجماهير، وأصبح الدين سببًا لنزاع مقيت له أبعاده الخطيرة،[٩٦] وكان اتهام "مندريس" بخيانة مبدأ العلمانية اتهامًا خاطئا برمته، فقد أبطل القانون الذي يحظر رفع أذان الصلاة بالعربية، كما منح حقوقًا أخرى للشعب في قضية الدين، إلا أنه لم ير في هذه الإجراءات الشعبية ولا في اعترافه بالحركات الدينية غير السياسية كحركة النور، وقبوله تأييدها أي تناقض أو تهديد لمبدأ العلمانية،[٩٧] ومع ذلك فعند رأى أنصار النظام السابق ما حققته رسائل النور من انتشار ونجاحات، وكانوا لا يزالون يحتفظون بمراكز قوية في الشرطة والقضاء والهيكل الإداري، فقد استغلوا هذه المواقع لتصعيد ضغوطهم على طلاب النور، فجرت محاكمات أخرى وشنوا حملة تشهير ضد النورسي وطلابه في الصحف كما وضعوا النورسي تحت المراقبة الصارمة.

---

(٩٥) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:558*

(٩٦) Toprak, B. "The Religious Right," Hourani634.

(٩٧) "Zürcher, *Turkey,* 243-44".

وفي أعقاب الانتخابات العامة التي جرت في أكتوبر ١٩٥٧، والتي فاز فيها الديمقراطيون بأغلبية أقل من الانتخابات السابقة، صعدت المعارضة من حملاتها ضد الحكومة، وبحلول عام ١٩٥٩ تدهور الوضع إلى درجة التحريض العلني على إحداث الاضطرابات في أنحاء البلاد،[٩٨] وحتى يمنع النورسي حزب الشعب الجمهوري من العودة للسلطة في وجه المصاعب التي كان يجابهها الديمقراطيون، أعطى صوته للديمقراطيين علنًا في الانتخابات[٩٩] كما حث كافة طلاب النور أن يحذوا حذوه، ونتيجة لذلك فقد اعتبر حزب الشعب الجمهوري، والذي كان يتوقع أن يفوز بالانتخابات، النورسي مسئولا عن هزيمته،[١٠٠] بل تناقلت الأخبار أن "إينونو" قد صرح بأن طلاب النور هم الذين هزموه، وكان هذا عاملاً إضافيًا لتصعيد أنصار حزب الشعب الجمهوري من جهودهم للضغط على طلاب النور والإيقاع بهم.

في الوقت نفسه، أدت حرية نشر رسائل النور، والحريات الأخرى التي منحتها الحكومة الديمقراطية إلى انتشار حركة النور وتعاظم قوتها؛ فقد افتتحت معاهد تدريس رسائل النور في كل أنحاء البلاد، وكان من المعتاد كلما افتتح معهد جديد أن يحضروا مفتاحه إلى النورسي حتى يباركه بدعواته لهم بالتوفيق، كما انتشرت حركة النور في شرق تركيا بشكل سريع من خلال الجهود الطويلة لطلاب النور؛ أمثال "خلوصي بك"، و"جايجي أمين"، حتى إننا لنعلم من إحدى الرسائل أنه كان هناك ما يقرب من مائتي معهد لتدريس رسائل النور في منطقة "ديار بكر" وشرق البلاد، كان بينها أربعة أو خمسة معاهد مخصصة للنساء في "ديار بكر" نفسها،[١٠١] وكان يحضر درس قراءة رسائل النور الكثير من الناس حتى إنهم ليبلغون الألف في بعض الأحيان، وازدهرت رسائل النور، وما يتصل بها من أنشطة في "أنقرة" و"استانبول" و"أسكي شهر" والمراكز الرئيسية في الأناضول.

---

(٩٨) انظر: "Akşin ed., *Türkiye Tarihi,* 4: 186".

(٩٩) انظر: "Şahiner, *Bilinmeyen* 426-427".

(١٠٠) انظر: على طيار في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:208-209.

(١٠١) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:619*

كان من أثر زيادة هذه النجاحات تصعيد الضغط والمضايقات، فقد أخبر النورسي "خلوصي بك" إبان زيارته له في "أميرداغ" عام ١٩٥٧ أنه في مواجهة ما يتربص به من مخاطر، فإن عليه الآن اتخاذ المزيد من الاحتياطيات، حيث جرت محاولة أخرى للتخلص منه؛ إذ قام شخص مجهول بالتسلل إلى بيته عبر السطوح وألقى بسم في جرة الماء التي يشرب منها،[١٠٢] وفي أبريل ١٩٥٨ دبر أنصار حزب الشعب الجمهوري في "نازلي" في الأناضول الغربية مكيدة ضد مواطنيهم من طلاب النور، وتم اعتقال اثنين منهم، وعلى نفس المنوال بدأت الصحف افتعال ضجة ناعتين طلاب النور بأنهم "أعداء الإصلاحات"،[١٠٣] وفي معرض الرد على هذا، نشر طلاب النور في أنقرة رسالة لدحض أكاذيبهم وأباطيلهم، فتم اعتقال أحد عشر طالبًا منهم واحتجازهم في سجن "أنقرة". كانت هذه هي القضية الأولى التي ترافع فيها المحامي " بكر برق" عن طلاب النور، الذين تم الإفراج عنهم جميعا[١٠٤]، واشتهر بكر برق بأنه "محامي المسلمين" فعينه النورسي وكيلاً عنه، كذلك نشط طلاب النور في "قونيا"، فكانت الاعتقالات والمحاكمات،[١٠٥] وجرى الأمر على هذا المنوال في مناطق أخرى كثيرة، واستمرت الحملة الصحفية ضد النورسي وحركة النور في أنحاء البلاد دون هوادة تنشر الأباطيل المحضة والأكاذيب الملفقة، ولم يدع النورسي وطلابه هذه الهجمات تمر دون نشر ردود عليها. تضمن الجزء الثاني من ملحق أميرداغ عددًا من هذه الردود،[١٠٦] واستمرت التغطية الصحفية لكافة تحركات النورسي وأنشطته حتى وقت وفاته، وخاصة في ديسمبر ١٩٥٩ ويناير ١٩٦٠ عندما قام النورسي بعدد من الرحلات لـ "قونيا" و"أنقرة" و"استانبول". كانت معظم الاتهامات الموجهة لطلاب النور تتم بموجب المادة ١٦٣، والتي تنص على انتهاك مبادئ العلمانية واستغلال الدين لأغراض سياسية، وما زال

---

(١٠٢) انظر "خلوصي يحيى كيل في Şahiner, *Son Şahitler* 1:327؛ وانظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:376*

(١٠٣) مصطفى جاهد في "Şahiner, *Son Şahitler,* 4:468".

(١٠٤) م. أمين برنجي في Şahiner, *Son Şahitler* 4:395-399؛ انظر أيضًا: مصطفى جاهد في *Son Şahitler,* 4:468-470.

(١٠٥) انظر: على طيار في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:209-210.

(١٠٦) انظر: Nursi, *Emirdag Lahikasi, 2:570-572,579-581,581-584,618*

أنصار حزب الشعب الجمهوري والصحافة وأعداء النورسي يصرون على اتهامه بالسعي لإدراك أغراض سياسية، ويمكن القول إنه برغم تبرئة المحاكم للنورسي وطلابه من مثل هذه التهم في مرات عديدة، لم يجد أعداؤهم طوال هذا الصراع الطويل والمرير سلاحًا غير هذا ليهاجموهم به.

الفصل السابع عشر

الشهور الأخيرة

الإخلاص وحالة النورسي الصحية والمعنوية

لا نكاد نقترب من النورسي في أخريات حياته؛ حتى يتبين لنا من وصف حالته الصحية والمعنوية أثناء سنواته الأخيرة أن ما وجه إليه من اتهامات لم يكن له أساس من الصحة، وكان بعيدا كل البعد عن الحقيقة؛ نعلم ذلك مما ذكره هو نفسه أو مما ذكره الطلاب الذين كانوا يلازمونه دائما، وكما ذُكر في مواطن أخرى، فقد كان الأساس الذي قامت عليه رسائل النور هو الإخلاص الذي يعد سر نجاح هذه الرسائل كما رأى النورسي، والإخلاص يعني ألا تبتغي بعملك في خدمة القرآن والإيمان شيئا سوى مرضاة الله، وألا تجعل هذه الخدمة أداة لشيء، وحفظ الإخلاص يتنافى مع المشاركة في السياسة أو تتبع المصالح الشخصية.

لقد جسد النورسي الإخلاصَ في جميع مظاهره وأرقى درجاته، وكما جنح النورسي طوال حياته إلى العزلة، وخاصة خلال الثلاثين عاما الأخيرة أو نحوها من حياته، فقد تجنب ما لا تدعو الحاجة إليه من العلاقات والأحاديث الاجتماعية؛ لذلك كان من شأنه أن لا يقبل هدايا إلا ويرد مثلها أو زكاة أو صدقة؛ ودائما ما حقق لنفسه اكتفاء ذاتيا، وتشير الرسائل والأخبار التي تصف حالة النورسي في هذه الفترة كيف أنه ألمّ به مرضان، وقد تخطى الثمانين من عمره، وأضحى في حاجة لمساعدة الآخرين، مما أعانه على حفظ إخلاصه التام.

كان أحد هذين المرضين عدم قدرته على التحدث في غالب أوقاته؛ فما إن يتحدث لدقيقتين أو ثلاث حتى يشعر بعطش بالغ، وقد كتب في رسالة أنه حينما كان الأعداء يصيرون أصدقاء بمنع ما لا داعي له من الأحاديث، كان ذلك يساعد على حفظ أعلى درجات الإخلاص.[١] أما المرض الثاني فكانت الهدايا، سواء أكانت مادية أم معنوية، والتي كانت تؤلمه مهما قل شأنها، ولو قبضة من طعام ما دام لا يرد مثلها، وإن كانت من أقرب طلابه إليه.[٢]

لقد رأى النورسي أن الزيارات التي قام بها الآلاف بهدف رؤيته والحديث إليه تمثل "هدايا معنوية" لا يستطيع ردها، وفي الوقت الذي كانت رسائل النور آخذة في الانتشار بسرعة هائلة، وقد وجدت لها الكثير من القراء الجدد، كانت حالة النورسي المعنوية منخفضة كما لو كان مريضا، وقد جعلته هذه الحالة يشعر بعدم ارتياح إزاء ما يلاقيه من احترام وتوقير بالغين، يتكرران بتكرر ملاقاته زواره ومصافحته لهم وحديثه معهم؛ لذلك حافظ على الحد الأقصى من الإخلاص.[٣]

ولذلك لم يكن النورسي ليستقبل سوى القليل ممن يأتون إليه من كافة أنحاء تركيا وغيرها لزيارته، وقد نشر رسائل لتوضيح أنه جراء ما ألم به من أمراض، كان يرغب في مقابلة من يهتمون بنشر رسائل النور فحسب، وعلى أية حال، فلم يكن ليتحدث حول أي أمر آخر حتى مع طلابه الملازمين له ممن يقومون على خدمته،[٤] وقد كتب هؤلاء الطلاب رسالة إلى الزوار الذين جاءوا ولم يقابلوه، يصفون فيها حالته المعنوية بقولهم:

"لقد أدركنا أنه في كثير من المرات تؤدي مصافحة الأستاذ أو تقبيل يده إلى مضايقته كما لو وجهت له صفعة؛ كما أنه يشعر بالضيق عند تركيز النظر عليه أو ملاحظته، حتى إننا لا ننظر إليه رغم قيامنا على خدمته إلا عند الضرورة، وقد أدركنا حكمة ذلك ومغزاه كما يلي:

حيث إن الإخلاص الحقيقي هو الطريق الرئيسي لرسائل النور؛ فإن ما يحدث

---

(١) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص ٢٤٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٣١٣،٣٠٨،٢٧٥.
(٣) المرجع السابق،ص ٣٣٠
(٤) المرجع السابق،ص٢٤٣،٣٣٠،٢٩٣.

الآن من كلام كثير مع الناس، وما يجري من توقير مفرط يؤثر سلبيا عليه بصورة بالغة، ففي عصر الغرور هذا تعد هذه الأشياء أمارات على الرياء، والنفاق، وعبودية الذات؛ فقال: إن من يرغبون في لقائه لو كانوا يفعلون ذلك من أجل رسائل النور والآخرة، فإن الرسائل لم تترك حاجة لأحد لم تلبها، فكل رسالة من ملايين نسخها أكثر نفعا من عشرة من أمثال سعيد، أما إن كانوا يريدون لقاءه لأجل هذه الدنيا أو لشأن من شئونها، فإنه قد هجر الدنيا برمتها، ويشعر بضيق كبير تجاه كل ما يتعلق بهذه الدنيا، لتفاهتها ومضيعتها للوقت، أما إن كان اللقاء بهدف خدمة رسائل النور ونشرها، فليقابلوا طلابه المخلصين ممن يقوموا على خدمته وأبناءه وإخوانه الروحيين بدلا منه، فلم تعد له من حاجة على حد قوله".[٥]

وفي رسالة له، فسر النورسي نفسه سِنين منفاه وسجنه الثلاثين أو نحوها بأنها تحذيرات إلهية متكررة لكي يحفظ إخلاصه المطلق، ولا يجعل من خدمة الدين أداة لجلب منافع شخصية، وقد حال الظلم الذي وقع عليه نتيجة اتهامه ظلما وزورا "باستغلال الدين لتحقيق مكاسب سياسية" دون خضوعه للخطر الجسيم الذي يلم بخدمة الدين في عصر الأنانية هذا، لذلك فقد جعل من هذه الخدمة وسيلة لتحقيق التقدم والترقي الروحاني، للفوز بالجنة والنجاة من النار. أدرك النورسي أن شيئا ما قد منعه، ولم يعرف سببه إلا الآن، رغم أن هذا العمل لهذه الأشياء جائز بلا ريب في عصرنا الحاضر لمواجهة الشخصية الجماعية لأهل الضلال والكفر، فلا بد من تدريس حقائق القرآن والإيمان بشكل فعال ومقنع لدحض الكفر وتقويض بنيانه، وعندما لا يكون التعليم وسيلة لشيء، فإن الظامئين للإيمان سيعلمون أن الذي يتكلم إنما هو لسان الحق والحقيقة، وحينئذ تتبدد شكوك النفس وحبائل الشيطان.

كذلك كتب النورسي أن سر نجاح رسائل النور في إيقاف الكفر المطلق وهزيمته في تلك الظروف العصيبة بتركيا يكمن في هذه الحقيقة؛ حيث عفا عن كافة ما عاناه من آلام ومظالم، وتجاوز عمن اقترفوا ذلك في حقه؛ فلو لم يضح بكل شيء، لفقدت رسائل النور قوتها الهائلة حيث تم إنقاذ إيمان بعض الناس من خلال صفحة واحدة من صفحاتها.[٦]

---

(٥) *Nursi, Risale-i Nur Külliyatı, 2:1900*

(٦) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ-١ ص ٢٣٤ و ٢٥٩ .

لقد تشكلت الشخصية الجماعية لرسائل النور من خلال الإخلاص الذي وصفه النورسي بأنه نوع من التجديد أو التأصيل للدين، كما أن المجدد الذي يأتي على رأس كل قرن لخدمة الدين والإيمان على الوجه المطلوب، فينبغي أن يكون مجدد الدين في هذا العصر الذي يعج بهجمات تشنها المنظمات السرية وشخصيات الضلال الجماعية شخصية جماعية أيضا، وحيث إن هذه الشخصية الجماعية قد تكونت من رسائل النور التي تشكلت من خلال إخلاص وتضحية النورسي وطلابه، فقد وصف النورسي نفسه بالبذرة التي أنبت الله سبحانه وتعالى منها برحمته شجرة رسائل النور الزكية المثمرة:

" إن خدماتي وأحداث حياتي قد أصبحت في حكم بذرة، لكي تكون مبدأ لخدمة إيمانية جليلة، قد منحت العناية الإلهية منها في هذا الزمان شجرة مثمرة برسائل النور النابعة من القرآن الكريم.."[٧]

وصية النورسي ورغبته في قبر مجهول

كان "حفظ أرقى درجات الإخلاص" هو السبب الذي وقف خلف قوة رسائل النور ونجاحها، وهو نفسه الذي دعا النورسي في مواطن عديدة للوصية بأن يكون قبره مجهولا، لا يعلم مكانه إلا عدد قليل من طلابه المقربين، كما دون ذلك في وصيته.

هذا، وقد كتب النورسي وصيته في مناسبات عديدة؛ كانت أولاها في "أميرداغ"، قبل أن يتم إرساله إلى أفيون في يناير عام ١٩٤٨، مشيرا أنها سُنة النبي ﷺ، وحيث إن الأجل مجهول، فقد سمى النورسي لجنة من طلابه، راغبا أن تؤول إليهم آثاره الشخصية ومجلدات رسائل النور الرائعة،[٨] واشترط النورسي في وصاياه الأخيرة أمرين: أحدهما أن يكون قبره مجهولا، والثاني هو تخصيص حصة من إيرادات رسائل النور لطلابه الذين يعملون من أجلها، وليس لهم مصدر رزق آخر.

---

(٧) النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ ٢ ص ٣٦١ .
(٨) المرجع السابق، ص ٢٥٥.

كذلك أوصى النورسي من يرغب في زيارة قبره أن يفعل ذلك بروحه فقط، وأن يقرأ له الفاتحة من بعيد؛ حيث:

" إن الغفلة الناشئة من الأنانية وحب الذات في هذا العصر العصيب تدفع الناس إلى أن يولوا اهتمامهم إلى مقام الميت وشهرته الدنيوية في أثناء زيارتهم القبور مثلما عمل الفراعنة في الزمن الغابر على تحنيط موتاهم ونصب التماثيل لهم ونشر صورهم رغبة في توجيه الأنظار إليهم، فتوجهت الأنظار إلى المعنى الاسمي - أي لذات الشخص- دون المعنى الحرفي - أي لغيره -.. وهكذا فإن قسماً من أهل الدنيا في الوقت الحاضر يولون توجههم إلى شخص الميت نفسه والى مقامه ومنزلته الدنيوية بدلاً من الزيارة المشروعة لكسب رضاء الله ونيل الثواب الأخروي كما كانت في السابق. لذا أُوصي بعدم إعلام موضع قبري حفاظا على سر الإخلاص ولئلا أجرح الإخلاص الذي في رسائل النور. فأينما كان الشخص سواء في الشرق أو الغرب وأيا كان فإن ما يقرأه من "الفاتحة" تبلغ إلى تلك الروح."(٩)

وكما لم يرغب أن يزوره أحد في الدنيا، فلم يرغب أن يزور أحد قبره.

رغم ذلك فقد أوصى النورسي في مرات عديدة بالمكان الذي يرغب أن يدفن فيه، ففي إحدى رسائله مثلا، يقول بأنه يفضل أن يدفن في مقابر قرية "ساو" قرب "إسبارطة" من ناحية "بارلا"،(١٠) كما أوصى طلابه في إحدى وصاياه أن يدفنوه في "المقابر العليا" إذا مات في "أميرداغ"، وفي "المقابر الوسطى" إذا مات في إسبارطة،(١١) وقال أيضا بأنه يريد أن يموت في "أورفة" جنوب شرقي تركيا، حيث يرقد سيدنا إبراهيم حيث مات بالفعل، وقد أخبر النورسي "صالح أوزجان" بذلك، ورواه صالح كما يلي:

"في "أميرداغ" من عام ١٩٥٤، صعدتُ أنا و"مصطفى آجت" و"صادق" مع الأستاذ إلى التلال، ثم توقف الأستاذ عند شجرة وأخذ يفكر بعمق لمدة نصف الساعة، ثم دعانا إليه، وقال: "... لن يعرف أحد مكان قبري، حتى أنتم لن تعرفوه،

---

(٩) النورسي، ١٧٣/٢. سيرة ذاتية ص ٤٨٧.

(١٠) *Nursi, Risale-i Nur Külliyatı, 2:1748*

(١١) انظر كامل أجار في Şahiner, *Son Şahitler* 3:252

أريد أن أدفن في بلدتكم (أورفة)؛ لأنني أريد أن أكون قريبا من خليل الرحمن (إبراهيم)."(١٢)

هذا وقد أرسل النورسي عام ١٩٥٠ بعضا من أمتعته الشخصية إلى "أورفة" مع أحد طلابه، وقال بأنه سيكون هناك بنفسه، وضمت هذه الأمتعة جبة مولانا خالد البغدادي التي أعطيت له في قسطموني، فسلمها ذلك الطالب فيما بعد إلى "عبد الله يكين"،(١٣) أحد طلاب النورسي منذ مرحلة دراسته، والذي مكث في "أورفة" ما يقرب من ثمانية أعوام، ثم قام عبد الله بإنشاء معهد علمي أصبح بعد ذلك مركزا هاما لأنشطة رسائل النور، ولم يستطع النورسي أن يزوره حتى وفاته.

كتب النورسي ثلاث وصايا أخرى وجهها إلى طلابه المقربين، موصيا لهم بالسير على دربه في إعطاء نصيب لطلاب النور ممن كرسوا حياتهم لخدمة رسائل النور، وليس لهم مصدر رزق آخر، ومن المحتمل أن تكون هذه الوصايا قد كتبت عام ١٩٥٩، وكانت عادة سعيد القديم أن يزود طلابه بمتطلباتهم الضرورية، وقد وصف كيف تمكن من خلال "ما تيسر له من وفرة جراء ترشيد الإنفاق والقناعة" أن يفي باحتياجات عشرين أو ثلاثين وأحيانا ستين من طلابه دون أن يخرق مبدأه من الاكتفاء الذاتي، وقد أصبحت الآن عائدات رسائل النور تفي بذلك الغرض؛ فخُمس ما تدره من ربح مبيعاتها، يكفي لدفع الحصة المقررة لما يقرب من خمسين أو ستين طالبا، وكتب النورسي يقول بأنه يوضح رغبته تلك في وصيته؛ لأنه شخصيا لم يعد قادرا على القيام بالواجبات المتعلقة برسائل النور، وربما لم تعد هناك حاجة لقيامه بذلك، كما لو كنت غير قادر على تحمل أعباء الاستمرار في الحياة، نتيجة لما تعرضت له من محاولات سمّي في مرات كثيرة، وبسبب الشيخوخة والمرض، فلو لم يأتني الموت الذي أشتاق إليه، فأنا كالميت ظاهرا، "وحيث لم تعد لي حاجة فيما يتعلق برسائل النور، فقد أصبح الرحيل إلى عالم البرزخ مصدر متعة لي، فلا تحزنوا، ولكن هنئوني لأنني سأرحل من المشقة والصعاب إلى الرحمة."(١٤)

---

(١٢) انظر صالح أوزجان في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:240-241

(١٣) انظر وحدي غايبري في Şahiner, *Son Şahitler,* 3 :211

(١٤) انظر : Nursi,*Risale-i Nur Külliyatı,2:1909*

رحلات النورسي إلى أنقرة واستانبول وقونيا

في ديسمبر ويناير من عام ١٩٥٩ شرع النورسي في القيام بسلسلة من الرحلات إلى أنقرة وقونيا واستانبول، وفي ضوء ما سبق من وصف حالته الصحية والمعنوية يتضح من هذه الرحلات مدى مثابرته الباهرة وتضحيته المتفانية من أجل دفع قضية رسائل النور في غمار كافة ما يحيط به ويواجهه من مصاعب، وكان الهدف الأساسي لرحلاته هو زيارة طلابه ومعهدهم العلمي في وقت كان يشعر فيه بألم كبير عند لقائه بالناس، وعند تعظيمهم له، ليس هذا فحسب بل كانت حالته الصحية متدهورة، فكانت رحلاته عملا عظيما لا ينهض به إلا رجل كالنورسي في عزمه وإرادته.

كانت الدعوات تتوالى على النورسي في هذه الفترة بإلحاح من طلابه في جميع أنحاء تركيا لزيارتهم؛ فجاءت رحلاته استجابة لهذه الدعوات، وفي نفس الوقت كانت هذه الزيارات زيارات وداع. كانت أنقرة واستانبول تمثلان مراكز النشر الرئيسية لرسائل النور، بينما كانت قونيا مركزا مهما لأنشطة النورسي؛ حيث كان يعيش فيها أخوه عبد المجيد آنئذ، الذي لم يره إلا مرة واحدة على مدار أربعين عاما.

قام النورسي بزيارة استانبول مرة واحدة في هذين الشهرين، بينما زار قونيا ثلاث مرات، وأنقرة أربع مرات، وكان لرحلاته إلى أنقرة هدف هام آخر، فقد أراد أن يحذر رئيس الوزراء مندريس والديمقراطيين من المخاطر التي تحوم حولهم، ويقترح عليهم سبل تفاديها.

ظهرت بوادر الكارثة والثورة في تركيا؛ حيث تم الكشف عن محاولة انقلاب وإحباطها في ١٩٥٨،[١٥] وحيث لم يستطع مؤيدو النظام السابق الذي يمثلهم الآن "إينونو" وحزب الشعب الجمهوري، الصمود أمام الليبرالية والحريات الدينية والصحوة الإسلامية التي جاءت ثمرة للحكم الديمقراطي، فقد حاولوا استعادة الحكم بالقوة، حيث لم يستطيعوا تحقيق ذلك من خلال التصويت أو الوسائل الشرعية، وقد مر ذكر تحذير النورسي لـ "مندريس" في عام

(١٥) Akşin, *Türkiye Tarihi*, 4:184-85

١٩٥٢ من "هجمة محتملة" سيقوم بها تياران من المعارضة قد أضرت مصالحهم من سياسات النظام الديمقراطي، والآن وقد أصبح الخطر وشيكا، فقد كان حريصا على تحذيرهم من هذا الأمر؛ لأنه لا يتعلق بإنقاذ الديمقراطيين فحسب بل يتعلق بإنقاذ الدولة من عواقب الرجوع إلى حكم قوى معادية للإسلام وموالية للكفر، ومع ذلك فقد كان هذا سببا واحدا من أسباب الرحلات التي كان للنورسي الحق في القيام بها باعتباره مواطنا كما كان له الحق في تقديم نصائحه للسياسيين، ورغم ذلك فقد قام "إينونو" وحزب الشعب الجمهوري بتضييق الخناق عليهم كوسيلة من وسائل الضغط على الحكومة وإضعافها، كما قام "إينونو" بإصدار سلسلة من البيانات المثيرة، وحرضوا الصحافة على القيام بحملة شعواء على هذه الرحلات فأفضى ذلك إلى قيام الشرطة برد فعل مفرط واتخاذها إجراءات استثنائية ضد النورسي أينما ذهب.

كانت النصيحة الملحة التي وجهها النورسي إلى رئيس الوزراء "مندريس" والنواب الديمقراطيين الذين قاموا بزيارته في أنقرة هي إعادة فتح مسجد آيا صوفيا للصلاة،[١٦] وإصدار بيان رسمي يقرر أن رسائل النور ليست خاضعة لأي قيد،[١٧] وبمعنى آخر فقد رأى النورسي أن الطريق الوحيد أمام الديمقراطيين لإنقاذ أنفسهم، بعدما تردى موقفهم أمام "إينونو" وحزب الشعب الجمهوري، هو أن يقفوا ويطلقوا بيانات شجاعة تفصح عن المبادئ التي يؤمنون بها، والتي يعود نجاحهم وشعبيتهم السابقة لخدمتها، ورغم ذلك وأيّما كانت الأسباب، فلم يكن لدى "مندريس" الإرادة أو الشجاعة لكي يستجيب لهذه الاقتراحات الملحة التي قدمها النورسي.

وخلال أقل من ستة أشهر تمت الإطاحة بـ "مندريس" في الانقلاب الذي تنبأ به النورسي، ثم سقطت البلاد في أيدي العسكر، وأخيرا في أيدي حكامها

---

(١٦) تحولت آيا صوفيا إلى مسجد على يد السلطان محمد الفاتح عند فتحه استانبول عام ١٤٥٣، وظلت آيا صوفيا ما يقرب من خمسمائة عام رمزا للتفوق الإسلامي على المسيحية، وقد تحولت إلى متحف بقرار اتخذه مجلس الوزراء سرا في أكتوبر عام ١٩٣٤، وأغلقت أمام الصلاة، وبذريعة القيام بإصلاحات ظلت مغلقة أمام الصلاة منذ ذلك الحين، وقد فتحت للصلاة بشكل جزئي في عام ١٩٩١. انظر: *TDVİA*, S. V. "Ayasofya."

(١٧) انظر تحسين تولا في Şahiner, *Son Şahitler* 4:275-276

السابقين. أما النورسي، فلما لم يلق استجابة من مندريس لنصيحته، نزل على رغبة السلطات وأقام في "أميرداغ" ثم في "إسبارطة"، وكانت رحلته الأخيرة إلى "أورفة" في مارس بعد ذلك بشهرين تقريبا.

قام النورسي برحلاته أجمعها بالسيارة الشيفروليه التي اشتراها له طلابه؛ حيث كانت أولى رحلاته إلى أنقرة في الثاني من ديسمبر ١٩٥٩ بصحبة "زبير"، ومكث هناك ليلة واحدة قضاها في فندق "بيروت بالاس" ثم عاد إلى "أميرداغ" في اليوم التالي،[١٨] بعد ذلك اتجه إلى "إسبارطة" التي مكث بها أسبوعين قبل أن يعود إلى "أميرداغ"، وفي التاسع عشر من نفس الشهر ذهب إلى "قونيا" تلبية لدعوة أخيه عبد المجيد.

جدير بالذكر أن النورسي لم يستطع البقاء في مكان واحد نظرا للتقلبات الصحية المختلفة التي ألمت به؛ حيث كان يشعر بحاجة مستمرة لتغيير الهواء والمناظر.[١٩]

لقد رافق النورسي في هذه الزيارة بالإضافة إلى زبير، اثنين من أنشط طلابه في أنقرة هما "عاطف أورال" و"سعيد أوزدمير" الذي وصف هذه الزيارة بعد ذلك بالقول: عند ما توقفت سيارة النورسي في وسط قونيا، أحاط بها زحام شديد، ثم وصل عبد المجيد، وتحدث إلى أخيه الأكبر عبر نافذة السيارة، بعد ذلك وصلت قوات الشرطة إلى المكان، وبدأت في تفريق هذه الحشود بالقوة ثم أعرب النورسي عن رغبته في أداء الصلاة، وزيارة ضريح مولانا جلال الدين الرومي، وحيث كان المتحف مغلقا ذلك اليوم فقد قام مدير المتحف بفتح الضريح خصيصا للنورسي، ثم خلع النورسي حذائه ودخل الضريح ودعا ببعض الدعوات وعيناه تذرفان بالدموع، وكان الأهالي ورجال الشرطة يحيطون به حتى أثناء وجوده داخل الضريح، ثم عاد النورسي بعد ذلك إلى أميرداغ[٢٠] أو إلى إسبارطة على الراجح.

---

(١٨) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 431

(١٩) انظر: Nursi, *Risale-i Nur Külliyatı, 2:1903*

(٢٠) انظر سعيد أوزدمير في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:125; Şahiner, *Bilinmeyen* 431-433

في تلك الليلة اتجه النورسي مرة أخرى إلى قونيا، ووصلها في الرابعة فجرا، فكان بإمكانه زيارة منزل أخيه، وبعد أن تحدث لبعض الوقت مع أخيه الذي كان يعمل مدرسا في مدرسة الإمام والخطيب في قونيا، قاما بأداء صلاة الفجر جماعة ثم غادر النورسي إلى أميرداغ.

وغداة يوم الثلاثين من ديسمبر وصل النورسي ثانية إلى أنقرة؛ وأقام مرة أخرى بفندق "بيروت بالاس"، ولاقت زيارته حفاوة بالغة تجلت في العناوين المثيرة للصحف، فقد جاء في جريدة الجمهورية اليسارية "تصاعد نجم سعيد النورسي" بينما كان عنوان صحيفة الميليت عودة سعيد النورسي إلى أنقرة مرة أخرى..."، "زيارة النورسي التاريخية إلى أنقرة... خرج آلاف من أتباع النورسي إلى الشوارع للترحيب به، واضطرت الشرطة لتفريق الجموع..."

استقبل النورسي في مقر إقامته بالفندق زوارا من مختلف الفئات؛ سياسيين ومسئولين، كان بينهم ثلاثة نواب ديمقراطيين، كذلك استقبل طلاب النور وعامة الشعب، وردت الشرطة مرة أخرى بشكل مفرط؛ فحاصرت الفندق من الخارج كما امتلأ داخله بالحرس والجنود، وألقى النورسي في هذه الليلة درس وداع أكد فيه مرة أخرى لطلاب النور أن طريق رسائل النور هو "التحرك الإيجابي"، وحفظ الأمن والنظام العام.[٢١]

قبيل وصول النورسي إلى أنقرة، قام رجال الشرطة بمصادرة نسخ من كتاب "مجموعة ختم التصديق الغيبي" من المطبعة؛ حيث كان سعيد أوزدمير يقوم بطبعها، وفي هذا الصدد تلقى النورسي طلبا من "بكر برق" من استانبول للحصول على توقيع، وفي نفس الوقت كان يتلقى دعوات من طلابه هناك، لذلك شرع في رحلته إلى استانبول في اليوم التالي، الموافق الأول من يناير من عام ١٩٦٠.

علمت الصحف بالزيارة، ولحظة وصوله وطلابه إلى فندق "بيير لوتي" حيث كان مقررا أن يقيم، أحاط به وبطلابه حشد هائل مما جعل صعودهم على عتبات الفندق للدخول أمرا بالغ الصعوبة، واضطر النورسي أن يحتجب بمظلة

(٢١) انظر: Nursi, *Risale-i Nur Külliyatı, 2:1912*.

لتقيه من أضواء الكاميرات التي أحاطت به، ورغم تمركز الشرطة داخل الفندق واتخاذ الصحف مقرا رئيسيا لها هناك، فقد أظهر النورسي همة باهرة وألقى في هذه الليلة درسا طويلا على طلابه الذين تجمعوا في استانبول.[٢٢]

كان النورسي ينوي أن يمكث عدة أيام في استانبول، ولكن في الثاني من يناير قام أحد المحررين الصحفيين بتسلق الشرفة الخلفية لغرفته، والتقط له صورة وهو يصلي الظهر، وغضب النورسي كثيرا من ذلك، وقرر قطع هذه الزيارة والعودة إلى أنقرة، وفي تلك المرة مكث النورسي ثلاثة أيام فقط ليس في الفندق ولكن في منزل مؤجر في "باقجه لي اولر"، ومع ذلك لم تتركه الشرطة ينعم بالسلام.[٢٣]

استقبل النورسي مرة أخرى الزوار أثناء إقامته، وقد ذكر ثلاثة نواب ديمقراطيين وصف زياراتهم، رغم أنه ليس من الواضح على وجه الجزم في أيٍ من إقامات النورسي قد جرت هذه الزيارات. يقول "سعيد كوكر" نائب "بنغول" إنه زار النورسي ثلاث مرات، وأن النورسي أخبره هو وزملاءه النواب صراحة عن انقلاب ٢٧ مايو الذي توقع أن يحدث قريبا، كما أخبره النورسي أنه لا علاقة له بالأحزاب السياسية، وأنه "يحب مندريس فحسب"[٢٤] كما تحدث عن ذلك نواب آخرون مثل نائب "موش" "غياث الدين عمرو"،[٢٥] والدكتور" تحسين طولا" نائب إسبارطة السابق، والذي كان له دور كبير في نشر رسائل النور، وكان على اتصال دائم بالنورسي في أنقرة، فقد وصف قلق النورسي من الكارثة الوشيكة، كما نقل رسالة النورسي إلى الحكومة بخصوص آيا صوفيا ورسائل النور،[٢٦] وقد أكد النورسي نفسه في رسالة له أن "السبب الرئيسي" لزيارته لأنقرة هو حث "مندريس" والحكومة للعمل على تطهير "آيا صوفيا"

---

(٢٢) انظر محمد فرنجي في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:374-375

(٢٣) انظر سعيد أوزدمير في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:126

(٢٤) انظر سعيد كوكر في Şahiner, *Son Şahitler,* 4:491

(٢٥) انظر غياث الدين عمرو في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:273-274

(٢٦) انظر تحسين تولا في Şahiner, *Son Şahitler* 4:277-278

ليصبح مرة أخرى مكانا للصلاة،[٢٧] وربما يكون النورسي قد ألقى آخر دروسه على طلابه بأنقرة خلال هذه الزيارة.

غادر النورسي أنقرة ثانية متجها إلى قونيا في السادس من يناير، وفي الشهر نفسه أدلى بتصريح طويل لمراسل مجلة "تايم" الذي أراد أن يرافق النورسي في رحلته، ولكن النورسي رفض؛ حيث كانت رحلته إلى قونيا "رحلة شخصية"،[٢٨] ورغم هذا ومع قيام النورسي بزيارة منزل أخيه ثم زيارة ضريح مولانا جلال الدين الرومي مرة أخرى، إلا أنه قوبل بحضور كبير لرجال الشرطة كما كانت تتبعه سيارات الشرطة أينما ذهب، فلم يمكث غير ساعتين ثم عاد إلى أميرداغ.

وفي الحادي عشر من يناير، شرع النورسي في رحلة أخرى إلى أنقرة، ولكن الحكومة خضعت هذه المرة لضغوط المعارضة ومنعته من دخول المدينة؛ حيث أوقف رجال الشرطة سيارته خارج المدينة وأخبروه بقرار مجلس الوزراء الذي يوصيه بالإقامة في أميرداغ، وبما أن أميرداغ أصبحت مقر إقامة النورسي الجبرية، فقد استجاب النورسي للقرار الذي تم إذاعته عبر الأثير، وأذعن للأمر فور إيقاف السيارة عند كمين الشرطة، وعاد إلى "أميرداغ".[٢٩]

آخر أيام النورسي

ما أن عاد النورسي إلى أميرداغ حتى بدا أنه لم يعد يشغل باله بمأزق "مندريس" والحكومة؛ فقد بذل ما في وسعه ليحذرهم، والآن وبعد خطئهم لم يعد بمقدرته بذل المزيد، وقد نقل عنه تلميذه سعيد أوزدمير قوله في هذا

---

(٢٧) انظر: النورسي، الملاحق ملحق أميرداغ- ٢ ص٣٩٣.

(٢٨) انظر فهمي يلماز في Şahiner, *Son Şahitler* 1980 ed., 1 :245

(٢٩) للرجوع إلى أحد هذه التقارير، انظر: رأفت قاوقجي، في Şahiner, *Son Şahitler,* 3:382-383 ويحتوي على بعض قصاصات من الجرائد تصف إحداها واحدة من "المعارك الكلامية" التي جرت بين مندريس وإينونو بخصوص النورسي في الجمعية الوطنية الكبرى.

الصدد: "إن مندريس لم يفهمني، وسأرحل عما قريب وسيُطاح بهم ويرتدوا على أعقابهم".(٣٠)

لقد فقدت الحكومة مصداقيتها في مواجهة هجمات "إينونو" والأحداث المتلاحقة التي نشبت في البلاد، ومنذ ذلك الحين بدأت سيطرة حكومة "مندريس" على البلاد تتراجع، وقام قادة عسكريون كبار بزيارة "إينونو" في منزله، وكانت خططهم تحث على الانقلاب، ولم يتمكن "مندريس" من الصمود بعد وفاة النورسي سوى شهرين؛ وخضع النورسي لرقابة صارمة حتى وفاته.

مكث النورسي في "أميرداغ" ثمانية أيام تقريبا ثم انتقل بعد ذلك إلى "إسبارطة" في العشرين من يناير وفقا لما أخبر به الصحافة عن رغبته في ذلك، وأقام بمنزله الذي استأجره هناك حتى السابع عشر من مارس حيث عاد إلى "أميرداغ" لمدة يومين، ووافق أول يوم من رمضان في هذا العام ٢٦ فبراير، لذلك كان التاسع عشر من رمضان من عام ١٣٧٩ هو اليوم الذي اتجه فيه النورسي إلى "أميرداغ" بسيارته برفقة زبير و"مصطفى صونغور" و "حسني بيرم" الذي كان يقود له السيارة.

كانت حالته الصحية في تدهور كبير، وحتى الخامس عشر من رمضان كان باستطاعته أداء صلاة التراويح ثم لم يقدر على أدائها بعد ذلك، وحيث اعتلت صحة النورسي بشكل خطير فقد استدعى طلاب النورسي في اليوم التالي الطبيب "طاهر بارجين" الذي كان أحد طلاب النورسي لفترة طويلة، ووفقا لـ "بارجين" الذي لبى دعوتهم على وجه السرعة، فقد ارتفعت حرارة النورسي إلى ٣٨ درجة، وأصبحت حالته حرجة، فقد أصيب بالتهاب رئوي حاد، فأعطاه الطبيب حقنة بنسيلين، فغلبه النعاس ثم بعد برهة تبسم وفتح عينيه.

تحسنت حالته في الصباح، فأعلن عن رغبته في العودة إلى "إسبارطة"، وبعد أن اتخذت الاستعدادات للرحلة، وعلى غير عادته السابقة عندما كان يغادر من مكان لآخر، فقد ودع النورسي عائلة جلشقان وكافة طلابه بأميرداغ في أسى، ولم يخطر ببالهم على حد ما كتبه الطبيب أن النورسي قد أوشك

(٣٠) انظر سعيد أوزدمير في Şahiner, *Son Şahitler*, 4:126-127

على الموت، فلم يدركوا أنه كان يودعهم للمرة الأخيرة إلا بعد سماعهم الأخبار القادمة من "أورفة".[٣١]

عاد النورسي في ظهيرة التاسع عشر من مارس إلى "إسبارطة"؛ حيث كان في انتظاره طلابه "طاهري موطلو" و"بيرم يوكسل"، وقبل ذلك بساعة كانت قوات الشرطة تبحث عنه لمغادرته "أميرداغ"، وعن هذا يخبرنا تلميذه "بيرم يوكسل"[٣٢] الذي روى أنهم أخرجوا النورسي من المقعد الخلفي للسيارة بصعوبة بالغة ثم حملوه إلى المنزل، كانت درجة حرارته مرتفعة ولا يمكن أن يتركوه هكذا، فمكث معه في هذه الليلة "بيرم" و"زبير" وحوالي الساعة الثانية ليلا قال النورسي فجأة: "سنذهب!" وعندما سألوا إلى أين؟ أجاب: إلى أورفة... ديار بكر،" فظنوا أنه محموم، ولكن النورسي أصر على قوله "أورفة... سنذهب إلى أورفة"، ومع أن إطارات السيارة كانت في حاجة للإصلاح إلا أن النورسي أصر على السفر حتى لو استدعى الأمر استئجار سيارة أخرى، ولكن تم عمل الإصلاحات في النهاية، وتم إعداد المقعد الخلفي كسرير للنورسي، وفي تمام الساعة التاسعة كان الركب مستعدا للرحيل، في هذه الأثناء كان اثنان من رجال الشرطة يراقبون المنزل وكانت مهمة "طاهري موطلو" البقاء لحراسة المنزل، وألا يفتح الباب لرجال الشرطة، وودع النورسي قبل أن يرحل "فتنة هانم" صاحبة البيت التي لم تكن لتخبر رجال الشرطة عن مكانهم.

كان الجو ممطرا حيث هطلت الأمطار بغزارة حتى كان من الصعب رؤيتهم أثناء اجتيازهم مدينة "إغيردير" وقبل وصولهم إلى شرقي كاراجاش قاموا بتلطيخ لوحة أرقام السيارة بالوحل، وبعد مرورهم عبر المدينة تحسن النورسي قليلا، فخرج من السيارة، وجدد وضوءه من نبع على جانب الطريق ثم أدى الصلاة على صخرة مستوية ثم ساءت حالته مرة أخرى؛ حتى عجز عن الكلام، وتوقف الركب أثناء العودة إلى "قونيا"، واشتروا جبنا وزيتونا ليفطروا عليه من صيامهم؛ وكانوا يقرءون آية الكرسي منذ مغادرتهم "إسبارطة" لتقيهم من النوايا السيئة

---

(٣١) انظر طاهر بارجين في Şahiner, *Son Şahitler*, 2:439

(٣٢) انظر: بيرم يوكسل في Şahiner, *Son Şahitler* 3:79

لحاكم قونيا الذي أقسم أن "يستأصل أتباع النورسي عن بكرتهم"، وجعل ذلك القَسم العنوان الرئيسي للصحف، ولكن العناية الإلهية أنقذتهم، فخرجوا من قونيا مرورا بمسجد مولانا جلال الدين دون أن يضبطهم أحد.

واصلوا السير، وكان النورسي في هذه الآونة لا يستطيع الخروج من السيارة لأداء الصلاة، ووصل الركب عند غروب الشمس إلى "ألوقيشلا"، وكان الطقس في غاية البرودة، ولم يستطع النورسي تناول أي طعام، اجتازوا "أطنا" ليلا إلى "جيحان"؛ حيث أدوا صلاة العشاء، وخلد السائق "حسني" للنوم لمدة ساعة، وحين جاء وقت السحور كان الركب قد وصل إلى "العثمانية" فقاموا بتزويد السيارة بالوقود، ولم يأكل النورسي شيئا، وفي حوالي السابعة والنصف وصل الركب إلى "غازي عنتب" صباح الحادي والعشرين من مارس، ثم تابعوا السير؛ حيث أصبح الطريق وعرا، وقد امتلأ بمزيج من الجليد والطين، ولكنهم استطاعوا أن يعبروه بسلام، ووصلوا أخيرا إلى أورفة في تمام الحادية عشر من صباح يوم الاثنين.

أورفة

عند وصول الركب إلى "أورفة"،(٣٣) كان أول مكان يذهبون إليه هو مسجد "قاضي أوغلو"؛ حيث كان يقيم "عبد الله ياغين"، ووصل إلى مسامعهم أن أفضل فندق بالمدينة هو فندق "إيبك بالاس" فأخذوا النورسي إلى هناك، وكان في حالة سيئة للغاية، وكان على طلابه أن يحملوه إلى الغرفة التي حجزوها، وهي الحجرة رقم ٢٧ بالطابق الثالث، وهناك حدث صراع غاية في الإثارة بين ممثلي الحكومة والشرطة من جانب، والذين حاولوا إجبار النورسي على العودة إلى "إسبارطة" بناء على أمر وزير الداخلية في أنقرة، وبين طلاب النورسي، وأهل "أورفة"، وبعض المسئولين ممن رفضوا رفضا قاطعا نقل هذا الرجل الضعيف العليل إلى أي مكان آخر.

(٣٣) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 451-458 و عبد الله يكين في Şahiner, *Son Şahitler* 2:160 وبيرم يوكسل في Şahiner, *Son Şahitler* 3:83-90.

قابل أهل "أورفة" النورسي بحفاوة بالغة؛ حيث تجمعوا حول الفندق وتوالوا على زيارته دون انقطاع، وكتب "بيرم يوكسل" يصف كيف أنه اضطر للإمساك بيد النورسي حتى يستطيع الناس تقبيلها، ورغم حالته الصحية المتدهورة؛ فقد استقبل النورسي كل من أتى إليه على عكس عادته السابقة، وقد زاره الناس من كل الفئات؛ التجار وضباط الجيش والجنود ورجال الشرطة والمسئولون وعامة الناس ممن جاءوا إليه بالمئات، وأوضح النورسي "لعبد الله يكين" أهمية مدينة "أورفة"، وما أسداه أهلها من خدمة للإسلام، سواء أكانوا أتراكا أم عربا أم أكرادا، وكيف أنهم سيصبحون وسيلة من وسائل الوحدة والأخوة الإسلامية، وتمكن النورسي أن يواصل نشاطه ويستقبل كافة من يأتي إليه ممن واصلوا المجيء لزيارته.

وعلى حين فجأة وصل اثنان من رجال الشرطة يرتديان ملابس مدنية، وأخبرا طلاب النورسي أن عليهم الاستعداد للرحيل والعودة إلى "إسبارطة"، وكان معهم أحد عشر رجلا آخرين أو أكثر، وعندما أخبروا النورسي بذلك قال لهم: "يا للغرابة! جئت لأموت هنا، ولربما سأموت، فلو رأيتم حالتي لدافعتم عني!"ولكنهم أخبروه أن هذه أوامر. وأحضروا السائق "حسني" بسيارته أمام باب الفندق، وعند ذلك اعترض مدير الفندق على هذه المعاملة السيئة التي يعامل بها نزيله، ثم تجمعت الحشود وأخذت في الاحتجاج والهتاف، وأصبح الموقف في غاية التوتر، حتى إن رجال الشرطة لم يستطيعوا دخول الفندق، ثم اختفت السيارة وهدأت الحشود قليلا، وواصل الناس زيارة النورسي.

بيد أن رجال الشرطة أصروا على طلبهم محتجين بأن هذا أمر وزير الداخلية "نامق كديك" مباشرة، وهو أمر نهائي، وسيتم نقل النورسي بسيارة الإسعاف إن لم يأخذوه بالسيارة، ولكن طلاب النورسي أخبروهم أنهم لا يمكنهم فعل ذلك، وعلى أية حال فليس عليهم تنفيذ أوامر الشرطة، واستمر هذا النقاش الحاد بينهم حول هذا الشأن، وتم إرسال التلغرافات إلى "مندريس"، وتوالت مئات التلغرافات بين "أورفة" وأنقرة في هذا اليوم، وأعلن الناس أنهم لن يسمحوا بإجبار النورسي على الرحيل.

شاع الخبر بأن النورسي سيجبر على الخروج من "أورفة"، وسمع بذلك رئيس فرع الحزب الديمقراطي في أورفة فتوجه مباشرة إلى مركز الشرطة، وخاطب رئيس الشرطة هناك بلهجة شديدة؛ وأخبره أن النورسي ضيف كريم، ولا يصح أن يعامل هذه المعاملة غير اللائقة، واستمر النقاش الحاد بينهما حتى أخرج رئيس فرع الحزب الديمقراطي مسدسه ووضعه بعنف على مكتب قائد الشرطة معلنا أنه في حالة لجوئهم إلى القوة؛ فإنه يجب عليهم التخلص منه أولا.

وفي غضون ذلك تجمع حوالي خمسة أو ستة آلاف شخص خارج الفندق، وأحضر رئيس الحزب الديمقراطي الطبيب الحكومي، فأجرى فحصا على النورسي؛ كانت درجة حرارته قد بلغت الأربعين، فأعلن الطبيب عدم قدرته على السفر، وقال بأنه سيصدر تقريرا عاما عن حالته في اليوم التالي.

وفي مساء الثلاثاء، حيث كان طلاب النورسي يتناوبون في الإشراف عليه، وقد أضناهم التعب تماما، فنام "بيرم" لمدة ساعتين ثم أيقظه "زبير"؛ لأنه لم يستطع الاستمرار متيقظا أكثر من ذلك، ثم ذهب "حسني" ولحق "بزبير" و"عبد الله يكين"، ولم يتركوا إلا "بيرم" الذي ظل مع النورسي، وأغلق الباب تحسبا لأي مضايقة، فارتفعت حرارة النورسي للغاية في هذه الأثناء وأصابته الحمى؛ فلم يستطع التحدث، وكان قد طلب بعض الثلج خلال النهار، ولكن تعذر الحصول عليه، وبعد أن حصلوا على بعض منه، عبر عن عدم حاجته إليه، ثم جفت شفتاه، فقام "بيرم" بمسحهما بمنديل مرطب بالمياه.

كانت نوبة حمى جديدة قد ألمت به، وفي تمام الثانية والنصف صباحا قام "بيرم" بسحب الغطاء الذي كان النورسي يلقي به بعيدا عن جسده، وأسدل ستارا على المصباح ليخفف من توهجه، وفجأة نهض النورسي بيده حتى مس رقبة "بيرم" حين كان يدلك له يديه، بعد ذلك وضع النورسي يديه على صدر "بيرم" ونام أو هكذا ظن "بيرم"، إلا أن النورسي لم ينم بل رحل عن هذه الحياة، وصعدت روحه إلى بارئها، وكان ذلك في تمام الساعة الثالثة من صباح يوم الأربعاء، الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٦٠، الموافق الخامس والعشرين من رمضان عام ١٣٧٩.

دفن النورسي في زاوية خليل الرحمن

أشعل "بيرم" المدفأة لكي لا يشعر النورسي بالبرودة؛ لاعتقاده أن النورسي نائم، وجاء زبير والآخرون بعد ذلك؛ كان جسد النورسي ساكنا ولا يحرك ساكنا، لم يصدقوا أن النورسي قد مات حتى أرسلوا إلى عمر أفندي الواعظ، وهو أحد الرموز الدينية، وكان في زيارة لأورفة، وما إن دخل الغرفة، حتى ردد (إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

انتشر الخبر بسرعة كبيرة في أورفة، وذهب "زبير" و"حسني" و"عبد الله" إلى مراكز التليفون والتلغراف لكي يخبروا طلاب النور في "أميرداغ" و"إسبارطة" و"استانبول"، وفي كل أنحاء تركيا بوفاة النورسي، ثم جاء صاحب الفندق إلى الغرفة، ولما رأى ما حدث للنورسي وانتحب من البكاء، وقابل رئيس الشرطة على السلم، فأخبره بما حدث، فانسحبت الشرطة التي جاءت مع مجموعة من الجنود ليأخذوا النورسي بالقوة إلى "إسبارطة" ثم عادوا إلى مقارهم، وأرسلت الشرطة طبيبا ليعد تقريرا عن حالته، ولكن الطبيب ارتاب في الأمر وتردد فلم يكتب التقرير إلا بعد ذلك؛ لأن درجة حرارة جسده كانت مرتفعة، ولا تشبه حالته حالة الوفاة؛ لذا رأى ألا يدفن النورسي على الفور.

بعد ذلك جاء قاضي التركات، وبدأ يثبت ما خلفه النورسي ويرصد قيمته، وقد كانت تركة النورسي طبقا لما ورد في التقرير الذي نشرته صحيفة "أقشام" ٥٥١ ليرة و ٥٠ قرشا، وبمعنى آخر، لم يترك النورسي شيئا سوى ساعته وعباءته وسجادة للصلاة وإبريقا للشاي ونظارة وبضعة أشياء أخرى، وكان الوريث الوحيد لهذه الأشياء للنورسي كما أوصى طلابه أخاه عبد المجيد.

بدأت ألوف الأهالي يتدفقون على أورفة بعد انتشار الخبر، وكان من المقرر أن يتم تغسيل النورسي ودفنه في "الزاوية" التي دفن فيها نبي الله إبراهيم عليه السلام فأخذ إلى هناك بعد صلاة الظهر، وأغلق أهالي "أورفة" كافة حوانيتهم، واكتظت بهم الشوارع، وبينما كان جسد النورسي يغسل ويكفن ظهر الأربعاء، كانت أسراب الحمام الأبيض والطيور الأخرى تحوم في سماء الزاوية، وكانت الأمطار تتساقط رذاذا.

قام بتغسيل النورسي "الملا عبد الحميد أفندي" بحضور "زبير" و"بيرم" و"حسني" و"عبد الله" و "خلوصي بك" أول طلاب رسائل النور، ثم حمل الجسد إلى "جامع أولي"؛ حيث وضع إلى أن يتم الدفن، امتلأ المسجد بالناس، ولهجت الألسنة بالقرآن والدعوات.

كان من المقرر أن يتم الدفن يوم الجمعة، ولكن تدفق الجموع الغفيرة إلى "أورفة" من كل أنحاء تركيا وغيرها من البلدان كان عظيما، فاستدعى الوالي طلاب النورسي، وأخبرهم بأن الدفن يجب أن يتم بعد ظهر الخميس نظرا لهذا الزحام الهائل، ولم يكن أمامهم خيار آخر، فأعلنوا ذلك من خلال مكبرات الصوت.

أقيمت صلاة الجنازة في فناء "جامع أولي" ثم حمل النعش على أيدي الحاضرين، وحضر تشييع الجنازة والي "أورفة" ورئيس البلدية وقائد الحامية العسكرية المحلية وأهل "أورفة"، ومن استطاع من طلاب النور الوصول إليها، واحتشد الآلاف من الأهالي حول المسجد وتحركوا في جمع عظيم لحمل النعش في هذه المسافة القصيرة إلى الزاوية، وأراد كل شخص أن يلمس النعش، حيث كانت تتناقله الأيدي كما العادة واستغرق الأمر ساعتين تقريبا حيث ساهم رجال الشرطة والجنود في تمهيد الطريق حتى وصل في النهاية إلى الزاوية التي دفن بها.

كان المطر لا يزال يتساقط في هذه الليلة، ولم تنقطع قراءة القرآن على القبر، استراح النورسي أخيرا بجوار خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وكان الضريح الذي دفن فيه النورسي قد بناه شيخ من المواطنين هناك اسمه "الشيخ مسلم" أثناء عمل الترميمات للزاوية عام ١٩٥٤، وقد رأى في منامه ثلاث مرات أن هذا القبر يخص شخصا آخر، ونتيجة لذلك أوصى أن يدفن بعد موته في المقبرة العامة، إلا أن هذا الضريح لم يكن غير مستراح مؤقت للنورسي.

الحكومة العسكرية تأمر بنقل
رفات النورسي إلى مكان مجهول

وقع الانقلاب العسكري الذي تنبأ به النورسي في السابع والعشرين من مايو ١٩٦٠، وتم القبض على "مندريس" وكبار رجال حكومته والنواب الديمقراطيين والمسئولين والمؤيدين لهم، وزج بهم في معسكرات وسجون مختلفة، وبدأت حملة ضد حركة النور وطلابها؛ حيث بدأت عمليات البحث والمصادرة والاعتقال والسجن والمحاكمات، وتعرض مئات من طلاب النور لموجة قمع انتقامية، فالبلاد خاضعة الآن لسيطرة "لجنة الوحدة الوطنية" المزعومة، والتي اتخذت قرارا بنقل كل رفات النورسي إلى مكان مجهول، وكما طاردوه وأزعجوه حتى آخر لحظة في حياته، لم يتركوه لينعم بالسلام حتى بعد موته؛ كتب أخ النورسي يقول:

"في الأيام الأولى من شهر يوليو بعد وفاة أخي الأكبر بثلاثة أشهر ونصف، صليت الظهر أداء في المنزل الذي استأجرته قرب ضريح مولانا في "قونيا" ثم جاءني رئيس الفرع الخاص الذي عرفت أن اسمه "إبراهيم يوكسل"، وأخبرني أن الوالي يطلبني فذهبنا معا إلى مكتب الوالي، كان هناك ثلاثة جنرالات أحدهم "جمال طورال" والآخر "رفيق طولغا" الذي كان يتولى قيادة الجيش الثاني وكان واليا مؤقتا على "قونيا"، قال لي "جمال طورال": "إن الناس يأتون من الشرق ومن خلف حدودنا الجنوبية بطرق غير شرعية لزيارة قبر أخيك، ونحن في وقت حرج، ونريد أن تتعاون معنا، سوف ننقل رفاته إلى داخل الأناضول، فوقّع على هذه الورقة من فضلك."

ألقى إلي بورقة كتب عن لساني كما لو كنت أنا الذي طلبت هذا، فلما قرأته قلت: "لكني لم أطلب هذا، اتركوه وشأنه في سلام على الأقل في قبره"، لكنهم قالوا لي:

"عليك أن توقع، لا تجعلنا في وضع عصيب"

ركبنا السيارة التي كانت ستقلنا إلى المطار بعد توقيع الطلب... وأخيرا صعدنا إلى الطائرة، ولم تكن أسرتي وأهل بيتي يعرفون شيئا عن ذلك، فكان من الطبيعي أن يكونوا في حالة من القلق والخوف.

وصلنا إلى "ديار بكر"، وبعد أن أخذنا قسطا من الراحة أقلتنا طائرة أخرى إلى "أورفة"، أخذوني بعد ذلك في عربة عسكرية إلى مبنى عسكري، وقدموا إلي بعض

الطعام، ولكن لم تكن لي به رغبة، وصلنا إلى "أورفة" بعد الظهر وبعد أن حل الظلام أخذوني بسيارة جيب مع القائد وبعض الجنود، وتوجهنا إلى "زاوية خليل الرحمن"، كان هناك تابوتان في صحن المسجد وبعض الجنود الذين يتجولون حولهما".[٣٤]

لقد طوق الجيش المدينة في هذه الليلة التي وافقت الثاني عشر من يوليو ١٩٦٠ كما ورد في تقارير أخرى، حيث فرض حظر التجوال ولم يسمح لأحد بالسير في الطرقات، وتمركزت الدبابات والسيارات المصفحة في الأماكن الحيوية من المدينة، وأحكم الجنود تطويقهم للزاوية، وتنفيذا للأوامر الصادرة إليهم دخل الجنود إلى القبة المزدوجة التي تحتوي على قبر النورسي، ليس من بابها بل بتحطيم السياج الحديدي من على النوافذ، وشرعوا في تحطيم قطع الرخام الموجودة على القبر بمطارقهم.[٣٥]

ويواصل عبد المجيد قائلا:

"اقترب مني طبيب، وقال: "هوّن من قلقك وانزعاجك، سننقل الأستاذ إلى الأناضول، ولهذا السبب أحضروك إلى هنا"، وعلى أثر هذا الكلام أجهشت بالبكاء ولم أتمالك نفسي.

أمر الطبيب الجنود: "افتحوا التابوت وأخرجوا الأستاذ منه ثم ضعوه في هذا التابوت"، ولكن الجنود ترددوا وانتابهم الخوف، وقالوا: "لا نستطيع فعل ذلك، ستحبط مساعينا"، ولكن الطبيب قال لهم: "إخواني! نحن مأمورون وليس أمامنا سوى التنفيذ." فتحنا التابوت معا، قلت في نفسي: "لا بد أن عظام سعيد قد تفككت"، لكن ما إن لمست الكفن بيدي حتى خيل لي أنه مات منذ قليل، فقد كان الكفن سليما إلا أنه كان مصفرا قليلا من جهة الرأس، وكانت هناك بقعة صغيرة على شكل قطرة ماء من الخارج، وعندما كشف الطبيب عن وجهه نظرت إليه وكانت تعلو وجهه ابتسامة، فاحتضنا هذا الأستاذ العظيم المفترى عليه ثم وضعناه في التابوت الذي أحضره الجنود وكان كبيرا وثقيلا،[٣٦] وملئوا الفراغ الذي كان

---

(٣٤) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 473-474

(٣٥) انظر: المرجع السابق، ص ٤٦٩.

(٣٦) انظر: كما ذكر عبد المجيد، فقد كان هناك تابوتان، أحدهما مطلي بطلاء معدني وقد وضع بداخل تابوت آخر أكبر منه مصنوع من الزنك، وبعد أن تمت معالجته بالمواد الكيمائية ختم باللحام على التابوت بعد وضع جسد النورسي به.

بالتابوت بالعشب والحشائش، ولما تم الأمر ركبنا شاحنة عسكرية ثم توجهنا مباشرة إلى المطار، وكان الجنود المدججون بالسلاح يحرسون كافة الشوارع.

لم يتيسر حمل التابوت في الطائرة الأولى فوصلت طائرة أخرى بعد ساعات، وضعنا فيها التابوت وجلست بجواره، والأسى يعتصر قلبي وعيناي غاصة بالدموع".[٣٧]

ونواصل نقلا عن عبد المجيد من خلال سرد آخر أكثر تفصيلا:

"استغرقت الرحلة ما بين ست إلى سبع ساعات؛ حيث هبطت الطائرة في أفيون قرب وقت الظهيرة، وبالطبع فإنهم من أخبروني أنها "أفيون"، وبعد أن هبطت الطائرة، قاموا بإخراج التابوت منها ثم وضعوه في شاحنة عسكرية، فجلست بجوار قائدها، وكان يتبعنا سيارتان جيب وشاحنات صغيرة، توقفنا عند منطقة جبلية، ورغم عدم علمي بالمكان الذي ذهبنا إليه أو بالاتجاه الذي كنا فيه، إلا أني لم أستفسر عن ذلك، كما لو كنت مذهولا من الموقف.

تابعنا السير ببطء لمدة سبع ساعات ثم توقفنا عند مكان ما في ساعة متأخرة من الليل، كان هناك العديد من الجنود وضباط الصف الذين كانوا في انتظارنا بعد أن حفروا القبر، وقاموا على الفور بإنزال التابوت من السيارة بشكل سريع ثم وضعوه في القبر وواروا جثمانه التراب، وبينما كانوا يقومون بذلك نظرت حولي، ورغم أني لم أستطع الرؤية جيدا إلا أني أدركت أن هذا المكان يشبه جانب جبل، وكان هناك جدار بارتفاع متر، فصعدت عليه ونظرت حولي فلم أر أي ضوء، فقد كان المكان محاطا بظلام دامس.

دفنوا الجثة وانتهى عملهم، قال لي أحد ضباط الصف: "يا شيخ! هل تود أن تظل هاهنا الليلة أم تريد العودة إلى بيتك؟" فقلت في نفسي: ماذا سأفعل لو بقيت هنا؟ وبعد برهة جاءت سيارة سوداء يقودها أحد الجنود، فركبتها ثم انطلقت، ولما وصلنا بعد رحلة استغرقت ساعة ونصف الساعة إلى مدينة تتلألأ منها الأنوار، سألت السائق في أي مدينة هذه الأنوار؟ فأجابني: إنها مدينة "اغيردير"، تابعنا السير في طريقنا ووصلت إلى بيتي في "قونيا" في الساعة الثامنة أو التاسعة."[٣٨]

وهكذا وجد النورسي مستراحه الأخير كما تمنى في مدينته الحبيبة "إسبارطة"، وظل مكان قبره مجهولا لا يعلمه أحد باستثناء اثنين أو ثلاثة من أخص طلابه وعدد محدود من المسئولين أقسموا أن يحتفظوا بهذا السر.

---

(٣٧) انظر: Şahiner, *Bilinmeyen* 474

(٣٨) انظر: Badıllı, *Nursi,* 3 :2197-2198

لقد تنبأ النورسي بالعام الذي سيموت فيه وتنبأ بهدم قبره أيضا، كما جاء في مقطوعة شعرية تحت عنوان "الداعي"، وردت في مقدمة كتاب "اللمعات"، وهو مجموعة كبيرة من كتاباته، تشبه الشعر، طبعت لأول مرة في ١٩٢١، وهذه المقطوعة كالتالي:

قبري المهدم يضم*
تسعا وسبعين سعيدا** بآثامه وآلامه
وقد غدا شاهد القبر تمام الثمانين
وجميعهم يبكون*** لتخلف الإسلام
فيئن شاهد قبري وقبر الموتى من سعيد
إنني أتطلع إلى المستقبل القادم
وأنا على يقين أن المستقبل وآسيا بأرضها وسمائها
ستخضع ليد الإسلام الساطعة البيضاء
فهو يعد بيُمن الإيمان
ويمنح الطمأنينة والأمان للأنام

وفيما يلي هوامش النورسي والتي أضاف لها المؤلف الهامشين الثاني والثالث في الخمسينيات:

* هذا السطر توقيعه

** لما كان الجسد يتجدد في كل سنة مرتين، فإن سعيدين قد ماتا (في كل سنة)، وحيث إن سعيدا في سنته التاسعة والسبعين، فهذا يعني أن سعيدا يموت كل عام، ولذا سيعيش إلى هذا التاريخ، حيث يموت في كل سنة سعيد. (مات النورسي في عام ١٣٧٩ هجرية ونقل من قبره بعد هدمه في عام ١٣٨٠.)

*** لقد أدرك النورسي بحدسه ما سيحدث له بعد عشرين عاما.[٣٩]

(٣٩)النورسي، الكلمات ص ٨٣٧ وسيرة ذاتية ، ص ٤٨٨.

خاتمة الكتاب

تشكل قصة بديع الزمان سعيد النورسي حياة أحد علماء الإسلام وأساتذته الذي قرر - خلال فترة من الفترات التي تعرضت مكانة الإسلام خلالها للتدهور جراء تصاعد المد الاستعماري الغربي - أن يكرس حياته ودراسته من أجل أن يبرهن أن تجديد قوة العالم الإسلامي - بل ورخاء وسعادة سائر البشر - يكمن في القرآن الكريم باعتباره الرسالة الإلهية، وليس في الحضارة السائدة في عصرنا الحالي، حيث إن تلك الحضارة قد استمدت قوتها الملهمة من مبادئ نشأة الإنسان. وقد ظل ذلك هدف دائم منذ شبابه. وفي سعيه وراء تحقيق هذا الهدف، قام سعيد الصغير بكتابة العديد من الأعمال الأصلية بحيث أصبح أحد المشتركين الفاعلين في الحركة الدستورية التي اعتقد أنها الوسيلة الوحيدة لتأمين وحدة وتقدم كل من الإمبراطورية العثمانية والعالم الإسلامي. وقد اعتبر النورسي والعديد من المفكرين في عصره هذه القيم مثل الحياة الدستورية متمثلة في وجود حكومة نيابية، والشورى، وسيادة القانون كلها ملائمة للإسلام وكذلك ضرورية لإعادة بناء الحضارة الإسلامية. وقد أكد النورسي ذاته على وجه الخصوص على وجود أسس ذلك في الإسلام.

وبرغم اشتراكه في الكفاح من أجل قبول ما نعرفه اليوم بالقيم الديموقراطية، فإن دوافع النورسي لم تكن سياسية بل إلى حد كبير منها تعليمية، وذلك فيما يتعلق بالمعنى الأشمل للكلمة الذي يهدف إلى تعريف فئات الشعب المختلفة بالمنافع العديدة للحياة الدستورية، وكذلك على صعيد إنشاء مؤسسات تعليمية تجديدية، وتحديث المناهج والعلوم التي يتم تدريسها. ولقد شدد كثيرًا على الأهمية القصوى للتجديد الأخلاقي.

وعقب النصر التركي في معركة الاستقلال، وجد النورسي نفسه على خلافٍ مع قادة النظام الجديد في أنقرة، وانسحب تمامًا من الحياة العامة. وقد كان ذلك يتفق تمامًا مع شخصية سعيد الجديد، الذي تمخض عن سعيد القديم أثناء السنوات القاسية للهزيمة العثمانية والاحتلال الأجنبي. وقد احتل القرآن وقتها المكانة الأولى في حياة النورسي، وكان ناجحًا في تطوير طريقة تأملية جديدة لشرح تعاليم القرآن على العقائد الأساسية للإيمان، والتي استقاها من القرآن الكريم ذاته وكانت تقوم على التفكير التأملي في العالم المنظور. وعندما أُرسل إلى المنفى وجدت كتاباته الجديدة صدى سريعا بين سكان الأناضول، الذين شعروا أن معتقداتهم وهويتهم في وضعٍ مهدد من قبل الإجراءات العلمانية والتغريبية. وقد استطاعت كتابات النورسي "رسائل النور" من خلال البراهين التي قدمتها في سياق تعاليم الرسالة القرآنية ومن خلال توافقها مع العلم، ودحض "الفلسفة"، أن تعبر عن مشاكل الناس وأن تقدم لهم إعادة تثبيت للمعتقدات الهامة لكيانهم. وفي الحقيقة، كان النورسي يحمل معه إلى العصر الجديد الجدل الكبير بين الإسلام والحضارة الغربية، وقام بتقديمها على مستوى المبادئ الأساسية.

لقد تجنب النورسي كل أنواع المواجهات وابتعد تمامًا عن الحياة السياسية، وأصبح كل ما يهتم به هو الإنسان بصفته كائن أخلاقي، وكيفية بناء الإنسان من خلال فهمه لعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى، وعلاقاته برفقائه من البشر متوقفة على ذلك. لقد اعتقد النورسي أنه من خلال تحقيق مثل هذه الدرجة من الإيمان يمكن مواجهة ما اسماه النورسي بالجوانب المدمرة للفلسفة والمعادية للدين، وبالتالي يمكن تجديد المجتمع وفقاً لخطوط بناءة. ورغم الاضطهاد الذي عاناه النورسي وتلامذته؛ فإنهم لم يتخلوا أبدًا عن موقفهم الإيجابي. وفي حقيقة الأمر فإن ظروف سجنهم لم تؤد إلا إلى تقوية عزيمتهم، علاوةً على أنها ساعدت على نشر الحركة التي نمت ملتفة حول كتابات النورسي، وهي التي حملت اسم حركة النور.

ومع تزايد حجم الإلحاد والشيوعية العدوانيين، فإن نظرة النورسي للرسالة السماوية والفلسفة قد ساقته إلى إقرار أحد جوانب الغرب التي طالما كان على وعي بها – والتي اتخذت قوتها الدافعة من النصرانية كديانة سماوية وليس من الفلسفة. لقد قام النورسي بتشجيع التعاون مع النصارى المؤمنين في الاجتماع لمواجهة تهديد الإلحاد، وقد بدأ هو ذاته بإقامة علاقات مع بعض زعماء الديانة المسيحية. ولقد تم ذلك جنبًا إلى جنب مع جهوده من أجل إعادة إقامة الروابط مع العالم الإسلامي وتقوية الوحدة بين المسلمين أنفسهم من خلال رسائل النور.

ينبثق كل من روح و نجاح حركة النور بدرجة كبيرة من شخصية النورسي ذاتها كقدوة حسنة وخصاله الشخصية الحميدة وحياته العفيفة، علاوة على ارتكازها حول رسائل النور ذاتها.

إن الروح المستقلة التي تمتع بها النورسي قد ساقته لأن يتخذ طريقاً خاصًا به وحده وأن يشيد لنفسه مكانة كأحد علماء الدين، وذلك خلال سنوات شبابه التي قضاها في مجتمع قبائلي غليظ الطباع، وحيث ساد الانشقاق، وكان الولاء للجماعة كبيرًا. وقد ساعده استقلاله على الوقوف بثبات خلال الأوقات العصيبة من حياته، وذلك مثلما ساعده حب المغامرة وحماسه. أما عن الخصائص الأخرى التي لازمته طوال حياته فتمثلت في شجاعته المثالية وجرأته، ولم تقل وضوحها في سنوات رشده عنها في فترة شبابه. لقد كانت ملكة الشجاعة الحقة هي التي جعلته لا يتوانى عن دعم وتأييد القضية الإسلامية خلال سنوات طويلة من القمع والاضطهاد. لقد كان النورسي مزيجًا نادراً من شخصية المكافح النشط الذي كافح بإصرار وعزم لا يلين من أجل إحياء وتقوية العقيدة الدينية، ومن شخصية زاهدة قديسة تنتمي لعالم أخر، والتي التفت كيانها الداخلي بالكامل – خاصة أثناء الفترة الثانية من حياته – نحو الخالق سبحانه وتعالى. لقد جعل منه إيمانه الحي وقربه إلى الله عز وجل منكرًا لذاته أثناء كفاحه، كما مكنه من التخلي تمامًا عن كل مطالب النفس

والذات. لقد كان متواضعًا ومهذبًا في تعامله مع أصدقائه بنفس القدر الذي كان به مرعباً ومتشدداً في تعامله مع أعداءه: أعداء القرآن والإسلام.

يكمن أكثر ما يلفت النظر إلى النورسي في إنسانيته وتعاطفه واهتمامه العميق بكل البشر، فلقد كان ذلك ما دفعه للمضي في كفاحه الذكي الصائب المصلح والبناء لا الهدم، بحيث يمكن لكل البشر أن يجدوا السلام والخلاص في الدين السماوي وممارسة تعاليمه.

المراجع

المراجع التركية والإنكليزية:

Abdülmecid (Nursî), *Hatıra Defteri* (مذكرات لم تنشر).

Abdurrahman, *Bediüzzaman'ın Tarihçe-i Hayatı*. İstanbul: Necm-i İstikbal Matbaası, 1335 [1919].

Abu-Rabi', I. M. (ed.), *Islam at the Crossroads: On the Life and Thought of Bediuzzaman Said Nursi.* Albany: State University of New York Press, 2003.

Ahmad, A. "Religious and Political Ideas of Shaikh Ahmad Sirhindi." *Rivista degli Studi Orientali*, XXXVI (1961), 259-70.

Ahmad, F. *The Making of Modern Turkey*. London: Routledge, 2002.

———, *The Turkish Experiment in Democracy, 1950-75*. London: Hurst, 1977.

———, *The Young Turks: The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914*. Oxford: Clarendon Press, 1969.

———, "War and Society under The Young Turks, 1908-1918," Hourani, Khoury, ve Wilson, *Modern Middle East*'in içinde, 125-43.

Ahmed Hilmi, Ş. F. *Senûsîler ve Onüçüncü Asrın En Büyük Mütefekkir-i İslâmîsi Seyyid Muhammed Es-Senûsî*. 1325/1909. طبعة النسخة الأصلية, İstanbul: Bedir Yayınevi, 1997.

Ahmet Refik (Altınay). *İki Komite İki Kital.* 1919. İstanbul: Bedir Yayınevi, 1999.

Akşin, S., ed. *Türkiye Tarihi. 4. cilt, Çağdaş Türkiye 1908-1980*. İstanbul: Cem Yayınevi, 1989.

Aktürk, H. B. "Ankara'da Avukat Hulûsi Bitlisi Aktürk'ün Temyiz'deki Duruşmada Yaptığı Müdafaanamesidir." Nursî, *Müdafaalar*'ضمن, 439-51.

Albayrak, S. *31 Mart Vak'ası Gerici Bir Hareket mi?* İstanbul: Bilim-Araştırma Yayınları, 1987.

———, *Siyasi Boyutlarıyla Türkiye'de İslamcılığın Doğuşu*. İstanbul: Risale Yayınları, 1989.

———, *Son Devir Osmanlı Uleması*. 5 cilt. İstanbul: İstanbul Büyükşehir Belediyesi Kültür İşleri Başkanlığı Yayınları, 1996.

———, *Son Devrin İslam Akademisi Dar-ül Hikmet-il İslâmiye*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1973.

———, *Yürüyenler ve Sürünenler*. İstanbul: Araştırma Yayınları, 1989.

Algar, H. "A Brief History of the Naqshbandi History," *Varia Turcica XVIII – Naqshbandis*'in içinde, editörler: Marc Gaborieau, Alexandre Popovic, and Thierry Zarcone. İstanbul: Editions Isis, 1990, 117-46.

———, "Political Aspects of Naqshbandi History." *Varia Turcica XVIII–Naqshbandis*'in içinde, editörler: Marc Gaborieau, Alexandre Popovic, and Thierry Zarcone, 17-46. İstanbul: Editions Isis, 1990.

———, "The Centennial Renewer: Bediüzzaman Said Nursi and the Tradition of Tajdid," *Journal of Islamic Studies* 12, No: 3 (2002), 291-311.

Alp, T. *Le Kemalisme*. Paris: Alcan, 1937.

Arai, M. *Turkish Nationalism in the Young Turk Era*. Leiden: Brill, 1992.

Arif Cemil, *Birinci Dünya Savaşında Teşkilat-ı Mahsusa*. 1934. İstanbul: Arba Yayınları, 1997.

Aydın, M. *Millî Mücâdele Döneminde TBMM Hükümeti Tarafından İstanbul'da Kurulan Gizli Gruplar ve Faâliyetleri*. İstanbul: Boğaziçi Yayınları, 1992.

Badıllı, A. *Bediüzzaman Said-i Nursi, Mufassal Tarihçe-i Hayatı*. 2. baskı. 3 cilt. İstanbul: yayınevi belirtilmemiş, 1998.

Bahadıroğlu, Y. *Osmanlı Padişahları Ansiklopedisi*. 3. cilt. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1986.

Balcıoğlu, M. *Teşkilat-ı Mahsusa'dan Cumhuriyete*. Ankara: Nobel, 2001.

Berk, B. *Türkiye'de Nurculuk Davası*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1975.

Berkes, N. *The Development of Secularism in Turkey*. New York: Routledge, 1998.

———, *Türkiye'de Çağdaşlaşma*. İstanbul: Doğu-Batı Yayınları, tarihsiz.

Birinci, A. *Hürriyet ve İtilaf Fırkası*. İstanbul: Dergah Yayınları, 1990.

Bishop, I. L. B. *Journeys in Persia and Kurdistan*. 2 cilt. London: John Murray, 1891.

Brant, J. "Journey through a Part of Armenia and Asia Minor in the Year 1835." *Journal of the Royal Geographical Society of London* 6 (3, 1891): 187-223.

Brockett, G. "Collective Action and the Turkish Revolution: Towards a Framework for the Social History of the Atatürk Era, 1923-38," Sylvia Kedourie, *Turkey Before and After Atatürk*'ün içinde, 44-66.

Brown, C., ed. *Imperial Legacy: The Ottoman Imprint on the Balkans and the Middle East*. New York: Columbia University Press, 1996.

Bruinessen, M. Van. *Agha, Shaikh and State: The Social and Political Structures of Kurdistan*. London: Zed Books, 1992.

———, *Mullahs, Sufis and Heretics: The Role of Religion in Kurdish Society*. İstanbul: The ISIS Press, 2000.

———, "Popular Islam, Kurdish Nationalism and Rural Revolt: The Rebellion of Shaikh Said in Turkey." Bruinessen, *Mullahs, Sufis and Heretics*'in içinde, 143-158.

Brummet, P. *Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press, 1908-1911*. Albany: State University of New York Press, 2000.

Çapanoğlu, M. S. *Türkiye'de Sosyalizm Hareketleri ve Sosyalist Hilmi*. İstanbul: yayınevi belirtilmemiş, 1965.

Çelik, H. *Ali Suavi ve Dönemi*. İstanbul: İletişim Yayınları, 1994.

Clay, C. "Labour Migration and Economic Conditions in Nineteenth-Century Anatolia." Kedourie, *Turkey Before and After Atatürk*'ün içinde, 1-32.

Cobb, K. "Revelation, the Disciplines of Reason, and Truth in the Works of Said Nursi and Paul Tillich." I. M. Abu-Rabi', *Islam at the Crossroads*, 129-50.

Criss, B. *İşgal Altında İstanbul, 1918-1923*. 3. baskı. İstanbul: İletişim, 2000.

———, *Istanbul Under Allied Occupation*, *1918-1923*. Leiden: Brill, 1999.

Danişmend, İ. H. *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi*, 4. cilt. İstanbul: Türkiye Yayınevi, 1972.

Davutoğlu, A. "Bediuzzaman and the Politics of the Islamic World in the 20th Century," *Third International Symposium on Bediuzzaman Said Nursi 1995*'in içinde. İstanbul: Sözler Publications, 1997.

Deringil, S. *The Well-Protected Domains*. London: I. B. Tauris, 1998.

Dorys, G. *The Private Life of the Sultan of Turkey*. New York: A. Appleton and Company, 1901.

Dumont, P. "Disciples of Light: The Nurcu Movement in Turkey." *Central Asian Survey* 5, No: 2 (1986), 33-60

Düzdağ, M. E., ed. *Volkan Gazetesi, 1908-1909*. İstanbul: İz Yayıncılık, 1992.

———, *Yakın Tarih Yazıları.* İstanbul: İz Yayıncılık, 1997.

Edip, E. "İslâm Düşmanlarının Tertiplerini Ortaya Çıkarmak Vazifemizdir." Şahiner, *Bilinmeyen Taraflarıyla Bediüzzaman Said Nursî*'nin içinde.

———, Mehmet Âkif, *Hayatı-Eserleri ve Yetmiş Muharririn Yazıları.* 2 cilt. İstanbul: Sebilürreşad Neşriyatı, 1380/1960.

———, *Risale-i Nur Muarızları Yazarların İsnadları Hakkında İlmi Bir Tahlil.* İstanbul: yayınevi belirtilmemiş, 1952.

———, *Risale-i Nur Müellifi Said Nursî, Hayatı, Eserleri, Mesleği.* İstanbul: Tan Matbaası, 1958.

Eğilmez, A. O. *Türkiye Cumhuriyeti Tarihine Giriş*. İstanbul: Kitabevi, 1998.

Enayet, H. *Modern Islamic Political Thought*. London: The Macmillan Press, 1982.

Erdem, R. *Beyaz Gölgeler*. İstanbul: Timaş Yayınları, 1995.

———, *Davam*. İstanbul: Timaş Yayınları, 1993.

Fahri, D. "The Şeriat as a Political Slogan or 'the Incident of 31 March.'" *Middle Eastern Studies*, October 1971.

Findley, C. *Bureaucratic Reform in the Ottoman Empire: The Sublime Porte, 1789-1922.* Princeton, NJ: Princeton Univeristy Press, 1980.

Friedmann, Y. *Shaikh Ahmad Sirhindî: An Outline of His Thought and a Study of His Image in the Eyes of Posterity*. Montreal and London: McGill University, 1971.

Fromkin, D. *A Peace to End All Peace*. London: Phoenix Press, 2000.

Gazali, Huccetü'l-İslâm İmam. *İhyâ'u Ulûmi'd-Dîn.* Türkçeye tercüme eden, Ahmed Serdaroğlu. İstanbul: Bedir Yayınevi/Hikmet Neşriyat, tarihsiz.

Goffman, D. *The Ottoman Empire and Early Modern Europe*. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.

Gokalp, Z. *The Principles of Turkism*. Leiden: Brill, 1968.

———, *Turkish Nationalism and Western Civilization: Selected Essays*. İngilizce'ye tercüme eden, Niyazi Berkes. London: Allen and Unwin, 1959.

Haddad, Y. Y. “Ghurbah as Paradigm for Muslim Life: A Risale-i Nur Worldview.” Abu-Rabi’, *Islam at the Crossroads*’un içinde, 237-53.

Hale, W. *Turkish Foreign Policy, 1774-2000*. London: Frank Cass, 2002.

Hamza, “Bediüzzaman Said Nursî’nin Tercüme-i Halinden Bir Hülasadır.” 1918. Nursi, *Asar-ı Bediiyye*’nin içinde. İstanbul: Elmas Neşriyat, 2004.

Hanioğlu, M. Ş., *Bir Siyasi Düşünür olarak Doktor Abdullah Cevdet ve Dönemi*. İstanbul: Üçdal Neşriyat, tarihsiz.

———, *The Young Turks in Opposition*. New York: Oxford University Press, 1995.

Hatina, M. “Historical Legacy and the Challenge of Modernity in the Middle East: The Case of al-Azhar in Egypt.” *The Muslim World* 93, No: 1 (January 2003): 51-68.

Heyd, U. *Foundations of Turkish Nationalism: The Life and Teachings of Ziya Gokalp*. London: Harvill Press, 1950.

———, “The Ottoman ‘Ulema and Westernization in the Time of Selim III and Mahmud II,” Hourani, Khoury ve Wilson, *Modern Middle East*’in içinde, 29-59.

Hourani, A. *Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939*. Cambridge: Cambridge University Press, 1986.

———, “Shaikh Khalid and the Naqshbandi Order,” *Islamic Philosophy and the Classical Tradition*’ın içinde. Columbia: University of South Carolina Press, 1972.

Hourani, A., P. S. Khoury, ve M. C. Wilson, editörler. *The Modern Middle East: A Reader*. London: I. B. Tauris, 1993.

İşcan, M. Z. *Muhammed Abduh’un Dinî ve Siyasî Görüşleri*. 2. baskı. Editor. İstanbul: Dergah Yayınları, 1998.

İnal, İbnü’l-Emin. *Son Sadrıazamlar*. 4. cilt. İstanbul: Dergah Yayınları, 1982.

İnalcık H. ve Quataert D. editörler. *An Economic and Social History of the Ottoman Empire*. 2. cilt*. 1600-1914*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

Jung, D., ve Wolfango Piccoli, *Turkey at the Crossroads: Ottoman Legacies and a Greater Middle East*. London: Zed Books, 2001.

Kara, İ. *İslâmcıların Siyasî Görüşleri, I, Hilafet ve Meşrutiyet*. İstanbul: Dergah Yayınları, 2001.

———, *Türkiye’de İslâmcılık Düşüncesi.* 3. cilt. İstanbul: Kitabevi, 1998.

Karabekir, C. *Maçka Silâhhanesi Hatıraları*. İstanbul: Nehir Yayınları, 1991.

Karabekir, K. *Birinci Cihan Harbine Nasıl Girdik?* 2. cilt. 2. baskı. İstanbul: Emre Yayınları, 1995.

Karaömerlioğlu, M. A. “The People’s Houses and the Cult of the Peasant in Turkey.” S. Kedourie, *Turkey Before and After Atatürk*’ün içinde, 67-91.

Karpat, K. *An Inquiry into the Social Foundation of Nationalism in the Ottoman State: From Social Estates to Classes, From Millets to Nations*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973.

Kayalı, H. *Arabs and Young Turks, Ottomanism, Arabism, and Islamic in the Ottoman Empire, 1908-1918*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1997.

Keddie, N. R. *An Islamic Response to Imperialism. Political and Religious Writings of Sayyid Jamal ad-Din "al-Afghani."* Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1968.

———, ed. *Scholars, Saints, and Sufis: Muslim Religious Institutions since 1500*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1972.

Kedourie, S., ed. *Turkey Before and After Atatürk, Internal and External Affairs*. London: Frank Cass, 1999.

Kinross, P. *Atatürk: The Rebirth of a Nation*. London: Phoenix, 1998.

Kocatürk, V. M. *Büyük Türk Edebiyatı Tarihi*. Ankara: Edebiyat Yayınevi, 1970.

Kodaman, B. *Sultan II. Abdülhamid'in Doğu Anadolu Politikası*. İstanbul: Orkun Yayınevi, 1983.

Kuşçubaşı, E. *Hayber'de Türk Cengî.* Edit edenler: P. H. Stoddard. ve H. B. Danışman. İstanbul: Arba Yayınları, 1997.

———, *The Turkish Battle of Khaybar*. Tercüme ve edit edenler: P. H. Stoddard ve H. B. Danışman. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1999.

Kutay, C. *31 Mart İhtilalinde Sultan Hamit*. İstanbul: Kalem, 1977.

———, *Çağımızda Bir Asr-ı Saadet Müslümanı, Bediüzzaman Said Nursî*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1980.

Leverkuehn, P. *Sonsuz Nöbette Görev*. 1938. Türkçeye tercüme eden: Zekiye Hasançebi. İstanbul: Arba Yayınları, 1998.

Lewis, B. *The Emergence of Modern Turkey*. London: Oxford University Press, 1968.

———, *The Political Language of Islam*. Chicago: University of Chicago Press, 1988.

Macfie, A. L. *The End of the Ottoman Empire, 1908-1923*. London: Longman, 1998.

Mango, A. *Atatürk*. London: John Murray, 2002.

Mardin, Ş. "Bediüzzaman Said Nursi (1873-1960): The Shaping of a Vocation." *Religious Organization and Religious Experience*'in içinde, edit eden: J. Davis, 65-79. London: Academic Press, 1982.

———, *Continuity and Change in the Ideas of the Young Turks*. İstanbul: Robert College Occasional Papers, 1969.

———, "Power, Civil Society and Culture in the Ottoman Empire." *Comparative Studies in Society and History* 11 (July 1969): 258-81.

———, "Religion and Secularism in Turkey," Hourani, Khoury, ve Wilson, *The Modern Middle East*'in içinde, 347-74.

———, *Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediüzzaman Said Nursi*. Albany: State University of New York Press, 1989.

———, *The Genesis of Young Ottoman Thought: A Study in the Modernization of Turkish Political Ideas*. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2000.

———, "The Nakşibendi Order in Turkish History." Tapper, *Islam in Modern Turkey*'in içinde, 121-42.

Markham, I., ve İ. Özdemir, editörler, *Globalization, Ethics, and Islam: The Case of Bediüzzaman Said Nursi*. Aldershot, UK: Ashgate Publishing, 2005.

McCarthy, J. *Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire*. New York: New York University Press, 1983.

———, *The Ottoman Peoples and the End of the Empire*. New York: Oxford University Press, 2001.

Mehmed Selahaddin Bey, *İttihad ve Terakki'nin Kuruluşu ve Osmanlı Devleti'nin Yıkılışı Hakkında Bildiklerim*. 1918. İstanbul: İnkılab Yayınları, 1989.

Mısıroğlu, K. *Kurtuluş Savaşında Sarıklı Mücahitler*. İstanbul: Sebil Yayınevi, 1980.

Mosher, L. A. "The Marrow of Worship and the Moral Vision: Said Nursi and Supplication." Abu-Rabi', *Islam at the Crossroads*'un içinde, 181-97.

Müftüoğlu, M. *Her Yönüyle Sultan İkinci Abdülhamid*. İstanbul: Çile Yayınları, 1985.

Mülâkat, Nurculuk Hakkında. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1976.

Mürsel, S. *Bediüzzaman Said Nursi ve Devlet Felsefesi*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, tarihsiz.

Nalbandian, L. *The Armenian Revolutionary Movement*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1963.

Nursî, B. S. *Âsâr-ı Bediiyye*. Mütercim: Abdülkadir Badıllı. İstanbul: Elmas Neşriyat, 2004.

———, "Bediüzzaman Kürdî'nin Fihriste-i Maksadı ve Efkârının Programı." Düzdağ, *Volkan Gazetesi*'nin içinde, 402-3, 407-8.

———, *Barla Lâhikası*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2005.

———, "Devr-i İstibdad ve Said-i Kürdî'nin Pençeleşmesi." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, "Devr-i İstibdadda Tımarhaneden Sonra Tevkifhanede iken Zabtiye Nazırı Şefik Paşa ile Muhaveremdir." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, "Divan-ı Harb-i Örfî." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, *Divan-ı Harb-i Örfî*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 2003.

———, *Emirdağ Lâhikası*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2004.

———, *Hutbe-i Şâmiye*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 2003.

———, *İçtimâi Reçeteler*. 2 cilt. İstanbul: Tenvir Neşriyat, 1990.

———, *İki Mekteb-i Musibetin Şehadetnamesi veya Divan-ı Harb-i Örfî ve Bediüzzaman Said-i Nursî*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 1975.

———, "İşârât." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, *Kastamonu Lâhikası*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2005.

———, *Kaynaklı-İndeksli-Lügatli Risale-i Nur Külliyatı*. 2 cilt. İstanbul: Nesil Yayınları, 1996.

———, *Lem'alar*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2005.

———, *Lem'alar*. Osmanlıca nüsha. Yayınevi belirtilmemiş, tarihsiz.

———, "Lemeân-ı Hakikat ve İzale-i Şübehat." Düzdağ, *Volkan Gazetesi*'nin içinde, 493-94, 497-99, 503-4, 511-12.

———, *Mektubat*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2005.

———, *Mesnevi-i Nûriye*. Türkçe'ye tercüme eden: Abdülmecid Nursî, İstanbul: Sözler Yayınevi, 1980.

———, *Müdâfaalar*. İstanbul: Tenvir Neşriyat, 1988.

———, *Muhâkemat*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 2005.

———, *Münâzarât*, İstanbul: Sözler Yayınevi, 1977.

———, "Münâzarât." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, *Nur'un İlk Kapısı*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 1977.

———, "Nutuklar." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, "Reddü'l-Evham." Düzdağ, *Volkan Gazetesi*'nin içinde, 438-39, 441-42.

———, "Rumûz." *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, *Sikke-i Tasdîk-ı Gaybî*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2005.

———, *Sözler*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2004.

———, *Sünûhat*. İstanbul: Sözler Yayınevi, 1977.

———, *Şuâlar*. İstanbul: Söz Basım Yayın, 2004.

———, "Tuluât," *Asar-ı Bediiyye*'nin içinde.

———, "Yaşasın Şeriat-ı Ahmedî." Düzdağ, *Volkan Gazetesi*'nin içinde, 371.

Öke, M. K. *İngiliz Ajanı Binbaşı E. W. C. Noel'in Kürdistan Misyonu (1919)*. İstanbul: Boğaziçi Yayınları, 1989.

———, *Musul–Kürdistan Sorunu, 1918-1926*. İstanbul: İz Yayıncılık, 1995.

———, "Said Nursi and Britain's Psychological Warfare Against Ottoman Turkey 1909-1922." *Panel I Bediüzzaman Said Nursi*'nin içinde, İstanbul: Sözler Publications, 1993.

———, *Siyonizm ve Filistin Sorunu, 1880-1914*. İstanbul: Üçdal Neşriyat, 1982.

———, *Yüzyılın Kan Davası, Ermeni Sorunu, 1914-1923*. İstanbul: Aksoy Yayıncılık, 2000.

Olson, R. *The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925*. Austin: University of Texas Press, 1989.

Özçelik, A. *Sahibini Arayan Meşrutiyet*. İstanbul: Tez Yayınları, 2001.

Pears, E. *Forty Years in Constantinople: The Recollection of Sir Edwin Pears, 1873-1915.* New York: D. Appleton and Co., 1916.

Poulton, H. *Top Hat, Grey Wolf and Crescent*. London: C. Hurst, 1997.

Redhouse, Yeni Türkçe-İngilizce Sözlük. İstanbul: Redhouse Yayınevi, 1979.

Risale-i Nur Külliyatı Müellifi, Bediüzzaman Said Nursi (Tarihçe-i Hayatı), Hayatı, Mesleki, Tercüme-i Hali. İstanbul: Sözler Yayınevi, 2004.

Sabis, A. İ. *Harp Hatıralarım, Birinci Dünya Harbi*. 1. cilt. İstanbul: Nehir Yayınları, 1991.

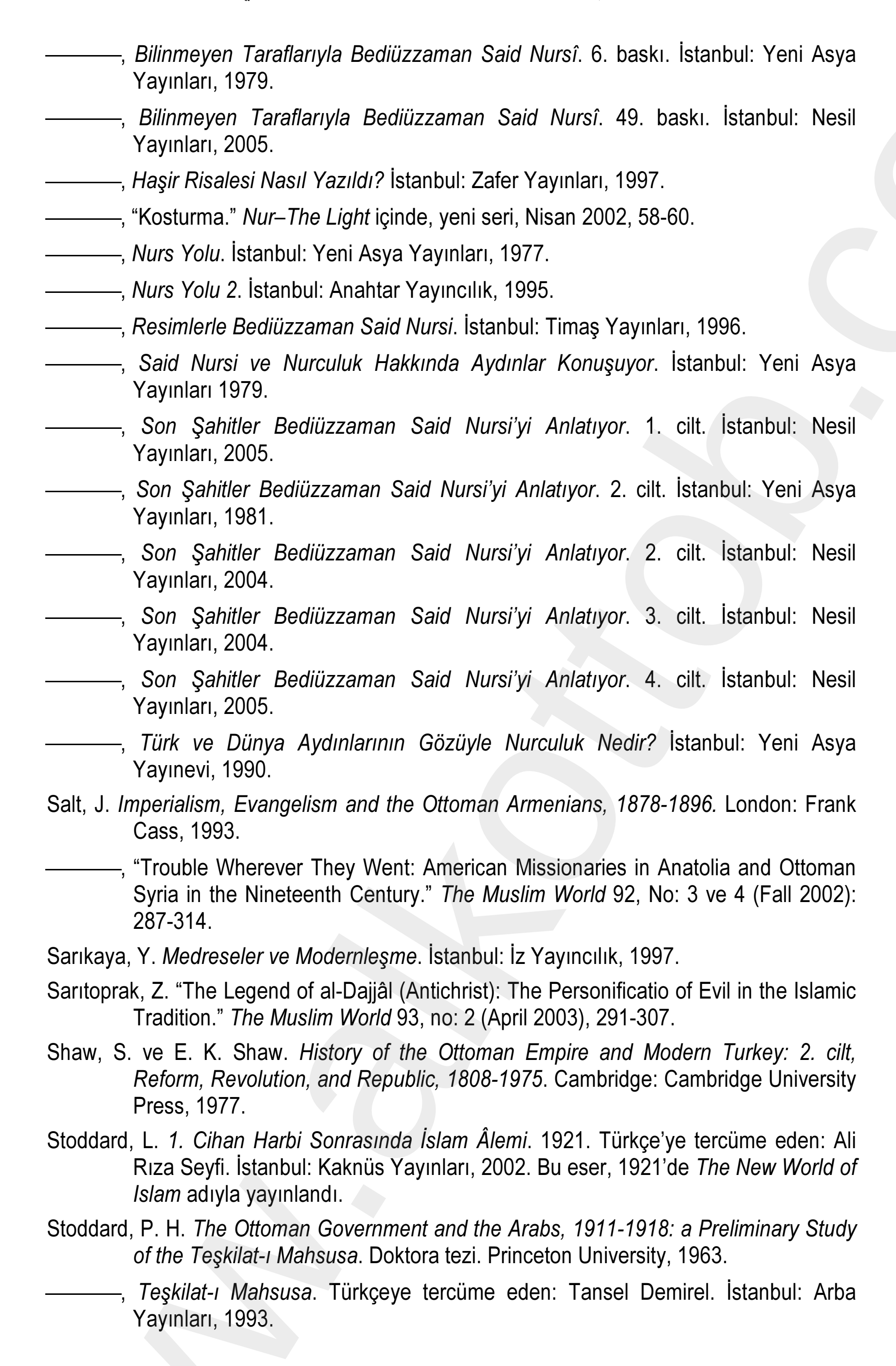
———, *Harp Hatıralarım, Birinci Dünya Harbi.* 2. cilt. İstanbul: Nehir Yayınları, 1992.

———, *Harp Hatıralarım, Birinci Dünya Harbi*. 3. cilt. İstanbul: Nehir Yayınları, 2002.

Sağman, H. A. *Mevlid Nasıl Okunur ve Mevlidhanlar*. İstanbul: yayınevi belirtilmemiş, 1951.

Şahiner, N. *Bediüzzaman Said Nursi'den Hapishane Mektupları*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1992.

———, *Bediüzzaman Üniversitesi, Medresetü'z-Zehra*. İstanbul: Timaş Yayınları, 1996.



———, *Bilinmeyen Taraflarıyla Bediüzzaman Said Nursî*. 6. baskı. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1979.

———, *Bilinmeyen Taraflarıyla Bediüzzaman Said Nursî*. 49. baskı. İstanbul: Nesil Yayınları, 2005.

———, *Haşir Risalesi Nasıl Yazıldı?* İstanbul: Zafer Yayınları, 1997.

———, "Kosturma." *Nur–The Light* içinde, yeni seri, Nisan 2002, 58-60.

———, *Nurs Yolu*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1977.

———, *Nurs Yolu 2*. İstanbul: Anahtar Yayıncılık, 1995.

———, *Resimlerle Bediüzzaman Said Nursi*. İstanbul: Timaş Yayınları, 1996.

———, *Said Nursi ve Nurculuk Hakkında Aydınlar Konuşuyor*. İstanbul: Yeni Asya Yayınları 1979.

———, *Son Şahitler Bediüzzaman Said Nursi'yi Anlatıyor*. 1. cilt. İstanbul: Nesil Yayınları, 2005.

———, *Son Şahitler Bediüzzaman Said Nursi'yi Anlatıyor*. 2. cilt. İstanbul: Yeni Asya Yayınları, 1981.

———, *Son Şahitler Bediüzzaman Said Nursi'yi Anlatıyor*. 2. cilt. İstanbul: Nesil Yayınları, 2004.

———, *Son Şahitler Bediüzzaman Said Nursi'yi Anlatıyor*. 3. cilt. İstanbul: Nesil Yayınları, 2004.

———, *Son Şahitler Bediüzzaman Said Nursi'yi Anlatıyor*. 4. cilt. İstanbul: Nesil Yayınları, 2005.

———, *Türk ve Dünya Aydınlarının Gözüyle Nurculuk Nedir?* İstanbul: Yeni Asya Yayınevi, 1990.

Salt, J. *Imperialism, Evangelism and the Ottoman Armenians, 1878-1896.* London: Frank Cass, 1993.

———, "Trouble Wherever They Went: American Missionaries in Anatolia and Ottoman Syria in the Nineteenth Century." *The Muslim World* 92, No: 3 ve 4 (Fall 2002): 287-314.

Sarıkaya, Y. *Medreseler ve Modernleşme*. İstanbul: İz Yayıncılık, 1997.

Sarıtoprak, Z. "The Legend of al-Dajjâl (Antichrist): The Personificatio of Evil in the Islamic Tradition." *The Muslim World* 93, no: 2 (April 2003), 291-307.

Shaw, S. ve E. K. Shaw. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: 2. cilt, Reform, Revolution, and Republic, 1808-1975*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

Stoddard, L. *1. Cihan Harbi Sonrasında İslam Âlemi*. 1921. Türkçe'ye tercüme eden: Ali Rıza Seyfi. İstanbul: Kaknüs Yayınları, 2002. Bu eser, 1921'de *The New World of Islam* adıyla yayınlandı.

Stoddard, P. H. *The Ottoman Government and the Arabs, 1911-1918: a Preliminary Study of the Teşkilat-ı Mahsusa*. Doktora tezi. Princeton University, 1963.

———, *Teşkilat-ı Mahsusa*. Türkçeye tercüme eden: Tansel Demirel. İstanbul: Arba Yayınları, 1993.

Tapper, R., ve N. Tapper, “Religion, Education and Continuity in a Provincial Town.” Tapper, *Islam in Modern Turkey*’in içinde, 56-83.

Tapper, R., ed. *Islam in Modern Turkey: Religion, Politics and Literature in a Secular State*. London: I. B. Tauris, 1994.

Tepedelenlioğlu, N. N. “76 Yıl Evvelki Bir Hatıra.” Erdem, *Beyaz Gölgeler*’in içinde, İstanbul: Timaş Yayınları, 1995.

Toprak, B. “The Religious Right,” Hourani, Khoury, ve Wilson, *The Modern Middle East*’in içinde.

Trimingham, J. S. *The Sufi Orders of Islam*. Oxford: Oxford University Press, 1998.

Tucker, W. “The Shaikh Said Rebellion in Turkey in 1925.” *Die Welt des Islam* 18, (1977-8).

Tunaya, T. Z. *Türkiye’de Siyasal Partiler*. 1. cilt. İstanbul: Hürriyet Vakfı Yayınları, 1984.

———, *Türkiye’de Siyasal Partiler*. 2. cilt. İstanbul: Hürriyet Vakfı Yayınları, 1986.

———, *Türkiye’de Siyasal Partiler*. 3. cilt. İstanbul: Hürriyet Vakfı Yayınları, 1989.

Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. Şu ana kadar 28 cilt. İstanbul: Türkiye Diyanet Vakfı, 1988-2005.

Uslu, H. *Bediüzzaman’ın Kardeşi Abdülmecid Nursî*. İstanbul: Yeni Asya Neşriyat, 1998.

Vahide, Ş. *The Author of the Risale-i Nur, Bediuzzaman Said Nursi*. 3. baskı. İstanbul: Sözler Publications, 2000.

———, “An Outline of Bediuzzaman Said Nursi’s Views on Christianity and the West.” Markham ve Özdemir, *Globalization, Ethics, and Islam*’ın içinde.

———, “Said Nursi’s Interpretation of *Jihad*.” Abu-Rabi’, *Islam at the Crossroads*, 93-114.

———, “Toward an Intellectual Biography of Said Nursi,” Abu-Rabi‘, *Islam at the Crossroads,* 1-32.

Yalçın, H. C. *İttihatçı Liderlerin Gizli Mektupları*. İstanbul: Temel Yayınları, 2002.

Yalman, M. E. *Yakın Tarihte Gördüklerim ve Geçirdiklerim*. 2 cilt. İstanbul: Pera Turizm ve Ticaret A.Ş., 1997.

Yavuz, H. “*Nur* Study Circles (*Dershanes*) and the Formation of New Religious Consciousness in Turkey.” Abu-Rabi‘, *Islam at the Crossroads,* 297-316.

———, “Print-Based Islamic Discourse and Modernity: The *Nur* Movement,” *Third International Symposium on Bediuzzaman Said Nursi 1995*’in içinde. İstanbul: Sözler Publications, 1997.

Zarcone, T. “The Transformation of the Sufi Orders (*Tarikat*) in the Turkish Republic and the Question of Crypto-Sufism.” *Festschrift in Honor of Talat Halman*’ın içinde, editörler: P. Chelkowsky ve J. Warner, New York: New York University Press, 2000, 155-66.

Zürcher, E. J. *Turkey, A Modern History*. Yeni baskı. London: I. B. Tauris, 1998.

———, *The Unionist Factor. The Rôle of the Committee of Union and Progress in the Turkish National Movement, 1905-1925*. Leiden: E. J. Brill, 1984.

المراجع العربية :

١- النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.

٢- النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.

٣- النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

٤- النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

٥- النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٤.

٦- النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٤.

٧- النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

٨- النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

٩- النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

المحتويات